

Chrestomathia, vols I

Ver. Chang. IV, l.

BOBST LIBRARY



3 1142 02824 7818



NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

ur J. B. Belot et A. Ro

Cheswomathis, vols I

BOBST LIBRARY

Nuhab al-Malah.

Syria.

ur J. B. Belot et A. Ro.

Belot, Jean Baptiste

Nukhab
al-mulah /



جمعها الآباء يوحنا بلو والآباء أغوستينوس روده
من الرهبنة اليسوعية

الجزء الأول

القسم الأول

وَهُوَ يَشْتَهِلُ عَلَى حِكَمَاتٍ أَدَيْةٍ

v. 1



طبعة سابعة في مطبعة المرسلين اليسوعيين

في بيروت ١٨٨٣

Cheswomathis, asbesto

Near East

PJ

7601

B43

1883

v.1

c.1

مِنْ أَمْثَالِ لُقَانَ الْحَكِيمِ

أَسْدٌ وَثَوْرَانٌ

أَسْدٌ مَرَقَ خَرَجَ عَلَى ثَوْرَيْنِ . فَاجْتَمَعَا جَيْعاً وَكَانَا يُنْظَحَا نَهْرَ قُرُونِيَّةً . وَلَا
يُنْكَانِيهِ مِنَ الدُّخُولِ بَيْنَهُمَا . فَانْفَرَدَ بِأَحَدِهِمَا وَخَدَعَهُ وَوَعَدَ أَلَا يُعَارِضَهُ .
إِنْ تَخْلَى عَنْ صَاحِبِهِ . فَلَمَّا أَفْتَرَقَا أَفْتَرَسْهُمَا جَيْعاً
مَغْزَاهُ

أَنْ مَدِينَتَيْنِ . إِذَا اتَّفَقَ عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ أَهْلُهُمَا . فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ مِنْهُمَا أَدْعُوهُ .
فَإِذَا أَفْتَرَقَا هَلَكَا جَيْعاً

غَزَالٌ

غَزَالٌ مَنْ عَطِشَ فَأَتَى إِلَى عَيْنِي مَاءٌ بَشَرَبُ . فَنَظَرَ خَيْلَهُ فِي الْمَاءِ
فَخَرَقَ لِدَقَّةٍ فَوَأْتَهُ وَسَرَّهُ فَأَبْتَهَ لِعَظْمٍ قُرُونِهِ وَكِبْرِهَا . وَفِي الْحَالِ خَرَجَ
عَلَيْهِ الصَّيَادُونَ فَانْهَزَمَ مِنْهُمْ . فَامْأَوَهُوَ فِي السَّهْلِ فَلَمْ يُدْرِكُهُ فَلَمَّا دَخَلَ
فِي الْجَبَلِ وَعَبَرَ بَيْنَ أَلْسِنَتِ الشَّجَرِ لَحْقَهُ الصَّيَادُونَ وَقَتَلُوهُ . فَقَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ:
الْوَيْلُ لِي أَنَا الْمِسْكِينُ . الَّذِي أَزْهَرَتِهِ هُوَ خَلْصِي . وَالَّذِي رَجَوْتُهُ

أَهْلَكَنِي

أَسْدٌ وَتَعْلَبٌ

أَسْدٌ شَاغِرٌ وَضَعُفتَ . فَلَمْ يُقْبِرْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْوُحُوشِ فَلَرَادَ أَنْ يَخْتَالَ
لِنَفْسِهِ فِي الْمَعِيشَةِ . فَنَارَضَ وَالْقُنْقُنَ فَنَسَهُ فِي بَعْضِ الْمَغَارِبِ . وَكَانَ كُلُّهُ أَتَاهُ
زَائِرٌ مِنَ الْوُحُوشِ يَعُودُهُ أَفْتَرَسْهُ دَاخِلَ الْمَغَارَةِ وَأَكْلَهُ . وَإِنَّهُ أَنَّ التَّعْلَبَ .
وَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَغَارَةِ مُسْلِمًا عَلَيْهِ قَائِلًا لَهُ : كَيْفَ حَالَكَ يَا سَيِّدَ

٤٠

الْوُحُوشِ . فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : مَا لَكَ لَا تَدْخُلُ يَأَبَا الْمُحْصِنِ : فَقَالَ لَهُ
الْتَّعَلَبُ : يَا سَيِّدُ . قَدْ كُنْتُ عَوْلَتُ عَلَى هَذَا غَيْرَ أَنِّي أَرَى عِنْدَكَ آثَارَ أَقْدَامِ
كَثِيرٍ (١) قَدْ دَخَلُوا . وَلَا أَرَى أَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ أَحَدٌ

مَغْزَاهُ

أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ لَا يَأْتِي أَمْرًا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُعْكَرَ فِيهِ وَيُمْبَيِّعَ
أَسَدٌ وَإِنْسَانٌ

أَسَدٌ وَإِنْسَانٌ أَصْطَحَبَا مَرْءَةً عَلَى الْطَّرِيقِ . فَجَعَلَا يَتَشَاجِرَانِ بِالْكَلَامِ عَلَى
الْقُوَّةِ وَشِدَّةِ الْبَلَاسِ . فَجَعَلَ الْأَسَدُ يُطْنِبُ فِي شِدَّتِهِ وَبَاسِهِ . فَنَظَرَ إِلَيْهِ إِنْسَانٌ
عَلَى حَائِطٍ صُورَةَ رَجُلٍ وَهُوَ يَخْنُقُ أَسَدًا . فَضَحِّكَ إِلَيْهِ إِنْسَانُ . فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ :
لَوْ أَنَّ السَّبَاعَ مُصَوِّرُونَ مِثْلَ بَنِي آدَمَ . لَمَّا قَدَرَ إِلَيْهِ إِنْسَانٌ أَنْ يَخْنُقَ سَبْعًا .
بَلْ كَانَ السَّبَعُ يَخْنُقُ إِلَيْهِ إِنْسَانَ

مَغْزَاهُ

أَنَّهُ مَا يُزَكِّي إِلَيْهِ إِنْسَانٌ بِشَهَادَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ
غَزَالٌ وَأَسَدٌ

غَزَالٌ مِنْ خَوْفِهِ مِنَ الصَّيَادِينَ أَنْهَزَمَ إِلَى مَغَارَةٍ . فَدَخَلَ إِلَيْهِ الْأَسَدُ
فَأَفْتَرَسَهُ فِيهَا . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : الْوَيْلُ لِي أَنَا الشَّفِيقُ لِأَنِّي هَرَبْتُ مِنَ النَّاسِ .
فَوَقَعْتُ فِي يَدِ مَنْ هُوَ أَشَدُ مِنْهُمْ بَاسًا

مَغْزَاهُ

أَنَّ كَثِيرًا يَغْرُونَ مِنْ بَلَاءَ فَيَقْعُونَ فِي بَلَاءَ أَعْظَمَ

(١) كَثِيرٌ نَعْتُ لِمَدْنُوفٍ يُفَدَّر بِحَسْبِ الْمَلَامِ وَالْمَرَادُ هُنَا خَلْقٌ كَثِيرٌ

٠٠٠
غَزَالٌ وَشَلْبٌ

غَزَالٌ مِنْ عَطِيشَ . فَوَرَدَ عَيْنَ مَا لِي شَرَبَ . وَكَانَ الْمَاءُ فِي جُبَّ عَيْقِي
لِمْ إِنَّهُ حَاوَلَ الظُّلُوعَ فَلَمْ يَفْدِرْ . فَنَظَرَ الشَّلْبُ فَقَالَ لَهُ أَسَأْتَ يَا أَخِي .
إِذْ لَمْ تُمِيزْ صُدُورَكَ قَبْلَ وَرُودِكَ

مَغْزَاهُ

مَنْ جَدَّ بِهِ الْطَّمَعُ عَلَى أَنْ يَأْتِي أَمْرًا دُونَ تَرْوِيَ فِيهِ . لَمْ يَأْمَنْ غَائِلَةَ
أَرْنَبٍ وَلَبُوَّةَ

أَرْنَبٌ مِنْ أَجْنَازَتْ بِلَبُوَّةَ وَقَالَتْ لَهَا : أَنَا أُتَحِّمُ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَوْ لَادًا كَثِيرَةً
وَأَنْتِ إِنَّمَا تَلَدِّينَ فِي عُمْرِكِ كُلِّهِ فَذًا أَوْ زَوًا : فَقَالَتْ لَهَا اللَّبُوَّةُ : صَدَقْتِ
غَيْرَ أَنَّهُ وَإِنْ يَكُنْ وَاحِدًا فَهُوَ سَبْعَ

مَغْزَاهُ

لَيْسَ الْأَعْنَادُ عَلَى الْكُثُرِ وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى الْمُفِيدِ
إِمْرَأَةٌ وَدَجَاجَةٌ

إِمْرَأَةٌ كَانَ لَهَا دَجَاجَةٌ تَيْضُ فِي كُلِّ يَوْمٍ يُضَّةٌ فِضَّةٌ . فَقَالَتْ فِي
نُفْسِهَا : إِنَّمَا كَثُرْتُ عَلَفَهَا بَاضْتِ يُضَّتِينِ . فَلَمَّا فَعَلَتْ ذَلِكَ . أَنْشَقَتْ
حَوْصَلَةُ الدَّجَاجَةِ فَمَا تَثْ

مَغْزَاهُ

أَنَّ كَثِيرًا يَسْبِبُ طَمَعَمْ يَخْسِرُونَ رَأْسَ مَالِمْ
بُعْوَضَةٌ وَثُورٌ

بُعْوَضَةٌ يَعْنِي نَامُوسَةٌ وَقَفَتْ عَلَى قَرْنِ ثَوْرٍ وَظَنَتْ أَنَّهَا ثَقَلتْ عَلَيْهِ .

فَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتُ قَدْ بَهْظُتُكَ فَأَعْلَمُنِي حَتَّى أَطِيرَ عَنْكَ: فَقَالَ هَا الْثُورُ:
يَا هَذِهِ مَا شَرَعْتُ بِنُزُولِكِ حَتَّى يُرْجِعَنِي فِرَاقُكِ
مَغْزَاهُ

مَنْ يَطْلُبُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ ذِكْرًا وَمَجْدًا وَهُوَ حَقِيرٌ يَلْقَى الْهُوانَ
بُسْتَانِيٌّ

بُسْتَانِيٌّ كَانَ يَوْمًا يَنْقِي الْبَقْلَ. فَقَيلَ لَهُ: يَمَادَا الْبَقْلُ الْبَرِّيُّ هِيَ الْمُنْظَرِ
وَهُوَ غَيْرُ مَخْدُومٍ وَمَنْبَتٍ: فَقَالَ: لَا نَهَى تَرِيهِ أُمَّةٌ. وَغَيْرُهُ تَرِيهِ رَبِّتُهُ
مَغْزَاهُ

أَنْ تَرِيهَ الْأُمُّ أَكْثَرَ تَأْثِيرًا فِي وَلَدِهَا مِنْ غَيْرِهَا
إِنْسَانٌ وَفَرَسٌ

إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ فَرَسٌ يَرْكَبُهَا وَهِيَ حَامِلٌ. وَفِيمَا هُوَ فِي بَعْضِ الْطَّرِيقِ
إِذَا أَنْتَخَتْ لَهُ مَهْرًا. فَتَبَعَّ أُمَّهُ غَيْرَ بَعِيدٍ. ثُمَّ وَقَفَ وَقَالَ لِصَاحِبِهِ: تَرَانِي
صَغِيرًا لَا أَسْتَطِيعُ الْمَشِيَّ. وَقَدْ مَضَيْتَ وَتَرَكْتَنِي هُنَّا. فَإِنْ أَنْتَ أَخْذَنِي
مَعَكَ وَرِبِّنِي إِلَى أَنْ أَقْوَى حَمْلُتُكَ عَلَى ظَهْرِي فَأَوْصَلْتُكَ إِلَى حَيْثُ تَشَاءُ
مَغْزَاهُ

أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تُرْفَقَ بِمَنْ يَسْتَغْشِيُونَا وَهُمْ غَيْرُ قَادِرِينَ
إِنْسَانٌ وَخَنْزِيرٌ

إِنْسَانٌ مَرَّ حَمَلَ عَلَى بَهِيمَةٍ لَهُ كَبْشًا وَعَزْزاً وَخَنْزِيرًا. وَقَصَدَ بِهَا الْمَدِينَةَ
لَيَسْبِعَ الْجَمِيعَ. أَمَا الْكَبْشُ وَالْعَزْزَ فَلَمْ يَكُنَا يُؤْذِيَانِ الْبَهِيمَةَ. وَأَمَا الْخَنْزِيرُ
فَإِنَّهُ كَانَ يَغْرَضُ دَائِيًّا وَلَا يَهْدَأً. فَقَالَ لَهُ الْإِنْسَانُ: يَا شَرَّ الْوُحُوشِ. مَالِي

أَرَى الْكَبِشَ وَالْعَنْزَ سَاكِتَيْنِ لَا يَضْطَرِبَانِ . وَأَنْتَ لَا تَهْدَأُ وَلَا تَسْتَقِرُ :
 فَقَالَ لَهُ الْحَمْزِيرُ : كُلُّ يَعْرِفُ شَاءَهُ . أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ الْكَبِشَ لِصُوفِهِ . وَالْعَنْزَ
 لِلْبَنَهَا . فَإِنَّا الشَّفِيقَ فَلَا صُوفَ لِي وَلَا لَهُنَّ . فَمَا يَكُونُ بَعْدَ وَصُوبِي إِلَى الْمَدِينَةِ
 إِلَّا إِرْسَالِي إِلَى الْمَسْلَخِ

مَغْزَاهُ

أَنَّ الَّذِينَ يَغْرِقُونَ فِي الْخَطَايَا أَنَّهُ قَدْمَتْ أَيْدِيهِمْ بَعْلَمُونَ سُوَّهُ مُنْقَلِبِهِمْ
 سُلْحَفَاهُ وَرَنْبُ

سُلْحَفَاهُ وَرَنْبُ تَسَابَقَا مَرَّةً . وَجَعَلَا الْأَحْمَدَيْنَهَا الْجَبَلَ يَسْتَقِيَانِ إِلَيْهِ . أَمَّا
 الْأَرْنَبُ فِيمَا يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ مِنْ الْخَفَفَةِ فِي الْجُرْبِيِّ . تَوَانَى فِي الْطَّرِيقِ وَنَامَ .
 وَأَمَّا الْسُّلْحَفَاهُ فَلِعِلَّهَا يَشْقَلُ حَرَكَتَهَا لَمْ تَكُنْ : لِتَسْتَقِرُ وَلَا تَتوَانَى فِي الْمَسِيرِ
 حَتَّىٰ وَصَلَتْ إِلَى الْجَبَلِ قَبْلَهُ . وَعَنْدَمَا أَسْتَقَضَ مِنْ تَوْمِهِ . وَجَدَهَا قَدْ
 سَبَقَتْ فَنَدِمَ حَيْثُ لَا تَنْفَعُ النَّدَامَةُ

مَغْزَاهُ

لَا يَنْبَغِي لِلْقَوِيِّ أَنْ يَتَكَلَّ عَلَىٰ مَا عِنْدَهُ مِنْ الْقُوَّةِ وَيُغْفِلَ أَمْرَهُ . فَيَنْشَلَ
 وَيَكُونُ مِنَ الْحَاسِرِينَ

ذَئْبُ

ذَئْبُ مِنَ أَخْنَطَفَ خَنْوَصًا . وَفِيمَا هُوَ ذَاهِبٌ بِهِ لَقِيَهُ الْأَسْدُ فَأَخَذَهُ
 مِنْهُ . فَقَالَ الْذَئْبُ فِي نَفْسِهِ : لَا غَرَوْ أَنْ يَكُونَ الْعَاصِبُ مَغْصُوبًا . فَإِنَّ الْبَغْيَ
 مَصْرَعَهُ وَخَيْمَ

مَغْزَاهُ

أَنَّ مَا يُكْتَسِبُ مِنَ الظُّلْمِ لَا يَدُومُ لِصَاحِبِهِ . وَإِنْ دَامَ فَلَا يَتَهَنَّأُ بِهِ . كَمَا
وَرَدَ مِنْ أَصَابَ مَا لَا مِنْ مَهَاوِشَ . أَذْهَبَهُ اللَّهُ فِي نَهَارِ

الْعَوْسَجُ

الْعَوْسَجُ قَالَ مِنْ لِلْبُسْتَانِيِّ : لَوْاَنَّ لِي مِنْ يَهْمَنِي وَيَنْصِبِي وَيَسْقِبِي
وَيَخْدُمِي . لَا شَهَتَنِي الْمُلُوكُ وَنَظَرُوا مِنْ زَهْرِي وَشَمْرِي . فَأَخْذَ وَغَرَسَهُ
فِي أَجْوَادِ حَكَلٍ فِي الْبُسْتَانِ . وَصَارَ يَسْقِبِهِ كُلَّ يَوْمٍ دُفَعَتِينِ . فَنَشَأَ وَفَوَىِي .
وَتَرَعَتْ أَغْصَانُهُ عَلَى جَمِيعِ الشَّجَرِ . الَّتِي حَوَلَهُ وَأَصْلَتْ عُرُوقَهُ فِي الْأَرْضِ .
حَتَّى امْتَلَأَ الْبُسْتَانُ مِنْهُ وَمِنْ كُثْرَةِ شَوْكِهِ . فَلَمْ يَعْدْ أَحَدٌ يُسْتَطِعَ أَنْ يَتَرَفَّجَ فِيهِ

مَغْزَاهُ

مَنْ يُجَاهِرُ إِنْسَانَ سُوُّفَانَهُ كُلَّمَا أَكْرَمَهُ كَثَرَتْ شُرُورُهُ وَتَهَرَّبَ كَمَا قَالَ
الشَّاعِرُ : وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْلَّيْسَ تَهَرَّبَ

صَبِيُّ

صَبِيُّ رَمَى بِنَفْسِهِ مِنْ فِي نَهَرٍ . وَلَمْ يَكُنْ يُحْسِنُ السِّبَاحَةَ . فَأَشْرَفَ عَلَى
الْغَرْقِ . فَاسْتَعَانَ بِرَجُلٍ عَابِرٍ فِي الْطَّرِيقِ . فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ وَجَعَلَ يَلْوُمَهُ عَلَى
تَرْوِيلِهِ إِلَى النَّهَرِ . فَقَالَ الصَّبِيُّ : بِاَهْدَأْ . خَلَصْنِي أَوْ لَا مِنَ الْمَوْتِ لَمْ يُهْنِي

مَغْزَاهُ

إِذَا وَقَعَ صَدِيقُكَ فِي شَلَّةٍ تَجْهِي وَخَلَصْهُ أَوْ لَا تُمْ لَهُ

صَبِيُّ وَعَقْرَبُ

صَبِيُّ مِنْ كَاتَ يَصِيدُ الْجَرَادَ . فَنَظَرَ عَقْرَبًا فَظَنَّهَا جَرَادَةً . فَهَدَدَ بَعْ

٠٩٠
لِيَأْخُذَهَا ثُمَّ تَبَاعَدَ عَنْهَا . فَقَالَتْ لَهُ : لَوْ أَنْكَ قَبَضْتَنِي يَدِكَ لَخَلَقْتَنِي عَنْ
صَبِيدِ الْجَرَادِ

مَغْزَاهُ

أَنَّ سَيِّلَ الْإِنْسَانَ أَنْ يُمِيزَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ . وَيُدَبِّرَ كُلُّ شَيْءٍ تَدْبِيرًا
عَلَى حَدَّتِهِ

حَمَامَةُ

حَمَامَةٌ مَرَّ عَطِيشَتْ . فَأَقْبَلَتْ تَحْوِمُ حَوْلَ حَائِطٍ فِي طَلَبِ الْمَاءِ . فَنَظَرَتْ
عَلَيْهِ صُورَةً صُحِيفَةً مَمْلُوَّةً مَاءً . فَطَارَتْ بِسُرْعَةٍ وَضَرَبَتْ نَفْسَهَا عَلَى تِلْكَ
الصُّورَةِ فَانْشَقَتْ حَوْصَلَتِهَا . فَقَالَتْ : الْوَيْلُ لِي . إِنِّي لَمْ أَتَرَوْ فِي الصَّحْنِ
وَالْمُفْتَلِ . وَفَرُقْ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . حَتَّى جَلَبْتُ الْمِنَيَّةَ لِرُوحِي يَدِي

مَغْزَاهُ

أَنَّ الْمُسْتَعِلَ لَا يَسْلُمُ مِنْ تَسْعَةِ عَجَلَتِهِ وَأَنَّ الْحَزْمَ فِي الْتَّانِيِّ

حَدَادُ وَكَلْبُ

حَدَادٌ كَانَ لَهُ كَلْبٌ دَأْبُهُ التَّوَانِي وَالرُّفَادُ مَا دَامَ الْحَدَادُ عَامِلاً . فَإِذَا
رَفَعَ الْعَمَلَ وَجَلَسَ هُوَ وَاصْحَابُهُ لِيَاكُلُوا . أَسْتَيقَظَ الْكَلْبُ . فَقَالَ لَهُ الْحَدَادُ :
يَا كَلْبَ السُّوءِ . مَا لِي أَرَى صَوْتَ الْمَطَارِقِ الَّتِي تَرْعِزُ الْأَرْضَ لَا يَنْهَاكَ .
وَحِسَّ الْمَضْغَ أَلْخَفِيَّ تَسْمِعُهُ فِي وَقْطَكَ

مَغْزَاهُ

أَنَّ الْغَيِّ يَتَقَاعِسُ عَنِ الْوَعْظِ . وَإِذَا سَمِعَ اللَّهُوَ أَنْصَبَ إِلَيْهِ

١٠٠
الْبَطْنُ وَالرِّجْلَانِ

الْبَطْنُ وَالرِّجْلَانِ تَخَاصَّمَا عَلَى أَيْمَنِ يَحْمِلُ الْجِسمَ . فَقَاتَلَتِ الرِّجْلَانِ
نَحْنُ بِقُوَّتِنَا نَحْمِلُهُ : فَقَالَ الْجَوْفُ : إِذَا أَنَا لَمْ أَغْذِمِنَ الْطَّعَامَ . فَلَا تَسْتَطِعَانِ
الْمَسْيَ . فَضْلًا عَنْ أَنْ تُقْلِلا شَيْئًا

مَغَازَاهُ

مَنْ يَتَوَلَّ أَمْرًا فَإِنْ لَمْ يَعْصُهُ مَنْ هُوَ أَرْفَعُ مِنْهُ يَفْشِلُ

الشَّمْسُ وَالرِّيحُ

الشَّمْسُ وَالرِّيحُ تَخَاصَّمَا عَلَى أَيْمَنِهِ يَقْدِرُ أَنْ يُحْرِرَ الْأَنْسَانَ شَيَّابَهُ . فَاشْتَدَّتِ
الرِّيحُ فِي هُبُوبِهَا وَعَصَفتَ حِدَّا . فَكَانَ الْأَنْسَانُ كُلُّهُ تَرَادِهُ هُبُوبِهَا . ضَمَّ
إِلَيْهِ شَيَّابَهُ وَالْتَّفَّ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . فَلَمَّا أَرْتَهُ تَفَعَّلَ النَّهَارُ وَاشْتَدَّ الْمَحْرُ.
خَلَعَ شَيَّابَهُ وَحَمَلَهَا عَلَى كَتِيفِهِ

مَغَازَاهُ

مَنْ كَانَ عِنْدَهُ أَلِإِنْسَاعُ وَدَمَائِهُ الْأَخْلَاقِ . نَالَ مِنْ صَاحِبِهِ مَا يُرِيدُ

دِيْكَانِ

دِيْكَانِ كَانَ يَتَقَاتَّلَانِ عَلَى قُهُورِ . فَغَلَبَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ . أَمَّا الْمُغْلُوبُ
فَهُضِيَ مِنْ وَقْتِهِ إِلَى مَأْوَاهُ . وَأَمَّا الْغَالِبُ فَصَعَدَ فَوْقَ السَّطْحِ . وَجَعَلَ
يُصِيقُ بِحَنَاحِيهِ وَيَصِيمُ وَيَنْخِرُ . فَبَصَرَ يَهُ بَعْضُ الْجَوَارِ حَفَاظًا
وَأَخْتَطَفَهُ

مَغَازَاهُ

أَنَّ أَلِإِنْتَخَارَ يَأْتُهُ رُبَّهَا أَوْقَعَ صَاحِبَهُ فِي تَهْلِكَةٍ لَامَانَاصَ لَهُ مِنْهَا

ذِئْابٌ

ذِئْابٌ أَصَابُوا جُلُودَ بَقَرٍ فِي مَسِيلٍ فِيهِ مَاءٌ وَلَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ. فَأَتَقْبَلُوا عَلَىٰ
أَكْلِهَا جَمِيعًا. وَأَنْهُمْ يَشْرُبُونَ الْمَاءَ كُلَّهُ حَتَّىٰ يَصِلُوا إِلَى الْمَجْلُودِ. فَمَنْ كَثُرَ
مَا شَرِبُوا أَنْفَلُقُوا. وَمَا تَوَاقَبُوا أَنْ يَلْعُغُوا أَرْبَهُمْ (١)
مَغْزَاهُ

مَنْ كَانَ قَلِيلَ الرَّأْيِ. عَمِلَ مَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُ وَبِالْأَعْلَىٰ
الْوَزْرُ وَالْخُطَافُ

الْوَزْرُ وَالْخُطَافُ تَشَارِكَانِ الْمُعِيشَةِ . فَكَانَ مَرْعَاهُمَا كَلْمَهَا فِي مَحَلٍ
وَاحِدٍ. فَمَرَّ بِهَا الصَّيَادُونَ يَوْمًا. فَإِنَّ كَانَ مِنَ الْخُطَافِ إِلَّا أَنْ طَارَ وَسَلَمَ.
فَإِنَّ الْوَزْرَ فَادِرٌ كَوْذِيجٌ

مَغْزَاهُ

مَنْ عَشَرَ مِنْ لَا يُشَاكِلُهُ . أَحَاقَ بِهِ السُّوْءُ
بَطْلَهُ وَضَوْءُ كَوْكَبٍ

بَطْلَهُ رَأَتِ الْمَاءَ ضَوْءَ كَوْكَبٍ فَظَنَنَتْهُ سَمَكَةً . فَخَوَلَتْ أَنْ تَصِيدَهَا.
فَلَمَّا جَرَّبَتْ ذَلِكَ مِرَارًا عَلِمَتْ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ يُصَادُ . فَتَرَكَتْهُ . ثُمَّ رَأَتْ
فِي غَدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ سَمَكَةً . فَظَنَنَتْهَا مِثْلَ الَّذِي رَأَتْهُ بِالْأَمْسِ . فَتَرَكَتْهَا
مَغْزَاهُ

أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يُمِيزَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . وَلَا يُوقَعُ أَحَدُهُمَا مَوْقَعَ
الْآخَرِ

(١) أَصْمَرَ الذِئْابَ بِضَمِيرِ الْعَقْلَاءِ لَا هُنَّ نَزَّلُهُمْ كَنَاءٌ عَنْهُمْ وَقَسَ عَلَى ذَلِكَ مَا اشْهَدُهُ

مُخْبَثٌ

مِنَ الْكِتَابِ الْمَعْرُوفِ بِالْفِتْنَةِ وَلِلْفِتْنَةِ
حِكَايَةُ الْمَلِكِ جُلِيعَادَ
وَأَنْبِيَّهِ

زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَسَالِفِ الْعَصْرِ وَلَا أَقَانِ مَلِكٌ فِي
بِلَادِ الْهِنْدِ. وَكَانَ مَلِكًا عَظِيمًا طَوِيلَ الْقَامَةِ حَسَنَ الصُّورَةِ. حَسَنَ الْخُلُقِ
كَرِيمَ الْطَّبَاعِ مُحْسِنًا لِلْفَقَرَاءِ مُجْبِاً لِلرَّعِيَّةِ وَلِجَمِيعِ أَهْلِ دَوْلَتِهِ. وَكَانَ أَسْمُهُ
جُلِيعَادَ. وَكَانَ تَحْتَ يَدِهِ مَمْلَكَتِهِ أَثْنَانِ وَسَبْعُونَ مَلِكًا. وَلِلِّادِهِ ثَلَاثَمِائَةٍ
وَخَمْسُونَ قَاضِيَا. وَكَانَ لَهُ سَبْعُونَ وَزِيرًا وَقَدْ جَعَلَ عَلَى كُلِّ عَشَرَةِ مِنْ
عَسْكَرٍ رَئِيْسًا. وَكَانَ أَكْبَرُ وَزَرَائِيهِ شَخْصًا يُقَالُ لَهُ شَهَاسُ. وَكَانَ عُمُّهُ
أَثْنَتِينِ وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَكَانَ حَسَنَ الْخُلُقِ وَالْطَّبَاعِ لَطِيفًا فِي كَلَامِهِ، لَيْبِيَا
فِي جَوَاهِيهِ، حَادِيقًا فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ. حَكِيمًا مُدَبِّرًا رَئِيْسًا مَعَ صِغْرِيْسِنِهِ، عَارِفًا
بِكُلِّ حِكْمَةٍ وَآدَبٍ. وَكَانَ الْمَلِكُ يُحِبُّهُ مُحَبَّةً عَظِيمَةً وَيَهِيلُ إِلَيْهِ لِيَعْرِفَهُ
بِالْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَأَحْوَالِ السِّيَاسَةِ. وَلَمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنْ الرَّحْمَةِ وَخَفْضَ
الْجَنَاحِ لِلرَّعِيَّةِ. وَكَانَ ذَلِكَ الْمَلِكُ عَادِلًا فِي مَمْلَكَتِهِ حَافِظًا لِرَعْيَتِهِ
مُوَاصِلًا كَيْرَهُمْ وَصَغِيرَهُمْ بِالْإِحْسَانِ. وَمَا يَلِيقُ بِهِمْ مِنْ الْرِّعَايَةِ فَالْعَطَايَا
وَالْأَمَانُ وَالظَّمَانِيَّةُ. وَمُخْفِقًا لِلْخَرَاجِ عَنْ كَامِلِ الرَّعِيَّةِ. وَكَانَ مُجْبِاً هُمْ كَيْرَا
وَصَغِيرَا. وَمُعَامِلًا لَهُمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَالشَّفَقَةُ عَلَيْهِمْ. وَأَتَى حُسْنِ سِيرَتِهِ
بِيَنْهُمْ بِمَا مَيَّأَتْ يَهُ أَحَدٌ قَبْلَهُ. وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ تَعَالَى وَلَدًا.
فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ. فَأَتَفَقَ أَنَّ الْمَلِكَ كَانَ مُضْطَجِعًا فِي

لِيَنَّةٌ مِنَ الْلَّيْلِ وَهُوَ مَشْغُولُ الْفِكْرِ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِ مَلِكِهِ . ثُمَّ غَلَبَ عَلَيْهِ
النُّومُ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ كَانَ يَصْبِرُ مَا فِي أَصْلِ شَجَرَةِ وَحَوْلَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ
أَشْجَارٌ كَثِيرَةٌ فَإِذَا بَيْنَارٍ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَحْرَقَتْ جَمِيعَ مَا
كَانَ حَوْلَهَا مِنَ الْأَشْجَارِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ أَنْتَهَى الْمَلِكُ مِنْ مَنَامِهِ فَزِعًا وَأَسْتَدْعَى
أَحَدَ غَلْمَانِهِ وَقَالَ لَهُ : أَذْهَبْ بِسُرْعَةٍ وَأَتْبِئِي بِشَمَاسِ الْوَزِيرِ عَاجِلًا :
فَذَهَبَ الْغَلَامُ إِلَى شَمَاسٍ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ الْمَلِكَ يَدْعُوكَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ لِأَنَّهُ
أَنْتَهُ مِنْ نَوْمِهِ مَرْعُوبًا . فَأَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لِتَخْضُرَ عِنْدَ عَاجِلًا : فَلَمَّا سَمِعَ
شَمَاسٌ كَلَامَ الْغَلَامِ قَامَ مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعِنِهِ وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَلِكِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ
فَرَأَاهُ قَاعِدًا عَلَى فِرَاشِهِ . فَسَجَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ دَاعِيًّا لَهُ بِدَوَامِ الْعِزَّةِ وَالنِّعَمِ . وَقَالَ :
لَا أَحْرِزَنَكَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِهَا الْمَلِكُ . مَا الَّذِي أَقْلَقَكَ فِي هَذِهِ الْلَّيْلَةِ وَمَا سَبَبَ طَلْبَكَ
إِيَّايَ بِسُرْعَةٍ : فَلَذِنَ لَهُ الْمَلِكُ بِالْجُلوسِ فِي جَلْسَةٍ . وَصَارَ يُفْصِّلُ عَلَيْهِ مَا رَأَى
قَائِلًا : إِنِّي رَأَيْتُ فِي لَيْلَتِي هَذِهِ مَنَامًا أَهَالِي . وَهُوَ كَانَيْ أَصْبَرَ مَا فِي أَصْلِ
شَجَرَةِ وَحَوْلَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ أَشْجَارٌ كَثِيرَةٌ . فَبَيْنَمَا أَنَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ . وَإِذَا
بَيْنَارٍ خَرَجَتْ مِنْ أَصْلِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَحْرَقَتْ جَمِيعَ مَا حَوْلَهَا مِنَ الْأَشْجَارِ .
فَفَرَّعَتْ مِنْ ذَلِكَ وَأَخَذَنِي الرُّغْبُ فَأَنْتَهَتْ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَرْسَلْتُ
دَعْوَتُكَ لِكُثْرَةِ مَعْرِفَتِكَ وَتَعْبِيرِكَ لِلرُّؤْيَا . وَلِمَا أَعْلَمُهُ مِنْ اِتِساعِ عِلْمِكَ
وَغَزَارَةِ فَهِيلَكَ

فَأَطْرَقَ شَمَاسٌ رَأْسَهُ سَاعَةً ثُمَّ تَبَسَّمَ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا رَأَيْتَ يَا شَمَاسُ
أَصْدُقُنِي الْخَبَرَ وَلَا تُخْفِي عَنِّي شَيْئًا : فَأَجَابَهُ شَمَاسٌ وَقَالَ لَهُ : أَعْلَمُ بِهَا الْمَلِكُ : إِنَّ
اللَّهَ تَعَالَى خَوَّلَكَ وَأَقْرَأَ عَيْنَكَ . وَأَمْرَهُنِي الرُّؤْيَا يَأْوِلُ إِلَى خَيْرٍ . وَهُوَ أَنَّ

اللَّهُ تَعَالَى يَرْزُقُكَ وَلَدًا ذَكْرًا. يَكُونُ وَارِثًا لِلْمُلْكِ عَنْكَ مِنْ بَعْدِ طَوِيلٍ
 عُمْرِكَ. غَيْرَ أَنَّهُ يَكُونُ فِيهِ شَيْءٌ لَا أَحَبُّ تَفْسِيرَهُ فِي هَذَا الْوَقْتِ لِأَنَّهُ غَيْرُ
 مُوَافِقٍ لِتَفْسِيرِهِ: فَفَرَحَ الْمَلِكُ بِذَلِكَ فَرَحًا عَظِيمًا. وَزَادَ سُورَهُ وَدَهَبَ
 عَنْهُ فَزْعُهُ وَطَابَتْ نَفْسُهُ. وَقَالَ: إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ مِنْ حُسْنِ تَأْوِيلِ
 هَذَا الْمَنَامِ. فَكَمِلَ لِي تَأْوِيلَهُ إِذَا جَاءَ الْوَقْتُ الْمُوَافِقُ لِكَالِ تَأْوِيلِهِ.
 لِأَجْلِ أَنْ يَكُمِلَ فَرْحِي. لَا يَنِي لَا بَنْغِي بِذَلِكَ غَيْرَ رَضِيَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:
 فَلَمَّا رَأَى شَمَاسًا مِنَ الْمَلِكِ أَنَّهُ مُصَمِّمٌ عَلَى تَهَامَ تَفْسِيرِهِ. أَخْتَجَ لَهُ بَحْجَةً دَفَعَ
 عَنْ تَفْسِيرِهِ. فَعَنْدَ ذَلِكَ دَعَا الْمَلِكُ بِالْمُنْجَمِينَ وَجَمِيعِ الْمُعَرِّبِينَ لِلْأَحَلَامِ
 الَّذِينَ فِي مَهْلِكَتِهِ. فَخَضَرُوا جَمِيعًا يَبْيَنَ يَدَيْهِ وَقَصَّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ الْمَنَامَ.
 وَقَالَ لَهُمْ: أَرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تُخْبِرُونِي بِصَحَّةِ تَفْسِيرِهِ: فَتَقَدَّمَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ
 وَأَخْدَى إِذْنَهُ مِنَ الْمَلِكِ بِالْكَلَامِ. فَلَمَّا أَذْنَ لَهُ قَالَ: أَعْلَمُ أَيْهَا الْمَلِكُ أَنَّ
 وَزِيرَكَ شَمَاسًا لَيْسَ بِعَاجِزٍ عَنْ تَفْسِيرِ ذَلِكَ وَإِنَّاهُوَ أَحْشَمُ مِنْكَ وَسَكَنَ
 رَوْعَكَ وَلَمْ يُظْهِرْ لَكَ جَمِيعَ التَّأْوِيلِ بِالْكُلِّيَّةِ. وَلِكِنْ إِذَا أَذَنْتَ لِي بِالْكَلَامِ
 تَكَلَّمْتُ: فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: تَكَلَّمْ أَيْهَا الْمُفَسِّرُ بِلَا أَحْتِشَامٍ وَاصْدُقْ فِي كَلَامِكَ:
 فَقَالَ الْمُفَسِّرُ: أَعْلَمُ أَيْهَا الْمَلِكُ. أَنَّهُ يَظْهُرُ مِنْكَ غُلَامٌ يَكُونُ وَارِثًا لِلْمُلْكِ
 عَنْكَ بَعْدَ طَوِيلٍ حَيَاكَ. وَلِكِنْهُ لَا يَسِيرُ فِي الْأَرْضِيَّةِ يَسِيرُكَ بَلْ يَخَالِفُ
 رُسُومَكَ وَيَجُورُ عَلَى رَعِيَّتِكَ وَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَ النَّارَ مَعَ السِّنُورِ فَاستَعَاذَ
 بِاللَّهِ تَعَالَى. فَقَالَ الْمَلِكُ: وَمَا حِكَايَةُ السِّنُورِ وَالنَّارِ

(حكاية السنور والفار)

فَقَالَ الْمُفَسِّرُ: أَطَالَ اللَّهُ عُمَرَ الْمَلِكِ إِنَّ السِّنُورَ وَهُوَ الْقِطْعُ. سَرَّحَ لَيْلَةً

من الْلَّيْلَى إِلَى شَيْءٍ يَفْتَرِسُهُ فِي بَعْضِ الْغَيْطَانِ فَأَوْجَدَ شَيْئًا وَضَعْفَ
 مِنْ شَيْءَ الْبَرْدِ وَالْمَطَرِ الَّذِي صَارَ فِي تِلْكَ الْلَّيْلَةِ فَأَخْذَ يَخْنَالُ لِنَفْسِهِ بِشَيْءٍ
 يَفْوَزُ بِهِ فَبَيْنَا هُوَ دَائِرٌ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ إِذْ رَأَى وَكْرًا فِي أَسْفَلِ شَجَرَةِ
 فَدَنَاهُ مِنْهُ وَصَارَ يُشْمِشُ وَيَدَنِدُ حَتَّى أَحْسَنَ يَانَ دَاخِلَ الْوَكْرِ فَارًا فَحَاوَلَهُ
 وَهُمْ بِالْدُخُولِ عَلَيْهِ لَكِي يَأْخُذُهُ فَلَمَّا أَحْسَنَ يَهُ الْفَارُ أَعْطَاهُ قَفَاهُ وَصَارَ
 يَرْجَحُ عَلَى يَدِيهِ وَرِجْلِيهِ لَكِي يَسْدُدَ بَابَ الْوَكْرِ عَلَيْهِ فَعِنْدَ ذَلِكَ صَارَ
 السِّنُورُ يُصوِّتُ صَوْتًا ضَعِيفًا وَيَقُولُ لَهُ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ يَا أَخِي وَإِنَّا
 مُلْتَجِئُ إِلَيْكَ لِتَفْعَلَ مَعِي رَحْمَةً يَانَ تُقْرَنِي فِي وَكْرِكَ هَذِهِ الْلَّيْلَةِ لَا نَيْ ضَعِيفُ
 الْحَالِ مِنْ كَبِيرٍ سَيِّنِي وَذَهَابٍ فُوقَتِي وَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى الْحَرْكَةِ وَقَدْ تَوَغَّلْتُ
 فِي هَذَا الْغَيْطِ هَذِهِ الْلَّيْلَةِ وَكَمْ مِنْ دَعَوْتُ بِالْمَوْتِ عَلَى نَفْسِي لَكِي أَسْتَرِيجَ
 وَهَا أَنَا عَلَى بَابِكَ طَرِيجٌ مِنْ الْبَرْدِ وَالْمَطَرِ وَاسْأَلُكَ يَا اللَّهِ مِنْ صَدَقَتِكَ
 أَنْ تَأْخُذَ يَدِي وَتُدْخِلَنِي عِنْدَكَ وَتَأْوِينِي فِي دَهْلِيزٍ وَكْرِكَ لَا نَيْ غَرِيبُ
 وَمِسْكِينُ وَقَدْ قِيلَ مَنْ أَوْيَ يَمْتَزِلُهُ غَرِيبًا مِسْكِينًا كَانَ مَا وَاهُ الْجَنَّةَ
 يَوْمَ الدِّينِ فَأَنْتَ يَا أَخِي حَقِيقٌ يَانَ تَكْسِبَ أَجْرِي وَتَأْذَنَ لِي فِي أَنْ أَبْيَتَ
 عِنْدَكَ هَذِهِ الْلَّيْلَةِ إِلَى الصَّبَاحِ ثُمَّ أَرْوُحُ إِلَى حَالِ سَيِّلِي فَلَمَّا سَمِعَ الْفَارُ كَلَامَ
 السِّنُورِ قَالَ لَهُ كَيْفَ تَدْخُلُ وَكْرِي وَأَنْتَ لِي عَدُوُ بِالْطَّبْعِ وَمَعَاشِكَ
 مِنْ لَحْيِي وَأَخَافُ أَنْ تَغْدُرَ بِي لَا نَيْ ذَلِكَ مِنْ شِيمَتِكَ لَا نَيْ لَا عَهْدَ لَكَ
 وَقَدْ قِيلَ لَا يَنْبَغِي أَلْأَمَانُ لِلْفَقِيرِ عَلَى الْمَالِ وَلَا لِلنَّارِ عَلَى الْحَطَبِ وَلَيْسَ
 بِوَاحِدٍ عَلَى أَنْ أَسْتَأْمِنَكَ عَلَى نَفْسِي وَقَدْ قِيلَ عَدَاوَةُ الْطَّبْعِ كُلَّمَا ضَعْفَ
 صَاحِبُهَا كَانَتْ أَقْوَى فَاجَابَ السِّنُورُ قَائِلًا بِأَحْمَدٍ صَوْتٍ وَأَسْوَى حَالٍ

إِنَّ الَّذِي قُلْتَهُ مِنَ الْمَوْاعِظِ . وَلَسْتُ أُنْكِرُ عَلَيْكَ . وَلَكِنْ أَسَأَ لَكَ الصَّفَحَ
 عَامَضَى مِنَ الْعَدَاوَةِ الْطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي يُبَيِّنُ وَيَسْتَكِلُ لِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ : مَنْ صَفَحَ عَنْ
 حَنْلُوقٍ مِثْلِهِ صَفَحَ خَالِقَهُ عَنْهُ . وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ عَدُوًّا لَكَ وَهَا أَنَا
 الْيَوْمَ طَالِبٌ صَدَاقَتِكَ . وَقَدْ قِيلَ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ عَدُوكَ صَدِيقًا
 لَكَ فَافْعُلْ مَعْهُ خَيْرًا . وَإِنَا يَا أخِي أُعْطِيكَ عَهْدَ اللَّهِ وَمِشَاقَةَ أَنِّي لَا أُضْرِكُ
 أَبَدًا . وَمَعَ هَذَا لَيْسَ لِي قُدْرَةٌ عَلَى ذَلِكَ فَشِقْ بِاللَّهِ وَافْعُلْ خَيْرًا . وَأَقْبَلَ
 عَهْدِي وَمِشَاقِي : فَقَالَ الْفَارُ : كَيْفَ أَقْبَلَ عَهْدَ مَنْ تَاسَّسَتِ الْعَدَاوَةُ
 بِيَنِي وَبَيْنَهُ . وَعَادَاتُهُ أَنْ يَغْدُرُ بِي . وَلَوْ كَانَتِ الْعَدَاوَةُ بَيْنَنَا عَلَى شَيْءٍ مِنَ
 الْأَشْيَاءِ غَيْرِ الدَّمِ لَهَا عَلَى ذَلِكَ . وَلَكِنَّهَا عَدَاوَةٌ طَبِيعِيَّةٌ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ .
 وَقَدْ قِيلَ مَنِ أَسْتَامَنْ عَدُوهُ عَلَى نَفْسِهِ كَمَنْ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي فَمِ الْأَفْعَى :
 فَقَالَ السِّنُورُ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ غَيْظًا : قَدْ ضَاقَ صَدْرِي وَضُعِفتْ نَفْسِي . وَهَا أَنَا
 فِي التَّرْعَ وَعَنْ قَبِيلٍ أَمُوتُ عَلَى بَايْكَ وَيَبْقَى إِثْمِي عَلَيْكَ لِأَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى
 بَخَاتِي هِيَ أَنَا فِيهِ . وَهَذَا آخِرُ كَلَامِي مَعَكَ : فَخُصِّلَ لِلْفَارِ حَوْفُ مِنَ اللَّهِ
 تَعَالَى . وَنَزَّلَتْ فِي قَلْبِهِ الرَّحْمَةُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَنْ أَرَادَ الْمُعْوَنَةَ مِنَ اللَّهِ
 تَعَالَى عَلَى عَدُوِّهِ فَلِيصْنَعْ مَعْهُ رَحْمَةً وَخَيْرًا . وَإِنَا مُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ فِي هَذَا
 الْأَمْرِ وَأَنْقُذْ هَذَا السِّنُورَ مِنْ هَذَا الْمَلَأِ لِأَكْسِبَ أَجْنَعْ : فَعِنْدَ ذَلِكَ خَرَجَ
 الْفَارُ إِلَى السِّنُورِ وَأَدْخَلَهُ فِي وَكِيرِ سَبْعَةً . فَاقْتَامَ عِنْدَ إِلَيْهِ أَشْتَدَّ
 وَاسْتَرَاجَ وَتَعَافَى قَبِيلًا . فَصَارَ يَتَآسَّفُ عَلَى ضُعْفِهِ وَذَهَابِ قُوَّتِهِ وَقَلَّةِ
 أَصْدِقَائِهِ . فَصَارَ الْفَارُ يَرْفَقُ بِهِ وَيَأْخُذُ بِخَاطِرِهِ وَيَتَقْرَبُ مِنْهُ وَيَسْعَى
 حَوْلَهُ . فَأَمَّا السِّنُورُ فَإِنَّهُ زَحَفَ إِلَى الْوَكْرِ حَتَّى مَلَكَ الْخَرْجَ حَوْفًا :

يخرج منه الفار . فلما أراد الخروج قرب من السنور على عادته . فلما صار
 قريباً منه قبض عليه وأخذه بين أظافر يده وصار يعضه وينهش ويأخذ في
 فيه ويرفعه عن الأرض ويرمي ويجري وراءه وينهشه وبعد به . فعنده
 ذلك استغاث الفار وطلب الحلاص من الله . وجعل يعاتب السنور
 ويقول : أين العهد الذي عاهد تني به . وأين أقسامك التي أقسمت بها .
 وهذا جزائي منك . وقد أدخلتك وكربي واستأمنتك على نفسك . ولكن
 صدق من قال : من أخذ عهداً من عدو لا ينتهي لنفسه بحاجة . ومن قال :
 من سلم نفسه لعدوه كان مستوحجاً لنفسه الهالاك . ولكن توكلت على
 خالي فهو الذي يخلصني منك : فبينما هو على تلك الحالة مع السنور وهو
 يريد أن ينفع عليه ويفترسه . إذا برجل صياد معة كلاب جارحة موعده
 على الصيد . فمر منها كلب على باب الوكر فسمع فيه معركة كبيرة
 فظن أن فيه ثعلباً يفترس شيئاً . فاندفع الكلب مخدرًا ليصطاده
 فصاده السنور فجذبه إليه . فلما وقع السنور بين يدي الكلب التي
 بنفسه وأطلق النار حيا ليس فيه جرح . وأما هو فإنه خرج به الكلب
 الجارح بعد أن قطع عصبة ورممه ميتاً . وصدق في حقها قول من قال :
 من رحم رحم أحل . ومن ظلم ظلم عاجلاً
 هذا مما جرى لهما أيها الملك . فلذلك لا ينبغي لأحد أن ينقض عهده
 من أستامنه . ومن غدر وخان يحصل له مثل ما حصل للسنور . لأنك كما
 يدين الفقي يدان ومن يرجع إلى الخير ينال الثواب . ولكن لا تخزن أيها
 الملك ولا يُشق عليك ذلك . لأن ولدك بعد ظلمه وعسفه ربما يعود إلى

حُسْنٍ سِيرَتَكَ . وَإِنْ هَذَا الْعَالَمُ الَّذِي هُوَ وَزِيرُكَ شَمَاسُ أَحَبَّ أَنْ لَا يَكُنْ
 عَلَيْكَ شَيْئًا فِيمَا رَمَنْتُ إِلَيْكَ . وَذَلِكَ رُشْدٌ مِنْهُ لِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ: أَكْثَرُ النَّاسِ
 حَوْفًا أَوْ سَعْمًا وَأَغْبَطُهُمْ خَيْرًا: فَإِذْعَنْ مَلِكُ عِنْدِ ذَلِكَ وَأَمْرُهُ
 يَا كِرَامَ جَزِيلَ . ثُمَّ صَرَفُهُمْ وَقَامَ وَدَخَلَ مَكَانَهُ وَصَارَ يَتَفَكَّرُ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِ:
 وَسَلَمَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ الَّذِي فِي يَدِهِ جَمِيعُ الْأُمُورِ . فَلَمَّا يَمْضِ زَمَانٌ كَثِيرٌ
 إِلَّا أَتَهُ الْبَشَرَى بِتَحْقِيقِ أَمْلِهِ فَقَالَ: صَدَقَتْ رُؤْيَايَ وَاللَّهُ الْمُسْتَعِنُ: ثُمَّ
 إِنَّهُ دَعَا بِعَضِ الْعِلَمَانِ وَأَرْسَلَهُ لِيُحْضِرَ شَمَاسًا . فَلَمَّا حَدَّثَهُ مَلِكُ بِمَا صَارَ
 مِنْ حَمْلِ زَوْجِهِ وَهُوَ فَرَحَانُ قَائِلًا: قَدْ صَدَقَتْ رُؤْيَايَ وَاتَّصَلَ رَجَائِي
 فَلَعِلَّ ذَلِكَ الْحَمْلُ يَكُونُ وَلَدًا ذَكَرًا وَيَكُونُ وَارِثًا لِمُلْكِي . فَمَا تَقُولُ
 بِإِسْمَاسُ فِي ذَلِكَ: فَسَكَتَ شَمَاسُ وَلَمْ يُنْطِقْ بِحَوَابٍ . فَقَالَ لَهُ مَلِكُ: مَا لِي
 أَرَاكَ لَا تَفْرُحُ لِنَفْرَحِي وَلَا تَرْدِي جَوَابِي . يَا تُرَى هَلْ أَنْتَ كَارِهٌ لِهَذَا الْأَمْرِ
 يَا شَمَاسُ: فَسَجَدَ عِنْدَ ذَلِكَ شَمَاسُ بَيْنَ يَدَيِ مَلِكٍ وَقَالَ: أَيْهَا مَلِكُ
 أَطَالَ اللَّهُ عُمْرَكَ . مَا الَّذِي يَنْفَعُ الْمُسْتَظِلَ بِشَجَرَةِ إِذَا كَانَتِ النَّارُ تَخْرُجُ
 مِنْهَا . وَمَا لَذُ شَارِبُ الْخَمِيرِ الصَّافِي إِذَا حَصَلَ لَهُ بِهَا الشَّرْقُ . وَمَا فَائِدَهُ
 الْأَنَاهِلُ مِنِ الْمَاءِ الْعَذْبِ الْبَارِدِ إِذَا غَرَقَ فِيهِ . وَمَا نَأَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَلَكَ
 أَيْهَا مَلِكُ . وَلَكُنْ قَدْ قِيلَ: ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءٌ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَتَكَلَّمُ فِي
 شَأْنِهَا إِلَّا إِذَا تَمَّتْ: الْمُسَافِرُ حَتَّى يَرْجِعَ مِنْ سَفَرِهِ . وَالَّذِي يَهْبِطُ فِي الْحَرْبِ
 حَتَّى يَقْهَرَ عَدُوَهُ . وَالْمَرْأَةُ الْحَامِلُ حَتَّى تَضَعَ حَمْلَهَا . فَاعْلَمْ أَيْهَا مَلِكُ . أَنَّ
 الْمُتَكَلِّمُ يَشَانِ شَيْءًا لَمْ يَتَمَّ مِثْلُ النَّاسِكَ الْمَدْفُوقِ عَلَى رَأْسِهِ الْسَّمِنُ: فَقَالَ
 لَهُ مَلِكُ: وَكَيْفَ حَكَايَةُ النَّاسِكَ وَمَا حَرَى لَهُ

(حكاية الناسك وما جرى له)

فَقَالَ لَهُ أَيْمَانًا الْمَلِكُ . إِنَّهُ كَانَ نَاسِكٌ عِنْدَ شَرِيفٍ مِنْ أَشْرَافِ بَعْضِ
 الْمُدُنِ وَكَانَ لِلنَّاسِكِ جَرَائِيَّةً فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ رِزْقِ ذَلِكَ الشَّرِيفِ . وَهِيَ:
 ثَلَثَةُ أَرْغَفَةٍ مَعَ قَلِيلٍ مِنْ السَّمْنَ وَالْعَسْلِ وَكَانَ السَّمْنُ فِي ذَلِكَ الْبَلْدَ غَالِيًّا .
 وَكَانَ النَّاسِكُ يَجْمِعُ الَّذِي يَحْيِي إِلَيْهِ فِي جَرَقٍ عِنْدَ حَتَّى مَلَاهَا وَعَلَقَهَا فَوْقَ
 رَأْسِهِ خَوْفًا وَأَخْتِرَا سًا . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنَ الْلَّيَالي جَالِسٌ عَلَى فِرَاشِهِ
 وَعَصَاهُ فِي يَدِهِ . إِذْ عَرَضَ لَهُ فِكْرٌ فِي أَمْرِ السَّمْنِ وَغَلَائِهِ . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ:
 يَنْبَغِي أَنْ يَبْعِي هَذَا السَّمْنَ الَّذِي عِنْدِي جَمِيعَهُ . وَأَشْتَرِي بِثَمَنِهِ نَجْعَةً وَأَشَارِكَ
 عَلَيْهَا أَحَدًا مِنَ الْفَلَاحِينَ . فَإِنَّهَا فِي أَوَّلِ عَامٍ تَلَدُّ ذَكْرًا وَأَنْثَى . وَثَانِي عَامٍ
 تَلَدُّ أَنْثَى وَذَكْرًا . وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْغُنْمَ تَنْوَالُهُ ذُكُورًا إِنَّا هَا حَتَّى تَصِيرَ شَيْئًا
 كَثِيرًا . وَأَقْسِمُ حِصْنِي بَعْدَ ذَلِكَ وَأَبْعِي مَا شِئْتُ . وَأَشْتَرِي الْأَرْضَ الْفَلَانِيَّةَ
 وَأُنْشِئُ فِيهَا غَيْطًا وَأَبْنِي فِيهَا قَصْرًا عَظِيمًا وَأَقْنِي شَيْابًا وَمَلْبُوسًا . وَأَشْتَرِي
 عِيدًا وَجَوَارِيَ وَأَنْزُوْجُ بَنْتَ التَّاجِرِ الْفُلَانِيَّ وَأَعْمَلُ عُرُسًا مَا صَارَ مِثْلُهُ
 قَطُّ . وَأَدْبَجُ الْذَّبَاحَ وَأَعْمَلُ الْأَطْعَمَةَ الْفَارِخَةَ وَأَنْجُلوْيَاتِ الْمُلَبَّسَاتِ
 وَغَيْرَهَا . وَأَجْمِعُ فِيهِ أَهْلَ الْمَلَأِ وَأَرْبَابَ الْفُنُونِ وَآلاتِ السَّمَاعِ . وَأَجْهَزُ
 الْأَزْهَارَ وَالْمَشْمُومَاتِ وَأَصْنَافَ الْرِّيَاحِينِ وَأَدْعُو الْأَعْنَيَا وَالْفَقَرَاءَ
 وَالْعُلَمَاءَ وَالرُّوَسَاءَ وَأَرْبَابَ الدُّولَةِ . وَكُلُّ مَنْ طَلَبَ شَيْئًا أَحْضَرْتُهُ إِلَيْهِ .
 وَأَجْهَزُ أَنْوَاعَ الْمَاهَدِيَّ لِلْمَشَارِبِ . وَأَطْلَقُ مُنَادِيًّا يُنَادِيَهُ . مَنْ يَطْلُبُ
 شَيْئًا يَنَالُهُ . وَبَعْدَ ذَلِكَ تَحْمِلُ زَوْجَتِي وَتَلَدُّ غُلَامًا ذَكْرًا . فَأَفْرَحُ بِهِ وَأَعْمَلُ

لَهُ الْوَلَامُ وَرَبِّهِ فِي الدَّلَالِ. وَأَعْلَمُهُ الْحِكْمَةُ وَالْأَدَبُ وَالْحِسَابُ فَأَشَهَرُ
 أَسْمَهُ بَيْنَ النَّاسِ. وَفَخَرَّ بِهِ عِنْدَ أَرْبَابِ الْجَاهِلِيَّةِ. وَأَمْرَهُ بِالْمَعْرُوفِ فَلَا
 يُخَالِفُنِي وَأَنْهَاهُ عَنِ النَّفَاحَةِ وَالْمُنْكَرِ. وَأَوْصِيهِ بِالنَّقْوَى وَفَعْلِ الْخَيْرِ.
 وَأُعْطِيهِ الْعَطَايَا الْحَسَنَةَ السَّيِّنةَ. فَإِنْ رَأَيْتُهُ لَزِمَ الْطَّاعَةَ زِدْهُ عَطَايَا
 صَالِحةً. وَإِنْ رَأَيْتُهُ مَالٌ إِلَى الْمُعْصِيَةِ أَنْزَلْتُ عَلَيْهِ بِهِنْعِ الْعَصَارِ فَعَمَّا لَيَضِربَ
 بِهَا وَلَكُ فَاصَابَتْ جَرَّةَ السَّمِّ الْأَنْثَى فَوَقَ رَأْسِهِ فَكَسَرَتْهَا. فَعِنْدَ ذَلِكَ نَزَلتْ
 بِشُقَافَتِهِ عَلَيْهِ وَسَاجَ السَّمِّ عَلَى رَأْسِهِ وَعَلَى ثِيَابِهِ وَلِحِيَتِهِ وَصَارَ عَبْرَةً. فَلِأَجْلِ
 ذَلِكَ أَتَاهَا الْمَلِكُ. لَا يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَلَى شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ
 فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: لَقَدْ صَدَقْتَ فِيمَا قُلْتَ. وَنَعَمْ الْوَزِيرُ أَنْتَ. لِكُونِكَ
 بِالصِّدْقِ نَطَقْتَ. وَبِالْخَيْرِ أَشَرْتَ. وَلَقَدْ صَارَتْ رُتبَتُكَ عِنْدِي بِهِ عَلَى مَا
 تَحْبُّ وَمَمْتَلَأَ مَقْبُولًا: فَسَجَدَ شَمَاسُ اللَّهِ وَالْمَلِكُ وَدَعَا لَهُ بِدَوَامِ الْعِمَّ وَقَالَ
 لَهُ: أَدَمُ اللَّهُ أَيْمَكَ وَأَعْلَى شَأْنَكَ. فَأَعْلَمَ أَنِّي لَسْتُ أَكْمَلَ عَنْكَ شَيْئًا لَا فِي
 الْسِّرِّ وَلَا فِي الْعُلَاءِ وَرِضَاكَ رِضَايَ وَغَضِبُكَ غَضِي وَلَيْسَ لِي فَرَحٌ إِلَّا
 بِفَرَحِكَ وَلَا يُبَدِّلُنِي أَنْ أَيْسَتَ وَأَنْتَ سَاخِطٌ عَلَيَّ. لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَزَقَنِي
 كُلَّ خَيْرٍ يَا كَرَامَكَ إِيَّايَ. فَأَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَحْرُسَكَ بِمَلَائِكَتِهِ.
 وَيُحْسِنَ شَوَّابِكَ عِنْدَ لِقَائِهِ: فَأَبْتَهَجَ الْمَلِكُ عِنْدَ ذَلِكَ. ثُمَّ قَامَ شَمَاسُ
 وَأَنْصَرَفَ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ

مُمْبَحٌ بَعْدَ مَذَكُورَةِ زَوْجِهِ الْمَلِكِ غَلَامًا ذَكْرًا. فَنَهَضَ الْمُبَشِّرُونَ إِلَى
 الْمَلِكِ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ فَنَرَحَ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا. وَشَكَرَ اللَّهُ شَكْرًا جَزِيلًا
 وَقَالَ: أَنْهَمْدُ اللَّهُ أَلَّذِي رَزَقَنِي وَلَدًا بَعْدَ أَلِيَّاسِ وَهُوَ الشَّفُوقُ الرَّوْفُ عَلَى

عِبَادِهِ: ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ كَتَبَ إِلَى سَائِرِ أَهْلِ مَهْلَكَتِهِ لِيُعْلَمُ بِالْخَبَرِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ. فَخَسِرَ لَهُ الْأُمُرَاءُ وَالرُّؤْسَاةُ وَالْعُلَمَاءُ وَرَبَابُ الدُّولَةِ الَّذِينَ تَحْتَ أَمْرِهِ. هُذَا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْمَلِكِ

وَمَا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ وَلَئِنْ. فَإِنَّهُ قَدْ دَقَتْ لَهُ الْبُشَارَهُ وَالْفَرَاجُ فِي سَائِرِ الْمَلِكَهُ. وَقَبْلَ أَهْلِهَا إِلَى الْحُضُورِ مِنْ سَائِرِ الْأَقْطَارِ. وَقَبْلَ أَهْلِ الْعُلُومِ وَالْفَلْسَفَهِ وَالْأَدْبَارِ وَالْحُكْمَهُ وَدَخَلُوا جَمِيعَهُمْ إِلَى الْمَلِكِ. وَوَصَلَ كُلُّ مِنْهُمْ إِلَى حَدِّ مَقَامِهِ. ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الْوُزْرَاءِ السَّبْعَهُ الْكِبَارِ الَّذِينَ رَئَيْسُهُمْ شَهَاسٌ أَنْ يَتَكَلَّمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى قَدْرِ مَا عَنْهُ مِنْ الْحِكْمَهِ فِي شَانِ مَا هُوَ بِصَدَدٍ. فَأَبْتَدَأَ رَئَيْسُهُمْ الْوَزِيرُ شَهَاسٌ. وَأَسْتَادُنَ الْمَلِكَ فِي الْكَلَامِ فَأَذِنَ لَهُ

فَقَالَ: أَحْمَدُ اللَّهُ الَّذِي أَنْشَانَا مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ الْمُبِينِ عَلَى عِبَادِهِ الْمُلُوكِ أَهْلِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ بِمَا أَوْلَاهُمْ مِنَ الْمَلِكِ وَالْعِلْمِ الصَّالِحِ. وَبِمَا أَجْرَاهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ لِرَعْيَتِهِمْ مِنَ الرِّزْقِ وَخُصُوصًا مِلْكَنَا الَّذِي أَحْيَ بِهِ مَوَاتَ بِلَادِنَا بِمَا أَسْدَاهُ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنَ النَّعْمَ. وَرَزَقَنَا مِنْ سَلَامَتِهِ بِرَخَاءِ الْعِيشِ وَالْطَّمَانِيَّهُ وَالْعَدْلِ. فَإِنَّ مَلِكَ يَصْنَعُ بِأَهْلِ مَهْلَكَتِهِ مَا صَنَعَ الْمَلِكُ بِنَا مِنَ الْقِيَامِ بِهِ صَاحِبَنَا وَادِعَ حُفُوقِنَا وَإِنْصَافِ بَعْضِنَا مِنْ بَعْضِ وَقِلَّهُ الْغَفْلَهُ عَنَا وَرَدِّ مَظَالِمِنَا. وَمَنْ فَضَلَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَكُونَ مِلِكَكُمْ مُتَعَهِّدًا لِأُمُورِهِمْ. وَحَافِظًا لَهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ. لَأَنَّ الْعُدُوَّ غَايَهُ قَصْدِهِ أَنْ يَقْهَرَ عَدُوَّهُ وَأَنْ يَهْلِكَهُ فِي يَهُ. وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَقْدِمُونَ أَوْلَادَهُمْ إِلَى الْمُلُوكِ خَدَمًا فَيَصِيرُونَ عِنْدَهُمْ بِيَنْزَلِهِ الْعَيْدِ. لِأَجْلِ أَنْ يَمْنَعُو عَنْهُمْ

الْأَعْدَاءِ وَمَا نَحْنُ فَلَمْ يَطِّبْ لِلَّادَنَا أَعْدَاءُ فِي زَمِنِ مَلِكَنَا . لِهُنَّ النِّعَمَةُ الْكَبِيرَى
وَالسَّعَادَةُ الْعُظَمَى الَّتِي لَمْ يُقْدِرْ الْوَاصِفُونَ عَلَى وَصْفِهَا فَإِنَّا هِيَ فَوْقَ ذَلِكَ .
وَإِنَّتَ أَهْمَّ الْمَلِكُ حَقِيقٌ بِأَنَّكَ أَهْلٌ لِهُنَّ النِّعَمَةُ الْعَظِيمَةُ وَنَحْنُ تَحْتَ
كَنْفِكَ وَفِي ظِلِّ جَنَاحِكَ أَحْسَنَ اللَّهُ ثَوَابَكَ وَادَّمَ بَقَاءَكَ . لَا إِنَّا كُنَّا
قَبْلَ ذَلِكَ نَجِدُ فِي الْطَّلَبِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَمْنَعَ عَلَيْنَا بِالْإِجَابَةِ وَيُقْبِلَ
لَنَا وَيُعْطِيَكَ وَلَكَ صَاحِحاً ثَقِيرًا بِهِ عَيْنَاتِكَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ تَقَبَّلَ مِنَّا
وَاسْتَجَابَ دُعَائَنَا وَقَاتَنَا بِالْفَرْجِ الْقُرْبَى مِثْلَمَا أَتَى لِيَعْضِ السَّمَكِ فِي
غَدِيرِ الْمَاءِ : فَقَالَ الْمَلِكُ : وَمَا حِكَايَةُ السَّمَكِ وَكَيْفَ ذَلِكَ

(حكاية السمك وما جرى له)

فَقَالَ شَمَاسٌ : أَعْلَمُ أَهْمَّ الْمَلِكُ . أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْأَمَّاكنِ غَدِيرُ مَاءٍ .
وَكَانَ فِيهِ بَعْضُ سَمَكَاتِ . فَعَرَضَ لِذَلِكَ الْغَدِيرَ أَنَّهُ قَلَّ مَا وُجِدَ . وَصَارَ
يَنْضُمُ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ وَلَمْ يَقِنْ فِي الْمَاءِ مَا يَسْعَفُهَا فَكَادَتْ أَنْ تَهْلِكَ .
وَقَالَتْ : مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ أَمْرِنَا . وَكَيْفَ نَخْتَالُ وَمَنْ نَسْتَشِينُ فِي بَحْرِنَا :
فَقَامَتْ سَمَكَةٌ مِنْهُنَّ وَكَانَتْ أَكْبَرُهُنْ عَقْلًا وَسِنًا وَقَالَتْ : مَا لَنَا حِيلَةٌ فِي
خَلَاصِنَا لَا الْطَّلَبُ مِنَ اللَّهِ . وَلَكِنْ نَلْتَمِسُ الرَّأْيَ مِنَ السَّرَّاطَانِ فَإِنَّهُ أَكْبَرُنَا
فَهِلْمَنَ بِنَا إِلَيْهِ لِيَنْتَظِرْ مَا يَكُونُ مِنْ رَأْيِهِ لَا نَهُ أَكْثَرُ مِنَّا مَعْرِفَةٌ بِحَقَائِقِ
الْكَلَامِ : فَاسْتَخْسَنَ رَأْيَهَا وَجِئَنَ بِأَجْمَعِهِنَّ إِلَى السَّرَّاطَانِ . فَوَجَدْنَهُ رَأِيًّا
فِي مَوْضِعِهِ . وَلَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَلَا خَبْرٌ مَا هُنَّ فِيهِ . فَسَلَّمَنَ عَلَيْهِ وَقُلْنَ لَهُ :
يَا سَيِّدَنَا . أَمَا يَعْنِيكَ أَمْرُنَا . وَإِنَّتَ حَاكِمُنَا وَرَئِسُنَا : فَاجْأَبْهُنَ السَّرَّاطَانِ
قَائِلًا : وَعَلَيْنَكَ الْسَّلَامُ . مَا الَّذِي يَكُونُ . وَمَا تُرِدُنَ : فَقَصَصَنَ عَلَيْهِ قِصَّتِهِنَّ

وَمَا دَهَاهُنَّ مِنْ أَمْرٍ نَقْصٌ الْمَاءُ وَأَنَّهُ مَنِ نَشَفَ حَصَلَ لِهِنَّ الْمَلَكُ . ثُمَّ
 قُلْنَ لَهُ : وَقَدْ جِنَّا كَمُنْتَظِرٍ أَنْ رَأَيْكَ وَمَا يَكُونُ فِيهِ النَّجَاهُ . لِأَنَّكَ كَبِيرُنَا
 وَأَعْرَفُ مِنَّا : فَعِنْدَ ذَلِكَ أَطْرَقَ رَأْسَهُ مَلِيماً ثُمَّ قَالَ لَا شَكَّ أَنْ عِنْدَكُنَّ نَقْصَ
 عَقْلٍ لِيَا سِكْنَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَفَالَتِهِ بِأَرْزَاقٍ خَلَائِقِهِ جَمِيعاً . أَلَمْ تَعْلَمْنَ
 أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سُبْحَانَهُ يَرْزُقُ عِبَادَهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَقَدْرَ أَرْزَاقِهِمْ قَبْلَ أَنْ
 يَخْلُقَ شَيْئاً مِنْ أَلَّا شَيْءاً . وَجَعَلَ لِكُلِّ شَخْصٍ عُمْراً مَحْدُوداً وَرِزْقًا مَقْسُومًا
 يَقْدِرُ تِهِ الْإِلَهِيَّةِ . فَكِيفَ نَحِيلُهُمْ شَيْئاً هُوَ فِي الْغَيْبِ مَسْطُورٌ . وَالرَّأْيُ
 عِنْدِي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً أَحَسْنَ مِنَ الظَّلْبِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى . فَيَنْبَغِي أَنْ كُلَّ
 وَاحِدٍ مِنَّا يُصلِحُ سَرِيرَتَهُ مَعَ رَبِّهِ فِي سَرِيرٍ وَعَلَانِيَتِهِ . وَيَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُخْلِصَنَا
 وَيُنْقَذَنَا مِنَ الشَّكَارِ . لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُخْبِرُ رَجَاءَ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ . وَلَا
 يَرْدُ طَلَبَ مَنْ تَوَسَّلَ إِلَيْهِ . فَإِذَا أَصْلَحْنَا أَحْوَالَنَا أَسْتَقَامَتْ أُمُورُنَا . وَحَصَلَ
 لَنَا كُلُّ حَيْرٍ وَنِعْمَةٍ . وَإِذَا جَاءَ الشِّتَّاءُ وَغَمَّ أَرْضَنَا بِدُعَاءٍ صَاصَةٍ حَافِلَاهُمْ
 الْخَيْرَ الَّذِي بَنَاهُ . فَالرَّأْيُ أَنَّ نَصِيرَ وَنَنْتَظِرَ مَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ بَنَا . فَإِنْ كَانَ
 يَحْصُلُ لَنَا مَوْتٌ عَلَى الْعَادَةِ أَسْتَرْحَنَا . فَإِنْ كَانَ يَحْصُلُ لَنَا مَا يُوْجِبُ الْهَرَبَ
 هَرَبِنَا وَرَحَلَنَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى حِيْثُ يُرِيدُ اللَّهُ : فَاجْبَ السَّمَكُ جَمِيعُهُ مِنْ
 قَمَّ وَاحِدٍ : صَدَقْتَ يَاسِيَّدَنَا . جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرًا : وَتَوَجَّهَ كُلُّ وَاحِدٍ
 مِنْهُنَّ إِلَى مَوْضِعِهِ . فَمَا مَضِي إِلَّا أَيَامٌ قَلَائلٌ وَأَتَاهُنَّ اللَّهُ بِمَطْرِ شَدِيدٍ حَتَّى
 مَلَأَ حَلَّ الْغَدَيرِ زِيَادَةً عَمَّا كَانَ أَوْلَى
 وَهَذَا نَحْنُ أَيْمَانُهَا الْمَلِكُ كُلُّهَا يَأْسِينَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ وَلَدٌ . وَحَيْثُ مَنْ
 اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ بِهَذَا الْوَلَدِ الْمُبَارَكِ . فَنَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ وَلَدًا

مُبَارِكًا . وَأَنْ يُقْرِبَهُ عَيْنَكَ وَيَجْعَلَهُ خَلِيقَةَ صَالِحَةَ . وَيَرْزُقَنَا مِنْهُ مَا رَزَقَنَا مِنْكَ . فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحِبُّ بُشْرًا مِنْ قَصَدٍ . وَلَا يُنْبِغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقْطَعَ رَجَاءَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

فَمَمْ قَامَ الْوَزِيرُ الثَّانِي وَسَلَّمَ عَلَى الْمَلِكِ . فَأَجَابَهُ الْمَلِكُ قَائِلًا : وَعَلَيْكَ الْسَّلَامُ : فَقَالَ ذَلِكَ الْوَزِيرُ : إِنَّ الْمَلِكَ لَا يُسْئِي مِلَكًا إِلَّا أَذَا أَعْطَى وَعْدَهُ وَحَكْمَ وَأَكْرَمَ وَأَحْسَنَ سِيرَتَهُ مَعَ رَعِيَّتِهِ بِإِقْلِيمَ الشَّرَائِعِ وَالسَّنَنِ الْمَالُوفَةِ يَبْيَثُ النَّاسُ . وَأَنْصَفَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَحَقَنَ دِمَاءَهُمْ وَكَفَ أَلَّا ذَرَ عَنْهُمْ وَيَكُونُ مَوْصُوفًا بِعَدَمِ الْغُفْلَةِ عَنْ فَقَرَائِبِهِمْ فَإِسْعَافِ أَعْلَاهُمْ وَأَدْنَاهُمْ فَأَعْطَاهُمْ الْحَقَّ الْوَاجِبَ لَهُمْ حَتَّى يَصِيرُوا جَيْعَانًا دَاعِيًّا لَهُ مُمْتَشِلِينَ لِأَمْرِهِ . لِأَنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّ الْمَلِكَ الَّذِي يَهْبِطُ الصِّفَةَ مَحْبُوبٌ عِنْدَ الرَّعِيَّةِ مُكْتَسِبًا مِنَ الْأَدْنِيَاءِ عَلَاهَا وَمِنَ الْأُخْرَى شَرْفَهَا وَرَضَى خَالِقَهَا . وَنَحْنُ مَعَاشِرُ الْعِيدِ مُعْتَرِفُونَ لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِأَنَّ جَمِيعَ مَا وَصَفْنَاهُ عِنْدَكَ . كَمَا قِيلَ : خَيْرُ الْأُمُورِ أَنْ يَكُونَ مَلِكُ الرَّعِيَّةِ عَادِلًا . وَحَكِيمًا مَاهِرًا . وَعَالِمًا خَيْرًا عَامِلًا بِعِلْمِهِ . وَنَحْنُ الْأَنْ مُتَنَعِّمُونَ بِهِنْ السَّعَادَةِ . وَكَمَا قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ وَقَعْنَا فِي أَيْلَاسٍ مِنْ حُصُولِ وَلَدِكَ يَرِثُ مُلْكَكَ . وَلِكِنَّ اللَّهَ جَلَّ أَسْمَهُ لَمْ يُحِبْ رَجَاءَكَ وَقَبِيلَ دُعَاءِكَ لِحُسْنِ ضَنْكَ بِهِ وَتَسْلِيمِ أَمْرِكَ إِلَيْهِ . فَنَعَمْ الْرَّجَاءُ رَجَاؤُكَ . وَقَدْ صَارَ فِيكَ مَا صَارَ لِلْغَرَابِ وَالْحَمْيَةِ : فَقَالَ الْمَلِكُ : كَيْفَ ذَلِكَ وَمَا حِكَايَةُ الْغَرَابِ وَالْحَمْيَةِ

(حكاية الغراب والحمية)

فَقَالَ الْوَزِيرُ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّهُ كَانَ غُرَابٌ سَاكِنًا فِي شَجَنَّهُ هُوَ

وزوجته في أرْغَدِ عَيْشٍ إِلَى أَنْ بَلَغَاهَا مَانَ تَفَرِّجُهُمَا . وَكَانَ زَمْنَ الْقَيْظِ .
 فَخَرَجَتْ حَيَّةٌ مِنْ وَرَبِّهَا . وَقَصَدَتْ تِلْكَ الشَّجَرَةَ فَتَعْلَقَتْ بِفُروْعَهَا إِلَى أَنْ
 صَعِدَتْ إِلَى عُشِ الْغَرَابِ وَرَبَضَتْ فِيهِ . وَمَكَثَتْ مُدَّةً أَيَّامَ الصَّيفِ .
 وَصَارَ الْغَرَابُ مَطْرُودًا لَا يَجِدُهُ فُرْسَةٌ وَلَا مَوْضِعًا يَرْقُدُ فِيهِ . فَلَمَّا أَنْقَضَتْ
 أَيَّامُ الْحَرِّ ذَهَبَتْ الْحَيَّةُ إِلَى مَوْضِعِهَا . فَقَالَ الْغَرَابُ لِزَوْجِهِ : نَشْكُرُ اللَّهَ
 تَعَالَى الَّذِي نَجَانَا وَخَلَصَنَا مِنْ هَذِهِ الْأَقْفَةِ وَلَوْ كُنَّا حُرْمَنَا مِنْ الْزَادِ فِي هَذِهِ
 الْسَّنَةِ . لَمَّا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى لَا يَقْطَعُ رَجَاءَنَا . فَنَشْكُرُهُ عَلَى مَا مَنَّ عَلَيْنَا مِنَ السَّلَامَةِ
 وَصِحَّةِ أَبْلَانَا . وَلَيْسَ لَنَا أَتِكَالٌ إِلَّا عَلَيْهِ . وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ وَعَشَنَا إِلَى الْعَامِ
 الْقَابِلِ عَوْضَ اللَّهِ عَلَيْنَا نِتَاجِنَا : فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ تَفَرِّجُهُمَا . خَرَجَتِ الْحَيَّةُ
 مِنْ مَوْضِعِهَا وَقَصَدَتِ الشَّجَرَةَ . فَبَيْنَمَا هِيَ مُتَعْلِقَةٌ بِعُضِ اَغْصَانِهَا . وَهِيَ
 قَاصِدَةٌ عُشَ الْغَرَابِ عَلَى الْعَادَةِ . وَإِذَا بَحْدَاهُ قَدْ أَنْقَضَتْ عَلَيْهَا وَضَرَبَهَا
 فِي رَأْسِهَا فَخَدَشَتْهَا . فَعِنْدَ ذَلِكَ سَقَطَتِ الْحَيَّةُ عَلَى الْأَرْضِ مُغَشِّيَّا عَلَيْهَا .
 وَطَلَعَ عَلَيْهَا الْمَلِلُ فَاكِلَهَا . وَصَارَ الْغَرَابُ مَعَ زَوْجِهِ فِي سَلَامَةٍ وَطَمَانِيَّةِ .
 وَفَرَّخَ أَوْلَادًا كَثِيرَةً وَشَكَرَ اللَّهَ عَلَى سَلَامَتِهَا وَعَلَى حُصُولِ الْأَوْلَادِ . وَنَحْنُ
 أَهْبَاهَا الْمَلِكُ . يَحِبُّ عَلَيْنَا شُكُونٌ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا بِهَذَا الْمَوْلُودِ
 الْهَبَارِكَ السَّعِيدِ . بَعْدَ الْيَاسِ وَقَطْعِ الرَّجَاءِ . أَحْسَنَ اللَّهُ ثَوَابَكَ وَعَاقِبَةَ

أَمْرَكَ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الْثَالِثُ وَقَالَ : أَبْشِرْ أَهْبَاهَا الْمَلِكُ الْعَادِلُ بِالْخَيْرِ الْعَاجِلِ
 وَالْتَّوَابِ الْأَحِلِ . لَمَّا كُلَّ مِنْ تَجْبَهِ أَهْلِ الْأَرْضِ تَجْبَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ . وَاللَّهُ
 تَعَالَى قَسَمَ لَكَ الْحَمْيَةَ . وَجَعَلَهَا فِي قُلُوبِ أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ . فَلَهُ الشُّكْرُ وَلَهُ

الْحَمْدُ لِمَنْ أَنْتَكَ لَكِ بِزِيَّدِ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا بِكَ . وَأَعْلَمُ أَهْمَانِهَا الْمَلِكُ . أَنَّ
الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَطِعُ شَيْئاً إِلَّا بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى . وَإِنَّهُ هُوَ الْمُعْطِي . وَإِنَّ كُلَّ
خَيْرٍ عِنْدَ سَخْنِ إِلَيْهِ يَنْتَهِي . قَسْمُ النِّعَمِ عَلَى عَيْنِكَ . كَمَا يُحِبُّ فِيهِمْ مِنْ أَعْطَاهُ
مَا هَبَ كِثِيرَ . وَمِنْهُمْ مِنْ شَغْلَةٍ يَتَحَصِّلُ الْقُوَّتِ . وَمِنْهُمْ مِنْ جَعْلَةٍ رَّئِسَاً .
وَمِنْهُمْ مِنْ جَعْلَةٍ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا . رَاغِبًا إِلَيْهِ . لَا إِنَّهُ هُوَ الَّذِي يَقُولُ : أَنَا
الْفَضَارُ الْتَّافِعُ . أَشْفَى وَأَمْرِضُ . وَأَغْنِي وَأَفْقُرُ . وَأَمْسِتُ وَأَحْيِي . وَيَدِي كُلُّ
شَيْءٍ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ . فَوَاحِدٌ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ شُكْرُونَ . وَأَنْتَ أَهْمَانِهَا الْمَلِكُ مِنْ
الْسُّعْدَاءِ الْأَبْرَارِ . كَمَا قِيلَ : إِنَّ أَسْعَدَ الْأَبْرَارِ مَنْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ خَيْرِي
الْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَيَقْنَعُ بِمَا قَسْمَ اللَّهُ لَهُ وَيَشْكُرُ عَلَى مَا أَفَاقَمَهُ . وَمَنْ تَعَدَّ
وَطَلَبَ عَيْرَ مَا قَدَرَ اللَّهُ لَهُ وَعَلَيْهِ يُشَهِّدُ حِجَارَ الْوَحْشِ وَالشَّعْلَبَ : قَالَ الْمَلِكُ :
وَمَا حَدَّيْهُمَا

(حكاية حمار الوحش والشعلب)

قَالَ الْوَزِيرُ : أَعْلَمُ أَهْمَانِهَا الْمَلِكُ . أَنَّ شَعْلَبًا كَانَ يَخْرُجُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ وَطَنِهِ
وَيَسْعَى عَلَى رِزْقِهِ . فَيَنْهَا هُوَ ذَاتُ يَوْمٍ فِي بَعْضِ الْجِبَالِ . وَإِذَا بَلَّهَارَ قَدِ
أَنْفَضَى . وَقَصَدَ الرُّجُوعَ . فَاجْتَمَعَ عَلَى شَعْلَبِ رَاهَةً مَاشِيًّا . وَصَارَ كُلُّ مِنْهُمَا
يَنْجُو لِصَاحِبِهِ حِكَايَتَهُ مَعَ مَا أَفْتَرَسَهُ . فَقَالَ أَحَدُهُمْ : إِنِّي بِالْأَمْسِ وَقَعْتُ
فِي حِجَارَ وَحْشٍ وَكُنْتُ جَائِعًا . وَكَانَ لِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مَا أَكَلْتُ . فَفَرَحْتُ بِذَلِكَ
وَشَكَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي سَخَّرَ لِي . ثُمَّ إِنِّي عَدَدْتُ إِلَى قَلْبِي فَأَكَلْتُهُ
وَشَبَّعْتُ . ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى وَطَنِي وَمَضَى عَلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لَمْ أَجِدْ شَيْئاً آكِلُهُ
وَمَعَ ذَلِكَ أَنَا شَبَعَانِ إِلَى الْآنِ : فَلَمَّا سَيَعَ الشَّعْلَبُ الْحِكَايَةَ حَسَدَ عَلَى شَبَّعِهِ .

وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: لَا بُدَّ لِي مِنْ أَكْلِ قَلْبِ حَمَارِ الْوَحْشِ: فَتَرَكَ الْأَكْلَ
 أَيَّامًا حَتَّى أَنْهَزَلَ فَأَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ وَقُصْرَ سَعِيهُ وَاجْتِهَادُهُ وَرَبَضَ فِي
 وَطَنِهِ. فَبَيْنَاهُو فِي وَطَنِهِ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ وَإِذَا بِصَيَادِينَ مَاشِيَّنِ
 قَاصِدِينَ الصَّيْدِ فَوَقَعَ لَهُمَا حَمَارُ وَحْشٍ. فَاقْتَمَ الْنَّهَارَ كُلَّهُ فِي أَنْتِ طَرْدًا.
 ثُمَّ إِنَّ بَعْضَهَا رَمَاهُ بِسَمَّ مُشَعَّبٍ فَأَصَابَهُ وَدَخَلَ جَوْفَهُ وَأَنْصَلَ بِقَلْبِهِ فَقَتَلَهُ
 قِبَالَةً وَكَرِ الشَّعْلَبُ الْمَذْكُورُ. فَأَذْرَكَهُ الصَّيَادُونَ فَوَجَدَاهُ مِيتًا. فَأَخْرَجَا
 السَّمَّ الَّذِي أَصَابَهُ فِي قَلْبِهِ. فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَّا أُعْوَدُ. وَيَقُولُ السَّمُّ مُشَعَّبًا فِي
 بَطْنِ حَمَارِ الْوَحْشِ فَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءَ حَرَجَ الشَّعْلَبُ مِنْ وَطَنِهِ وَهُوَ يَتَضَعَّرُ مِنَ
 الْأَضْعَفِ وَأَنْجُوَعُ فَرَأَى حَمَارَ الْوَحْشِ عَلَى بَابِهِ طَرِيجًا. فَفَرَحَ فَرَحًا شَدِيدًا
 حَتَّى كَادَ أَنْ يَطِيرَ مِنَ الْفَرَحِ. فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَسِّرَ لِي شَهْوَتِي
 مِنْ غَيْرِ تَعْبٍ لِأَنِّي كُنْتُ لَا أَمْلُ أَنِّي أُصِيبُ حَمَارَ وَحْشٍ وَلَا غَيْرَهُ. وَلَعَلَّ
 اللَّهُ أَوْقَعَ هَذَا وَسَاقَهُ إِلَيَّ فِي مَوْضِعِي: ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهِ وَشَقَّ بَطْنَهُ وَأَدْخَلَ
 رَأْسَهُ وَصَارَ يَجْوِلُ بِفَمِهِ فِي أَمْعَائِهِ إِلَيَّ أَنْ وَجَدَ الْقَلْبَ فَالْتَّقَمَهُ بِفَمِهِ
 وَأَبْتَلَعَهُ. فَلَمَّا صَارَ دَاخِلَ حَلْقِهِ أَشْتَبَكَ شُعْبُ السَّمَّ فِي عَظْمِ رَقْبَتِهِ وَلَمْ
 يَقْدِرْ عَلَى إِدْخَالِهِ فِي بَطْنِهِ وَلَا عَلَى إِخْرَاجِهِ مِنْ حَلْقِهِ وَأَيْقَنَ بِاَهْلاَكِ.
 وَقَالَ: حَقًا لَا يَبْغِي لِخُلُوقٍ أَنْ يَطْلُبَ لِنَفْسِهِ فَوْقَ مَا قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُ. لِأَنِّي
 لَوْ قَنِعْتُ بِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ لِي لَمَّا صِرْتُ إِلَى اَهْلاَكِ
 فَلَهُدَا إِلَيْهَا الْمَلِكُ. يَسْبِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ بَرَضَ بِهَا قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُ وَيَشْكُرُ
 نِعْمَهُ عَلَيْهِ وَلَا يَقْطَعُ رَجَاءَهُ مِنْ مَوْلَاهُ. وَهَا أَنْتَ أَهِمَا الْمَلِكُ بِخُسْنَتِكَ
 وَإِسْدَاعِ مَعْرُوفِكَ رَزْقَكَ اللَّهُ وَلَدَّا بَعْدَ الْيَاسِ. فَنَسَالَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَهُ

عَمِّرَ طُوْيَلَا وَسَعَادَةً دَائِمَةً . وَيَجْعَلُهُ خَلْفَامْبَارَ كَمُوفِيَا يَعْهِدُكَ مِنْ بَعْدِكَ
بَعْدَ طُولِ عَمِّرَكَ

فِيمَ قَامَ الْوَزِيرُ الْرَّابِعُ وَقَالَ إِنَّ الْمَلِكَ إِذَا كَانَ فِيهَا عَالِمًا بِأَبْوَابِ الْحِكْمَةِ
وَالْأَحْكَامِ وَالسِّيَاسَةِ . مَعَ صَلَاحِ النِّيَّةِ وَالْعَدْلِ فِي الرَّعْيَةِ وَكَرْمَمَنْ يَحْبُّ
إِكْرَامُهُ . وَتَوْقِيرِمَنْ يَحْبُّ تَوْقِيرِهِ . وَالْعَفْوِ عِنْدَ الْقُدْرَةِ فِيهَا لَا بُدَّ مِنْهُ .
وَرِعَايَةِ الرُّؤْسَاءِ وَالْمَرْوُوسِينَ . وَالْخَفْفِيفِ عَنْهُمْ وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ . وَصَوْنِ
دِمَائِهِمْ وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِمْ . كَانَ حَقِيقًا بِالسَّعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَإِنَّ
ذَلِكَ مَا يُعِينُهُمْ وَيُعِينُهُ عَلَى ثَبَاتِ مُلْكِهِ . وَنُصْرَتِهِ عَلَى أَعْدَاءِهِ وَلُوْغُ
مَامُولِهِ مَعَ زِيَادَةِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَتَوْفِيقِهِ لِشُكُورِ الْفُوزِ يَعْنَاهُ . وَاتَّ
الْمَلِكَ إِذَا كَانَ يَخْلَافُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَمْ يَزِلْ فِي مَصَائِبِ وَبَلَايَا هُوَ وَأَهْلُ
مَهْلَكَتِهِ . لِكُونِ جَوْرِهِ عَلَى الْغَرِيبِ وَالْقَرِيبِ . وَيَصِيرُ فِيهِ مَا صَارَ لِابْنِ
الْمَلِكِ السَّاجِحِ : فَقَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

(حكاية ابن الملك الساجح)

فَقَالَ الْوَزِيرُ : أَعْلَمُ أَيْمَانِ الْمَلِكِ . أَنَّهُ كَانَ فِي بِلَادِ الْغَربِ مَلِكُ جَاءَهُ فِي
حُكْمِهِ ظَالِمٌ غَاشِمٌ عَاسِفٌ مُضِيعٌ لِرِعَايَةِ رَعْيَتِهِ وَجَمِيعِ مَنْ يَدْخُلُ فِي مَهْلَكَتِهِ
فَكَانَ لَا يَدْخُلُ فِي مَهْلَكَتِهِ أَحَدٌ إِلَّا وَتَأْخُذُ عَالَمُهُ مِنْهُ أَرْبَعَةَ أَخْمَاسِ مَالِهِ
وَيَقُولُ لَهُ الْخَمْسَ لَا غَيْرَ . فَقَدَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ كَانَ لَهُ وَلَدٌ سَعِيدٌ مُوفِّقٌ .
فَلَمَّا رَأَى أَحْوَالَ الدُّنْيَا غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ تَرَكَهَا وَخَرَجَ سَاجِحًا عَابِدًا لِلَّهِ تَعَالَى
مِنْ صَغْرِهِ وَرَفَضَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَخَرَجَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى يَسْرَحُ فِي
الْبَرَارِي وَالْقَنَارِ وَيَدْخُلُ الْمَدْنَ . فَفِي بَعْضِ الْأَيَّامِ دَخَلَ تِلْكَ الْمَدِينَةَ .

فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى الْحَافِظِينَ أَخْدُوهُ وَقَتَشُوهُ فَلَمْ يَرْوَا مَعَهُ شَيْئًا سَوَى تَوْبَيْنِ
 أَخْدُوهَا جَدِيدًا وَالْأَخْرُ عَيْنِقَ . فَنَزَعُوا مِنْهُ الْجَدِيدَ وَتَرَكُوا لَهُ الْعَيْنِقَ بَعْدَ
 إِلَاهَانَةِ وَالْتَّحْقِيرِ . فَصَارَ هُوَ يَشْكُو وَيَقُولُ : وَيَحْكُمُ أَيْمَانَ الظَّالِمُونَ . أَنَا
 رَجُلٌ فَقِيرٌ وَسَاجِنٌ وَمَا عَسَى أَنْ يَنْفَعَكُمْ مِنْ هَذَا التَّوْبَ . وَإِذَا مَتْ تَعْطُوهُ لِي
 دَهْبَتُ إِلَيْكُمْ وَشَكُوتُكُمْ إِلَيْهِ : فَاجْأَبُوهُ قَائِلِينَ : إِنَّا فَعَلْنَا ذَلِكَ بِأَمْرِ
 الْمَلِكِ . فَآبَدَ لَكَ أَنْ تَفْعُلَهُ فَأَفْعَلَهُ : فَصَارَ السَّاجِنُ يَمْشِي إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى
 بَلَاطِ الْمَلِكِ وَرَأَدَ الدُّخُولَ فَمِنْهُ الْمُحَجَّابُ فَرَجَعَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا لِي إِلَّا
 أَنِ ارْصَدُ حَتَّى يَخْرُجَ وَأَشْكُو إِلَيْهِ حَالِي وَمَا أَصَابَنِي : فَيَسِّمَا هُوَ عَلَى تِلْكَ
 الْحَالَةِ يَنْتَظِرُ خُروجَ الْمَلِكِ . إِذْ سَمِعَ أَحَدُ الْجَنَادِ يُخْبِرُ عَنْهُ . فَأَخَدَ يَتَقدِّمُ
 قَبِيلًا قَبِيلًا حَتَّى وَقَفَ قُبَالَةَ الْبَابِ . فَمَا شَعَرَ إِلَّا وَالْمَلِكُ خَارِجٌ فَعَارَضَهُ
 السَّاجِنُ وَدَعَاهُ بِالنَّصْرِ . وَأَخْبَرَهُ بِمَا وَقَعَ لَهُ مِنْ الْحَافِظِينَ وَشَكَا إِلَيْهِ
 حَالَهُ . وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ رَفَضَ الْدُّنْيَا وَخَرَجَ طَالِبًا رِضاَ اللَّهِ
 تَعَالَى فَصَارَ سَائِحًا فِي الْأَرْضِ . وَكُلُّ مَنْ وَفَدَ عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ أَحْسَنَ إِلَيْهِ
 بِمَا أَمْكَنَهُ . وَصَارَ يَدْخُلُ كُلَّ مَدِينَةٍ وَكُلَّ قَرْيَةٍ وَهُوَ عَلَى هُنْدِ الْحَالَةِ . ثُمَّ
 قَالَ : فَلَمَّا دَخَلَتْ هُنْدِ الْمَدِينَةَ تَرَجَّتْ أَنْ : يَفْعَلَ بِي أَهْلُهَا مِثْلَ مَا يُفْعَلُ
 بِغَيْرِي مِنَ السَّائِحِينَ . فَعَارَضَنِي أَتَبَاعُكَ وَنَزَعُوا أَحَدًا تَوَابِي وَالْهَفْوُ فِي
 ضَرْبًا . فَأَنْظَرُونِي شَانِي وَخُذْ بِيَدِيهِ وَخَلَصْ لِي ثَوْبِي . وَإِنَّا لَا أَقِيمُ بِهَذِهِ
 الْمَدِينَةِ سَاعَةً وَاحِدَةً : فَاجْأَبَهُ الْمَلِكُ الظَّالِمُ قَائِلًا : مَنْ أَشَارَ عَلَيْكَ
 بِدُخُولِكَ هُنْدِ الْمَدِينَةِ . وَأَنْتَ غَيْرُ عَالِمٍ بِمَا يَفْعَلُ مِلْكُهَا : فَقَالَ : بَعْدَ أَنْ
 أَخْدَ ثَوْبِي أَفْعَلْ بِي مُرَادَكَ

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ الظَّالِمُ مِنَ السَّائِحِ هَذَا الْكَلَامَ، حَصَلَ عِنْهُ تَغِيرٌ مِنَاجٍ
 فَقَالَ: أَيُّهَا الْجَاهِلُ نَزَعْنَا عَنْكَ تَوْبَكَ لَكَ تَذَلِّلٌ وَحِيتُ وَقَعَ مِنْكَ مِثْلُ
 هَذَا الصِّيَاجِ عِنْدِي. فَأَنَا أَنْزِعُ نَفْسَكَ مِنْكَ: ثُمَّ أَمْرَ بِتَعْجِينِهِ. فَلَمَّا دَخَلَ
 السِّجْنَ جَعَلَ يَنْدَمُ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْهُ مِنْ أَجْوَابٍ وَعَنْفٍ نَفْسَهُ حَيْثُ لَمْ تَرُكْ
 ذَلِكَ وَيَفْوَزَ بِرُوحِهِ. فَلَمَّا كَانَ نِصْفُ اللَّيْلِ قَامَ عَلَى قَدْمِيهِ وَصَلَّى صَلَاةً
 مُطْوَلَةً. وَقَالَ: يَا اللَّهُ، إِنَّكَ أَنْتَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ. تَعْلَمُ بِحَالِي وَمَا أَنْطَوَيَ
 عَلَيْهِ أَمْرٍ مَعَ هَذَا الْمَلِكِ الْجَاهِيرِ. وَأَنَا عَبْدُكَ الْمَظْلُومُ أَسَأُ لَكَ مِنْ فِيْضٍ
 رَحْمَتِكَ أَنْ تَنْقِذَنِي مِنْ يَدِ هَذَا الْمَلِكِ الظَّالِمِ وَتُحَلِّ بِهِ نِقْمَتِكَ لِأَنَّكَ لَا
 تَغْفُلُ عَنْ ظُلْمِ كُلِّ ضَالِّ. فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ ظَالِمٌ فَاحْلِلْ نِقْمَتَكَ عَلَيْهِ
 فِي هَذِهِ الْلَّيْلَةِ وَأَنْزِلْ بِهِ عَدَابَكَ لِأَنْ حُكْمَكَ عَدْلٌ وَأَنْتَ غَيْبَاتُ كُلِّ
 مَلْهُوفٍ^١. يَا مَنْ لَهُ الْقُدْرَةُ وَالْعَظَمَةُ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ: فَلَمَّا سَمِعَ السَّجَانُ دُعَاءَ
 هَذَا الْمِسْكِينِ صَارَ جَمِيعُ مَا فِيهِ مِنَ الْأَعْضَاءِ مَرْعُوباً. فَيَسِّئُهُمَا هُوَ ذَلِكَ
 وَإِذَا بَيْنَارٍ أَنْقَدَتْ فِي الْفَصْرِ الَّذِي فِيهِ الْمَلِكُ. فَأَحْرَقَتْ جَمِيعَ مَا فِيهِ حَتَّى
 بَابَ السِّجْنِ وَمَمْ جَلْصَنَ سَوَّ السَّجَانَ وَالسَّائِحَ فَانْطَلَقَ السَّائِحُ وَسَارَ هُوَ
 وَالسَّجَانُ وَلَمْ يَرِدْ إِلَّا سَائِرِينَ حَتَّى وَصَلَّى إِلَى غَيْرِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ. وَأَمَّا مَدِينَةُ
 الْمَلِكِ الظَّالِمِ فَإِنَّهَا أَحْرَقَتْ عَنْ آخرِهَا بِسَبِّ جَوْرِ مَلِكِهَا. وَأَمَّا نَحْنُ أَيُّهَا

^١ هذه طلبة مظلوم لم يستثن بغير تعليم المسيح الغافر لاعديه. فمن امن بهذه الحكمة الالهية والمحوبة الازلية هذا حذوه تعالى محنلاًسوء غافراً لمن اساء اليه مسنتسيراً بوجوب كلام الرب القائل: احبو اعداءكم واحسنوا الى من يبغضكم وصلوا على من يطردكم ويظلمكم ليكما تكونوا بني ايكم الذي في الموات الذي يشرق شمسه على الاخبار والاشرار ويطير على الصديقين والظالمين (متى ٥: ٤٤ و ٤٥)

الملِكُ السَّعِيدُ. فَمَا نُسِيَ وَنُصِحَ لِلَا وَنَحْنُ دَاعُونَ وَشَاكِرُونَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى
فَضْلِهِ بِوُجُودِكَ مُطْمِئِنِينَ بَعْدِكَ وَحُسْنِ سِيرِكَ. وَكَانَ عِنْدَنَا عَمْ
كَثِيرٌ لِعَدَمِ وَلَدِكَ بَرِثُ مُلْكَ حَوْفًا مِنْ أَنْ يَصِيرَ عَلَيْنَا مَلِكٌ غَيْرُكَ
مِنْ بَعْدِكَ. وَالآنَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَرَمِهِ عَلَيْنَا وَأَزَالَ عَنَّا الْغُمَّ وَأَتَانَا بِالسُّرُورِ
بِوُجُودِ هَذَا الْغُلامُ الْمُبَارِكُ. فَنَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ خَلِيفَةً صَاحِحةً
وَيَرْزُقَهُ الْعِزَّةَ وَالسَّعَادَةَ الْبَاقِيَةَ وَالْخَيْرَ الدَّائِمَ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الْخَامِسُ وَقَالَ: تَبَارَكَ اللَّهُ الْعَظِيمُ مَا نَحْنُ الْعَطَايَا الصَّاحِحةُ
وَالْمَوَاهِبُ السَّنِيَّةُ. وَبَعْدُ فَيَانَا تَحْقِيقَنَا أَنَّ اللَّهَ يُنْعِمُ عَلَى مَنْ يُشْكُنُ وَيُحَافِظُ
عَلَى دِينِهِ. وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ. الْمَوْصُوفُ بِهِنْ الْمَنَافِبُ الْجَلِيلَةُ
وَالْعَدْلُ وَالْإِنْصَافُ بَيْنَ رَعِيَّتَكَ بِمَا يُرْضِي اللَّهَ تَعَالَى. فَلِأَجْلِ ذَلِكَ أَعْلَى
اللَّهُ شَانَكَ وَأَسْعَدَ أَيَّامَكَ وَوَهَبَ لَكَ هَذِهِ الْعَطِيَّةِ الصَّاحِحةِ الَّتِي هِيَ هَذَا
الْوَلَدُ السَّعِيدُ بَعْدَ الْبَاسِ. وَصَارَ لَنَا بِذِلِكَ الْفَرَحُ الدَّائِمُ وَالسُّرُورُ الَّذِي
لَا يَنْقَطُعُ. لِأَنَّا قَبْلَ ذَلِكَ كُنَّا فِي هَمٍ شَدِيدٍ وَغَمٍ زَائِدٍ بِسَبِيلِ عَدَمِ وَلَدٍ
لَكَ. وَفِي أَفْكَارِنَا أَنَّتَ مُنْطَوِي عَلَيْهِ مِنْ عَدَلِكَ وَرَأْفَتِكَ بِنَا. وَخَوْفًا أَنْ
يَقْضِيَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِالْمُوتِ. وَلَمْ يَكُنْ لَكَ مَنْ يَخْلُفُكَ وَبَرِثُ الْمَلِكَ مِنْ
بَعْدِكَ. فَيَنْتَفَ رَأْبِنَا وَيَقْعَدُ يَسْنَانَا الْسُّقَاقُ وَيَصِيرَ يَسْنَانَا مَا صَارَ لِلْغَرَابِ:
فَقَالَ الْمَلِكُ: وَمَا حِكَايَةُ الْغَرَابِ

(حكاية الغراب)

فَاجَأَهُ الْوَزِيرُ قَائِلًا: أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ. أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ
الْبَرَارِيِّ وَادِ مُتَسَعٍ. وَكَانَ يَهُ أَنْهَارٌ فِي شَجَارٍ فَأَنْهَارٌ وَيَهُ أَطْيَارٌ تُسَيِّحُ اللَّهُ

أَوْلَادَ الْفَهَارَ. خَالِقُ الْلَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَكَانَ مِنْ جُمْلَةِ الطُّبُورِ غَرْبَانُ. وَكَانَتْ
فِي أَطْيَبِ عِيشٍ. وَكَانَ الْمُقْدَمَ عَلَيْهِنَّ وَالْحَاكِمَ يَنْهَا غَرَابُ رَوْفٌ بِهِنَّ
شَفُوقٌ عَلَيْهِنَّ وَكَانَتْ مَعَهُ فِي أَمَانٍ وَطُمَانِيَّةٍ. وَمِنْ حُسْنِ تَصْرُّفِهِنَّ فِيمَا
يَنْهَا لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الطُّبُورِ يُقْدِرُ عَلَيْهَا. فَأَنْفَقَ أَنَّ مُقْدَمَهُنَّ تُوْفيَ
وَجَاهَهُ الْأَمْرُ الْخَنُومُ عَلَى سَائِرِ الْخُلُقِ فَخَرَّتْ عَلَيْهِ حَرَنَا شَدِيدًا. وَمِنْ
زِيَادَةِ حُرْزِهِنَّ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِنَّ أَحَدٌ مِثْلُهُ يُقْوِمُ مَقَامَهُ. فَاجْتَمَعَنَ حَجِيعًا
فَأَشْتَرَنَ فِيمَا يَنْهَا عَلَى مَنْ يَقُولُ عَلَيْهِنَّ كَيْمَتُهُ يَكُونُ صَاحِبًا. فَطَائِفَةٌ مِنْهُنَّ
أَخْتَرَنَ غَرَابًا. وَقُلْنَ إِنَّ هَذَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مِلَكًا عَلَيْنَا. وَأَخْرُ أَخْلُفَنَ فِيهِ.
وَلَمْ يُرِدْنَهُ فَوْقَ يَنْهَا الشَّقَاقُ وَالْجَدَالُ وَعَظِيمُ الْقِتْنَةِ يَنْهَا. وَبَعْدَ ذَلِكَ
حَصَلَ يَنْهَا تَوَافُقٌ. وَتَعَااهَدُنَ عَلَى أَنْ يَنْمَنَ تِلْكَ الْلَّيْلَةَ. وَلَا يَسْكُرُ أَحَدٌ
إِلَى السُّرُوحِ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ عَدَلًا. بَلْ يَصْبِرُنَ حَجِيعًا إِلَى الصَّبَاجِ. وَعِنْدَ
طَلُوعِ الْفَجْرِ يَكُنْ مُجْمِعِهِنَّ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ. ثُمَّ يَنْظَرُنَ كُلًّا طَيْرٍ يَسْبُقُ
فِي الْأَصْدِرَانِ. وَقُلْنَ إِنَّهُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ مَأْمُورًا مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا وَخَنَارًا عِنْدَنَا
لِلْمُلْكِ. فَجَعَلُهُ مِلَكًا عَلَيْنَا. وَنُولِيهُ أَمْرَنَا. فَرَضَيْنَ كُلُّهُنَّ بِذَلِكَ وَعَاهَدُنَ
بَعْضُهُنَّ بَعْضًا وَاتَّفَقُنَ عَلَى هَذَا الْعَهْدِ. فَيَسِّنَمَا هِيَ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ إِذْ طَلَعَ
بَازٌ. فَقُلْنَ لَهُ: يَا أَبَا الْخَيْرِ. نَحْنُ أَخْتَرَنَاكَ وَالْيَاءُ عَلَيْنَا لِتَنْظُرُ فِي أَمْرِنَا: فَرَضَيْ
الْبَازِ يَهَا قُلْنَهُ. وَقَالَ لِهِنَّ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى سَيَكُونُ لَكُنَّ مِنْ حَبْرٍ عَظِيمٍ:
لَمْ يَنْهَا بَعْدَ مَا وَلَّسَهُ عَلَيْهِنَّ. صَارَ كُلُّ يَوْمٍ إِذَا سَرَحَ وَسَرَحَ الْغَرَبَانُ
يَسْتَفِرُ بِأَحَدِهِنَّ وَيَسْرِبُهُ وَيَأْكُلُ دِمَاغَهُ وَعَيْنَيْهِ وَيَرْكُ الْبَاقِيَّ. وَلَمْ
يَزْلِ يَفْعَلْ مَعْنَى هَذَا حَتَّى فَطِنَتْ بِهِ فَرَأَتْ غَالِبَهَا قَدْ هَلَكَ فَأَيْقَنَتْ

يَاهْلَكِ. وَقَالَ بَعْضُهُنَّ لِبَعْضٍ : كَيْفَ نَصْنَعُ وَقَدْ هَلَكَ أَكْثَرُنَا . وَمَا
أَنْتُمْ بَهَا حَتَّى هَلَكَ أَكْبَرُنَا . فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ تَحْفَظَ عَلَى أَنفُسِنَا : فَمَا أَصْبَحَتْ
نَفْرَتْ مِنْهُ وَتَفَرَّقَتْ مِنْ حَوْلِهِ . وَنَحْنُ الْآنَ نَخْشَى أَنْ يَقْعَدْ لَنَا مِثْلُ هَذَا
وَيَصِيرَ عَلَيْنَا مَلِكٌ غَيْرُكَ . وَلِكُنْ قَدْ مَنَ اللَّهُ عَلَيْنَا بِهِنْ النِّعْمَةَ وَجَهَكَ إِلَيْنَا .
وَنَحْنُ وَاثْقَوْنَا الْآنَ بِالصَّالِحِ وَجَمِيعِ الشَّمْلِ . وَلَا مِنْ وَلَا مِنْ وَلَا مِنْ
فِي الْوَطْنِ . فَتَبَارَكَ اللَّهُ الْعَظِيمُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالثَّنَاءُ الْجَمِيلُ . وَبَارَكَ
اللَّهُ لِلْمَلِكِ وَلَنَا مُعْشَرُ الرِّعَيَّةِ وَرَزَقَنَا فِي أَيَّادِ السَّعَادَةِ الْعَظِيمَ . وَجَعَلَهُ سَعِيدَ
الْوَقْتِ قَائِمَ الْمُجْدِ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ السَّادِسُ وَقَالَ : هَنَاكَ اللَّهُ أَهْمَاءُ الْمَلِكِ بِأَحْسَنِ الْهَنَاءِ فِي
الْدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَقَدْ نَقَدَ مِنْ قَوْلِ الْمُتَقَدِّمِينَ أَنَّ مَنْ صَلَّى وَصَامَ وَقَامَ
بِحُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ وَعَدَلَ فِي حُكْمِهِ لِقَرْبَهُ وَهُوَ رَاضٌ عَنْهُ . وَقَدْ وُلِيتَ
عَلَيْنَا فَعَدَلَتْ . فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ سَعِيدَ الْمُحْرَكَاتِ . فَنَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ
يُحِزِّلَ ثَوَابَكَ وَيَأْجِرَكَ عَلَى إِحْسَانِكَ . وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قَالَ هَذَا الْعَالَمُ فِيمَا
نَحْنُ وَفِي حِرْمَانِ حَظِنَا بِعَدَمِ الْمَلِكِ أَوْ بِوُجُودِ مَلِكٍ آخَرَ لَا يَكُونُ نَظِيرَنَا .
فَيَعْضُمُ أَخْتِلَافُنَا بَعْدَ وَيَقْعَدُ الْبَلَاءُ فِي الْإِخْتِلَافِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا
ذَكَرْنَا فَأَلْوَاحِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَبْهِلَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالدُّعَاءِ . لَعَلَّهُ يَهْبِطُ لِلْمَلِكِ
وَلَدَّا سَعِيدًا . وَيَجْعَلُهُ وَارِثًا لِلْمَلِكِ بَعْدَهُ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ رُبَّمَا كَانَ الَّذِي
يُحِبُّهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الدُّنْيَا وَيَشْتَهِيهِ مَجْهُولَ الْعَاقِبَةِ لَهُ . وَجِئْنِي لَا يَنْبَغِي
لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَسْأَلَ رَبِّهِ أَمْرًا لَا يَدْرِي عَاقِبَتُهُ . لَا إِنَّهُ رُبَّمَا كَانَ ضَرَرُ ذَلِكَ
أَفْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ نَفِعِهِ . فَيَكُونُ هَلَائِكُهُ فِي مَطْلُوبِهِ وَيُصِيبُهُ مِثْلُ مَا أَصَابَ

الْحَاوِيَ وَأَوْلَادُهُ وَزَوْجِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ : قَالَ الْمَلِكُ : وَمَا حِكَايَةُ الْحَاوِي
وَأَوْلَادِهِ وَزَوْجِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ

(حكاية الحاوي وأولاده وزوجته وأهل بيته)

فَقَالَ الْوَزِيرُ : أَعْلَمُ أَهْلَهَا الْمَلِكُ . أَنَّهُ كَانَ إِنْسَانٌ حَاوِيًا وَكَانَ يُرْبِّي
الْحَيَّاتِ . وَهَذِهِ كَانَتْ صَنْعَتُهُ . وَكَانَ عِنْدُهُ سَلَةٌ كَيْرَنَ . فِيهَا ثَلَاثُ حَيَّاتٍ
لَمْ يَعْلَمْ بِهَا أَهْلُ بَيْتِهِ . وَكَانَ كُلَّ يَوْمٍ يَخْرُجُ يَدُورُ بِهَا فِي الْمَدِينَةِ . وَيَتَسَبَّبُ
بِهَا لِتَحْصِيلِ رِزْقِهِ وَرِزْقِ عِيَالِهِ . وَيَرْجِعُ عِنْدَ الْمَسَاءِ فِي بَيْتِهِ وَيَضَعُ
الْأَحْنَاسَ فِي السَّلَةِ سِرًّا . وَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَأْخُذُهَا وَيَدُورُ بِهَا فِي الْمَدِينَةِ .
فَكَانَ هَذَا دَأْبُهُ عَلَى الدَّوَامِ . وَلَمْ يَعْلَمْ أَهْلُ بَيْتِهِ بِهَا فِي السَّلَةِ . فَاتَّقَنَ أَنَّهُ
لَهَا عَادَ الْحَاوِي إِلَى بَيْتِهِ عَلَى جَرْبِي عَادَ تِيهِ . سَأَلَتْهُ زَوْجُهُ . وَقَالَتْ لَهُ :
مَا فِي هَذِهِ السَّلَةِ ؟ فَقَالَ لَهَا الْحَاوِي : مَا مُرَادُكِ مِنْهَا . أَلَيْسَ الزَّادُ عِنْدَكُمْ
كَثِيرًا زَائِدًا . فَأَفْتَنَعَ بِهَا قَسْمَ اللَّهِ لَكِ . وَلَا تَسْأَلِي عَنْ غَيْرِهِ : فَسَكَتَ عَنْهُ
تِلْكَ الْمَرْأَة . وَصَارَتْ تَقُولُ فِي نَفْسِهَا : لَا بُدَّ لِي أَنْ أُفْتَشَ هَذِهِ السَّلَةَ وَأَعْرِفَ
مَا فِيهَا . وَصَمَمَتْ عَلَى ذَلِكَ وَاعْلَمَتْ أَوْلَادَهَا وَأَكَدَتْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسَّالُوا
وَالِّدَّهُمْ عَنِ السَّلَةِ وَيُلْحُونَ عَلَيْهِ فِي السُّؤَالِ لِأَجْلِ أَنْ يُخْبِرُهُمْ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
تَعَلَّقَ خَاطِرُ الْأَوْلَادِ يَأْنَ فِيهَا شَيْئًا يُوْكِلُ . فَصَارَ الْأَوْلَادُ كُلُّ يَوْمٍ يَطْلَبُونَ
مِنْ أَيْمَنِهِمْ أَنْ يُرِيهِمْ مَا فِي السَّلَةِ . وَكَانَ أَبُوهُمْ يُدَافِعُهُمْ وَيَرْاضِيهِمْ وَيَنْهَا هُمْ عَنِ
هَذَا السُّؤَالِ . فَمَضَتْ لَهُمْ مُدَّةٌ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ . وَأَمِمْ تَحْشِمُ عَلَى ذَلِكَ .
ثُمَّ اتَّفَقُوا مَعْهَا عَلَى أَنْهُمْ لَا يَدْعُونَ طَعَامًا وَلَا يَشْرُبُونَ شَرَابًا لَوْلَا لِيَهُمْ حَقَّ
وَلِسُونُهُ طَلْبَنِمْ وَيَغْنَمُ لَهُمُ السَّلَةَ . فَيَسِّنَهَا هُمْ كَذِلِكَ ذَاتَ لِيَلَةٍ إِذْ حَضَرَ الْحَاوِي

وَمَعَهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنْ أَلْأَكْلِ وَالشَّرْبِ . فَقَعَدَ وَدَعَاهُمْ لِيَا كُلُوا مَعَهُ فَأَبْوَا
 الْحُضُورَ إِلَيْهِ . وَبَيْنَا هُوَ الْغَيْظَ . فَجَعَلَ يُلَاطِفُهُمْ بِالْكَلَامِ الْحَسَنِ . وَيَقُولُ
 لَهُمْ : أَنْظُرُوا مَاذَا تُرِيدُونَ حَتَّى أَجِيَ بِهِ أَيْنَكُمْ أَكْلًا أَوْ شُرَبًا أَوْ مَلْبُوسًا : فَقَالُوا
 لَهُ : يَا وَالِدَنَا . مَا نُرِيدُ مِنْكَ إِلَّا فَتْحُهُنَّ الْسَّلَةِ لِنَنْظُرَ مَا فِيهَا وَإِلَّا قَتَلْنَا نُفْسَنَا :
 فَقَالَ لَهُمْ : يَا أَوْلَادِي . لَيْسَ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ . وَإِنَّمَا فَتَحْهَا ضَرَرٌ لَكُمْ : فَعَنَدَ
 ذَلِكَ أَزْدَادُوا غَيْظًا . فَلَمَّا رَأَهُمْ عَلَى هُنَّ الْحَالَةِ . أَخْدَى يَهْدِهِمْ وَيُشِيرُ لَهُمْ
 بِالضَّرْبِ إِنَّمَا يَرْجُوُنَا عَنْ تِلْكَ الْحَالَةِ . فَلَمْ يَزَدُوا إِلَّا غَيْظًا وَرَغْبَةً فِي
 الْسُّؤَالِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ غَضَبَ عَلَيْهِمْ وَأَخْدَعَهُمْ لِيَضْرِبُهُمْ بِهَا . فَهَرُبُوا قُدَّامَهُ
 فِي الدَّارِ . وَكَانَتِ الْسَّلَةُ حَاضِرَةً لَمْ يَخْفِيَهَا الْخَاوِي فِي مَكَانٍ . فَخَلَّتِ الْمَرْأَةُ
 الْأَرْجُلُ مَشْغُولًا بِالْأَوْلَادِ وَفَتَحَتِ الْسَّلَةَ بِسُرْعَةٍ لِكَيْ تَنْظُرَ مَا فِيهَا . وَإِذَا
 بِالْحَيَّاتِ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ الْسَّلَةِ وَلَدَغَتِ الْمَرْأَةُ أَوْلًا فَقَتَلَتْهَا ثُمَّ دَارَتِ فِي
 الدَّارِ وَأَهْلَكَتِ الْكِبَارَ وَالصِّغَارَ مَاعِدَّا الْخَاوِي . فَتَرَكَ الْخَاوِي الدَّارَ وَخَرَجَ
 فَلَمَّا تَحَقَّقَتْ ذَلِكَ أَيْهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ . عَلِمَتْ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ لَهُ أَنْ
 يَتَمَّنِي شَيْئًا غَيْرَ الَّذِي لَمْ يُرِدِ اللَّهُ تَعَالَى بِلْ يَطِيبَ نَفْسًا يِمَا قَدْرَهُ اللَّهُ لَهُ
 وَرَادَهُ . وَهَا أَنْتَ أَيْهَا الْمَلِكُ . مَعَ غَزَارَةِ عِلْمِكَ وَجُودَةِ فِهِكَ . أَفَرَأَ اللَّهُ
 عَيْنَكَ بِحُضُورِ وَلَدِكَ بَعْدَ الْأَيْسِ وَطَيْبِ قَلْبِكَ . وَنَحْنُ نَسَالُ اللَّهَ تَعَالَى
 أَنْ يَجْعَلَهُ مِنَ الْخَلْفَاءِ الْعَادِلِينَ الْمُرْضِينَ لِلَّهِ تَعَالَى وَالرَّعِيَّةِ
 ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ السَّابِعُ وَقَالَ : أَيْهَا الْمَلِكُ . إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ وَتَحَقَّقَتْ مَا
 ذَكَرْتُ إِخْرَتِي هُوَ لَاءُ الْوَزَرَاءِ الْعُلَمَاءِ الْحُكَمَاءِ وَمَا تَكَلَّمُوا بِهِ فِي حَضَرَتِكَ
 أَيْهَا الْمَلِكُ . وَمَا وَصَفُوهُ مِنْ عَدْلِكَ وَحُسْنِ سِيرِكَ وَمَا تَهَيَّزَتْ بِهِ عَيْنُ

سِوَاكَ مِنَ الْمُلُوكِ حِيثُ فَضَلُوكَ عَلَيْهِمْ وَذَلِكَ مِنْ بَعْضِ الْوَاجِبِ عَلَيْنَا
أَيْهَا الْمَلِكُ

وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ : أَنْحَمَدُ لِلَّهِ الَّذِي بِهِ تَوَلَّكَ لِنَعْمَتِهِ . وَأَعْطَاكَ صَلَاحَ
الْمُلُوكِ بِرَحْمَتِهِ وَأَعْطَاكَ وَإِيمَانَكَ وَإِيمَانَكَ عَلَى أَنْ تَزِيدَكَ شُكْرًا . وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِوُجُودِكَ .
وَمَا حَمَدْتَ فِينَا لَمْ تَنْخُوفْ جَوْرًا وَلَا تَبْغِي ظُلْمًا . وَلَا يَسْتَطِعُ أَحَدٌ أَنْ
يَسْتَطِيلَ عَلَيْنَا مَعَ ضُعْفِنَا . وَقَدْ قِيلَ إِنَّ أَحْسَنَ الرَّعَايَا مَنْ كَانَ مَلِكَكُمْ عَادِلًا
وَشَرَّهُمْ مَنْ كَانَ مَلِكَكُمْ جَائِرًا . وَقِيلَ أَيْضًا : السُّكْنِي مَعَ الْأُسُودِ الْكَوَاسِرِ .
وَلَا السُّكْنِي مَعَ الْأَسْلَاطِ الْجَاهِيرِ . فَأَنْحَمَدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا دَائِمًا
حِيثُ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِوُجُودِكَ . وَرَزَقَكَ هَذَا الْوَلَدُ الْمُبَارَكُ بَعْدَ الْيَأسِ
وَالظُّنُونِ فِي الْسِّنِ . لَأَنَّ أَجَلَ الْعَطَايَا فِي الدُّنْيَا الْوَلَدُ الْصَّالِحُ . وَقَدْ قِيلَ
مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ لَا عَافِيَةَ لَهُ وَلَا ذِكْرٌ . وَأَنْتَ يَقُولُمْ عَدْلُكَ وَحُسْنُ ظَنْكَ بِاللَّهِ
تَعَالَى أُعْطِيَتْ هَذَا الْوَلَدُ السَّعِيدَ . فَجَاءَكَ هَذَا الْوَلَدُ الْمُبَارَكُ مِنْهُ مِنَ اللَّهِ
تَعَالَى عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ . مُحْسِنٌ سِيرَتَكَ وَجِيلٌ صَبْرَكَ . وَصَارَ فِيكَ ذَلِكَ
مِثْلَ مَا صَارَ فِي الْعَنْكُبُوتِ وَالرِّيحِ : فَقَالَ الْمَلِكُ : وَمَا حِكَابُهُ الْعَنْكُبُوتِ

وَالرِّيحِ

(حكاية العنكبوت والريح)

قَالَ الْوَزِيرُ : أَعْلَمُ أَيْهَا الْمَلِكُ . أَنَّ عَنْكُبُوتًا تَعَلَّقَ فِي بَابِ مُنْتَهَى عَالٍ .
وَعَمِلَتْ لَهَا يَسِّرًا وَسَكَنَتْ فِيهِ بِآمَانٍ وَكَانَتْ تَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي يَسِّرَ لَهَا
هَذَا الْمَكَانَ وَأَمَّنَ خَوْفَهَا مِنَ الْهَوَامِ . فَمَكَثَتْ عَلَى هُنْدِ أَحْتَالٍ مُنَعَّةً مِنَ
الْزَّمَانِ . وَهِيَ شَاكِرَةٌ لِلَّهِ عَلَى رَاحِنَهَا وَأَتَصَالٍ رِزْقَهَا . فَأَمْتَحَنَهَا خَالِقُهَا .

يَانَ أَخْرَجَهَا لِيُنْظِرُ شَكْرَهَا وَصَبَرَهَا. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا رِيحًا عَاصِفَةَ شَرْقِيَّةَ.
فَحَمَلَتْهَا بَيْنَهَا وَرَمَتْهَا فِي الْبَعْرِ. فَجَرَتْهَا الْأَمْوَاجُ إِلَى الْبَرِّ. فَعِنْدَ ذَلِكَ
شَكَرَتِ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سَلَامِهَا. وَجَعَلَتْ تُعَايَبُ الرِّيحَ قَائِلَةً لَهَا: أَيْهَا
الرِّيحُ لَمْ فَعَلْتِ يِذْلِكَ. وَمَا الَّذِي حَصَلَ لَكِ مِنْ أَخْبَرٍ فِي نَهْلِي مِنْ
مَكَانِي إِلَى هُنَا. وَقَدْ كُنْتُ أَمِنَةً مُطْمِئِنَةً فِي بَيْتِي بَاعْلَى ذَلِكَ الْبَابِ: فَقَالَ
هَا الرِّيحُ: أَنْتَيِ عَنِ الْعِتَابِ. فَإِنِّي سَارَجُ بِكِ وَأُوصِلُكِ إِلَى مَكَانِكِ كَمَا
كُنْتَ أَوْلًا: فَلَيَتِ الْعَنْكُوبُ صَابِرَ عَلَى ذَلِكَ. رَاحِيَةً أَنْ تَرْجِعَ إِلَى
مَكَانِهَا حَتَّى ذَهَبَتْ رِيحُ الْشَّمَالِ وَلَمْ تَرْجِعْ إِلَيْهَا. وَهَبَتْ رِيحُ الْجَنُوبِ
فَهَرَتْ إِلَيْهَا وَأَخْنَطَفَتْهَا. وَطَارَتْ إِلَيْهَا إِلَى جَهَةِ ذَلِكَ الْبَابِ: فَلَمَّا مَرَّتْ بِهِ
عَرْفَتْهُ فَتَعْلَقَتْ بِهِ

وَنَحْنُ نَسَأُ اللَّهَ الَّذِي أَنَابَ الْمَلِكَ عَلَى وَحْدَتِهِ وَصَبَرَهُ وَرَزَقَهُ هَذَا
الْغَلَامَ بَعْدَ يَاسِهِ وَكِبَرِ سَنِيهِ. وَلَمْ يُخْرِجْهُ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا حَتَّى رَزَقَهُ فُرْقَةَ
عَيْنٍ وَهَبَ لَهُ مَا وَهَبَ مِنَ الْمُلْكِ وَالْسُّلْطَانِ. فَرَحِمَ رَعِيَّتِهِ وَلَوْلَاهُ نِعْمَتُهُ
فَقَالَ الْمَلِكُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَوْقَ كُلِّ حَمْدٍ. وَالشُّكْرُ لَهُ فَوْقَ كُلِّ شُكْرٍ. لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ الَّذِي عَرَفَنَا بِنُورٍ آثَارِهِ جَلَالَ عَظَمَتِهِ. يُؤْتَيْنِي
الْمُلْكَ وَالْسُّلْطَانَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فِي يَلَادِهِ لِأَنَّهُ يَتَّبِعُ مِنْهُمْ مَنْ يَشَاءُ
لِيَعْلَمَهُ خَلِيفَةً وَوَكِيلًا عَلَى خَلِفَهِ. وَيَامِنُ فِيمِ يَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ وَإِقَامَةِ
الْأَشْرَافِ وَالسُّنْنِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ وَالْإِسْتِقَامَةِ فِي أَمْرِهِمْ عَلَى مَا أَحَبَّ
وَاحْبَبُوا. فَمَنْ عَمَلَ مِنْهُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ كَانَ لِحَظَّهِ مُصِيبًا وَلَمْ يَرِيهِ مُطِيعًا.
فَبِكُفِيَّهِ هَوْلَ دُنْيَاهُ وَيُحْسِنُ جَزَاءَهُ فِي أُخْرَاهُ: إِنَّهُ لَا يُبْسِطُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ.

وَمَنْ عَلِمَ مِنْهُمْ بِغَيْرِ مَا أَمْرَ اللَّهُ أَخْطَأَ خَطَاةً يَلِيقًا وَعَصَى رَبَّهُ وَأَنْزَرَ دُنْيَاهُ
 عَلَى أَخْرَاهُ فَلَيْسَ لَهُ فِي الدُّنْيَا مَا ثُرَّ وَلَا فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ لَا إِنَّ اللَّهَ لَا
 يُمْهِلُ عَلَى أَهْلِ الْجَنَوْرِ وَالْفَسَادِ وَلَا يُمْهِلُ أَحَدًا مِنَ الْعِبَادِ وَقَدْ ذَكَرَ
 وَزَرَ أُولَئِنَا هُوَ لَاءُ أَنَّ مِنْ عَدِلِنَا يَنْهُمْ وَحْسِنَ تَصْرِيفَنَا مَعْمُونٌ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا
 وَعَلَيْهِمْ بِالْتَّوْفِيقِ لِشُكْرِ الْمُسْتَوْجِبِ لِمَزِيدِ اِنْعَامِهِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَالَ
 مَا أَلْهَمَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ وَبَالْغُوا فِي الشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ بِسَبَبِ
 نِعْمَتِهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَا أَشْكُرُ اللَّهَ لَا إِنِّي إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مَأْمُورٌ وَقَلِيلٌ يَدِي وَلِسَانِي
 تَائِبٌ لَهُ رَاضٌ بِمَا حَكَمَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ بِأَيِّ شَيْءٍ صَارَ وَقَدْ قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ
 مِنْهُمْ مَا خَطَرَ بِبَالِهِ مِنْ أَمْرٍ هَذَا الْغَلَامُ وَذَكَرُوا مَا كَانَ مِنْ مُتَجَدِّدِ النِّعْمَةِ
 عَلَيْنَا حِينَ بَلَغْتُ مِنَ السِّنِ حَدَّا يَغْلِبُ مَعَهُ الْيَأسُ وَضَعْفُ الْيَقِينِ وَالْحَمْدُ
 لِلَّهِ الَّذِي بَنَجَانَا مِنَ الْحَرَمَانِ وَأَخْنَافُ الْحُكَمَ كَأَخْنَافِ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ
 وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ إِنْعَامًا عَظِيمًا عَلَيْهِمْ وَعَلَيْنَا فَنَحْمَدُ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي رَزَقَنَا
 هَذَا الْغَلَامَ سَمِيعًا مُطِيعًا وَجَعَلَهُ وَارِثًا مِنَ الْخِلَافَةِ مَحَلًا رَفِيعًا نَسَأَلُهُ مِنْ
 كَرْمِهِ وَحْلِيهِ أَنْ يَجْعَلَهُ سَعِيدَ الْحَرَكَاتِ مُوفَقًا لِلْخَيْرَاتِ حَتَّى يَصِيرَ مِلِكًا
 وَسُلْطَانًا عَلَى رَعْبِتِهِ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ حَافِظًا لَهُمْ مِنْ هَلْكَاتِ الْأَعْسَافِ
 بِهِنْهِ وَكَرْمِهِ وَجُودِهِ
 فَلَمَّا فَرَغَ الْمَلِكُ مِنْ كَلَامِهِ قَامَ الْحُكَمَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَسَجَدُوا لِلَّهِ وَشَكَرُوا
 الْمَلِكَ وَقَبَّلُوا يَدَيهِ وَأَنْصَرَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى بَيْتِهِ فَعِنْدَ ذَلِكَ دَخَلَ
 الْمَلِكُ بَيْتَهُ وَأَبْصَرَ الْغَلَامَ وَدَعَا لَهُ
 فَلَمَّا مَضَى لَهُ مِنَ الْعُمُرِ أَنْتَاعَشَ سَنَةً أَرَادَ الْمَلِكُ أَنْ يُعْلِمَهُ الْعِلْمَ مُبْنَى

لَهُ قَصْرٌ فِي وَسْطِ الْمَدِينَةِ وَبَنَى فِيهِ ثَلَاثَمَائَةً وَسِتِّينَ مَقْصُورَةً. وَجَعَلَ الْفُلَامَ
فِيهِ. وَرَتَبَ لَهُ ثَلَاثَةَ مِنْ الْحُكَمَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَأَمْرَهُ أَنْ لَا يَغْفِلُوا عَنْ تَعْلِيمِهِ
لَيْلًا وَلَا نَهَارًا. وَأَنْ يَجْلِسُوا مَعَهُ فِي كُلِّ مَقْصُورَةٍ يَوْمًا وَيَحْرِصُوا عَلَى أَنْ
لَا يَكُونَ عِلْمٌ إِلَّا وَيَعْلَمُونَهُ إِيَّاهُ حَتَّى يَصِيرَ بِحِلْمٍ الْعِلُومَ عَارِفًا. وَيَكْتُبُوا
عَلَى بَابِ كُلِّ مَقْصُورَةٍ مَا يَعْلَمُونَهُ لَهُ فِيهَا مِنَ الْعِلُومِ. وَيَرْفَعُوا إِلَيْهِ فِي
كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ مَا عَرَفُهُ مِنْ أَصْنافِهَا. ثُمَّ إِنَّ الْعُلَمَاءَ أَفْبَلُوا عَلَى الْفُلَامَ
وَصَارُوا لَا يَقْتَرُونَ عَنْ تَعْلِيمِهِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا وَلَا يُؤْخِرُونَ عَنْهُ شَيْئًا حِلْمًا
عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلُومِ. فَظَاهَرَ لِلْفُلَامِ مِنْ ذَكَاءِ الْعُقْلِ وَجُودَةِ النَّفْسِ وَقُبُولِ
الْعِلْمِ مَا مِنْ يَظْهُرُ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ. وَجَعَلُوا يَرْفَعُونَ لِلْمَلِكِ فِي كُلِّ أَسْبُوعٍ
مِقْدَارَ مَا تَعْلِمُهُ وَلَدُهُ وَأَقْنَهُهُ فَكَانَ الْمَلِكُ يَسْتَظْهِرُ مِنْ ذَلِكَ عَلَيْهَا حَسَنًا
وَأَدَبًا جَيْلًا. وَقَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّا مَارَأَيْنَا قَطُّ مَنْ أُعْطِيَ فَهُمَا مِثْلُ هَذَا
الْفُلَامِ. فَبَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهِ وَمَتَعَكَ بِحِلْمِهِ

فَلَمَّا أَتَمَ الْفُلَامُ دُوَّةَ أَشْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةَ حَفِظَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ أَحْسَنَهُ وَفَاقَ
بِحِلْمِ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ الَّذِينَ فِي زَمَانِهِ. فَأَتَى بِهِ الْعُلَمَاءُ إِلَى الْمَلِكِ وَالِّي.
وَقَالُوا لَهُ: أَقْرَأَ اللَّهُ عَيْنَكَ أَيْمَانَكَ الْمَلِكُ. بِهَذَا الْوَلَدِ السَّعِيدِ. وَقَدْ أَتَيْنَاكَ بِهِ
بَعْدَ أَنْ تَعْلَمَ كُلَّ عِلْمٍ حَتَّى لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْوَقْتِ وَحُكَمَاءِهِ بَلَغَ مَا
بَلَغَهُ: فَفَرَّحَ الْمَلِكُ بِذَلِكَ فَرْحًا شَدِيدًا وَزَادَ فِي شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَرَّ سَاجِدًا
لَهُ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَهِ أَتَيْ لَا تُحْصِي. ثُمَّ دَعَا بِشَمَاسِ الْوَزِيرِ
وَقَالَ لَهُ: أَعْلَمُ بِإِشْمَاسٍ. أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ أَتَوْنِي وَأَخْبَرُونِي أَنَّ أَبِي هَذَا قَدْ
تَعْلَمَ كُلَّ عِلْمٍ وَلَمْ يُقْرَبْ مِنَ الْعِلُومِ عِلْمٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَهُ لَهُ حَتَّى فَاقَ مَنْ تَقْدَمَهُ

في ذلك . فما تقول يا شهاس : فسجد عند ذلك لله عز وجل وقبل يد
 الملائكة وقال : أبنت الياقوتة ولو كانت في الجبل الأصم إلا أن تكون مضيئة
 كالسراج . وأبنك هذا جوهرة . فما تمنعه حداثته من أن يكون حكيمًا .
 وأحمد لله على ما أولاه . وأنا إن شاء الله تعالى في غد أسلامه واستنطقه بما
 عندك في مجمع أجمعه له من خواص العلماء والأمراء : فلما سمع الملك كلام
 شهاس أمر جهازه العلماء وأذكياء الفضلاء وهم أحكماء أن يحضره
 إلى قصر الملك في غد . فحضره جميعا . فلما أجمعوا على باب الملك أذن لهم
 بالدخول ثم حضر شهاس الوزير . وعند ذلك صار أمتحان ابن الملك
 (وها نحن نور بعض أسلية وأجوية أمتحن بها فاجاب عليهما أحسن
 جواب) قال شهاس للغلام : أخبرني هل تستقيم آخر غير دنيا
 قال الغلام : من لم يكن له دنيا فلا آخر له . ولكن رأيت الدنيا وأهلها
 والمعاد الذي هم صائرون إليه كمثل أهل تلك الضياع الذين ابتلي لهم
 أمير يستضيفاً وآدخلهم فيه . ومرهم بعمل يعلمونه وضرب لكتل واحد
 منهم أجلاً وكل به شخصاً . فمن عمل منهم ما أمر به أخرجه الشخص
 الموكل به من ذلك الضيق . ومن لم ي عمل ما أمر به . وقد انقضى الأجل
 المضروب له عوقب . فيئنما هم كذلك . إذ رشح لهم من سُوق الْبَيْتِ
 عسل . فلما أكلوا من العسل وذاقوا طعمه وحلوه . توأموا في العمل
 الذي أمروا به وبدؤوا رأة ظهورهم . وصبروا على ما هم فيه من الضيق
 والغم مع ما علموا من تلك العقوبة التي هم صائرون إليها . وفجعوا بتلك
 الحلاوة البسيطة . وصار الموكل لا يدع أحداً منهم . إذا جاء أجله . إلا

وَيُخْرِجُهُ مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ. فَعَرَفَنَا أَنَّ الْدُّنْيَا دَارٌ تَحْيَى فِيهَا الْأَبْصَارُ
وَضُرِبَ لِأَهْلِهَا فِيهَا الْأَجَالُ. فَنَ وَجَدَ الْحَلَاوةَ الْقَلِيلَةَ الَّتِي تَكُونُ فِي
الْدُّنْيَا وَأَشْغَلَ نَفْسَهُ بِهَا كَانَ مِنَ الْمَا لِكِينَ. حَيْثُ أَثْرَ أَمْرَ دُنْيَا هُ عَلَى آخِرَتِهِ.
وَمَنْ يُؤْثِرُ أَمْرَ آخِرَتِهِ عَلَى دُنْيَا هُ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى تِلْكَ الْحَلَاوةِ الْقَلِيلَةِ كَانَ

مِنَ الْفَاسِدِينَ

قَالَ شَمَاسٌ: قَدْ سَمِعْتُ مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَقِيلَتْ
ذَلِكَ مِنْكَ. وَلَكِنِي قَدْ رَأَيْتُهُ مُسْلِطِينَ عَلَى الْإِنْسَانِ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ إِرْضَاعِهَا
مَعًا. وَهُمْ مُخْتَلِفُانِ، فَإِنْ أَقْبَلَ الْعَدُوُّ عَلَى طَلَبِ الْمَعِيشَةِ. فَذَلِكَ إِضْرَارٌ
بِرُوحِهِ فِي الْمَعَادِ. وَإِنْ أَقْبَلَ عَلَى الْآخِرَةِ. كَانَ ذَلِكَ إِضْرَارًا بِجَسَدِهِ. وَلَيْسَ
لَهُ سَبِيلٌ إِلَى إِرْضَاعِ الْمُتَخَالِفِينَ مَعًا

قَالَ الْغَلَامُ: إِنَّهُ مَنْ حَصَلَ الْمَعِيشَةَ فِي الدُّنْيَا نُقُوْيِهِ عَلَى الْآخِرَةِ. فَإِنِّي
رَأَيْتُ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِثْلَ مَلِكِيْنِ. عَادِلٌ وَجَاءِرٌ. وَكَانَتْ أَرْضُ
الْمَلِكِ الْجَاهِيرِ ذَاتَ أَشْجَارٍ وَأَشْمَارٍ وَنَبَاتٍ. وَكَانَ ذَلِكَ الْمَلِكُ لَا يَدْعُ أَحَدًا
مِنَ الْتَّجَارِ إِلَّا أَخَدَ مَالَهُ وَتَجَارَتْهُ. وَهُمْ صَابِرُونَ عَلَى ذَلِكَ. لِمَا يُصِيبُونَ
مِنْ خَصْبِ تِلْكَ الْأَرْضِ فِي الْمَعِيشَةِ. وَمَا الْمَلِكُ الْعَادِلُ. فَإِنَّهُ بَعَثَ
رَجُلًا مِنْ أَهْلِ أَرْضِهِ. وَأَعْطَاهُ مَا لَا قَافِرًا وَأَمَمَ أَنْ يَنْطَلِقَ إِلَى أَرْضِ
الْمَلِكِ الْجَاهِيرِ لِيَتَّمَّاعَ بِهِ جَوَاهِرَ مِنْهَا. فَأَنْطَلَقَ ذَلِكَ الرَّجُلُ بِالْمَالِ. حَتَّى
دَخَلَ تِلْكَ الْأَرْضَ. فَقَبِيلَ لِلْمَلِكِ: إِنَّهُ جَاءَ إِلَى أَرْضِكَ رَجُلٌ تَاجِرٌ وَمَعْهُ
مَالٌ كَثِيرٌ بِرِيدًا. يَتَّمَّاعَ بِهِ جَوَاهِرَ مِنْهَا: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَاحْضَرَ وَقَالَ لَهُ:
مَنْ أَنْتَ. وَمَنْ أَنْتَ أَتَيْتَ. وَمَنْ جَاءَ إِلَى أَرْضِي. وَمَا حَاجَنْكَ: فَقَالَ

لَهُ: إِنِّي مِنْ أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا. وَإِنَّ مَلِكَ الْأَرْضِ أَعْطَانِي مَا لَا
 وَأَمْرَنِي أَنْ أَبْتَاعَ لَهُ بِهِ جَوَاهِرَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ. فَامْتَشَلتُ أَمْرَأَ وَجَهْتُ:
 فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: وَيْحَكَ. أَمَا عَلِيهَا صُنْعِي بِأَهْلِ أَرْضِي مِنْ أَنِّي أَخْدُ مَا لَمْ
 فِي كُلِّ يَوْمٍ. فَكَيْفَ تَأْتِينِي بِمَا لَكَ. وَهَا أَنْتَ مُقْيِمٌ بِأَرْضِي مُنْدَكْذَا
 وَكَذَا: فَقَالَ لَهُ التَّاجِرُ: إِنَّ الْمَالَ لَيَسَ لِي مِنْهُ شَيْءٌ. وَإِنَّا هُوَ أَمَانَةٌ تَحْتَ
 يَدِي حَتَّى أُوصِلَهُ لِصَاحِبِهِ: فَقَالَ لَهُ: إِنِّي لَسْتُ بِتَارِكٍ تَأْخُذُ مَعِيشَتَكَ
 مِنْ أَرْضِي حَتَّى تَفْدِيَ نَفْسَكَ بِهَذَا الْمَالَ جَمِيعَهُ: فَقَالَ الرَّجُلُ فِي نَفْسِهِ:
 قَدْ وَقَعْتُ بَيْنَ مَلِكَيْنِ. وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ جَوْرَ هَذَا الْمَلِكِ عَالٍ مِنْ أَقَامَ
 بِأَرْضِهِ. فَإِنَّ لَمْ أَرْضِهِ كَانَ هَلَاكِي وَذَهَابُ الْمَالِ لَا بُدُّ مِنْهَا وَلَمْ أُصِبْ
 حَاجِنِي. وَإِنْ أَعْطَيْتُهُ جَمِيعَ الْمَالِ كَانَ هَلَاكِي عِنْدَ الْمَلِكِ صَاحِبِ الْمَالِ
 لَا بُدُّ مِنْهُ وَلَيْسَ لِي حِيلَةٌ سَوَى أَنِّي أُعْطَيْهُ مِنْ هَذَا الْمَالِ جُزْءًا يَسِيرًا
 وَأَرْضِي بِهِ وَادْفَعْ عَنْ نَفْسِي وَعَنْ هَذَا الْمَالِ الْهَلاَكَ. وَأُصِيبُ مِنْ خَصْبِ
 هَذِهِ الْأَرْضِ قُوتَ نَفْسِي حَتَّى أَبْتَاعَ مَا أَرِيدُ مِنْ الْجَوَاهِرِ. وَأَكُونُ قَدْ
 أَرْضَيْتُهُ بِمَا أَعْطَيْتُهُ وَأَخْذُ نَصِيبِي مِنْ أَرْضِهِ هَذِهِ . وَأَتَوْجَهُ إِلَى صَاحِبِ
 الْمَالِ بِحَاجَنِهِ. فَإِنِّي أَرْجُو مِنْ عَدْلِهِ وَتَحْاوزِهِ مَا لَا أَخَافُ مَعَهُ عَقْوَةً فِيمَا
 أَخْذَهُ هَذَا الْمَلِكُ مِنَ الْمَالِ. خُصُوصًا إِذَا كَانَ يَسِيرًا: ثُمَّ إِنَّ التَّاجِرَ دَعَا
 لِلْمَلِكِ وَقَالَ لَهُ: أَيْهَا الْمَلِكُ أَنَا أَفْتَدِي نَفْسِي بِجزْءٍ صَغِيرٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ
 مُنْدَدَخْلُتُ أَرْضَكَ حَتَّى أَخْرُجَ مِنْهَا: فَقَبِيلَ الْمَلِكُ مِنْهُ ذِلْكَ وَخَلَّ سَيِّلَهُ
 سَنَةً. فَأَشْتَرَى الرَّجُلُ بِمَا لَهُ جَمِيعَهُ جَوَاهِرَ. وَأَنْطَلَقَ إِلَى صَاحِبِهِ
 فَأَلْمَلِكُ الْعَادِلُ مِثَالٌ لِلآخرَةِ. وَأَنْجَوَاهُ أَنِّي بِأَرْضِ الْمَلِكِ أَنْجَاهُ

مِثَالُ الْحَسَنَاتِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ . وَالرَّجُلُ صَاحِبُ الْمَالِ . مِثَالٌ لِمَنْ طَلَبَ
الدُّنْيَا . وَالْمَالُ الَّذِي مَعَهُ . مِثَالٌ لِحَيَاةِ الْإِنْسَانِ . فَمَارَأَيْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِتِ
أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ يَطْلُبُ الْمَعِيشَةَ فِي الدُّنْيَا أَنْ لَا يَخْلُي يَوْمًا عَنْ طَلَبِ الْآخِرَةِ .
فَيَكُونُ قَدْ أَرْضَى الدُّنْيَا بِمَا نَالَهُ مِنْ خِصْبِ الْأَرْضِ . وَأَرْضَى الْآخِرَةِ بِمَا
يَصْرُفُ مِنْ حَيَاةِ فِي طَلَبِهَا

قَالَ شَمَاسٌ : فَأَخْبِرْنِي هَلِ الْجَسْدُ وَالرُّوحُ سَوَاءٌ فِي التَّوَابِ وَالْعِقَابِ .
أَوْ إِنَّمَا يَخْصُّ بِالْعِقَابِ صَاحِبُ الشَّهَوَاتِ وَفَاعِلُ الْخَطِيبَاتِ
قَالَ الْفَلَامُ : قَدْ يَكُونُ الْمَيْلُ إِلَى الشَّهَوَاتِ وَالْخَطِيبَاتِ مُوجِبًا لِلتَّوَابِ
بِخَبْسِ النَّفْسِ عَنْهَا وَالْتَّوْبَةِ مِنْهَا . وَالْأَمْرُ يَدِي مَنْ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيُضْدِهَا
تَبَيَّنُ الْأَشْيَا . عَلَى أَنَّ الْمَعَاشَ لَا يَبْدُ مِنْهُ لِلْجَسْدِ . وَلَا جَسْدٌ لِأَلَا بِالرُّوحِ .
وَطَهَارَةُ الرُّوحِ بِإِخْلَاصِ النِّبَيَّ فِي الدُّنْيَا وَالْإِنْفَاقَاتِ إِلَى مَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ .
فَهُمَا فَرَسَارِهَا وَرَضِيعَا لَبَانِ . وَمُشْتَرِكَانِ فِي الْأَعْمَالِ . وَبِاعْتِبَارِ النِّبَيَّ
تَفْصِيلُ الْأَجْمَالِ . وَكَذِلِكَ الْجَسْدُ وَالرُّوحُ مُشْتَرِكَانِ فِي الْأَعْمَالِ . وَفِي
التَّوَابِ وَالْعِقَابِ . وَكَذِلِكَ مُثْلُ الْأَعْنَى وَالْمُقْعَدِ . الَّذِينَ أَخْدَهُمَا رَجُلٌ
صَاحِبُ بُسْتَانٍ وَادْخَلُهَا بُسْتَانَهُ وَأَمْرَهُمَا أَنْ : لَا يُفْسِدَا فِيهِ وَلَا يَصْنَعَا فِيهِ
أَمْرًا يَضُرُّ بِهِ . فَلَمَّا طَابَتْ أَثْمَارُ الْبُسْتَانِ . قَالَ الْمُقْعَدُ لِلْأَغْمَى : وَبِحَكَّ
إِنِّي أَرَى أَثْمَارًا طَيْبَةً وَقَدْ أَشْهَدْتُهَا وَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى الْقِيَامِ إِلَيْهَا لَا كُلَّ
مِنْهَا . فَقُمْ أَنْتَ لِأَنِّكَ صَحِحُ الرِّحْلَيْنِ . وَأَتَيْتَنَا مِنْهَا بِمَا نَاكُلُ : فَقَالَ الْأَعْنَى :
وَبِحَكَّ . قَدْ ذَكَرْتَهَا لِي وَقَدْ كُنْتُ عَنْهَا غَافِلًا . وَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ .
لِأَنِّي لَسْتُ أُبَصِّرُهَا . فَمَا الْحِيلَةُ فِي تَحْصِيلِ ذَلِكَ : فَبَيْنَمَا هُمَا كَذِلِكَ . إِذْ

أَتَاهُمَا الْنَّاظِرُ عَلَى الْبُسْتَانِ. وَكَانَ رَجُلًا عَالِمًا. فَقَالَ لَهُ الْمُقْعَدُ: وَيْحَكَ.
يَا نَاظِرُ. إِنَّا قَدْ أَشْتَهَيْنَا شَيْئًا مِنْ هُذِهِ الْثَّارِ. وَخَنْدَكَ كَمَا تَرَى أَنَا مُقْعَدُ
وَصَاحِبِي هَذَا أَعْنَى لَا يُصْرُ شَيْئًا. فَمَا حِيلَتْنَا
فَقَالَ لَهُمَا الْنَّاظِرُ: وَيْحَكَ السَّنَاءُ نَعْلَمَانِ مَا قَدْ عَاهَدَ كَمَا عَلِيهِ صَاحِبُ
الْبُسْتَانِ. مِنْ أَنْكَمَا لَا تَتَعَرَّضَانِ لِشَيْءٍ مِمَّا يُؤْثِرُ فِيهِ الْفَسَادُ. فَأَنْتُمَا وَلَا تَنْعَلَا:
فَقَالَ لَهُ: لَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نُصِيبَ مِنْ هُذِهِ الْثَّارِ مَا نَأْكُلُهُ. فَأَخْبَرْنَا بِمَا عِنْدَكُ
مِنْ أَنْجِيلَةٍ: فَلَمَّا مِنْتَهَيَا عَنْ رَأْيِهَا. قَالَ لَهُمَا: أَنْجِيلَةٌ فِي ذَلِكَ أَنْ يَقُومَ
أَلَّا يَغْمِلَكَ أَهْمَالُ الْمُقْعَدِ عَلَى ظَهِيرَةِ وَيْدِنِيكَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي تُعْجِبُكَ
أَئْمَارُهَا. حَتَّى إِذَا أَذْنَاكَ مِنْهَا. تَجْنِي أَنْتَ مَا أَصْبَتَ مِنَ الْثَّارِ: فَقَامَ الْأَعْنَى
وَحَمَلَ الْمُقْعَدَ. وَجَعَلَ الْمُقْعَدَ يَهْدِيهِ إِلَى السَّيْلِ حَتَّى أَذْنَاهُ إِلَى شَجَرَةِ.
فَصَارَ الْمُقْعَدُ يَأْخُذُ مِنْهَا مَا أَحَبَّ. وَلَمْ يَزُلْ ذَلِكَ دَأْبُهَا حَتَّى أَفْسَدَ أَمَانَ
الْبُسْتَانِ مِنَ الشَّجَرِ. وَإِذَا بِصَاحِبِ الْبُسْتَانِ قَدْ جَاءَ وَقَالَ لَهُمَا: وَيْحَكَ مَا
هُذِهِ الْفِعَالُ. أَلَمْ أَعْاهِدْ كَمَا عَلَى أَنْ لَا تُفْسِدَا فِي هَذَا الْبُسْتَانِ: فَقَالَ لَهُ: قَدْ
عَلِمْتَ أَنَّا لَمْ نَقْدِرْ أَنْ نَصِلَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ أَلْشَيْءَ. لَمَّا أَحَدَنَا مُقْعَدٌ لَا يَقُومُ
وَالْأَخْرَ أَعْنَى لَا يُصْرُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ. فَمَا دَنَبْنَا

فَقَالَ لَهُمَا صَاحِبُ الْبُسْتَانِ: لَعَلَّكُمَا تَظَنَّانِ أَنِّي لَسْتُ أَخْرِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا
وَكَيْفَ أَفْسَدْتُهَا فِي بُسْتَانِي. كَانَ يِلَكَ أَهْمَالُ الْأَعْنَى قَدْ قُمْتَ وَحَمَلْتَ الْمُتَعَدَّ
عَلَى ظَهِيرَكَ. وَصَارَ يَهْدِيكَ السَّيْلِ حَتَّى أَوْصَلْتَهُ إِلَى الشَّجَرِ: بِمِنْ إِنْهَى أَخْذَهَا
وَعَاقَبْهَا عِقْوَبَةَ شَدِيدَةَ وَأَخْرَجْهَا مِنَ الْبُسْتَانِ
فَالْأَعْنَى مِثَالٌ لِلْجَسَدِ. لَأَنَّهُ لَا يُصْرُ إِلَّا بِالنَّفْسِ. وَالْمُقْعَدُ مِثَالٌ

لِلْنَّفْسِ الَّتِي لَا حَرَكَةً لَهَا إِلَّا بِالْجُسْدِ. وَأَمَا الْبُسْتَانُ فَإِنَّهُ مِثَالُ الْعِمَلِ
 الَّذِي يُحَازَّ بِهِ الْعَبْدُ. وَالنَّاظِرُ مِثَالُ الْعُقْلِ الَّذِي يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَيَنْهَا
 عَنِ الشَّرِّ. فَالرُّوحُ وَالْجُسْدُ مُشْتَرِكَانِ فِي الْعِقَابِ وَالثَّوَابِ
 قَالَ شَمَاسُ: صَدَقَتْ وَقَدْ قِيلَتْ مِنْكَ ذَلِكَ. فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْعَالَمِ
 الْعَلِيمِ. ذِي الرَّأْيِ الْسَّدِيدِ. وَالْفِطْنَةِ الْوَقَادَةِ. وَالذِّهْنِ الْفَائِقِ الْرَّاقِيقِ.
 هَلْ يُغَيِّرُ الْهُوَى وَالشَّهْوَةَ عَنْ هُنَّ الْحَالَاتِ الَّتِي ذَكَرْتَ
 قَالَ الْغَلَامُ: إِنَّ هَاتَيْنِ الْحَصْلَتَيْنِ إِذَا دَخَلْنَا عَلَى الرَّجُلِ غَيْرِ تَأْ
 عِلْمِهِ وَقَهْمِهِ. وَرَأَيْهُ وَذَهَنْهُ. وَكَانَ مَثْلُهُ مَثَلُ الْعِقَابِ الْكَاسِرِ الْحَادِرِ
 عَنِ الْقَنْصِ الْمُقِيمِ فِي جَوِ السَّمَاءِ لِفَرْطِ حِذْقِهِ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذِلِكَ إِذَا
 نَظَرَ رَجُلًا صَيَّادًا قَدْ نَصَبَ شَرَكَهُ. فَلَمَّا فَرَغَ الرَّجُلُ مِنْ نَصْبِ الشَّرَكِ
 وَضَعَ فِيهِ قِطْعَةَ لَحْمٍ. فَعِنْدَ ذَلِكَ أَبْصَرَ الْعِقَابَ قِطْعَةَ الْلَّحْمِ. فَغَلَبَ عَلَيْهِ
 الْهُوَى وَالشَّهْوَةُ حَتَّى نَسِيَ مَا شَاهَدَ مِنَ الشَّرَكِ وَمِنْ سُوءِ الْحَالِ لِكُلِّ مَا
 وَقَعَ مِنَ الطَّائِرِ. فَانْقَضَ مِنْ جَوِ السَّمَاءِ. حَتَّى وَقَعَ عَلَى قِطْعَةِ الْلَّحْمِ.
 فَأَشْتَبَكَ فِي الشَّرَكِ. فَلَمَّا جَاءَ الصَّيَادُ رَأَى الْعِقَابَ فِي شَرَكِهِ. فَتَعَجَّبَ
 عَجَبًا شَدِيدًا. وَقَالَ: أَنَا نَصَبْتُ شَرَكِي لِيَقْعُدْ فِيهِ حَمَاءً وَنَحْوَهُ مِنَ
 الْطَّيُورِ الْفَعِيفَةِ. فَكَيْفَ وَقَعَ فِيهِ هُذَا الْعِقَابُ
 وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الرَّجُلَ الْعَاقِلَ إِذَا حَمَلَهُ الْهُوَى وَالشَّهْوَةُ عَلَى أَمْرٍ يَنْدَبِرُ
 عَاقِبَةَ ذَلِكَ الْأَمْرِ بِعَقْلِهِ. فَيَمْتَنِعُ مِمَّا حَسَنَاهُ. وَيَقْهُرُ بِعَقْلِهِ شَهْوَتَهُ وَهَوَاهُ.
 فَإِذَا حَمَلَهُ الْهُوَى وَالشَّهْوَةُ عَلَى أَمْرٍ. يَنْتَعِي أَنْ يَجْعَلَ الْعُقْلَ مِثْلَ الْفَارِسِ
 الْمَاهِرِ فِي فُرُوسِيَّتِهِ. إِذَا رَكِبَ الْفَرَسَ الْأَرَاعِنَ فَإِنَّهُ يَجْدِبُهُ بِالْحِجَامِ الْشَّدِيدِ

حَتَّى يُسْتَقِيمَ وَيَهْضِبَ مَعَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ . وَمَمَّا كَانَ سَفِيهَا لَا يَعْلَمُ لَهُ وَلَا
رَأَيَ عِنْدَهُ . وَالْأَمْوَارُ مُشْتَهِيَةٌ عَلَيْهِ . وَالْهُوَى وَالشَّهْوَةُ مُسْلِطَانٌ عَلَيْهِ . فَإِنَّهُ
يَعْمَلُ بِشَهْوَتِهِ وَهَوَاهُ . فَيَكُونُ مِنَ الْمَهَالِكِينَ . وَلَا يَكُونُ فِي النَّاسِ أَسْوَأُ
حَالًا مِنْهُ

فَبَعْدَ مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ وَحُسْنِ إِصَابَةٍ فِي الْأَجَاجَيَةِ . قَالَ شَمَاسُ لِلْمَلِكِ
جُلِيعَادَ : أَيْهَا الْمَلِكُ . أَنْتَ مَلِكُنَا . وَلَكِنْ تُحِبُّ أَنْ تَعْهَدَ لَوْلَدِكَ بِالْمُلْكِ مِنْ
بَعْدِكَ . وَنَحْنُ الْخَوْلُ وَالرَّعْيَةُ : فَعِنْدَ ذَلِكَ حَتَّى الْمَلِكُ مَنْ حَضَرَ مِنْ
الْعُلَمَاءِ وَالنَّاسِ عَلَى أَنَّ مَا سَمِعُوهُ مِنْهُ يَحْفَظُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ . وَأَمْرَهُمْ أَنَّ
يَمْتَشِلُوا أَمْرًا أَبْنِهِ فَإِنَّهُ جَعَلَهُ وَلِيًّا عَهْدَهُ مِنْ بَعْدِهِ . لِيَكُونَ خَلِيفَةً عَلَى مُلْكِ
وَالْإِلَهِ . وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالشُّجَاعَانِ وَالشُّيوخِ
وَالصَّيَّانِ وَبَقِيَّةِ النَّاسِ . أَنْ لَا يَخَالِفُوا عَلَيْهِ وَلَا يَنْكِثُوا عَلَيْهِ أَمْرًا . فَلَمَّا آتَى
عَلَى أَبْنِ الْمَلِكِ سَبْعَ عَشَرَةَ سَنَةً . مَرِضَ الْمَلِكُ مَرَضًا شَدِيدًا حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى
الْمَوْتِ . فَلَمَّا أَيْقَنَ الْمَلِكُ أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ نَزَلَ بِهِ . قَالَ لِأَهْلِهِ : هَذَا دَاءُ الْمَوْتِ
قَدْ نَزَلَ بِي . فَأَدْعُوكُمْ لِي أَقْارَبِي وَوَلَدِي وَاجْمَعُوكُمْ لِي أَهْلَ مَمْلَكَتِي . حَتَّى لَا
يَسْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَيَحْضُرُ : فَخَرَجُوكُمْ وَنَادَوكُمْ النَّاسَ الْفَرِيقَيْنِ . وَاجْهَرُوكُمْ
بِالْنِّدَاءِ لِلنَّاسِ الْبَعِيدَيْنِ . حَتَّى حَضُورُكُمْ يَاجْمَعِيكُمْ وَدَخْلُوكُمْ عَلَى الْمَلِكِ . ثُمَّ قَالُوكُمْ
لَهُ : كَيْفَ أَنْتَ . أَيْهَا الْمَلِكُ . وَكَيْفَ تَرَى لِنَفْسِكَ مِنْ مَرَضِكَ هَذَا : قَالَ
لَهُ الْمَلِكُ : إِنَّ مَرَضِي هَذَا هُوَ الَّذِي فِيهِ الْقَاضِيَةُ وَقَدْ نَفَذَ السُّمُّ بِمَا قَدَرَهُ
اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ . وَأَنَا الْأَكَرَ في أَخْرِيَّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا وَأَوْلَيَّ يَوْمٍ مِنْ
أَيَّامِ الْآخِرَةِ : ثُمَّ قَالَ لِأَبْنِهِ : أَذْنُ مِنِي فَدَنَا مِنْهُ الْغَلَامُ . وَهُوَ يَكُونُ بِكَاهَ

شَدِيدًا . حَتَّىٰ كَادَ أَنْ يُلْلَمْ فِرَاشَهُ . وَالْمَلِكُ قَدْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَبَكَى كُلُّ مَنْ حَضَرَ . ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ لِوَلَيْهِ : لَا تَبْكِ يَا أَبْنِي . فَإِنِّي لَسْتُ بِأَوْلَى مَنْ جَرَى لَهُ هَذَا الْحَنْوُمُ لِأَنَّهُ سَائِرٌ عَلَى جَمِيعِ مَا خَلَفَهُ اللَّهُ . وَاعْمَلْ خَيْرًا يَسْبِقُكَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي تَفْصِلُهُ جَمِيعُ الْخَلَائِقِ . وَلَا تُطِعِ الْهَوَى وَأَشْغَلْ نَفْسَكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي فِيَامِكَ وَقُوْدِكَ وَيَقْظِتِكَ وَنَوْمِكَ . وَاجْعَلْ الْحَقَّ نُصْبَ عَيْنِكَ . وَهَذَا آخِرُ كَلَامِي مَعَكَ وَالسَّلَامُ

فَقَالَ الْغَلامُ لِأَبِيهِ : قَدْ عَلِمْتَ يَا أَبَتِ . أَنِّي لَمْ أَزِلْ لَكَ مُطِيعًا وَلَوْصِيتَكَ حَافِظًا . وَلَا مِرْكَ مُنْفِدًا . وَلِرِضاكَ طَالِبًا . وَأَنْتَ لِي نِعْمَ الْأَبُ . فَكَيْفَ أَخْرُجُ بَعْدَ مَوْتِكَ عَمَّا تَرَضَى بِهِ . وَأَنْتَ بَعْدَ حُسْنِ تَرِيَتِي مُفَارِقٌ لِي وَلَا أَقْدِرُ عَلَى رِدِّكَ عَلَيْهِ . فَإِذَا حَنِفْتُ وَصِيتَكَ صِرْتُ بِهَا سَعِيدًا وَصَارَ لِي الْنَّصِيبُ الْأَكْبَرُ : فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ وَهُوَ فِي غَايَةِ الْأَسْتِغْرَاقِ مِنْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ : يَا بْنِي . الْزَّمْ عَشَرَ خَصَالٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ . وَهُنَّ : إِذَا أَغْنَيْتَ فَاكْفِمْ غَيْظَكَ . وَإِذَا لَبِسْتَ فَاصِيرْ . وَإِذَا نَطَقْتَ فَاصْدُقْ . وَإِذَا وَعَدْتَ فَأَلْوَفْ . وَإِذَا حَكَمْتَ فَأَعْدِلْ . وَإِذَا قَدَرْتَ فَأَعْفُ . وَأَكْرِمْ قُوَّادَكَ . وَأَصْفَحْ عَنْ أَعْدَاءِكَ . وَأَبْذُلْ مَعْرُوفَكَ لِعَدُوِّكَ . وَكُفْ أَذَاكَ لَهُ . وَالْزَّمْ أَيْضًا عَشَرَ خَصَالٍ أُخْرَى يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا فِي أَهْلِ مَلَكِتَكَ وَهِيَ : إِذَا قَسَمْتَ فَأَعْدِلْ . وَإِذَا عَاقَبْتَ بِحَقِّ فَلَا تَتَجَبَّرْ . وَإِذَا عَاهَدْتَ فَأَوْفِ بِعَهْدِكَ . وَأَقْبَلَ الْعُصْمَ . وَأَنْزَلَكَ الْجَاهَةَ . وَالْزَّمْ الْرَّعْيَةَ بِالْأَسْتِقَامَةِ عَلَى الشَّرَائِعِ وَالسَّنَنِ الْحَمِيمَةِ . وَكُنْ حَاكِمًا عَادِلًا بَيْنَ النَّاسِ . حَتَّىٰ يُجْبِكَ كَيْرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ وَيَخَافُكَ عَاتِيَّهُمْ وَمُفْسِدُهُمْ : ثُمَّ قَالَ لِلْحَاضِرِينَ مِنْ

الْعَلَمَاءُ وَالْأَمْرَاءُ. الَّذِينَ كَانُوا حَاضِرِينَ عَهْدَ لِوَلَيِّ الْمُلْكِ مِنْ بَعْدِهِ:
 إِيَّاهُمْ وَمُخَالَفَةُ أَمْرِ مَلِكِهِمْ. وَتَرْكُ الْأَسْفَاعَ لِكَبِيرِهِمْ. فَإِنَّ فِي ذَلِكَ هَلَاكًا
 لِأَرْضِهِمْ. وَتَفْرِيقًا لِجَمِيعِهِمْ. وَضَرَرًا لِأَبْدَانِهِمْ وَنَفَرًا لِأَمْوَالِهِمْ فَتَشَمَّتْ بِهِمْ
 أَعْدَاؤُهُمْ. وَهَا أَنْتُمْ عَلِمْتُمْ مَا عَاهَدْتُمْ نَوْنِي عَلَيْهِ. فَهَذَا يَكُونُ عَهْدُهُمْ مَعَ
 هَذَا الْغَلَامِ وَالْمِنَاقُ الَّذِي يَبْيَئِي وَيَسْتَكِنُ يَكُونُ أَيْضًا يَتَمْ وَيَتَهُ. وَعَلَيْكُمْ
 بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِأَمْرِي. لَآنَ فِي ذَلِكَ صَلَاحٌ أَحْوَالِهِمْ. وَأَثْبَتوْا مَعَهُ عَلَى مَا
 كُنْتُمْ مَعِي فَتَسْتَقِيمُ أَمْرُوكُمْ وَيَخْسِنُ حَالُكُمْ وَهَا هُوَ ذَا مَلِكُكُمْ وَوَلِيُّ نِعَمِكُمْ
 وَالسَّلَامَةُ: ثُمَّ بَعْدَ هَذَا اشْتَدَّتْ بِهِ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ. وَأَنْجَمْ لِسَانُهُ. فَضَمَّ أَبْنَهُ
 إِلَيْهِ وَقَبَّلَهُ وَشَكَرَ اللَّهَ ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ. وَطَلَعَتْ رُوحُهُ. فَنَاجَ عَلَيْهِ جَمِيعُ رَعَيَّةِ
 وَأَهْلِ مَلَكِتِهِ. ثُمَّ إِنَّهُمْ كَفَنُوهُ وَدَفَنُوهُ بِإِكْرَامٍ وَتَبَجِيلٍ وَاعْظَامٍ. ثُمَّ
 رَجَعُوا وَالْغَلَامُ مَعْهُمْ. فَأَلْبَسُوهُ حُلَّةَ الْمُلْكِ. وَتَوَجَّهُوْ يَتَاجِرُ وَالِّيُّ وَالْبَسُوْنُ
 الْخَاتَمُ فِي أَصْبِعِهِ وَأَجْلَسُوهُ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ. فَسَارَ الْغَلَامُ فِيهِمْ بِسِيرَةِ أَيْهِ
 بِالنَّحْلِ وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ مُذَكَّرٍ يَسِيرَةً. ثُمَّ تَعَرَّضَتْ لَهُ الْأَنْذِيَا وَجَدَتْهُ
 يَشْهُوْنَهَا. فَاسْتَغْنَمَ لَذَاتِهَا وَأَقْبَلَ عَلَى زَخَارِفِ أَمْوَارِهَا وَتَرَكَ مَا كَانَ فَلَدَّ
 أَبُوهُ مِنَ الْمَوَاثِيقِ. وَبَنَدَ الطَّاعَةَ لِوَلَيِّهِ وَأَهْمَلَ مَهْلِكَتَهُ. وَمَشَى فِي مَا فِيهِ
 هَلَالُهُ مُذَكَّرٌ مِنَ الزَّمَانِ. إِلَّا أَنَّهُ بَعْدَ عَسْفِهِ عَادَ إِلَى حُسْنِ السِّيرَةِ وَالسِّيَاسَةِ
 وَهَذَا مَا أَنْتَهُ إِلَيْهِ أَمْرُ الْمَلِكِ جُلِيْعَادَ وَلَيْهِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا يَنْتَهِي

حِكَايَةُ الطَّيْوَرِ وَالْوُحُوشِ

مَعَ أَبْنَى آدَمَ

زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَسَالِفِ الْعَصْرِ أَلْأَوَانِ طَاؤُوسُ
يَأْوِي إِلَى جَانِبِ الْجَرْمِ مَعَ زَوْجِهِ وَكَانَ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ كَثِيرًا لِلسَّبَاعِ وَفِيهِ
مِنْ سَائِرِ الْوُحُوشِ كَثِيرًا لِلْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ وَذَلِكَ الطَّاؤُوسُ
هُوَ زَوْجُهُ يَأْوِيَاتٍ إِلَى شَجَرَةِ مِنْ تِلْكَ الْأَشْجَارِ لَيْلًا مِنْ خَوْفِهِمَا مِنَ
الْوُحُوشِ وَيَغْدُوَانِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ نَهَارًا وَلَمْ يَزَالَ كَذِلِكَ حَتَّى كَثُرَ
خَوْفُهُمَا فَسَارَا يَبْغِيَانِ مَوْضِعًا غَيْرَ مَوْضِعِهِمَا يَأْوِيَاتٍ إِلَيْهِ فَيَبْغِيَانِهَا
يَفْتَشَانِ عَلَى مَوْضِعٍ إِذْ ظَهَرَتْ لَهُمَا جَزِيرَةٌ كَثِيرَةُ الْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ فَنَزَّلَ
فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَكَلَامِنْ أَنْهَارِهَا وَشَرِبَا مِنْ أَنْهَارِهَا فَيَبْغِيَانِهَا كَذِلِكَ
إِذَا بَيْطَلَةً أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمَا وَهِيَ فِي شَدَّةِ الْفَزَعِ وَلَمْ تَنْزَلْ تَسْعَيْ حَتَّى أَتَتْ إِلَيْهِمَا
الْشَّجَرَةُ الَّتِي عَلَيْهَا الْطَّاؤُوسُ هُوَ زَوْجُهُ فَأَطْمَانَتْ فَلَمْ يَشُكْ الْطَّاؤُوسُ
فِي أَنَّ تِلْكَ الْبَطَّةَ لَهَا حِكَايَةٌ عَجِيبَةٌ فَسَاءَهَا عَنْ حَالِهَا وَعَنْ سَبَبِ خَوْفِهَا
فَقَالَتْ إِنِّي مَرِيَضَةٌ مِنَ الْحُزْنِ وَخَوْفِي مِنْ أَبْنَى آدَمَ فَحَذَارٌ حَذَارٌ
مِنْ بَنِي آدَمَ فَقَالَ لَهَا الْطَّاؤُوسُ لَا تَخَافِي حَيْثُ وَصَلَتِ إِلَيْنَا فَقَالَتْ
الْبَطَّةُ أَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي فَرَّجَ هَمِّي وَغَيْرِي بِقُرْبِكُمَا وَقَدْ أَتَيْتُ رَاغِبَةً فِي
مَوْدَّتِكُمَا فَلَمَّا فَرَغَتْ مِنْ كَلَامِهَا نَزَّلَتْ إِلَيْهَا زَوْجُهُ الْطَّاؤُوسِ وَقَالَتْ
لَهَا أَهْلًا وَسَهْلًا لَا بَأْسَ عَلَيْكِ وَمِنْ أَبْنَى بَصِيلُ إِلَيْنَا أَبْنَى آدَمَ وَنَحْنُ فِي
تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الَّتِي فِي وَسْطِ الْجَرْمِ فَنَّ الْبَرِّ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَصِيلَ إِلَيْنَا وَمِنْ
الْجَرْمِ لَا يُهِنُ أَنْ يَطْلَعَ عَلَيْنَا فَأَبْشِرِي وَحَدِّثْنَا بِالَّذِي نَزَّلَ بِكِ وَأَعْتَرَكِ

مِنْ أَبْنَى آدَمَ : فَقَالَتْ الْبَطْرَةُ : أَعْلَمُ بِأَيْمَانِهَا الظَّاوِوْسَةُ . أَنْتَ فِي هَذِهِ الْجُزِيَّةِ
طُولَ عُمْرِي أَمْنَةٌ لَا أَرَى مَكْرُوهًا . فَنَفِتُ لِيَلَةَ مِنَ الْلَّيَالِي . فَرَآتُ صُورَةَ
أَبْنَى آدَمَ وَهُوَ يَخَاطِبِي وَأَخَاطِبُهُ . وَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ لِي : أَيْمَانَ الْبَطْرَةِ .
أَحْدَرِي مِنْ أَبْنَى آدَمَ . وَلَا تَغْنِي بِكَلَامِهِ . وَلَا يَمْدُدْ خَلُهُ عَلَيْكِ . فَإِنَّهُ
كَثِيرُ الْجَبَلِ وَالْجِنَّادَاعِ . فَأَحْدَرَ كُلَّ الْجَنَّادِرِ مِنْ مَكْرِ فَيَانَةِ حُنَادِعِ مَاكِرِ .
كَأَقَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ

بُعْطِيلَكَ مِنْ طَرَفِ الْلِّسَانِ حَلَاوةً وَبِرُوعِ مِنْكَ كَمَا يُرُوغُ الْشَّعَابُ
وَأَعْلَمُ بِأَنَّ أَبْنَى آدَمَ بَجْنَالٍ عَلَى الْجِنَّاتِانِ . فَيَخِرُجُهَا مِنَ الْجَهَارِ . وَبِرُوحِ
الْطَّيْرِ بِسُندُقَةٍ مِنْ طِينِ . وَيُوْقِعُ الْفِيلَ بِمِكْنِ . وَأَبْنُ آدَمَ لَا يَسْلُمُ أَحَدٌ
مِنْ شَرِّهِ . وَلَا يَنْجُو طَيْرٌ وَلَا وَحْشٌ . وَقَدْ بَلَغْتُكَ مَا سَمِعْتُهُ عَنْ أَبْنَى آدَمَ .
فَأَسْتَيْقَضْتُ مِنْ مَنَامِي خَافِقَةً مَرْعُوبَةً . وَأَنَا إِلَى الْآنِ لَا يَنْشَرِحُ صَدْرِي
خَوْفًا عَلَى نَفْسِي مِنْ أَبْنَى آدَمَ . لَيْلًا يَدْهَنِي بِجِيلِهِ وَبِصِيدَنِي بِجَبَائِلِهِ . وَلَمْ
يَأْتِ عَلَيَّ أَخْرُ الْهَارِ إِلَّا وَقَدْ ضَعَفَتْ قُوَّتِي . وَبَطَلَتْ هِمَّتِي . ثُمَّ إِنِّي
أَشَقَتُ إِلَى الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ . فَخَرَجْتُ أَتَمَشِّي وَخَاطِرِي مُكَدَّرٌ وَقَلْبِي
مُقْبُوضٌ . فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَى ذِلِّكَ الْجَبَلِ . وَجَدْتُ عَلَى بَابِ مَغَارَةٍ شَبَّالًا
أَصْفَرَ اللَّوْنِ . فَمَا رَأَيْتِ ذِلِّكَ الشِّبْلُ فَرِحَ بِقَرَحَ شَدِيدًا وَأَعْجَبَهُ لَوْنِي
وَكَوْنِي لَطِيفَةَ الْذَّدَاتِ . فَصَاحَ عَلَيَّ وَقَالَ لِي : أَقْرُبِي مِنِي . فَلَمَّا قَرُبْتُ مِنْهُ
قَالَ لِي : مَا أَسْهُكِ . وَمَا جِنْسِكِ . فَقُلْتُ لَهُ : أَسْمِي بَطَّةً . وَأَنَا مِنْ جِنْسِ
الْطَّيْرِ . ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : مَا سَبَبُ قُوْدِكَ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ فِي هَذَا الْمَكَانِ .
فَقَالَ الشِّبْلُ : سَبَبُ ذِلِّكَ . أَنَّ وَالِدِيَ الْأَسَدَ لَهُ أَيَّامٌ وَهُوَ يَحْدُرُ بِنِي مِنْ

أَبْنَى آدَمَ . فَأَتَقْرَبَ أَنِي رَآيْتُ فِي هَذِهِ الْلَّيْلَةِ فِي مَنَاعِي صُورَةً أَبْنَى آدَمَ . ثُمَّ إِنَّ
 الشِّبْلَ حَمْكَ لِي نَظِيرَ مَا حَكِيَتُهُ لَكَ
 فَلَمَّا سَعَتْ كَلَامَةً . قُلْتُ لَهُ يَا أَسْدُ : إِنِّي قَدْ جَاءَتْ إِلَيْكَ فِي أَنْ : نَفْتَلَ
 أَبْنَى آدَمَ . فَإِنِّي أَخَافُ عَلَى نَفْسِي حَوْفَأَشَدِيْلًا . وَأَزَدَدُتْ حَوْفَأَعَلَى حَوْفِي
 مِنْ حَوْفَكَ مِنْ أَبْنَى آدَمَ مَعَ أَنْكَ سُلْطَانُ الْوُحُوشِ . وَمَا زَلْتُ يَا أَخْنَى
 أُحَذِّرُ الشِّبْلَ مِنْ أَبْنَى آدَمَ . وَأَوْصِيهِ بِقُتْلِهِ . حَتَّى قَامَ مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ مِنْ
 الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ . وَتَمَسَّى وَتَمَشَّى وَرَاهَهُ . فَفَرَقَ بِدَنِيهِ عَلَى ظَهِيرَهِ
 وَلَمْ يَزِلْ يَتَمَسَّى وَنَا أَمْشَى وَرَاهَهُ إِلَى مَفْرَقِ الْطَّرِيقِ . فَوَجَدْنَا غَبَرَةَ طَارَاتِ
 وَبَعْدَ ذَلِكَ أَنْكَشَفْتُ الْغَبَرَةَ . فَبَانَ مِنْ تَحْتِهَا حَمَارٌ شَارِدٌ عُرَيَانٌ . وَهُوَ
 تَارَةٌ يَقْبَصُ وَيَجْرِي . وَتَارَةٌ يَسْرُغُ . فَلَمَّا رَأَاهُ أَسْدُ صَاحَ عَلَيْهِ . فَأَتَى إِلَيْهِ
 خَاضِعًا . فَقَالَ لَهُ : أَبْهَا أَحْيَوْنُ الْخَرْفَ الْعَقْلِ . مَا جِنْسُكَ . وَمَا سَبْبُ
 قُدُومِكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ : فَقَالَ لَهُ : يَا أَبْنَى السُّلْطَانِ أَنَا جِنْسِي حَمَارٌ .
 وَسَبْبُ قُدُومِي إِلَى هَذَا الْمَكَانِ هَرَبِي مِنْ أَبْنَى آدَمَ : فَقَالَ لَهُ الشِّبْلُ : وَهَلْ
 أَنْتَ خَائِفٌ مِنْ أَبْنَى آدَمَ أَنْ يَقْتَلَكَ : فَقَالَ لَهُ أَنْجَمَارُ : لَا يَا أَبْنَى السُّلْطَانِ .
 قَاتَنَّا حَوْفِي أَنْ يَعْمَلَ حِيلَةَ عَلَيَّ وَيَرْكَبِنِي . لَأَنَّ عِنْدَ شَيْئًا يُسَمِّيهِ الْبَرْدَعَةَ
 فَيَعْلَمُهَا عَلَى ظَهِيرِي . وَشَيْئًا يُسَمِّيهِ الْحَزَامَ . فَيَشْكُ عَلَى بَطْنِي . وَشَيْئًا يُسَمِّيهِ
 الْجَحَامَ فَيَحْعَلُهُ فِي قَيْ . وَيَعْمَلُ لِي مَخْنَاسًا يَخْسِنِي بِهِ . وَيَكْلُفُنِي مَا لَا أَطِيقُ مِنْ
 أَنْجَرِي . وَإِذَا عَثَرْتُ لَعْنِي . وَإِنْ نَهَقْتُ شَتَّمِي وَبَعْدَ ذَلِكَ إِذَا كَبَرْتُ . وَلَمْ
 أَفْدِرْ عَلَى أَنْجَرِي . يَجْعَلُ لِي رَحْلًا مِنَ الْخَشْبِ وَيُسْلِمُنِي إِلَى السَّقَائِينَ
 فَيَحْمِلُونَ الْمَاءَ عَلَى ظَهِيرِي مِنَ الْجَهْرِ فِي الْقِرَبِ وَنَحْوُهَا كَانْجَرَارِ وَلَا أَزَالُ

فِي ذُلْ وَهَوَانٍ وَتَعَبٍ حَقَّ أُمُوتَ فَيَرْمُونِي فَوْقَ الْتِلَالِ لِلْكَلَابِ . فَأَيْ
شِيْ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا الْأَمْ . وَأَيْ مُصِيبَةٌ أَكْبَرُ مِنْ هَذِهِ الْمَصَائِبِ
فَلَمَّا سَمِعَتُ أَيْمَهَا الطَّاواوِسَةَ كَلَامَ الْحِمَارِ أَفْسَعَرَ جَسَدِي مِنْ أَبْنِ آدَمَ
وَقُلْتُ لِلشِّبْلِ : يَا سَيِّدِي إِنَّ الْحِمَارَ مَعْدُورٌ . وَقَدْ زَادَنِي كَلَامُهُ رُعَباً عَلَى
رُغْبِي : فَقَالَ الشِّبْلُ لِلْحِمَارِ : إِلَى أَيْنَ أَنْتَ سَائِرٌ ؟ فَقَالَ لَهُ الْحِمَارُ : إِلَيْنِ نَظَرْتُ
أَبْنَ آدَمَ قَبْلَ إِشْرَاقِ السَّمْسَيْ مِنْ بَعْدِهِ . فَفَرَرْتُ هَرَبًا مِنْهُ . وَهَا أَنَا أَرِيدُ
أَنْ أَنْطَلِقَ . وَمَمْ أَزَلْ أَجْرِي مِنْ شَفَّ خَوْ فِي مِنْهُ . لَعَلِيْ أَجِدُ لِي مَوْضِعاً
يَأْوِيْنِي مِنْ أَبْنِ آدَمَ الْغَدَارِ

فَيَنْهَا ذَلِكَ الْحِمَارُ يَتَحَدَّثُ مَعَ الشِّبْلِ فِي ذَلِكَ الْكَلَامِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ
يُوَدِّعَنَا وَيَرُوحَ . إِذْ ظَهَرَتْ لَنَا غَبْرَةً . وَنَظَرَ الْحِمَارُ بِعَيْنِهِ إِلَى نَاحِيَةَ
الْغَبْرَةِ . فَنَهَقَ وَصَاحَ . وَبَعْدَ سَاعَةٍ أَنْكَشَفَتِ الْغَبْرَةُ عَنْ فَرَسِ آدَمَ
بِغَرَقِ كَالْدَرَهِ . وَذَلِكَ الْفَرَسُ طَرِيفُ الْغَرَقِ مَلِحُ الْجَبَيلِ حَسَنُ
الْقَوَاعِمِ وَالصَّهِيلِ وَمَمْ يَزَلْ يَجْرِي حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الشِّبْلِ أَبْنِ آدَمِ .
فَلَمَّا رَأَهُ الشِّبْلُ أَسْتَعْظِمَهُ وَقَالَ لَهُ : مَا حِنْسَكَ أَيْهَا الْوَحْشُ الْجَبَيلُ .

وَمَا سَبَبُ شُرُودِكَ فِي هَذَا الْبَرِّ الْعَرِيْضِ الْطَّوِيلِ ؟ فَقَالَ لَهُ : يَا سَيِّدَ
الْوَحْشِ . أَنَا فَرَسٌ مِنْ جِنْسِ الْجَبَيلِ . وَسَبَبُ شُرُودِي هَرَبِي مِنْ أَبْنِ آدَمَ
آدَمَ : فَتَنَجَّبَ الشِّبْلُ مِنْ كَلَامِ الْفَرَسِ وَقَالَ لَهُ : لَا تَقْلِ هَذَا الْكَلَامَ .
فَإِنَّهُ عَيْبٌ عَلَيْكَ : وَأَنْتَ طَوِيلٌ غَلِيلٌ وَكَيْفَ تَخَافُ مِنْ أَبْنِ آدَمَ مَعَ عِظَمِ
جَشْتِكَ . وَسُرْعَةِ حَرَبِكَ : وَأَنَّا مَعَ صَغِيرٍ جَسَمِي قَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَتَقْنِي مَعَ
أَبْنِ آدَمَ فَأَبْطَشَ بِهِ وَأَكْلَ لَهُمْ وَأَسْكَنَ رَوْعَ هَذِهِ الْبَطْطَةِ الْمِسْكِينَةِ

وَأَقْرَهَا فِي وَطْنِهَا وَهَا أَنْتَ لَمَّا أَتَيْتَ فِي هُنْهِ السَّاعَةِ قَطَعْتَ قَلْبِي بِكَلَامِكَ
 وَأَرْجَعْتَنِي عَمَّا أَرْدَتُ أَنْ أَفْعَلَهُ فَإِذَا كُنْتَ أَنْتَ مَعَ عِظِيمِكَ قَدْ فَهَرَكَ أَبْنُ
 آدَمَ وَلَمْ يَخْفِ مِنْ طُولِكَ وَعَرْضِكَ مَعَ أَنْكَ لَوْرَفْسَتَهُ بِرِجْلِكَ لَقْتَلْتَهُ
 وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْكَ بَلْ تَسْقِيهِ كَلْسَ الرَّدَى: فَضَحِكَ الْفَرَسُ لَمَّا سَيَعَ كَلَامَ
 الشِّبْلِ وَقَالَ: هَيَّاهاتِ هَيَّاهاتِ أَنْ أَغْلِمَهُ يَا أَبْنَ الْمَلِكِ. فَلَا يَغْرِكَ طُولِي
 وَلَا عَرْضِي وَلَا ضَخَامِي مَعَ أَبْنِ آدَمَ لَأَنَّهُ مِنْ شَدَّ حِيلَهِ وَمَكْنِي يَصْنَعُ لِي
 شَيْئًا يُقَالُ لَهُ الشِّكَالُ وَيَضَعُ فِي أَرْبَعَ قَوَائِمِي شِكَالَيْنِ مِنْ حِبَالِ الْلَّيفِ
 الْمَلْفُوفَةِ بِاللُّبَادِ وَيَصْلِبُنِي مِنْ رَأْسِي فِي وَتَدِ عَالٍ فَابْقِي فَاقْفَانًا وَأَنَا مَصْلُوبٌ
 لَا أَقْدِرُ أَنْ أَقْعُدَ وَلَا أَنَامَ فَإِذَا رَأَدَ أَنْ يَرْكَبِنِي يَعْمَلُ لِي شَيْئًا فِي رِجْلِي
 مِنْ الْحَدِيدِ أَسْمَهُ الْرِّكَابُ وَيَضَعُ عَلَى ظَهِيرِي شَيْئًا يُسَمِّيهُ السَّرْجَ وَيَشْكُ
 بِحَزَامِيْنِ مِنْ تَحْتِ إِبْطِي وَيَضَعُ فِي فَيِّ شَيْئًا مِنْ الْحَدِيدِ يُسَمِّيهُ الْلِّحَامَ وَيَضَعُ
 فِيهِ شَيْئًا مِنْ الْجِلْدِ يُسَمِّيهُ الْصِّرَعَ فَإِذَا رَكَبَ فَوْقَ ظَهِيرِي عَلَى السَّرْجِ
 يُمْسِكُ الْصِّرَعَ بِيَدِهِ وَيَقُولُنِي بِالرِّكَابِ فِي خَوَاصِرِي حَتَّى
 يُدْمِيَهَا وَلَا تَسْأَلَ يَا أَبْنَ السُّلْطَانِ عَمَّا أَفَاسِبِهِ مِنْ أَبْنِ آدَمَ فَإِذَا كَبُرْتُ
 فَأَنْتَلَ ظَهِيرِي وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى سُرْعَةِ الْجَهْرِيِّ بِسَعْيِنِي لِلطَّهَانِ لِيُدَوِّرَنِي فِي
 الْطَّاحُونِ فَلَا أَرَأَلُ دَائِرًا فِيهَا لَيْلًا وَهَمَارًا إِلَى أَنْ أَهْرَمَ فَيَبْعِينِي لِلْجَزَّاءِ
 فَيَدْبَحُنِي وَبِسَخْنِ جَلْدِي وَيَنْتِفُ ذَنَبِي وَيَسْعِهَا لِلْغَرَابِيِّ وَالْمَنَاخِيِّ وَبِسَلَامَشِجِي
 فَلَمَّا سَيَعَ الشِّبْلُ كَلَامَ الْفَرَسِ أَزْدَادَ غَيْظًا وَغَهَّا وَقَالَ لَهُ: مَنْيَ فَارَقْتَ
 أَبْنَ آدَمَ فَقَالَ فَارَقْتُهُ نِصْفَ النَّهَارِ وَهُوَ فِي أَشْرِي: فَيَسْتَهِمَا الشِّبْلُ بِتَحْدِثِ مَعَ
 الْفَرَسِ بِهَذَا الْكَلَامِ إِذَا بَغَرَقَ ثَارَتْ وَبَعْدَ ذَلِكَ أَنْكَشَفَتِ الْغَبَرَةُ وَبَانَ

مِنْ تَحْتِهَا جَمْلٌ هَاجَ وَهُوَ يَسْعِيْ وَيَجْهِيْ بِرِّ جَلِيْهِ فِي الْأَرْضِ وَلَمْ يَزِلْ يَفْعُلْ
 كَذِلِكَ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْنَا. فَلَمَّا رَأَهُ الشِّبْلُ كَبِيرًا غَلِيْظًا ظَنَّ أَنَّهُ أَبْنُ آدَمَ
 فَأَرَادَ الْوُثُوبَ عَلَيْهِ. فَقَلَّتُ لَهُ: يَا أَبْنَ السُّلْطَانِ إِنَّ هَذَا مَا هُوَ أَبْنُ آدَمَ.
 وَإِنَّمَا هَذَا جَمْلٌ وَكَانَ هَارِبٌ مِنْ أَبْنِ آدَمَ: فَيَنِمُّهَا أَنَا يَا أَخْيَرِيْ مَعَ الشِّبْلِ
 فِي هَذَا الْكَلَامِ. وَإِذَا بِالْجَمْلِ نَدَمَ يَنْ أَيَادِيْهِ الشِّبْلِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ. فَرَدَّ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ لَهُ: مَا سَبَبُ مَجْبِيلِكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ؟ قَالَ: حِبْتُ هَارِبًا
 مِنْ أَبْنِ آدَمَ: قَالَ لَهُ الشِّبْلُ: وَأَنْتَ مَعَ عِظَمٍ خَلْقِنِكَ وَطُولِكَ وَعَرْضِكَ
 كَيْفَ تَخَافُ مِنْ أَبْنِ آدَمَ وَلَوْ رَفَصْتَهُ بِرِّ جَلِكَ رَفَصَهُ لَقْتَلَهُ: فَقَالَ لَهُ
 الْجَمْلُ: يَا أَبْنَ السُّلْطَانِ. أَعْلَمُ أَنَّ أَبْنَ آدَمَ لَهُ دَوَاءٌ لَا تُطَاقُ وَمَا يَغْلِبُهُ
 إِلَّا الْمَوْتُ. لَا نَهُ يَضُعُ فِي أَنْفِي خَيْطًا وَيُسَمِّيهِ خَزَاماً وَيَجْعَلُ فِي رَأْسِي مِقْوَدًا
 وَيُسْلِمُنِي إِلَى أَصْغَرِ أَوْلَادِهِ فَيَهُنِي الْوَلْدُ الصَّغِيرُ بِالْجَهِيْطِ مَعَ كَبِيرِيِّ وَعِظَمِيِّي
 وَيُحَمِّلُونِي أَشْقَلَ الْأَحَالِ وَيُسَافِرُونِي أَلْأَسْفَارَ الْطَّوَالَ وَيَسْتَعِمِلُونِي فِي
 الْأَشْغَالِ الشَّاقَةِ أَنَّاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ. وَإِذَا كَبُرْتُ وَشَخَّتْ أَوْ
 أَنْكَسْتُ. فَلَا يَجْهَظُ صُحْبِيِّ بَلْ يَسْبِعُنِي لِلْجَزَارِ فِي دِبْرِيِّي وَيَبْيَعُ جَلْدِي
 لِلْدَّبَّابَيْنِ وَلَحْبِي لِلْطَّبَابَيْنِ. وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا أَفَاصِي مِنْ أَبْنِ آدَمَ: فَقَالَ لَهُ
 الشِّبْلُ: أَيَّ وَقْتٍ فَارَقْتَ أَبْنَ آدَمَ؟ قَالَ: فَارَقْتُهُ وَقْتَ الْغُرُوبِ. وَأَظْنَهُ
 يَأْتِي عِنْدَ أَنْصَارِي. فَلَا يَجِدُنِي فَيَسْعِي فِي طَلْبِي. فَدَعَنِي يَا أَبْنَ السُّلْطَانِ
 حَتَّى أَهُجَّ فِي الْبَرَارِ وَالْقِفارِ: فَقَالَ الشِّبْلُ: تَمَهَّلْ قَلِيلًا يَا جَمْلُ. حَتَّى تَنْتَرِ
 كَيْفَ أَفْتَرِسُهُ وَأَطْعِمُكَ مِنْ لَحْمِهِ وَأَهْشِمُ عَظْمَهُ وَأَشْرَبُ مِنْ دَمِهِ: فَقَالَ
 لَهُ الْجَمْلُ: يَا أَبْنَ السُّلْطَانِ. أَنَا خَائِفٌ عَلَيْكَ مِنْ أَبْنِ آدَمَ. فَإِنَّهُ مُخَادِعٌ

مَا كِرْ . ثُمَّ أَنْشَدَ قَوْلَ الشَّاعِرِ

إِذَا حَلَّ الْنَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ فَإِلَى لِلْسَّاكِينَ سَوَى الْرَّجِيلِ
فَيَبْيَنُمَا أَنْجَمَلُ يَتَحَدَّثُ مَعَ الشِّبْلِ فِي هَذَا الْكَلَامِ . وَإِذَا بَغَرَّهُ صَلَعَتْ .
وَبَعْدَ سَاعَةٍ أَنْكَشَفَتْ عَنْ شَيْخٍ قَصِيرٍ رَّقِيقٍ الْبَشَرَةِ . عَلَى كَيْفِهِ مَقْطَفُهُ فِيهِ
عُدَّةٌ بَنَجَارٌ . وَعَلَى رَأْسِهِ شَعْبَةٌ وَمَانِيَّةٌ الْوَاقِعُ . وَبَيْنَهُ أَقْفَالٌ صِغَارٌ . وَهُوَ
يَهْرُولُ فِي مَشِيهِ . وَمَا زَالَ يَمْشِي حَتَّى قَرَبَ مِنَ الشِّبْلِ . فَلَمَّا رَأَيْتَهُ يَاخْتَيْ .
وَقَعَتْ مِنْ شَيْخٍ أَنْجُوفِ . وَأَمَّا الشِّبْلُ فَإِنَّهُ قَامَ وَمَنَشَى إِلَيْهِ وَلَا قَاهُ . فَلَمَّا
وَصَلَ إِلَيْهِ ضَحِكَ الْبَنَجَارُ فِي وَجْهِهِ . وَقَالَ لَهُ لِسَانٌ فَصَبَحَ : أَيْهَا الْمَلِكُ
أَنْجَلِيلُ . صَاحِبُ الْبَاعِ الْطَّوِيلِ . أَسْعَدَ اللَّهُ مَسَاءَكَ وَمَسَعَاكَ . وَزَادَ فِي
شَجَاعَتِكَ وَقُوَاكَ . أَجْرَنِي حِمَادَهَانِي . وَبِشَرِّهِ رَمَانِي . لَأَنِّي مَا وَجَدْتُ لِي
نَصِيرًا غَيْرَكَ : ثُمَّ إِنَّ الْبَنَجَارَ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الْأَسَدِ وَبَيْنَ . وَأَنَّ وَاشْتَكِيْ .
فَلَمَّا سَعَ الشِّبْلُ بُكَاهَ وَشَكَاهُ . قَالَ لَهُ : أَجْرَنِكَ حِمَادَهَاهَ . فَمَنِ الَّذِي قَدْ
ظَلَمَكَ . وَمَا أَنْتَ تَكُونُ أَيْهَا الْوَحْشُ . الَّذِي مَارَأَيْتُ عُمْرِي مِنْذَكَ .
وَلَا أَحْسَنَ صُورَةً . وَلَا أَفْصَحَ لِسَانًا مِنْكَ . فَإِنَّ شَانِكَ : فَقَالَ لَهُ الْبَنَجَارُ :
يَا سَيِّدَ الْوُحُوشِ : أَمَّا أَنَا فَنَجَارٌ : وَأَمَّا الَّذِي ظَلَمَنِي فَإِنَّهُ آبُنُ آدَمَ وَفِي
صَبَاحِ هَذِهِ الْلَّيْلَةِ يَكُونُ عِنْدَكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ : فَلَمَّا سَعَ الشِّبْلُ مِنَ الْبَنَجَارِ
هَذَا الْكَلَامَ . تَبَدَّلَ الْضِيَاءُ فِي وَجْهِهِ بِالظَّلَامِ . وَشَرَّ وَخَرَ وَارْتَمَتْ
عَيْنَاهُ بِالشَّرِّ . وَصَاحَ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَأَسْهِنَ فِي هَذِهِ الْلَّيْلَةِ إِلَى الصَّبَاحِ . وَلَا
أَرْجِعُ إِلَى وَالدِّي حَتَّى أَبْلَغَ مَقْصِدِي : ثُمَّ إِنَّ الشِّبْلَ أَنْفَتَ إِلَى الْبَنَجَارِ وَقَالَ
لَهُ : إِنِّي أَرَى خُطُواتِكَ قَصِيرَةً وَلَا أَقْدِرُ أَنْ أَكْسِرَ بِخَاطِرِكَ . لَأَنِّي دُوْرَوَةٌ

وَأَذْنَانَكَ لَا تُقْدِرُ تُهَاشِي الْوُحُوشَ . فَأَخْبَرْنِي إِلَى أَبْنَتْ تَذَهَّبْ : فَقَالَ
 لَهُ النَّجَارُ : أَعْلَمُ أَنِّي رَاجَعْ إِلَى وَزِيرَ وَالِدَكَ الْفَهْدِ . لِأَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ أَبْنَتَ
 آدَمَ دَاسَ هَذِهِ الْأَرْضَ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ حَوْفًا عَظِيمًا وَرَسَلَ إِلَيَّ رَسُولًا
 مِنَ الْوُحُوشِ لِأَصْنَعَ لَهُ يَسْتَأْسِكُ فِيهِ وَيَأْوِي إِلَيْهِ وَيَمْنَعُ عَنْهُ عَدُوَّهُ حَتَّى
 لَا يَصِلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ . فَلَمَّا جَاءَنِي الرَّسُولُ أَخْدَثُ هَذِهِ الْأَلْوَاحَ
 وَتَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ : فَلَمَّا سَمِعَ الشِّبْلُ كَلَامَ النَّجَارِ . أَخْذَ الْمَحْسُدُ لِلْفَهْدِ . فَقَالَ
 لَهُ : يَحْيَا نِي لَا بُدَّ أَنْ تَصْنَعَ لِي هَذِهِ الْأَلْوَاحَ يَسْتَأْسِكُ قَبْلَ أَنْ تَصْنَعَ لِلْفَهْدِ يَسْتَأْسِكُ
 وَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ شُغْلِي فَأَمْضِي إِلَى الْفَهْدِ وَأَصْنَعْ لَهُ مَا يُرِيدُ : فَلَمَّا سَمِعَ النَّجَارُ
 مِنَ الشِّبْلِ هَذَا الْكَلَامَ قَالَ لَهُ : يَا سَيِّدَ الْوُحُوشِ : مَا أَقْدِرُ أَنْ أَصْنَعَ لَكَ
 شَيْئًا إِلَّا إِذَا صَنَعْتُ لِلْفَهْدِ مَا يُرِيدُ . ثُمَّ أَجِيءَ إِلَى خَدْمَتِكَ وَأَصْنَعَ لَكَ يَسْتَأْسِكَ
 وَيَحْصِنُكَ مِنْ عَدُوِّكَ : فَقَالَ لَهُ الشِّبْلُ : وَاللَّهِ مَا أَخْلِكَ تَرُوحُ مِنْ هَذَا
 الْمَكَانِ حَتَّى تَصْنَعَ لِي هَذِهِ الْأَلْوَاحَ يَسْتَأْسِكَ ثُمَّ إِنَّ الشِّبْلَ هُمْ عَلَى النَّجَارِ وَوَبَّ
 عَلَيْهِ . وَرَأَدَ أَنْ يَمْرَحَ مَعَهُ فَلَطَسَهُ بِيَدِهِ فَرَمَى الْمِقْطَفَ مِنْ عَلَى كَتْفِهِ وَوَقَعَ
 النَّجَارُ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ . فَضَحَّكَ الشِّبْلُ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ يَا نَجَارُ إِنَّكَ ضَعِيفٌ
 وَمَا لَكَ قُوَّةٌ فَأَنْتَ مَعْذُورٌ إِذْ خَفْتَ مِنْ أَبْنِ آدَمَ : فَلَمَّا وَقَعَ النَّجَارُ عَلَى
 ظَهْرِهِ . أَغْنَاطَ غَيْظًا شَدِيدًا وَلِكْنَهُ كَمْ ذَلِكَ عَنِ الشِّبْلِ مِنْ حَوْفِهِ مِنْهُ .
 فَقَعَدَ النَّجَارُ عَلَى حَيْلِهِ وَضَحَّكَ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ لَهُ : هَا أَنَا أَصْنَعُ لَكَ الْبَيْتَ ثُمَّ
 إِنَّ النَّجَارَ تَنَاهَى لِلْأَلْوَاحِ أَلَّا يَكُونَ مَعَهُ وَسَرَّ الْبَيْتَ وَجَعَلَهُ مِثْلَ الْقَالِبِ
 عَلَى قِيَاسِ الشِّبْلِ وَخَلَى بَابَهُ مَفْتوحًا . لِأَنَّهُ جَعَلَهُ عَلَى صُورَةِ الصَّنْدُوقِ وَفَتَحَ لَهُ
 طَافَةَ كَيْنَةَ وَجَعَلَ لَهَا غِطَاءً كَيْرًا وَثَقَبَ فِيهِ ثُقبًا كَيْنَةَ وَأَخْرَجَ مِنْهَا

مَسَامِيرَ مُطَرَّفَةَ وَقَالَ لِلشَّبْلِ: أَدْخُلْ فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنْ هُنْهُ الطَّاقَةَ حَتَّى
 أَفِيسَهُ عَلَيْكَ: فَفَرَحَ الشَّبْلُ بِذَلِكَ وَأَتَى إِلَى تِلْكَ الطَّاقَةِ فَرَأَهَا حَسِفَةً.
 فَقَالَ لَهُ النَّجَارُ: أَدْخُلْ وَأَبْرُكْ عَلَى يَدِيْكَ وَرِجْلِيْكَ: فَفَعَلَ الشَّبْلُ ذَلِكَ
 وَدَخَلَ الصَّندُوقَ فَبَقَيَ دَنَبُهُ خَارِجًا فِي آخِرِهِ. فَأَرَادَ الشَّبْلُ أَنْ يَتَأَخَّرَ
 إِلَى وَرَائِيهِ وَيَخْرُجَ. فَقَالَ لَهُ النَّجَارُ: أَمْهَلْ وَاصْبِرْ حَتَّى أَنْظُرَهُ لِبَسْعِ دَنَبِكَ
 مَعَكَ: فَأَمْتَثَلَ الشَّبْلُ أَمْمَعْ. ثُمَّ إِنَّ النَّجَارَ لَفَّ دَنَبَ الشَّبْلِ وَحَشَاهَ فِي
 الصَّندُوقَ وَرَدَ اللَّوْحَ عَلَى الطَّاقَةِ سَرِيعًا وَسَمِينَ. فَصَاحَ الشَّبْلُ قَائِلًا:
 يَا نَجَارُ مَا هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي صَنَعْتَ لِي. دَعْنِي أَخْرُجْ مِنْهُ: فَقَالَ لَهُ النَّجَارُ:
 هَيْهَاتِ. هَيْهَاتِ. لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ عَلَى مَا فَاتَ. إِنَّكَ لَا تَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ:
 ثُمَّ ضَحِكَ النَّجَارُ وَقَالَ لِلشَّبْلِ: إِنَّكَ وَقَعْتَ فِي الْفَنَصِ وَمَا يَقِيَ لَكَ خَلاصُ
 مِنْ ضَبِيقِ الْأَقْنَاصِ يَا أَخْبَتَ الْوُحُوشِ: فَقَالَ: يَا أَخِي مَا هَذَا الْمُخَطَّابُ الَّذِي
 مُخَاطَبِي بِهِ: فَقَالَ لَهُ النَّجَارُ: أَعْلَمُ يَا كَلْبَ الْبَرِّ. إِنَّكَ قَدْ وَقَعْتَ فِي مَا كُنْتَ
 تَخَافُ مِنْهُ وَقَدْ رَمَاكَ الْقَدْرُ وَلَمْ يَنْفَعْكَ الْحَدَرُ: فَلَمَّا سَمِعَ الشَّبْلُ كَلَامَهُ
 يَا أَخِي عَلِمَ أَنَّهُ أَبْنَ أَدَمَ الَّذِي حَدَرَهُ مِنْهُ أَبُوهُ فِي الْيَقْظَةِ وَأَهْمَاتِهِ فِي
 الْمَنَامِ وَأَنَا تَحْقِقُتُ أَنَّهُ هُوَ يَلَاشِكَ وَلَارِيبَ وَخَفْتُ مِنْهُ عَلَى نَفْسِي خَوْفًا
 عَظِيمًا وَبَعْدَتْ عَنْهُ قَلِيلًا وَصَرَتُ أَنْتَظِرُ مَاذَا يَفْعَلُ بِالشَّبْلِ. فَرَأَيْتُ يَا أَخِي
 أَبْنَ أَدَمَ حَفَرَ حُفَّةً فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ بِالْقُرْبِ مِنَ الصَّندُوقِ الَّذِي يَهُ فِيهِ
 الشَّبْلُ وَرَمَاهُ فِي تِلْكَ الْحُفَّةِ وَأَلْقَى عَلَيْهِ الْحَطَبَ وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ. فَكَبَرَ
 يَا أَخِي خَوْفِي وَلَيْ يَوْمَنِ وَأَنَا هَارِبَةٌ مِنْ أَبْنَ أَدَمَ وَخَائِفَةٌ مِنْهُ
 فَلَمَّا سَمِعَتِ الطَّاوُسَةَ مِنَ الْبُطْطَةِ هَذَا الْكَلَامَ. تَعَجَّبَتْ مِنْهُ غَايَةَ الْعَجَبِ.

وَقَالَتْ : يَا أُخْتِي . إِنَّكِ أَمِنَةٌ مِنْ أَبْنِ آدَمَ . لَا نَنْتَ فِي جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ
 الْجَهَنَّمِ . لَيْسَ لَأَبْنِ آدَمَ فِيهَا مَسْلِكٌ . فَأَخْنَارِي الْمَقَامَ عِنْدَنَا إِلَى أَنْ يُسْهِلَ
 اللَّهُ أَمْرُكَ وَأَمْرَنَا : قَالَتْ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَطْرُقَنِي طَارِقٌ . وَالْفَضَاءُ لَا يَنْفَكُ
 عَنْهُ أَبِقُ : فَقَالَتْ : أَقْعُدِي عِنْدَنَا . وَأَنْتَ مِثْلُنَا . وَمَا زَالَتْ بِهَا حَنَّ قَعْدَتْ
 وَقَالَتْ : يَا أُخْتِي أَنْتِ تَعْلِيمِنَ قِلَّةَ صَبْرِي . وَلَوْلَا إِنِّي رَأَيْتُكِ هُنَا مَا كُنْتُ
 قَعْدَتْ : فَقَالَتِ الْطَّاوُوسَةُ : إِنْ كَانَ عَلَى جَيْبِنَا شَيْءٌ نَسْتَوْفِيهِ . قَاتِنَ كَانَ
 دَنَا أَجْلُنَا فَمَنْ يُخَالِصُنَا . وَلَنْ تَوْتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوِي رِزْقُهَا وَأَجْلَهَا : فَيَنْهَا
 هُمَا فِي هَذَا الْكَلَامِ . إِذْ طَلَعَتْ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ . فَعِنْدَ ذَلِكَ صَاحَتِ الْبَطْشَةُ
 وَنَزَّلَتْ فِي الْجَهَنَّمِ . وَقَالَتِ الْحَمْدَرَ الْحَمْدَرَ . قَاتِنَ لَمْ يَكُنْ مَغْرِبٌ مِنَ الْفَضَاءِ
 وَالْقَدْرِ : فَبَعْدَ سَاعَةٍ انْكَشَفَتِ الْغَبَرَةُ . وَبَانَ مِنْ تَحْتِهَا ظَبِيٌّ . فَأَطْلَمَهَا نَتِ
 الْبَطْشَةُ وَالْطَّاوُوسَةُ . ثُمَّ قَالَتِ الْبَطْشَةُ : يَا أُخْتِي إِنَّ الَّذِي نَصَرْتَ وَحَدَرْتَ
 مِنْهُ ظَبِيٌّ وَهَا هُوَ قَدْ أَقْبَلَ نَحْنُنَا . فَلَيْسَ عَلَيْنَا مِنْهُ بَاسٌ . إِنَّ الظَّبَّانِيَّ إِنَّمَا
 يَا كُلُّ الْحَشَائِشَ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ . وَكَأَنَّتِ مِنْ جِنْسِ الطَّيْرِ . هُوَ الْأَخْرُ
 مِنْ جِنْسِ الْوُحُوشِ . فَأَطْمَدَنِي وَلَا تَهْتَمِي . قَاتِنَ اللَّهُمَّ يُنْجِلُ الْبَدَنَ : فَلَمْ تُمَّ
 الْطَّاوُوسَةُ كَلَامَهَا . حَتَّى وَصَلَ الظَّبَّانِيُّ إِلَيْهَا . يَسْتَظِلُّ تَحْتَ ظِلِّ شَجَنَّ
 فَلَمَّا رَأَى الْطَّاوُوسَةَ وَالْبَطْشَةَ سَلَّمَ عَلَيْهَا . وَقَالَ لَهُمَا : إِنِّي دَخَلْتُ إِلَى هَذِهِ
 الْجَزِيرَةِ الْيَوْمَ . فَلَمْ أَرِ أَكْثَرَ مِنْهَا خَصْبًا وَلَا حَسَنًا مِنْهَا مَسِكَنًا : ثُمَّ دَعَاهُمَا
 لِمَرْأَفِتِهِ وَمُصَافَاتِهِ . فَلَمَّا رَأَتِ الْبَطْشَةُ وَالْطَّاوُوسَةُ تَوَدَّهُ إِلَيْهَا أَقْبَلَتَا
 عَلَيْهِ وَرَغَبَتَا فِي عِشَرَتِهِ . فَنَصَادَقُوا وَتَحَالُفُوا عَلَى ذَلِكَ . وَصَارَ مَيْتَهُمْ وَاحِدًا .
 وَمَا كُلُّهُ وَمُشَرِّبُهُ سَوَّا . وَمَبْيَزُ الْأَمِينِ أَكِيلِينَ شَارِيَنَ حَتَّى مَرَّتْ يَمِّ

سَفِينَةٍ كَانَتْ تَاءِهَةً فِي الْجَزِيرَةِ . فَأَرَسْتُ قَرِيبًا مِنْهُمْ فَطَاعَ النَّاسُ وَتَفَرَّقُوا فِي
الْجَزِيرَةِ . فَرَأَوْا أَجْمَاعَ الظَّبَّيِّ وَالظَّاوِوْسَةِ وَالْبَطْرَةِ فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا رَأَتْهُمْ
الظَّاوِوْسَةُ سَعَدَتْ إِلَى السَّبَرَةِ . ثُمَّ طَارَتْ فِي الْجَوَّ وَشَرَّدَ الظَّبَّيِّ فِي الْبَرِّيَّةِ
فَيَقِنَتِ الْبَطْرَةُ مُحْبَلَةً . وَلَمْ يَرِدُوا بِهَا حَتَّى صَادُوهَا وَصَاحَتْ قَائِلَةً : لَمْ يَنْفَعِنِي
الْحَدَرُ مِنَ الْفَضَاءِ وَالْقَدْرِ : وَأَنْصَرَفُوا بِهَا إِلَى سَفِينَتِهِمْ . فَلَمَّا رَأَتِ الظَّاوِوْسَةُ
مَا جَرَى لِلْبَطْرَةِ . أَرْتَحَلَتْ مِنَ الْجَزِيرَةِ وَقَاتَتْ : لَا أَرَى أَلَا فَاتِ لِلَّامِرَاصَةَ
لِكُلِّ أَحَدٍ وَلَوْلَا هَذِهِ السَّفِينَةُ مَا حَصَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُنَّ الْبَطْرَةُ أَفِرَاقٌ وَلَقَدْ
كَانَتْ مِنْ خِيَارِ الْأَصْدِيقَاءِ : ثُمَّ طَارَتِ الظَّاوِوْسَةُ وَاجْمَعَتِ الظَّبَّيِّ .
فَسَلَمَ عَلَيْهَا وَهَنَاهَا بِالسَّلَامَةِ وَسَاهَا عَنِ الْبَطْرَةِ . فَقَاتَتْ لَهُ : أَخْذَهَا الْعَدُوُّ
وَرَكِبَتُ الْمُهْقَامَ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ بَعْدَهَا : ثُمَّ بَكَتْ عَلَى فِرَاقِ الْبَطْرَةِ وَأَنْشَدَتْ
تَوْرُولُ :

إِنَّ يَوْمَ الْفِرَاقِ قَطْعَ الْمُلْكِيِّ قَطْعَ الْمُلْكِ بَيْوَمِ الْفِرَاقِ
ثُمَّ قَاتَتْ أَيْضًا هَذَا الْبَيْتَ :

تَهَنَّيْتُ الْوَصَالَ يُعُودُ يَوْمًا لِأُخْيَنَ يِمَا صَنَعَ الْفِرَاقِ
فَأَغْتَمَ الظَّبَّيِّ غَمًا شَدِيدًا . ثُمَّ عَزَمَ الظَّاوِوْسَةَ عَنِ الرَّحِيلِ فَأَقَامَتْ مَعَ
الظَّبَّيِّ أَمَيْنَ آكِلَيْنِ شَارِبَيْنِ . غَيْرَ أَنَّهَا لَمْ يَرِدْ أَلَّا حَرِيَّنَ عَلَى فِرَاقِ الْبَطْرَةِ .
فَقَاتَ الظَّبَّيِّ لِلظَّاوِوْسَةِ : يَا أَخْيَنِي . قَدْ عِلِمْتَ أَنَّ النَّاسَ الَّذِينَ طَلَعُوا لَنَا مِنْ
الْمَرْكَبِ كَانُوا سَبَبًا لِفِرَاقِنَا وَلِهَلَاكِ الْبَطْرَةِ فَأَحْدَرَهُمْ وَأَحْتَرَسِي مِنْهُمْ وَمِنْ
مَكْرِي بَنِي أَكْمَ وَخِدَاعِهِ : قَاتَتْ : قَدْ عِلِمْتُ يَقِنًا أَنَّ مَا قُتِلَهَا غَيْرُ تَرِكَةِ الْتَّسْبِيحِ
وَلَقَدْ قُلْتُ لَهَا : إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكِ مِنْ تَرِكَكِ الْتَّسْبِيحِ . لَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَفَهُ

الله يُسْمِعُهُ . فَإِنْ عَفَلَ عَنِ التَّسْبِيحِ عُوْقَبَ بْنَ لَاِكَهُ : فَلَمَّا سَمِعَ الظَّبَىْ كَلَامَ الْطَّاَوُوسَةَ قَالَ : أَحْسَنَ اللَّهُ صُورَتَكِ : وَأَقْبَلَ عَلَى التَّسْبِيحِ لَا يَغْتَرُ عَنْهُ سَاعَةً . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ تَسْبِيحَ الظَّبَىْ : سُجَانَ الدَّيَانِ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالسُّلْطَانِ حِكَايَةُ الطَّبِيعِ

رَعَمُوا أَنَّ طِيرًا مِنَ الطَّبِيعِ . طَارَ وَعَلَى إِلَى الْجَوِّ . ثُمَّ أَنْقَضَ عَلَى صَخْرَةٍ فِي وَسْطِ الْمَاءِ وَكَانَ الْمَاءُ جَارِيًّا . فَبَيْنَمَا الْطَّائِرُ وَاقِفٌ إِذَا هُوَ بِرِمَةٍ إِنْسَانٌ جَرَّهَا الْمَاءُ حَتَّى أَسْدَهَا إِلَى تِلْكَ الصَّخْرَةِ وَقَدِ اتَّسَخَتْ وَارْتَفَعَتْ . فَدَنَّا مِنْهَا طِيرُ الْمَاءِ وَتَأَلَّمَاهَا فَرَآهَا رَمَّةً أَبْنَى الْكَمَ فَوَجَدَ فِيهَا ضَرَبَ سُبُوفٍ وَطَعْنَ رِمَّاجٍ . فَقَالَ طِيرُ الْمَاءِ فِي نَفْسِهِ : أَظُنُّ أَنَّ هَذَا الْمَقْتُولَ كَانَ شَرِيرًا فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ فَقَتَلُوهُ وَأَسْتَرَاهُوا مِنْهُ وَمِنْ شَيْءٍ : وَمَمْ يَزَلُ طِيرُ الْمَاءِ حَائِرًا وَهُوَ يَتَعَجَّبُ . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذِيلَكَ إِذَا يُنْسُرُ وَعَقِبَانِ أَحَاطُوا بِتِلْكَ الْحِيفَةَ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِيهَا . فَلَمَّا رَأَى ذِيلَكَ طِيرُ الْمَاءِ جَزَعَ جَزَعًا شَدِيدًا وَقَالَ : لَا صَبْرٌ لِي عَلَى الْأَقْلَامَةِ فِي هَذَا الْمَكَانِ . ثُمَّ طَارَ مِنْهُ يُفْتِشُ عَلَى مَوْضِعِ يَأْوِيهِ إِلَى حِينٍ تَنْفَدُ تِلْكَ الْحِيفَةُ وَتَرْوُحُ سِبَاعُ الطَّبِيعِ عَنْهَا . وَمَمْ يَزَلُ طَائِرًا حَتَّى وَجَدَ نَهَرًا فِي وَسْطِهِ شَجَرَةً . فَنَزَلَ عَلَيْهَا مُتَغَيِّرًا كَسِيَّبَا حَزِينًا عَلَى فِرَاقِ وَطَينِهِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا زَالَتِ الْأَحْزَانُ تُتَبَعِّنِي وَكُنْتُ قَدْ أَسْتَرْحَتُ لَهَا رَأَيْتُ تِلْكَ الْحِيفَةَ وَفَرِحْتُ بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا وَقُلْتُ : هُذَا رِزْقُ سَاقَةِ اللَّهِ إِلَيَّ . فَصَارَ فَرَحِي غَمًا وَسُرُورِي حَزَنًا وَهَمًا . فَأَخَذَهَا وَأَفْتَرَسَهَا سِبَاعُ الطَّبِيعِ مِنْ وَحَالُوا بَيْنِي وَبَيْنَهَا . فَكَيْفَ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ سَالِمًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنَ الْكَدَرِ وَأَطْمَئِنُ إِلَيْهَا . وَقَدْ قِيلَ فِي الْمَثَلِ :

الْدُّنْيَا دَارَ مِنْ لَا دَارَ لَهُ . يَغْرِيْهَا مَنْ لَا عُقْلَ لَهُ . وَيَطْمِئِنُ إِلَيْهَا بِمَا لَهُ
وَقَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ . وَمَبْزَلُ الْمُغْرِيْبِ هَارَ اسْكِنَا إِلَيْهَا بِخَنَالٍ فَوْقَ الْأَرْضِ
حَتَّى يَصِيرَ تَحْنَهَا وَيَخْتُو عَلَيْهِ التَّرَابَ أَعْزَزُ النَّاسِ إِلَيْهِ وَأَقْرَبُهُمْ لَدِيهِ . وَمَا لِلْفَنِي
خَيْرٌ مِنَ الصَّبَرِ عَلَى هُوَمَهَا وَمَكَانِهَا . وَقَدْ فَارَقْتُ مَكَانِي وَوَطَنِي وَجَئْتُ
كَارِهًا بِفُرْقَهِ إِخْرَانِي وَاحْبَاءِي وَخَلَانِي
فَبَيْنَهَا هُوَ فِي فِكْرِنِي إِذَا يَدْكُرِي مِنَ السَّلَاحِفِ أَقْبَلَ مُنْدِرًا فِي الْمَاءِ
وَكَانَ مِنْ طَيْرِ الْمَاءِ وَسَلَمَ عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي مَا الَّذِي حَجَبَكَ وَأَبْعَدَكَ
عَنْ مَوْضِعِكَ : قَالَ : حُولُ الْأَعْدَاءِ فِيهِ وَلَا صَبَرَ لِلْعَاقِلِ عَلَى مُجَاوِرَةِ
عَدُوِّهِ . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ الشَّعَرَاءِ

إِذَا حَلَّ الثَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ فَإِنَّ لِلْسَّاكِنِينَ سَوَى الرَّحِيلِ
فَقَالَ لَهُ الْغَيْلُمُ : إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا وَصَفْتَهُ وَأَحْمَلُ مِثْلَ مَا ذَكَرْتَهُ . فَأَنَا
لَا أَزَّ الْبَيْتَ يَدِيكَ وَلَا أَفَرِقُكَ لَا قُضِيَ لَكَ حَاجَنَكَ وَأَنِّي بِمُخْدِمَتِكَ
فِيَّا نَقِيلَ : لَا وَحْشَةَ أَشَدُّ مِنْ وَحْشَةِ الْغَرِيبِ الْمُنْقَطِعِ عَنْ أَهْلِهِ وَوَطَنِهِ .
وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ فُرْقَةَ الصَّاهِينِ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَصَائِبِ . وَأَحْسَنَ مَا
يُسَلِّي بِهِ الْعَاقِلُ نَفْسَهُ الْإِسْتِئْنَاسُ فِي الْغُرْبَةِ وَالصَّبَرُ عَلَى الرَّزْبَةِ وَالْكَرْبَةِ .
وَأَرْجُو أَنْ تَحْمَدَ صُحْبِي مَعَكَ . وَأَكُونُ لَكَ خَادِمًا وَمَعِينًا : فَلَمَّا سَيَعَ طَيْرُ
الْمَاءِ مَقَالَةَ الْغَيْلُمَ . قَالَ لَهُ : لَقَدْ صَدَقْتَ فِي قَوْلِكَ . وَلَعْمَرِي إِنِّي وَجَدْتُ
لِلْفَرَاقِ الْمَا وَغَمَّ مَذَّةَ بُعْدِي عَنْ مَكَانِي وَفِرَاقِي لِإِخْرَانِي وَخَلَانِي لِأَنَّ فِي
الْفَرَاقِ عِبْرَةَ لِمَنْ أَعْنَبَ وَفِكْرَةَ لِمَنْ تَفَكَّرَ . وَإِذَا لَمْ يَحْدِدْ أَفْنَى مَنْ يُسَلِّي مِنَ
الْأَصْحَابِ يَنْقَطِعُ عَنْهُ الْمُخْرُبُ أَبْلَا وَيَنْبَتُ الشَّرُّ سَرْمَدًا . وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ إِلَّا

أَتَسْلِي بِالْأَخْوَانِ عَنِ الْهُمُومِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ وَمُلَازِمَةِ الصَّبْرِ وَالْجَدْلِ
 فَإِنَّهَا خَصْلَاتَانِ حَمْوَدَاتَانِ بِعِنَانِ عَلَى الْمُصِيَّةِ وَنَوَابِ الدَّهْرِ وَيَدِ فَعَانِ
 الْفَزَعَ وَالْجَزَعَ فِي كُلِّ أَمْرٍ فَقَالَ لَهُ الْغَيْلُمُ إِيَّاكَ وَالْجَزَعَ فَإِنَّهُ يُفْسِدُ عَلَيْكَ
 عِيشَكَ وَيُدْهِبُ مُرْوَنَكَ وَمَا زَالَ يَحْدَثُ ثَانِ مَعَ بَعْضِهَا إِلَى أَنْ قَالَ طَيرُ
 الْمَاءِ لِلْغَيْلُمَ أَنَا لَمْ أَرَلْ أَخْشَى نَوَابَ الزَّمَانِ وَطَوَارِقَ الْجَهَنَّمِ فَلَمَّا سَعَ
 الْغَيْلُمُ مَقَالَةَ طَيرِ الْمَاءِ أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَقَبْلَهُ يَنِ عَيْنَيْهِ وَقَالَ لَهُ لَمْ تَزُلْ جَمَاعَةُ
 الطَّيْرِ تَبَرُّكَ بِكَ وَتَعْرِفُ فِي مَشْوَرَتِكَ الْجَيْرِ فَكَيْفَ تَحْمِلُ أَهْمَمَهُ وَالْفَضِيرَ
 وَلَمْ يَزُلْ يُسْكِنُ رُوعَ طَيرِ الْمَاءِ حَتَّى أَطْمَانَ ثُمَّ إِنَّ طَيرِ الْمَاءِ طَارَ إِلَى
 مَكَانِ الْجِيفَةِ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ لَمْ يَرِ مِنْ سَيَّاعِ الطَّيْرِ شَيْئًا وَلَامِنْ تِلْكَ
 الْجِيفَةِ إِلَّا عِظَامًا فَرَجَعَ وَأَخْبَرَ الْغَيْلُمَ يَزَوَّلُ الْعُدُوُّ مِنْ مَكَانِهِ وَقَالَ لَهُ
 أَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّ الرُّجُوعَ إِلَى مَكَانِي لَا تَقْلِي بِخَلَائِنِي فَإِنَّهُ لَا صَبَرَ لِلْعَاقِلِ عَلَى
 فِرَاقِ وَطَنِهِ فَأَتَيَا إِلَى ذِلِكَ الْمَكَانِ فَلَمْ يَحْدَدَا شَيْئًا هِيَ بِخَافَانِ مِنْهُ فَأَنْشَدَ
 طَيرُ الْمَاءِ يَقُولُ :

وَلَرَبِّ نَازِلَةِ يَضِيقُ لَهَا الْفَنَى
 دَرْعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْجَرْجُ
 ضَاقَتْ فَلَمَّا أَسْتَمْكَتْ حَلَقَاهَا فُرِجَتْ وَكَنْتُ أَظْنَهَا لَا تُقْرَجُ
 ثُمَّ إِنَّمَا سَكَنَاهَا فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ فَبَيْنَمَا طَيرُ الْمَاءِ مُسْرُورٌ أَمِنٌ إِذْ سَاقَ
 الْفَضَاءَ إِلَيْهِ بَازِيَا جَائِعًا فَضَرَبَهُ بِخَلْبِيهِ فِي بَطْنِهِ ضَرَبَهُ فَقَتَلَهُ وَلَمْ يُغْنِ
 عَنْهُ الْحَدَرُ عِنْدَ فَرَاغِ الْأَجْلِ وَسَبَبَ قُتْلَهُ غَفْلَتُهُ عَنِ التَّسْبِيحِ فَيَلَ إِنَّ
 تَسْبِيَّهُ سُبْحَانَ رَبِّنَا فِي مَا قَدِرَ وَدَرَ سُبْحَانَ رَبِّنَا فِي مَا أَغْنَى وَأَفَقَرَ هَذَا
 مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ طَيرِ الْمَاءِ وَجَوَارِحِ الطَّيْرِ

الدَّرَاجُ وَالسَّلَاحِفُ

وَهُوَ مَثْلُ مَنْ رَضِيَ بِالْمَذَنَةِ الْيُسِيرَ فَهَلَكَ

حُكِيَ أَنَّ سَلَاحِفَ كَانَتْ فِي جَزِيرَةٍ مِنَ الْجُزَرِ أَيْرَ وَكَانَتْ تِلْكَ الْجُزِيرَةُ
ذَاتَ أَشْجَارٍ وَأَنْوَارٍ وَأَنْهَارٍ . فَانْقَنَ أَنَّ دَرَاجًا أَجْتَازَ بِهَا يَوْمًا . وَقَدْ أَصَابَهُ
الْحُمُرُ وَالْتَّعْبُ . فَلَمَّا أَضْرَبَهُ ذَلِكَ . حَطَّ مِنْ طَيْرَاهُ فِي تِلْكَ الْجُزِيرَةِ الَّتِي
بِهَا تِلْكَ السَّلَاحِفُ . فَلَمَّا رَأَهُ الْسَّلَاحِفَ أَنْجَأَ إِلَيْهَا وَنَزَلَ عِنْدَهَا .
وَكَانَتِ السَّلَاحِفُ تَرْعَى فِي جِهَاتِ الْجُزِيرَةِ . ثُمَّ تَرْجَعُ إِلَى مَكَانِهَا . فَلَمَّا
رَحَّعَتْ مِنْ مَسَارِحِهَا إِلَى مَكَانِهَا . رَأَتِ الدَّرَاجَ فِيهِ . فَلَمَّا رَأَاهُ أَعْجَبَهَا .
وَزَيَّنَهُ اللَّهُ لَهَا . فَسَبَّبَتْ خَالِفَهَا . وَأَحْبَبَتْ هَذَا الدَّرَاجَ حُبًّا شَدِيدًا وَفَرِحَتْ
بِهِ . ثُمَّ قَالَ بَعْضُهَا لِيَعْسِي : لَا شَكَ أَنَّ هَذَا مِنْ أَحْسَنِ الطُّورِ : فَصَارَتْ
كُلُّهَا تُلَاطِفَهُ وَتَخْبِحُ إِلَيْهِ . فَلَمَّا رَأَى مِنْهَا عَيْنَ الْحَيَةِ . مَالَ إِلَيْهَا وَأَسْتَأْنسَ
بِهَا . وَصَارَ يَطِيرُ إِلَى أَيِّ جَهَةٍ أَرَادَ . وَعِنْدَ الْمَسَاءِ يَرْجِعُ إِلَى الْمَيْتِ عِنْدَهَا .
فَإِذَا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ . يَطِيرُ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ وَصَارَتْ هُنْكِ عَادَتْهُ . وَاسْتَهَرَ
عَلَى هُنْكِ الْحَالِ مُدْدَعٌ مِنَ الْزَّمَانِ . فَلَمَّا رَأَتِ السَّلَاحِفُ أَنَّ غَيْرَهَا يُوْحِشُهَا .
وَتَحْقَقَتْ أَنَّهَا لَا تَرَاهُ إِلَّا فِي الظَّلَلِ . وَإِذَا أَصْبَحَ طَارَ مُبَادِرًا . وَلَا تَشْعُرُ بِهِ مَعَ
زِيَادَةِ حُبِّهَا لَهُ . قَالَ بَعْضُهَا : إِنَّ هَذَا الدَّرَاجَ قَدْ أَحْبَبَنَا وَصَارَ لَنَا صَدِيقًا .
وَمَا بَقَى لَنَا قُدْرَةٌ عَلَى فِرَاقِهِ . فَمَا يَكُونُ مِنَ الْجِيلَةِ الْمُوَصَّلَةِ إِلَى إِقَامَتِهِ عِنْدَنَا
ذَائِعًا . لَا نَهُ إِذَا طَارَ . يَغِيبُ عَنَّا النَّهَارَ كُلَّهُ . وَلَا نَرَاهُ إِلَّا فِي الظَّلَلِ : فَأَشَارَتْ
عَلَيْهَا وَاحِدَةٌ قَائِلَةً : أَسْتَرِخْنَ . يَا أَخْوَاتِي . وَأَنَا أَجْعَلُهُ لَا يُفَارِقْنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ :
فَقَالَ لَهَا أَجْمِيعُ : إِنْ فَعَلْتِ ذَلِكَ كُنَّا لَكِ كُلُّنَا عَيْدًا

فَلَمَّا حَضَرَ الدُّرَاجُ مِنْ مَسْرَحِهِ وَجَلَسَ يَيْنَهَا . تَقَرَّبَتْ مِنْهُ السَّلْفَةُ
 الْمُخَالَةُ وَدَعَتْ لَهُ وَهَنَاكَةً بِالسَّلَامَةِ . وَقَالَتْ لَهُ : يَا سَيِّدِي أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ
 رَزَقَكَ مِنَ الْحَبَّةِ وَكَذَلِكَ أَوْدَعَ قَلْبَكَ مَحَبَّنَا وَصَرَّتْ لَنَا فِي هَذَا الْقُفْرِ أَنِيسًا
 وَأَحْسَنَ أَوْقَاتِ الْعُجَيْبِ إِذَا كَانُوا مُجْتَمِعِينَ وَالْبَلَاءُ الْعَظِيمُ فِي الْبَعْدِ
 وَالْفِرَاقِ . وَلِكُنْكَ تَنْرُكُكَ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ . وَمَمْ تَعْدِلُنَا إِلَّا عِنْدَ الْغُرُوبِ
 فَيَصِيرُ عِنْدَنَا وَحْشَةً زَائِدَةً . وَقَدْ شَقَّ عَلَيْنَا ذَلِكَ كَثِيرًا وَنَحْنُ فِي وَجْدِ
 عَظِيمٍ بِهَذَا السَّبِيلِ : فَقَالَ لَهَا الدُّرَاجُ : نَعَمْ أَنَا عِنْدِي مَحَبَّةٌ لَكُنْ وَشَتِيَّا
 عَظِيمٌ إِلَيْكُنْ زِيَادَةً عَلَى مَا عِنْدَكُنْ وَفِرَاقُكُنْ لَيْسَ سَهْلًا عِنْدِي . لِكُنْ مَا
 يَدِي حِيلَةٌ فِي ذَلِكَ لِكُونِي طَيْرًا بِالْأَجْنِحةِ فَلَا يُمْكِنُنِي الْمُقَامُ مَعْكُنْ دَائِمًا .
 لَأَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ طَبِيعِي . فَإِنَّ الطَّيْرَ ذَا الْأَجْنِحةِ لَيْسَ لَهُ مُسْتَقْرِئٌ إِلَّا فِي الظَّلَلِ
 لِأَجْلِ النَّوْمِ . وَإِذَا أَصْبَحَ طَارَ وَسَرَّحَ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ أَعْجَبَهُ : فَقَالَتْ لَهُ
 السَّلْفَةُ : صَدَقْتَ . وَلِكُنْ ذُو الْأَجْنِحةِ فِي غَالِبِ الْأَوْقَاتِ لَا رَاحَةَ لَهُ لِكُونِهِ
 لَا يَنْأَلُهُ مِنَ الْخَيْرِ رُبُعَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْمُشْفَقَةِ . وَغَایَةُ الْمَقْصُودِ لِلنَّسْخِ
 الْرَّفَاهِيَّةِ وَالرَّاحَةِ . وَنَحْنُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ يَيْنَنَا وَيَيْنَكَ الْمَحَبَّةَ وَالْأُلْفَةَ وَنَخْشِي
 عَلَيْكَ مِنْ يَصْطَادُكَ مِنْ أَعْدَائِكَ . فَتَهْلِكُ وَنُحْرِمُ مِنْ رُؤْيَا وَجِهِكَ
 فَأَجَابَهَا الدُّرَاجُ قَائِلًا : صَدَقْتَ . وَلِكُنْ مَا عِنْدَكَ مِنَ الرَّأْيِ وَأَنْجِيلَةَ
 فِي أَمْرِي : فَقَالَتْ لَهُ : الرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ تَنْتَفَ سَوَاعِدَكَ الَّتِي تَسْرِعُ بِطَيْرِانِكَ
 وَتَقْعِدُ عِنْدَنَا مُسْتَرِبِحًا وَتَأْكُلَ مِنْ أَكْلِنَا وَتَشَرَّبَ مِنْ شُرْبَنَا فِي هَذِهِ الْمَسْرَحَةِ
 الْكَثِيرَةِ الْأَشْجَارِ الْيَانِعَةِ الْأَثْمَارِ وَتُقْيِمُ نَحْنُ وَأَنْتَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ
 الْخُصِبِ وَيَنْتَعِنُ كُلُّ مِنَا بِصَاحِبِهِ : فَقَالَ الدُّرَاجُ إِلَى قَوْلِهَا وَقَصَدَ الرَّاحَةَ

لِنَفْسِهِ. ثُمَّ نَتَفَ رِيشَهُ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ حُكْمَ مَا أَسْخَسَنَهُ مِنْ رَأْيِ الْسُّلْحَفَاءِ
 وَأَسْتَقَرَ عِنْدَهُنَّ عَائِشًا مَعْهُنَّ وَرَضِيَ بِاللَّذِي أَيْسَرَهُ وَالْطَّرَبُ الْزَّائِلُ
 فَيَنْهَا هُنَّ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ. إِذَا يَأْبَنْ عِرْسٌ قَدْ مَرَ فَرَمَقَهُ بِعَيْنِهِ وَتَامَّهُ
 فَرَأَهُ مَفْصُوصَ الْجَنَاحِ لَا يَسْتَطِعُ النَّهُوضَ. فَلَمَّا رَأَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ فَرَحَ
 فَرَحًا شَدِيدًا وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: إِنَّ هَذَا الدُّرَاجَ سَمِينُ الْحَمْ قَلِيلُ الرِّيشِ: ثُمَّ
 دَنَاهُنَّهُ أَبْنَ عِرْسٍ وَأَفْرَسَهُ فَصَاحَ الدُّرَاجُ وَطَلَّبَ النَّجَةَ مِنَ السَّلَاحِ.
 فَلَمَّا يَنْجُدُهُ بَلْ تَبَاعِدُهُ وَانْكَمْشَنَ فِي بَعْضِهِنَّ. لَمَّا رَأَيْنَ أَبْنَ عِرْسٍ
 قَابِضًا عَلَيْهِ وَحِيتُ رَأَيْنَ أَبْنَ عِرْسٍ يُعْلِبُهُ خَنَقُونَ الْبَكَاءَ عَلَيْهِ. فَقَالَ
 هُنَّ الدُّرَاجُ: هَلْ عِنْدُكُنَّ شَيْءًا غَيْرُ الْبَكَاءِ: فَقُلْنَ لَهُ: يَا أَخَا نَا. لَيْسَ لَنَا
 قُوَّةٌ وَلَا طَاقَةٌ وَلَا حِلَةٌ فِي أَمْرِ أَبْنِ عِرْسٍ: فَخَرَّ الدُّرَاجُ عِنْدَ ذِلِكَ وَقَطَعَ
 الْرَّجَاءَ مِنْ حَيَاةِ نَفْسِهِ وَقَالَ هُنَّ: لَيْسَ لَكُنَّ ذَنْبٌ إِنَّمَا الذَّنْبُ لِي. حِيتُ
 أَطْعَنُكُمْ وَنَتَفُتْ أَجْنِحَتِي أَتَّيْ أَطْيَرُهُمَا. فَإِنَّا أَسْتَغْفِرُ الْهَلاكَ لِمُطَاوَعَتِي
 لَكُنَّ وَلَا لُومَكُنَّ فِي شَيْءٍ

الثَّعَالِبُ وَالذَّنْبُ

وَهُوَ مَثَلُ مَنْ لَمْ يَعْدِلْ فِي تَحْكِيمِهِ فَتَكُونُ عَاقِبَتُهُ الْبَوَارَ
 زَعَمُوا أَنَّ جَاءَهُ مِنَ الثَّعَالِبِ. خَرَجُوا ذَاتَ يَوْمٍ بَطْلُبُونَ مَا
 يَأْكُلُونَ فَيَنْهَا هُنْ يَجْوِلُونَ فِي طَلَبِ ذِلِكَ إِذَا هُنْ يَحْمِلُونَ مِسْتَ
 فَقَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ: قَدْ وَجَدْنَا مَا نَعِيشُ بِهِ زَمَانًا طَوِيلًا وَلَكِنْ تَخَافُ أَنْ يَعْيَيَ
 بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ وَيَمْلِي الْقَوْيِيُّ بِقُوَّتِهِ عَلَى الْفَعِيفِ فَيَهْلِكُ الْفَعِيفُ
 مِنَّا فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَطْلُبَ حَكْمًا بِحُكْمٍ يَئْنَنَا وَنَجْعَلَ لَهُ نَصِيبًا فَلَا يَكُونَ

لِلْقَوِيِّ سُلْطَةٌ عَلَى الْضَّعِيفِ : فَبَيْنَمَا هُمْ يَتَشَاءُرُونَ فِي شَانِ ذَلِكَ . وَإِذَا
 يَذْبَرُ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّ أَصَابَ رَأْيَكُمْ فَاجْعَلُوا هَذَا
 الْذِئْبَ حَكْمًا يَنْتَنَا لِأَنَّهُ أَقْوَى النَّاسَ . وَأَبُوهُ سَابِقًا كَانَ سُلْطَانًا عَلَيْنَا .
 وَنَحْنُ نَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ يَعْدِلَ يَنْتَنَا : ثُمَّ إِنَّمَا تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ . وَأَخْبَرُوهُ بِهَا
 صَارَ إِلَيْهِ رَأْيُهُمْ . وَقَالُوا : لَقَدْ حَكَمْنَاكَ يَنْتَنَا لِأَجْلِ أَنْ تُعْطِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا
 مَا يَقُولُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ . عَلَى قَدَرِ حَاجَتِهِ لِلَّا يَسْعَى قَوْيَنَا عَلَى ضَعِيفِنَا
 فِيهِنَّكَ بَعْضُنَا بَعْضًا : فَاجْأَاهُمُ الْذِئْبُ إِلَى قَوْلِهِمْ وَتَعَاطَى أَمْرَهُمْ وَقَسَمَ
 عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَا كَفَاهُمْ . فَلَمَّا كَانَ الْغَدْرُ قَالَ الْذِئْبُ فِي نَفْسِهِ : إِنَّ
 قِسْمَةً هَذَا الْجَمَلِ بَيْنَ هُولَاءِ الْعَاجِزِينَ لَا يُعُودُ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا جُزْءٌ
 الَّذِي جَعَلَهُ لِي . وَإِنَّ أَكْلَتَهُ وَهُدِيَ فِيمَا لَا يَسْتَطِي عُوْنَوْنَ لِي ضَرَامَعَ أَنْهُمْ غَنِمَ
 لِي وَلَا هُلُلٌ يَبْتَئِي . فَبَنِي الْذِي يَمْنَعُنِي عَنْ أَخْذِ هَذَا الْنَّفْسِي . وَلَعَلَّ اللَّهَ مُسَبِّبِهِ
 لِي بِغَيْرِ جَمِيلَةِ مِنْهُمْ . فَالْأَحْسَنُ لِي أَنْ أَخْتَصَ بِهِ دُونَهُمْ . وَمِنْ هَذَا الْوَقْتِ
 لَا أُغْطِيَهُمْ شَيْئًا : وَلَمَّا أَصْبَحَ الشَّعَالِبُ . جَاءُوا إِلَيْهِ عَلَى الْعَادَةِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ
 قُوَّتِهِمْ . فَقَالُوا لَهُ : يَا أَبَا سِرْحَانَ . أَعْطِنَا مَوْنَةً يَوْمَنَا : فَاجْأَاهُمْ قَائِلًا : مَا
 بَقَى عِنْدِي شَيْءٌ أُغْطِيَهُ لَكُمْ : فَذَهَبُوا مِنْ عِنْدِهِ عَلَى أَسْوَأِ حَالٍ ثُمَّ قَالُوا : إِنَّ
 اللَّهَ أَوْقَعَنَا فِي هَذِهِ عَظِيمَ مَعَ هَذَا الْخَائِنِ الْخَيْثِ . الَّذِي لَا يَنْتَقِي اللَّهُ وَلَا
 يَخَافُهُ . وَلَيْسَ لَنَا حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ . ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّمَا حَمَلَهُ عَلَى هَذَا
 الْأَمْرِ ضُرُورَةُ الْمُجُوعِ . فَدَعَوْهُ الْيَوْمَ يَا كُلُّ مِنْهُ حَتَّى يَشْعَرَ وَفِي غَدِنَدَهُ
 إِلَيْهِ : فَلَمَّا أَصْبَحُوا تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ . وَقَالُوا لَهُ : يَا أَبَا سِرْحَانَ . إِنَّمَا وَلَيْنَاكَ عَلَيْنَا
 لِأَجْلِ أَنْ تَدْفَعَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا قُوَّتِهِ . وَتُنْصِفَ الْضَّعِيفَ مِنَ الْقَوِيِّ . وَإِذَا

فَرَغَ تَجْهِيدُ لَنَا فِي تَحْصِيلِ غَيْرِهِ . وَنَصِيرَ دَائِمًا تَحْتَ كَنْفِكَ وَرِعَايَتِكَ .
 وَقَدْ مَسَّنَا الْمُجُوعُ . وَلَا يَوْمَانِ مَا أَكْلَنَا . فَأَعْطَنَا مَوْتَنَا . وَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْ
 بِجَمِيعِ مَا تَنْصَرَفُ فِيهِ مِنْ دُونِ ذَلِكَ : فَلَمْ يَرُدَ عَلَيْهِمْ جَوَابًا . بَلْ أَزْدَادَ
 قَسْوَةً . فَرَاجَعُونَ فَلَمْ يَرْجِعْ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لَيْسَ لَنَا حِيلَةٌ إِلَّا أَنَّنَا
 نَنْطَلِقُ إِلَى الْأَسْدِ . وَنَرْمِي أَنفُسَنَا عَلَيْهِ . وَنَجْعَلُ لَهُ الْجَمَلَ فَإِنْ أَحْسَنَ لَنَا
 بِشَيْءٍ مِنْهُ كَانَ مِنْ فَضْلِهِ وَلَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْ هَذَا الْحَيْثِ : ثُمَّ أَنْطَلَقُوا إِلَى
 الْأَسْدِ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مَعَ الذِئْبِ . ثُمَّ قَالُوا لَهُ : نَحْنُ عَيْدُوكَ وَقَدْ
 حَسِنَاكَ مُسْتَحِيرِينَ يَاكَ لَتَخْلُصَنَا مِنْ هَذَا الذِئْبِ وَنَصِيرَ لَكَ عَيْدَا : فَلَمَّا
 سَمِعَ الْأَسْدُ كَلَامَ الشَّعَالِبِ أَخَذَتْهُ الْمُحِيمَةُ وَغَارَ لِلَّهِ تَعَالَى وَمَضَى مَعَهُمْ إِلَى
 الذِئْبِ . فَلَمَّا رَأَهُ الذِئْبُ الْأَسْدَ مُقْبِلًا طَلَبَ الْفِرَارِ مِنْ قُدَامِهِ . فَجَرَى
 الْأَسْدُ خَلْفَهُ وَقَبَضَ عَلَيْهِ وَمَزَقَهُ قِطْعًا وَمَكَنَ الشَّعَالِبَ مِنْ فَرِيسَتِهِمْ : فَمَنْ هَذَا
 يَتَّخِي بِأَنَّهُ لَا يَتَّبِغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتَهَوَّنَ فِي أَمْرِ رِعَايَتِهِ
 الْسَّنْدَبَادُ الْجَمَالُ

١٩٤ إِنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ الْخَلِيفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيدِ بِمَدِينَةِ بَغْدَادِ
 رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ الْسَّنْدَبَادُ الْجَمَالُ وَكَانَ رَجُلًا فَقِيرًا الْجَمَالَ يَحْمِلُ بِأَجْرِ تِهِ عَلَى
 رَأْسِهِ . فَاتَّقَ لَهُ أَنَّهُ حَمَلَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ جِمْلَةً ثِقِيلَةً وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ
 شَدِيدًا الْحَرَّ فَتَّيَّبَ مِنْ تِلْكَ الْجَمَلَةِ وَعَرَقَ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ . فَهَرَّ عَلَى بَابِ
 رَجُلٍ تَاجِرٍ قُدَّامَهُ كُسْ وَرَشْ وَهُنَاكَ هَوَاءٌ مُعْتَدِلٌ وَكَانَ بِجَانِبِ الْبَابِ
 مَصْطَبَةً عَرِبَّةً فَحَطَ الْجَمَالُ حِمْنَتَهُ عَلَى تِلْكَ الْمَصْطَبَةِ لِيَسْتَرِيجَ وَيَشَمَّ الْهَوَاءَ
 فَخَرَجَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ نَسِيمٌ رَائِقٌ وَرَائِحَةٌ ذَكِيرَةٌ فَاسْتَكَدَ الْجَمَالُ لِذَلِكَ

وَجَلَسَ عَلَى جَانِبِ الْمِصْطَبَةِ. فَسَمِعَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ نَفَّاً أُوتَارِ وَعُودِ
 وَأَصْوَاتَ مُطْرِبَةً وَأَنْواعَ إِنْشَادٍ مُغْرِبَةً . وَسَمِعَ أَيْضًا أَصْوَاتَ طُبُورٍ تُنَاغِي
 وَسَمِعَ أَمْلَأَتِ الْمُطْرِبَةَ يَا حِنْلَافِ الْأَصْوَاتِ وَسَائِرِ الْلُّغَاتِ مِنْ قَمَارِيٍّ وَهَزَارِ
 وَشَحَارِيْرَ وَبَلْبُلَ وَفَاخِنَةَ وَكَرْوَانِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ تَعَجَّبَ فِي نَفْسِهِ وَطَرَبَ
 طَرَبًا شَدِيدًا . فَتَقَدَّمَ إِلَى ذَلِكَ فَوَجَدَ دَاخِلَ الْيَتِ بُسْتَانًا عَظِيمًا وَنَظَرَ فِيهِ
 غِلَانًا وَعَيْدًا وَخَدَمًا وَحَشَمًا وَشَيْئًا لَا يُوجَدُ إِلَّا عِنْدَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ .
 وَبَعْدَ ذَلِكَ هَبَّتْ عَلَيْهِ رَائِحَةُ الْمُعْمَةِ طَبِيعَةً ذَكِيرَةً مِنْ جَمِيعِ الْأَلْوَانِ
 الْمُخْتَلِفَةِ وَالشَّرَابِ الْطَّيْبِ . فَرَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: سُبْحَانَكَ يَارَبِ
 يَا خَالِقُ يَا رَازِقُ تَرْزُقُ مِنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ جَمِيعِ
 الْذُنُوبِ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ الْعُيُوبِ . يَارَبِ لَا أَعْنَرَاضَ عَلَيْكَ فِي حُكْمِكَ
 وَقَدْرِكَ فَإِنَّكَ لَا تَسْأَلُ عَمَّا تَعْنَلُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . سُبْحَانَكَ تَغْنِي
 مَنْ تَشَاءُ وَنَفِقَرُ مَنْ تَشَاءُ وَنَعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلِّلُ مَنْ تَشَاءُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
 أَعْظَمُ شَانِكَ وَمَا أَقْوَى سُلْطَانَكَ وَمَا أَحْسَنَ تَدْبِيرَكَ قَدْ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ مَنْ
 تَشَاءُ مِنْ عِبَادِكَ . فَهَذَا الْمَكَانُ صَاحِبُهُ فِي غَايَةِ الْنِعَمَةِ وَهُوَ مُتَلِّذٌ بِالرَّوَاجِ
 الْلَّطِيفَةِ وَالْمَاكِلِ الْلَّذِيْنَ وَالْمَشَارِبِ الْفَاخِرَةِ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ . وَقَدْ
 حَكَمْتَ فِي خَلْقِكَ بِهَا تُرِيدُ وَقَدْرَتُهُ عَلَيْهِمْ . فَمِنْهُمْ تَعْبَانٌ وَمِنْهُمْ مُسْتَرِيحٌ
 وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ وَمِنْهُمْ هُوَ مِثْلِي فِي غَايَةِ التَّعَبِ وَالذُّلِّ . وَأَنْشَدَ يَقُولُ
 فَكَمْ مِنْ شَقِيقٍ يَلَارَاحَةٌ يَنْعَمُ فِي خَيْرٍ فِي وَظِلٍّ
 وَأَصْبَحَتُ فِي تَعَبٍ زَائِدٍ
 وَمَا حَمَلَ الدَّهْرَ يَوْمًا كَمْلِي

يَنْعِمُ فِي عِيشَةِ دَائِمًا
 وَكُلُّ الْحَلَاقَةِ مِنْ نُطْفَةٍ
 وَلِكُنْ شَتَّانَ مَا يَنْتَهَا
 وَلَكُنْ أَقُولُ عَلَيْكَ أَفْتَرَا
 يَسْطِو وَعِزْ وَشُرْبٌ فَأَكْلٌ
 أَنَا مِثْلُ هَذَا وَهَذَا كَيْثِيلٌ
 وَشَتَّانَ مَا يَنْتَهَا حَمْرٌ وَخَلٌ
 فَإِنَّ حَكِيمٌ حَكِيمٌ بِعَدْلٍ
 فَلَمَّا فَرَغَ السَّنْدَبَادُ الْجَمَالُ مِنْ شَعْنٍ وَنَظِيمٍ أَرَادَ أَنْ يَحْمِلَ حِلْتَهُ وَيَسِيرَ
 إِذْ قَدْ طَلَعَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ غُلَامٌ صَغِيرٌ أَسِنٌ حَسَنُ الْوَجْهِ مَلِحُ الْقَدْرِ
 فَأَخْرَى الْمَلَائِكَ . فَقَبَضَ عَلَى يَدِ الْجَمَالِ وَقَالَ لَهُ: أَدْخُلْ كَلْمَ سَيِّدِي فَإِنَّهُ
 يَدْعُوكَ: فَأَرَادَ الْجَمَالُ الْأَمْتِنَاعَ مِنَ الدُّخُولِ مَعَ الْغُلَامِ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ.
 فَحَطَ حِلْتَهُ عِنْدَ الْبَوَابِ فِي دِهْلِيزِ الْمَكَانِ وَدَخَلَ مَعَ الْغُلَامِ دَاخِلَ الدَّارِ.
 فَوَجَدَ دَارًا أَمْلَيَّةً وَعَلَيْهَا أُنْسٌ وَوَقَارٌ . وَنَظَرَ إِلَى مَجْلِسٍ عَظِيمٍ فَنَظَرَ فِيهِ
 مِنَ السَّادَاتِ الْكَرَامِ وَالْمُؤْلِيِّينَ وَفِيهِ مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ الزَّهْرِ وَجَمِيعِ
 أَصْنَافِ الْمَشْمُومِ وَمِنْ أَنْوَاعِ النَّفْلِ وَالْفَوَاكِهِ وَشَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَصْنَافِ
 الْأَطْعِمَةِ الْنَّفِيسَةِ . وَفِيهِ مَشْرُوبٌ مِنْ خَوَاصِ دَوَالِي الْكَرُومِ وَفِيهِ آلاتُ
 السَّاعِ وَالْطَّرَبِ مِنْ أَصْنَافِ الْجُوَارِيِّ الْمَحْسَانِ كُلُّ مِنْهُمْ فِي مَقَامِهِ عَلَى
 حَسْبِ التَّرْتِيبِ . وَفِي صَدْرِ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ رَجُلٌ عَظِيمٌ مُحْتَرِمٌ قَدْ لَكَنُ
 الشَّيْبُ فِي عَوَارِضِهِ وَهُوَ مَلِحُ الصُّورَةِ حَسَنُ الْمَنْظَرِ وَعَلَيْهِ هَيَّةٌ وَوَقَارٌ وَعِزْ
 وَفَخَارٌ . فَعِنْدَ ذَلِكَ بَهَتَ السَّنْدَبَادُ الْجَمَالُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا
 الْمَكَانَ مِنْ بُعْدِ الْجَنَانِ أَوْ إِنَّهُ يَكُونُ قَصْرَ مَلِكٍ أَوْ سُلْطَانٍ: ثُمَّ إِنَّهُ تَادَبَ
 وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَدَعَ عَلَيْهِمْ وَقَبَلَ الْأَرْضَ يَسِيرًا أَيْدِيهِمْ وَوَقَفَ وَهُوَ مُنْكَسٌ
 إِلَرَاسٌ مُخْشِعٌ . فَأَذَرَ لَهُ صَاحِبُ الْمَكَانِ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ وَقَدْ قَرَبَ إِلَيْهِ

وَصَارَ يُؤْنِسُهُ بِالْكَلَامِ وَيُرْحَبُ بِهِ . ثُمَّ قَدَمَ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الْطَّعَامِ
أَمْفَتَحَ الْطِيبَ النَّفِيسِ . فَتَقَدَّمَ السَّنْدَبَادُ الْجَمَالُ وَسَيِّفَ كَلْ حَتَّى أَكْتَفَى
وَشَيْعَ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ : ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَ يَدَيْهِ وَشَكَرَهُ عَلَى
ذَلِكَ . فَقَالَ صَاحِبُ الْمَكَانِ : مَرْحَبًا بِكَ وَنَهَارُكَ مُبَارَكٌ . فَإِنَّكُونُ أَسْمَكَ .
وَمَا تُعَنِّي مِنَ الصَّنَاعَةِ : فَقَالَ لَهُ : يَا سَيِّدِي أَسْمَيِ السَّنْدَبَادَ الْجَمَالُ وَأَنَا أَجْمَلُ
عَلَى رَأْسِي أَسْبَابَ النَّاسِ بِالْأَجْرَةِ : فَتَبَسَّمَ صَاحِبُ الْمَكَانِ وَقَالَ لَهُ : أَعْلَمُ
يَا حَالَ أَنَّ أَسْمَكَ مِثْلُ أَسْمَيِ . فَإِنَّا السَّنْدَبَادَ الْجَمَالُ وَلِكُنْ يَا حَالَ قَصْدِي
أَنْ تُسْمِعَنِي الْأَيَّاتَ الَّتِي كُنْتَ تُنْشِدُهَا وَأَنْتَ عَلَى الْبَابِ : فَأَسْتَحِيَ الْجَمَالُ
وَقَالَ لَهُ : بِاللَّهِ عَلَيْكَ لَا تُؤَاخِذْنِي فِيمَا تَعَبَ وَمَشَقَةَ وَقِلَّةَ مَا فِي الْيَدِ تَعْلَمُ
الْإِنْسَانَ قِلَّةَ الْأَدَبِ وَالسَّفَهِ : فَقَالَ لَهُ : لَا تَسْتَحِي فَإِنَّكَ نَشَدَ
الْأَيَّاتَ فِيهَا أَعْجَبْتَنِي لَهَا سَمِعْتُهَا مِنْكَ وَأَنْتَ تُنْشِدُهَا عَلَى الْبَابِ : فَعِنْدَ
ذَلِكَ أَنْشَدَ الْجَمَالُ تِلْكَ الْأَيَّاتَ فَأَعْجَبْتُهُ وَطَرِبَ لِسَامِعِهَا وَقَالَ لَهُ :
يَا حَالَ أَعْلَمُ أَنَّ لِي قِصَّةَ عَجِيبةَ وَسَوْفَ أُخْبِرُكَ بِجُمِيعِ مَا صَارَ لِي وَمَا جَرَى
لِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَصِيرَ إِلَى هَذِهِ السَّعَادَةِ وَأَجْلَسَ فِي هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي تَرَانِي
فِيهِ . فَإِنِّي مَا وَصَلْتُ إِلَى هَذِهِ السَّعَادَةِ وَهَذَا الْمَكَانُ إِلَّا بَعْدَ تَعَبٍ شَدِيدٍ
وَمَشَقَّةٍ عَظِيمَةٍ وَأَهْوَالٍ كَثِيرَةٍ . وَكَمْ قَاسَيْتُ فِي الْزَّمَنِ الْأَوَّلِ مِنَ التَّعَبِ
وَالنَّصْبِ . وَقَدْ سَافَرْتُ سَبْعَ سَفَرَاتٍ وَكُلُّ سَفَرٍ لَهَا حَكَايَةٌ عَجِيبةٌ تُحِيرُ الْفَكَرَ
الْسَّفَرَةُ السَّادِسَةُ

مِنَ السَّبْعِ السَّفَرَاتِ لِلسَّنْدَبَادِ الْجَمَالِيِّ

إِعْلَمُوا يَا سَادَةُ يَا كِرَامُ . أَنَّهُ كَانَ لِي أَبٌ تَاجِرٌ وَكَانَ مِنْ أَكْبَارِ النَّاسِ

وَالْتِجَارِ. وَكَانَ عِنْدَهُ مَالٌ كَثِيرٌ وَنَوَالٌ جَزِيلٌ. وَقَدْ مَاتَ وَلَدُ
صَغِيرٌ وَخَلَفَ لِي مَا لَا وَعْدَارًا وَضِياعًا. فَلَمَّا كَبُرْتُ وَضَعَتْ يَدِي عَلَى
الْجَمِيعِ وَقَدْ أَكْلَتُ أَكْلًا مَلِحًا وَشَرَبْتُ شُرَبًا مَلِحًا وَعَاشَرْتُ الشَّيَابَـ
وَتَجْمَلْتُ بِلِبْسِ الشَّيَابِ وَمَشَيْتُ مَعَ الْخَلَانِ وَالْأَصْحَابِ وَاعْتَقَدْتُ أَنَّ
ذَلِكَ يَدُومُ لِي وَيَنْفَعُنِي وَلَمْ أَزَلْ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ مُدْعَةً مِنَ الْزَّمَانِ وَافْقَطُ
مِنْ غَفْلَتِي. ثُمَّ إِنِّي رَجَعْتُ إِلَى عَقْلِي فَوَجَدْتُ مَا لِي قَدْ مَالَ وَحَالَيَتْ دَخَالَ
وَقَدْ ذَهَبَ جَيْعَ مَا كَانَ مَعِي وَلَمْ أَسْتَفِقْ لِنَفْسِي إِلَّا وَأَنَا مَرْعُوبٌ مَدْهُوشٌ
وَقَدْ تَفَكَّرْتُ حِكَايَةً كُنْتُ أَسْمَعُهَا سَاقِيَّاً مِنْ أَيِّ وَهِيَ حِكَايَةُ سَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ
بْنِ دَاؤِدَ عَلَيْهَا السَّلَامَ فِي قَوْلِهِ ثَلَاثَةُ خَيْرٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ: يَوْمُ الْمَهَاجَرَةِ خَيْرٌ مِنْ
يَوْمِ الْوِلَادَةِ. وَكُلُّهُ خَيْرٌ مِنْ سَبْعِ مِيَّتِ. وَالْقَبْرُ خَيْرٌ مِنْ النَّفَرِ: ثُمَّ
إِنِّي قَمَتُ وَجَمَعْتُ مَا كَانَ عِنْدِي مِنْ آثارٍ وَمَلْبُوسٍ وَبَعْتُهُمْ بِعْتُ عَفَارِي
وَجَيْعَ مَا تَمْلَكْتُ يَدِي فَجَمَعْتُ ثَلَاثَةَ أَلَافِ دِرْهَمٍ وَقَدْ خَطَرَ بِيَّا لِي الْسَّفَرِ
إِلَى بِلَادِ النَّاسِ وَتَذَكَّرْتُ كَلَامَ بَعْضِ الْشِّعْرَاءِ حِيثُ قَالَ:

يَقْدِرُ الْكَدِّ تَكْنَسُ الْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى سَهَرَ الْلَّيَالِي

يَغُوصُ الْبَحْرَ مِنْ طَلَبِ الْلَّاِي وَيَحْضُرُ بِالسِّيَادَةِ وَالنَّوَالِ
وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى مِنْ غَيْرِ كَدِّ أَصَاعَ الْعُمَرَ فِي طَلَبِ الْمَحَالِ

*Hucusque
congrue-
re vi-
detur
Agreees
w. both.*

فَأَشْتَاقَتْ نَفْسِي إِلَى السَّفَرِ وَالْتِجَارَةِ فَعَزَمْتُ عَلَى السَّفَرِ وَشَرَبْتُ لِي بِضَائِعَـ
نَفِيسَةً فَآخِرَةً تَصْلُحُ لِلْبَحْرِ وَحَمَلْتُ حُمُولِي وَسَافَرْتُ مِنْ مَدِينَةِ بَغْدَادِ إِلَى
مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ فَرَأَيْتُ مَرْكَباً عَظِيمًا فِيهِ تِجَارٌ وَأَكَابِرٌ وَمُعْمِمٌ بِضَائِعَ نَفِيسَةً
فَتَرَكْتُ حُمُولِي مَعَهُمْ فِي هَذَا الْمَرْكَبِ وَسِرْنَا بِالسَّلَامَةِ مِنْ مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ وَلَمْ

نَزَلَ مُسَافِرِينَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ وَمِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ وَنَحْنُ نَبِعُ
 وَنَشْتَرِي وَنَفْرَجُ عَلَى يَلَادِ النَّاسِ. وَقَدْ طَابَ لَنَا السُّعْدُ وَالسُّفْرُ وَأَغْنَنَاهُ
 الْمَعَاشَ إِلَى أَنْ كُنَّا سَائِرِينَ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ وَإِذَا بِرَئِيسِ الْمَرْكَبِ صَرَخَ
 وَصَاحَ وَرَمَى عِيَامَتَهُ وَلَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ وَنَفَّ لَحْيَتَهُ وَوَقَعَ فِي بَطْنِ الْمَرْكَبِ
 مِنْ شِدَّةِ الْغُمَّ وَالْقُهُورِ. فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْتَّجَارِ وَالرُّكَابِ. وَقَالُوا لَهُ: يَا رَئِيسُ
 مَا الْخَبَرُ؟ فَقَالَ لَهُمُ الرَّئِيسُ: أَعْلَمُوا يَا جَمَاعَةً أَنَّنَا قَدْ تَهْنَأْ بِمَرْكِبِنَا وَخَرَجْنَا
 مِنَ الْبَحْرِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ وَدَخَلْنَا بَحْرًا لَمْ نَعْرِفْ طُرُقَهُ وَإِذَا لَمْ يُقِضِ اللَّهُ لَنَا
 شَيْئًا يُخْلِصَنَا مِنْ هَذَا الْبَحْرِ هَلِكَنَا يَا جَمِيعَنَا لَا حَمَالَةٌ فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُبَحِّنَنَا
 مِنْ هَذَا الْأَمْرِ: ثُمَّ إِنَّ الرَّئِيسَ قَامَ عَلَى حَيْلَهِ وَصَعَدَ عَلَى الصَّارِيِّ وَأَرَادَ أَنْ
 يَحْلِّ الْقُلُوعَ فَقَوَى الرِّيحُ عَلَى الْمَرْكَبِ فَرَدَّهَا عَلَى مُؤَخِّرِهَا فَانْكَسَرَتْ دَفْتُهَا
 قُرْبَ جَبَلٍ عَالٍ. فَنَزَلَ الرَّئِيسُ مِنَ الصَّارِيِّ وَقَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
 بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ الْمَقْدُورَ. وَاللَّهُ إِنَّنَا قَدْ وَقَعْنَا فِي
 هَلْكَةٍ عَظِيمَةٍ وَلَمْ يَقِنْ لَنَا مِنْهَا مُخْلَصٌ وَلَا بَحَاجَةٌ: فَبَيْكِيْ جَمِيعُ الرُّكَابِ عَلَى
 أَنْفُسِهِمْ وَوَدَّعْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِفَرَاغِ أَعْمَارِهِمْ وَأَنْقَطَعَ رَجَاؤُهُمْ وَمَالَ الْمَرْكَبُ
 عَلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ فَانْكَسَرَ وَتَفَرَّقَتِ الْوَاحِدَةَا. فَغَرَقَ جَمِيعُ مَا كَانَ فِيهِ
 وَوَقَعَ الْتَّجَارُ فِي الْبَحْرِ. فَيَمْنَمُونَ غَرِيقًا وَمِنْهُمْ مَنْ تَمَسَّكَ بِذَلِكَ الْجَبَلِ
 وَطَلَعَ عَلَيْهِ. وَكُنْتُ أَنَا مِنْ جُمِيلَةِ مَنْ طَلَعَ ذَلِكَ الْجَبَلَ وَإِذَا فِيهِ جَزِيرَةٌ كَبِيرَةٌ
 عِنْدَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمَرَاكِبِ الْمُكْسَرَةِ. وَفِيهَا أَرْزَاقٌ كَثِيرٌ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ
 مِنَ الَّذِي يَطْرَحُهُ الْبَحْرُ مِنَ الْمَرَاكِبِ الَّتِي كَسَرَتْ وَغَرَقَ رُكَابُهَا. وَفِيهَا شَيْءٌ
 كَثِيرٌ يُحِبِّ الْعُقْلَ وَالْفِكْرَ مِنَ الْمَنَاعِ وَالْأُمَوَالِ الَّتِي يُلْقِيَهَا الْبَحْرُ عَلَى

جَوَانِبُهَا فَعِنْدَ ذَلِكَ طَلَعَتْ أَعْلَى تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَمَشَيْتُ فِيهِ فَرَأَيْتُ فِي
 ٩٢٨،
 l. 6. وَسَطِهَا عَيْنَ مَاءَ عَذْبٍ جَارٍ خَارِجٍ مِنْ تَحْتِ أَوْلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ وَدَاخِلٍ
 فِي آخِرِهِ مِنْ الْجَانِبِ الثَّانِي. فَعِنْدَ ذَلِكَ طَلَعَ حَمِيعُ الرُّكَابِ عَلَى ذَلِكَ
 الْجَبَلِ إِلَى الْجَزِيرَةِ وَأَنْتَشَرُوا فِيهَا وَقَدْ دَاهَلَتْ عَوْلَمُ مِنْ ذَلِكَ وَصَارُوا
 مِثْلَ الْجَانِبِينَ مِنْ كُثْرَةِ مَارَاؤِا فِي الْجَزِيرَةِ مِنَ الْأَمْتَعَةِ وَالْأَمْوَالِ الَّتِي عَلَى
 سَاحِلِ الْبَحْرِ وَقَدْ رَأَيْتُ فِي وَسْطِ تِلْكَ الْعَيْنِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَصْنَافِ
 الْجَوَاهِرِ وَالْمَاعِدَنِ وَالْأَلَائِي وَالْكِبَارِ الْمُلُوكَةِ وَهِيَ مِثْلُ الْحَصَى فِي
 بَعْلَارِي الْمَاءِ فِي تِلْكَ الْغَيْطَانِ وَجَمِيعُ أَرْضِ تِلْكَ الْعَيْنِ تَبَرُّقُ مِنْ كُثْرَةِ مَا
 فِيهَا مِنَ الْمَاعِدَنِ وَغَيْرِهَا. وَرَأَيْنَا شَيْئًا كَثِيرًا فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ مِنْ أَعْلَى الْعُودِ
 الْصِّينِيِّ وَالْعُودِ الْقَارِيِّ. وَفِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ عَيْنٌ نَابِعَةٌ مِنْ صَنْفِ الْعَنْبَرِ
 الْحَنَامِ وَهُوَ يَسِيلُ مِثْلُ الشَّمْعِ عَلَى جَانِبِ تِلْكَ الْعَيْنِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ الشَّمْسِ
 وَيَمْتَدُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَتَطَلَّعُ الْهَوَاشُ مِنْ الْبَحْرِ تَبَلُّهُ وَتَنْزَلُ بِهِ فِي الْبَحْرِ
 فَيَحْمِي فِي بُطُونِهَا فَتَقْدِفُهُ مِنْ أَفْوَاهِهَا فِي الْبَحْرِ فَيَجْمُدُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ. فَعِنْدَ
 ذَلِكَ يَتَغَيِّرُ لَوْنُهُ وَأَحْوَالُهُ فَتَقْذِفُهُ الْأَمْوَاجُ إِلَى جَانِبِ الْبَحْرِ فَيَأْخُذُ
 الْسَّيَّاحُونَ وَالْتَّجَارَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَهُ فَيَبِعُونَهُ. وَمَمَّا الْعَنْبَرُ الْحَنَامُ الْمُخَالِصُ مِنَ
 الْبَلْعِ فَإِنَّهُ يَسِيلُ عَلَى جَانِبِ تِلْكَ الْعَيْنِ وَيَجْمُدُ يَارِضِهِ. وَإِذَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ
 الشَّمْسُ يُسِيجُ وَتَبَقَّى مِنْهُ رَأْكَهُ ذَلِكَ الْوَادِي كُلُّهُ مِثْلَ الْبِسْكِ. وَإِذَا زَالَتْ
 عَنْهُ الشَّمْسُ يُجْمَدُ. وَذَلِكَ الْمِسْكَانُ الَّذِي فِيهِ هَذَا الْعَنْبَرُ الْحَنَامُ لَا يَقْدِرُ
 أَحَدٌ عَلَى دُخُولِهِ وَلَا يَسْتَطِعُ سُلُوكَهُ. فَإِنْ أَنْجَبَ مُجِيبٌ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ
 وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى صُوْدِ ذَلِكَ الْجَبَلِ. وَلَمْ نَزَلْ دَائِرَيْنِ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ

نَتَفَرَّجُ عَلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا مِنَ الْأَرْضَاقِ وَنَحْنُ مُخْبِرُونَ فِي أَمْرِنَا وَفِيهَا
 ٩٢٨، ٣/٤
 نَرَاهُ وَعِنْدَنَا خَوْفٌ شَدِيدٌ. وَقَدْ جَمَعْنَا عَلَى جَانِبِ الْجَزِيرَةِ شَيْئاً قَلِيلًا مِنَ
 الْأَرْضِ فَصِرْنَا نُوْفُونَ وَنَاكِلُ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ أَكْلَهُ وَاحِدَةً وَنَحْنُ
 خَائِفُونَ أَنْ يَغْرِغَ الْأَرْضَادُ مِنَنَا فَنَمُوتَ كَمَدَلًا مِنْ شَطَّ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ. وَكُلُّ مَنْ
 مَاتَ مِنَا نُغَسِّلُهُ وَنَكْفِنُهُ فِي شَيْبٍ وَقَاسٍ مِنَ الَّذِي يَطْرَحُهُ الْبَحْرُ عَلَى جَانِبِ
 الْجَزِيرَةِ حَتَّى مَاتَ مِنَّا خَلَقَ لَهُ كَثِيرٌ لَمْ يَقِنْ مَنَا إِلَّا جَمَاعَةٌ قَلِيلَةٌ. فَضَعَفْنَا بِوَجْهِ
 الْبَطْنِ مِنَ الْبَحْرِ وَأَقْهَنَا مُدَّ قَلِيلَةٌ فَاتَّ جَمِيعُ أَصْحَابِي وَرَفَقَائِي وَاحِدٌ بَعْدَ
 وَاحِدٍ. وَكُلُّ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ نَدِفَنُهُ. وَبَيْتُ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَحْدَيِّي وَنَبِيِّي
 مَعِي زَادَ قَلِيلٌ بَعْدَ أَنْ كَانَ كَثِيرًا فَبَكَيْتُ عَلَى نَفْسِي وَقُلْتُ: يَا لَيْتَنِي مُتُّ قَبْلَ
 رُفَقَائِي وَكَانُوا أَغْسَلُونِي وَدَفَنُونِي فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ:
 ٩٣٩، ١، ٣
 ثُمَّ إِنِّي أَقْمَتُ مُدَّ يَسِيرَ وَقَمْتُ حَفَرْتُ لِنَفْسِي حُفْرَةً عَيْقَةً فِي جَانِبِ
 تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَقُلْتُ فِي نَفْسِي إِذَا ضَعُفتُ وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ آتَانِي أَرْقُدُ
 فِي هَذَا الْقَبْرِ فَأَمَوْتُ فِيهِ وَيَقِنَّ الرَّجُلُ يُسْفِي الرَّمْلَ عَلَيْهِ فِي غَطَّسِي وَاصِيرُ
 مَدْفُونًا فِيهِ. وَصَرَّتُ الْوَمْ نَفْسِي عَلَى قِلَّةِ عَقْلِي وَخَرُوجِي مِنْ بِلَادِي وَمَدِينَتِي
 وَسَفَرْتُ إِلَى الْمِلَادِ بَعْدَ الَّذِي قَاسَيْتُهُ أَوْلًا وَثَانِيَا وَثَالِثًا وَرَابِعًا وَخَامِسًا.
 وَلَا سَفَرَتْ مِنَ الْأَسْفَارِ إِلَّا وَقَاسَيْتُهُ أَوْلًا وَشَدَائِدَ أَشْفَقَ وَأَصْبَحَ مِنَ
 الْأَهْوَالِ الَّتِي قَبْلَهَا. وَمَا أَصْدِقُ بِالنَّجَاهَةِ وَالسَّلَامَةِ وَأَتُوبُ عَنِ السَّفَرِ فِي
 الْبَحْرِ وَعَنْ عَوْدِي إِلَيْهِ. وَلَسْتُ مُهْنَاجًا لِمَالِي وَعِنْدِي شَيْءٌ كَثِيرٌ. وَالَّذِي
 عِنْدِي لَا أَقْدِرُ أَنْ أَفْنِيهِ وَلَا أُضِيعَ نَصْفَهُ فِي بَاقِي عُمْرِي. وَعِنْدِي مَا يَكْفِي
 وَزِيَادَةً. ثُمَّ إِنِّي تَفَكَّرْتُ فِي نَفْسِي وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا بُدَّ أَنْ هَذَا النَّهَرُ لَهُ أَوْلُ

فَآخِرُهُ وَلَا بُدَّ مِنْ مَكَانٍ يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى الْعَمَارِ. وَالرَّأْيُ الْسَّدِيدُ عِنْدِي يَأْتِي
 أَعْمَلُ لِي فُلْكًا صَغِيرًا عَلَى قَدْرِ مَا أَجْلَسُ فِيهِ وَأَنْزَلُ وَأَقْبِلَهُ فِي هَذَا النَّهَرِ
 وَأَسِيرُ بِهِ، فَإِنْ وَجَدْتُ لِي خَلَاصًا أَخْلُصُ وَأَجْوُبُ يَا ذِنْنِ اللَّهِ تَعَالَى. وَإِنْ لَمْ
 أَجِدْ لِي مُخْلَصًا أَمْوَاتُ دَاخِلَ هَذَا النَّهَرَ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ وَصَرَّتُ
 أَخْسَرُ عَلَى نَفْسِي. ثُمَّ إِنِّي قُمْتُ وَسَعَيْتُ فِي جَمِيعِ أَخْشَابِهِ مِنْ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ
 مِنْ خَشْبِ الْعُودِ الْصِينِيِّ وَالْقَمَارِيِّ وَشَدَّدْتُهَا عَلَى جَانِبِ الْبَحْرِ بِحِبَالٍ مِنْ
 حِبَالِ الْمَرَاكِبِ الَّتِي كُسِّرَتْ وَجَهْتُ بِالْوَاحِدِ مَتَسَاوِيَةً مِنْ الْوَاحِدِ الْمَرَاكِبِ
 وَوَضَعْتُهَا فِي ذَلِكَ الْخَشْبِ وَجَعَلْتُ ذَلِكَ الْفُلْكَ عَلَى عَرْضِ ذَلِكَ النَّهَرِ
 أَوْ أَقْلَّ مِنْ عَرْضِهِ وَشَدَّدْتُهُ شَدَّاً طَيْبًا مَكِيناً. وَقَدْ أَخَذْتُ مَعِي مِنْ تِلْكَ
 الْمَعَادِنِ وَأَجْوَاهِرِ وَالْأَمْوَالِ وَالْلُّؤْلُؤَ الْكَيْرِ الَّذِي مِثْلُ الْخَصِّيِّ وَغَيْرِ
 ذَلِكَ مِنَ الَّذِي فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَشَيْئًا مِنَ الْعَنْبَرِ الْخَامِ الْخَالِصِ الْطَّيْبِ
 وَوَضَعْتُهُ فِي ذَلِكَ الْفُلْكِ وَوَضَعْتُ فِيهِ جَمِيعَ مَا جَعَلْتُهُ مِنَ الْجَزِيرَةِ وَأَخَذْتُ
 مَعِي جَمِيعَ مَا كَانَ بِأَقِيمِ الْرَّازِيِّ. ثُمَّ إِنِّي أَقْيَتُ ذَلِكَ الْفُلْكَ فِي هَذَا النَّهَرِ
 وَجَعَلْتُ لَهُ خَسْبَتَيْنِ عَلَى جَنِيَّيْهِ مِثْلَ الْمَجَادِيفِ وَعَمِلْتُ بِقَوْلِ بَعْضِ
 الشِّعْرِ

وَخَلَ الْمَلَرَ تَنَعَّى مَنْ بَنَاهَا
 وَنَفْسُكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا
 فَكُلُّ مُصِيبَةٍ يَأْتِي أَنْتَهَا
 فَلَمَّا يَمُوتُ فِي أَرْضِ سِوَاهَا
 فَأَلِّنَفْسِ نَاصِحةً سِوَاهَا

تَرَحَّلَ عَنْ مَكَانٍ فِيهِ ضَيْمٌ
 فَإِنَّكَ وَاجِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ
 وَلَا تَجِدُ لِحَادِثَةَ الْلَّيَالِي
 وَمَنْ كَانَتْ مِيَتَتُهُ بِأَرْضٍ
 وَلَا تَبَعَثُ رَسُولَكَ فِي مُمِّ

٩٣٩ ft. وَسِرْتُ بِذِلِكَ الْفُلْكِ فِي النَّهْرِ وَأَنَا مَتَفَكِّرٌ فِيمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ أَمْرِي . وَلَمْ
 أَزْلَ سَائِرًا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ النَّهْرُ تَحْتَ ذَلِكَ الْجَبَلِ وَدَخَلْتُ
 الْفُلْكَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ وَقَدْ صِرْتُ فِي ظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ تَحْتَ الْجَبَلِ . وَلَمْ
 يَزَلِ الْفُلْكُ دَاخِلًا يَمْعَأِ إِلَى ضَيْقٍ تَحْتَ الْجَبَلِ . وَصَارَتْ جَوَانِبُ
 الْفُلْكِ تَحْكُمُ فِي جَوَانِبِ النَّهْرِ وَرَأْسِي يَحْكُمُ فِي سَقْفِ النَّهْرِ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى
 إِنِّي أَعُودُ مِنْهُ وَقَدْ لَمْتُ نَفْسِي عَلَى مَا فَعَلْتُهُ بِرُوحِي وَقُلْتُ : إِنْ ضَاقَ الْمَكَانُ
 عَلَى الْفُلْكِ قَلْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ وَلَا يَمْكُنُ عَوْدَهُ فَأَهْلَكُ فِي الْمَكَانِ كَمَا يَلَا
 حَمَالَةً . وَقَدْ أَنْطَرْتُ عَلَى وَجْهِي فِي الْفُلْكِ مِنْ ضَيْقِ النَّهْرِ . وَلَمْ أَزْلَ سَائِرًا
 وَلَا أَعْلَمُ لَيَلَالًا مِنْ نَهَارٍ بِسَبَبِ الظُّلْمَةِ الَّتِي أَنَا فِيهَا تَحْتَ ذَلِكَ الْجَبَلِ مَعَ
 الْفَزْعِ وَالْحُوْفِ عَلَى نَفْسِي مِنْ أَهْلَاكِ . وَلَمْ أَزْلَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ سَائِرًا فِي ذَلِكَ
 النَّهْرِ وَهُوَ يَتَسْعُ تَارَةً وَيَضْيقُ أُخْرَى . وَلَكِنَّ الظُّلْمَةَ قَدْ أَتَعْبَتِي تَعْبًا شَدِيدًا
 فَأَخْدَثْتُنِي سِنَةً مِنَ النُّومِ مِنْ شِدَّةِ قَهْرِي فَنَمِتُ عَلَى وَجْهِي فِي الْفُلْكِ . وَلَمْ
 يَزَلْ سَائِرًا يَمْعَأِ وَأَنَا نَائِمٌ لَا أَدْرِي بِكَثِيرٍ وَلَا قَلِيلٍ . ثُمَّ إِنِّي أُسْتِيقَظُ فَوَجَدْتُ
 نَفْسِي فِي النُّورِ . فَفَتَحْتُ عَيْنِي فَرَأَيْتُ مَكَانًا وَاسِعًا وَذَلِكَ الْفُلْكُ مَرْبُوطًا
 عَلَى جَزِيرَةٍ وَحَوْلِي جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُهُودِ وَالْجَبَشِ . فَلَمَّا رَأَوْنِي قُمْتُ نَهْضُوا إِلَيَّ
 وَكَلَّمُونِي بِلِسَانِهِمْ فَلَمَّا أَعْرِفَ مَا يَقُولُونَ . وَبَقِيَتْ أَطْنَانُهُ حُلْمٌ وَأَنَّ هَذَا فِي
 الْمَنَامِ مِنْ شِدَّةِ مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ الضَّيْقِ وَالْقُهْرِ . فَلَمَّا كَلَّمُونِي وَلَمَّا أَعْرِفَ
 حَدِيثَهُمْ وَلَمْ أَرْدِ عَلَيْهِمْ جَوَابًا . نَقَدَمْ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَقَالَ لِي بِلِسَانِ
 عَرَبِيٍّ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَخَايَا . مَنْ تَكُونُ أَنْتَ وَمَنْ أَنْتَ حِتَّ . وَمَا سَبَبُ
 مُحِبِّيَكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ . وَمَنْ أَبْيَنَ دَخَلْتَ فِي هَذَا الْمَاءِ . وَأَبْيَثَ بِلَادِ خَلْفَ

هَذَا الْجَبَلُ لَا نَنَا لَا نَعْلَمُ أَنْ أَحَدًا سَلَكَ مِنْ هُنَاكَ إِلَيْنَا: فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ تَكُونُونَ
 أَنْتُمْ وَأَيْ أَرْضٍ هُنْ: فَقَالَ لِي: يَا أَخِي نَحْنُ أَصْحَابُ الْزَّرْعِ وَالْغِيَطَانِ وَحِنْدَنَا
 لِنْسُقِي غِيَطَانَنَا وَزَرْ عَنَا فَوَجَدْنَاكَ نَائِمًا فِي الْفَلْكِ فَأَمْسَكْنَاهُ وَرَبَطْنَاهُ عِنْدَنَا
 حَتَّى نَقُومَ عَلَى هَمْلَكَ. فَأَخْبَرْنَا مَا سَبَبَ وَصُولَكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ: فَقُلْتُ لَهُ:
 بِاللَّهِ عَلَيْكَ يَا سَيِّدِي أَتَشْنَى بِشَيْءٍ مِنَ الْطَّعَامِ فَإِنِّي جَائِعٌ وَبَعْدَ ذَلِكَ أَسْأَلُنِي
 عَمَّا تُرِيدُ: فَأَسْرَعَ وَأَتَانِي بِالْطَّعَامِ فَأَكَلْتُ حَتَّى شِعْتُ وَارْتَحَتُ وَسَكَنَ
 رَوْعِي وَازْدَادَ شَيْعِي وَرَدَّتْ لِي رُوحِي. فَحَمَدْتُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ
 وَفَرِحْتُ بِخُروِجي مِنْ ذَلِكَ الْنَّهْرِ وَوَصُولِي إِلَيْهِ وَأَخْبَرْتُهُمْ بِمُجَمِعِ مَا جَرَى
 لِي مِنْ أَوْلَهُ إِلَى آخِرِهِ وَمَا لَقِيْتُهُ فِي ذَلِكَ الْنَّهْرِ وَضَيْقِهِ. ثُمَّ إِنَّهُمْ تَكَلَّمُوا مَعَ
 بَعْضِهِمْ وَقَالُوا: لَا بُدَّ أَنَّنَا نَاخِذَنَ مَعْنَا وَنَعْرِضَهُ عَلَى مَلِكِنَا لِيُخْيِنَ بِمَا جَرَى
 لَهُ: قَالَ: فَأَخْذُونِي مَعْنَمْ وَحَمَلُوا مَعِي الْفَلْكَ بِمُجَمِعِ مَا فِيهِ مِنَ الْمَالِ وَالنَّوَالِ
 وَاجْوَاهِ الْمَعَادِنِ وَالْمَصَاغِ وَقَدْ أَدْخَلُونِي عَلَى مَلِكِهِمْ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا جَرَى.
 فَسَلَمَ عَلَى وَرَبِّي وَسَأَلَنِي عَنْ حَالِي وَمَا اتَّفَقَ لِي مِنَ الْأُمُورِ. فَأَخْبَرْتُهُ
 بِمُجَمِعِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَمَا لَاقِيْتُهُ مِنْ أَوْلَهُ إِلَى آخِرِهِ. فَتَعَجَّبَ الْمَلِكُ مِنْ
 هَذِهِ الْمُحْكَايَةِ غَايَةِ الْعَجَبِ وَهَنَانِي بِالسَّلَامَةِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ قُبِّتُ وَطَلَعْتُ مِنْ
 ذَلِكَ الْفَلْكِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْمَعَادِنِ وَاجْوَاهِهِ وَالْعُودِ وَالْعَنْبَرِ الْخَامِ
 وَأَهْدَيْتُهُ إِلَى الْمَلِكِ فَقَبَلَهُ مِنِّي وَأَكْرَمَنِي إِكْرَامًا زَائِدًا نَزَلَنِي فِي مَكَانٍ عَنْكَ
 وَقَدْ صَاحَبْتُ أَخْيَارَهُمْ وَأَعْزُوْنِي مَعْنَعَ عَظِيمَهُ وَصَرَنَتْ لَا أَفَارِقُ دَارَ
 الْمَلِكِ. وَصَارَ الْوَارِدُونَ إِلَى تِلْكَ الْجَزِيرَةِ يَسَّأُلُونِي عَنْ أُمُورِ يَلَادِي
 فَأَخْبَرْتُهُمْ بِهَا وَكَذِلِكَ أَسَأَهُمْ عَنْ أُمُورِ يَلَادِي فَبَخِرُونِي بِهَا إِلَى أَنْ سَأَلَنِي

ملِكُمْ يوْمَ امِنَ الْأَيَّامِ عَنْ أَحْوَالِ بِلَادِي وَعَنْ أَحْوَالِ حُكْمِ الْخَلِيفَةِ فِي بِلَادِ
 مَدِينَةِ بَغْدَادَ فَأَخْبَرَهُ بِعَدْلِهِ فِي أَحْدَامِهِ فَتَعَجَّبَ مِنْ أَمْوَارِهِ وَقَالَ لَيْ: وَاللهِ
 إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَهُ أَمْوَارٌ عَقْلِيَّةٌ وَأَحْوَالٌ مَرْضِيَّةٌ فَإِنَّنَّ قَدْ حَبَّتِنِي فِيهِ وَمَرَادِي
 أَنْ أَجْهَزَ لَهُ هَدِيَّةً وَأَرْسَلَهَا مَعَكَ إِلَيْهِ فَقُلْتُ: سَمِعًا وَطَاعَةً يَامَوْلَانَا وَصَلَّهَا
 إِلَيْهِ وَأَخْبَرْتُ أَنَّكَ مُحِبٌ صَادِقٌ وَلَمْ أَزَلْ مُقِيمًا عِنْدَ ذِلِكَ الْمَلِكِ وَأَنَا فِي
 غَایَةِ الْعِزَّةِ وَالْإِکْرَامِ وَحُسْنِ مَعِيشَةٍ مُدَدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ إِلَى أَنْ كُنْتُ جَالِسًا
 يوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ فِي دَارِ الْمَلِكِ فَسَمِعْتُ بِخَبَرِ جَمَاعَةٍ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَنَّهُمْ
 جَهَّزُوا لَهُمْ مِنْ كُبَّا بِيَدِونَ السَّفَرَ فِيهِ إِلَى نَوَاحِي مَدِينَةِ الْبَصَرَةِ فَقُلْتُ فِي
 نَفْسِي لَيْسَ لِي أَوْفَقُ مِنَ السَّفَرِ مَعَ هُولَاءِ الْجَمَاعَةِ فَأَسْرَعْتُ مِنْ وَقْتِي
 وَسَاعِتي وَقَبَّلْتُ يَدَ ذِلِكَ الْمَلِكِ وَأَعْلَمْتُهُ بِأَنَّ مَرَادِيَ السَّفَرَ مَعَ الْجَمَاعَةِ فِي
 الْمَرْكَبِ الَّذِي جَهَّزُوهُ لَأَنِّي أَشْتَقَتُ إِلَى أَهْلِي وَبِلَادِي فَقَالَ لَيْ: الْمَلِكُ
 الْرَّأْيُ لَكَ وَإِنْ شِئْتَ الْإِقَامَةَ عِنْدَنَا فَعَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ وَقَدْ حَصَلَ لَنَا
 أُنْسَكٌ فَقُلْتُ: وَاللهِ يَا سَيِّدِي قَدْ غَرَّنِي بِحِمْيلَكَ وَاحْسَانِكَ وَلَكِنِي قَدْ
 أَشْتَقَتُ إِلَى أَهْلِي وَبِلَادِي وَعِيَالِي فَلَمَّا سَعَ كَلَامِي أَخْضَرَ التَّحَارَ الَّذِي
 جَهَّزُوا الْمَرْكَبَ وَأَوْصَاهُمْ عَلَيَّ وَقَدْ وَهَبَ لِي شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ عِنْدِهِ وَدَافَعَ
 عَنِي أَجْرَ الْمَرْكَبِ وَأَرْسَلَ مَعِي هَدِيَّةً عَظِيمَةً إِلَى الْخَلِيفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ
 بِمَدِينَةِ بَغْدَادَ ثُمَّ إِنِّي وَدَعْتُ جَمِيعَ أَصْحَابِي الَّذِينَ كُنْتُ أَتَرَدَّدُ عَلَيْهِمْ
 ثُمَّ نَزَّلْتُ ذِلِكَ الْمَرْكَبَ مَعَ التَّحَارِ وَسِرْنَا وَقَدْ طَابَ لَنَا الرِّيحُ وَالسَّفَرُ وَخَنْ
 مُتَوَسِّكُلُونَ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَمْ نَزَّلْ مُسَافِرِينَ مِنْ بَحْرِ إِلَى بَحْرٍ وَمِنْ
 جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ إِلَى أَنْ وَصَلَنَا بِالسَّلَامَةِ يَادِرْتُ اللهُ تَعَالَى إِلَى مَدِينَةِ

أَبْصَرَ . فَطَلَعَتْ مِنَ الْمَرْكَبِ وَمَأْزَلْ مُقْبِلًا بِأَرْضِ الْبَصْرَةِ أَيَّامًا وَلَيَالِي
حَتَّى جَهَّزَتْ نَفْسِي وَحَمَلْتُ حُمُولِي وَتَوَجَّهْتُ إِلَى مَدِينَةِ بَغْدَادَ دَارِ السَّلَامِ :
فَدَخَلْتُ عَلَى الْخَلِيفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَقَدَمْتُ إِلَيْهِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَأَخْبَرْتُهُ
بِجَمِيعِ مَا جَرَى لِي . ثُمَّ خَرَّتْ جَمِيعَ أَمْوَالِي وَأَمْتَعَنِي وَدَخَلْتُ حَارَقَيِ
وَجَاءَنِي أَهْلِي وَاصْحَائِي وَفَرَقْتُ الْمَدِينَةَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِي وَتَصَدَّقْتُ وَوَهَبْتُ .
وَبَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ أَرْسَلَ إِلَيَّ الْخَلِيفَةَ . فَسَأَلَنِي عَنْ سَبَبِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ
وَمِنْ أَيْنَ هِيَ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وَاللَّهِ لَا أَعْرِفُ لِلْمَدِينَةِ أَلَيْهِ
مِنْهَا أَسْمًا وَلَا طَرِيقًا . وَلِكُنْ لَمَّا غَرَقَ الْمَرْكَبُ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ . طَلَعَتْ عَلَى
جَزِيرَةٍ وَقَدْ صَنَعْتُ لِي فُلْكًا وَنَزَلْتُ فِيهِ فِي نَهْرٍ كَانَ فِي وَسْطِ جَزِيرَةٍ .
وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا جَرَى لِي فِي السَّفَرَةِ وَكَيْفَ كَانَ خَلَاصِي مِنْ ذَلِكَ النَّهَرِ إِلَى
تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَبِمَا جَرَى لِي فِيهَا وَبِسَبَبِ إِرْسَالِي الْمَدِينَةَ . فَتَعَجَّبَ الْخَلِيفَةُ
مِنْ ذَلِكَ غَایَةً الْعَجَبِ وَأَمَرَ الْمُوَرِّخِينَ أَنْ يَكْتُبُوا حِكَمَيَّتِي وَيَجْعَلُوهَا فِي
خَرَائِمِهِ لِيُعَتَّرَ بِهَا كُلُّ مَنْ رَأَاهَا

حِكَمَيَّةُ عَابِدٍ

رَعَمُوا أَنَّ بَعْضَ الْعِبَادِ كَانَ يَتَعَبَّدُ فِي بَعْضِ الْجِبَالِ . وَكَانَ يَأْوِي إِلَى
ذَلِكَ الْجِبَلِ زَوْجَهُ مِنَ الْحَمَامِ . وَكَانَ ذَلِكَ الْعَابِدُ قَدْ قَسَمَ قُوتَهُ نِصْفَيْنِ .
وَجَعَلَ نِصْفَهُ لِنَفْسِهِ . وَنِصْفَهُ لِذَلِكَ الزَّوْجِ الْحَمَامِ . وَدَعَا الْعَابِدُ لَهُمَا
بِكُثْرَةِ النَّسْلِ . فَكَثُرَ نَسْلُهُمَا . وَمَمْ يَكُنْ الْحَمَامُ يَأْوِي سَوَى الْجِبَلِ الَّذِي فِيهِ
الْعَابِدُ . وَكَانَ السَّبَبُ فِي اجْتِمَاعِ الْحَمَامِ بِالْعَابِدِ كُثْرَةَ تَسْبِيحِ الْحَمَامِ . وَقَدْ قَالَ :
إِنَّ الْحَمَامَ يَقُولُ فِي تَسْبِيحِهِ : سُجَّنَ خَالِقُ الْخَلْقِ . وَقَاسِمُ الرِّزْقِ . وَبَانِي

السمواتِ . وبَاسِطِ الْأَرْضِينَ : وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الزَّوْجُ الْحَمَامُ فِي أَرْغَدِ عَيْشٍ
هُوَ وَنَسْلُهُ حَتَّى ماتَ الْعَابِدُ . فَتَشَتَّتَ شَمْلُ الْحَمَامِ وَتَفَرَّقَ فِي الْمُدُنِ
وَالْقِرَى وَالْجَبَالِ

حَكَايَةُ الرَّاعِي الْعَابِدِ

ذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْجَبَالِ رَجُلٌ مِنْ الْرُّعَاةِ . وَكَانَ صَاحِبَ
دِينٍ وَعَقْلٍ وَعِفَةً . وَكَانَ لَهُ أَغْنَامٌ يَرْعَاهَا . وَيَنْتَفِعُ بِالْبَانِيَّةِ وَأَصْوَافِهَا . وَكَانَ
ذَلِكَ الْجَبَلُ الَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ الرَّاعِي كَثِيرًا الْأَشْجَارِ وَالْمَرْعَى وَالسَّبَاعِ . وَلَمْ
يَكُنْ لِيَلْكَ الْوُحُوشُ قُدْرَةً عَلَى الرَّاعِي . وَلَا عَلَى غَنِمِهِ . وَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا فِي
الْجَبَلِ مُطْمَئِنًا لَا يُهْمِهُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا . لِسَعَادَتِهِ وَاقْبَالِهِ عَلَى صَلَاتِهِ
وَعِبَادَتِهِ . فَقَدَرَ اللَّهُ أَنَّهُ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا . فَدَخَلَ الْعَابِدُ فِي كَهْفٍ
الْجَبَلِ . وَصَارَتِ الْغَمْ نَخْرُجُ بِالنَّهَارِ إِلَى مَرْعَاهَا . وَتَأْوِي بِاللَّيلِ إِلَى الْكَهْفِ
وَكَانَ قَرِيبًا مِنَ الرَّاعِي قَرِيَّةً فِيهَا رَجُلٌ مِنَ الصَّالِحِينَ لَمْ يَعْلَمْ بِمَكَانِهِ .
فَرَأَى فِي مَنَامِهِ كَانَ قَائِلًا يُقَوْلُ لَهُ : إِنَّ بِالْقُرْبِ مِنْكَ فِي مَكَانٍ كَذَارَ جَلَّا
صَالِحًا . فَادْهَبْ إِلَيْهِ وَكُنْ تَحْتَ طَاعَةِ أَمْنٍ : فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ تَوَجَّهَ نَحْوَهُ
سَائِرًا . فَلَمَّا أَشْتَدَ عَلَيْهِ الْحَرَّ أَنْهَى إِلَى شَجَرَةٍ عِنْدَهَا عَيْنٌ مَاءٌ بَحْرِيٌّ . فَاسْتَرَاحَ
هُنَاكَ وَجَلَسَ فِي ظِلِّ تِلْكَ الشَّجَرَةِ . فَإِذَا هُوَ بِالْوُحُوشِ وَطَيْورِ أَتَتْ إِلَيْهِ
تِلْكَ الْعَيْنِ لِتَشْرَبَ مِنْهَا . فَلَمَّا رَأَتِ الْعَابِدَ جَالِسًا نَفَرَتْ مِنْهُ وَرَجَعَتْ
وَشَرَدَتْ . فَقَالَ الْعَابِدُ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . إِنِّي لَمْ أَسْتَرِخْ هُنَاكَ إِلَّا
ضَرَرًا عَلَى هُنَيْهِ الْوُحُوشِ وَالْطَّيْورِ : فَقَامَ وَقَالَ مُعَايِبًا لِنَفْسِهِ : لَفَدْ أَضْرَرَ بِهِنَيْهِ
الْجَبَالِ أَنَّاتِ فِي هَذَا الْيَوْمِ جُلُوسِي فِي هَذَا الْمَكَانِ . فَمَا الْعُذْرُ بَيْنِي وَبَيْنِ

خالقِي وَخَالِقِ هَذِهِ الطَّبُورِ وَالْوُحُوشِ فَإِنِّي كُنْتُ سَبِيلًا لِشُرُودِهَا عَنْ شُرُبِهَا
وَعَنْ رِزْقِهَا وَمِرْعَاهَا. فَوَاجَلَقِي مِنْ رَبِّي يَوْمَ يَتَصَرَّ لِلشَّاةِ الْجَمَاعَ مِنَ
الشَّاةِ الْفَرَنَاكَ: ثُمَّ بَكَ وَأَنْشَدَ يَقُولُ هَذِهِ الْآيَاتَ

أَمَا وَاللَّهُ لَوْ عَلِمَ الْأَنَامُ لِمَا خَلَقُوا لَمَّا غَفَلُوا وَنَامُوا
فَمَوْتُ ثُمَّ بَعْثَثُ ثُمَّ حَشْرُ
وَتَوْبِيجُ وَاهْوَالُ عِظَامُ
وَنَحْنُ إِذَا أَنْهَيْنَا أَوْ أَمْرَنَا كَاهْلُ الْكَهْفِ أَيْقَاظُ نِيَامُ
ثُمَّ بَكَى عَلَى جُلُوسِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ عِنْدَ الْعَيْنِ وَمَنْعِهِ الْطَّبُورِ وَالْوُحُوشَ
مِنْ شُرُبِهَا. وَوَلَّ سَائِحًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى إِلَى الرَّاعِي. فَدَخَلَ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ الْسَّلَامَ وَعَانَقَهُ وَبَكَى. فَقَالَ لَهُ الرَّاعِي: مَا الَّذِي أَنِّي بِكِ إِلَى
هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي لَمْ يَدْخُلْهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ عَلَيَّ: فَقَالَ لَهُ الْعَابِدُ: إِنِّي
رَأَيْتُ فِي مَنَامِي مَنْ يَصْفُ لِي مَكَانَكَ وَيَأْمُرُنِي أَنْ أَسِيرَ إِلَيْكَ وَأَسْلِمَ
عَلَيْكَ. فَأَتَيْتُكَ مُهْتَشِلًا لِمَا أُمِرْتُ بِهِ: فَقَبَلَةُ الرَّاعِي وَطَابَتْ نَفْسُهُ بِصُحْبَتِهِ
وَجَلَسَ مَعَهُ فِي الْجَبَلِ يَعْبُدُكَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ الْغَارِ. تَحْسَنَتْ عِبَادَتُهَا وَلَمْ
يَرَأْ لِفِي ذَلِكَ الْمَكَانِ يَعْبُدَكَ رَبَّهَا وَيَتَفَوَّتَانِ مِنْ لُحُومِ الْغَنَمِ وَالْبَانِهَا
مُتَجْرِدِينَ عَنِ الْمَالِ وَالْبَيْنَ إِلَى أَنْ أَتَاهُمَا الْيَقِينُ. وَهَذَا آخِرُ حَدِيثِهَا



حِكَائِاتُ مَلَكِ الْمَوْتِ

أَحْكَامُ الْأُولَى

ذَكَرُوا أَنَّ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ الْمُتَقَدِّمِينَ أَرَادَ أَنْ يَرَكِبْ يَوْمًا فِي جُمْلَةِ
 أَهْلِ مَلَكَتِهِ وَارْبَابِ دَوْلَتِهِ وَيُظْهِرَ لِلنَّاسِ عِجَابَ زِيَّتِهِ فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ
 وَأَمْرَ أَئِمَّةِ كُبَرَاءِ دَوْلَتِهِ أَنْ يَاخُذُوا أَهْبَةَ الْخُروجِ مَعَهُ وَأَمْرَ خَازِنَ الْثِيَابِ
 بِأَنْ يُجْعِسْ رَأْسَهُ مِنْ أَفْخَرِ الْثِيَابِ مَا يَصْنَعُ لِلْمَلِكِ فِي زِيَّتِهِ وَأَمْرَ يَا حَضَارِي
 خَيْلِهِ الْمَوْصُوفَةِ الْعِتَاقِ الْمَعْرُوفَةِ فَفَعَلُوا ذَلِكَ ثُمَّ إِنَّهُ أَخْنَارَ مِنَ الْثِيَابِ مَا
 أَعْجَبَهُ وَمِنَ الْخَيْلِ مَا أَسْتَخْسَنَهُ ثُمَّ لَيْسَ الْثِيَابَ وَرَكِبَ الْجَوَادَ وَسَارَ
 بِالْمَوْكِبِ وَالْطَّوقِ الْمَرْصَعِ بِالْجُوَاهِرِ وَأَصْنَافِ الدُّرِّ وَالْيُوَاقِيتِ وَجَعَلَ
 يُرَكِّضُ الْحَصَانَ فِي عَسْكَرٍ وَيَغْتَرِرُ بَنِيهِ وَتَجْبِينَ فَإِنَّهُ أَلِيمٌ فَوَضَعَ يَدَهُ
 عَلَى مَخْرِفِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَفْخَةَ الْكِبْرِ وَالْعَجَبِ فَزَهَا وَقَالَ فِي نَفْسِهِ مَنْ فِي
 الْعَالَمِ مِثْلِي وَطَفِيقَ بَنِيهِ بِالْعَجَبِ وَالْكِبْرِ وَيُظْهِرُ أَلَّا يَهُوَ وَيَذْهُو بِالْخِيلَاءِ
 وَلَا يَنْتَرُ إِلَى أَحَدٍ مِنْ تَبَّاهِهِ وَكُبُّينِ وَعُجَبِهِ وَفَخِينِ فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ
 عَلَيْهِ ثِيَابٌ رَثَّةٌ فَسَلَمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدْ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَبَضَ عَلَى عِنَانِ فَرَسِيهِ
 فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ أَرْفَعْ يَدَكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي بِعِنَانِ مَنْ فَذَامْسَكَ
 فَقَالَ لَهُ إِنَّ لِي إِنِّي حَاجَةٌ فَقَالَ أَصْبِرْ حَتَّى أَنْزَلَ وَادْعُ حَاجَنَكَ
 فَقَالَ إِنَّهَا سِرْ وَلَا قُولُهَا إِلَّا فِي أَذْنِكَ فَقَالَ يَسْمِعِهِ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ أَنَا
 مَلَكُ الْمَوْتِ وَأَرِيدُ قَبْضَ رُوحِكَ فَقَالَ أَمِهْلِي يَقْدَرُ مَا أَعْوَدُ إِلَيْيِ
 وَأَوْدِعُ أَهْلِي فَوَلَادِي وَجِيرَانِي وَزَوْجِي فَقَالَ كَلَّا لَا تَعُودُ وَلَنْ تَرَاهُمْ

أَبَدًا. فَإِنَّهُ قَدْ مَضَى أَجَلُ عُبُرِكَ: فَأَخَذَ رُوحَهُ وَهُوَ عَلَى ظَهِيرَةِ فَرَسِيهِ. فَخَرَّ مِنْتَأَهُ وَمَضَى مَلَاكُ الْمَوْتِ مِنْ هُنَاكَ. فَأَتَى رَجُلًا صَالِحًا. قَدْ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ. فَسَلَمَ عَلَيْهِ فَرَدَ عَلَيْهِ. فَقَالَ مَلَاكُ الْمَوْتِ: أَيْهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ. إِنَّ لِي أُلَيْكَ حَاجَةً وَهِيَ سِرٌ: فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ: أَذْكُرْ حَاجَنَكَ فِي أُذْنِي فَقَالَ: أَنَا مَلَاكُ الْمَوْتِ: فَقَالَ الرَّجُلُ: مَرْحَبًا بِكَ. أَتَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى مَحِيمِكَ فَإِنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَتَرَقَبُ وَصُولَكَ إِلَيَّ. وَلَقَدْ طَالَتْ غَيْبَتُكَ عَنِ الْمُشْتَاقِ إِلَى قُدُومِكَ: فَقَالَ لَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ: إِنَّ كَانَ لَكَ شُغْلٌ فَأَقْضِيهِ: فَقَالَ لَهُ لَيْسَ لِي شُغْلٌ أَمَّا عِنْدِي مِنْ لِفَاعَرَيِّ عَزَّ وَجَلَّ: فَقَالَ: كَيْفَ تُحْبِبُ أَنْ أَقْبِضَ رُوحَكَ. فَإِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَقْبِضَهَا كَيْفَ أَرْدَتَ وَاخْتَرْتَ: فَقَالَ: أَمْهَلْنِي حَتَّى أَسْجُدَ وَأَصْلِي. إِذَا سَجَدْتُ وَصَلَيْتُ فَأَقْبِضُ رُوحِي. وَأَنَا سَاجِدٌ: فَقَالَ مَلَكُ الْمَوْتِ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَمْرَنِي أَنْ لَا أَقْبِضَ رُوحَكَ إِلَّا بِأَخْبِيَارِكَ. كَيْفَ أَرْدَتَ وَقَاتَلْتَ مَا قُلْتَ: فَقَامَ الرَّجُلُ وَسَجَدَ وَصَلَّى فَقَبَضَ مَلَكُ الْمَوْتِ رُوحَهُ. وَهُوَ سَاجِدٌ. وَنَفَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى حَمْلِ الرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ وَالْمَغْفِرَةِ

الْحِكَايَةُ الْثَّانِيَةُ

زَعَمُوا أَنَّ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ. كَانَ قَدْ جَمَعَ مَا لَا عَظِيمًا لَا يُحْصِي عَدَدُهُ. وَأَخْنَوَى عَلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ. مِنْ كُلِّ نَوْعٍ خَلْقُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا لِيُرَفَّهُ نَفْسَهُ. حَتَّى إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَفَرَّغَ لِمَا جَمَعَهُ مِنَ النِّعَمِ الطَّائِلَةِ بَنِي لَهُ قَصْرًا عَالِيًّا مُرْتَبَعًا شَاهِنَّا. يَصْلُحُ لِلْمُلُوكِ. وَيَكُونُ بِهِمْ لَا إِنْقَاصًا. ثُمَّ رَكَبَ عَلَيْهِ بَايْنِ مُحَكَّمَيْنِ. وَرَتَّبَ لَهُ الْغِلْمَانَ وَالْأَجْنَادَ وَالْبَوَابِينَ كَمَا أَرَادَ. وَأَمَرَ الطَّبَّانَ فِي

بعض الأَيَّامِ أَنْ يَصْنَعَ لَهُ شَيْئاً مِنْ أَطْيَبِ الْطَّعَامِ وَجَمِيعَ أَهْلِهِ وَحَشَمَهُ.
 وَاصْحَابِهِ وَخَدْمَهُ. لِيَاكُلُوا عِنْتَ وَيَنَالُوا رِفْدَهُ. وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ مَهْلَكَتِهِ
 وَسِيَادَتِهِ. وَاتَّكَأَ عَلَى وَسَادَتِهِ. وَخَاطَبَ نَفْسَهُ وَقَالَ: يَا نَفْسُ. قَدْ جَمِعْتُ
 لَكِ نَعَمَ الدُّنْيَا بِاسْرِهَا. فَالآنَ تَغْرِي وَكُلِي مِنْ هَذِهِ النِّعَمِ مَهْنَاهَ بِالْعُمرِ
 الْطَوِيلِ. وَالْحَظْرُ الْجَزِيلُ: فَلَمْ يُفْرَغْ حِمَّا حَدَثَ يِهِ نَفْسَهُ. حَتَّى أَتَاهُ رَجُلُ
 مِنْ ظَاهِرِ الْفَقْرِ. عَلَيْهِ ثِيَابٌ رِثَةٌ وَفِي عُنْقِهِ مَحْلَةٌ مَعْلَفَةٌ عَلَى هَبَّةٍ سَائِلِيَّةٍ
 لِيَنَالَ الْطَّعَامَ. فَجَاءَ وَطَرَقَ حَلْقَةَ بَابِ الْقُصْرَ طَرْقَةَ عَظِيمَةَ هَائِلَةَ.
 كَادَتْ تُرْلِزُ الْقُصْرَ وَتُنْزِعُ السَّرِيرَ. فَخَافَ الْغِلْمَانُ فَوَثَبُوا إِلَى الْبَابِ.
 وَصَاحُوا بِالْطَّارِقِ وَقَالُوا لَهُ: وَيْحَكَ. مَا هَذِهِ الْفَعْلَةُ وَسُوءُ الْأَدَبِ. أَصْبِرْ
 حَتَّى يَأْكُلَ الْمَلِكُ وَنُعْطِيكَ مَا يَفْضُلُ: فَقَالَ لِلْغِلْمَانِ: قُولُوا لِ الصَّاحِبِكُمْ
 يَخْرُجُ إِلَيَّ حَتَّى يُكَلِّبَنِي. فَلَمَّا إِلَيْهِ حَاجَةٌ وَشُغْلٌ مِمَّا وَهَمَّ وَأَمْرَ مِلْمُ: فَقَالُوا: نَعَمْ
 أَيْهَا الْفَسِيفُ. مَنْ أَنْتَ حَتَّى نَامَ صَاحِبَنَا بِالْخُروجِ إِلَيْكَ: فَقَالَ لَهُمْ:
 عَرِفُوهُ ذَلِكَ: فَجَاؤُوا إِلَيْهِ وَعَرَفُوهُ. فَقَالَ: هَلَّا زَجَرْتُمُوهُ وَجَرَدْتُمُ عَلَيْهِ
 وَنَهَرْتُمُوهُ: ثُمَّ طَرَقَ الْبَابَ أَعْظَمَ مِنْ الْطَرَقَةِ الْأُولَى. فَنَهَضَ الْغِلْمَانُ إِلَيْهِ
 بِالْعِصَيِّ وَالسِّلَاجِ وَقَصَدُوهُ لِيَحْارِبُوهُ. فَصَاعَ بِهِمْ صَيْحَةً. وَقَالَ: الْزَمُوا
 أَمَاكِنَكُمْ. فَإِنَّا مَلَكُ الْمَوْتِ: فَرَعَبْتُ قُلُوبَهُمْ وَذَهَبْتُ عُوْلَهُمْ. وَطَاشَتْ
 حُلُومَهُمْ. وَأَرَتُمْعَدَتْ فَرَائِصُهُمْ وَبَطَلَتْ عَنِ الْحَرَكَةِ جَوَارِحُهُمْ. فَقَالَ لَهُمْ
 الْمَلِكُ: قُولُوا لَهُ يَا خُذْ بَدَلًا مِنِي وَعِوْضًا عَنِي: فَقَالَ مَلَكُ الْمَوْتِ: لَا أَخُذُ
 بَدَلًا. وَلَا أَتَيْتُ لِلَّهِ مِنْ أَجْلِكَ لِأَفْرِقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ النِّعَمِ الَّتِي جَمَعْنَاهَا.
 وَالْأَمْوَالِ الَّتِي حَوَّبَنَا وَخَرَنَهَا: فَعِنْدَ ذَلِكَ تَنَفَّسَ الْمُسْعَدَاءُ وَبَكَ وَقَالَ:

لَعْنَ اللَّهِ الْمَالَ الَّذِي غَرَّنِي وَأَضَرَّنِي وَمَنَعَنِي عَنِ عِبَادَةِ رَبِّي . وَكُنْتُ أَظْنَى
أَنَّهُ يَنْفَعُنِي . فَبِقِيَ الْيَوْمَ حَسَنَةً عَلَيَّ وَبَا لَأَلَدَّبَهُ . وَهَا أَنَا أَخْرُجُ صَفَرَ
الْمُلْدُونِ مِنْهُ وَيَقِنَ لِأَعْدَائِي : قَالَ . فَأَنْطَقَ اللَّهُ الْمَالَ وَقَالَ : لِأَيِّ سَبَبِ
تَلَعْنِي إِلَعْنَ نَفْسَكَ . فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَنِي وَإِيَّاكَ مِنْ تُرَابٍ وَجَعَلَنِي
فِي يَدِكَ لِتَنْزُودَ مِنْيَ لِأَخْرِثَكَ وَتَصَدِّقَ بِي عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ
وَالْفُضَفَعَاءِ . وَلِتَعْهِرَ بِي الْمَسَاجِدَ وَالْجُمُورَ وَالْفَنَاطِرَ . لَا كُونَ عَوْنَانَ لَكَ
فِي الْدَّارِ الْآخِرَةِ . وَأَنْتَ جَمَعَنِي وَخَرَّنِي وَفِي هَوَاكَ أَنْفَقْتَنِي وَلَمْ تَشْكُرْ حَقِيقَتِي
بَلْ كَفَرْتَنِي . فَأَلَآنَ تَرَكْتَنِي لِأَعْدَائِكَ وَأَنْتَ بِحَسْرَتِكَ وَنَدَامِتِكَ . فَأَبَيْتُ
ذَنْبِي لِحَقِيقَتِي تَسْبِيْ : ثُمَّ إِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ قَبَضَ رُوحَهُ . وَهُوَ عَلَى سَرِيرِهِ
قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَ الْطَّعَامَ . فَخَرَّ مِنْتَأَ سَاقِطًا مِنْ فَوْقِ سَرِيرِهِ كَفَوْلِهِ : حَقِيقَتِي إِذَا
فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا . أَخْدَنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ
أَنْحِكَابَةُ الْثَّالِثَةِ

حَكِيَ أَنَّ مَلِكًا جَبَارًا مِنْ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ . كَانَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ
جَالِسًا عَلَى سَرِيرِ مَمْلُكَتِهِ . فَرَأَى رَجُلًا قَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ مِنْ بَابِ الدَّارِ .
وَلَهُ صُورَةٌ مُنْكَرَةٌ وَهِيَّةٌ هَائِلَةٌ . فَأَشْمَازَ مِنْ هُجُومِهِ عَلَيْهِ . وَفَزَعَ مِنْ هِيَّةِ
فَوْتَبَ فِي وَجْهِهِ . وَقَالَ : مَنْ أَنْتَ أَيْهَا الرَّجُلُ . وَمَنْ أَذْنَ لَكَ فِي الدُّخُولِ
عَلَيَّ وَأَمْرَكَ بِالْمُحِيطِ إِلَيَّ دَارِي : فَقَالَ : أَمْرَنِي صَاحِبُ الدَّارِ . وَإِنَّا لَا يَجِدُنَا
حَاجِبٌ وَلَا أَحْنَاجٌ فِي دُخُولِ الْمُلُوكِ إِلَيَّ إِذْنِي . وَلَا أَرْهَبُ سِيَاسَةَ
سُلْطَانٍ . وَلَا كَثُرَّ أَعْوَانٍ . أَنَا الَّذِي لَا يَقْرَعُنِي جَبَارٌ . وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ
قَبْصَنِي فِرَارٌ . أَنَا هَادِمُ الْلَّذَّاتِ وَمُفْرِقُ الْجَمَاعَاتِ : فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ هَذَا

الْكَلَامَ خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَدَبَتِ الرِّعْدُ فِي بَدَنِهِ وَوَقَعَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ. فَلَمَّا أَفَاقَ
 قَالَ: أَنْتَ مَلَكُ الْمَوْتِ: قَالَ: نَعَمْ: قَالَ: أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِإِلَهٍ إِلَّا مَا
 أَمْهَلْتَنِي يَوْمًا وَاحِدًا لِأَسْتَغْفِرَ مِنْ ذَنْبِي. وَأَطْلَبَ الْعُذْرَ مِنْ رَبِّي وَارَدَ
 الْأَمْوَالَ الَّتِي فِي خَزَانِي لِأَرْبَاهَا. وَلَا أَنْتَ مَحْمَلٌ مَشَفَةً حِسَابَهَا. وَوَيلٌ عِقَابُهَا:
 فَقَالَ مَلَكُ الْمَوْتِ: هَيَّهَا تِهْيَاتِ. لَا سَيِّلَ لَكَ إِلَى ذَلِكَ . وَكَيْفَ
 أَمْهُلُكَ وَأَيَّامُ عُمْرِكَ مَحْسُوبَةٌ وَأَنْفَاسُكَ مَعْدُودَةٌ. وَأَوْقَاتُكَ مَثُبُوتَةٌ
 مَكْتُوبَةٌ: فَقَالَ: أَمْهَلْنِي سَاعَةً: فَقَالَ: إِنَّ السَّاعَةَ فِي الْحِسَابِ وَقَدْ مَضَتْ
 وَأَنْتَ غَافِلٌ. وَأَنْقَضْتَ وَأَنْتَ ذَاهِلٌ. وَقَدْ أَسْتَوْفَيتَ أَنْفَاسَكَ . وَلَمْ
 يُبْقِيَ لَكَ إِلَّا نَفَسٌ وَاحِدٌ: فَقَالَ: مَنْ يَكُونُ عِنْدِي إِذَا نُقْلِتُ إِلَى الْحَدِيَّ:
 قَالَ: لَا يَكُونُ عِنْدَكَ إِلَّا عَمَلُكَ: فَقَالَ: مَا لِي عَمَلٌ: قَالَ: لَا جَرْمَ إِنَّهُ
 يَكُونُ مَقِيلُكَ فِي الْأَنَارِ وَمَصِيرُكَ إِلَى عَصْبِ الْجَبَارِ: ثُمَّ قَبَضَ رُوحَهُ فَخَرَّ
 سَاقِطًا عَنْ سَرِيعٍ. وَوَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ. فَخَلَ الْضَّيْجُ فِي أَهْلِ مَهْلَكَتِهِ.
 فَأَرْتَقَتِ الْأَصْوَاتُ وَعَلَا الصَّيَاجُ وَالْبَكَاءُ. وَلَوْ عَلِمُوا مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ مِنْ
 سُخْنَطِ رَبِّيهِ لَكَانُوكُومُ عَلَيْهِ أَكْثَرٌ وَعَوْلَمُ أَشَدَّ وَأَوْفَرَ
 ذِكْرُ الْمَوْتِ الدَّائِمِ

حَكَى أَنَّ إِسْكَنَدَرَ ذَا الْقَرْنَيْنِ أَجْنَازَ فِي سَقَفِيْنِ بِقَوْمٍ ضُعَفَاءَ لَا يَمْلِكُونَ
 شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا. وَقَدْ حَفِرُوا قُبُورًا مَوْتَاهُمْ عَلَى أَبْوَابِ دُورِهِمْ.
 وَكَانُوا فِي كُلِّ وَقْتٍ يَتَعَهَّدُونَ تِلْكَ الْقُبُورَ. وَيَكْسُونَ التُّرَابَ عَنْهَا.
 وَيَنْظُفُونَهَا وَيَزُورُونَهَا. وَيَعْدُونَ اللَّهَ تَعَالَى فِيهَا. وَلَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا
 الْحَشِيشُ وَنَبَاتُ الْأَرْضِ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ إِسْكَنَدَرُ دُوَالْقَرْنَيْنِ رَجُلًا يَسْتَدِعِي

ملِكُمْ إِلَيْهِ. فَلَمْ يُجْبِهُ. وَقَالَ : مَا لِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ : فَسَارَ ذُو الْقَرْنَيْنِ إِلَيْهِ .
 وَقَالَ : كَيْفَ حَالَكُمْ وَمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ . فَإِنِّي لَا أَرَى لَكُمْ شَيْئًا مِنْ ذَهَبٍ وَلَا مِنْ
 فِضَّةٍ وَلَا أَحِدٌ عِنْدَكُمْ شَيْئًا مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا : فَقَالَ لَهُ : إِنَّ نَعِيمَ الدُّنْيَا لَا
 يَشْبَعُ مِنْهُ أَحَدٌ : فَقَالَ لَهُ إِسْكَنْدَرُ : لَمْ يَغْرِمُ الْقُبُورَ عَلَى أَبْوَايْمِ : فَقَالَ :
 لَتَكُونَ نُصْبَ أَعْيُنِنَا . فَنَنْظُرُ إِلَيْهَا وَنُجْدِدُ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَلَا نَنسِي الْآخِرَةَ
 وَنَذَهَبُ حُبُّ الدُّنْيَا مِنْ قُلُوبِنَا . فَلَا نَشْتَغِلُ بِهَا عَنْ عِبَادَةِ رَبِّنَا تَعَالَى : فَقَالَ
 إِسْكَنْدَرُ : كَيْفَ تَأْكُلُونَ الْحَشِيشَ : قَالَ : لَإِنَّا نَكْرُهُ أَنْ نَجْعَلَ فِي بُطُونِنَا
 قُورَ الْحَيَاةِنَاتِ . وَلَأَنَّ لَدَهُ الْطَّعَامَ لَا تَنْجَاوِزُ الْخَلْقَ : ثُمَّ مَدَ يَدَهُ فَأَخْرَجَ
 قِبَّنَا مِنْ رَأْسِ آدَمِيِّ قَوْضَعَهُ بَيْنَ يَدَيِّ إِسْكَنْدَرِ . وَقَالَ لَهُ : يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ .
 أَعْلَمُ مَنْ كَانَ صَاحِبُ هَذَا : قَالَ : لَا : قَالَ : كَانَ صَاحِبُهُ مِلِكًا مِنْ مُلُوكِ
 الدُّنْيَا . فَكَانَ يَظْلِمُ رَعِيَّتَهُ وَيَجْوَرُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الْضُّعْفَاءِ وَيَسْتَغْرِفُ زَمَانَهُ فِي
 جَمْعِ حُطَامِ الدُّنْيَا . فَقَبَضَ اللَّهُ رُوحُهُ . وَجَعَلَ النَّارَ مَقْرُئًّا وَهَذَا رَأْسُهُ : ثُمَّ
 مَنَّ يَدُ وَوَضَعَ إِقْنَافًا أَخْرَيْنَ يَدَيْهِ . وَقَالَ لَهُ : أَتَعْرِفُ هَذَا : قَالَ : لَا : قَالَ
 هَذَا كَانَ مِلِكًا مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ وَكَانَ عَادِلًا فِي رَعِيَّتِهِ . شَفُوقًا عَلَى أَهْلِ
 وِلَائِتِهِ وَمُلْكِهِ . فَقَبَضَ اللَّهُ رُوحُهُ وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ : وَوَضَعَ يَدَهُ
 عَلَى رَأْسِ ذِي الْقَرْنَيْنِ وَقَالَ : ثُرِي أَنْتَ أَيُّ هَذِينَ الرَّأْسَيْنِ : فَبَيْكِ ذُو
 الْقَرْنَيْنِ بُكَّاهَ شَدِيدًا وَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ أَنْتَ رَغِبَتَ فِي صُحْبَتِي .
 سَلَّمْتُ إِلَيْكَ وَزَارَتِي وَقَاسَمْتَكَ فِي مَمْلَكَتِي : فَقَالَ الْرَّجُلُ : هَيْهَاتِ .
 هَيْهَاتِ . مَا لِي رَغْبَةٌ فِي هَذَا : فَقَالَ لَهُ إِسْكَنْدَرُ : وَلَمْ ذَلِكَ : قَالَ : لَأَنَّ
 الْخَلْقَ كُلُّهُمْ أَعْدَأُوكَ بِسَبَبِ الْمَالِ وَالْمُلْكِ الَّذِي أُعْطَيْتَهُ وَجَيْعَمْ أَصْدِقَائِي

في الحقيقة بسبب القناعة والصلادة . لأنني ليس لي ملك ولا طمع في الدنيا . ولا لي إليها طلب . ولا فيها أرب . وليس لي إلا القناعة حسب . فضمه إسكندر إلى صدره . وقبلة بين عينيه وأنصرف

نَجْبٌ

مَا كَتَبَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ
فِي الْجُودِ وَالْكَرَمِ وَالْمُكَافَأَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ

فِي طَلِيلِي أَعْمَيْنِ

حَيْكَيْ أَنَّ رَجُلَيْنِ أَعْمَيْنِ كَانَا يَجْلِسَانِ عَلَى طَرِيقِ أَمْ جَعْفَرِ . وَكَانَتْ مَوْصِفَةُ بِالْكَرَمِ : وَكَانَ لَهُ دُهْدُهًا ذَا عِيَالٍ وَأَهْلٍ . وَكَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ أَرْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ الْوَاسِعِ . وَكَانَ الْآخَرُ عَزِيزًا لَا أَهْلَ لَهُ وَكَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ أَرْزُقْنِي مِنْ فَضْلِ أَمْ جَعْفَرِ . فَصَارَتْ تُرْسِلُ لِلطَّالِبِ مِنْ فَضْلِ أَهْلِ دِرْهَمِينَ وَتُرْسِلُ لِطَالِبِ فَضْلِهَا رَغِيفَيْنِ يُمْهَدُ جَاجَةً مَشْوِيَّةً فِي بَطْنِيَا عَشَرَةً دَنَانِيرَ لَمْ تُعْلِمْهُ بِهَا . فَكَانَ يَكْرُهُ ذَلِكَ وَيَقُولُ لِلْآخَرَ : خُذْ هَذِينِ الْرَّغِيفَيْنِ وَالْدَّجَاجَةَ وَاعْطِنِي أَلْدَرْهَمِينَ فَيَفْعَلُ ذَلِكَ . فَمَضَى عَلَى ذَلِكَ شَهْرٌ ثُمَّ أَرْسَلَتْ أَمْ جَعْفَرٌ تَقُولُ : قُولُوا لِطَالِبِ فَضْلِنَا أَمَا أَغْنَاكَ عَطَاوَنَ . فَقَالَ لَهُمْ : قُولُوا لَهَا مَا ذَا أَغْطِيَهُ . فَقَالَتْ : ثَلَاثَاهُ أَيْنَارٌ . فَقَالَ : لَا وَاللهِ بَلْ كَانَتْ تُرْسِلُ لِي دَجَاجَةً وَرَغِيفَيْنِ كُلَّ يَوْمٍ وَكُنْتُ أَيْمَنُهَا لِصَاحِبِي بِدِرْهَمِينَ . فَقَالَتْ أَمْ جَعْفَرٌ : صَدَقَ الرَّجُلُ . إِنَّهُ طَلَبَ مِنْ فَضْلِ

الله فاغناه الله من حيث لا يحيط به ولم يقصد غناه ولا خر طلب من
فضلنا فرحمه الله
(نواذر القلبي)

في قطٍ يقوت قطاً

حَكَى أَبْنُ خَلِّكَانَ وَغَيْرُهُ فِي تَرْجِمَةِ الْإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ بَابَشَادِ
الْأَنْوَرِيِّ. أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا عَلَى سَطْحِ جَامِعِ مِصْرَ يَا كُلُّ شَيْءًا وَعِنْدَهُ بَعْضُ
أَحْكَامِهِ. فَخَضَرَهُمْ قِطٌ فَرَمَوا لَهُ لُقْمَةً فِي فِيهِ وَغَابَ عَنْهُمْ. ثُمَّ عَادُوا إِلَيْهِمْ
فَرَمَوا لَهُ لُقْمَةً ثَانِيَةً فَأَخْذَهَا وَذَهَبَ. ثُمَّ عَادُوا فَرَمَوا لَهُ شَيْئًا فَأَخْذَهُ وَذَهَبَ.
ثُمَّ عَادُوا فَفَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا كَثِيرًا وَهُمْ يَرْمُونَ لَهُ وَهُوَ يَأْخُذُ وَيَغْيِبُ ثُمَّ
يَعُودُ مِنْ فَوْرِهِ فَتَعْجِبُوا مِنْهُ فَإِذَا هُوَ يَأْخُذُ ذَلِكَ الطَّعَامَ وَيَدْخُلُ
بِهِ إِلَى خَرْبَةٍ فِيهَا شِبَهُ الْبَيْتِ الْخَرَابِ وَفِي سَطْحِ ذَلِكَ الْبَيْتِ قِطٌ أَعْجَمِيٌّ.
فَإِذَا هُوَ يَضْعُ الطَّعَامَ يَنْ يَدِيهِ فَتَعْجِبُوا مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ الشَّيخُ أَبْنُ
بَابَشَادَ: إِذَا كَانَ هَذَا حَيْوَانًا أَخْرَسَ قَدْ سَخَّرَ اللَّهُ لَهُ هَذَا الْقِطُّ وَهُوَ يَقُومُ
بِكُفَّائِتِهِ وَلَمْ يَحْرِمْهُ الرِّزْقَ فَكَيْفَ يُضِيعُ مِثْلِي. ثُمَّ قَطَعَ الشَّيخُ عَلَاقَتِهِ وَتَرَكَ
خَدْمَةَ السُّلْطَانِ وَلَنِمَ بَيْتَهُ وَتَرَكَ جَمِيعَ أَشْغَالِهِ تَوَكُّلاً عَلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْهِ
(حياة الحبوان للدميري) آن مات

في جُود مِلَكٍ

قِيلَ إِنَّ الْمَلِكَ خَسْرُونَ بْنَ بِرْوِيزَ كَانَ يُحِبُّ أَكْلَ السَّمَكِ وَكَانَ يَوْمًا
جَالِسًا فِي الْمَنْظَرَةِ وَشَيْرِينُ عِنْدَهُ فَجَاءَ صَيَادٌ وَمَعْهُ سَمَكَةٌ كَبِيرَةٌ وَاهْدَاهَا
لِخَسْرُونَ وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. فَقَالَتْ
شَيْرِينُ: بِئْسَ مَا صَنَعْتَ. فَقَالَ الْمَلِكُ لَمَّا فَقَأَتْ: لِإِنَّكَ إِذَا أَعْطَيْتَ

بَعْدَ هَذَا الْأَحَدِ مِنْ حَشِّيْكَ هَذَا الْقَدْرَ . قَالَ : قَدْ أَعْطَانِي مِثْلَ عَطِيَّةِ
 الصَّيَادِ . فَقَالَ : لَقَدْ صَدَقْتِ . وَلَكِنْ يُفْجِعُ بِالْمُلُوكِ أَنْ يَرْجِعُوا فِي هَبَاتِهِمْ
 وَقَدْ فَاتَ الْأَمْرُ . فَقَالَتْ شِيرِينُ : أَنَا أَدْبِرُ هَذَا الْحَالَ . فَقَالَ : وَكَيْفَ
 ذَلِكَ . فَقَالَتْ : تَدْعُو الصَّيَادَ وَتَقُولُ لَهُ : هَذِهِ السَّمَكَةُ ذَكَرٌ هِيَ أَمْ أُنْثَى .
 فَإِنْ قَالَ ذَكَرٌ فَقُلْ : إِنَّمَا طَلَبْتُ أُنْثَى . وَإِنْ قَالَ أُنْثَى فَقُلْ : إِنَّمَا طَلَبْتُ
 ذَكَرًا . فَنُوَدِيَ الصَّيَادُ فَعَادَ . وَكَانَ الصَّيَادُ ذَادَكًا وَفِطْنَةً . فَقَالَ لَهُ
 خِسْرُو : هَذِهِ السَّمَكَةُ ذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى . فَقَبِيلَ الصَّيَادُ الْأَرْضَ وَقَالَ لَهُ : هَذِهِ
 السَّمَكَةُ خُنْثَى لَذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى . فَضَحِكَ خِسْرُو مِنْ كَلَامِهِ وَأَمْرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ
 آلَافِ دِرْهَمٍ . فَمَضَى الصَّيَادُ إِلَى الْخَازِنِ وَقَبَضَ مِنْهُ ثَمَانِيَّةَ آلَافَ
 دِرْهَمٍ وَوَضَعَهَا فِي جِرَابِ كَانَ مَعَهُ . وَحَمَلَهَا عَلَى عُنْقِهِ وَهُمْ بِالْخُروجِ فَوَقَعَ
 مِنَ الْجِرَابِ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ . فَوَضَعَ الصَّيَادُ الْجِرَابَ عَنْ كَاهِلِهِ وَأَنْجَنَ عَلَى
 الدِّرْهَمِ فَأَخَذَهُ وَالْمَلِكُ وَشِيرِينُ يَنْظَرُانِ إِلَيْهِ . فَقَالَتْ شِيرِينُ لِخِسْرُوَ :
 أَرَأَيْتَ خِسْسَةَ هَذَا الرَّجُلِ وَسَفَالَتَهُ . سَقَطَ مِنْهُ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ فَأَلْقَى عَنْ
 كَاهِلِهِ ثَمَانِيَّةَ آلَافِ دِرْهَمٍ . وَأَنْجَنَ عَلَى الدِّرْهَمِ فَأَخَذَهُ وَمَمْ يَسْهُلُ عَلَيْهِ
 أَنْ يَتَرَكْهُ لِيَأْخُذَهُ غُلَامٌ مِنْ غِلْمَانِ الْمَلِكِ . فَحَرِّدَ خِسْرُو مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ :
 صَدَقْتِ يَا شِيرِينُ . مِمَّا أَمْرَ بِيَاعَادَةِ الصَّيَادِ وَقَالَ لَهُ : يَا سَاقِطَ الْهَمَّةِ
 لَسْتَ بِإِنْسَانٍ وَضَعْتَ هَذَا الْمَالَ عَنْ عُنْقِكَ لِأَجْلِ دِرْهَمٍ وَاحِدٍ وَأَسْفَتَ
 أَنْ تَرَكْهُ فِي مَدَائِنِهِ . فَقَبِيلَ الصَّيَادُ الْأَرْضَ وَقَالَ : أَطَالَ اللَّهُ بَقاءَكَ أَيْمَانًا
 الْمَلِكُ إِنِّي لَمْ أَرْفَعْ ذَلِكَ الدِّرْهَمَ لِخَطْرِي عِنْدِي . وَإِنَّمَا رَفْعَتُهُ عَنِ الْأَرْضِ
 لِأَنَّ عَلَى وَجْهِهِ صُورَةُ الْمَلِكِ وَعَلَى الْوَجْهِ الْآخِرِ أَسْمَ الْمَلِكِ . فَخَسِبَتْ أَنَّ

يَا أَيُّهُ الْكَلِيلُ
يَضْعُ عَلَيْهِ قَدَمِيهِ فَيَكُونُ ذَلِكَ أَسْتِهْنَافًا بِاسْمِ الْمَلِكِ
وَأَكُونُ أَنَا الْمُوَاحِدُ بِهَذَا فَعِجَابٌ خَسِرُوا مِنْ كَلَامِهِ وَأَسْخَنَ مَا ذَكَرَهُ
فَأَمْرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ فَعَادَ الصَّيَادُ وَمَعَهُ أَثْنَا عَشَرَ آلَافَ دِرْهَمٍ
وَأَمْرَ خَسِرُو مُنَادِيًّا يُنَادِي لَا يَتَدَبَّرُ أَحَدٌ بِرَأْيِ النِّسَاءِ فَإِنَّهُ مَنْ تَدَبَّرَ
بِرَأْيِهِنَّ وَأَعْنَدَ بِأَمْرِهِنَّ خَسِرَ دِرْهَمُهُ (التبر المسبوك للغزالى)

فِي جُودِهِ مَعْنَى بْنِ زَائِدَةَ

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يُحْكَى فِي الْجُودِ وَالْكَرَمِ مَا حَدَّاهُ مَرْوَانُ بْنُ أَيِّ حَنْصَةَ
الشَّاعِرُ قَالَ أَخْبَرَنِي مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ وَهُوَ يُوَمِّدُ مُتَوَلًّا بِلَادِ الْيَمَنِ .
أَنَّ الْمُنْصُورَ وَجَهَ فِي طَلَيِّ وَجَعَلَ لِمَنْ يَحْمِلُنِي إِلَيْهِ مَالًا قَالَ فَاضْطَرَرَتُ
لِشِقَّ الطَّلَبِ إِلَى أَنْ تَعَرَّضَتُ لِلشَّهِيسِ حَتَّى لَوَحَتْ وَجْهِي وَخَفَتْ
عَارِضِي وَلَيْسَتْ جَبَةُ صُوفٍ وَرَكِبْتُ جَمَلًا وَخَرَجْتُ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْبَادِيَةِ
لَا قِيمَ بِهَا قَالَ فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ بَابِ حَرْبٍ وَهُوَ أَحَدُ بَوَابِ بَعْدَادَ تَسْعَنِي
أَسْوَدُ مُقْلَدٌ بِسَيفٍ حَتَّى إِذَا غَبَتْ عَنِ الْحَرَسِ قَبَضَ عَلَى خَطَامِ الْجَمَلِ
فَأَنَا خَوْفٌ وَقَبَضَ عَلَى بَدِيِّي فَقُلْتُ لَهُ وَمَا بِكَ قَالَ أَنْتَ طَلَبُ أَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْتُ وَمَنْ أَنَا حَتَّى أَطْلَبَ فَقَالَ أَنْتَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ .
فَقُلْتُ لَهُ يَا هَذَا أَتَقِنِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَأَيْنَ أَنَا مِنْ مَعْنِ . فَقَالَ دَعْ هَذَا
فَإِنِّي لَا عَرَفُ بِكَ مِنْكَ فَلَمَّا رَأَيْتُ مِنْهُ الْحِدَّةَ قُلْتُ لَهُ هَذَا عَقْدُ جَوْهَرٍ
فَقَدْ حَمَلْتُهُ مَعِي بِأَصْعَافٍ مَا جَعَلَهُ الْمُنْصُورُ لِمَنْ يَحْيِيُّهُ فِي قَمَدَهُ وَلَا تَنْكِنْ
سَبِيلًا لِسَفْنِكِ دَمِي قَالَ هَاتِهِ فَأَخْرَجْنِهِ إِلَيْهِ فَنَظَرَ فِيهِ سَاعَةً وَقَالَ
صَدَقْتُ فِي قِيمَتِهِ وَلَسْتُ قَابِلَهُ حَتَّى أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ فَإِنْ صَدَقْتَنِي أَطْلَقْتَكَ

فَقُلْتُ : قُلْ . قَالَ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ وَصَفُوكَ بِالْجُودِ . فَأَخْبَرْنِي هَلْ وَهَبْتَ
 مَا لَكَ كُلَّهُ . قُلْتُ : لَا . قَالَ : فَنِصْفَهُ . قُلْتُ : لَا . قَالَ : فَثُلُثَهُ . قُلْتُ : لَا . حَتَّى يَكُونَ
 الْعُشْرُ فَأَسْتَحِيَتْ وَقُلْتُ : أَظْنَ أَنِّي قَدْ فَعَلْتُ هَذَا . قَالَ : وَمَا ذَاكَ بِعَظِيمٍ :
 أَنَّا رَجُلٌ وَرِزْقِي مِنْ أَيِّ جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ كُلُّ شَهْرٍ عِشْرُونَ دِرْهَمًا وَهَذَا
 الْجُوهرُ قِيمَتُهُ الْأُوفُ دَنَانِيرٌ قَدْ وَهَبْتَهُ لَكَ وَهَبْتُكَ لِنَفْسِكَ وَلِجُودِكَ
 الْمَائِشَةُ بَيْنَ النَّاسِ . وَلَتَعْلَمَ أَنَّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَنْ هُوَ أَجْوَدُ مِنْكَ فَلَا
 تُعْجِبَكَ نَفْسُكَ وَلَا تُخَفِّرَ بَعْدَ هَذَا كُلَّ جُودٍ فَعَلْتُهُ وَلَا تُوقَفَ عَنْ مَكْرُمةٍ .
 ثُمَّ رَمَيَ الْعِقدَ فِي حُجْرِي وَتَرَكَ خَطَامَ الْجَمَلِ وَوَلَى مُنْصَرِفًا . فَقُلْتُ : يَا هَذَا
 لَقَدْ فَضَحَنِي وَلَسْفَكَ دَمِي عَلَيَّ أَهْوَنُ مَا فَعَلْتَ فَخُذْ مَا دَفَعْتُهُ لَكَ فَإِنِّي
 غَنِيٌّ عَنْهُ . فَضَحِكَ وَقَالَ : أَرَدْتَ أَنْ تُكَدِّبَنِي فِي مَقَالِي هَذَا . وَاللَّهُ لَا أَخْذُنَهُ
 وَلَا أَخْذُ بِمَعْرُوفٍ ثُمَّنَا أَبْدَا . وَمَضَى لِسَبِيلِهِ . ثُمَّ طَلَبَتُهُ بَعْدَ أَنْ أَمْتُ
 وَبَدَلْتُ لِمَنْ يَجِيئُ بِهِ مَا شَاءَ فَأَعْرَفْتُ لَهُ خَبْرًا (ثِرَاتُ الْأَوْرَاقِ الْحَمْوِي)

فِي الْمُكَافَأَةِ

مَا جَاءَ فِي الْمُكَافَأَةِ مَا حُكِيَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ قَالَ : كُنْتُ يَوْمًا
 عِنْدَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ الْبَرْمَكِيِّ وَقَدْ خَلَّ فِي مَجْلِسِهِ لِإِحْكَامِ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ
 الْرَّشِيدِ . فَبَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسُ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ الْحَوَائِجِ
 فَقَضَاهَا لَهُمْ . ثُمَّ تَوَجَّهُوا إِلَيْ الشَّارِعِ فَكَانَ آخِرُهُمْ قِيَامًا أَحْمَدُ بْنُ أَيِّي خَالِدٍ
 الْأَحْوَلِ . فَنَظَرَ يَحْيَى إِلَيْهِ وَأَنْتَفَتَ إِلَى الْفَضْلِ أَبِيهِ وَقَالَ : يَا بْنَيَ إِنَّ
 لِيَكَ مَعَ أَبِي هَذَا الْفَتَى حَدِيثًا . فَإِذَا فَرَغْتُ مِنْ شُغْلِي هَذَا فَدَكَرْنِي
 أَحَدُنُكَ . فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ شُغْلِهِ وَطَعَمَ قَالَ لَهُ أَبُوهُ الْفَضْلِ : أَعَزَّكَ اللَّهُ يَا أَبِي

أَمْرِتُنِي أَنْ أُذِّكِرَ حَدِيثَ أَبِي خَالِدِ الْأَحْوَلِ . قَالَ : نَعَمْ يَا بُنْيَةَ . لَمَّا فَدِيمَ
 أَبُوكَ مِنَ الْعَرَاقِ أَيَّامَ الْمُهَدِّيِّ كَانَ فَقِيرًا لَا يَمْلِكُ شَيْئًا . فَأَسْتَدَّتِي
 الْأَمْرُ إِلَى أَنْ قَالَ لِي : مَنْ فِي مَنْزِلِي إِنَّا كَتَمْنَا حَالَنَا وَزَادَ ضَرَرُنَا وَلَنَا
 الْيَوْمَ ثَلَاثَةً أَيَّامٍ مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ نَفَقَاتُ بِهِ . قَالَ : فَبَكَيْتُ يَا بُنْيَةَ لِذِلِّكَ
 بِكَاهْ شَدِيدًا . وَبَقِيْتُ وَلَهُنَّ حِيرَانَ مُطْرِقًا مُفْكَرًا . ثُمَّ تَذَكَّرْتُ مِنْ دِيَلًا
 كَانَ عِنْدِي فَقْلُتُ لَهُ : مَا حَالُ الْمِنْدِيلِ . فَقَالُوا : هُوَ بَاقٍ عِنْدَنَا .
 فَقْلُتُ : أَدْفَعُهُ إِلَيْهِ . فَأَخَذْتُهُ وَدَفَعْتُهُ إِلَى بَعْضِ اصحابِي وَقُلْتُ لَهُ : بِعْهُ بِهَا
 تَيْسِيرٌ . فَبَاعَهُ بِسَبْعَةِ عَشَرَ دِرْهَمًا . فَدَفَعْتُهُ إِلَى أَهْلِي وَقُلْتُ : أَنْفَقُوهَا إِلَى
 أَنْ يَرْزُقَ اللَّهُ غَيْرَهُمَا . ثُمَّ بَكَرْتُ مِنَ الْغَدِيرِ إِلَى بَابِ أَبِي خَالِدٍ وَهُوَ يَوْمَ مِنْ
 وَزِيرِ الْمُهَدِّيِّ . فَإِذَا النَّاسُ وُقُوفٌ عَلَى دَارِهِ يَنْتَظِرُونَ خُروجَهُ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ
 رَأْكِيَا . فَلَمَّا رَأَيْتُهُ سَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ : كَيْفَ حَالُكَ . فَقْلُتُ . يَا أَبا خَالِدِ مَا
 حَالُ رَجُلٍ بَيْسِعٍ مِنْ مَنْزِلِهِ بِالْأَمْسِ مِنْ دِيَلًا بِسَبْعَةِ عَشَرَ دِرْهَمًا . فَنَظَرَ
 إِلَيَّ نَظَرًا شَدِيدًا وَمَا أَجَابَنِي جَوَابًا . فَرَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي كَسِيرَ الْقَلْبِ
 وَأَخْبَرْتُهُمْ بِهَا أَنْفَقَتِي مَعَ أَبِي خَالِدٍ . فَقَالُوا : يَسِّرْ وَاللَّهُ مَا فَعَلْتَ . تَوَجَّهْتُ
 إِلَى رَجُلٍ كَانَ يَرْتَصِيكَ لِأَمْرٍ جَلِيلٍ فَكَشَفْتَ لَهُ سِرَّكَ وَأَطْلَعْتُهُ عَلَى
 مَكْوُنِ أَمْرِكَ . فَازْرَيْتَ عِنْدَهُ بِنْفِسِكَ وَصَغَرْتَ عِنْدَهُ مَنْزِلَتَكَ بَعْدَ أَنْ
 كُنْتَ عِنْدَهُ جَلِيلًا . فَمَا يَرَاكَ بَعْدَ الْيَوْمِ لَا يَهْنِئُ الْعَيْنَ . فَقْلُتُ . قَدْ قَضَى
 الْأَمْرُ الْآنَ بِهَا لَا يُمْكِنُ أَسْتِدْرَاكُهُ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِيرِ بَكَرْتُ إِلَى بَابِ
 الْحَلِيفَةِ . فَلَمَّا بَلَغْتُ الْبَابَ أَسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ ثُمَّ فَقَالَ لِي : قَدْ ذَكَرْتَ السَّاعَةَ
 بِبَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَلَمَّا تَنَقَّثَ لِقَوْلِهِ . فَاسْتَقْبَلَنِي آخَرُ فَقَالَ لِي كَمْ قَالَهُ

أَلَّاْلِ. ثُمَّ أَسْتَقْبَلَنِي حَاجِبُ أَبِي خَالِدٍ فَقَالَ لِي: أَيْنَ تَكُونُ قَدْ أَمْرَنِي أَبُو
 خَالِدٍ بِإِجْلَاسِكَ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْ عِنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَجَلَسْتُ حَتَّى
 خَرَجَ . فَلَمَّا رَأَيْتِنِي دَعَانِي وَأَمْرَ لِي بِسِرْكُوبٍ فَرَكِبْتُ وَسِرْتُ مَعَهُ إِلَى
 مَزِيلَهِ فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: عَلَيَّ يُفْلَانٌ وَفُلَانٌ الْحَنَاطِينَ فَأَحْضَرَا . فَقَالَ لَهُمَا: أَلَمْ
 تَشْرِيَّا مِنِّي غَلَاتٍ السَّوَادِيَّةِ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ قَالَا: نَعَمْ . قَالَ:
 أَلَمْ أَشْرِطْ عَلَيْكُمَا شِرْكَهَ رَجُلٍ مَعْكُمَا قَالَا: بَلَى . قَالَ: هُوَ هَذَا الرَّجُلُ
 الَّذِي أَشْرِطْتُ شِرْكَهُ لَكُمَا ثُمَّ قَالَ لِي: قُمْ مَعَهَا . فَلَمَّا خَرَجْنَا قَالَ أَلَّاْلِ:
 أَذْخُلْ مَعَنَا بَعْضَ الْمَسَاحِدِ حَتَّى نُكَلِّمَكَ فِي أَمْرٍ يُكُونُ لَكَ فِيهِ الْرِّجْحُ
 الْهَنْيُ . فَدَخَلْنَا مَسِيْدًا فَقَالَ أَلَّاْلِ: إِنَّكَ تَخْتَاجُ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَى وَكْلَاءَ
 وَمُنْهَنَاءَ وَكَيْلَيْنَ وَأَعْوَانَ وَمُونَ لَمْ تَقْدِرْ مِنْهَا عَلَى شَيْءٍ . فَهَلْ لَكَ أَنْ تَسْيَعَنَا
 شِرْكَتَكَ بِهَمٍ بُجُولٍ لَكَ فَتَنْتَفِعَ بِهِ وَيَسْقُطَ عَنْكَ التَّعَبُ وَالْكَدَافُ .
 فَقُلْتُ لَهُمَا: وَكَمْ تَبْدُلَانِ لِي . فَقَالَا: مِائَهُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ . فَقُلْتُ: لَا أَفْعَلُ فَمَا
 زَالَ أَيْزِيدَانِي وَأَنَا لَا أَرْضِي إِلَى أَنْ قَالَ أَلَّاْلِ: ثَلَاثِيَّهُ أَلْفٍ دِرْهَمٍ وَلَا زِيَادَهُ
 عِنْدَنَا عَلَى هَذَا . فَقُلْتُ: حَتَّى أَشَوَرَ أَبَا خَالِدٍ . قَالَا: ذَلِكَ لَكَ . فَرَجَعْتُ
 إِلَيْهِ وَأَخْبَرْتُهُ فَدَعَاهُ وَقَالَ لَهُمَا: هَلْ وَافَقْتَاهُ عَلَى مَا ذَكَرَ . قَالَا: نَعَمْ .
 قَالَ: أَذْهَبَا فَقَيْضَاهُ أَمْلَالَ الْسَّاعَهَ . ثُمَّ قَالَ لِي: أَصْلِحْ أَمْرَكَ وَتَهْبِيَ فَقَدْ
 قَلَدْتُكَ الْعَمَلَ . فَأَصْلَحْتُ شَانِي وَقَلَدْنِي مَا وَعَدْنِي بِهِ . فَهَازَلْتُ فِي زِيَادَهِ
 حَتَّى صَارَ أَمْرِي إِلَى مَا صَارَ . ثُمَّ قَالَ لَوْلَئِنَ النَّفْضِلِ: يَا بُنْيَ فَمَا تَقُولُ فِي
 أَبْنِي مَنْ فَعَلَ بِأَيْلَكَ هَذَا الْفِعْلَ وَمَا جَزَاؤُهُ . قَالَ: حَقْ لَعْمَرِي وَجَبَ
 عَلَيْكَ لَهُ . فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا وَلَدِي مَا أَحِدُهُ مُكَافَاهُ غَيْرُ أَنِي أَعْزِلُ نَفْسِي

وَأَوْلَىٰ لِهِ . فَفَعَلَ ذَلِكَ وَهَذَا تَكُونُ الْمُكَافَةُ
الصَّانِعُ وَصَانِعُ الْخَلِيفَةِ

(الابشيري)

حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَبْنَاءِ النَّاسِ كَانَتْ لَهُ يَدٌ فِي صِنَاعَةِ الصِّياغَةِ وَكَانَ
أَوْحَدَ أَهْلَ زَمَانِهِ . فَسَاءَ حَالُهُ وَافْتَرَ بَعْدَ غِنَاهُ فَكَرِيَ أَلِقَامَةً فِي بَلَدِ
فَأَنْتَلَ إِلَى بَلَدٍ أَخْرَى فَسَأَلَ عَنْ سُوقِ الصَّاغَةِ فَوَجَدَ دُكَانًا لِلْمُعْلَمِ
الْسُّلْطَنَةِ وَتَحْتَ يَدِهِ صُنَاعَ كَثِيرٌ يَعْمَلُونَ الْأَشْغَالَ لِلْسُّلْطَنَةِ وَلَهُ سَعَادَة
ظَاهِرَةً مَا بَيْنَ حَالِهِ وَخَدَمَ وَقَاسٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ . فَتَوَصَّلَ الصَّانِعُ
الْغَرِيبُ إِلَى أَنْ يَقِيَ مِنْ أَحَدِ الصُّنَاعِ الَّذِينَ فِي دُكَانٍ هَذَا الْمُعْلَمِ . وَأَقَامَ
يَعْمَلُ عِنْدَهُ مَذَّةً وَكُلُّمَا فَرَغَ الْمَهَارُ دَفَعَ لَهُ دِرْهَمَيْنِ مِنْ فِضَّةٍ وَتَكُونُ أُجْرَهُ
عَمَلِهِ تُسَاوِي عَشَرَ دِرَاهِمَ فَيَكْسِبُ عَلَيْهِ ثَمَانِيَّةَ دِرَاهِمَ فِي كُلِّ يَوْمٍ .
فَأَتَقْرَبَ إِلَى الْمَلِكَ طَلَبَ الْمُعْلَمِ وَنَوَّلَهُ فَرْدَةً سُوَارٍ مِنْ ذَهَبٍ مُرْصَعَةً
بِفُصُوصٍ فِي غَايَةِ مِنَ الْمُحْسِنِ قَدْ عَمِلَتْ فِي غَيْرِ بِلَادِهِ كَانَتْ فِي يَدِ إِحْدَى
مَحَاطِيَهِ فَانْكَسَرَتْ . فَقَالَ لَهُ : أَنْجِمَهَا . فَأَخْدَهَا الْمُعْلَمُ وَقَدْ أَضْطَرَبَ
عَلَيْهِ فِي عَلِيهَا . فَلَمَّا أَخْدَهَا وَرَأَهَا لِلصُّنَاعِ الَّذِينَ عِنْهُ وَعَنْهُ غَيْرِهِ فَمَا
قَالَ لَهُ أَحَدٌ إِنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى عَمَلِهَا . فَازْدَادَ الْمُعْلَمُ لِذَلِكَ غَيْرًا وَمَضَتْ
مَذَّهُ وَهِيَ عِنْدَ لَا يَعْلَمُ مَا يَصْنَعُ . فَأَشْتَدَ الْمَلِكُ عَلَى إِخْضَارِهَا وَقَالَ : هَذَا
الْمُعْلَمُ نَالَ مِنْ جِهَتِنَا هُنْ النَّعْمَةُ الْعَظِيمَةُ وَلَا يَجِدُهُمْ سُوَارًا . فَلَمَّا
رَأَى الصَّانِعُ الْغَرِيبُ شِدَّةَ مَا نَالَ الْمُعْلَمُ قَالَ فِي نَفْسِهِ : هَذَا وَقْتُ
الْمَرْوَاتِ أَعْمَلُهَا وَلَا أَوْلَدُهُ بِخِلَهُ عَلَيْهِ وَعَدَمِ إِنْصَافِهِ وَلَعَلَهُ يُحْسِنُ إِلَيَّ
بَعْدَ ذَلِكَ . فَحَطَّ يَدُهُ فِي درَجِ الْمُعْلَمِ وَأَخْدَهَا وَفَكَ جَوَاهِرَهَا وَسَبَكَهَا .

ثُمَّ صَاغَهَا كَمَا كَانَتْ وَنَظَمَ عَلَيْهَا جَوَاهِرَهَا فَعَادَتْ أَحْسَنَ حِمَا كَانَتْ . فَلَمَّا
رَأَهَا الْمُعْلِمُ فَرَحَ شَدِيدًا . ثُمَّ مَضَى إِلَيْهَا إِلَى الْمَلِكِ فَلَمَّا رَأَاهَا أَسْتَخْسَنَهَا
وَأَدْعَى الْمُعْلِمُ وَأَنْهَا صُنْعَتْهُ . فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَخَلَعَ عَيْنَهُ خَلْعَةَ سَنِّيَّةَ . فَجَاءَ
وَجَلَسَ مَكَانَهُ فِيَقِيَ الصَّانِعِ يَرْجُو مُكَافَاتَهُ عَمَّا عَامَلَهُ بِهِ فَمَا تَفَتَّ إِلَيْهِ
الْمُعْلِمُ . وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ مَا زَادَهُ عَلَى الدُّورِ هُمَّيْنِ شَيْئًا . فَمَا مَضَتْ إِلَّا أَيَّامٌ
قَلَائِلُ وَإِذَا الْمَلِكُ اخْتَارَ أَنْ يَعْمَلَ زَوْجَيَّ أَسَاوِرَ عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ
فَطَلَبَ الْمُعْلِمُ وَرَسَمَ لَهُ كُلَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَأَكَدَ عَلَيْهِ فِي تَحْسِينِ الْصِّفَةِ
وَسُرْعَةِ الْعَمَلِ . فَجَاءَ إِلَيْهِ الصَّانِعِ وَأَخْبَرَ بِمَا قَالَ الْمَلِكُ . فَأَمْتَلَ مَرْسُومَهُ
وَلَمْ يَزُلْ مُنْتَصِبًا إِلَيْهِ أَنْ عَمِلَ الزَّوْجَيْنِ وَهُوَ لَا يَزِيزُكُ شَيْئًا عَلَى الدُّورِ هُمَّيْنِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَا يَشْكُونَ وَلَا يَعْدُ بِخَيْرٍ وَلَا يَتَجَهَّلُ مَعَهُ . فَرَأَى الْمُصْلَحَةَ
أَنْ يَنْفَسُ عَلَى زَوْجٍ مِنْهُمَا أَيَّاتًا يَشْرُحُ فِيهَا حَالَةَ لِيَقْتَ عَلَيْهَا الْمَلِكُ .
فَنَقَشَ فِي بَاطِنِهِ حَدِيدًا هُنْدُ الأَيَّاتَ نَقْشًا خَفِيًّا يَقُولُ :

مَصَائِبَ الدَّهْرِ كُنْتِيْ
إِنْ لَمْ تَكُنْ فَعِيْ
خَرَجْتُ أَطْلُبُ رِزْقِيْ
وَجَدْتُ رِزْقِيْ تُوْقِيْ
فَلَا يَرِزِقِيْ أَحْضَرِيْ
وَلَا بِصَنْعَةِ كَفِيْ
كُمْ جَاهِلٍ فِي الْبَرِيَا وَعَالَمٍ مُخْتَفِي

قَالَ : وَعَزَمَ الصَّانِعُ عَلَى أَنْهُ إِنْ ظَهَرَتِ الأَيَّاتُ لِلْمُعْلِمِ شَرَحَ لَهُ مَا
عِنْدُهُ وَإِنْ غُمَّ عَلَيْهِ وَمِنْ يَرِهَا كَانَ ذَلِكَ سَبَبٌ تَوْصِلِهِ إِلَى الْمَلِكِ . ثُمَّ لَفَهَا
فِي قُطْنٍ وَنَأَوَلَهُمَا لِلْمُعْلِمِ فَرَأَى ظَاهِرَهُمَا وَلَمْ يَرَ بَاطِنَهُمَا لِجَهْلِهِ بِالصَّنْعَةِ
وَلَمَا سَبَقَ لَهُ فِي الْفَضَاءِ . فَأَخَدَهُ الْمُعْلِمُ وَمَضَى بِهَا فَرِحًا إِلَى الْمَلِكِ

وَقَدْ هَمَّ إِلَيْهِ . فَلَمْ يُشْكِنْ فِي أَنَّهَا صَنْعَتْهُ خَلْعَ عَلَيْهِ وَشَكْرَ . ثُمَّ جَاءَ بِجَلْسٍ
مَكَانَهُ وَمَمْ يَكْتِفُ إِلَى الصَّانِعِ وَمَا زَادَهُ فِي آخِرِ الْمَهَارِ شَبَيْهًا عَلَى الدِّرَهَيْنِ .
فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّانِي خَلَأَ خَاطِرُ الْمَلِكِ فَاسْتَخْضَرَ الْحَظِيَّةَ الَّتِي عَمِلَ لَهَا
السَّوَارِيْنِ الْدَّهَبَ . فَخَضَرَتْ وَهَا فِي يَدِهَا فَأَخْذَهَا لِيُعِيدَ نَزَعَ فِيهَا
وَفِي حُسْنِ صَنْعَتِهَا . فَقَرَأَ الْآيَاتَ فَتَعَجَّبَ وَقَالَ : هُذَا شَرْحُ حَالِ
صَانِعِهَا وَالْمَعْلُومُ يَكْتُبُ . فَغَضِبَ عِنْدَ ذِلِكَ وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْمَعْلُومِ . فَلَمَّا
حَضَرَ قَالَ لَهُ : مَنْ عَمِلَ هَذِهِنِ السَّوَارِيْنِ . قَالَ : أَنَا أَهْمَّهَا الْمَلِكُ . قَالَ : فَمَا
سَبَبَ نَقْشَ هَذِهِ الْآيَاتِ . قَالَ : لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا أَيْمَاتٌ . قَالَ : كَذَبْتَ ثُمَّ أَرَاهُ
النَّفْسَ وَقَالَ : إِنَّ لَمْ تَصْدُقِنِي الْحَقُّ لَأَضْرِبَنَّ عَنْقَكَ . فَاصْدَفَهُ الْحَقُّ فَأَمْرَ
الْمَلِكُ بِإِحْضَارِ الصَّانِعِ . فَلَمَّا حَضَرَ سَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ . فَحَكَى لَهُ قِصَّتِهِ وَمَا
جَرَى لَهُ مَعَ الْمَعْلُومِ . فَرَسَمَ الْمَلِكُ بِعَزْلِ الْمَعْلُومِ وَأَنْ تُسلَبَ نِعْمَتُهُ وَتُعَطَى
لِلصَّانِعِ وَأَنْ يَكُونَ عَوَاضًا عَنْهُ فِي الْخَدْمَةِ . ثُمَّ خَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سِينِيَّةً وَصَارَ
مُقْدَدًا مَا سَعَيْدًا . فَلَمَّا نَالَ هَذِهِ الْدَّرَجَةَ وَتَمَكَّنَ عِنْدَ الْمَلِكِ تَلَطَّفَ بِهِ حَتَّى
رَضِيَ عَنِ الْمَعْلُومِ الْأَوَّلِ وَصَارَ شَرِيكِيْنِ وَمَكْثًا عَلَى ذِلِكَ إِلَى آخِرِ الْعَمَرِ
إِحْسَانُ كَرِيمٍ إِلَى عَدُوِّهِ

حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ غَسَانَ بْنِ عَبَادٍ (وَيَسِنَ) عَلَيْهِ بْنِ مُوسَى عَدَاوَةَ
عَظِيمَةَ وَكَانَ عَلَيْهِ بْنُ مُوسَى ضَامِنًا أَعْمَالَ خَرَاجٍ كَضِيَاعٍ وَغَيْرِهِ فَبَقِيَتْ
عَلَيْهِ بَقِيَّةٌ مِقْدَارُ أَرْبَعينَ الْفَ دِينَارٍ . فَأَلْمَحَ عَلَيْهِ الْمَامُونُ بِطَلْبِهَا وَشَدَّدَ
عَلَيْهَا إِلَى أَنْ قَالَ لِعَلَيْهِ بْنِ صَاحِحٍ حَاجِهِ : أَمْهَلْهُ نَلَاثَةً أَيَّامٍ فَإِنْ أَحْضَرَ
الْمَالَ وَلِإِلَّا فَاضْرِبْهُ بِالسِّبَاطِ حَتَّى يَدْفَعَ الْمَالَ أَوْ يَتَكَفَّ . فَأَنْصَرَفَ عَلَيْهِ

أَبْنُ مُوسَى مِنْ دَارِ الْمَأْمُونِ وَقَدْ أَرْتَاعَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ وَجْهًا يَتَجَهُ إِلَيْهِ.
 فَقَالَ لَهُ كَاتِبُهُ: إِذَا عَرَجْتَ عَلَى غَسَانَ بْنَ عَبَادٍ وَعَرَفْتَهُ خَبْرَكَ رَجَوتُ
 أَنْ يُعِينَكَ عَلَى أَمْرِكَ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ يَبْيَنِي وَيَسِّنِي مِنَ الْعَدَاوَةِ مَا عَرَفْتَ.
 فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ وَلَكِنَ الرَّجُلُ أَرْبَحِي كَرِيمٌ لَا تَمْنَعُهُ الْعَدَاوَةُ الَّتِي يَسِّنُكَمَا عَنْ
 فَعْلِ الْمَعْرُوفِ الَّذِي هُوَ مِنْ شِيمِ الْكَرَامِ، فَقَامَ عَلَى بْنِ مُوسَى وَمَضَى إِلَيْهِ
 أَنْ جَاءَ وَدَخَلَ مَعَ كَاتِبِهِ عَلَى غَسَانَ بْنِ عَبَادٍ، فَلَمَّا رَأَاهُ غَسَانُ قَامَ إِلَيْهِ
 وَتَلَقَّاهُ حَيْلًا وَفَاهُ حَقُّهُ فِي الْخِدْمَةِ وَقَالَ لَهُ: دَعْ الْأَمْرَ الَّذِي يَبْيَنِي وَيَسِّنِي
 عَلَى حَالِهِ وَلَكِنْ دُخُولَكَ إِلَى دَارِي تُوجِبُ حُرْمَتَهُ بِلُوعَ مَا رَجَوْتَهُ مِنِّي
 فَإِذْكُرْ إِنْ كَانَ لَكَ حَاجَةٌ، فَفَصَّلَ كَاتِبُهُ عَلَيْهِ الْفِصَّةَ، فَقَالَ لَهُ غَسَانُ:
 أَرْجُو أَنْ يَكْفِيَكَ اللَّهُ تَعَالَى صُعُوبَةُ أَمْرِكَ وَمَبْرُدُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا، فَقَامَ
 عَلَيْهِ بْنُ مُوسَى مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ نَادِمٌ عَلَى قَصْدِهِ غَسَانَ وَيَسِّنَ مِنْ أَمْرِهِ وَقَالَ
 لِكَاتِبِهِ: مَا أَفَدْتَنِي بِالدُّخُولِ عَلَى غَسَانَ سَوَى تَعْجِيلِ الشَّهَادَةِ وَالْهُوَانِ، فَلَمْ
 يَصْلُ عَلَيْهِ بْنُ مُوسَى إِلَى دَارِهِ أَنْ حَضَرَ إِلَيْهِ كَاتِبُ غَسَانَ وَمَعَهُ الْبِغَالُ
 وَعَلَيْهَا الْمَالُ فَتَقَدَّمَ عَلَيْهِ بْنُ مُوسَى وَتَسْلِمَهُ وَبَاتَ فَرِحًا مَسْرُورًا، وَعِنْدَ
 الصَّبَاحِ بَكَرَ إِلَى دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَدْفَعَ الْمَالَ فَوَجَدَ غَسَانَ قَدْ سَبَقَهُ
 هُنَاكَ وَدَخَلَ عَلَى الْمَأْمُونِ وَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ لَعْلَيْهِ بْنَ مُوسَى
 يَحْضُرُ تِلَكَ حُرْمَةً وَخِدْمَةً وَسَابِقَ أَصْلٍ وَقَدْ لَحِقَهُ مِنَ الْحُسْرَانِ فِي ضَمَانِهِ
 مَا تَعَارَفَهُ النَّاسُ وَقَدْ تَوَعَّدَتُهُ مِنَ الضَّرْبِ بِالسِّيَاطِ مَا أَطَارَ عَقْلَهُ
 وَأَذْهَبَ لُبْهُ، فَإِنْ رَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَبْخَرِي بِهِ مِنْ حَسْنَ كَرِيمِهِ بِيَعْضِ
 مَا عَلَيْهِ فَهِيَ صَنِيعَةٌ لِي مِنْ إِحْسَانِهِ، وَمَمْبَزِلُ غَسَانُ يَتَلَطَّفُ بِالْمَأْمُونِ

حَتَّىْ حَطَّ عَنْهُ نِصْفَ مَا عَلَيْهِ وَفَتَصَرَّ مِنْهُ بِالنِّصْفِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ.
 فَقَالَ غَسَانُ لِلْمَامُونِ: سَمِعًا وَطَاعَةً وَلَكُنْ عَلَىْ أَنْ يُجَدِّدَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 لَهُ الْضَّمَانَ وَيَخْلُعُ عَلَيْهِ لَكِيْ تُقَوِّيَ نَفْسُهُ وَيَعْرِفَ بِهَا مَكَانَ الرِّضا عَلَيْهِ مِنْ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبْقَاهُ اللَّهُ . فَأَجَابَ الْمَامُونُ إِلَى ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ غَسَانُ:
 إِنْ شَاءَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَلَتَحْمِلَ الدَّوَاهُ إِلَى حَضْرَتِهِ لِتَوْقِيعِ مَا سَمِعَ بِهِ
 فِي مَا قَالَ . قَالَ: أَفْعُلُ . فَحَمَلَتُ الدَّوَاهُ إِلَى الْمَامُونَ وَقَدَّهَا غَسَانُ لَهُ
 فَوْقَ حِينَيْدِ لِعَلِيٍّ بْنِ مُوسَى . وَخَرَجَ عَلَيْهِ بْنُ مُوسَى وَالْخَلُعُ عَلَى كِتْفَيْهِ
 وَالْتَّوْقِيعُ بِيَدِهِ . فَلَمَّا حَضَرَ إِلَى دَارِهِ حَمَلَ مِنَ الْمَالِ عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ
 وَأَرْسَلَهَا إِلَى غَسَانَ وَشَكَنَ عَلَى جَمِيلِ فِعلِهِ . فَقَالَ غَسَانُ لِكَاتِبِهِ: وَاللَّهِ
 مَا شَفَعْتُ بِهِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا لِتَنُورَ عَلَيْهِ الْعِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ
 وَيَتَنَعَّمَ بِهَا هُوَ فَأَمْضَ بِهَا إِلَيْهِ وَرُدَّهَا لَهُ فَلَسْتُ وَاللَّهُ أَخِذُهَا فِيَ لَهُ .
 فَلَمَّا رَجَعَ الْكَاتِبُ إِلَى عَلِيٍّ بْنِ مُوسَى مَوْلَاهُ وَبَلَغَهُ مَا قَالَ عَرَفَ عِنْدَ ذَلِكَ
 قَدْرَ مَا فَعَلَهُ غَسَانُ مِنَ الْجَحِيلِ . وَلَمْ يَزَلْ يَخْدِمُهُ وَيُوْقِنُ إِلَى آخِرِ الْعَمَرِ
 الْأَصْمَعِيُّ وَرَجُلُ سَبِيْعٍ

حَكَى الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: فَصَدَّتُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ رَجُلًا كُنْتُ آتَيْهِ
 أَحْيَانًا كِثِيرًا لِكَرْمِهِ وَجُودِهِ . فَلَمَّا أَتَيْتُ دَارَهُ وَجَدْتُ عَلَى بَابِهِ بَوَابًا
 فَمَنَعَنِي مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ وَقَالَ لِي: وَاللَّهِ يَا أَصْمَعِي مَا أَوْفَقْتِي عَلَى بَابِهِ لِأَمْنَعِ
 مِنْكَ إِلَّا لِرِفَةِ حَالِهِ وَقُصُورِ يَكِ وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْضَّيقِ . فَقُلْتُ لَهُ: أَرِيدُ
 أَنْ أَكُتبَ لَهُ رُفْعَةً أَتُوَصِّلُهَا إِلَيْهِ . فَقَالَ: سَمِعًا وَطَاعَةً . فَأَحْضَرَ لِي قِرْطَاسًا
 وَقَلَمًا وَدَوَاهَةً فَأَخَذْتُ وَكَتَبْتُ لَهُ شِعْرًا:

إِذَا كَانَ الْكَرِيمُ لَهُ حِجَابٌ فَأَفْضَلُ الْكَرِيمِ عَلَى الْلَّئِيمِ
 ثُمَّ طَوَيْتُ الرُّقْعَةَ وَدَفَعْتُهَا إِلَى الْحَاجِبِ وَقُلْتُ لَهُ : أَوْصِلْ هُنَّ الرُّقْعَةَ
 إِلَيْهِ . فَفَعَلَ وَمَضَى بِالرُّقْعَةِ قَلِيلًا . ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ بِالرُّقْعَةِ عَيْنَهَا وَقَدْ كَتَبَ
 تَحْتَ شِعْرِي جَوَابًا شِعْرًا :

إِذَا كَانَ الْكَرِيمُ قَلِيلًا مَالِيْ تَحْجَبَ يَا حِجَابَ عَنِ الْغَرِيمِ
 وَمَعَ الرُّقْعَةِ صُرَّقَ فِيهَا خَمْسِيَّةَ دِينَارٍ . فَتَجَبَّتُ مِنْ سَخَائِهِ مَعَ قِلَّةِ
 مَا يَدِيْكَ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاللَّهِ لَا تَحْفَنَ هَارُونَ الرَّشِيدَ بِهَذَا الْخَبَرِ . فَانْطَلَقْتُ
 حَتَّى آتَيْتُ قَصْرَ الْخَلَافَةَ فَأَسْتَأْذَنْتُ وَدَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ يَا الْخَلَافَةَ .
 فَلَمَّا رَأَيْتَنِي قَالَ لِي : مِنْ أَيْنَ يَا أَصْمَعِيْ . قُلْتُ : مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ مِنْ أَكْرَمِ
 الْأَحْيَاءِ بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : وَمَنْ هُوَ . فَدَفَعْتُ لَهُ الرُّقْعَةَ وَالصَّرَّةَ
 وَسَرَدْتُ عَلَيْهِ الْخَبَرَ . فَلَمَّا رَأَيْتَ الصَّرَّةَ قَالَ : هُنَّ دِنَّ بَيْتِ مَالِيْ وَلَا بُدَّ لِيْ
 مِنَ الرَّجُلِ . فَقُلْتُ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَسْخَيِي أَنْ أَكُونَ سَبَبَ
 رَوْعَهِ بِإِرْسَالِكَ إِلَيْهِ . فَقَالَ : لَا يَغْمِكَ ذَلِكَ . ثُمَّ اتَّفَتَ إِلَى بَعْضِ
 خَاعِثَتِهِ وَقَالَ لَهُ : أَمْضِ مَعَ الْأَصْمَعِيْ فَإِذَا أَرَاكَ دَارًا فَاذْهُلْ وَقُلْ .
 لِصَاحِبِهِ : أَحِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيُكْنِي دُعَاؤُكَ لَهُ بِلَطَافَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ
 تُزِعِّجَهُ . قَالَ أَلَّا أَصْمَعِيْ : فَمَضَيْنَا وَدَعَوْنَا الرَّجُلَ فَجَاءَ وَدَخَلَ عَلَى أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ وَسَلَّمَ يَا الْخَلَافَةَ . فَقَالَ لَهُ هَارُونَ الرَّشِيدُ أَسْتَأْنِتُ الَّذِي
 وَقَفَتَ لَنَا بِالْأَمْسِ وَشَكَوْتَ لَنَا رَقَّةَ حَالِكَ وَقُلْتَ إِنَّكَ فِي ضِيقٍ شَدِيدٍ
 مِنَ الْأَحْيَاءِ حَفَرَ حَمَنَاكَ وَوَهَبَنَا لَكَ هُنَّ الصَّرَّةَ لِتُصْلِحَ بِهَا حَالَكَ وَقَدْ
 قَصَدَكَ أَلَّا أَصْمَعِيْ بِيُتِّ مِنَ الْأَشْعَرِ فَدَفَعْتُهَا لَهُ . فَقَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

وَاللَّهُ مَا كَذَبَتْ فِي مَا شَكَوْنَهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ رِقَّةِ حَارِي وَشَدَّةِ
أَحْنَيَا حِيِّي وَلَكِنْ أَسْتَهِيَتْ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ أُعِيدَ قَاصِدِي إِلَّا كَمَا أَعَادَنِي
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ هَارُونُ الرَّشِيدُ: اللَّهُ حَرَّ بَطْنَ أَتَاكَ فَوَلَدْتَ
الْعَرَبَ الْكَرْمَ مِنْكَ. ثُمَّ بَالَّغَ بِإِكْرَامِهِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَجَعَلَهُ مِنْ خَاصَّتِهِ
إِكْرَامُ تَلَانَةً أَصْدِقَاءَ حُنْصِصِينَ بَعْضُهُمْ بِعَضًا

نُقلَ عَنِ الْوَاقِدِيِّ قَالَ: كَانَ لِي صَدِيقَانِ أَحَدُهُمَا هَاشِيٌّ وَكُنَّا فِي
الصَّدَاقَةِ كَنْفُسٍ وَاحِدَةٍ. فَنَالَّيْنِي ضِيقَةٌ شَدِيدَةٌ وَقَدْ حَضَرَ الْعِيدُ. فَقَاتَ
لِيْ أَمْرَأَتِي: يَا مُولَايَ أَمَّا نَحْنُ فَقَدْ نَصَرُ عَلَى الْبُوُسِ وَالشَّتَّى وَأَمَّا صَيْانَا
هُوَلَاءُ فَقَدْ نَقْطَعَ قَلْبِي عَلَيْهِمْ حُزْنًا وَرَحْمَةً لِأَنَّهُمْ يَرْوَنَ صَيْانَ حِيرَانَا
وَمَعَارِفِنَا وَقَدْ تَرَبَّوْنَا فِي الْعِيدِ وَهُمْ فَرَحُونَ. فَلَا بَاسَ إِذَا أَحْتَلْنَا فِي مَا
يُمْكِنُنَا نَصْرِفَهُ فِي كُسُورِنَا. فَرَأَيْتُ كَلَامَهَا صَوَابًا وَقَدْ قَطَعْتُ فُوَادِي
مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ. فَفَدَرَتْ فِي الْحِمْلَةِ وَكَتَبْتُ إِلَيْ صَدِيقِي الْهَاشِيِّ أَسَأَلُهُ
الْتَّوْسِعَةَ عَلَيْهِ بِمَا يُمْكِنُهُ وَيَحْضُرُ. فَوَجَهَ إِلَيْكَ يِكِيسَا فِيهِ الْأَفْدُ دِرْهَمٌ.
فَأَسْتَقْرَرَ قَرَارُهُ حَتَّى كَتَبْتُ لِي صَدِيقِي الْأَخْرِيشُوكُ إِلَيْهِ مِثْلَهَا شَكُوتُ أَنَا
إِلَيْ صَدِيقِي الْهَاشِيِّ. فَوَجَهْتُ إِلَيْهِ بِالْكِيسِ عَلَى حَارِي وَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ
وَأَنَا مُسْتَحْيٍ مِنْ أَمْرَأَتِي. فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهَا وَقَدْ عَلِمْتُ بِمَا فَعَلْتُ لَمْ تُعْنِي
فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذَا دَخَلْتُ عَلَيْ صَدِيقِي الْهَاشِيِّ وَدَعَهُ الْكِيسُ وَهُوَ بَاقِ
بِخَتِيمِهِ فَقَالَ: أَصْدُقُنِي عَمَّا فَعَلْتُهُ بِمَا وَجَهْتُ بِهِ إِلَيْكَ. فَأَخْبَرْنَهُ بِالْحِكَمَيَةِ
عَلَى حَقِيقَتِهَا. فَقَالَ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَ تَطْلُبُ مِنِي التَّوْسِعَةَ وَأَنَا وَاللَّهِ ثُمَّ وَاللهُ
لَا أَمْلِكُ شَيْئًا سِوَى هَذَا الْكِيسِ الَّذِي بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ. ثُمَّ إِنِّي بَعْدَمَا

أَرْسَلَتُهُ لَكَ كَتَبْتُ إِلَى صَدِيقِنَا أَسَّا لَهُ الْمُوَاسَأَةَ إِنْ كَانَ يُمْكِنُهُ فَوْجَةَ
إِلَيْهِ الْكِيسَ بِذَاتِهِ وَهُوَ بِخَنْبِي وَهَا أَنَّا دَأَدَأْتُ يَهُ إِلَيْكَ . وَحِيتَ إِنَّا كُلُّنَا
فِي ضِيقٍ وَلَا يُوجَدُ عِنْدَ أَحَدٍ نَغِيرُ هَذَا الْكِيسَ فَهُلْ نَفْتِسِمُهُ . ثُمَّ إِنَّهُ فَتَحَهُ
وَأَخْرَجَ مِنْهُ مِئَةً دِرْهَمًا لِلْمَرْأَةِ وَفَرَقَ عَلَى كُلِّ مِنَّا أَنَا وَصَدِيقِي ثَلَاثَ مِئَةَ
دِرْهَمٍ وَأَخَذَ هُوَ مِثْلَنَا ثَلَاثَ مِئَةَ . وَبَعْدَ الْمَأْمُونَ ذَلِكَ فَارَسَلَ أَسْتَدْعَانِي
وَسَأَلَنِي عَنِ الْقَضِيَّةِ فَشَرَحْتُهَا لَهُ كَمَا هِيَ فَاسْتَدْعَيَ صَدِيقِي وَأَمَرَ لِكُلِّ مِنَّا
بِالْفِي دِينَارٍ وَلِامْرَأَتِي بِالْأَلْفِ دِينَارٍ (ابن خلكان)

فِي تَقْدِيمِ الْأَكْرَامِ لِأَهْلِهِ

مِنْ غَزَّارَةِ حَفْظِ الْوِزَارَتِينَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْجَيْدِ بْنُ عَبْدُونَ مَا
حَدَّثَ الْوَزِيرُ أَلَّاجُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَزِيرِ أَبِي مَرْوَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ
أَبْنُ أَبِي الْعَلَاءِ زَهْرَ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنُ زَهْرٍ . وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هَذَا قَدْ مَاتَ
عَنْ سِنِّ عَالِيَّةٍ نِيفٍ عَلَى الْثَّالِتِينَ قَالَ : يَبْنَا أَنَا قَاعِدٌ فِي دَهْلِيزٍ دَارِنَا
وَعِنْدِي رَجُلٌ نَاسِخٌ أَمْرُنِي أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابًا لِلْأَغَانِيِّ . فَجَاءَ النَّاسُ
يَا الْكَرَابِسِ الَّتِي كَتَبَهَا . فَقُلْتُ لَهُ : أَبْنَ الْأَصْلِ الَّذِي كَتَبَتْ مِنْهُ لِأَقَابِلَ
مَعَكَ بِهِ . قَالَ : مَا أَتَيْتُ بِهِ مَعِي . فَبَيْنَا أَنَا مَعْهُ فِي ذَلِكَ إِذَا دَخَلَ الدَّهْلِيزَ
عَلَيْنَا رَجُلٌ يَدُ أَهْلِيَّةٍ عَلَيْهِ شَابٌ غَلِيلَةُ ثَمَرَهَا صُوفٌ . وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ
قَدْ لَأَتَهَا مِنْ غَيْرِ اِنْفَانِهَا . فَحَسِبْتُهُ لَمَارَأَيْتُهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْبَادِيَّةِ فَسَلَّمَ
وَقَعَدَ وَقَالَ لِي : يَا بْنَيَّ أَسْتَاذِنُ لِي عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي مَرْوَانَ . فَقُلْتُ لَهُ : هُوَ
نَائِمٌ . هَذَا بَعْدَ أَنْ تَكْلُفَ جَوَابَهُ غَایَةَ التَّكْلُفِ حَمَنِي عَلَى ذَلِكَ نِزْوَةَ الصَّيِّ
وَمَارَأَيْتُ مِنْ خُشُونَةِ هِيَّةِ الرَّجُلِ . ثُمَّ سَكَتَ عَنِي سَاعَةً وَقَالَ : مَا هَذَا

الْكِتَابُ الَّذِي يَا يَدِيْكَما. فَقُلْتُ لَهُ: مَا سُوَالُكَ عَنْهُ. قَالَ أَحِبُّ أَنْ أَعْرِفَ
 أَسْمَهُ فَإِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ أَسْمَاءَ الْكِتَابِ. فَقُلْتُ: هُوَ كِتَابُ الْأَغَانِيِّ. فَقَالَ:
 إِلَى أَيْنَ بَلَغَ الْكَاتِبُ مِنْهُ. قُلْتُ: بَلَغَ مَوْضِعَ كَذَا وَجَعَلَتُ أَخْدَثُ مَعَهُ عَلَى
 طَرِيقِ الْأَسْخَرِيَّةِ وَالضَّحْكِ عَلَى قَالِبِهِ. فَقَالَ: وَمَا لِكَاتِبَ لَا يَكْتُبُ.
 قُلْتُ: طَلَبْتُ مِنْهُ الْأَصْلَ الَّذِي يَكْتُبُ مِنْهُ لِأَعْارِضَ يَهُهُنِّ الْأَوْرَاقَ.
 فَقَالَ: لَمْ أَجِدْ يَهُهُ مَعِيِّ. فَقَالَ: يَا بُنَيَّ خُذْ كَرَاسِكَ وَعَارِضْ. قُلْتُ:
 بِمَاذَا وَأَنَّ الْأَصْلُ. قَالَ: كُنْتُ أَحْفَظُ هَذَا الْكِتَابَ فِي مُدْرَسَةِ صِبَاعَيِّ. قَالَ:
 فَتَبَسَّمْتُ مِنْ قَوْلِهِ فَلَمَّا رَأَى تَبَسْمِيِّ. قَالَ: يَا بُنَيَّ أَمْسِكْ عَلَيَّ. قَالَ:
 فَأَمْسَكْتُ عَلَيْهِ وَجَعَلَ يَقْرَأُ. فَوَاللَّهِ إِنَّ أَخْطَأَ وَأَوْلَافَةً قَرَأَهُ كَذَا انْحُوا
 مِنْ كَرَاسِتِينِ (كَرَاسِينِ). ثُمَّ أَخْدَثْتُ لَهُ فِي وَسْطِ السَّفَرِ وَآخِرِ فَرَأَيْتُ
 حِفْظَهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ سَوَاءً فَأَشْتَدَّ عَجَّيْ وَقَمْتُ مُسْرِعًا حَتَّى دَخَلْتُ عَلَى أَيِّي
 فَأَخْبَرْتُهُ بِالْخَبَرِ وَوَصَّفْتُ لَهُ الرَّجُلَ. فَقَامَ كَمَا هُوَ مِنْ فَوْرِهِ وَكَانَ مُلْتَفِنَا
 بِرِدَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ قِيمَصْ. وَخَرَجَ حَاسِرًا لِرَأْسِهِ حَافِيَ الْقَدَمَيْنِ لَا يَرْفَعُ عَلَى
 نَفْسِهِ وَأَنَا بَيْتَ يَدِيهِ وَهُوَ يُوْسِعُنِي لَوْمًا حَتَّى تَرَاهُ عَلَى الرَّجُلِ وَعَانَقَهُ
 وَجَعَلَ يَقْبِلُ رَأْسَهُ وَيَدِيهِ وَيَقُولُ: يَا مَوْلَايَ أَعْذِرْنِي فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمْنِي
 هَذَا الْخَلْفُ إِلَّا السَّاعَةَ وَجَعَلَ يَسْبِي وَالرَّجُلِ يُخْفِضُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: مَا
 عَرَفْنِي. وَأَيِّي يَقُولُ: هَبَهُ مَا عَرَفَكَ فَمَا عَدْرُهُ فِي حُسْنِ الْأَدَبِ. ثُمَّ أَدْخَلَهُ
 الْدَّارَ وَأَكْرَمَ مَحِلْسَهُ وَخَلَّا يَهُ فَتَحَدَّثَا طَوِيلًا. ثُمَّ خَرَجَ الرَّجُلُ وَأَيِّي بَيْنَ
 يَدِيهِ حَافِيَا حَتَّى يَلْغَ الْبَابَ. وَأَمْرَ يَدَايَتِهِ الَّتِي بَرَكَهَا فَاسْرِجَتْ وَحَلَفَ
 عَلَيْهِ لَيْزَكِبَنَهَا ثُمَّ لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِ أَبَدًا. فَلَمَّا أَنْفَصَلَ قُلْتُ لِأَيِّي: مَنْ هَذَا

الرَّجُلُ الَّذِي عَظَمَهُ هَذَا التَّعْظِيمُ . قَالَ لَيْ : أَسْكُتْ وَبِحَكَ . هَذَا أَدِيبٌ
الْأَنْدَلُسِيُّ وَإِمَامُهَا وَسِيدُهَا فِي عِلْمِ الْأَدَابِ . هَذَا أَبُو مُحَمَّدٌ عَبْدُ الْجَمِيعِ بْنُ
عَبْدُوْنَ . أَيْسَرُ مَحْفُوظَاتِهِ كِتَابُ الْأَغَانِيِّ وَمَا حَفْظُهُ فِي ذَكَاءِ خَاطِرِهِ

وَجُودَةِ قَرِيْحَةِ (مَحْيَى الدِّينِ الْمَرَّاكِشِيُّ)

فِي وَضْعِ الْمَعْرُوفِ فِي مَوْضِعِهِ وَالْأَصْطِفَاءِ بَعْدَ الْخَبْرَةِ
قَالَ دَبَشِلِمُ الْمَلِكُ لِبَيْنَهَا الْفِيلَسُوفُ أَصْرِبُ لِي مَثَلًا فِي شَانِ الَّذِي
يَضْعُفُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَيُرْجُو الشُّكْرَ عَلَيْهِ . قَالَ الْفِيلَسُوفُ :
أَهِيَا الْمَلِكُ إِنَّ طَبَائِعَ الْخَلْقِ مُخْتَلِفَةٌ وَلَيْسَ حَالَةُ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا حِلًا
يَمْشِي عَلَى أَرْبَعِ قَوَافِعِ أَوْ عَلَى رِجَائِنِ أَوْ يَطِيرُ بِعَنَاحِينِ شَيْءٌ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ
الْإِنْسَانِ . وَلَكِنْ مِنَ النَّاسِ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ . وَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ الْبَهَائِمِ
وَالسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ مَا هُوَ أَوْفَى مِنْهُ ذَهَةً وَأَسْدٌ مُحَمَّمَةٌ عَلَى حُرْمَةٍ وَلَا شَكْرٌ
لِلْمَعْرُوفِ وَأَقْوَمُ بِهِ . وَجِينِيَّذٌ يَجْبُ عَلَى دَوْيِ الْعُقْلِ مِنَ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ
أَنْ يَضْعُوا مَعْرُوفَهُمْ مَوْضِعَهُ وَلَا يُضْعِيْهُ عِنْدَمَا لَا يَحْتَمِلُهُ وَلَا يَقُولُ
بِشُكْرِهِ وَلَا يَصْطَفُوا أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ الْخَبْرَةِ بِطَرَائِقِهِ وَالْمَعْرِفَةِ بِوَفَائِهِ
وَمُوَدَّتِهِ وَشَكْرِهِ . وَلَا يَنْتَغِي أَنْ يَخْتَصُوا بِذَلِكَ قَرِيْبًا لِقَرَابَتِهِ إِذَا كَانَ
غَيْرَ مُحِمَّلٍ لِلصَّنِيعَةِ وَلَا أَنْ يَمْنَعُوا مَعْرُوفَهُمْ وَرِفْدَهُمْ لِلْبَيْعِدِ إِذَا كَانَ
يَفْيِيهِمْ بِنَفْسِهِ وَمَا يَقْدِيرُ عَلَيْهِ . لِأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ عَارِفًا بِحَقِّ مَا أَصْطَنَعَ
إِلَيْهِ مُؤَدِّيَا لِشَكْرِ مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ مَحْمُودًا بِالنُّصْحِ مَعْرُوفًا بِالْخَيْرِ صَدُوقًا عَارِفًا
مُوْثِرًا لِحَمِيدِ الْفِعَالِ وَالْقَوْلِ . وَكَذِلِكَ كُلُّ مَنْ عُرِفَ بِالْخِصَالِ
الْمَحْمُودَةِ وَوِيقَةِ مِنْهُ بِهَا كَانَ لِلْمَعْرُوفِ مَوْضِعًا وَلِتَسْقِيرِيهِ وَأَصْطِنَاعِهِ

أهلاً . فإنَّ الطَّيِّبَ الرَّفِيقَ الْعَاقِلَ لَا يَقْدِرُ عَلَى مُدَاواةِ الْمَرِيضِ إِلَّا بَعْدَ
 الْنَّظَرِ إِلَيْهِ وَأَجْسَنْ لِعُرُوفِهِ وَمَعْرِفَةِ طَبِيعَتِهِ وَسَبَبِ عَلَيْهِ . فَإِذَا عَرَفَ
 ذَلِكَ كُلَّهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ أَقْدَمَ عَلَى مُدَاواةِهِ . فَكَذِلِكَ الْعَاقِلُ لَا يَنْبَغِي لَهُ
 أَنْ يَصْطَفِيَ أَحَدًا وَلَا يَسْتَخْلِصُهُ إِلَّا بَعْدَ الْخَبْرِ . فَإِنَّ مَنْ أَقْدَمَ عَلَى مَشْهُورِ
 الْعَدْالَةِ مِنْ غَيْرِ أُخْتِيَارٍ كَانَ مُخَاطِرًا فِي ذَلِكَ وَمُشْرِفًا مِنْهُ عَلَى هَلَاكِ
 وَفَسَادِ . وَمَعَ ذَلِكَ رُبَّمَا صَنَعَ الْإِنْسَانُ الْمُعْرُوفَ مَعَ الْفَضِيعِ الَّذِي لَمْ
 يَجِدْ بُشْرًا وَلَمْ يَعْرِفْ حَالَهُ فِي طَبَائِعِهِ فَيَقُولُ بُشْرُكَرْ ذَلِكَ وَيُكَافِئُ
 عَلَيْهِ أَحْسَنَ الْمُكَافَأَةِ . وَرُبَّمَا تَحْذَرُ الْعَاقِلُ مِنَ النَّاسِ وَلَمْ يَأْمُنْ عَلَى نَفْسِهِ
 أَحَدًا مِنْهُمْ . وَقَدْ يَأْخُذُ أَبْنَ عِرْسٍ فَيُدْخِلُهُ فِي كُمَّهِ وَيُخْرِجُهُ مِنَ الْأُخْرَى
 كَالَّذِي يَحْمِلُ الْطَّائِرَ عَلَى يَدِهِ فَإِذَا صَادَ شَيْئًا أَنْتَفَعَ بِهِ وَأَطْعَمَهُ مِنْهُ .
 وَقَدْ قِيلَ : لَا يَنْبَغِي لِذِي الْعُقْلِ أَنْ يَحْتَرِقَ صَغِيرًا وَلَا كَيْرًا مِنَ النَّاسِ وَلَا
 مِنَ الْبَهَائِمِ وَلِكُنَّهُ جَدِيرٌ بِأَنْ يَلِوْهُ وَيَكُونَ مَا يَصْنَعُ إِلَيْهِمْ عَلَى قَدْرِ مَا
 يَرَى مِنْهُمْ وَقَدْ مَضَتِ فِي ذَلِكَ أَمْثَالُ ضَرِبَهَا الْمُحْكَمَاءُ (كِيلَةُ وَدِمْنَةُ)

الْحَيَّةُ وَالْإِنْسَانُ

ذَكَرَ أَنَّ وَاحِدًا مِنَ الْأَكْيَاسِ طَلَبَ الْعُزْلَةَ عَنِ النَّاسِ وَلَازَمَ
 اِنْقِطَاعَهُ وَانْقَطَعَ عَنِ الْجَمْعَةِ وَأَجْمَاعَةِ . وَأَشْتَغَلَ لِاقْمَامَةً أَوْ دِهْ بِالْزَرَاعَةِ .
 وَأَنْعَزَلَ فِي ذَيْلِ جَبَلٍ . وَصَاحِبَ حَيَّةً كَانَ تَأْنِسُ إِلَيْهِ بِكَلَامِهِ .
 وَتَأْكُلُ مِنْ فَضَلَاتِ طَعَامِهِ . فَتَرَقَتْ بِيَمْهَا مُوَاهَدَةً إِلَى أَنْ بَلَغَتْ إِلَى
 الْمُعَاوِدَةِ . بِأَنْ تَكُونَ صَادِقَةً خَالِيَّةً عَنِ الْمُهَاذَقَةِ . وَلَا تَكُونَ كَحْبَبَةً
 أَبْنَاءِ الزَّمَانِ . تَكْرُعُ مِنَ الْغَدَرِ فِي غُدْرَانِ . وَلَا مَشْوَبَةً بِسِنْفَاقِ . وَلَا

مَدْخُولَةً يَرْئَاهُ وَشِقَاقِيْ . وَأَنْ تَنْعِيدَ بَيْنَهَا الْمَوْدَةُ وَالْإِخَاءُ . فِي حَالَتِيْ
 الشِّكَرِ وَالرَّخَاءِ . فَهَرَأْعَلَى هُذَا مُدْعَهُ وَكُلُّ حَافِظٍ عَهْدَهُ مُرَاعٍ صُحْبَتَهُ وَوِدَّهُ .
 وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا عَنَتْ لَهُ قَضِيَّةٌ عَرَضَهَا عَلَى الْحَبِّيْةِ وَاسْتَشَارَهَا وَأَخْذَ
 أَخْبَارَهَا . وَنَخْرُجُ هِيَ إِلَيْهِ . وَنَتَرَاهُ عَلَى رِجْلِيهِ . فَفِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَعَامِ
 مِنَ الْأَعْوَامِ . وَقَعَ بِرْدَ شَدِيدٍ . وَنَجَّ وَجَلِيدٍ . فَرَأَى الْحَبِّيْةَ وَقَدْ سَقَطَتْ
 قُواهَا . وَخَمِدَتْ أَعْصَاهَا . وَوَقَعَتْ فِي شَرِّ حَالٍ . وَبَرْدٍ وَوَبَالٍ . فَحَمِلَتْهُ
 الْشَّفَقَةُ وَالصَّدَاقَةُ وَالْعَهْدُ الَّذِي أَحْكَمَ وَثَاقَهُ عَلَى أَنْ آتَاهَا وَحَمَلَهَا فِي مُخْلَلَةِ
 حِمَارٍ وَأَذْنَاهَا وَوَضَعَ الْخِلَالَةَ فِي رَأْسِ الْبَيْهِمِ . وَتَوَجَّهَ لِضَرُورَةِ ذَلِكَ
 الْقَدِيمِ . فَحَسَّتِ الْحَبِّيْةُ بِنَفْسِ أَبِي زِيَادٍ . وَنَحَرَكَ عِرْقُ الْعُدُونَ الْقَدِيمِ .
 وَعَادَ . وَفَعَلَ خَبْثَهَا خَاصِيَّتَهُ الْمَالُوفَةُ . وَلَعِبَ سُهْلًا سُهْلَتِهِ الْمَعْرُوفَةُ . مُتَبَعًا
 حَدِيبَتِهِ . حَرَامٌ عَلَى النَّفْسِ الْحَبِّيْشَةِ . أَنْ نَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تُسَيِّءَ إِلَيْهِ مِنْ أَحْسَنِ
 إِلَيْهَا . فَعَضَّتِ الْحَبِّيْةُ شَفَةَ الْحِمَارِ وَبَرَدَ مَكَانَهُ مِنْ حَرَّهَا . وَهَرَبَتِ الْحَبِّيْةُ
 إِلَى جُحْرَهَا . فَإِنَّمَا أَوْرَدَتْ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمُوا يَادَوِيَ الْإِفْضَالِ أَنَّ مَنْ
 صَحَبَ الْأَشْرَارَ . وَرَغَبَ فِي مَوْدَةِ الْجُحَارِ . لَا يَأْمَنُ الْعِتَارَ . وَلَا يَسْلُمُ مِنَ

الْأَنْكَادِ وَالْبَوَارِ (فَاكِهَةُ الْخَلْفَاءِ لَابْنِ عَرْبِشَاهِ)

كِسْرَى وَالْمُخَاَكَانِ

حَكِيَ أَنَّ الْمَلِكَ كِسْرَى كَانَ أَعْدَلَ الْمُلُوكِ فِيلَ : إِنْ رَجُلًا أَشْتَرَى
 دَارًا مِنْ رَجُلٍ أَخْرَى فَوَجَدَ الْمُشْتَرِي فِيهَا كَتْرًا فَهَمَضَى إِلَى الْبَائِعِ وَأَخْبَرَهُ
 بِهِ . فَقَالَ لَهُ الْبَائِعُ : إِنَّمَا بَعْتُكَ دَارًا لَا أَعْرِفُ فِيهَا كَتْرًا فَإِنْ كَانَ فِيهَا
 كَتْرٌ فَهُوَ لَكَ . فَقَالَ الْمُشْتَرِي : لَا بُدَّ أَنْ تَأْخُذَ فَإِنَّهُ لَيْسَ دَاخِلًا فِيهَا

أَشْرَيْتُ . فَطَالَ الْجِدَالُ بَيْنَهُمَا فَتَحَاهُ كَمَا إِلَى الْمَلَكِ كِسْرَى . فَلَمَّا وَقَفَا بَيْنَ يَدِيهِ وَذَكَرَ الَّهَ أَمْرَ الْكَنْزِ أَطْرَقَ مَلِيَّاً ثُمَّ قَالَ لَهُمَا : هَلْ لَكُمَا أُولَادٌ . فَقَالَ : نَعَمْ . فَقَالَ كِسْرَى لَهُمَا : أَنِّي فَقَاءِ دُلِكَ الْكَنْزِ فِي مَصَاحِبِهِمْ . فَفَعَلَ دُلِكَ (للقلوبي)

الْمُجُوسِيَّانِ وَالنَّارُ

حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمْنِ مَالِكٍ بْنِ دِينَارٍ مَجُوسِيَّانِ يَعْبُدُانِ النَّارَ . فَقَالَ الْأَصْغَرُ لِأَخِيهِ الْأَكْبَرِ : أَهُمَا الْأَخْ إِنَّكَ عَبَدْتَ هَذِهِ النَّارَ ثَلَاثَةَ وَسَعِينَ سَنةً وَأَنَا عَبَدْتُهَا حَسْبًا وَثَلَاثِينَ سَنةً فَتَعَالَ نَنْظُرُ هَلْ تُخْرِقُنَا كَمَا تُخْرِقُ غَيْرَنَا مِنْهُنَّ لَمْ يَعْبُدُهُمَا . فَإِنْ لَمْ تُخْرِقْنَا عَبَدْنَا هُمَا فَإِلَّا فَلَا . فَأَوْقَدَ نَارًا ثُمَّ قَالَ الْأَصْغَرُ لِأَخِيهِ : هَلْ تَضَعُ يَدَكَ قَبْلَ أَنْ أَنْتَ قَبْلَكَ . فَقَالَ لَهُ : ضَعْ أَنْتَ فَوْضَعَ الْأَصْغَرُ يَدَهُ فَخَرَقَتْ إِصْبَعُهُ فَتَزَعَّ يَدُهُ وَقَالَ : أَهُ أَعْبُدُكَ كَذَا وَكَذَا سَنةً وَأَنْتَ تُؤْذِنِي ثُمَّ قَالَ : يَا أَخِي تَعَالَ نَعْبُدُ مَنْ لَوْ أَذْنَبْنَا وَتَرَكْنَا هَمْسِيَّةَ سَنَةٍ لَتَجَاوَزَ عَنَّا بِطَاعَةِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَاسْتِغْفَارٍ مَرْفِقٍ فَاحِدَةٍ . فَأَجَابَهُ أَخُوهُ إِلَى ذَلِكَ (للقلوبي)

فِي حِيلَةِ قَائِدِ جَيْشٍ

مِنْ عَجَائِبِ مَا حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ السَّلَاطِينِ عَصِّبَ عَلَى صَاحِبِ طَبَرِسْتَانَ . فَبَدَلَ الطَّبَرِيُّ جُهُونَ فِي إِرَالَةِ ذَلِكَ فَمَا أَمْكَنَهُ . فَبَعَثَ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ جَيْشاً كَثِيفًا . فَعَلِمَ الطَّبَرِيُّ أَنَّ الْجَيْشَ لَا يَنْزِلُونَ إِلَّا بِغِيَاضَةٍ مُعَيَّنةٍ تَحْتَ جَبَلٍ . فَأَمَرَ بِقَطْعِ أَشْجَارِ تِلْكَ الْغِيَاضَةِ وَتَرَكَهَا كَمَا كَانَتْ قَائِمَةً . وَسَرَّ مَوْضِعَ الْقَطْعِ بِالثَّرَابِ . فَلَمَّا وَصَلَّ الْجَيْشُ وَنَزَلُوا بِهَا

كَمَنْ الْطَّبَرِيُّ هُوَ وَاصْحَابُهُ خَلْفَ ذَلِكَ الْجَبَلِ. وَشَدَّ الْجَيْشُ دَوَابَهُ
فِي أَشْجَارِ تِلْكَ الْغَيْضَةِ وَكَانَتْ كُلُّهَا مَقْطُوْعَةً. فَخَرَجَ عَلَيْمَ الْطَّبَرِيُّ
بِاصْحَابِهِ وَصَاحَ بِهِمْ فَنَفَرَتِ الدَّوَابُ وَتَسَاقَطَتِ الْأَشْجَارُ لِأَنَّ الدَّوَابَ
جَرَّهَا. فَوَلَى الْجِنْدُ هَارِبِينَ فَزَعِينَ لَا يَلْوِي أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ وَتَبَعَهُمْ
الْطَّبَرِيُّ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ فَبَجَأَ أَقْلَمُهُ وَتَلَفَّ أَكْثَرُهُمْ . فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى
الْسُّلْطَانِ سَاهَمُ عَنْ شَانِيمْ فَقَالُوا : نَزَّلْنَا بِالْمَوْضِعِ الْفُلَانِيِّ وَاتَّنَا فِي جُنْ
اللَّيلِ جُنْدٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ تَضَرَّبُنَا بِالْأَشْجَارِ الْطَّوِيلَةِ . فَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ مِنَ
الْمُتَقْوِّمِينَ بَعْدَ ذَلِكَ الْمُشْيَ إِلَى طَبَرِسَانَ (للقرزويني)
فِي الصَّبَرِ وَالْمُرُوَّةِ

بُرُوَى عَنْ بَعْضِ الْكَرْمَاءِ أَنَّهُ أَسْتَدَعَ جَمَاعَةً إِلَى بُسْتَانِ لَهُ . وَعَمَلَ
لَهُ سَاعَةً . وَكَانَ لَهُ وَلَدٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجَهَهَا وَأَكْلَمَهُمْ ظَرْفًا وَأَتَيْمَ
أَدَبًا وَلُطْفًا . فَكَانَ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ يَخْدُمُ الْجَمَاعَةَ وَيُؤَانسُهُمْ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ
طَلَعَ إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ فِي الدَّارِ فَوَقَعَ مِنْتَأً . فَارَادَتْ أُمُّهُ وَجَوَارِيهِ أَنْ
يُظْهِرُنَ الْبُكَاءَ عَلَيْهِ . فَطَلَعَ وَالَّذُكُورُ مِنْهُنَّ . وَحَلَفَ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ أَحَدٌ مِنْهُنَّ
حَتَّى يَنْصَرِفَ الْقَوْمُ . فَإِنَّ ذَلِكَ يَنْعِصُ عَلَيْمَ عَرْسَمْ وَلَدَتَهُ . فَامْتَشَلُوا
مَا أَشَارَ بِهِ . وَعَادَ إِلَى الْقَوْمِ فَخَضَرَ السَّمَاءَ وَأَظْهَرَ الْمَسَرَّةَ وَالْأَنْسَ بِهِمْ .
فَجَعَلَ الْجَمَاعَةَ يَتَقَدُّمُونَ أَشَابَ وَيَسَّالُونَ عَنْهُ . فَيَقُولُ وَالَّذُكُورُ : لَعْلَهُ قَدْ
نَامَ . فَأَدْرَكُوهُمُ اللَّيْلُ . وَبَاتُوا فِي السَّمَاءِ لَا يَشْعُرُونَ بِمَا سَارَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ .
فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَدْمَ لَمْ الْغَدَاءَ فَأَكَلُوا وَارَادُوا الْأَنْصِرافَ . فَقَالَ : لَعَلَّكُمْ
تَخْضُرُونَ حِنَازَةً وَلَدِي فَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ الْبَارِحةَ . وَقَصَ عَلَيْمَ الْفِصَّةَ . فَلَمَّا

يُبَقِّيْهُمْ أَحَدُهُمْ أَسْتَعْظِمْ مُرْوَنَةً وَأَشْنَى عَلَيْهِ بِجَهَنَّمِ صَبْرٍ وَعَظَمَ
كَرْمَهُ (تربيـن الـاسـواق)

مَوْتُ الْمُتَنَبِّي

فِيلَ إِنَّ أَبَا الطَّيْبِ الْمُتَنَبِّيَ كَانَ رَاجِعًا مِنْ بَلَادِ فَارِسَ إِلَى بَغْدَادَ
بِحَاجَةٍ لِجَازَةٍ بِهَا عَصْدُ الدُّولَةِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفَرَسَانِ . فَخَرَجَ عَلَيْهِ
قُطَاعُ الْطَّرِيقِ فَهَرَبَ الْمُتَنَبِّي مِنْهُمْ . فَقَالَ لَهُ غُلَامٌ : أَتَهْرُبُ وَأَنْتَ
الْفَائِلُ فِي شِعْرِكَ :

أَخْبَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْمِدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالضَّرُبُ وَالْحَرْبُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلْمَنُ
فَكَرَّ رَاجِعًا فُقْتَلَ فِي سَنَةِ ٢٥٤ فَكَانَ ذَلِكَ الْبَيْتُ سَبِبًا لِقَتْلِهِ (لِلْقَلْبَوِي)

الْحَرِيرِيُّ وَالْغَلامُ

يُحَكَى عَنِ الْحَرِيرِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَسْعَى بَشْعَ الْمَنَاظِرِ رَتِّ الْمَهِيَّةِ . فَجَلَسَ غُلَامٌ
يَوْمًا فِي خَلْوَةٍ وَرَادَ أَنْ يَتَعَلَّمَ النَّضْمَ فَأَوْلَى مَا نَضَمَ نِصْفُ يَسِّيٍّ وَهُوَ وَجْهُ
الْحَرِيرِيِّ وَجْهُ قِرْدٍ . فَسَمِعَهُ الْحَرِيرِيُّ فَقَالَ : وَالضَّرُورَةُ أَحْوَجَتْنَا إِلَيْهِ .
فَخَلَّ الْغَلامُ مِنْ سِيدٍ وَسَكَتَ . ثُمَّ اجْتَمَعَ الْحَرِيرِيُّ مَعَ الْحَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ
بِذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ لَايِّ شَيْءٍ لَمْ تَصْبِرْ حَتَّى يُكَمِّلَهُ . فَقَالَ : رَأَيْتُهُ أَفْتَخِنَيِّ
بِقِرْدٍ فَخَسِيَّتُ أَنْ يُكَمِّلَنِي بِكُلِّ فَكَمْلَتْهُ لَهُ (لِلنَّوَاجِي)

١١٠

فهرسة

الجزء الأول

من امثال لقمان الحكيم

وجهه

٣

٤

٥

٦

٧

٨

٩

١٠

١١

٦

٦

٧

٧

٨

٨

٩

٩

١٠

١٠

١٠

١١

اسد وثوران

غزال

اسد وثعلب

اسد وانسان

غزال واسد

غزال وثعلب

ارنب ولبوة

امراة ودجاجة

بعوضة وثور

بسناني

انسان وفرس

انسان وخنزير

سلحفاة وارنب

ذيب

العوج

صي

صي وعقرب

حامة

حداد وكلب

البطن والرجلان

الشمس والريح

ديكان

ذباب

الوز والخطاف
بطة وضوء كوكب

نخب

من الكتاب المعروف بالف ليلة وليلة

- ١٣ حكاية الملك جليعاد وأبنه
١٤ حكاية السنور والفارس
١٩ حكاية الناسك وما جرى له
٢٣ حكاية السلك وما جرى لهم
٢٤ حكاية الغراب والحبة
٢٦ حكاية حمار الوحش والثعلب
٢٨ حكاية ابن الملك السائع
٣١ حكاية الغراب
٣٤ حكاية المحاوي وأولاده وزوجته وأهل بيته
٣٦ حكاية العنكبوت والريح
٤٩ حكاية الطيور والوحوش مع ابن ادم
٦٠ حكاية الطيور
٦٢ الدراج والسلامف
٦٥ الشعال والذيب
٦٧ السنديان الحمال
٧٩ حكاية عابد
٨٠ حكاية الراعي والعابد

حكاية ملائكة الموت

- ٨٣ الحكاية الاولى
٨٣ الحكاية الثانية
٨٥ الحكاية الثالثة
٨٦ ذكر الموت الدائم

نخب

ما كتبه بعض العلماء في الجود والكرم والمكافأة وغير ذلك

- | | |
|-----|--------------------------------------------|
| ٨٨ | في طلبي اعبيين |
| ٨٩ | في قطبيوت قطاً |
| ٩٠ | في جود ملكٍ |
| ٩١ | في جود معن بن زائدة |
| ٩٢ | في المكافأة |
| ٩٣ | الصانع وصانع الخليفة |
| ٩٤ | احسان كرم الى عدو |
| ٩٥ | الاصبعي ورجل سحي |
| ٩٦ | اكرام ثلاثة اصدقاء مخلصين بعضهم بعضاً |
| ٩٧ | في تقديم الاكرام لاهلو |
| ٩٨ | في وضع المعروف في موضوع الاصطناع بعد اخرين |
| ٩٩ | الحبة والانسان |
| ١٠٠ | كسرى والمحاكمان |
| ١٠١ | المجوسيان والنار |
| ١٠٢ | في حيلة قائد جيش |
| ١٠٣ | في الصبر والمرءة |
| ١٠٤ | موت المتنبي |
| ١٠٥ | احبر بري والغلام |

كتاب الملاع

جمعها أبا بيوحنا بلو والأب أغوسطينوس روده
من الرهبنة اليسوعية

الجزء الأول

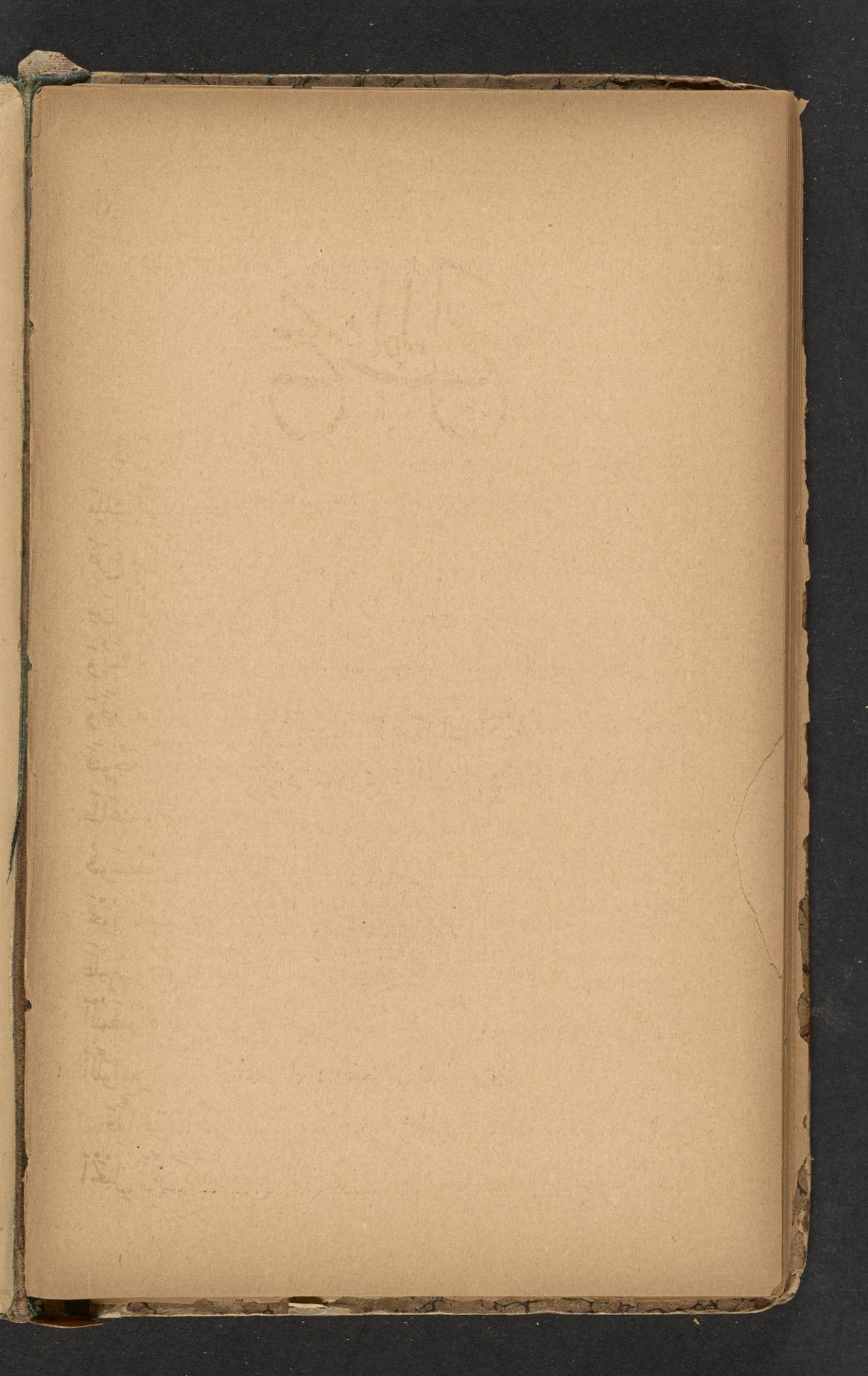
القسم الثاني

وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى حِكَمَاتٍ أَدِيَّةٍ
وَنَوَادِرَ حِكْمَةٍ وَحَوَادِثَ تَارِيخَةٍ



طبعة سابعة في مطبعة المرسلين اليسوعيين

في بيروت ١٨٨٣



مِنْ مُقَدَّمَةٍ بِهِنْوَدَ بْنِ سَحْوَانَ وَيُعْرَفُ بِعَلَىٰ بْنِ الشَّاهِ الْفَارِسِيِّ

ذَكْرُ فِيهَا السَّبِيلُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ

عَمَلَ بِيَدِهِ الْفِلَسْفَوْفُ الْهَنْدِيُّ رَأْسُ الْبَرَاهِيمَ

لِدِبِشِلِيمَ مَلِكَ الْهَنْدِ كِتَابَهُ الَّذِي سَمِّاَهُ

كُلِّهِ وَدَمْنَهُ

قَالَ عَلَىٰ بْنِ الشَّاهِ الْفَارِسِيِّ: كَانَ السَّبِيلُ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ وَضَعَ لِدَبِشِلِيمَ
مَلِكِ الْهَنْدِ كِتَابَ كَلِيلَةَ وَدَمْنَةَ أَنَّ الْإِسْكَنْدَرَ ذَا الْقَرْنَيْنِ الْرُّومِيَّ لَهَا
فَرَغَ مِنْ أَمْرِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ كَانُوا بِنَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ سَارُ يُرِيدُ مُلُوكَ الْمَشْرِقِ
مِنَ الْفُرْسِ وَغَيْرِهِمْ. فَلَمْ يَزَلْ يَجْرِي بُرْجَهُ مَنْ نَازَعَهُ وَيَوْافِعُ مَنْ وَاقَعَهُ
وَيَسَّأَلُ مَنْ وَادَعَهُ مِنْ مُلُوكِ الْفُرْسِ وَهُمُ الْطَّبَقَةُ الْأُولَى حَتَّىٰ طَفَرَ عَلَيْهِمْ
وَهَهَرَ مَنْ نَاوَاهُ وَتَغْلَبَ عَلَىٰ مَنْ حَارَبَهُ. فَتَفَرَّقُوا طَرَائِقَ وَتَزَرَّفُوا خَرَائِقَ.
فَتَوَجَّهَ يَاجْنُودٌ نَحْوَ بِلَادِ الْصِّينِ فَبَدَأَ فِي طَرِيقِهِ بِمَلِكِ الْهَنْدِ لِيَدْعُوهُ إِلَىٰ
طَاعَنَهُ وَالْدُّخُولِ فِي مِلَّتِهِ وَوِلَائِتِهِ. وَكَانَ عَلَىٰ الْهَنْدِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ مَلِكُ
ذُو سَطْوَقَ وَبَاسٍ وَقُوَّةٍ مِرَاسِيٌّ يُقَالُ لَهُ فُورٌ. فَلَمَّا بَلَغَهُ إِقْبَالُ ذِي الْقَرْنَيْنِ
نَحْوُهُ تَاهَ بِلَهْجَتِهِ وَأَسْتَعَدَ لِجَاهَتِهِ وَضَمَّ إِلَيْهِ أَطْرَافَهُ وَجَدَ النَّالَّبَ
عَلَيْهِمْ وَجَمَعَ لَهُ الْعَدَةَ فِي أَسْرَعِ مُدْثَنٍ مِنَ الْفَيْلَةِ الْمُعَدَّةِ لِلْحَرُوبِ وَالسِّبَاعِ
الْمُهَضَّرَةِ لِلْوُثُوبِ مَعَ الْخَيْولِ الْمُسَرَّجَةِ وَالسُّيُوفِ الْقَوَاطِعِ وَالْجَرَابِ

الْلَّوَامِعِ

فَلَمَّا قَرَبَ ذُو الْقَرْنَيْنِ مِنْ فُورِ الْهَنْدِيِّ وَبَلَغَهُ مَا قَدْ أَعْدَ لَهُ مِنْ
الْجَنِيلِ الَّتِي كَانَهَا قَطَعَ الْلَّيْلَ حِمَّاً لَمْ يَلْقَهُ بِيَشْلِهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُلُوكِ الَّذِينَ

كَانُوا فِي الْأَقَاوِيلِمْ . فَنَحْوَفَ دُوْ أَلْفَرْنِينِ مِنْ نَقْصِيرٍ يَقْعُ بِهِ اِنْ عَجَلَ
الْمُبَارَزَةَ وَكَانَ دُوْ أَلْفَرْنِينِ رَجَلًا ذَا حِيلَ وَمَكَابِدَ مَعَ حَسْنِ تَدَبِيرٍ وَتَجْرِيَةَ
فَرَأَى أَعْمَالَ الْمُجْلِهِ وَالْمُهَمَّلِ وَاحْتَفَرَ خَنْدَقًا عَلَى عَسْكَرٍ وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ
لَا سِنْبَاطَ الْمُجْلِهِ وَالْمُهَمَّلِ فِي أَمْنٍ وَكَيْفَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُقْدِمَ عَلَى الْإِيقَاعِ
يَهُ فَاسْتَدَعَ بِالْمُنْجِمِينَ وَأَمْرَهُمْ بِالْأَخْتِيَارِ لِيَوْمٍ مُوَافِقٍ تَكُونُ فِيهِ لَهُ سَعَادَةَ
الْحَمَارَةِ مَلِكِ الْهِنْدِ وَالنُّصْرَةِ عَلَيْهِ . فَأَشْتَغَلُوا بِذِلِكَ وَكَانَ دُوْ أَلْفَرْنِينِ
لَا يَمْرُ بِمَدِينَةَ إِلَّا أَخَذَ الصَّنَاعَ الْمُشْهُورَيْنَ مِنْ صُنَاعَهَا بِالْمُحْدِقِ مِنْ كُلِّ
صَنْفٍ . فَأَنْجَثَ لَهُ هِمَتَهُ وَدَلْتَهُ فِطْنَتَهُ أَنْ يُقْدِمَ إِلَى الصَّنَاعَ الَّذِينَ مَعَهُ أَنْ
يَصْنَعُوا خَيْلًا مِنْ مُحَاسِ مُجْوَفَةَ عَلَيْهَا تَمَائِيلُ مِنَ الرِّجَالِ عَلَى بَكْرٍ تَجْرِيَ إِذَا
دُفِعَتْ مَرَتْ سِرَاعًا وَأَمَرَ إِذَا فَرَغُوا مِنْهَا أَنْ تُخْسِي أَجْوَافَهَا بِالنَّفَطِ وَالْكَبْرِيَتِ
وَتَلْبِسَ وَتَنْدَمَ أَمَامَ الصَّفَّ فِي الْقُلْبِ . وَوَفَتَ مَا يَلْتَقِي أَجْمَعَانِ تَضَرُّمُ
فِيهَا الْنِيرَانُ . فَإِنَّ الْفِيلَةَ إِذَا لَفَتْ خَرَاطِهَا عَلَى الْفُرْسَانِ وَهِيَ حَامِيَةٌ وَلَتْ
هَارِبَةٌ . وَأَوْعَزَ إِلَى الصَّنَاعِ بِالْتَّشْمِيرِ وَالْأَنْكَاشِ وَالْفَرَاغِ مِنْهَا . فَجَدُوا فِي
ذِلِكَ وَعَجَلُوا وَقْرَبَ أَيْضًا وَقْتُ الْأَخْتِيَارِ الْمُنْجِمِينَ . فَأَعَادَ دُوْ أَلْفَرْنِينِ
رُسْلَهُ إِلَى فُورِ بِمَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ طَاعَتِهِ وَالْإِذْعَانِ لِدَوْلَتِهِ . فَأَجَابَ
جَوابَ مُصْرِ عَلَى مُخَالَفَتِهِ مُقْيمٌ عَلَى مُحَارِبَتِهِ . فَلَمَّا رَأَى دُوْ أَلْفَرْنِينِ عَزِيزَهُ
سَارَ إِلَيْهِ يَاهْبِتَهُ وَقَدَمَ فُورَ الْفِيلَةَ أَمَامَهُ وَدُفِعَتِ الرِّجَالُ تِلْكَ الْمُجْلِهِ
وَتَمَائِيلَ الْفُرْسَانِ فَاقْبَلَتِ الْفِيلَةُ تَحْوَهَا وَلَفَتْ خَرَاطِهَا عَلَيْهَا . فَلَمَّا أَحْسَتْ
بِالْمُحَرَّأَةِ الْقُلْتَ مَنْ كَانَ عَلَيْهَا وَكَاسِفَهُ تَحْتَ أَرْجُلِهَا وَمَضَتْ مَهْرُومَةً هَارِبَةً
لَا تُلُوي عَلَى شَبَّ وَلَا تَمْرِ يَاهْدِي إِلَّا وَطِنَتَهُ وَنَقْطَعَ فُورَ وَجْهُهُ وَتَبَعَمْ

٠٠٠

أَصْحَابُ الْإِسْكَنْدَرِ وَأَتَخْنُوا فِيهِمْ أَنْجَارَعَ
وَصَاحَ الْإِسْكَنْدَرُ: يَا مَلِكَ الْهِنْدِ أَبْرَزْ إِنْنَا وَأَبْقَى عَلَى عَدِّنَكَ وَعِبَالَكَ
وَلَا تَحْمِلْهُمْ إِلَى الْفَنَاءِ. فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمُرُوقَةِ أَنْ يَرْمِيَ الْمَلِكَ بِعُدَّنِهِ فِي
أَمْهَالِكَ الْمُتَلِفَةِ وَالْمُوَاضِعِ أَنْ تُخْفِهِ بَلْ يَقِيمُ بِهَا لِهِ وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ بِنَفْسِهِ.
فَأَبْرَزَ إِلَيَّ وَدَعَ الْجَنْدَ فَأَتَيْنَا فَهَرَ صَاحِبَهُ فَهُوَ الْأَسَدُ: فَلَمَّا سَمِعَ فُورُ
مِنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ ذَلِكَ الْكَلَامَ دَعَتْهُ نَسْهُ لِمَلَاقَاتِهِ طَمَعاً فِيهِ وَظَنَّ
ذَلِكَ فُرْصَةً. فَبَرَزَ إِلَيْهِ الْإِسْكَنْدَرُ فَجَادَ لَا عَلَى ظَهَرِهِ قَرَسِهَا
سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ لَيْسَ يَلْقَى أَحَدُهَا مِنْ صَاحِبِهِ فُرْصَةً وَلَا حِيلَةً وَلَمْ
بَرَزَا لِيَتَعَارَكَا. فَلَمَّا أَعْيَا الْإِسْكَنْدَرَ أَمْنٌ فَلَمْ يَجِدْ لَهُ فُرْصَةً أَوْ قَعْدَةً
ذُو الْقَرْنَيْنِ بِعَسْكَرٍ صِبَحةً عَظِيمَةً أَرْتَجَتْ لَهَا الْأَرْضُ وَالْعَسَكِرُ.
فَالْتَّفَتَ فُورٍ عِنْدَمَا سَمِعَ الْزَّعْفَةَ وَظَنَّهَا مِكْيَكَةً فِي عَسَارِكِنْ فَعَاجَلَهُ ذُو
الْقَرْنَيْنِ بِضَرَبَةٍ أَمَّالَتُهُ عَنْ سَرْجِهِ فَوَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ. فَلَمَّا رَأَتِ الْهِنْدُ
مَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ وَمَا صَارَ إِلَيْهِ مَلِكُهُمْ حَمَلُوا عَلَى الْإِسْكَنْدَرِ فَقَاتَلُوهُ فَتَالَا أَحْبَبُوا
مَعَهُ الْمَوْتَ فَوَعَدُوهُمْ مِنْ نَفْسِهِ أَلْإِحْسَانَ وَمَنْهُ اللَّهُ أَكْنَافُهُمْ. فَأَسْتَوْلَى عَلَى
بِلَادِهِمْ وَمَلَكَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ شَتَّاتِهِ وَفَاقَ بِالْهِنْدِ حَتَّى أَسْتَوْقَ لَهُ مَا
أَرَادَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَلَتَقَاقَ كُلُّهُمْ. ثُمَّ أَنْصَرَهُمْ وَخَلَفَ ذَلِكَ
الرَّجُلَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى مُتَوَجِّهًا نَحْوَ مَا قَصَدَ
فَلَمَّا بَعْدَ ذُو الْقَرْنَيْنِ عَنِ الْهِنْدِ بَحْبُوشِهِ تَغَيَّرَتِ الْهِنْدُ عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ
طَاعَةِ الرَّجُلِ الَّذِي خَلَفَهُمْ عَلَيْهِمْ وَقَالُوا: لَا يَصْلُحُ لِلْسِّيَاسَةِ وَلَا تَرْضَى الْخَاصَّةُ
وَلَا الْعَامَّةُ أَنْ يَمْلِكُوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَيْسَ هُوَ مِنْهُمْ وَلَا مِنْ أَهْلِ بُيُوتِهِمْ. فَإِنَّهُ

لَا يَرَالُ بِسْتَدِلُّهُمْ وَبِسْتَقْلُّهُمْ . وَاجْفَعُوا يُمْلِكُونَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ أُولَادِ
مُلُوكِهِمْ فَمُلِكُوا عَلَيْهِمْ مِلْكًا يُقَاتَلُ لَهُ دَبَشِلِيمْ وَخَلَعُوا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ
خَلْفَهُ عَلَيْهِمْ أَلِإِسْكَنْدَرُ . فَلَمَّا أَسْتَوْقَنَ لَهُ الْأَمْرُ وَاسْتَقَرَ لَهُ الْمُلْكُ طَغَى
وَبَغَى وَتَجَبَّرَ وَتَكَبَّرَ وَجَعَلَ يَغْزُو مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْمُلُوكِ . وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ
مُؤْيَدًا مُظْفَرًا مُنْصُورًا فَهَا بَتْهُ الرَّعْيَةُ . فَلَمَّا رَأَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُلْكِ
وَالسُّطُوْرَ عَيْثَ بِالرَّعْيَةِ وَاسْتَصْغَرَ أَمْرُهُمْ وَاسْتَأْسَأَ السَّيْرَ فِيهِمْ وَكَانَ لَا يَرْتَقِي
حَالَهُ إِلَّا أَزْدَادَ عُنُوْنَا

فَمِنْكَثَ عَلَى ذَلِكَ بُرْهَةً مِنْ دَهْنِ . وَكَانَ فِي زَمَانِهِ رَجُلٌ فِي لَسْوَفَ مِنَ
الْبَرَاهِيمَةِ فَاضِلٌ حَكِيمٌ يُعْرَفُ بِفَضْلِهِ وَيُرْجَعُ فِي الْأُمُورِ إِلَى قَوْلِهِ . يُقَاتَلُ لَهُ
بِيَدِهَا . فَلَمَّا رَأَى الْمُلْكَ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ لِلرَّعْيَةِ فَكَرِرَ فِي وَجْهِ الْمُحِيلَةِ فِي
صَرْفِهِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ وَرَدَدَهُ إِلَى الْحَقِيقَةِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ . فَجَمَعَ لِذَلِكَ
تَلَامِذَتَهُ وَقَالَ : أَتَعْلَمُونَ مَا أَرِيدُ أَنْ أُشَارِكُمْ فِيهِ . إِعْلَمُوا أَنِّي أَطْلَتُ
الْفِكْرَةَ فِي دَبَشِلِيمَ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَنِ الْعَدْلِ وَلَزُومِ الشَّرِّ
وَرَدَادَةِ السَّيْرِ وَسُوءِ الْعِشْرَةِ مَعَ الرَّعْيَةِ . وَنَحْنُ مَا نَرُوضُ أَنْفُسَنَا بِمِثْلِهِنَّ
الْأُمُورِ إِذَا ظَهَرَتْ مِنَ الْمُلُوكِ إِلَّا لِنَرْدَهُمْ إِلَى فِعْلِ الْخَيْرِ وَلَزُومِ الْعَدْلِ .
وَمَتَى أَغْفَنَنَا ذَلِكَ وَأَهْمَلَنَا لِرِمَانِمْ وَقُوعَ الْمَدْرُوْهِ بِنَا وَبِلُوغِ الْمَدْنُورَاتِ
إِلَيْنَا إِذَا كَانَ فِي أَنْفُسِ الْمُجَاهَلِيِّينَ وَفِي الْعُيُونِ عِنْدَهُمْ أَقْلَ مِنْهُمْ .
وَلَيْسَ الرَّأْيُ عِنْدِي الْخُلُوَّ عَنِ الْوَطَنِ وَلَا يَسْعُنَا فِي حِكْمَتِنَا إِبْقَاوُهُ عَلَى مَا
هُوَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السَّيْرِ وَقُبْعِ الطَّرِيقَةِ . وَلَا يُمْكِنُنَا مُجَاهَدَتُهُ بِغَيْرِ السَّيْنَنَا
لَوْ دَهَبَنَا إِلَى أَنْ نَسْتَعِينَ بِغَيْرِنَا لَمْ تَتَهَبَّ لَنَا مُعَانَدَتُهُ وَلَيْنَ أَحَسَّ مِنَّا

بِعَالَفَةِ وَنَكَارَنَا سُوءِ سِيرَتِهِ كَانَ فِي ذَلِكَ بَوَارُنَا . وَقَدْ تَعْلَمُونَ إِنْ
 مُجَاوِرَةَ السُّبُعِ وَالْكُلْبِ وَالْحَمْيَةِ وَالثُّورِ عَلَى طِيبِ الْوَطَنِ وَنَصَارَةِ الْعِيشِ
 لَغَدْرٌ بِالْمَفْسِدِ . وَإِنَّ الْفَلِسْوَفَ تَحْقِيقٌ أَنْ تَكُونَ هِمَتَهُ مَصْرُوفَةً إِلَى مَا يُحِسِّنُ
 بِهِ نَفْسَهُ مِنْ نَوَازِلِ الْمَكْرُوْهِ وَلَوْاْحِقِ الْحَذْرِ وَيَدْفَعُ الْحُوْفَ لِأَسْتِحْلَابِ
 الْحَبْوَبِ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّ فِيلِسُوفًا كَتَبَ لِتَلْمِيذِهِ يَقُولُ إِنَّ مُجَاوِرَةَ
 رِجَالِ الْسُّوْءِ وَالْمُصَاحِبَةَ لَهُمْ كَرَاكِبُ الْجَهَنَّمِ هُوَ إِنْ سَلِيمٌ مِنَ الْغَرَقِ لَمْ يَسْلِمْ
 مِنَ الْخَاوِفِ : فَإِذَا أَوْرَدَ نَفْسَهُ مَوَارِدَ الْمَهْلَكَاتِ وَمَصَادِرَ الْحُوْفَاتِ عُدَّ مِنَ
 الْحَمِيرِ الَّتِي لَا نَفْسَ لَهَا . لَيْكَ أَنْجِيواْنَاتِ الْبَهِيمَيَّةِ قَدْ خُصْتُ فِي طَبَائِعِهَا
 بِعِرْفَةِ مَا تَكْتَسِبُ بِهِ الْنَّفْعُ وَتَنْوِيَ الْمَكْرُوْهِ لِذَلِكَ لَمْ نَرَهَا ثُورِدًا نَفْسَهَا
 مَوْرِدًا فِيهِ هَلْكَتَهَا . فَإِنَّهَا مَتَى أَشْرَفَتْ عَلَى مَوْرِدِ مَهْلَكِهَا مَا لَتْ بِطَبَائِعِهَا
 أَلَّا يَرْكَبَتْ فِيهَا شَحَّا يَا نَفْسَهَا وَصِيَانَةَ هَا إِلَى النُّفُورِ وَالْتَّبَاعِدِ عَنْهُ
 وَقَدْ جَعَلْتُمْ لَهُذَا الْأَمْرِ لِأَنَّكُمْ أُسْرَتِي وَمَكَانُ سِرِّي وَمَوْضِعُ مَعِيرِي وَبَكُمْ
 أَعْنِصِدُ وَعَلَيْكُمْ أَعْنِمُ . فَإِنَّ الْوَحِيدَ بِنَفْسِهِ وَالْمُنْفِرَ بِرَأْيِهِ حَيْثُ كَانَ فَهُوَ
 ضَائِعٌ وَلَا نَاصِرَ لَهُ . عَلَى أَنَّ الْعَاقِلَ قَدْ يَلْعُبُ بِحِيلَتِهِ مَا لَا يُلْعُبُ بِالْحِيلِ وَالْجُنُودِ
 وَالْمَهْلَكِ فِي ذَلِكَ . أَنْ قُبْرَةَ أَخْتَذَتْ أَدْحِيَّةً وَبَاسَتْ فِيهَا عَلَى طَرِيقِ الْفِيلِ
 وَكَانَ لِلْفِيلِ مُشَرِّبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ . فَهَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى عَادَتِهِ لِيَرِدَ مَوْرِدَهُ
 فَوَطَئِ عُشَّ الْقُبْرَةِ وَهَشَّ يَضَاهَا وَقَتَلَ فِرَّاَخَهَا . فَلَمَّا نَظَرَتْ مَا سَاءَهَا
 عَلِمَتْ أَنَّ الَّذِي نَاهَمَا مِنَ الْفِيلِ لَا مِنْ غَيْرِهِ . فَطَارَتْ فَوَقَعَتْ عَلَى رَأْسِهِ
 بَاكِيَةً . ثُمَّ قَالَتْ : أَيْهَا الْمَلَكُ . لَمْ هَشَّتْ بِيُضِي وَقَتَلَتْ فِرَّاَخِي وَأَنَا فِي
 جِوارِكَ أَفْعَلْتَ هَذَا أَسْتِصْغَارًا مِنْكَ لِأَمْرِي وَأَحِينَقَارًا لِشَانِي قَالَ هُوَ

الَّذِي حَلَّنِي عَلَى ذَلِكَ فَتَرَكْتُهُ وَأَنْصَرَفْتُ إِلَى جَمَاعَةِ الظِّبْرِ فَشَكَّتْ إِلَيْهَا
 مَا نَاهَمَا مِنَ الْفِيلِ قَالَتْ لَهَا: وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَ مِنْهُ وَنَحْنُ طَيْورٌ فَقَالَتْ
 لِلْعَقَاعِقِ وَالْغَرْبَانِ: أَحَبُّ مِنْكُنَّ أَنْ تَصْرُنَ مَعِي فَنَفَقَانَ عَيْنِيهِ فَإِنِّي أَحْنَالُ
 لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِحِيلَةٍ أُخْرَى: فَاجَابُوهَا إِلَى ذَلِكَ وَذَهَبُوا إِلَى الْفِيلِ فَلَمْ
 يَرَوْا يَنْفُرُونَ عَيْنِيهِ حَتَّى دَهَبُوا إِلَيْهَا وَبَقِيَ لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقٍ مَطْعَمِهِ
 وَمَشْرِبِهِ فَلَمَّا عَلِمَتْ ذَلِكَ مِنْهُ جَاءَتْ إِلَى غَدِيرٍ فِيهِ ضَفَادِعٌ كَثِيرَةٌ فَشَكَّتْ
 إِلَيْهَا مَا نَاهَمَا مِنَ الْفِيلِ قَالَتِ الضَّفَادِعُ: مَا حِيلَتْنَا نَحْنُ فِي عِظَمِ الْفِيلِ
 وَأَيْنَ يَبْلُغُ مِنْهُ قَالَتْ: أَحَبُّ مِنْكُمْ أَنْ تَسِيرُ وَأَمْعِي إِلَى وَهْلَقَ قَرِيبَةً مِنْهُ
 فَتَنِقُوا فِيهَا وَتُضْجِوْا فِيهَا إِذَا سَعَ أَصْوَاتُكُمْ لَمْ يَشُكْ فِي الْهَاءِ فِيهِوْبِي فِيهَا:
 فَاجَابُوهَا إِلَى ذَلِكَ وَاجْتَهَعُوا فِي الْهَاءِوْبِيَةِ فَسَمِعَ الْفِيلُ نَقِيقَ الضَّفَادِعِ
 وَقَدْ جَهَدَ الْعَطْشُ فَأَفْبَكَ حَتَّى وَقَعَ فِي الْوَهَّانَ فَأَعْنَظَ فِيهَا وَجَاهَتِ
 الْقَنْبَرَةَ تَرْفِرُ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَتْ: أَهَا الْطَّاغِي الْمُغْنِرُ يَقُولُ تِهِ الْحُمَنِرُ
 لِأَمْرِي كَيْفَ رَأَيْتَ عِظَمَ حِيلَنِي مَعَ صَغِيرِ جِنْتِي عِنْدَ عِظَمِ جِنْتِكَ وَصَغِيرِ
 هِيمِتِكَ

فَلَبِسَرْ كُلُّ مِنْكُمْ بِمَا يَسْخَنُ لَهُ مِنَ الرَّأْيِ: قَالُوا يَا جَمِيعَمْ: أَهَا الْفِيلُ سُوفُ
 الْفَاضِلُ وَالْحَكِيمُ الْعَادِلُ أَنْتَ الْمُقْدَمُ فِينَا وَالْفَاضِلُ عَلَيْنَا وَمَا عَسَى أَنْ

بَقَالَ لِلضَّنْدُعِ وَالْعَفْرَ وَالدَّجَاجَةِ وَالْمَرْنَقِ أَبِي صَادِ وَاللَّافِعِي فِي وَالْأَرْبَ ضَنْبِ
 وَالسُّنُورِ مَاءِ وَالْكَلْبِ بَنْجِ وَالْمَخْتَزِرِ قَبْعِ وَالْبَيْثِ زَرِ وَالسَّبِعِ جَبْلِ وَالْذَّئْبِ عَوَى وَالْعَلْبِ
 ضَبِّ وَالظَّبِّيِّ بَغِ وَالْغَرَابِ نَعْبِ وَالْبَازِي صَرَصَرِ النَّسَرِ صَفَرِ وَالْمَحَامِ هَدَرِ وَالْبَطِ بَقْبِ
 وَالصَّفَرِ فَنَقَنَ وَالْذَّبَابِ طَنِ وَالْعَصَفُورِ شَنْشَقِ وَالْجَمَلِ هَدْرِ وَالْبَيْلِ صَائِي وَالْمَعْزِيْرِ وَالشَّاهِ
 ثَنَتِ وَالْجَمَلِ خَارِ وَالْفَرَسِ صَهْلِ وَالْبَغْلِ شَحْجِ وَالْعَفْوِ بَهْنِ

يُكُونَ مَبْلُغُ رَأِينَا عِنْدَ رَأِيكَ وَفَهْنَا عِنْدَ فَهِمَكَ. غَيْرَ أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّ السَّيَاحَةَ
فِي الْمَاءِ مَعَ الْمِسَاجِ تَغْرِيْرُهُ وَالذَّنْبُ فِيهِ لَمْ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ. وَالَّذِي
بَسْتَخْرُجُ الْسَّمَّ مِنْ نَابِ الْحَبَّةِ فَيَبْتَلِعُهُ فَلَا يَسِّرُ الذَّنْبُ لِلْحَبَّةِ. وَمَنْ دَخَلَ عَلَى
الْأَسَدِ فِي غَابَتِهِ لَمْ يَأْمُنْ وَثِبَتَهُ. وَهَذَا الْمَلِكُ لَمْ تُفْزِعْهُ النَّوَافِيْبُ وَلَمْ تُؤْذِبُهُ
الْجَارِيْبُ وَلَسْنَا نَامِنُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَنْفُسِنَا سَطْوَتَهُ. وَإِنَّا خَافُ عَلَيْكَ مِنْ
سَوْرَتِهِ وَمِبَادِرَتِهِ يُسُوِّي إِذَا لَقِيَتْهُ بِغَيْرِ مَا يُحِبُّ: فَقَالَ الْحَكِيمُ يَيْدَبَا: لِعَمْرِي
لَقَدْ قُلْتُمْ فَأَحْسَنْتُمْ لِكُنَّ ذَا الرَّأْيِ الْحَازِمِ لَا يَدْعُ أَنْ يُشَارِرَ مِنْ هُوَ دُونَهُ
وَفَوْقَهُ فِي الْمِنْزِلَةِ. وَالرَّأْيُ الْفَرْدُ لَا يُكْتَفِي بِهِ فِي الْخَاصَّةِ وَلَا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي
الْعَامَّةِ. وَقَدْ صَحَّتْ عَرَبِيَّتِي عَلَى لِفَاءِ دَبَشِلِيمَ وَقَدْ سَمِعْتُ مَقَالَتِكُمْ وَتَبَيَّنَ لِي
تَصِيَّحَتِكُمْ وَالْإِشْفَاقُ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ. غَيْرَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَأْيَكُمْ وَعَزَّمْتُ عَزْمًا
وَسَتَرِفُونَ حَدِيثِي عِنْدَ الْمَلِكِ وَمَجَاوَيَتِي إِيَّاهُ. فَإِذَا أَنْصَلَ حُرُوجِيْبِيْنَ
عِنْدِهِ فَأَجْنَبُوهُ إِلَيَّ: وَصَرَفْتُمْ وَهُمْ يَدْعُونَ لَهُ بِالسَّلَامَةِ

لَمْ إِنْ يَيْدَبَا أَخْنَارَ يَوْمًا لِلِّدُخُولِ عَلَى الْمَلِكِ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْوَقْتُ
أَقْفَى عَلَيْهِ مُسْوِحَهُ وَهِيَ لِيَاسُ الْبَرَاهِيمَةُ وَقَصَدَ بَابَ الْمَلِكِ وَسَأَلَ صَاحِبَ
إِذْنِهِ وَأَرْشَدَ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْلَمَهُ وَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ فَصَدَّتُ الْمَلِكَ فِي
نَصِيحةٍ: فَدَخَلَ الْأَدَنُ عَلَى الْمَلِكِ فِي وَقْتِهِ وَقَالَ: بِالْبَابِ رَجُلٌ مِنَ الْبَرَاهِيمَةِ
يُقَالُ لَهُ يَيْدَبَا ذَكَرَ أَنَّ مَعَهُ لِلْمَلِكِ نَصِيحةً: فَأَذْنَ لَهُ فَدَخَلَ وَوَقَفَ يَنْ
يَدِيهِ وَكَفَرَ وَسَجَدَ لَهُ وَأَسْتَوَعَ قَائِمًا وَسَكَتَ فَفَكَرَ دَبَشِلِيمُ فِي سُكُوتِهِ
وَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَمْ يَقْصِدْنَا إِلَّا لِأَمْرِنِينِ. إِمَّا أَنْ يَتَمِسَّ مِنَّا شَيْئًا يُصْلِحُ بِهِ
حَالَهُ أَوْ لِأَمْرٍ لَحْفَةٍ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ طَاقَةٌ ثُمَّ قَالَ: إِنْ كَانَ لِلْمُلُوكِ فَضْلٌ

في مَهْلِكَتِهَا فَإِنَّ الْحُكْمَاءَ فَضْلًا فِي حِكْمَتِهَا أَعْظَمُ . لَأَنَّ الْحُكْمَاءَ أَغْنِيَاءَ عَنِ
 الْمُلُوكِ بِالْعِلْمِ وَلَيْسَ الْمُلُوكُ بِاَغْنِيَاءَ عَنِ الْحُكْمَاءِ بِالْمَالِ . وَقَدْ وَجَدْتُ
 الْعِلْمَ فِي الْحَيَاةِ إِلَيْهِنَّ مُتَّا لِفَيْنَ لَا يَفْتَرُ قَانِ مَتَّى فُقَدَّ أَحَدُهُمْ لَمْ يُوْجِدُ الْآخَرُ
 كَالْمُتَصَافِيْنَ إِنْ عُدِمَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ لَمْ يَطْبُ صَاحِبُهُ نَفْسًا بِالْبَقَاءِ بَعْدَ
 تَاسِفًا عَلَيْهِ . وَمَنْ لَمْ يَسْتَعِدْ مِنَ الْحُكْمَاءِ وَيَكْرِهَهُمْ وَيَعْرِفُ فَضْلَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ
 وَيَصْنَمُهُمْ عَنْ مَوَاقِفِ الْوَهْنَةِ وَيَنْزِهُمْ عَنِ الْمَوَاطِنِ الرَّذْلَةِ كَانَ مِنْ
 حُرُمَ عَقْلَةَ وَخَسِرَ دُنْيَا وَظَلَمَ الْحُكْمَاءَ حَقُوقَهُمْ وَعَدَ مِنَ الْجَهَالِ ثُمَّ رَفَعَ
 رَأْسَهُ إِلَى يَدِهِ وَقَالَ لَهُ : نَظَرْتُ إِلَيْكَ يَا يَدِيَّا سَاكِنًا لَا تَعْرِضُ حَاجَنَكَ
 وَلَا تَذَكُّرْ بِعِيْتَكَ قُلْتُ : إِنَّ الَّذِي أَسْكَنَهُ هِبَةً سُورَتُهُ أَوْ حَيْثُ أَذْرَكَهُ
 وَتَامَلْتُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ طُولِ وُقُوفِكَ وَقُلْتُ : لَمْ يَكُنْ لِيَدِيَّا أَنْ يَطْرُقَنَا
 عَلَى غَيْرِ عَادَةِ إِلَّا لِأَمْرِ حَرَّكَهُ لِذَلِكَ فَإِنَّهُ مِنْ أَفْضَلِ أَهْلِ زَمَانِهِ فَهَلَّا
 نَسَأَلُهُ عَنْ سَبَبِ دُخُولِهِ فَإِنْ يَكُنْ مِنْ ضَيْمٍ نَالَهُ كُنْتُ أَوْلَى مِنْ أَخَذِيَّهُ
 وَسَارَعَ فِي تَشْرِيفِهِ وَنَقَدَمَ فِي الْبُلُوغِ إِلَى مُرَادِهِ وَإِعْزَازِهِ . قَاتَ كَانَتْ
 بِعِيْتَهُ عَرَضًا مِنْ أَغْرَاضِ الدُّنْيَا أَمْرَتُ بِإِرْضَائِهِ مِنْ ذَلِكَ فِيهَا أَحَبُّ وَإِنْ
 يَكُنْ مِنْ أَمْرِ الْمَلِكِ وَمَا يَنْبَغِي لِلْمُلُوكِ أَنْ يَبْذُلُوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَا يَنْقَادُوا
 إِلَيْهِ نَظَرْتُ فِي قَدْرِ عُقوَبَتِهِ . عَلَى أَنْ مِثْلَهُ لَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرَى عَلَى إِذْخَالِ نَفْسِهِ
 فِي بَابِ مَسْئَلَةِ الْمُلُوكِ . قَاتَ كَانَ شَيْءٌ مِنْ أُمُورِ الرَّعْيَةِ يُقصَدُ فِيهِ إِلَى
 صَرْفِ عِنَانَيِّ إِلَيْهِمْ نَظَرْتُ مَا هُوَ . فَإِنَّ الْحُكْمَاءَ لَا يُشِيرُونَ إِلَّا بِالْخَيْرِ
 وَالْجَهَالُ يُشِيرُونَ بِضَيْءٍ وَنَاقَدْ فَسَحْتُ لَكَ بِالْكَلَامِ
 فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ يَدَبَّا مِنَ الْمَلِكِ أَفْرَجَ عَنْهُ رُوعَهُ وَسَرَى مَا كَانَ وَقَعَ فِي

نَفْسِهِ مِنْ خَوْفِهِ وَكَفَرَ لَهُ وَسَجَدَ. ثُمَّ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ: أَوْلُ مَا أَقُولُ.
 أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى بِقَاءَ الْمَلِكِ عَلَى الْأَبَدِ وَدَوَامَ مُلْكِهِ عَلَى الْأَمْدِ. لِأَنَّهُ قَدْ
 مَنَحَنِي الْمَلِكَ فِي مَقَامِهِ هُذَا حَمَلًا جَعَلَهُ شَرْفًا لِي عَلَى جَمِيعِ مَنْ بَعْدِي مِنَ
 الْعُلَمَاءِ. وَذِكْرًا بِاقِيًّا عَلَى الدَّهْرِ عِنْدَ الْحُكْمَاءِ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْمَلِكِ بِوَجْهِهِ
 مُسْتَبِشًّا بِهِ فَرِحًا بِمَا بَدَا لَهُ مِنْهُ وَقَالَ: قَدْ عَطَفَ الْمَلِكُ عَلَيَّ بِكَرْمِهِ
 وَإِحْسَانِهِ وَالْأَمْرِ الَّذِي دَعَانِي إِلَى الدُّخُولِ عَلَى الْمَلِكِ وَحَلَّنِي عَلَى الْخَاطَرِ
 لِكَلَامِهِ وَلِإِقْدَامِ إِلَى الْمَلِكِ نَصِيحةً أَخْصَصْتُهُ بِهَا دُونَ غَيْرِهِ وَسَيَعْلَمُ
 مَنْ يَتَّصِلُ بِهِ ذَلِكَ أَنِّي لَمْ أَقْصِرْ عَنْ غَایَةِ فِيمَا يُحِبَّ لِلْمُوْلَى عَلَى الْحُكْمَاءِ.
 فَإِنْ فَسَحَ فِي كَلَامِي وَوَعَاهُ عَنِي فَهُوَ حَقِيقٌ بِذَلِكَ وَمَا يَرَاهُ فَإِنْ هُوَ الْقَاهُ
 فَقَدْ بَلَغْتُ مَا يَلْزَمُنِي وَخَرَجْتُ مِنْ لَوْمٍ يُنْهَنِي: قَالَ الْمَلِكُ: يَا يَدَبَا تَكْلِمُ
 مَهْمَاهَا شَيْتَ فَقَاتِنِي مُصْغِي إِلَيْكَ وَمُقْبِلٌ عَلَيْكَ وَسَامِعٌ مِنْكَ حَتَّى أَسْتَرْعِي مَا
 عِنْدَكَ إِلَى آخِنِ وَاجْزِيَكَ عَلَى ذَلِكَ بِمَا أَنْتَ أَهْلُهُ

قَالَ يَدَبَا: إِنَّ الْأَمْوَارَ الَّتِي أَخْصَصَ بِهَا الْإِنْسَانُ مِنْ سَائِرِ الْحَيَوانِ أَرْبَعَةُ
 أَشْيَاءً وَهِيَ حَمَاعُ مَا فِي الْعَالَمِ وَهِيَ: الْحِكْمَةُ وَالْعِفْنَةُ وَالْعُقْلُ وَالْعَدْلُ وَالْعِلْمُ
 وَالْأَدَبُ وَالرِّوَايَةُ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْحِكْمَةِ. وَالْحِلْمُ وَالصَّبْرُ وَالْوَقَارُ دَاخِلَةٌ
 فِي بَابِ الْعُقْلِ. وَالْحِيَاةُ وَالْكَرْمُ وَالصِّيَانَةُ وَالْأَنْفَةُ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْعِفْنَةِ.
 وَالصِّدْقُ وَالْإِحْسَانُ وَالْمُرَاقِبَةُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ دَاخِلَةٌ فِي بَابِ الْعَدْلِ.
 وَهَذِهِ هِيَ الْمَحَاسِنُ وَأَضَادُهَا هِيَ الْمَسَاوِيُّ فَمَنْ كَمِلتْ هَذِهِ فِي وَاحِدِ لَمْ
 يُنْجِحْهُ الزِّيَادَةُ فِي نِعْمَةِ إِلَيْهِ سُوءُ الْحَظْرِ مِنْ دُنْيَاهُ وَلَا إِلَى نَقْصٍ وَلَمْ يَتَأَسَّفْ
 عَلَى مَا لَمْ يُعِنْ أَنَّ تَوْفِيقُ بِيَقَائِهِ وَلَمْ يُخِزِّنْهُ مَا تَجْرِي يِهِ الْمَقَادِيرُ فِي مُلْكِهِ وَلَمْ

يَدْهَشُ عِنْدَ مَكْرُوهٍ . فَإِنْجِنْكَمَةُ كَتْرُولَا يَفْنِي عَلَى إِنْفَاقٍ . وَذَخِيرَةٌ لَا يُضْرِبُ
هَا بِالْأَمْلاقيِ وَحُلَّةٌ لَا تُخْلِقُ حِدْثَاهَا وَلَذَّةٌ لَا تُصْرِمُ مُدْهَاهَا وَلَئِنْ كُنْتُ
عِنْدَ مَقْاعِيَ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ أَمْسَكْتُ عَنْ آتِيَادِيَهِ بِالْكَلَامِ . فَإِنْ ذَلِكَ
لَمْ يَكُنْ مِنِي إِلَّا لِهَبِيَتِهِ وَإِلْجَالِ لَهُ . وَلَعْنِي إِنَّ الْمُلُوكَ لَأَهْلَ أَنْ يَهَا بُوا
لَاسِعَمَا مِنْ هُوَ فِي الْمُنْزِلَةِ الْأَنْجَى حَلَّ فِيهَا الْمَلِكُ عَنْ مَنَازِلِ الْمُلُوكِ قَبْلَهُ . وَقَدْ
قَالَتِ الْعُلَمَاءُ : الْزَمَّ السُّكُوتَ فَإِنَّ فِيهِ سَلَامَةً وَتَجْنِبُ الْكَلَامَ الْفَارِغَ
فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ النَّدَامَةُ

وَحُكِيَ أَنَّ أَرْبَعَةَ مِنَ الْعُلَمَاءِ ضَمِّمُوْ مجلسُ مَلِكٍ فَقَالَ لَهُمْ : لِيَتَكَلَّمُ كُلُّ
وَاحِدٍ بِكَلَامٍ يَكُونُ أَصْلًا لِلْأَدَبِ : فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَفْضَلُ خَلَةِ الْعِلْمِ
السُّكُوتُ : وَقَالَ الثَّانِي : إِنَّ مِنْ أَنْفَعِ الْأَشْيَاءِ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ قَدْرَ
مَتْرِلَتِهِ مِنْ عَقْلِهِ : وَقَالَ ثَالِثُهُ : أَنْفَعُ الْأَشْيَاءِ لِلْإِنْسَانِ أَنْ لَا يَتَكَلَّمُ بِمَا
لَا يَعْنِيهِ : قَالَ الرَّابِعُ : أَرْوَجُ الْأُمُورِ عَلَى الْإِنْسَانِ التَّسْلِيمُ لِلْمَقَادِيرِ : وَاجْمَعَ
فِي بَعْضِ الْزَمَانِ مُلُوكُ الْأَفَالِيمِ مِنَ الْصِينِ وَالْهِنْدِ وَفَارِسَ وَالرُّومِ وَقَالُوا :
يَنْبَغِي أَنْ يَتَكَلَّمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ بِكِيلَمَةٍ تُدْوَنُ عَنْهُ عَلَى غَابِرِ الدَّهْرِ : قَالَ
مَلِكُ الْصِينِ : أَنَا عَلَى مَا مَأْتَ أَقْلُ أَقْدَرُ مِنِي عَلَى رَدِّ مَا قُلْتُ : قَالَ مَلِكُ
الْهِنْدِ : عَجِبْتُ لِهِنْ . يَتَكَلَّمُ بِالْكِلَمَةِ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ لَمْ تَنْفَعْهُ وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْهِ
أَوْ بَقْتَهُ : قَالَ مَلِكُ فَارِسَ : أَنَا إِذَا تَكَلَّمْتُ بِالْكِلَمَةِ مَلَكْتُنِي وَإِذَا لَمْ أَنْكَلَمْ
بِهَا مَلَكَهَا : قَالَ مَلِكُ الرُّومِ : مَا نَدِمْتُ عَلَى مَا لَمْ أَتَكَلَمْ . قَطْ وَلَقَدْ نَدِمْتُ
عَلَى مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ كَثِيرًا . وَالسُّكُوتُ عِنْدَ الْمُلُوكِ أَحْسَنُ مِنَ الْهَذَرِ الَّذِي لَا
يُرْجِعُ مِنْهُ إِلَى نَفْعٍ وَأَفْضَلُ مَا يَهْ أَسْتَظَلُ أَلِإِنْسَانُ لِسَانُهُ

غَيْرَ أَنَّ الْمَلِكَ أَطَالَ اللَّهُ مُدَةً لَمَّا فَسَحَ لِي فِيهِ
 كَانَ أَوَّلَ مَا أَبْدَأْتُ بِهِ مِنْ الْأُمُورِ الَّتِي هِيَ غَرَضِي أَنْ يَكُونَ ثَمَنَ ذَلِكَ لَهُ
 دُونِي وَأَنَا أَخْنَصُهُ بِالْفَائِدَةِ قَبْلِي. عَلَى أَنَّ الْعُقْبَى هِيَ مَا أَفْصَدُ فِي كَلَامِي لَهُ
 وَأَنَّمَا نَفْعُهُ وَشَرْفُهُ رَاجِعٌ إِلَيْهِ وَأَكُونُ أَنَا قَاضِيَ فَرْضًا وَجَبَ عَلَيَّ فَأَقُولُ:
 أَهْبَأْتُ الْمَلِكَ إِنَّكَ فِي مَنَازِلِ أَبَائِكَ وَاجْتَادَكَ مِنَ الْجَبَابِرَةِ الَّذِينَ أَسْسُوا
 الْمُلْكَ قَبْلَكَ وَشَيْدُوهُ دُونَكَ وَبَنُوا الْفِلَاعَ وَالْحُصُونَ وَهَدُوا الْلِّلَادَ
 وَفَادُوا الْجَيُوشَ وَاسْجَاحُوا الْعَدَةَ وَطَالَتْ لَهُمُ الْمَدَةَ وَاسْتَكْثَرُوا مِنَ السِّلَاجِ
 وَالْكَرَاعِ وَعَاشُوا الدَّهُورَ فِي الْغَبْطَةِ وَالسُّرُورِ. فَلَمْ يَمْنَعْهُمْ ذَلِكَ مِنْ
 الْكِتَابِ حَيْلَ الْذِكْرِ وَلَا قَطْعُمْ عَنِ الْرِّتَابِ الشُّكْرِ وَلَا أَسْتِعْمَالِ
 الْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ خَوَلُوهُ وَالْإِرْفَاقِ بِمَنْ وَلَوْهُ وَحْسِنَ الْسَّيْرَةِ فِيمَا نَقْدَدُ
 مَعَ عِظَمِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ غُرَّ الْمُلْكِ وَسَكْرَةِ الْأَقْتِدَلِ
 وَإِنَّكَ أَهْبَأْتُ الْمَلِكَ السَّعِيدَ جَهَنَّمَ الْطَّالِعَ كَوْكُبَ سَعِيدٍ قَدْ وَرَثَ أَرْضَهُمْ
 وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَمَنَازِلَهُمُ الَّتِي كَانَتْ عُدْتُهُمْ فَأَقْهَتَ فِيمَا خُوِّلتَ مِنَ
 الْمُلْكِ وَوَرَثَتَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْجَنُودِ. فَلَمْ تَقُمْ بِذَلِكَ بِحَقِّ مَا يَحْبُبُ
 عَلَيْكَ بَلْ طَغَيْتَ وَبَغَيْتَ وَعَنَوْتَ وَعَلَوْتَ عَلَى الْرِّعَبَةِ وَأَسَأْتَ الْسَّيْرَةَ
 وَعَظَمْتَ مِنْكَ الْبَلِيلَةِ. وَكَانَ الْأَوَّلَ وَالْآشَبَةِ يُكَانُ أَنْ تَسلُكَ سَبِيلَ
 أَسْلَافِكَ وَتَتَبَعَ آثَارَ الْمُلُوكِ قَبْلَكَ وَتَقْفُو مَحَاسِنَ مَا أَبْقَيْتُهُ لَكَ وَتَقْلِعَ مَا
 عَارِهُ لَازِمٌ لَكَ وَشَيْنَهُ وَاقِعٌ عَلَيْكَ وَتُخْسِنَ النَّظَرَ بِرَعْيَتِكَ وَتَبْسَنَ لَهُمْ سُنَنَ
 الْخَيْرِ الَّذِي يَسْقِي بَعْدَكَ ذِكْرَهُ وَيُعْقِبُكَ الْجَبَابِرَ قِزْدُونَ وَيَكُونَ ذَلِكَ أَبْقَى
 عَلَى الْسَّلَامَةِ وَادْوَمَ عَلَى الْإِسْتِقَامَةِ. فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُغَرَّ مَنْ أَسْتَعْمَلَ فِي

أُمُورِهِ الْبَطَرَ وَالْأَمْنِيَّةَ . وَأَخْزَاهُمْ الْلَّيْبَ مَنْ سَاسَ الْمُلْكَ بِالْمَدَارَةِ
وَالرِّفْقِ . فَانْظُرْ أَيْمَانَ الْمُلْكِ مَا أَقْيَتْ إِيْنَكَ وَلَا يَنْقُلنَ ذِلِكَ عَيْنَكَ فَلَمْ
أَتَكُلَّمْ أَبْتِغَاءَ غَرَضِ نَجَازِيَّيِّي وَلَا أَلْفَاسَ مَعْرُوفِي تَكَافِيَّيِّي فِيهِ وَلَكِنِي أَتَشْكِ
نَاصِحًا مُشْفِقًا عَيْنَكَ

فَلَمَّا فَرَغَ يَدَبَا مِنْ مَقَاتِلِهِ وَقَضَى مُناصَحَةَ الْمَلِكِ أَرْبَعَ قُلُبَ الْمَلِكِ
فَأَغْلَظَ لَهُ الْجَوَابَ أَسْتِصْغَارًا لِأَمْرِهِ وَقَالَ : لَقَدْ تَكَلَّمْتِ بِكَلَامِ مَا كُنْتُ
أَطْنَأْنَ أَنَّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِي يَسْتَقْبِلُنِي بِمِثْلِهِ وَلَا يُقْدِمُ عَلَى مَا أَقْدَمْتَ
عَلَيْهِ . فَكَيْفَ أَنْتَ مَعَ صِغَرِ شَانِكَ وَضُعْفِ بَنِيتِكَ وَعَجْزِ قُوتِكَ . وَلَقَدْ
أَكْثَرْتَ إِعْجَابِي مِنْ إِقْدَامِكَ عَلَيَّ وَتَسْلُطِكَ بِلِسَانِكَ فِيمَا جَازَتْ فِيهِ
حَدَّكَ . وَمَا أَحَدُ شَيْئًا فِي تَأْدِيبِ غَيْرِكَ أَبْلَغَ مِنْ التَّنْكِيلِ بِكَ . فَذِلِكَ
عِبْرَةٌ وَمُوْعِظَةٌ لِمَنْ عَسَاهُ أَنْ يَلْعُبَ وَيَرْوَمَ مَارُوتَ أَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ إِذَا
أَوْسَعُوا لَهُمْ فِي بَحَالِسِمْ : ثُمَّ أَمْرَ بِهِ أَنْ يُقْتَلَ وَيُصْلَبَ . فَلَمَّا مَضَوْا بِهِ فِيمَا
أَمْرَ فَكَرَ فِيمَا أَمْرَ بِهِ فَأَخْجَمَ عَنْهُ . ثُمَّ أَمْرَ بِحَبْسِهِ وَنَفْيِهِ

فَلَمَّا حِسَ أَنْذَرَ بِطَلَبِ تَلَمِدَتِهِ وَمَنْ كَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ فَهَرَبُوا فِي الْبَلَادِ
وَأَعْنَصُوهُ بِحِزَائِرِ الْحَارِ . فَمَكَثَ يَدَبَا فِي مَحْبِسِهِ أَيَّامًا لَا يَسْأَلُ الْمَلِكُ عَنْهُ
وَلَا يَلْتَفِتُ وَلَا يَجْسِرُ أَحَدٌ أَنْ يَذْكُرُهُ عِنْدَهُ . حَتَّى إِذَا كَانَ لَيْلَةً مِنَ الْلَّيَالِي سَهَرَ
الْمَلِكُ سَهَرًا شَدِيدًا فَطَالَ سَهَرُونَ وَمَدَّ إِلَى الْفَلَكِ بَصَرُ وَتَفَكَّرَ فِي تَفْلِكِ
الْفَلَكِ وَحَرَّكَاتِ الْكَوَاكِبِ . فَأَغْرَقَ الْفِكْرُ فِيهِ فَسَلَكَ بِهِ إِلَى أَسْتِبْنَاطِ شَيْءٍ
عَرَضَ لَهُ مِنْ أُمُورِ الْفَلَكِ وَالْمَسْكَةِ عَنْهُ . فَذَكَرَ عِنْدَ ذِلِكَ يَدَبَا وَتَفَكَّرَ
فِيمَا كَلَمَهُ بِهِ فَارْعَوَيِّ لِذِلِكَ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : لَقَدْ أَسَاتُ فِيمَا صَنَعْتُ هَذَا

الْفِلَسْوَفِ وَضَيَعَتُ وَاجِبَ حَقِّهِ وَحَلَّنِي عَلَى ذَلِكَ سُرْعَةً أَغْضَبَ . فَقَدْ
 قَالَتِ الْحَكْمَاءُ : أَرْبَعَةٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ فِي الْمُلُوكِ . الْغَضَبُ فَإِنَّهُ أَجَدَرُ
 أَلْأَشْيَاً مَقْتاً . وَالْخَلُولُ فَإِنَّ صَاحِبَهُ لَيْسَ بِمَعْذُورٍ مَعَ ذَاتِ يَدِهِ . وَالْكَذِبُ
 فَإِنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْاوزَهُ . وَالرِّفْقُ فِي الْمُحَاوَرَةِ فَإِنَّ الْسَّفَهَ لَيْسَ مِنْ
 شَانِهَا . وَإِنِّي أَتَى إِلَيَّ رَجُلٌ نَصَحٌ لِي وَمَمْكُنٌ بِلَامًا فَعَامَلْتُهُ بِضِدِّ مَا يَسْتَحْشِي
 وَكَافَأْتُهُ بِنَخْلَافٍ مَا يَسْتَوْجِبُ . وَمَا كَانَ هَذَا جَزَاءُهُ مِنْ بَلْ كَانَ الْوَاجِبُ
 أَنْ أَسْمَعَ كَلَامَهُ وَأَنْقَادَ لِمَا يُشِيرُ إِلَيْهِ : ثُمَّ أَنْفَدَ فِي سَاعَتِهِ مَنْ . يَأْتِيهِ بِهِ
 فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ : يَا يَدِبَا الْسَّتَّ الَّذِي قَدَّسْتَ إِلَيَّ نَصِيرِ
 هِمَّيْتِي وَعَجَّزْتَ رَأَيِّي فِي سِيرَتِي بِمَا تَكَلَّمَتْ بِهِ أَنِفَا : فَقَالَ لَهُ يَدِبَا : أَيْهَا الْمَلِكُ
 الْتَّاصِحُ الْشَّفِيقُ الْصَادِقُ الْرَّفِيقُ إِنَّمَا نَبَاتُكَ بِمَا فِيهِ صَالَحٌ لَكَ وَلَرَعِيَّتَكَ
 وَدَوَامُ مُلْكِكَ لَكَ : قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : يَا يَدِبَا أَعْدُ عَلَيَّ كَلَامَكَ كُلَّهُ وَلَا تَدْعُ
 مِنْهُ حَرْفًا إِلَّا حَتَّى يَهِ : فَجَعَلَ يَدِبَا يَنْثُرُ كَلَامَهُ وَالْمَلِكُ مُصْغَى إِلَيْهِ وَجَعَلَ
 دَبَشِلِيمُ كُلَّ مَا سَمَعَ مِنْهُ شَيْئًا يَنْكُتُ أَلْأَرْضَ بِشَيْءٍ فِي يَدِهِ . ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَةً
 إِلَيَّ يَدِبَا وَأَمْرَهُ بِالْمَجْلوسِ وَقَالَ لَهُ : يَا يَدِبَا إِنِّي قَدْ أَسْتَعْدَبْتُ كَلَامَكَ
 وَحَسْنَ مَوْقِعِهِ مِنْ قَلْبِي وَأَنَا نَاظِرٌ فِي الَّذِي أَشَرْتَ بِهِ وَعَامِلُ بِمَا أَمْرَتَ :
 ثُمَّ أَمْرَ بِقِيَوْدِهِ تَحْلَتْ وَالْقُرْبُ عَلَيْهِ مِنْ لِبَاسِهِ وَتَلَاهُ . فَقَالَ يَدِبَا : يَا أَيْهَا
 الْمَلِكُ إِنَّ فِي دُونِ مَا كَلَمْتُكَ بِهِ نَهَايَةَ بِيَثْلِكَ : قَالَ : صَدَقْتَ أَيْهَا الْحَكِيمُ
 الْفَاضِلُ وَقَدْ وَلَيْتُكَ مِنْ مُجَلِّسِي هَذَا إِلَى جَمِيعِ أَقَاصِي مَهْلَكِي : فَقَالَ لَهُ :
 أَيْهَا الْمَلِكُ أَعْفِنِي مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فَإِنِّي لَمْسُ مُضْطَلِعًا بِتَقْوِيَّتِهِ : فَأَعْفَاهُ
 مِنْ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَنْصَرَفَ عَلَمَ أَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ لَيْسَ بِرَأْيِي فَبَعْثَ فَرَدَهُ .

وَقَالَ إِنِّي فَكَرْتُ فِي إِعْفَاكَ فِيمَا عَرَضْتُ عَلَيْكَ فَوَجَدْتُه لَا يَقُومُ لَهُ
بِكَ وَلَا يَنْهَضُ بِهِ غَيْرُكَ وَلَا يَضْطَلُعُ بِهِ سَوَاكَ فَلَا تُخَالِفِنِي فِيهِ: فَأَجَابَهُ
يَدِبَابًا إِلَى ذِلْكَ

وَكَانَ عَادَةً ذِلْكَ الْزَمَانِ إِذَا أَسْتَكْبَبَا وَزِيرًا أَنْ يَعْقِدُ وَاعْلَى رَأْسِهِ تَاجًا
فِي أَهْلِ الْمُلْكَةِ وَيُطَافَ بِهِ فِي الْمَدِينَةِ. فَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يُنْعَلَ ذِلْكَ بِيَدِبَابًا.
فَوُضِعَ التَّاجُ عَلَى رَأْسِهِ وَرَكِبَ فِي الْمَدِينَةِ وَرَجَعَ وَجَلَسَ بِجَلْسِ الْعَدْلِ
وَأَلْإِنْصَافِ يَأْخُذُ لِلَّدْنَيِّ مِنَ الشَّرِيفِ وَيُسَاوِي بَيْنَ الْقَوِيِّ وَالْأَعْسَيْفِ
وَرَدَ الْمَظَالِمَ وَوَضَعَ سُنَّ الْعَدْلِ وَأَكْثَرَ مِنَ الْعَطَاءِ وَالْبَذْلِ. وَاتَّصلَ
الْحَبْرُ بِتَلَامِذَتِهِ فَجَاؤُهُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَرِحِينٌ بِهَا قَدَرَ اللَّهُ مِنْ جَدِيدِ رَأْيٍ
الْمَلِكِ فِي يَدِبَابًا. وَشَكَرُوا اللَّهَ تَعَالَى عَلَى تَوْفِيقِ يَدِبَابًا فِي إِزَالَةِ دَبَشَلِيمَ عَمَّا
كَانَ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ السِّيَرِ. وَأَخْتَدَوْا ذِلْكَ الْيَوْمَ عِدَّا يُعِدُّونَ فِيهِ فَهُوَ
إِلَى الْيَوْمِ عِدَّهُ عِنْدَهُمْ فِي بِلَادِ الْهِنْدِ

لَمْ إِنْ يَدِبَابًا لَهَا خَلَا فِكْرَهُ مِنْ أَشْتِغَالِهِ بِدَبَشَلِيمَ تَفَرَّغَ لِوَضْعِ كُتُبِ
السِّيَاسَةِ وَنِشَطَ لَهَا. فَعَمِلَ كُتُبًا كَثِيرَةً فِيهَا مِنْ دَقِيقَ الْحِبْلِ وَمَضَى
الْمَلِكُ عَلَى مَارَسَ لَهُ يَدِبَابًا مِنْ حُسْنِ السِّيَرِ وَالْعَدْلِ فِي الرَّعِيَّةِ. فَرَغَبَتْ
إِلَيْهِ الْمُلُوكُ الَّذِينَ كَانُوا فِي نَوَاحِيهِ وَأَنْقَادَتْ إِلَيْهِ الْأُمُورُ عَلَى أَسْتِواعِهَا.
وَفَرِحَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ وَأَهْلُ مَلْكَتِهِ. لَمْ إِنْ يَدِبَابًا جَمَعَ تَلَامِذَتَهُ وَاحْسَنَ صَلَّتُهُمْ
وَوَعَدَ لَهُمْ وَعْدًا جَيِّلًا وَقَالَ لَهُمْ: لَسْتُ أُشْكُ أَنَّهُ وَقَعَ فِي نُفُوسِكُمْ وَقَتَ
دُخُولِي عَلَى الْمَلِكِ أَنْ قُلْتُمْ إِنْ يَدِبَابًا قَدْ ضَاعَتْ حِكْمَتُهُ وَبَطَّلَتْ فِكْرُهُ أَنْ
عَزَمْ عَلَى الدُّخُولِ عَلَى هَذَا الْجُبَارِ وَالْطَّاغِي. فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَبَيْحَةَ رَأْيِي وَصَحَّةَ

فِكْرِي وَأَنِّي لَمْ أَتِهِ جَهْلًا يَهْ لَأْنِي كُنْتُ أَسْعَ مِنَ الْحُكْمَاءِ قَبْلِي تَقُولُ: إِنَّ
 الْمُلُوكَ هُمَا سُكْرَةٌ وَكَذِيلَ الشَّبَابِ: فَالْمُلُوكُ لَا تُفِيقُ مِنَ السُّكْرَةِ إِلَّا
 يَمْوَاعِظُ الْعُلَمَاءَ وَآدَبَ الْحُكْمَاءَ. وَالْوَاحِدُ عَلَى الْمُلُوكِ أَنْ يَتَعَضَّوْا
 بِمَوَاعِظِ الْعُلَمَاءِ. وَالْوَاحِدُ عَلَى الْعُلَمَاءِ تَقْوِيمُ الْمُلُوكِ بِالسِّنَتِهَا وَتَأْدِيهَا
 بِحُكْمَتِهَا فَإِظْهَارُ الْجَحَّةِ الْبَيْنَةِ الْلَّازِمَةِ لَهُمْ لِيَرْتَدِعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْوَاجِ
 وَالْخُروجُ عَنِ الْعَدْلِ. فَوَجَدْتُ مَا قَالَتِ الْعُلَمَاءُ فَرْضًا وَاجِبًا عَلَى الْحُكْمَاءِ
 لِيُلْمُوْكُمْ لِيُوْقَظُوْهُمْ مِنْ سِنَةِ سُكْرَتِهِمْ كَالْطَّيْبِ الَّذِي يَحْبُّ عَلَيْهِ فِي
 صِنَاعَتِهِ حِفْظُ الْأَجْسَادِ عَلَى صِحَّتِهَا أَوْ رَدَّهَا إِلَى الصِّحَّةِ. فَكَرِهْتُ أَنْ يَمُوتَ
 أَوْ يَمُوتَ وَلَا يَمُوتَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ كَانَ يَدْبَابًا لِغَيْلَسُوفُ فِي
 زَمَانِ دَبَشِيلِمَ الطَّاغِي فَلَمْ يَرْدَهُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّهُ لَمْ يُمْكِنْهُ
 كَلَامُهُ حَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ فَلَهُرُبُّ مِنْهُ وَمِنْ حِوارِهِ وَالْأَنْزِعَاجُ عَنِ الْوَطَنِ
 شَدِيدٌ. فَرَأَيْتُ أَنْ أَجُودَ بِحِيَاتِي فَأَكُونَ قَدَّا تِسْتُ بِنِي وَبَيْتَ الْحُكْمَاءِ
 بَعْدِي عُدْرًا فَحَمِلْتُهَا عَلَى التَّغْرِيرِ وَالظَّفَرِ بِمَا أَرِيدُ. وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ مَا
 أَنْتُ مُعَايِنُوهُ. فَإِنَّهُ يُقَالُ فِي بَعْضِ الْأَمْثَالِ: إِنَّهُ لَمْ يَلْعَمْ أَحَدٌ مِنْ رَبَّةِ إِلَّا
 بِإِحْدَى ثَلَاثٍ. إِمَّا بِمَسْتَقَةٍ تَنَالُهُ فِي نَفْسِهِ وَإِمَّا بِوَضِيعَةٍ فِي مَالِهِ أَوْ وَكْسٍ
 فِي دِينِهِ: مَنْ لَمْ يَرْكِبْ الْأَهْوَالَ لَمْ يَنْلِ الرَّغَائبَ. وَإِنَّ الْمِلْكَ دَبَشِيلِمَ قَدْ
 يَسْطُطَ لِسَانِي فِي أَنْ أَضْعَ كِتَابًا فِيهِ مِنْ ضُرُوبِ الْحُكْمَةِ. فَلَيَضُعَ كُلُّ وَاحِدٍ
 مِنْكُمْ فِي أَيِّ فَنٍ شَاءَ وَلِيَعْرِضُهُ عَلَيَّ لِأَنْظُرَ مِقْدَارَ عَقْلِهِ وَأَيْتَ بَلَغَ مِنْ
 الْحُكْمَةِ فَهُوَ: قَالُوا: أَبْهَا الْحَكِيمُ الْفَاضِلُ وَالْلَّيِّبُ الْعَاقِلُ وَالَّذِي وَهَبَ
 لَكَ مَا مَنَحَكَ مِنَ الْحُكْمَةِ وَالْعُقْلِ وَالْأَدَبِ وَالْفَضْلَةِ مَا خَطَرَ هَذَا

يُقْلُو بِنَاقْطٍ وَأَنْتَ رَئِسُنَا وَفَاضِلُنَا وَعَلَى يَدِكَ أَنْتَعْشَنَا وَلِكُنْ سَبَّحَ مَهْدٌ
أَنْفُسُنَا فِيمَا مَرَّتْ

وَمَكَثَ الْمَلِكُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ حُسْنِ السُّيْرِ زَمَانًا يَتَوَلَّ ذَلِكَ لَهُ يَدِبَّا
وَيَقُومُ بِهِ ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ دَبَشِلِيمَ لَمَّا أَسْتَفَرَ لَهُ الْمَلِكُ وَسَقَطَ عَنْهُ النَّظَرُ
فِي أُمُورِ الْأَعْدَاءِ بِمَا قَدْ كَفَاهُ ذَلِكَ يَدِبَّا صَرَفَ هِمَتَهُ إِلَى النَّظَرِ فِي
الْكُتُبِ الَّتِي وَضَعَتْهَا فَلَاسِفَةُ الْهِنْدِ لِأَبَائِهِ وَاجْدَادِهِ فَوْقَ فِي نَفْسِهِ أَنْ
يَكُونَ لَهُ أَيْضًا كِتَابٌ مَشْرُوحٌ يُنْسَبُ إِلَيْهِ تُذَكَّرُ فِيهِ أَيَّامُهُ كَمَا ذَكَرَ أَبَاؤُهُ
وَاجْدَادُهُ مِنْ قَبْلِهِ فَلَمَّا عَزَمَ عَلَى ذَلِكَ عَلَمَ أَنَّهُ لَا يَقُومُ بِذَلِكَ إِلَّا بِيَدِبَّا
فَدَعَاهُ وَخَلَاهُ وَقَالَ لَهُ : يَا يَدِبَّا إِنَّكَ حَكِيمُ الْهِنْدِ وَفِلَسُوفُهَا وَإِنِّي فَكَرْتُ
وَنَظَرْتُ فِي خَرَائِنِ الْحِكْمَةِ الَّتِي كَانَتْ لِلْمُلُوكِ قَبْلِي فَلَمَّا أَرَ فِيهِمْ أَحَدًا إِلَّا
وَقَدْ وَضَعَ كِتَابًا يَذَكُرُ فِيهِ أَيَّامَهُ وَسِيرَتَهُ وَيُنْبِئُ عَنْ أَدَبِهِ وَأَهْلِ مَلِكَتِهِ
فِينَهُ مَا وَضَعَهُ الْمُلُوكُ لِأَنْفُسِهَا وَذَلِكَ لِفَضْلِ حِكْمَةِ فِيهَا وَمِنْهُ مَا وَضَعَتْهُ
حِكْمَاءُهَا وَأَخَافُ أَنْ يَكْتُفَنِي مَا لَحِقَ أُولَئِكَ مِمَّا لَا حِلَةَ لِي فِيهِ وَلَا يُوجَدُ فِي
خَرَائِنِي كِتَابٌ أَذَكُرُ فِيهِ بَعْدِي وَأَنْسَبُ إِلَيْهِ كَمَا ذَكَرَ مِنْ كَانَ قَبْلِي يَكْتُبُهُمْ
وَقَدْ أَحَبَبْتُ أَنْ تَضَعَ لِي كِتَابًا يَلْيِغَا تَسْتَفْرُغُ فِيهِ عَقْلَكَ يَكُونُ ظَاهِرُ
سِيَاسَةً الْعَامَّةِ وَتَادِيهَا وَبَاطِنَهُ أَخْلَاقَ الْمُلُوكِ وَسِيَاسَتَهَا لِلرَّعْيَةِ عَلَى طَاعَةِ
الْمَلِكِ وَخَدْمَتِهِ فَيَسْقُطَ بِذَلِكَ عَنِّي وَعَنْهُ مَا خَنَاجُ إِلَيْهِ فِي مُعَانَةِ الْمَلِكِ
وَلَرِيدُ أَنْ يَقُولَ لِي هَذَا الْكِتَابُ بَعْدِي ذَكْرًا عَلَى غَابِرِ الدُّلُوهِ
فَلَمَّا سَعَ يَدِبَّا كَلَامَةَ حَرَّ لَهُ سَاجِدًا وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : أَهْمَا الْمَلِكُ
الْسَّعِيدُ جَدُّ عَلَا بِحُمْكَ وَغَابَ تَحْسِكَ وَدَامَتْ أَيَّامُكَ إِنَّ الَّذِي قَدْ

طَبِيعَ عَلَيْهِ الْمَلِكُ مِنْ جُودَةِ الْفَرِيقَةِ وَوُفُورِ الْعُقْلِ حَرَّكَهُ لِعَالِي الْأُمُورِ
 وَسَمَّتْ بِهِ نَفْسَهُ وَهِمَتْهُ إِلَى أَشْرَفِ الْمَرَاتِبِ مَنْزَلَةً وَابْعَدَهَا غَايَةً . وَأَدَمَ
 اللَّهُ سَعَادَةَ الْمَلِكِ وَأَعْانَهُ عَلَى مَا عَزَمَ مِنْ ذَلِكَ وَأَعْانَنِي عَلَى بُلوغِ مَرَادِهِ .
 فَلِيَأُمِرِ الْمَلِكُ بِمَا شَاءَ مِنْ ذَلِكَ فَإِنِّي صَائِرٌ إِلَى غَرَضِهِ مُجْتَهَدٌ فِيهِ يَرَأِي :
 قَالَ لَهُ الْمَلِكُ : يَا يَدِبَّا لَمْ تَزَلْ مَوْصُوفًا بِخُسْنِ الرَّأْيِ وَطَاعَةَ الْمُلُوكِ فِي
 أُمُورِهِمْ . وَقَدْ أَخْبَرْتُ مِنْكَ ذَلِكَ وَأَخْتَرْتُ أَنْ تَضَعَ هَذَا الْكِتَابَ
 وَتَعْمَلَ فِيهِ فِكْرَكَ وَتَجْهَدَ فِيهِ نَفْسَكَ بِعَايَةَ مَا تَحْدُدُ إِلَيْهِ السَّيْلَ . وَلِيَكُنْ
 مُشْتَهِيًّا لَعَلَى أَبْحَدٍ وَأَهْزَلٍ وَاللَّهُو وَالْحِكْمَةُ وَالْفَلْسَفَةُ : فَكُفْرَ لَهُ يَدِبَّا وَسَجَدَ
 وَقَالَ : قَدْ أَجَبْتُ الْمَلِكَ أَدَمَ اللَّهُ أَيَّامَهُ إِلَى مَا أَمْرَنِي بِهِ وَقَدْ جَعَلْتُ يُبَيِّنِي
 وَيَسِّئُهُ أَجَلًا : قَالَ : وَكُمْ هُوَ الْأَجَلُ : قَالَ : سَنَةً : قَالَ : قَدْ أَجْلَتُكَ : وَأَمَرَ لَهُ
 بِجَاهَتِكَ سَنِيَّةً تَعِينُهُ عَلَى عَمَلِ الْكِتَابِ

فَبَيْقَيْ يَدِبَّا مُفْكِرًا فِي الْأَخْذِ فِيهِ وَفِي أَيِّ صُورَةِ يَسْتَدِي فِيهِ وَفِي وَضِعِهِ .
 إِنَّ يَدِبَّا جَمَعَ تَلَامِذَتَهُ وَقَالَ لَهُمْ : إِنَّ الْمَلِكَ قَدْ نَدَبَنِي لِأَمْرٍ فِيهِ فَخَرَيْ
 وَفَخَرْ كَمْ وَفَخَرْ بِلَادِكُمْ وَقَدْ جَعَلْتُمُ لَهُذَا الْأَمْرِ : ثُمَّ وَصَفَ لَهُمْ مَا سَأَلَ الْمَلِكُ
 مِنْ أَمْرٍ الْكِتَابِ وَالْغَرَضِ الَّذِي يَفْصِدُ فِيهِ فَلَمْ يَقْعُ لِهِمُ الْفِكْرُ فِيهِ . فَلَمَّا
 يَجِدُ عِنْدَهُمْ مَا يُرِيدُهُ فَكَرَرْ يَفْضُلُ حِكْمَتِهِ وَعِمَّ أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ يَمْتَلِئُ بِاسْتِفَرَاغٍ
 الْعُقْلِ وَأَعْمَالِ الْفِكْرِ وَقَالَ : أَرَى السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي فِي الْبَحْرِ لَا بِالْمَلَاحِينَ
 لَا نَمَمَ يُعَدُّ لَوْنَهَا وَلَا تَسْلُكُ الْلَّجْةَ بِهُدَى بِرَبِّهَا الَّذِي تَفَرَّدَ بِإِمْرِهِمَا . وَمَنِي
 شُحْنَتْ بِالْكَرْكَابِ الْكَثِيرِينَ وَكَثُرَ مَلَاحُوهَا لَمْ يُوْمَنْ عَلَيْهَا مِنَ الْغَرْقِ : وَكُمْ
 بَزَلْ يُفْكِرُ فِيهَا بَعْلَهُ فِي بَابِ الْكِتَابِ حَتَّى وَضَعَهُ عَلَى الْإِنْفِرَادِ بِنَفْسِهِ مَعَ

رَجُلٌ مِنْ تَلَامِذَتِهِ كَانَ يَقُولُ يَهُ مُنْفَرِدًا بَعْدَ أَنْ أَعَدَّ مِنَ الْوَرَقِ
 الَّذِي تَكْتُبُ الْهِنْدُ فِيهِ شَيْئًا وَمِنَ الْقُوَّتِ مَا يَقُولُ يَهُ وَتَلْمِيذُ تِلْكَ
 الْبَلْقَةِ. وَجَلَسَ فِي مَقْصُورَةٍ وَرَدًا عَلَيْهَا الْبَابَ ثُمَّ بَدَأَ فِي نَظَمِ الْكِتَابِ
 وَتَصْنِيفِهِ لَمْ يَزَلْ هُوَ يُبَلِّي وَتَلْمِيذُ يَكْتُبُ وَيَرْجِعُ هُوَ فِيهِ حَتَّى أَسْتَفَرَ
 الْكِتَابُ عَلَى غَايَةِ الْإِنْقَارِ وَالْإِحْكَامِ. وَرَتَبَ فِيهِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ بَابًا كُلُّ
 بَابٍ مِنْهَا قَائِمٌ بِنَفْسِهِ وَفِي كُلِّ بَابٍ مَسْئَلَةٌ وَالْجَوابُ عَنْهَا لِكُونَ لِمَنْ
 نَظَرَ فِيهِ حَظٌ. وَضَمَّنَ تِلْكَ الْآبَابَ كِتَابًا وَاحِدًا وَسَمَّاهُ كِتَابَ كَلِيلَةَ
 وَدِمنَةَ. ثُمَّ جَعَلَ كَلَامَهُ عَلَى الْسُّنْنِ الْبَهَائِمِ وَالسِّبَاعِ وَالطَّيرِ لِكُونَ
 ظَاهِرُهُمْ هُوَ لِلْخَواصِ وَالْعَوَامِ وَبَاطِنُهُ رِيَاضَةٌ لِعُقُولِ الْخَاصَّةِ. وَضَمَّنَهُ أَيْضًا
 مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ سِيَاسَةٍ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَخَاصِّتِهِ بِحُضُرَهُ عَلَى
 حُسْنِ طَاعَنِهِ لِلْمُلُوكِ وَيَحْتَبِهِ مَا تَكُونُ مُجَانِبَتُهُ خَيْرًا لَهُ. ثُمَّ جَعَلَهُ بَاطِنًا
 وَظَاهِرًا كَرْسِمَ سَائِرِ الْكِتَابِ الَّتِي يَرْسِمُ الْحِكْمَةَ. فَصَارَ الْحَيْوَانُ هُوَ وَمَا
 يُنْطِقُ بِهِ حِكْمَةً وَأَدَبًا. فَلَمَّا أَبْتَدَأَ يَدِلَّكَ جَعَلَ أَوَّلَ الْكِتَابِ
 وَصْفَ الصَّدِيقِ وَكَيْفَ يَكُونُ صَدِيقًا وَكَيْفَ تُقْطَعُ الْمَوَدَّةُ بِيَنْمَا يَبْهِلُهُ ذِي
 النِّيمَةِ. وَأَمَرَ تَلْمِيذَهُ أَنْ يَكْتُبَ عَلَى لِسَانِ يَدِبَا مِثْلَ مَا كَانَ الْمَلِكُ شَارَطَهُ
 فِي أَنْ يَجْعَلَهُ هُوَ وَحْكَمَةً. فَدَكَرَ يَدِبَا أَنَّ الْحِكْمَةَ مَتَى دَخَلَهَا كَلَامُ
 الْغَفَلَةِ أَفْسَدَهَا وَأَسْبَجَهَا حِكْمَتَهَا. فَلَمْ يَزَلْ هُوَ وَتَلْمِيذُهُ يُعْمَلَانِ الْفِكْرِ فِيمَا
 سَأَلَهُ الْمَلِكُ حَتَّى فَتَقَ لَهُمَا الْعَقْلُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُمَا عَلَى لِسَانِ بَهِمَتَيْنِ.
 فَوَقَعَ لَهُمَا مَوْضِعُ اللَّهِ وَاهْزَلَ بِكَلَامِ الْبَهَائِمِ وَكَانَتِ الْحِكْمَةَ مَا نَطَقَابِهِ.
 فَأَصْبَغَتِ الْحُكْمَاءِ إِلَيْهِ حِكْمَتَهُ وَتَرَكُوا الْبَهَائِمَ وَاللَّهِ وَعِلْمُهُ أَنَّهَا أَسْبَبَ فِي

الذِّي وُضَعَ لَهُ . وَمَا لَتْ إِلَيْهِ أَنْجَهَا لُعْجَبًا مِنْ مُحَاوَرَةِ بَهِيمَتِينَ وَلَمْ يَشْكُوا
فِي ذَلِكَ وَأَخْدُوهُ لَهُ وَتَرَكُوا مَعْنَى الْكَلَامِ أَنْ يَفْهُومُونَ وَلَمْ يَعْلَمُوا الْغَرَضَ
الذِّي وُضَعَ لَهُ لِأَنَّ الْفِيلُسُوفَ إِنَّمَا كَانَ غَرَضُهُ فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ أَنْ يُخْبِرَ
عَنْ تَوَاصُلِ الْإِخْرَانِ كَيْفَ شَاكَكَهُ الْمَوْدَهُ يَنْهَمُ عَلَى التَّحْفُظِ مِنْ أَهْلِ
السِّعَاهَهِ وَالْخَرَزِ مِنْ يُوقِعُ الْعَدَاوَهُ بَيْنَ الْمُتَحَايِنَ لِيُحْرِي بِذَلِكَ نَفَاعَ
إِلَيْهِ نَفْسِهِ

فَلَمْ يَزَلْ يَدْبَأْ وَتَلْمِيذَهُ فِي الْمَقْصُورَهِ حَتَّى أَسْتَمَ عَمَلَ الْكِتَابِ فِي
مُدَّهُ سَنَهُ . فَمَمَّا قَمَ الْحَوْلُ أَنْفَدَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ : أَنْ قَدْ جَاءَ الْوَعْدُ فَادَأْ
صَنَعَتْ : فَأَنْفَدَ إِلَيْهِ يَدْبَأْ : إِنِّي عَلَى مَا وَعَدْتُ الْمَلِكَ فَلَيَا مُرْنِي بِحَمِيلِهِ بَعْدَ أَنْ
يَجْمَعَ أَهْلَ الْمَلَكَهِ لِتَكُونَ قِرَاءَتِي هَذَا الْكِتَابَ بِخَضْرَتِهِ : فَلَمَّا رَجَعَ
الرَّسُولُ إِلَى الْمَلِكِ سُرَّ بِذَلِكَ وَوَعَدَ يَوْمًا يَجْمَعُ فِيهِ أَهْلَ الْمَلَكَهِ .
ثُمَّ نَادَهُ فِي أَقَاصِي بِلَادِ الْهِنْدِ لِيَحْضُرُوا قِرَاءَهُ الْكِتَابِ . فَمَمَّا كَانَ
ذَلِكَ الْيَوْمُ أَمَرَ الْمَلِكَ أَنْ يُنْصَبَ لِيَدْبَأْ سَرِيرٌ مِثْلُ سَرِيرِهِ وَكَرَاسِيبِ
لِأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ وَالْعُلَمَاءِ وَأَنْفَدَ فَأَخْضَعَ . فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَامَ فَلَيْسَ
الثِّيَابَ أَنَّهِي كَانَ يَلْبِسُهَا إِذَا دَخَلَ عَلَى الْمُلُوكِ وَهِيَ الْمُسُوحُ السُّودُ وَحَمَلَ
الْكِتَابَ تَلْمِيذَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ وَثَبَ الْخَلَائِقُ يَاجْمَعُهُمْ وَقَامَ الْمَلِكُ
شَاكِرًا . فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ الْمَلِكِ كَفَرَ لَهُ وَسَجَدَ وَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ . قَالَ لَهُ الْمَلِكُ :
يَا يَابِدَ بَا أَرْفَعْ رَأْسَكَ فَإِنَّ هَذَا يَوْمُ هَنَاءِ وَفَرَحِ وَسُرُورٍ : وَأَمَّنْ أَنْ يَجْلِسَ .
فَجَئَنَ جَلَسَ لِقِرَاءَهُ الْكِتَابِ . سَأَلَهُ الْمَلِكُ عَنْ مَعْنَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوابِ
الْكِتَابِ وَإِلَيْهِ أَيِّ شَيْءٍ قَصَدَ فِيهِ . فَأَخْبَرَهُ بِغَرَضِهِ فِيهِ وَفِي كُلِّ بَابٍ . فَازْدَادَ

الْمَلِكُ مِنْهُ تَعْجِبًا - وَسُرُورًا فَقَالَ لَهُ: يَا يَدِيَا مَا عَدَوْتَ الَّذِي فِي نَفْسِي وَهَذَا
 الَّذِي كُنْتُ أَطْلُبُ فَأَطْلُبُ مَا شِئْتَ وَتَحْكُمْ: فَدَعَاهُ يَدِيَا بِالسَّعَادَةِ وَطُولِ
 الْجَنَاحِ وَقَالَ: أَيْهَا الْمَلِكُ أَمَّا الْمَالُ فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ، وَأَمَّا الْكُسوَةُ فَلَا أَخْنَثُ
 عَلَى لِيَاسِي هَذَا شَيْئًا وَلَسْتُ أَخْلِي الْمَلِكَ مِنْ حَاجَةٍ: قَالَ الْمَلِكُ: يَا يَدِيَا مَا
 حَاجَنِكَ، فَكُلُّ حَاجَةٍ لَكَ قَبْلَنَا مَقْضِيَةٌ، قَالَ: يَا مَرْأَتَ الْمَلِكِ أَنْ يُدْوِنَ كِتَابِي
 هَذَا كَمَا دَوَنَ أَبَاكُوهُ وَجَدَادَهُ كِتَبَهُمْ وَيَأْمُرُ يَا الْأَخْبَاطِ عَلَيْهِ، فَإِنِّي أَخَافُ
 أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ فَيَتَنَاهُ أَهْلُ فَارِسَ إِذَا عَلِمُوا بِهِ، فَلِيَأْمُرَ الْمَلِكُ
 أَنْ لَا يُخْرِجَ مِنْ بَيْتِ الْحِكْمَةِ: ثُمَّ دَعَ الْمَلِكَ بِتَلَامِذَتِهِ وَاحْسَنَ لَهُمْ أَجْوَازَهُ.
 ثُمَّ إِنَّهُ لَهَا مَلَكٌ كَسْرَى أَنُوشِروَانُ وَكَانَ مُسْتَبِشًا بِالْكُتُبِ وَالْعِلْمِ
 وَالْأَدَبِ وَالنَّظَرِ فِي أَخْبَارِ الْأَوَّلِيَّاتِ وَقَعَ لَهُ خَبْرُ الْكِتَابِ فَلَمْ يَقْرَأْ قَرَارَهُ
 حَتَّى بَعَثَ بُرْزُوِيَّهُ الْطَّيِّبَ حَتَّى أَخْرَجَهُ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ فَاقْتُلَ فِي
 خَرَائِنِ فَارِسَ



مِنْ كِتَابِ كَلِيلَةٍ وَدَمْنَةٍ

فِي بَعْثَةِ بُرْزُوِيَّةٍ إِلَى بَلَادِ الْهِنْدِ

وَقَدْ رَزَقَ اللَّهُ الْمَلِكَ السَّعِيدَ أَنُو شَرْقَانَ مِنَ الْعُقْلِ أَفْضَلَهُ وَمِنَ الْعِلْمِ
أَجْزَلَهُ وَمِنَ الْمُعْرِفَةِ بِالْأَمْوَارِ أَصْوَبَهَا وَسَدَّدَهُ مِنَ الْأَفْعَالِ أَسْدَهَا وَمِنَ
الْجُمْحَى عَنِ الْأُصُولِ وَالْفَرْوَعِ أَنْفَعَهُ وَبَلَغَهُ مِنْ فُنُونِ الْخِلَافِ الْعِلْمُ
وَبُلُوغُ مَنْزِلَةِ الْفَلْسَفَةِ مَا لَمْ يَبْلُغْهُ مَلِكُ قَطُّ مِنَ الْمُلُوكِ قَبْلَهُ. حَتَّى كَانَ فِي
مَا طَلَبَ وَبَحْثَ عَنْهُ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ بَلَغَهُ عَنْ كِتَابِ الْهِنْدِ عُلْمٌ أَنَّهُ أَصْلُ
كُلِّ أَدْبَرٍ وَرَأْسِ كُلِّ عِلْمٍ وَالدَّلِيلُ عَلَى كُلِّ مَنْفَعَةٍ. فَأَمَرَ الْمَلِكَ وَزِينَ
بُرْزُجَهُرَ أَنْ يَبْحَثَ لَهُ عَنْ رَجُلٍ أَدِيبٍ عَاقِلٍ مِنْ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ بَصِيرٍ
بِلِسَانٍ الْفَارِسِيَّةِ مَاهِرٍ فِي كَلَامِ الْهِنْدِ وَيَكُونُ يَلِيقًا بِاللِّسَانَيْنِ جَيْعًا. حَرِيصًا
عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ مُجْنَهِدًا فِي أَسْتِعْمَالِ الْأَدَبِ مُبَادِرًا فِي الْعِلْمِ وَابْحَثَ عَنْ
كُتُبِ الْفَلْسَفَةِ. فَأَتَاهُ بِرَجُلٍ أَدِيبٍ كَامِلِ الْعُقْلِ وَالْأَدَبِ مَعْرُوفٍ
بِصِنَاعَةِ الْطِبِّ مَاهِرٍ فِي الْفَارِسِيَّةِ وَالْهِنْدِيَّةِ يُقَالُ لَهُ بُرْزُوِيَّهُ
فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ كَفَرَ لَهُ وَسَجَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ. فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: يَا بُرْزُوِيَّهُ إِنِّي
قَدْ أَخْتَرْتُكَ يَا بَلَغَنِي مِنْ فَضْلِكَ وَعِلْمِكَ وَعَقْلِكَ وَحِرْصِكَ عَلَى طَلَبِ
الْعِلْمِ حَيْثُ كَانَ. وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ كِتَابِ الْهِنْدِ مَخْزُونٍ فِي خَزَائِنِهِمْ: وَفَصَّ
عَلَيْهِ مَا بَلَغَهُ عَنْهُ وَقَالَ لَهُ: تَجْهَزْ فَإِنِّي مُرْحَلُكَ إِلَى أَرْضِ الْهِنْدِ فَتَلَطَّ
بِعَقْلِكَ وَحَسْنِ أَدَبِكَ وَنَافِدِ رَأْيِكَ لِاسْتِخْرَاجِ هَذَا الْكِتَابِ مِنْ خَزَائِنِهِمْ
وَفَكِيلِ عُلَمَائِهِمْ فَتَسْتَفِيدَ مِنْ ذَلِكَ وَتُفَيَّدَنَا. وَمَا قَدِيرْتَ عَلَيْهِ مِنْ كُتُبٍ

الْهَنْدِ مَا لَيْسَ فِي خَزَائِنَنَا مِنْ شَيْءٍ فَاحْمِلْهُ مَعَكَ وَخُذْ مَعَكَ مِنَ الْمَالِ مَا
 تَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَعَجَلْ دَلِيلَ وَلَا تُقْصِرْ فِي طَلَبِ الْعُلُومِ . وَإِنْ أَكْثَرَتْ فِيهِ
 الْفَنَّةَ فَإِنَّ جَمِيعَ مَا فِي خَزَائِنِي مَبْدُولٌ لَكَ فِي طَلَبِ الْعُلُومِ : فَأَمْرِي بِاِحْضَارِ
 الْمُنْجَمِينَ فَأَخْنَارُوا لَهُ يَوْمًا يَسِيرُ فِيهِ وَسَاعَةً صَالِحَةً يَخْرُجُ فِيهَا
 وَحَمَلَ مَعَهُ مِنَ الْمَالِ عِشْرِينَ جِرَابًا كُلُّ جِرَابٍ فِيهِ عَشْرَةُ آلَافِ دِينَارٍ
 فَلَمَّا قَدِمَ بِرْزُوْبِهِ بِلَادِ الْهَنْدِ طَافَ بَيْابَانَ الْمَلِكِ وَمَجَالِسِ الْسُّوقَةِ وَسَالَ
 عَنْ خَوَاصِ الْمَلِكِ وَالْأَشْرَافِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْفَلَاسِفَةِ . فَجَعَلَ يَغْشَاهُ فِي
 مَنَازِلِهِمْ وَيَتَلَاقَهُمْ بِالْحَيَّةِ وَيُخَيِّرُهُمْ بِأَنَّهُ رَجُلٌ غَرِيبٌ قَدِمَ بِلَادَهُمْ لِطَلَبِ
 الْعُلُومِ وَالْأَدَبِ . وَإِنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى مُعَاوِنَتِهِمْ فِي ذَلِيلِهِ . فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ
 زَمَانًا طَوِيلًا يَتَادُّ بِعَنْ عُلَمَاءِ الْهَنْدِ بِمَا هُوَ عَالِمٌ بِهِ وَكَانَ لَا يَعْلَمُ
 مِنْهُ شَيْئًا وَهُوَ فِي مَا يَعْنَى ذَلِيلَ يَسْتَرِّ بِغُيَّبَتِهِ وَحَاجَتُهُ وَأَتَخَذَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ
 لِطُولِ مُقَامِهِ أَصْدِيقَةَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْأَشْرَافِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْفَلَاسِفَةِ وَالْسُّوقَةِ
 وَمِنْ أَهْلِ كُلِّ طَبَقَةِ وَصِنَاعَةِ . وَكَانَ قَدِ أَتَخَذَ مِنْ يَنِّ أَصْدِيقَتِهِ رَجُلًا
 وَاحِدًا قَدِ أَتَخَذَ لِسِنَّ وَمَا يَحْبُبُ مُشَاوِرَتُهُ فِيهِ لِلَّذِي يَظْهَرُ لَهُ مِنْ فَضْلِهِ
 وَأَدِيهِ وَأَسْتَبَانَ لَهُ صِحَّةُ إِخَائِهِ وَكَانَ يُشَاوِرُهُ فِي الْأُمُورِ وَيَرْتَاجُ إِلَيْهِ فِي
 جَمِيعِ مَا أَهْمَهُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَكُونُ مِنْهُ الْأَمْرُ الَّذِي قَدِمَ مِنْ أَجْلِهِ لِكَبِيْرِ
 يَمْلُوْ وَيَخْتَبِيْ وَيَنْظَرُ هَلْ هُوَ أَهْلُ أَنْ يُطْلَعَ عَلَى سِرِّيْ

فَقَالَ لَهُ يَوْمًا وَهَا جَالِسًا : يَا أَخِي مَا أَرِيدُ أَنْ أَكْتُمَكَ مِنْ أَمْرِي فَوَقَّ
 الَّذِي كَتَمْتَكَ . فَأَعْلَمُ أَنِّي لِأَمْرٍ قَدِمْتُ وَهُوَ غَيْرُ الَّذِي يَظْهَرُ مِنْهُ وَالْعَاقِلُ
 يَكْتَفِي مِنَ الرَّجُلِ بِالْعَلَامَاتِ مِنْ نَظَرِهِ حَتَّى يَعْلَمَ سِرَّ نَفْسِهِ وَمَا يُضِيرُ قُلْبَهُ

عليه. قال له الهندى : إني وإن لم أكن بدأتك وأخبرتك بما جئت به
 وآياته ترید وآنك تکم أمراً تطلبه وتنظير عين. فما خفي على ذلك منك
 ولكن لرغبي في إخائلك كرهت أن أواجهك به وأنه قد أستبان ما
 تخفيه مني . فاما إذ قد أظهرت ذلك وافتتحت به وبالكلام فيه فإنني
 مخبرك عن نفسك ومظاهر لك سريرتك وعلمك بحالك التي قدمت
 لها بالادنا لسلبنا كنوزنا النفسية فتدبره بها إلى بلادك وتسر بها
 ملوك و كان قدوتك بالله و الخداعة . ولكن ليها رأي صدرك
 ومواطبك على طلب حاجتك وتحفظ من أن يسقط منك الكلام مع
 طول مكثك عندنا بشيء يستدل به على سريرتك وأمورك آزادت
 رغبة في إخائك وثقة بعقلك فاحببت موذتك . فإنني لم أر في
 الرجال رجالاً هو أحسن منك عقلاً ولا أحسن أدباً ولا أصبر على طلب
 العلم ولا أكتم لسره منك ولا سمعاً في بلاد غربة ومملكة غير مملكتك
 وعند قوم لا تعرف سنتهم . وإن عقل الرجل ليس في ثباتي خصال
 الأولى منها الرفق . والثانية أن يعرف الرجل نفسه فيحفظها . والثالثة
 طاعة الملوك والحربي لما يرضيه . والرابعة معرفة الرجل موضع سرمه
 وكيف ينبغي أن يطلع عليه صديقه . والخامسة أن يكون على أبواب
 الملوك أديباً ملقي اللسان . وال السادسة أن يكون لسره وسره غير حافظاً .
 والسابعة أن يكون على لسانه قادرًا فلا يتكلم إلا بما يأمن تبعته . والثامنة
 أن يكون بالحفل لا يتكلم إلا بما يسأل عنه . فمن أجمعوا فيه هذه
 الخصال كان هو الداعي الحبر إلى نفسه وهذه الخصال كلها قد أجمعوا

فِيْكَ وَبَانَتْ لِيْ مِنْكَ . فَاللَّهُ تَعَالَى يَحْفَظُكَ وَيُعِينُكَ عَلَى مَا قَدِمْتَ لَهُ
 فَمُصَادَقَتَكَ إِيَّا يَ لَتَسْلِيْنِي كَثْرِي وَخَرِي وَعِلْيِي . فَإِنَّكَ أَهْلٌ لَّا نَتُسْعَفَ
 بِحَاجَتِكَ وَتُشْفَعَ بِطَلْبَتِكَ وَتُعَطَى سُوْلَكَ
 فَقَالَ لَهُ بُرْزُوْيِهِ : إِنِّي قَدْ كُنْتُ هَيَّاتُ كَلَامًا كَثِيرًا وَشَعْبَتُ لَهُ شُعُورًا
 وَأَنْشَاتُ لَهُ أَصُولًا وَطَرْقًا . فَلَمَّا أَنْهَيْتُ إِلَى مَا بَدَأْتُ بِهِ مِنْ اطْلَاعِكَ عَلَى
 أَمْرِي وَالَّذِي قَدِمْتَ لَهُ وَالْقِيَّةَ عَلَى مِنْ ذَاتِ نَفْسِكَ وَرَغْبَتِكَ فِي مَا أَلْفَيْتَ
 مِنَ الْقَوْلِ اكْتَفَيْتُ بِالْيَسِيرِ مِنَ الْخُطَابِ مَعَكَ وَعَرَفْتُ الْكَبِيرَ مِنْ
 أُمُورِي بِالصَّغِيرِ مِنَ الْكَلَامِ وَفَتَصَرَّتُ بِهِ مَعَكَ عَلَى الْإِيجَازِ وَرَأَيْتُ مِنْ
 إِسْعَافِكَ إِيَّا يَ حَاجَنِي مَا دَلَّنِي عَلَى كَرْمِكَ وَحُسْنِ وَفَائِكَ . فَإِنَّ الْكَلَامَ إِذَا
 أَلْقَيْتَ إِلَى الْفِلَسُوفِ وَالسِّرِّ إِذَا أَسْتُوْدَعَ إِلَى الْلَّيِّبِ الْحَافِظِ فَقَدْ حُصِّنَ
 وَبُلَغَ بِهِ نَهَايَةً أَمْلِ صَاحِبِهِ كَمَا يُحْصِنُ الْقَيْمَ الْفَيْسُ فِي الْقِلَاعِ الْحَصِينَةِ :
 قَالَ الْهِنْدِيُّ : لَا شَيْءٌ أَفْضَلُ مِنَ الْمَوْدَةِ وَمَنْ خَلَصَتْ مَوْدَتُهُ كَانَ أَهْلًا
 أَنْ يَخْلُطَهُ الرَّجُلُ بِنَفْسِهِ وَلَا يَذْخَرُ عَنْهُ شَيْئًا وَلَا يَكْتُمُهُ سِرًا . فَإِنَّ حِفْظَ
 السِّرِّ رَأْسُ الْأَدَبِ فَإِذَا كَانَ السِّرُّ عِنْدَ الْأَمِينِ الْكُتُومِ فَقَدْ أَحْتَرَزَ مِنَ
 التَّضْيِيعِ مَعَ أَنَّهُ خَلِيقٌ أَنْ لَا يَتَكَلَّمْ بِهِ وَلَا يَتَمَسَّ سِرِّيْنَ أَشْتَنِينَ قَدْ عَلِمَهُ
 وَتَفَاؤَضَاهُ . فَإِذَا تَكَلَّمَ بِالسِّرِّ أَشْتَانِ فَلَا بُدَّ مِنْ ثَالِثٍ مِنْ جِهَةِ أَحَدِهِ أَوْ
 مِنْ جِهَةِ الْآخِرِ فَإِذَا صَارَ إِلَى الْثَّلَاثَةِ فَقَدْ شَاعَ وَذَاعَ حَتَّى لَا يَسْتَطِعَ
 صَاحِبُهُ أَنْ يَحْجَبَهُ وَيُكَابِرَ عَنْهُ كَالْغَيْمِ إِذَا كَانَ مُنْقَطِعًا فِي السَّمَاءِ . فَقَالَ
 قَائِلٌ غَيْرُهُ مُنْقَطِعٌ لَا يُقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ . وَأَنَا فَقَدْ يُدَخِّلُنِي مِنْ مَوْدَتِكَ
 وَخُلُطِتِكَ سُرُورٌ لَا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ . وَهَذَا الْأَمْرُ الَّذِي تَصْلُبُهُ مِنِّيْ أَعْلَمُ أَنَّهُ

مِنَ الْأَسْرَارِ الَّتِي لَا تُكْمِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَفْشُو وَيَظْهُرَ حَتَّى يَتَحَدَّثَ بِهِ النَّاسُ .
فَإِذَا فَشَافَ قَدْ سَعَيْتُ فِي هَلَّا كِي هَلَّا كِي لَا أَقْدِرُ عَلَى الْفِدَاءِ مِنْهُ بِالْمَالِ وَإِنْ
كَثُرَ . لَأَرَ مَلِكًا فَظُ غَلِيلًا يُعَاقِبُ عَلَى الذَّنْبِ الصَّغِيرِ أَشَدَّ الْعِقَابِ
فَكِيفَ مِثْلُ هَذَا الذَّنْبِ الْعَظِيمِ وَإِذَا حَمَلْتِنِي الْمَوْدَةُ الَّتِي يُبَيِّنُ وَيَنْكِ
فَأَسْعِنْتُكَ بِحَاجَنِكَ لَمْ يَرُدَّ عِقَابَهُ عَنِّي شَيْءٌ

قَالَ بُرْزُوِيَّهُ : إِنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ مَدَحَتِ الْصَّدِيقَ إِذَا كَنَّ سِرَّ صَدِيقِهِ
وَعَانَهُ عَلَى الْفَوْزِ وَهَذَا الْأَمْرُ الَّذِي يَقْدِمُ لَهُ لِمِثْلِكَ دَخْرُتُهُ وَبِكَ
أَرْجُو بُلُوغَهُ وَأَنَا وَاثِقٌ بِكَرَمِ طَبَاعِكَ وَوُفُورِ عَقْلِكَ وَأَعْلَمُ أَنْكَ لَا تَخْشَى
مِنِي وَلَا تَخَافُ أَنْ أُبْدِيَهُ بَلْ تَخْشَى أَهْلَ بَيْتِكَ الْطَّاغِيْنَ بِكَ وَبِالْمَلِكِ أَنْ
يَسْعَوا بِكَ . وَأَنَا أَرْجُو أَنْ لَا يَشْيَعَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ لِأَنِّي أَنَا ظَاعِنٌ
فَأَنَّتِ مُقِيمٌ وَمَا أَقْمَتُ فَلَا ثَالِثٌ يَنْتَنِي . فَتَعَاهَدَا عَلَى هَذَا جِيمِعًا : فَاجَابَهُ
الْهِنْدِيُّ إِلَى ذِلِكَ الْكِتَابِ وَإِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ فَأَكَبَ عَلَى تَقْسِيمِ
وَنَقْلِهِ مِنَ الْلِسَانِ الْهِنْدِيِّ إِلَى الْلِسَانِ الْفَارِسِيِّ وَأَتَعَبَ نَفْسَهُ وَأَنْصَبَ بَدْنَهُ
لَيَلَالَ وَنَهَارًا وَهُوَ مَعَ ذِلِكَ وَجْلًا وَفَرْزَعًا مِنْ مَلِكِ الْهِنْدِ خَائِفًا عَلَى نَفْسِهِ
مِنْ أَنْ يَذْكُرَ الْمَلِكُ الْكِتَابَ فِي وَقْتٍ وَلَا يُصَادِفُهُ فِي حِزَانَتِهِ

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ أَنْتِسَاخِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِ حِمَارَادَ مِنْ سَائِرِ الْكُتُبِ كَتَبَ
إِلَى أَنُو شِيرَوَانَ يُعْلِمُهُ بِذِلِكَ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ الْكِتَابُ سَرَّ بِذِلِكَ سُرُورًا
شَدِيدًا . ثُمَّ تَخَوَّفَ مُعَاجَلَةَ الْمَقَادِيرِ أَنْ تُنْعَصَ عَلَيْهِ فَرَحَهُ فَكَتَبَ إِلَى بُرْزُوِيَّهُ
يَأْمُرُ بِتَعْجِيلِ الْقُدُومِ . فَسَارَ بُرْزُوِيَّهُ مُتَوَجِّهًا تَحْوِيْكَسَرِيَ . فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ
مَا قَدْ مَسَهُ مِنَ الشُّوبِ وَالْتَّعَبِ وَالنَّصَبِ قَالَ لَهُ : أَيْهَا الْعَبْدُ الْنَّاصِحُ

الَّذِي يَأْكُلُ ثُنَقَ مَا قَدْ عَرَسَ أَبْشِرْ وَقَرَ عَيْنَانِي مُشَرِّفَكَ بَالْغُ بَكَ
 أَفْضَلَ دَرَجَةً : وَأَمْرَ أَنْ يُرِجَ بَدْنَه سَبْعَةً أَيَّامٍ
 فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ السَّابِعُ أَمْرَ الْمَلِكُ أَنْ يَجْتَبِعَ إِلَيْهِ الْأَمْرَاءَ وَالْعُلَمَاءَ . فَلَمَّا
 أَجْتَبَوْهُ أَمْرَ بُرْزُوِيَّه بِالْحُضُورِ فَخَضَرَ وَمَعَهُ الْكُتُبُ فَفَتَحَهَا وَقَرَاهَا عَلَى مَنْ
 حَضَرَ مِنْ أَهْلِ الْمِلَكَةِ . فَلَمَّا سَمِعُوا مَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ فَرَحُوا فَرَحًا شَدِيدًا
 وَشَكَرُوا اللَّهَ عَلَى مَارِزَقِهِ وَمَدَحُوا بُرْزُوِيَّه وَأَثْنَوْا عَلَيْهِ وَأَمْرَ الْمَلِكُ أَنْ
 تُفْتَحْ لِبُرْزُوِيَّه خَزَائِنُ الْلُّولُوِّ وَالْزَّبْرَجَدِ وَالْيَاقُوتِ وَالْدَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَأَمْرَ
 أَنْ يَأْخُذَ مِنْ الْخَزَائِنِ مَا شَاءَ مِنْ مَالٍ وَكُسُوفَةٍ وَقَالَ : يَا بُرْزُوِيَّه إِنِّي قَدْ
 أَمْرَتُ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى مِثْلِ سَرِيرِي هَذَا وَتَلْبَسَ تَاجًا وَتَرَأْسَ عَلَى جَمِيعِ
 الْأَشْرَافِ : فَسَجَدَ بُرْزُوِيَّه لِلْمَلِكِ وَدَعَاهُ وَطَلَبَ مِنَ اللَّهِ وَقَالَ : أَكْرَمْ اللَّهُ
 تَعَالَى الْمَلِكَ كَرَامَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاحْسَنْ عَنِ تَوَابَةٍ وَجَزَاءً . فِي نَحْيَهِ
 اللَّهِ مُسْتَغْنٌ عَنِ الْمَالِ بِمَارِزَقِي اللَّهِ عَلَى يَدِ الْمَلِكِ الْسَّعِيدِ الْمَجِدِ الْعَظِيمِ
 الْمَلِكِ وَلَا حَاجَةَ لِي بِالْمَالِ . لِكِنْ لَمَّا كَلَّفَنِي ذَلِكَ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ بِسْرِهِ أَنْ
 أَمْضِيَ إِلَى الْخَزَائِنِ فَأَخَذَ مِنْهَا طَلَبًا لِمَرْضَاتِهِ وَأَمْتَثَلَ لِأَمْرِي : ثُمَّ قَصَدَ
 خَزَانَةَ الْثِيَابِ فَأَخَذَ مِنْهَا ثِيَابًا مِنْ طَرَائِفِ خُرَاسَانَ وَمِنْ مَلَابِسِ الْمُلُوكِ
 فَلَمَّا قَبَضَ بُرْزُوِيَّه مَا أَخْتَارَه وَرَضِيَّه مِنَ الْثِيَابِ قَالَ : أَكْرَمْ اللَّهُ الْمَلِكَ
 وَمَدَّ فِي عُمْنِ أَبَدَ الْأَبَدِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَكْرَمَ وَجَبَ عَلَيْهِ الشُّكْرُ فَإِنَّ
 كَانَ قَدِ اسْتَوْجَبَه تَعَبًا وَمَشْقَةً فَقَدْ كَانَ فِيهِ لِإِرْضَاعِ الْمَلِكِ . وَأَمَّا أَنَا فَمَا
 لَقِيتُهُ مِنْ عَنَاءً وَتَعَبًّا وَمَشْقَةً لِمَا أَعْلَمَ أَنَّ لَكُمْ فِيهِ الشُّرُفَ يَا أَهْلَهَ هَذَا
 الْبَيْتِ فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ تَابِعًا رِضَامِكُمْ أَرَى الْعُسِيرَ فِيهِ بَسِيرًا

وَالشَّاقُ هِنَا وَالنَّصَبُ وَالاَذَى سُرُورًا وَلَذَةً لِمَا اعْلَمُ اَنَّ لَكُمْ فِي وِرْضَى
وَقُرْبَةً عِنْدَكُمْ وَلَكُنِي اَسَا لَكَ اَهْبَاهَا الْمَلِكُ حَاجَةً تُسْعِفُنِي بِهَا وَتُعَظِّبُنِي فِيهَا
سُؤْلِي فَإِنَّ حَاجَتِي يَسِيرَةً وَفِي قَضَائِهَا فَائِدَةٌ كَثِيرَةٌ : قَالَ اَنُو شَرْقَانُ :
فَكُلُّ حَاجَةٍ لَكَ قِبَلَنَا مُقْضِيَةٌ فَإِنَّكَ عِنْدَنَا عَظِيمٌ وَلَوْ طَلَبْتَ مُشَارِكَتَنَا فِي
مُلْكِنَا لَفَعْلَنَا وَمَمْرَدَ طَلَبَتَكَ فَكِيفَ مَا سَوَى ذَلِكَ فَقُلْ . وَلَا تَخْشِمْ فَإِنَّ
الْأُمُورَ كُلَّهَا مَبْدُولَةٌ لَكَ

قَالَ بُرْزُوِيَّهُ : اَهْبَاهَا الْمَلِكُ لَا تَنْتَرِرُ إِلَى عَنَائِي فِي رِضَاكَ وَانْكَاشِي فِي
طَاعِنَكَ . فَإِنَّمَا اَنَا عَبْدُكَ يَلْزَمُنِي بَدْلُ مُهْبَتِي فِي رِضَاكَ وَلَوْمَ تَجْزِيَنِي لَمْ
يُكُنْ ذَلِكَ عِنْدِي عَظِيمًا وَلَا وَاجِبًا عَلَى الْمَلِكِ . وَلَكِنْ لِكَرْمِهِ وَشَرَفِ
مَنْصِبِهِ عَمَدَ إِلَى مُحَازَانِي وَخَصْبِي وَأَهْلِي بِيُتِي بِعُلوِ الْمَرْتَبَةِ وَرَفْعِ الدَّرَجَةِ
حَتَّى لَوْ قَدَرَ اَنْ يَجْمِعَ لَنَا بَيْنَ شَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَفَعَلَ فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا
أَفْضَلَ الْمُجَزَّاَتِ : قَالَ اَنُو شَرْقَانُ : اذْكُرْ حَاجَنَكَ فَعَلَيَّ مَا يَسُرُكَ : فَقَالَ
بُرْزُوِيَّهُ : حَاجَتِي اَنْ يَأْمُرَ الْمَلِكُ اَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَزَيْنَ بَزْرَ جَهَرَ بْنَ
الْمُخْتَكَانِ وَيُقْسِمَ عَلَيْهِ اَنْ يُعْمِلَ فِكْرُهُ وَيَجْمِعَ رَأْيَهُ وَيَجْهَدَ طَافَتَهُ وَيُفْرِغَ
فَلَبْهُ فِي نَظْمٍ تَالِفِ كَلَامٍ مُنْفَعِنِ حُكْمٍ وَيَجْعَلُهُ بَابًا يَذْكُرُ فِيهِ اَمْرِي وَيَصْفِ
حَالِي وَلَا يَدْعُ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي ذَلِكَ اَقْصَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَيَأْمُنُ اِذَا
أَسْتَمَ اَنْ يَجْعَلَهُ اُولَى الْأَبْوَابِ اَلَّتِي تُقْرَأُ قَبْلَ بَابِ الْاَسَدِ وَالثُّورِ . فَإِنَّ
الْمَلِكَ اِذَا فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ بَلَغَ بِي وَبِاهْلِي غَايَةَ الشَّرَفِ وَأَعْلَى الْمَرَاتِبِ وَأَبْقَى
لَنَامًا لَا يَزَالُ ذِكْرُهُ بَاقِيًّا عَلَى الْاَبَدِ حِينَما قُرِئَ هَذَا الْكِتَابُ
فَلَمَّا سَمِعَ كِسْرَى اَنُو شَرْقَانَ وَالْعَظِيمَ اَمْقَالَنَهُ وَمَا سَمِعَتْ اِلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْ

مَحْبَّة إِبْقَاء الْذِكْر وَسَخْسَنُ طَلَبَتَهُ وَأَخْيَارَهُ قَالَ كِسْرَى: حُبَا وَكَرَامَة لَكَ
 يَا بُرْزُوِيَّة إِنَّكَ لَأَهْلٌ أَنْ تُسْعَفَ بِحَاجَتِكَ فَإِنَّكَ أَقْلَى مَا فِي نَعْتَ بِهِ وَأَيْسَرَ
 عِنْدَنَا وَإِنَّكَ كَانَ خَطْرُونَ عِنْدَكَ عَظِيمًا: ثُمَّ أَقْبَلَ أُنُوشِيرَانُ عَلَى وَزِينَ
 بِزَرْ جَهْرَ . فَقَالَ لَهُ: قَدْ عَرَفْتَ مُنَاصَحَة بُرْزُوِيَّة لَنَا وَجَشْمَهُ الْخَافِرَ
 وَالْمَهْلَكَ فِي مَا يُقْرِبُهُ مِنَّا وَإِنْعَابَهُ بَدَنَهُ فِي مَا يُسْرَنَا وَمَا أَتَى بِهِ إِلَيْنَا مِنَ
 الْمَعْرُوفِ وَمَا أَفَادَنَا اللَّهُ عَلَى يَدِكَ مِنْ أَنْجُوكَمَةَ وَالْأَدَبِ الْبَاقِي لَنَا فَخَرُونَ وَمَا
 عَرَضْنَا عَلَيْهِ مِنْ خَرَائِنَا لِنَجْرِيَهُ بِذِلِّكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ . فَلَمَّا تَمِلَّ نَفْسُهُ إِلَى
 شَيْءٍ مِنْ ذِلِّكَ وَكَانَ بِغَيْرِهِ وَطَلَبَتَهُ مِنَّا أَمْرًا يُسِيرَارًا هُوَ الشَّوَّابُ مِنْ لَهُ
 وَالْكَرَامَةُ الْجَلِيلَةُ عِنْدَهُ . فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي ذِلِّكَ وَتُسْعِفَهُ بِحَاجَتِهِ
 وَطَلَبَتِهِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ ذِلِّكَ مِمَّا يُسْرِنِي وَلَا تَدْعُ شَيْئًا مِنْ أَلْجِنَهَا دِيَ وَالْبِالَّغَةِ
 لَا بَلْغَتَهُ وَإِنَّ نَالَتَكَ فِيهِ مَشَقَّةٌ وَهُوَ أَنْ تَكْتُبَ بَابًا مُضَارِعًا بِذِلِّكَ أَلَا بَوَابَ
 الْأَتَى فِي الْكِتَابِ وَنَذْكُر فِيهِ فَضْلَ بُرْزُوِيَّهُ وَكِيفَ كَانَ أَنْتَدَاءً أَمِنَ وَشَانِهُ
 وَتَسْبِبَةُ إِلَيْهِ وَإِلَى حَسَبِهِ وَصِنَاعَتِهِ وَنَذْكُر فِيهِ بَعْثَتَهُ إِلَى بِلَادِ الْهِنْدِ فِي
 حَاجَنَاهَا وَمَا أَفِدْنَا عَلَى يَدِكَ مِنْ هُنَاكَ وَشُرِّفْنَا بِهِ وَفُضِّلْنَا عَلَى عَبْرِنَا وَكِيفَ
 كَانَ حَالُ بُرْزُوِيَّهُ وَقُدُومُهُ مِنْ بِلَادِ الْهِنْدِ . فَقُلْ: مَا نَفْدُرُ عَلَيْهِ مِنَ
 الْتَّقْرِيبِ وَالْإِطْنَابِ فِي مَدْحِهِ وَبَالْغِي فِي ذِلِّكَ أَفْضَلُ الْبِالَّغَةِ وَاجْتَهَدَ فِي
 ذِلِّكَ أَجْنَهَا دِا يُسْرُ بُرْزُوِيَّهُ وَأَهْلَ الْمَلَكَةِ . فَإِنَّ بُرْزُوِيَّهُ أَهْلُ ذِلِّكَ
 مِنِّي وَمِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْمَلَكَةِ وَمِنْكَ أَيْضًا لِحَجَّتِكَ لِلْعِلُومِ: وَاجْهَدْ أَنْ
 يَكُونَ غَرْضُ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَى بُرْزُوِيَّهُ أَفْضَلُ مِنْ أَغْرَاضِ
 ذِلِّكَ أَلَا بَوَابِ عِنْدَ الْخَاصِ وَالْعَامِ وَأَشَدَّ مُشَاهِدَةً بِحَالِ هَذَا الْعِلْمِ: فَإِنَّكَ

أَسْعَدَ النَّاسَ كِلَّمٌ بِذِلِّكَ لَا نَفِرَادِكَ بِهَذَا الْكِتَابِ وَجَعَلَهُ أَوَّلَ الْأَبْوَابِ
 فَإِنَّا أَنْتَ عَلَيْنَا وَوَضَعْتَنَا فِي مَوْضِعِنَا فَاعْلَمْنِي لَاجْعَلْ أَهْلَ الْمُلْكَةِ وَنَقْرَأَهُ
 عَلَيْمٌ فَيَظْهَرَ فَضْلُكَ وَاجْتِهَادُكَ فِي مَحْبِبِنَا فَيَكُونَ لَكَ بِذِلِّكَ فَخَرْ
 فَلَمَّا سَعَ بُزُورُ جَهْرٍ مَقَالَةَ الْمَلِكِ خَرَّلَهُ سَاجِدًا وَقَالَ: أَدَمَ اللَّهُ لَكَ أَبْهَا
 الْمَلِكُ الْبَقَاءَ وَبَلَغَكَ أَفْضَلَ مَنَازِلِ الصَّالِحِينَ فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى لَقْدُ
 شَرَفَتِنِي بِذِلِّكَ شَرْفًا بَاقِيًّا إِلَى الْآبَدِ: ثُمَّ حَرَجَ بُزُورُ جَهْرٍ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ
 فَوَصَّفَ بُزُورُ يَهِ مِنْ أَوْلَى يَوْمٍ دَفْعَهُ أَبْوَاهُ إِلَى الْمُعْلَمِ وَمَضَيْهُ إِلَى يَلَادِ
 الْهِنْدِ فِي طَلَبِ الْعَقَافِيرِ وَالْأَدْوِيَةِ وَكَفَ تَعْلُمُ خُطُوطِهِمْ وَلُغْتِهِمْ إِلَى أَنْ
 بَعْثَةُ نُوشِيرَوَانُ إِلَى الْهِنْدِ فِي طَلَبِ الْكِتَابِ وَلَمْ يَدْعُ مِنْ فَضَائِلِ بُزُورِ يَهِ
 وَحِكْمَتِهِ وَخَلَائِقِهِ وَمَدَهِيهِ أَمْرًا إِلَّا وَنَسَفَهُ وَلَنِي بِهِ يَأْجُودُ مَا يَكُونُ مِنَ
 الشَّرِّ: ثُمَّ أَعْلَمَ الْمَلِكَ بِفَرَاغِهِ مِنْهُ: فَجَمِعَ نُوشِيرَوَانُ أَشْرَافَ قَوْمِهِ وَأَهْلَ
 سَمَلَكِتِهِ وَأَدْخَلَمُ إِلَيْهِ وَأَمْرَ بُزُورِ جَهْرٍ بِقِرَاءَةِ الْكِتَابِ وَبُزُورُ يَهِ قَائِمٌ إِلَى
 جَانِبِ بُزُورِ جَهْرٍ وَأَبْتَدَأَ بِوَصْفِ بُزُورِ يَهِ حَتَّى أَنْتَوْنَ إِلَى آخِرِهِ: فَفَرَحَ
 الْمَلِكُ بِهَا أَتَى بِهِ بُزُورُ جَهْرٍ مِنْ أَحْكَمَةِ وَالْعِلْمِ: ثُمَّ أَتَى الْمَلِكُ وَجَمِيعُ مَنْ
 حَضَرَ عَلَى بُزُورِ جَهْرٍ وَشَكَرُوهُ وَمَدَحُوهُ وَأَمْرَ لَهُ الْمَلِكُ بِهَا لِجَزِيلٍ وَكُسُوةٍ
 وَحُلُلٍ وَأَوْانٍ: فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ ذِلِّكَ شَيْئًا غَيْرَ كُسُوةٍ كَانَتْ مِنْ ثِيَابِ
 الْمُلُوكِ: ثُمَّ شَكَرَ لَهُ ذِلِّكَ بُزُورُ يَهِ وَقَبَلَ رَأْسَهُ وَيَدَهُ وَأَقْبَلَ بُزُورُ يَهِ عَلَى
 الْمَلِكِ وَقَالَ: أَدَمَ اللَّهُ لَكَ الْمَلِكَ وَالسَّعَادَةَ فَنَدَّ بَلَغَتَ يَهِ وَبِأَهْلِي غَايَةَ
 الْفَرَفِ بِمَا أَمْرَتَ يَهِ بُزُورُ جَهْرٍ مِنْ صَنْعَةِ الْكِتَابِ فِي أَمْرِي وَبِقَاءِ ذِكْرِي

مِنْ تَارِيخِ الْمُلُوكِ وَأَعْمَالِهِمْ
وَالْكَائِنِ الَّذِي كَانَ فِي زَمَنٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
تَأْلِيفٌ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدٍ بْنِ جَرِيرٍ بْنِ يَزِيدَ الطَّبَرِيِّ

فِي افْتِتاحِ الشَّامِ

مَعْرَكَةُ الْوَاقُوصِيةِ

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِّيِّ عَنْ سَعِيبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ مُبَشِّرٍ وَسَهْلٍ وَأَبِي عُثْمَانَ عَنْ
خَالِدٍ وَعِبَادَةَ وَأَبِي حَارِثَةَ قَالُوا وَأَوْعَبَ الْقُوَادِ بِالنَّاسِ نَحْوَ الشَّامِ وَعَكْرِمَةُ
رِدْغَةُ لِلنَّاسِ وَبَلَغَ الْرَّوْمَ دُلَّكَ فَكَتَبُوا إِلَى هِرَقْلَ وَخَرَجَ هِرَقْلُ حَتَّى
يَتَرَلَ بِجَمِيعِهِ فَأَعْدَدَ لَهُمُ الْجَنُودَ وَعَيْنَاهُمُ الْعَسَاكِرُ فَارَادَ أَشْتِغَالَ بَعْضِهِمْ
بَعْضٍ عَنْ بَعْضٍ لِكُنْتِهِ جُنُدٌ وَفُضُولٌ رِجَالٌ وَأَرْسَلَ إِلَى عَمِرٍ وَأَخَاهُ
تَدَارِقَ لِأَيْهِ وَأَمِهِ فَخَرَجَ نَحْوَهُمْ فِي تِسْعِينَ الْفَآ وَبَعْثَ مَنْ يَسُوقُهُمْ حَتَّى
نَزَلَ صَاحِبُ الْسَّاقِةِ شَيْءَ حَلْقَ يَاعَلَى فِلَسْطِينَ وَبَعْثَ جَرَجَةَ بْنَ نُوَدَّرَا
نَحْوَ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سَفِينَ فَعَسَكَرَ بِإِيَازَائِهِ وَبَعْثَ الدَّرَاقِصَ فَاسْتَقْبَلَ
شُرَحِيلَ بْنَ حَسَنَةَ وَبَعْثَ الْقِيقَارَ بْنَ نَسْطُوسَ فِي سِتِّينَ الْفَآ نَحْوَ أَبِي
عَيْنَةِ فَهَا هُمُ الْمُسْلِمُونَ وَجَيْعُ فَرَقِ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدٌ وَعِشْرُونَ الْفَآ سَوَى
عَكْرِمَةَ فِي سِتَّةِ أَلَافٍ فَفَرَغُوا جَمِيعًا بِالْكُتُبِ وَبِالرُّسُلِ إِلَى عَمِرِهِ أَنْ مَا
الرَّأِيُ وَكَاتِبُهُمْ وَرَاسِلُهُمْ أَنَّ الرَّأِيَ الْأَجْمَعَاعُ وَدُلَّكَ أَنَّ مِثْلَنَا إِذَا أَجْتَمَعَنَا مَمْ
نُغلَبُ مِنْ فِلَةٍ وَإِذَا نَحْنُ نَغْلَبُهُمْ لَمْ يَقُلْ الرَّجُلُ مِنَّا فِي عَدَدٍ يُفْرِرُ فِيهِ لِأَحَدٍ

مِنْ أَسْتَقْبَلَهُ. وَأَعْدَدَ لَنَا لِكُلِّ طَائِفَةً مِنَ جِنَدًا فَأَتَعْدُوا الْيَرْمُوكَ لِيَحْتَمِلُوا
 بِهِ. وَقَدْ كَتَبَ إِلَى أَيِّ بَكْرٍ يَمْشِلُ مَا كَاتَبَا يَهُ عَمِرًا فَطَلَعَ عَلَيْهِمْ كِتَابُهُ يَمْشِلُ
 رَأْيِ عَمِرٍ وَبَلَغَ ذَلِكَ هِرَقْلَ فَكَتَبَ إِلَى بَطَارِقَتِهِ أَنْ أَجْتَمِعُوا لَهُ فَأَنْزَلُوا
 بِالرُّومِ مَنْزِلًا وَاسِعًا لِلْعُطَنِ وَاسِعًا لِلْمَطْرَدِ ضَيْقَ الْمَهَرَبِ. وَعَلَى النَّاسِ
 الْتَّذَارِقُ وَعَلَى الْمُقدَّمَةِ جَرَجَةٌ وَعَلَى مُجْنِبَتِهِ بَاهَانُ وَالدَّرَاقِصُ وَعَلَى الْمُخْرَبِ
 قِيقَارُ وَقَالَ أَبْشِرُوا فَإِنَّ بَاهَانَ فِي الْأَثْرِ حُمَّدًا لَكُمْ. فَفَعَلُوا فَنَزَلُوا الْوَاقُوصَةَ
 وَهُوَ عَلَى ضَفَّةِ الْيَرْمُوكِ وَصَارَ الْوَادِي خَنْدَقًا لَهُ وَهُوَ لَهُبٌ لَا يُدْرِكُ. وَإِنَّمَا
 أَرَادَ بَاهَانَ وَاصْحَابَهُ أَنْ يَسْتَشِبَّهُوا بِالرُّومِ وَيَأْسُوا بِالْمُسْلِمِينَ وَتَرَجَّعَ إِلَيْهِمْ
 أَقْيَدُوهُمْ عَنْ طَيْرِهِمَا. وَأَنْتَلَ الْمُسْلِمُونَ عَنْ عَسْكَرِهِمْ الَّذِي أَجْتَمَعُوا فِيهِ
 فَنَزَلُوا عَلَيْهِمْ بِمَجْدِ أَئِمَّمٍ عَلَى طَرِيقِهِمْ وَلَيْسَ لِلرُّومِ طَرِيقٌ إِلَّا عَلَيْهِمْ. فَقَالَ
 عَمِرُ: أَهُمْ النَّاسُ أَبْشِرُوا حُصْرَتِ الرُّومُ وَاللَّهُ وَقَلَّ مَا جَاءَ مَحْصُورٌ
 بِمُجْنِبِهِ. فَاقَامُوا بِإِزَاعَتِهِمْ وَعَلَى طَرِيقِهِمْ وَمَخْرِجِهِمْ صَفَرَ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثَ عَشْرَ
 وَشَهْرِيْ رَبِيعٍ لَا يَقْدِرُونَ مِنَ الرُّومِ عَلَى شَيْءٍ وَلَا يَجْلِصُونَ إِلَيْهِمْ. وَاللَّهُبُ
 وَهُوَ الْوَاقُوصَةُ مِنْ وَرَاءِهِمْ وَالْخَنْدَقُ مِنْ أَمَامِهِمْ. وَلَا يَخْرُجُونَ خَرَجَةً إِلَّا
 أَدِيلَ مِنْهُمْ الْمُسْلِمُونَ. حَتَّى إِذَا سَلَّوْهُ شَهْرَ رَبِيعَ الْأَوَّلِ وَقَدْ أَسْتَمَدُوا أَبَا
 بَكْرٍ وَأَعْلَمُوهُ أَشَانَ فِي صَفَرٍ. فَكَتَبَ إِلَى خَالِدٍ لِيَحْقِّرْهُمْ فَأَمَّنَ أَنْ يُخْلِفَ
 عَلَى الْعِرَاقِ الْمُشْنَى فَوَافَاهُمْ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ
 كَتَبَ إِلَيْهِ السَّرِيرِيُّ عَنْ شَعِيبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَحَّةٍ وَعَمِيرٍ
 وَالْمَهْلَبِ قَالُوا: وَلَمَّا نَزَلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَرْمُوكَ وَأَسْتَمَدُوا أَبَا بَكْرٍ قَالَ
 خَالِدٌ أَقْوَى لَهُمْ أَقْوَى لَهُمْ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ وَهُوَ بِالْعِرَاقِ وَعَزَمَ عَلَيْهِ وَأَسْتَهَنَهُ فِي السَّيْرِ

فَنَفَدَ خَالِدٌ لِذِلْكَ فَطَاعَ عَلَيْهِمْ خَالِدٌ وَطَاعَ بَاهَانُ عَلَى الرُّومِ وَقَدْ قَدَّمَ
قُدَّامَهُ الشَّامِسَةَ وَالرُّهَبَانَ وَالْقَسِيسِينَ يُغَيِّرُونَهُمْ وَيُحَضِّرُونَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ.
وَاقَقَ قُدُومُ خَالِدٍ قُدُومَ بَاهَانَ فَخَرَجَ بَاهَانُ كَالْمُقْتَدِرِ فَوَلَى خَالِدٍ
فِتَالَهُ وَقَاتَلَ الْأَمْرَاءَ مِنْ بَازَائِمْ فَهُزِمَ بَاهَانُ وَتَبَاعَ الرُّومُ عَلَى الْمَزِيَّةِ
فَأَفْتَحُوا خَنَدَقَهُمْ وَتَبَيَّنَتِ الرُّومُ بِبَاهَانَ وَفَرَّ الْمُسْلِمُونَ بِخَالِدٍ وَحَرَدَ
الْمُسْلِمُونَ وَحَرَدَ الرُّومُ وَهُمْ أَرْبَعُونَ وَمَائَةً أَلْفِ مِنْهُمْ ثَانُونَ أَلْفَ
مَقِيدٍ وَأَرْبَعُونَ أَلْفَ مُسْلِسِلٍ لِلْمَوْتِ وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا مُرْبَطُونَ بِالْعَمَائِمِ
وَثَانُونَ أَلْفَ رَاجِلٍ وَالْمُسْلِمُونَ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا مِنْهُمْ كَانَ مُقِيمًا.
إِلَيْهِ أَنْ قَدِيمَ عَلَيْهِمْ خَالِدٌ فِي تِسْعَةِ آلَافٍ فَصَارُوا سِتَّةً وَثَلَاثِينَ أَلْفًا وَمَرِضَ
أَبُو بَكْرٍ رَحْمَهُ اللَّهُ فِي جُهَادِ الْأُولَى وَتَوَفَّى لِلنِّصْفِ مِنْ جُهَادِ الْآخِرَةِ

فَبَلَّ الْفَتَحَ بِعَشَرِ لِيَالِي

فَالْأَبُو جَعْفَرٌ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَدْ سَيَّ لِكُلِّ أَمِيرٍ مِنْ أَمْرَاءِ الشَّامِ كُورَةً.
فَسَيَّ لِأَبِي عُيَيْنَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَجْرَاجٍ حَمْصَ وَلِيَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ
حَمْشِقَ وَلِشَرَحِيلَ بْنِ حَسَنَةَ الْأَرْدُنَ وَلِعَمِرِ وَبْنِ الْعَاصِ وَلِعَلْقَمَةَ بْنِ
مَحْصَنِ فِلَسْطِينَ. فَلَمَّا فَرَغَا مِنْهَا نَزَلَ عَلْقَمَةُ وَسَارَ إِلَى مِصْرَ فَلَمَّا شَارَفُوا
الشَّامَ دَهِمَ كُلَّ أَمِيرٍ مِنْهُمْ قَوْمٌ كَثِيرٌ فَاجْعَرَ رَاهِمٌ عَلَى أَنْ يَجْتَمِعُوا بِمَكَانٍ
وَاحِدٍ وَأَنْ يَلْقَوْا جَمْعَ الرُّومِ يَجْمِعُ الْمُسْلِمِينَ

مُرْوُرُ خَالِدٍ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ

كَتَبَ أَبُو بَكْرٍ إِلَيْ خَالِدٍ وَهُوَ يَأْمُرُهُ بِمَا مَنِعَ أَنْ يَمْدُدَ أَهْلَ الشَّامِ بِهِنَّ
مَعَهُ مِنْ أَهْلِ الْقُوَّةِ وَيَخْرُجَ فِيهِمْ وَيَسْتَحْلِفَ عَلَى صَفَّةِ النَّاسِ رَجُلًا مِنْهُمْ.

فَلَمَّا آتَى خَالِدًا كِتَابًّا أَيْ بَكْرٍ بِذِلِّكَ قَالَ خَالِدٌ: هُذَا عَمِيلُ الْأَعْسِرَاءِ بْنِ
 أَمْ شَمْلَةَ يَعْنِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حَسَدَنِي أَنْ يَكُونَ فَقِيهُ الْعِرَاقِ عَلَى يَدِيِّي.
 فَسَارَ خَالِدٌ بِأَهْلِ الْقُوَّةِ مِنَ النَّاسِ وَرَدَ الْضَّعَفَةَ وَالنِّسَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ
 وَأَمْرَ عَلَيْهِمْ عُمَيرٌ بْنَ سَعْدٍ الْأَنْصَارِيَّ وَاسْتَحْلَفَ خَالِدًا عَلَى مَنْ أَسْلَمَ
 بِالْعِرَاقِ مِنْ رَبِيعَهُ وَغَيْرِهِمُ الْمُشْنَى بْنَ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيِّ ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلَ
 عَلَى عَيْنِ الْمَرْ فَأَغَارَ عَلَى أَهْلِهَا فَاصَابَ مِنْهُمْ وَرَابَطَ حِصْنًا بِهَا فِيهِ مُقاَتَلَةٌ
 كَانَ كَسْرَهُ وَضَعْمُهُ فِيهِ حَتَّى أَسْتَرْلَهُمْ فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ وَسَبَّ مِنْ عَيْنِ
 الْمَرِ وَمِنْ أَبْنَاءِكَ تِلْكَ الْمَرَابِطَةِ سَبَّا يَا كَثِيرَ فَبَعْثَتْ إِلَيْهَا إِلَى أَيْ بَكْرٍ فَكَانَ
 مِنْ تِلْكَ السَّبَّا يَا أَبُو عَمَّةَ مَوْلَى شَبَّانَ وَهُوَ أَبُو عَبْدِ الْأَعْلَى أَبْنَ أَيْ عَمَّةَ
 وَعَيْنَ مَوْلَى الْمَعْنَى مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ بَنِي زَرِيفٍ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى زَهَنَ
 وَخَيْرٌ مَوْلَى أَيْ دَاؤَدَ الْأَنْصَارِيِّ ثُمَّ أَحَدُ بْنَي مَازِنِ بْنِ الْجَارِ وَيَسَارٌ
 وَهُوَ جَدُّ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْحَقَ مَوْلَى قَيْسٍ بْنِ مُحْزَمَةَ بْنِ الْمُطَلِّبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ
 وَأَفْلَحُ مَوْلَى أَيْ أَيُوبَ الْأَنْصَارِيِّ ثُمَّ أَحَدُ بْنِي مَلِكٍ بْنِ الْجَارِ وَحَمْرَانُ
 بْنُ أَبَانَ مَوْلَى عُمَّنَ بْنِ عَفَانَ وَقَاتَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ هَلَالَ بْنَ عُقْبَةَ بْنَ
 بِشَرٍ الْمَهْرِيِّ وَصَلَبَهُ بَعْنَى الْمَرِ ثُمَّ أَرَادَ السَّيْرُ مُفْوِرًا مِنْ قَرَاقِرَ وَهُوَ مَائِهٌ
 لِكَلْبٍ إِلَى سُوَى وَهُوَ مَائِهٌ لِبَهْرَأَ بَيْنَهَا خَمْسُ لَيَالٍ فَلَمْ يَهْتَدِ خَالِدٌ
 إِلَى طَرِيقِ فَالْمَهْسَ دَلِيلًا فَدَلَّ عَلَى رَافِعٍ بْنِ عَمِيَّةَ الْطَّائِيِّ فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ:
 أَنْطَقْتُ بِالنَّاسِ فَقَالَ لَهُ رَافِعٌ: إِنَّكَ لَنْ تُطِيقَ ذَلِكَ بِالْخَيْلِ وَالْأَنْقَالِ
 وَاللَّهِ إِنَّ الْرَّاكِبَ الْمُفَرَّدَ لَيَخَافُهَا عَلَى نَفْسِهِ وَمَا يَسْلُكُهَا إِلَّا مَغْرِرًا بَيْنَهَا خَمْسُ
 لَيَالٍ حِبَادٍ لَا يُصَابُ فِيهَا مَائَهٌ مَعَ مَضَلِّهَا فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ: وَبِحَكَ إِنَّهُ وَاللَّهُ

إِنْ لَيْ بُدْ مِنْ ذَلِكَ إِنَّهُ قَدْ أَتَنِي مِنَ الْأَمْيَرِ عَزْمَةً بِذَلِكَ فَمَرِيْأَكَ قَالَ
 أَسْتَكِرُوا مِنَ الْمَاءِ مَنْ أَسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَصْرَأْ ذَنْتَ نَاقِهِ عَلَى مَاءٍ فَلَيَفْعَلَ
 فَإِنَّهَا الْمَهَالِكُ إِلَّا مَا دَافَعَ اللَّهُ وَالْقَنْيَ عَشْرِينَ جَزُورًا عِظَامًا سِيَّانًا مَشَارِفَ.
 فَأَتَاهُ خَالِدٌ فَعَمَدَ إِلَيْهِنَ رَافِعً فَظَمَاهُنَ حَتَّى إِذَا أَجْهَدَهُنَ عَطْشًا
 أَوْرَدَهُنَ فَشَرِبَنَ حَتَّى إِذَا تَمَلَّاتَ عَمَدَ إِلَيْهِنَ فَقَطَعَ مَشَافِرَهُنَ ثُمَّ
 كَعْهُنَ لَلَا يَحْتَرِنَ ثُمَّ أَخْلَى أَدْبَارَهُنَ ثُمَّ قَالَ لِخَالِدٍ سِرْفَسَارَ خَالِدٍ مَعَهُ
 مُغِدًا بِالْخَيْوَلِ وَالْأَنْقَالِ فَكُلُّمَا نَزَلَ مَنْزِلًا أَفْتَطَ أَرْبَعًا مِنْ تِلْكَ الشَّوَّارِيفِ
 فَأَخْدَمَ مَا فِي أَكْرَاسِهَا فَسَقَاهُ الْخَيْلَ ثُمَّ شَرِبَ النَّاسُ حِمَا حَمَلُوا مَعْمَمَ مِنَ
 الْمَاءِ فَلَمَّا خَشِيَ خَالِدٌ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي أَخْرِيَ يَوْمٍ مِنَ الْمَفَازَةِ قَالَ لِرَافِعٍ
 بْنَ عَبِيَّةَ وَهُوَ أَرْمَدُ وَيَحْكَ يَا رَافِعُ مَا عِنْدَكَ قَالَ أَدْرَكْتُ الْرِّيَّةَ إِنَّ
 شَاءَ اللَّهُ فَلَمَّا دَنَّا مِنَ الْعَلَمَيْنِ قَالَ لِلنَّاسِ أَنْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ شَجَيْنَ مِنْ
 عَوْسَعِ كَفِعَلَةِ الرَّجُلِ فَقَالُوا مَا نَرَاهَا قَالَ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
 هَلَكُمْ وَاللَّهِ إِذَا وَهَلَكْتُ أَنْظُرُوا فَطَلَبُوهَا فَوَجَدُوهَا قُطِعَتْ وَبَقِيَتْ مِنْهَا
 بَقِيَّةً فَلَمَّا رَأَاهَا الْمُسْلِمُونَ كَبَرُوا وَكَبَرَ رَافِعُ بْنُ عَمِيَّةَ ثُمَّ قَالَ أَحْفَرُوا
 فِي أَصْلِهَا فَخَفِرُوا فَأَسْتَخْرَجُوا عَيْنَاهَا فَشَرِبُوا حَتَّى رَوَيَ النَّاسُ فَأَتَصَلَّتْ بَعْدَ
 ذَلِكَ لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ الْمَنَازِلُ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا وَرَدْتُ هَذَا الْمَاءَ قَطُّ
 إِلَّا مَنْ وَاحِدَةَ وَرَدْتُهُ مَعَ أَيِّ وَأَنَا غَلامٌ فَقَالَ شَاعِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
 اللَّهُ عَيْنَارَافِعُ أَنَّى أَهْتَدَى فَوَزَ مِنْ قُرَافِرِ إِلَى سُوَّهِ
 خَمْسًا إِذَا مَا سَارَهُ أَجْيَشُ بَگِي مَا سَارَهَا قَبْلَكَ إِنْسِي بِرَے
 فَلَمَّا أَنْتَى خَالِدٌ إِلَى سُوَّي أَغَرَ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ بِرَآءٍ قَبْلَ الْصَّبْحِ وَنَاسٌ

مِنْهُمْ يَشْرُبُونَ حَمَّارَهُمْ فِي جَهَنَّمَةِ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَيْهَا وَمَغْنِيهِمْ يَقُولُ
 أَلَا عَلَّالَانِي قَبْلَ جَيْشِ أَيِّ بَكْرٍ
 لَعَلَّ مَنَا يَا نَا قَرِيبٌ وَمَا نَدْرِي
 أَلَا عَلَّالَانِي بِالزُّجَاجِ وَكَرِرَا
 عَلَيْهِ كَمِيتَ اللَّوْنِ صَافِيَةَ تَجْرِي
 أَلَا عَلَّالَانِي مِنْ سُلَافَةِ قَهْوَةِ
 تَسْلِي هُمُومَ النَّفْسِ مِنْ جَيْدِ الْحَمَّرِ
 أَطْنَى خُيُولَ الْمُسْلِمِينَ وَخَالِدَا
 سَطْرُ قُوكْ قَبْلَ الصَّبَاعِ مِنَ الْيَشِيرِ
 فَهَلْ لَكُمْ فِي السَّيْرِ قَبْلَ قِتَالِهِمْ وَقَبْلَ خُروجِ الْمُعْصَرَاتِ مِنَ الْخَدْرِ
 قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ فَيَرْعُمُونَ أَنَّ مَغْنِيهِمْ ذَلِكَ قُتْلَ تَحْتَ الْغَارَةِ فَسَالَ دَمُهُ
 فِي تِلْكَ الْجَهَنَّمَةِ ثُمَّ سَارَ عَلَى وَجْهِهِ ذَلِكَ حَتَّى أَغَارَ عَلَى غَسَانَ بِرْجِ رَاهِطٍ
 ثُمَّ سَارَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى قَنَاءَ بُصَرَى وَعَلَيْهَا أَبُو عَيْنَةَ بْنُ الْمُجَرَّاجِ وَشَرَحِيلُ
 بْنُ حَسَنَةَ وَبَيْزِيدُ بْنُ أَيِّ سُفِيَّانَ فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهَا فَرَأَبَطُوا حَتَّى صَاحَتْ
 بُصَرَى عَلَى الْجِزِيرَةِ وَفَتَحَهَا اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَكَانَتْ أَوَّلَ مَدِينَةَ مِنْ
 مَدَائِنِ الشَّامِ فُتِحَتْ فِي خِلَافَةِ أَيِّ بَكْرٍ
 مَعْرَكَةُ أَجْنَادِينَ

ثُمَّ سَارُوا جَمِيعًا إِلَى فِلَسْطِينَ مَدَادًا لِعَمِرو بْنَ الْعَاصِ وَعَمِرو مُقِيمُ
 بِالْعَرَبَاتِ مِنْ غَورِ فِلَسْطِينَ وَسَعَتِ الرُّومُ بِهِمْ فَانْكَشَفُوا عَنْ جِلْقَ إِلَى
 أَجْنَادِينَ وَعَلَيْهِمْ تَذَارِقُ أَخُو هَرَقْلَ لِأَيِّهِ وَأَمِهِ وَأَجْنَادِينَ بَلْدَ بَيْنَ الْرَّمَلَةِ
 وَبَيْتِ حَبِّينَ مِنْ أَرْضِ فِلَسْطِينَ. وَسَارَ عَمِرو بْنُ الْعَاصِ حِينَ سَعَ يَابِي
 عُيَيْنَةَ بْنِ الْمُجَرَّاجِ وَشَرَحِيلَ بْنِ حَسَنَةَ وَبَيْزِيدَ بْنِ أَيِّ سُفِيَّانَ حَتَّى لَقِيَهُمْ
 فَاجْتَمَعُوا بِأَجْنَادِينَ حَتَّى عَسَكَرُوا عَلَيْهِمْ
 حَدَّثَنَا أَبْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ مُحَمَّدٍ

بْنِ جَعْفَرَ يَعْنِي أَبْنَى إِلْزَيْرَ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ إِلْزَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ عَلَى الرُّومِ
 رَجُلٌ مِّنْهُمْ يُقَالُ لَهُ الْقَنْقَلَارُ كَانَ هِرَقْلُ اسْتَخْلَفُوهُ وَاسْتَخْلَفَهُ عَلَى أَمْرِ الشَّامِ
 حِينَ سَارَ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَإِلَيْهِ أَنْصَرَ تَدَارِقُ بَيْنَ مَعَهُ مِنْ الرُّومِ.
 فَأَمَّا عُلَمَاءُ الشَّامِ فَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا كَانَتْ عَلَى الرُّومِ تَدَارِقُ وَاللهُ أَعْلَمُ.
 حَدَّثَنَا أَبْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ عَنْ أَبْنِ إِسْحَاقَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ
 بْنِ إِلْزَيْرِ عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: لَمَّا تَدَانَى الْعَسْكَرَانِ بَعْثَ الْقَنْقَلَارُ رَجُلًا غَرِيبًا
 قَالَ فَخَدَّثَتْ أَنَّ ذِلِّكَ الرَّجُلَ رَجُلٌ مِّنْ قُضَاعَةِ مِنْ بَزِيرَدَ بْنِ حَيْدَانَ
 يُقَالُ لَهُ أَبْنُ هَزَارِقَ فَقَالَ: أَدْخُلْ فِي هُولَاءِ الْقَوْمِ وَأَقْمِ فِيهِمْ يَوْمًا وَلَيْلَةً
 ثُمَّ أَئْتَنِي بِخَبَرِهِمْ. قَالَ فَدَخَلَ فِي النَّاسِ رَجُلٌ عَرَبِيٌّ لَا يُنْكِرُ وَأَقَامَ فِيهِمْ
 يَوْمًا وَلَيْلَةً ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: مَا وَرَأَكَ قَالَ: بِاللَّيلِ رُهْبَانٌ وَبِالنَّهَارِ فُرْسَانٌ
 وَلَوْ سَرَقَ أَبْنُ مَلِكِهِمْ قُطِعَتْ يَدُهُ وَلَوْ زَانَ رُؤْمَ لِاقَامَةِ الْمُحْكَمِ فِيهِمْ. قَالَ
 الْقَنْقَلَارُ: لَئِنْ كُنْتَ صَدَقْتَنِي لَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ مِّنْ لِفَاءِ هُولَاءِ عَلَى
 ظُهُورِهَا وَلَوْ دَدْتُ أَنْ حَفَّيْ مِنَ اللهِ أَنْ يُحْكِمَ بَيْنِهِمْ وَبَيْنِهِمْ فَلَا يَنْصَرِفُ عَلَيْهِمْ
 وَلَا يَنْصُرُهُمْ عَلَيْهِمْ. قَالَ: ثُمَّ تَزَاحَفَ النَّاسُ فَاقْتُلُوا. فَلَمَّا رَأَى الْقَنْقَلَارَ مَا
 رَأَى مِنْ فِتَالِ الْمُسْلِمِينَ قَالَ لِلرُّومِ لُفُوارِ أَسِي بِشَوبِ. قَالُوا لَهُ لِمْ. قَالَ
 يَوْمَ الْيُسْرِ لَا أَحِبُّ أَنْ أَرَاهُ فَأَرَأَيْتُ فِي الْأَدْنِيَا أَشَدَّ مِنْ هَذَا الْيُومِ. قَالَ:
 فَاحْتَرَّ الْمُسْلِمُونَ رَأْسُهُ وَإِنَّهُ لِمُلْكُهُ وَكَانَتْ وَقْعَةُ أَجْنَادِهِ فِي سَنَةِ ثَلَاثَةِ
 عَشَرَ لِلَّيْلَاتِ يَقِيَّتَا مِنْ جُدَادِ الْأُولَى وَقُتِلَ يَوْمَئِذٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ
 جَمَاعَةٌ مِّنْهُمْ سَلَمَةُ بْنُ هِشَامٍ بْنُ الْمُعْيَرَ وَهَبَّارُ بْنُ الْأَسْوَدِ بْنُ عَبْدِ الْأَسْدِ
 وَنَعِيمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْنَّحَامُ وَهِشَامُ بْنُ الْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ وَجَمَاعَةٌ أُخْرُ مِنْ

فُرِيشٌ . قَالَ : وَمَوْسِمُ النَّاسِ مِنَ الْأَنْصَارِ أَحَدًا أُصِيبَ بِهَا . وَفِيهَا تُوْقَى
أَبُو بَكْرٍ شَهَادَةً لِيَالٍ يَقِينًا أَوْ سَعْيً بِيَقِينَ مِنْ جُهَادِيِ الْآخِرَةِ
فِي اِفْتِنَاجِ دِمْشَقَ

رَجَعَ الْمُحَدِّثُ إِلَى حَدِيثِ سَيْفٍ عَنْ أَبِي عُثْرَةَ عَنْ خَالِدٍ وَأَبِي عِبَادَةَ
فَالَا : وَلَمَّا جَاءَ عُمَرَ الْكِتَابُ تَقَنَّ أَبِي عُبَيْدَةَ بِالذِّي يَنْبَغِي أَنْ يَدَأْ بِهِ
كَتَبَ إِلَيْهِ . أَمَّا بَعْدُ فَأَبْدَوُا بِدِمْشَقَ وَأَنْهَدُوا فِيهَا حِصنَ الشَّامِ وَبَيْتَ
مَهْلَكَتِهِمْ وَأَشْغَلُوا عَنْكُمْ أَهْلَ فَخْلٍ يَخْتَلِ تَكُونُ بِيَازِ آئُمَّمٍ فِي نُحُورِهِمْ . وَأَهْلَ
فِلَسْطِينِ وَأَهْلَ حِصْنَ . فَإِنْ فَتَحَوْا اللَّهُ قَبْلَ دِمْشَقَ فَذَاكَ الذِّي يَحْبُّ وَإِنْ
تَأَخَّرَ فَتَحَهَا حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ دِمْشَقَ فَلَيَزِلَّ بِدِمْشَقَ مَنْ يَمْسِكُ بِهَا وَدَعْوَهَا
وَأَنْطَلِقْ أَنْتَ وَسَاعِرًا لِلْأَمْرِ أَعْ - حَتَّى تُغَيِّرُ وَأَعْلَى فَعْلٍ . فَإِنْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
فَأَنْصَرِفْ أَنْتَ وَخَالِدٌ إِلَى حِصْنَ وَدَعْ شُرْحِيلَ وَعَمَراً وَخَلِيلَهَا بِالْأَرْدُنِ
وَفِلَسْطِينَ . وَأَمِيرُ كُلِّ بَلَدٍ وَجُنْدٍ عَلَى النَّاسِ حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ إِمَارَتِهِمْ .
فَسَرَّحَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى فَخْلٍ أَحَدَ عَشَرَ قَوَادًا أَبَا الْأَعْوَرِ السَّلَّيِّ وَعَبْدَ
الرَّحْمَانَ بْنَ زَيْدٍ بْنَ عَامِرٍ الْمَحْرَشِيِّ وَعَامِرَ بْنَ حَشْمَةَ وَعَمَرَ بْنَ كُلَيْبٍ مِنْ
بَحْصَبَ وَعُمَارَةَ بْنَ الصَّعِيقِ بْنَ كَعْبٍ وَصَبِيَّ بْنَ عُلَيَّةَ بْنَ شَامِيلٍ . وَعَمَرَ
بْنَ فُلَانِ وَالْحَبِيبَ بْنَ عَمِرٍ وَرِيلَيَّةَ بْنَ عَامِرٍ بْنَ حَشْمَةَ وَبِشرَ بْنَ عِصْمَةَ
وَعُمَارَةَ بْنَ مُخْشِيِّ قَائِدَ النَّاسِ . وَمَعَ كُلِّ رَجُلٍ قُوَادُ وَكَانَتِ الرُّؤْسَاءُ
تَكُونُ مِنَ الصَّاحَابَةِ حَتَّى لَا يَجِدُوا مَنْ يَخْتَلِ ذَلِكَ . فَسَارُوا مِنَ الصُّفَرِ
حَتَّى نَزَلُوا قَرِيبًا مِنْ فَخْلٍ . فَلَمَّا رَأَتِ الرُّومُ أَنَّ الْجُنُودَ تُرِيدُهُمْ بَتَقْوَا الْهِيَاهَ
حَوْلَ فَخْلٍ فَأَرْدَغَتِ الْأَرْضَ ثُمَّ وَحَلَّتْ وَاغْتَمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ذَلِكَ

فَخَبَسُوا عَنِ الْمُسْلِمِينَ بِهَا تَلَثِينَ أَلْفَ فَارِسٍ وَكَانَ أَوَّلَ مَحْصُورٍ بِالشَّامِ
 أَهْلُ فَلْلَاحٍ ثُمَّ أَهْلُ دِمْشَقَ
 وَبَعْثُوا الْأَمْرَاءَ وَبَعْثَ أَبُو عُيْنَةَ ذَا الْكَلَاعِ حَتَّى كَانَ بَيْنَ دِمْشَقَ
 وَجِمْصَ رِدْدَاهِ وَبَعْثَ عَلْقَمَةَ بْنَ حَكِيمٍ وَمَسْرُوقًا وَكَانَا يَئِنَّ دِمْشَقَ
 وَفَلَسْطِينَ وَالْأَمِيرَ يَزِيدَ فَنَصَلَ وَفَصَلَ بَابِي عُيْنَةَ مِنَ الْمَرْجَ وَقَدْمَرَ
 خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعَلَى مَجْبِنَتِيهِ عَمْرُو وَأَبُو عُيْنَةَ وَعَلَى الْخَيْلِ عِيَاضُ وَعَلَى
 الْرَّجُلِ شَرَحِيلُ. فَقَدِمُوا عَلَى دِمْشَقَ وَعَلَيْمَ نَسْطَاسُ بْنُ نِسْطُوسَ فَخَصَرُوا
 أَهْلَ دِمْشَقَ وَنَزَلُوا حَوَالَهَا. فَكَانَ أَبُو عُيْنَةَ عَلَى نَاحِيَةِ وَعَمْرُو عَلَى نَاحِيَةِ
 وَبَيْزِيدُ عَلَى نَاحِيَةِ وَهِرَقْلُ يَوْمَئِذٍ بِجِمْصَ وَمَدِينَةِ جِمْصَ يَئِنَّهُ وَيَئِنَّمُ.
 فَخَاصَرُوا أَهْلَ دِمْشَقَ نَحْوَ مِنْ سَعِينَ لَيْلَةً حِصَارًا شَدِيدًا بِالْزُّحُوفِ
 وَالْتَّرَامِيِّ وَالْجَانِيقِ وَهُمْ مُعْتَصِمُونَ بِالْمَدِينَةِ يَرْجُونَ الْغَيَاثَ وَهِرَقْلُ مِنْهُمْ
 قَرِيبٌ. وَقَدِ اسْتَمْدَدَ وَذُو الْكَلَاعِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَيَئِنَّ جِمْصَ عَلَى رَأْسِ
 لَيْلَةٍ مِنْ دِمْشَقَ كَمَّهُ يُرِيدُ جِمْصَ وَجَاءَتْ خُيُولُ هِرَقْلَ مُغِيَثَةً لِأَهْلِ دِمْشَقَ
 فَأَشْجَنَهَا الْخُيُولُ الَّتِي مَعَ ذِي الْكَلَاعِ وَشَغَلَتْهَا عَنِ النَّاسِ. فَأَرَزَّوَا وَنَزَلُوا
 يَعَازِئِهِ وَأَهْلُ دِمْشَقَ عَلَى حَالِهِمْ. فَلَمَّا آتَيْنَ أَهْلُ دِمْشَقَ أَنَّ الْأَمْدَادَ
 لَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ فَشَلُوا وَمَهْنُوا وَبَلَسُوا وَأَزَدَادَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِمْ طَمَعاً. وَقَدْ
 كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهَا كَالْغَازِيَاتِ قَبْلَ ذَلِكَ إِذَا هَجَمَ الْبَرْدُ قَفَلَ النَّاسُ فَسَقَطَ
 الْنَّحْمُ وَالْقَوْمُ مُقِيمُونَ
 فَعِنْدَ ذَلِكَ أَنْقَطَعَ رَجَاؤُهُمْ وَنَدَمُوا عَلَى دُخُولِ دِمْشَقَ وَوَلَدَ لِلْبَطْرِيقِ
 الَّذِي عَلَى أَهْلِ دِمْشَقَ مَوْلُودٌ فَصَنَعَ عَلَيْهِ فَاكِلَ الْقَوْمُ وَشَرِبُوا وَعَدَلُوا عَنْ

مَوَاقِفِهِمْ وَلَا يَشْعُرُ بِذِلِّكَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ خَالِدٍ فَإِنَّهُ
 كَانَ لَا يَنْامُ وَلَا يُنْمِيْ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِمْ شَيْءٌ . عُوْنَهْ دَاكِيَةْ وَهُوَ
 مُعْنَى بِهَا يَلِيهِ . قَدْ أَتَخَذَ حِبَّاً لَا كَهْيَةَ السَّلَالِيمْ وَأَوْهَاقَا . فَلَمَّا أَمْسَى مِنْ
 ذَلِّكَ الْيَوْمَ نَهَضَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ جُنُدِ الَّذِينَ قَدِيمَ بِهِمْ عَلَيْهِمْ وَنَقْدَمُهُمْ هُوَ
 وَالْقَعْقَاعُ بْنُ عَمْرِو وَمَدْعُورُ بْنُ عَدَىٰ وَمَا شَاءَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي أَوَّلِ يَوْمِهِ
 وَقَالُوا : إِذَا سَمِعْتُمْ تَكْبِيرَنَا عَلَى الْسُّورِ فَارْفَوْا إِلَيْنَا وَأَنْهَدُوا إِلَى الْبَابِ :
 فَلَمَّا أَنْتَهَى إِلَى الْبَابِ الَّذِي يَلِيهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ الْمُتَقْدِمُونَ رَمَوْا بِالْجَبَالِ
 آشَرَفَ وَعَلَى ظُهُورِهِمْ الْقَرْبُ الَّتِي قَطَعُوا بِهَا خَنْدَقَهُمْ . فَلَمَّا ثَبَتَ لَهُمْ وَهَقَانَ
 تَسْلُقَ فِيهَا الْقَعْقَاعُ وَمَدْعُورُهُمْ لَمْ يَدْعَ أَحْبُولَةَ إِلَّا ثَبَّنَاهَا وَلَا وَهَاقَ
 بِالْشَّرْفِ . وَكَانَ الْمَكَانُ الَّذِي أَفْتَحُمُوا مِنْهُ أَحْصَنَ مَكَانٍ يُحِيطُ بِهِ دِمْشَقَ
 اَكْثَرَ مَا هُوَ فَأَشَكَ مَدْخَلًا وَتَوَافَوْ الْذِلِّكَ فَلَمْ يَقِنْ مِنْ دَخَلِ مَعْهُ إِلَّا
 رَقِيَ أوْ دَنَى مِنَ الْبَابِ حَتَّى إِذَا سَتَوْا عَلَى الْسُّورِ حَدَّرَ عَامَةَ أَصْحَابِهِ وَأَنْهَدَرَ
 مَعْمَمَ وَخَلَفَ مَنْ يَحْبِي ذَلِّكَ الْمَكَانَ لَمْ يَرْتَقِي . وَأَمْرُهُمْ بِالتَّكْبِيرِ فَكَبَرَ
 الَّذِينَ عَلَى رَأْسِ الْسُّورِ . فَنَهَدَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْبَابِ وَمَا لَهُ إِلَى الْجَبَالِ
 بَشَرَ كَثِيرٌ فَوَثَبُوا فِيهَا وَأَنْتَهَى خَالِدٌ إِلَى مَنْ يَلِيهِ فَأَنَّاهُمْ وَأَنْهَدَرَ إِلَى
 الْبَابِ فَقَتَلُوا الْبُوَابِينَ وَثَارَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَفَزَعَ سَائِرُ النَّاسِ . فَأَخِذُوا
 مَوَاقِفِهِمْ وَلَا يَدْرُونَ مَا الْشَّانُ وَتَشَاغَلَ أَهْلُ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِهَا يَلِيهِمْ . وَقَطَعَ
 خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَمَنْ مَعَهُ أَغْلَقَ الْبَابِ بِالسُّيُوفِ وَفَتَّوْا لِلْمُسْلِمِينَ
 وَاقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مِنْ دَاخِلٍ حَتَّى مَا يَقِنِي مَمَا يَلِيهِ بَابَ خَالِدٍ مُقَاتِلٌ إِلَّا أُنِيمَ
 وَلَمَّا شَدَّ خَالِدٌ عَلَى مَنْ يَلِيهِ وَبَلَغَ مِنْهُمُ الَّذِي أَرَادَ عَنْهُ وَارْزَمَنَ

أَفْلَتَ إِلَى الْأَبْوَابِ الَّتِي تَلِي غَيْرَهُ . وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ دَعَوْهُمْ إِلَى
الْمُنَاظِرَةِ فَأَبْوَا وَأَتَعَدُوا فَلَمْ يَتَجَاهُمْ إِلَّا وَهُمْ يَوْحُونَ لَهُمْ بِالصَّلْحِ . فَأَجَابُوهُمْ
وَقَبِيلُوْهُمْ وَفَتَحُوا لَهُمُ الْأَبْوَابَ وَقَاتُوا : أَذْخُلُوا فَآمْنُونَا مِنْ أَهْلِ ذِلْكَ
الْبَابِ : وَدَخَلَ أَهْلُ كُلِّ بَابٍ بِصُلْحٍ مِنْ يَلِيهِمْ وَدَخَلَ خَالِدٌ هَمَّا يَلِيهِ عَنْهُ .
فَأَلْتَقَى خَالِدٌ وَالْقُوَادُ فِي وَسِطِهِ أَهْذَا أَسْتَعْرَاضًا وَأَنْتَهَا بَاوَهُدَا صَحَا وَتَسْكِينًا
فَأَجْرَوْهَا نَاحِيَةً خَالِدٍ مُجْرِيَ الصَّلْحِ . فَصَارَ صَلْحٌ وَكَانَ صَلْحٌ دَمَشْقَ عَلَى
مُقَاسِمَةِ الدِّينَارِ وَالْعَفَارِ وَدِينَارٍ عَلَى كُلِّ رَأْسٍ . فَاقْتَسَمُوا الْأَسْلَابَ
فَكَانَ أَصْحَابُ خَالِدٍ فِيهَا كَأَصْحَابِ سَائِرِ الْقُوَادِ وَجَرَى عَلَى الْدِيَارِ مَنْ يَقِي
فِي الصَّلْحِ جَرِيبٌ مِنْ كُلِّ جَرِيبٍ أَرْضٌ وَوَقَتٌ مَا كَانَ لِلْمُلُوكِ وَمَنْ
صَوَّبَ مَعْهُمْ فَيَئِمُّ وَقَسَمُوا لِذِي الْكَلَاعِ وَمَنْ مَعَهُ وَلَيْ أَلْعَوْرِ وَمَنْ مَعَهُ
وَلَيْشِيرِ وَمَنْ مَعَهُ وَبَعْثُوا بِالْيِشَارَةِ إِلَى عُمَرَ
فِي افْتِنَاجٍ بِلَادِ فَارِسِ

وَقْعَةُ الْقِرْقِيسِ

وَقْعَةُ الْقِرْقِيسِ وَيُقَالُ لَهَا الْقُسْ قُسُّ الْنَّاطِقِ وَيُقَالُ لَهَا الْجَنْسُرُ وَيُقَالُ لَهَا
الْمَرْوَحةُ : قَالَ أَبُو جَعْفَرَ الطَّبَرِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ . كَتَبَ إِلَيَّ السُّرِّيُّ عَنْ
شُعَيْبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادَ بْنِ سَنَادِهِمْ . قَالُوا : وَلَمَّا رَجَعَ
الْجَنَانُوسُ إِلَى رُسْمٍ وَمَنْ أَفْلَتَ مِنْ جُنُودِهِ قَالَ رُسْمٌ : أَيْهُ الْعَمَ أَشَدُ
عَلَى الْعَرَبِ فِيهَا تَرُونَ : قَالُوا : بَهْنُ جَادُوِيهِ . فَوَجَهَهُ وَمَعَهُ فِيلَهُ وَرَدَ
الْجَنَانُوسَ مَعَهُ : فَقَالَ لَهُ : قَدِيمٌ الْجَنَانُوسُ فَإِنْ عَادَ لِمِثْلِهَا فَأَضْرِبْ عُنْقَهُ .
فَاقْبَلَ بَهْنُ جَادُوِيهِ وَمَعَهُ دِرَفْسُ كَأِيَّاتٍ رَأْيَةً كِسْرَى وَكَانَتْ مِنْ

جلوه المهر عرض ثقاني اذرع في طول اثنين عشرة ذراعاً . فاقبَلَ أبو
 عيَّدٍ حتى نزل المروحة مع البروج والعاقول . فبعث إلينه بهمن جادويه .
 إما أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور . وإما أن تدعونا نعبر إليك : فقال
 الناس : لا تعبِرْ ياً بـأـعـيـدـ إـنـاـ نـهـاـكـ عـنـ الـعـبـورـ . قالـواـ لـهـ : قـلـ لـهـ فـلـيـعـبـرـواـ
 وـكـانـ مـنـ النـاسـ عـلـيـهـ فـلـكـ سـلـيـطـ . فـلـجـ أـبـوـ عـيـدـ وـتـرـكـ الرـأـيـ وـقـالـ :
 لا يـكـوـنـوـ أـجـراـعـلـ الـمـوـتـ مـنـاـ بـلـ نـعـبـرـ إـلـيـهـ . فـعـبـرـواـ إـلـيـهـ فـيـ مـتـزـلـ ضـيقـ
 الـمـطـرـدـ وـالـمـذـهـبـ فـاقـتـلـواـ يـوـمـاـ وـأـبـوـ عـيـدـ فـيـماـ بـيـنـ السـيـسـةـ وـالـعـشـرـ حـتـىـ
 إـذـاـ كـانـ مـنـ آـخـرـ الـنـهـارـ وـأـسـبـطـارـ جـلـ مـنـ شـقـفـ الـفـتـحـ وـالـفـتـحـ وـالـفـتـحـ
 تصـاحـخـواـ بـالـسـيـوـفـ

فـعـبـرـواـ إـلـيـهـ وـعـضـلـتـ الـأـرـضـ يـاـ هـلـيـهـ وـأـلـحـ الـنـاسـ الـمـحـرـبـ . فـلـمـاـ
 نـظـرـتـ الـخـيـولـ إـلـىـ الـفـيـلـةـ عـلـيـهـاـ الـتـجـلـ وـالـخـيـلـ عـلـيـهـاـ الـتـجـافـيفـ وـالـفـرـسـانـ
 عـلـيـهـمـ الشـعـرـ رـأـتـ شـيـئـاـ مـنـكـرـاـمـ تـكـنـ تـرـىـ مـثـلـهـ . فـجـعـلـ الـمـسـلـمـوـنـ إـذـاـ
 حـمـلـوـاـ عـلـيـهـمـ لـمـ تـقـدـمـ خـيـوـلـهـ . فـإـذـاـ حـمـلـوـاـ عـلـىـ الـمـسـلـمـيـنـ يـاـ الـفـيـلـةـ وـالـجـلـاجـلـ
 فـرـقـتـ بـيـنـ كـرـادـيسـمـ لـاـ تـقـومـ لـهـاـ الـخـيـلـ لـاـ عـلـىـ نـفـارـ وـخـرـقـمـ الفـرسـ
 بـالـنـشـابـ وـعـضـ الـمـسـلـمـيـنـ الـأـلـمـ وـجـعـلـوـاـ لـاـ يـصـلـوـنـ إـلـيـهـ . فـتـرـجـلـ
 أـبـوـ عـيـدـ وـتـرـجـلـ الـنـاسـ . ثـمـ مـشـوـاـ إـلـيـهـ فـصـاحـخـوـهـ بـالـسـيـوـفـ . فـجـعـلـتـ
 الـفـيـلـةـ لـاـ تـحـمـلـ عـلـىـ جـمـاعـةـ لـاـ دـفـعـتـهـ . فـنـادـيـ أـبـوـ عـيـدـ : أـحـتـرـشـوـ الـفـيـلـةـ
 وـقـطـعـوـ بـطـنـهـاـ وـأـقـلـبـوـ عـنـهـاـ أـهـلـهـاـ : وـوـاثـبـ هـوـ الـفـيـلـ الـأـيـضـ . فـتـلـقـ
 بـيـطـانـهـ فـقـطـعـهـ وـقـطـعـ الـذـيـنـ عـلـيـهـ وـفـعـلـ الـفـوـمـ مـثـلـ ذـلـكـ فـاـتـرـكـوـ فـيـلـاـ لـاـ
 حـطـوـاـ أـهـلـهـ وـقـتـلـوـاـ أـصـحـابـهـ فـاهـوـهـ الـفـيـلـ لـاـيـ عـيـدـ فـنـفـعـ مـشـفـنـ بـالـسـيـفـ

فَأَنْتَاهُ الْفِيلُ يَيْهُ فَوَقَعَ خَبْطَهُ الْفِيلُ وَقَامَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا بَصَرَ بِهِ النَّاسُ تَحْتَهُ
الْفِيلَ خَشِعَتْ أَنفُسُهُمْ وَأَخَذَ اللَّوَاءُ الَّذِي كَانَ أَمْنَ بَعْدَ فَقَاتِلَ الْفِيلَ
حَتَّى تَنَحَّى عَنْ أَيِّ عُبَيْدٍ فَاجْتَرَهُ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فَأَخْرَزُوا وَشَلُوهُ وَنَجَرَ
ثُمَّ الْفِيلُ يَيْهُ ذَاتَ أَيِّ عُبَيْدٍ وَخَبْطَهُ الْفِيلُ وَقَامَ عَلَيْهِ وَتَابَعَ سَبْعَةَ مِنْ
ثَقِيفٍ كُلُّهُمْ يَأْخُذُ اللَّوَاءَ وَيَقْاتِلُ حَتَّى يَمُوتَ . ثُمَّ أَخَذَ اللَّوَاءُ الْمُشْنَى وَهَرَبَ
النَّاسُ

فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنَ مَرْئِيَّهُ التَّقِيَّ مَا لَقِيَ أَبُو عُبَيْدَ وَخَلْفَهُ وَمَا يَصْنَعُ
النَّاسُ بَادَرَهُمْ الْجِسْرَ فَقَطَعُهُ وَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ مُوْتَوْا عَلَى مَامَاتِ عَلَيْهِ
أَمْرًا وَكُمْ أَوْ تَظَفَرُوا وَأَجَارُ الْمُشْرِكُونَ إِلَى الْجِسْرِ وَجَشَعَ نَاسٌ
فَتَوَثَّبُوا فِي الْفَرَاتِ فَغَرِقَ مَنْ لَمْ يَصِيرْ وَأَسْرَعُوا فِيهِنَّ صَبَرَ وَحَى الْمُشْنَى
وَفُرْسَانُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ النَّاسَ وَنَادَى : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا دُونَكُمْ فَاعْبُرُوا
عَلَى هَيَّتِكُمْ وَلَا تَدْهُشُوا فَإِنَّا لَنْ نُزَّاِلَ حَتَّى نَرَأُكُمْ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ وَلَا
تُغْرِيَنَّ أَنفُسَكُمْ : فَوَجَدُوا الْجِسْرَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنَ مَرْئِيَّهُ قَاعِمًا عَلَيْهِ يَمْنَعُ النَّاسَ
مِنَ الْعُبُورِ . فَأَتَوْا يَهُ الْمُشْنَى فَضَرَبُهُ وَقَالَ مَا حَمَلْتَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ : قَالَ
لِيْقَاتِلُوا . وَنَادَى مَنْ عَبَرَ . فَجَاءُوا يَعْلُوجُ فَصَمُوا إِلَى السَّفِينَةِ الَّتِي قَطَعُوا
سَفَائِهَا وَعَبَرَ النَّاسُ وَكَانَ آخِرُهُمْ قُتِلَ عِنْدَ الْجِسْرِ سَلِيطًا بْنَ قِيسٍ وَعَبَرَ
الْمُشْنَى وَحَى جَانِبَهُ فَاضْطَرَبَ عَسْكُرُهُ وَرَأَهُمْ ذُو الْحَاجِ فَلَمْ يَقْدِرُ
عَلَيْهِمْ : فَلَمَّا عَبَرَ الْمُشْنَى وَحَى جَانِبَهُ أَرْفَضَ عَنْهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَبَقَى الْمُشْنَى فِي
قِلَّةِ . كَتَبَ إِلَيَّ السُّرِّيِّ عَنْ شُعِيبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ رَجُلٍ عَنْ أَيِّ عُمَّنَ
النَّهَدِيِّ قَالَ : هَلَكَ يَوْمَيْدٌ أَرْبَعَةُ أَلْوَافٍ وَهَرَبَ الْفَانِ وَبَقَى ثَلَاثَةُ أَلْوَافٍ

وَقْعَةُ الْبَوَيْبِ

كَتَبَ إِلَيَّ السُّرِّيَّةَ عَنْ شُعِيبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ حُمَدٍ وَطَحْنَةَ وَزِيَادَ
 بِإِسْنَادِهِمْ قَالُوا: وَبَعْثَتْ الْمُشْنَى بَعْدَ الْجُنُسِرِ فِيمَ يَلِيهِ مِنَ الْمُهِمَّاتِ
 فَتَوَافَقُوا إِلَيْهِ فِي جَمْعٍ وَبَلَغَ رَسْمَهُ وَالْفِيزُانَ ذَلِكَ وَأَتَتْهُمُ الْعَيْنُونُ بِهِ وَبِهَا
 يَتَتَضَرُّونَ مِنَ الْإِمْدَادِ وَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَبْعَثُوا مَهْرَانَ الْمَهْدَانِيَّ حَتَّى يَرَيَّا مِنْ
 رَأْيِهِمْ. فَخَرَجَ مَهْرَانُ فِي الْخَيْولِ وَأَمْرَأَهُ بِالْجِنِينِ وَبَلَغَ الْمُشْنَى الْخَبْرُ وَهُوَ
 مُعْسِكُرٌ بِمَرْجِ الْسِبَاخِ بَيْنَ الْفَادِسِيَّةِ وَخَفَانَ فِي الدَّيْنِ أَمْدُوهُ مِنَ
 الْعَرَبِ عَنْ خَبْرِ بَشِيرٍ وَكَانَهُ وَبَشِيرٌ يُومَذِي بِالْجِنِينِ. فَاسْتَبَطَنَ فُرَاتَ
 بَادِقَلَيْ وَارْسَلَ إِلَيْ جَرِيرٍ وَمَنْ مَعَهُ إِنَّا جَاءَنَا أَمْرٌ لَمْ نَسْتَطِعْ مَعَهُ الْقِيَامَ حَتَّى
 تَقْدَمُوا عَلَيْنَا فَعَلَّلُوا الْحَاقَ بِنَا مَوْعِدُكُمُ الْبَوَيْبِ وَكَانَ جَرِيرٌ مُهَمَّدًا لَهُ.
 وَكَتَبَ إِلَيْ عَصْمَهُ وَمَنْ مَعَهُ وَكَانَ مُهَمَّدًا لَهُ بِيَشْلِ ذَلِكَ وَإِلَيْ كُلِّ قَائِدٍ أَظْلَاهُ
 بِيَشْلِ ذَلِكَ وَخَدُوا عَلَى الْجَنْوَفِ. فَسَلَّكُوا عَلَى الْفَادِسِيَّةِ وَالْجَنْوَفِ وَمَنْ
 سَلَكَ مَعَهُ طَرِيقَهُ فَانْتَهُوا إِلَيْ الْمُشْنَى وَهُوَ عَلَى الْبَوَيْبِ حِمَّا يَلِي مَوْضِعَ الْكُوفَةِ
 الْيَوْمِ وَعَلَيْهِمُ الْمُشْنَى وَهُوَ بِإِزَاءِ مَهْرَانَ وَعَسْكَرٍ. فَقَالَ الْمُشْنَى لِرَجُلٍ مِنْ
 أَهْلِ الْسَّوَادِ: مَا يُقَالُ لِرَقْعَةِ الَّتِي فِيهَا مَهْرَانُ وَعَسْكَرُهُ: قَالَ بُسْسِيَا. فَقَالَ
 أَكْدَى مَهْرَانُ وَهَلَكَ عَسْكَرُهُ تَزَلَّ مَنْزِلًا هُوَ الْسُّوسُ. وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ حَتَّى
 كَاتَبَهُ مَهْرَانُ إِمَامًا نَّعْبَرُوا إِلَيْنَا فَإِمَامًا نَّعْبَرُ إِلَيْكُمْ. فَقَالَ الْمُشْنَى: أَعْبُرُوا
 فَعَبَرَ مَهْرَانُ فَنَزَلَ عَلَى شَاطِئِ الْفَرَاتِ مَعْهُ فِي الْمِلْطَاطِ. فَقَالَ الْمُشْنَى:
 كَذِلِكَ لِرَجُلٍ. مَا يُقَالُ لِهَذِهِ الرَّقْعَةِ الَّتِي تَزَلَّهَا مَهْرَانُ وَاصْحَابُهُ وَعَسْكَرُهُ
 قَالَ شُومِيَا. وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ، فَنَادَى فِي النَّاسِ أَنْهُدُوا لِعَدُوِّكُمْ.

فَتَنَاهُدُوا وَقَدْ كَانَ الْمُهْنَى عَبَى الْجِيشَ. فَجَعَلَ عَلَى مُجَنِّبِتِيهِ مَذْعُورًا وَالنَّسِيرَ
وَعَلَى الْمُجَرَّدَةِ عَاصِمًا وَعَلَى الظَّلَائِعِ عِصْمَهَا وَأَصْطَافَ الْفَرِيقَانِ وَقَامَ الْمُهْنَى
فِيهِمْ خَطِيبًا فَقَالَ: إِنَّكُمْ صَوَامُ الْأَصْوَامِ وَمَضْعَفَةُ وَلَيْلَةُ الْرَّأْيِ
أَنْ تُنْفَرُوا ثُمَّ تَغْوِي بِالْطَّعَامِ عَلَى قِتَالِ عَدُوكُمْ: قَالُوا نَعَمْ: فَأَفْطَرُوا
فَآبَصَ رَجُلًا يَسْتَوِرُ فِزْ وَيَسْتَنِلُ مِنَ الصَّفَّ فَقَالَ: مَا بَالُ هَذَا: قَالُوا:
مِنْ فَرَّ مِنَ الْزَّحْفِ يَوْمَ الْجِسْرِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُسْتَقْتَلَ فَقَرَعَهُ بِالرَّسْخِ وَقَالَ:
لَا أَبَالَكَ الْزَّمْ مَوْقِفَكَ فَإِذَا أَتَاكَ قَرْنُكَ فَاغْنِهِ عَنْ صَاحِبِكَ وَلَا
تُسْتَقْتَلْ. قَالَ: إِنِّي بِذِلِكَ لَجِدِيرٌ فَاسْتَفْرَوْلَزِمَ الْصَّفَّ. كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِّيُّ
عَنْ شَعِيبٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الشَّيْبَانِيِّ مِثْلَهُ

كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِّيُّ عَنْ شَعِيبٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَحْصَنٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ
الْعَجَمَ لَمَّا أَذِنَ لَهُمْ فِي الْمُعْوِرِ نَزَلُوا شُومِيًّا مَوْضِعَ دَارِ الْرِّزْقِ. فَتَعَبُوا لَهُمَا
جَاءُوهُ فِي هُنَالِكَ. فَاقْبَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي صُوفُورٍ ثَلَاثَةَ مَعَ كُلِّ صَفٍّ
فِيلٍ وَرَجُلٍ أَمَامَ فِيلِمْ وَجَاءُوهُمْ زُجْلُ. فَقَالَ الْمُهْنَى لِلْمُسْلِمِينَ: الَّذِي
تَسْعَونَ فَشَرَّفَ الْرَّزْمُوا الصَّمْتَ وَأَتَسْبِرُوا يَسْكُمْ هَمْسًا. فَدَنَوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ
وَجَاءُوهُمْ مِنْ قُبْلِ نَهْرِ بَنِي سُلَيْمٍ نَحْوَ مَوْضِعِ نَهْرِ بَنِي سُلَيْمٍ الْيَوْمَ. فَلَمَّا
دَنَوا زَحَفُوا وَصَفَ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا يَبْيَنُ نَهْرِ بَنِي سُلَيْمٍ الْيَوْمِ وَمَا وَرَأَهُ
كَتَبَ إِلَيَّ السَّرِّيُّ عَنْ شَعِيبٍ عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ قَالَا: وَكَانَ عَلَى مُجَنِّبِي
الْمُهْنَى بِشِيرٍ وَبِشَرٍ بْنَ أَبِي رُهْمٍ وَعَلَى مُجَرَّدَتِهِ الْمَعْنَى وَعَلَى الْرِّجْلِ مَسْعُودَةِ
وَعَلَى الظَّلَائِعِ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ النَّسِيرُ وَعَلَى الْرِّدْءِ مَذْعُورٌ وَكَانَ عَلَى
مُجَنِّبِي مَهْرَاتٍ أَبْنُ الْأَزَادِ بْنَ مَرْزُبَانُ الْجِيَرَةِ وَمَرْدَانْشَاهُ. وَلَمَّا خَرَجَ

المُهَنْتَى طَافَ فِي صُفُوفِهِ بِعَهْدِ إِلَيْهِمْ عَهْدَ وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ الشَّمُوسِ وَكَانَ
 يُدْعَى الشَّمُوسَ مِنْ لَيْنِ عَرِيكَتِهِ وَلَهَارِتِهِ فَكَانَ إِذَا رَكَبَهُ قَاتِلَ وَكَانَ
 لَا يَرِكَبُهُ إِلَّا لِقِتَالٍ يُوَدِّعُهُ مَا لَمْ يَكُنْ قِتَالٌ فَوَقَفَ عَلَى الْأَرَائِيَاتِ رَأْيَةَ
 رَأْيَةَ بِخَصِّصَمِهِ وَيَا مَرْهُمْ يَا مَرْمِعِ وَيَهْرُمْ بِمَا فِيهِمْ تَخْصِيصًا لَهُمْ وَلَكُلَّمْ يَقُولُ:
 إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تُؤْتَى الْعَرَبُ مِنْ قُبْلِكُمْ الْيَوْمَ وَاللَّهُ مَا يُسْرِنِي الْيَوْمَ لِنَفْسِي
 شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ يُسْرِنِي لِعَامِتِكُمْ فَبِيَبُونَةِ يِمْثِلُ ذَلِكَ وَأَنْصَفُ الْمُهَنْتَى فِي
 الْقُولُ وَالْغَفْلِ وَخَلَطَ النَّاسَ فِي الْمَكْرُوهِ وَالْحَبُوبِ فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ
 مِنْهُمْ أَنْ يُعِبَّ لَهُ قَوْلًا وَلَا عَهْلًا ثُمَّ قَالَ إِنِّي مُكْبِرٌ ثُلَاثًا فَتَهْبِي وَأَثْمَّ أَحْمَلُوا
 مَعَ الْأَرَائِيَةِ فَلَمَّا كَبَرَ أَوْلَ تَكْيِينِ رَكَدَتْ خَيْلُهُمْ وَحَرَبُهُمْ مَلِيًّا فَلَمَّا رَأَى
 المُهَنْتَى خَلَالًا فِي بَعْضِ صُفُوفِهِ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَجُلًا وَقَالَ إِنَّ أَلْأِمِيرَ
 يَقْرَأُ عَلَيْكُمُ الْأَسْلَمَ وَيَقُولُ لَا تَفْصُحُ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ فَقَالُوا نَعَمْ وَأَعْنَدُوا
 وَجَعَلُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَرُونَهُ وَهُوَ يَمْدُحُ لِحِسْنَتِهِ لَمَّا يَرَى مِنْهُمْ فَاعْشَبُوا يَا مَرْمِعَ
 يَكْبِي بِهِ أَحَدُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَيْذِ فَرَمَقُوهُ فَرَأَوْهُ يَصْحَكُ فَرَحَا وَالْقَوْمُ بَيْنَ
 عَيْلٍ وَمَا وَرَأَهَا

فَلَمَّا طَالَ الْقِتَالُ وَأَشْتَدَ عَمَدَ الْمُهَنْتَى إِلَى أَنَّسَ بْنَ هِلَالٍ فَقَالَ يَا أَنَّسُ
 إِنَّكَ أَمْرُمُهُ عَرَبِيٌّ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَلَى دِينِنَا فَإِذَا رَأَيْتَنِي قَدْ حَمَلْتُ عَلَى مَهْرَانَ
 فَأَحْمِلْ مَعِي وَقَالَ لِأَبْنِ ذِي السَّهْمَيْنِ مِثْلَ ذَلِكَ فَاجْبَاهُ فَحَمَلَ الْمُهَنْتَى
 عَلَى مَهْرَانَ فَازَ الْهُ حَتَّى دَخَلَ فِي مَيْمَنَتِهِ ثُمَّ خَالَطُوهُمْ فَاجْمَعَ الْقَلْبَاتِ
 وَأَرْتَقَعَ الْغَبَارُ وَالْجُنُبَاتُ نُقْتَلُ لَا يَسْتَطِعُونَ أَنْ يَغْرُغُوا لِنَصْرِ أَمِيرِهِمْ
 لَا الْمُهَشِّرُونَ وَلَا الْمُسْلِمُونَ وَأَرْتَثَ مَسْعُودَ يَوْمَيْذِ وَقَوَادَ مِنْ قُوَادِ

الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ كَانَ قَالَ لَهُمْ : إِذَا رَأَيْتُمُونَا أَصْبِنَا فَلَا تَدْعُوا مَا أَنْتُمْ فِيهِ
 فَإِنَّ أَحَدَ الْجِيшиْنِ يَنْكِشِفُ ثُمَّ يَنْصَرِفُ وَأَغْنُوا أَغْنَاهُ مِنْ يَلِيكُمْ : وَأَوْجَعَ
 قَلْبَ الْمُسْلِمِينَ فِي قَلْبِ الْمُشْرِكِينَ وَقَتَلَ غَلَامٌ مِنَ التَّغْلِيْبِينَ نَصَارَىٰ
 هَرَانَ فَاسْتَوَى عَلَى فَرَسِهِ . فَجَعَلَ الْمُشْنَى سَلَبَةً لِصَاحِبِ خَيْلِهِ . وَكَذَلِكَ
 إِذَا كَانَ الْمُشْرِكُ فِي خَيْلٍ رَجُلٍ فَقَتَلَ وَسَلَبَ فَهُوَ لِلَّذِي هُوَ أَمِيرٌ عَلَى مَنْ
 قَتَلَهُ وَكَانَ لَهُمْ قَائِدًا أَحَدُهُمْ جَرِيرٌ وَالْآخَرُ أَبْنُ الْمُهُورِ فَاقْتَسَمَا
 كَتَبَ إِلَيَّ السُّرِّيُّ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ سَعِيدِ اللَّهِ بْنِ مَحْمَدِ بْنِ
 نَعْلَيْهَ قَالَ : جَلَبَ فِتْيَةً مِنْ بَنِي تَعْلِبَ أَفْرَاسًا . فَلَمَّا اتَّقَى الْزَّحْفَانِ يَوْمَ
 الْبَوَيْبِ قَالُوا : لَا نُقَاتِلُ الْعَرَبَ مَعَ الْعَجَرِ فَاصَابَ أَحَدُهُمْ هَرَانَ يَوْمَئِذٍ
 وَمَهَدَ عَلَى فَرَسِهِ لَهُ وَرَدٌ مُجْفَفٌ يَتَحْفَافِي أَصْفَرِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ هَلَالٌ وَعَلَى دَنَيْهِ
 أَهْلَهُ فَاسْتَوَى عَلَى فَرَسِهِ مُمْتَنَى فَقَالَ : أَنَا الْغَلَامُ التَّغْلِيُّ أَنَا قَتَلْتُ
 الْمَرْزُبَانَ : فَأَتَاهُ جَرِيرٌ وَابْنُ الْمُهُورِ فِي قَوْمِهِ أَفَأَخَذَهُ بِرْجَلِهِ فَأَنْزَلَاهُ . كَتَبَ
 إِلَيَّ السُّرِّيُّ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَرْزُبَانِ أَنَّ جَرِيرًا
 وَالْمُنْذِرَ أَشْتَرَ كَا فِيهِ فَاخْتَصَّا فِي سِلَاحِهِ فَتَقَاضَيَا إِلَى الْمُشْنَى . فَجَعَلَ سِلَاحَهُ
 يَنْهَا وَالْمِنْطَفَةَ وَالسُّوَارَيْنِ يَنْهَا وَفَنَّوا قَلْبَ الْمُشْرِكِينَ . كَتَبَ إِلَيَّ
 السُّرِّيُّ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ سَيْفٍ عَنْ أَبِي رَوْقَى قَالَ : وَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِنَأْتِيَ
 الْبَوَيْبَ فَنَرَى فِيمَا بَيْنَ مَوْضِعِ الْسُّكُونِ وَبَنِي سُلَيْمٍ عَظَامًا يَيْضًا تَلُوحُ
 مِنْ هَامِمٍ وَلَوْ صَالِهِمْ يَعْتَدُهُمَا . قَالَ وَحَدَّثَنِي بَعْضُ مَنْ شَهَدَهَا أَنَّهُمْ كَانُوا
 يَحْزُرُونَهَا بِمِائَةِ أَلْفٍ قَتَلُوا مِنَ الْعَجَرِ وَمَا عُفِيَ عَلَيْهَا حَتَّى دُفِنَهَا أَذْفَانُ
 الْبَيْوَتِ

كَتَبَ إِلَيْهِ أَسْرَى يَقُولُ عَنْ شُعَيْبٍ عَنْ سَيِّفٍ عَنْ عَطِيَّةَ بْنِ الْحَرِيثِ
 قَالَ: لَمَّا هَلَكَ اللَّهُ مِهْرَانَ أَسْتَمْكِنَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الْغَارَةِ عَلَى السَّوَادِ فِيمَا
 يَئْمِنُونَ وَيَنْدَمُونَ دِجْلَةَ فَخَرُوْهَا لَا يَخَافُونَ كَيْدًا وَلَا يَلْقَوْنَ فِيهِ مَا نَعَا وَأَنْتَقَضَتْ
 مَسَاحَةُ الْعَجْمَ فَرَجَعَتِ إِلَيْهِمْ وَأَعْصَمُوا بِسَابَاطَ وَسَرَّهُمْ أَنْ يَرُكُوا مَا وَرَأُوا
 دِجْلَةً. فَكَانَتْ وَقْعَةُ الْبُوَيْبِ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ ثَلَاثَ عَشَرَ قَتْلَ اللَّهُ مِهْرَانَ
 وَجِيشَهُ وَفَعَمُوا جَنْبِي الْبُوَيْبِ عِظَامًا حَتَّى أَسْتَوَى وَمَا عَنَى عَلَيْهَا التُّرَابُ
 أَزْمَانَ الْفِتْنَةِ وَمَا يُثَارُ هُنَالِكَ شَيْءٌ لَا وَقَعُوا مِنْهَا عَلَى شَيْءٍ. وَهُوَ مَا يَنْهَا
 الْسُّكُونُ وَمَرْهَبَةُ وَبَنِي سُلَيْمٍ وَكَانَ مَغِيضاً لِلْفَرَاتِ أَزْمَانَ الْأَكَاسِرَةِ
 يَصْبُرُ فِي الْجُوفِ. وَقَالَ الْأَعْوَرُ الْعَبْدِيُّ الشَّيْعِيُّ

وَأَسْتَبَدَلَتْ بَعْدَ عَبْدِ الْفَقِيسِ خَفَانَا
 إِذْ يَا لِلْحَبْلَةِ قُتْلُ جُنْدِ مِهْرَانَا
 فَقُتْلَ الْزَّحْفَ مِنْ فُرْسٍ وَجِيلَانَا
 حَتَّى أَبَادُهُمْ مُشْفَرٌ وَوُحدَانَا

هَا جَتْ لِأَعْوَرَ دَارُ الْحَجَّيِّ احْتَانَا
 وَقَدْ أَرَانَا بِهَا وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ
 أَزْمَانَ سَارَ الْمُهْنَى يَا مُخْبِرُ لَهُمْ
 سَاءَ لِمِهْرَانَ وَأَجْيَشَيَ الَّذِي يَمْعَهُ

مُجْمَعَةٌ

مِنْ كِتَابِ الْفَخْرِيِّ فِي الْأَدَابِ السُّلْطَانِيَّةِ
وَالدُّولِ الْإِسْلَامِيَّةِ
ذِكْرُ خِلَافَةِ هُرُونَ الرَّشِيدِ

بُو يَعْ بِالْخِلَافَةِ فِي سَنَةِ سَيْعِينَ وَمِئَةٍ. كَانَ الرَّشِيدُ مِنْ أَفَاضِلِ الْخَلَفَاءِ
وَفُصَحَّائِمٍ وَعُلَمَائِمٍ وَكُرَمَائِمٍ كَانَ يَجْمِعُ سَنَةً وَيَغْزُو سَنَةً. كَذَلِكَ مُنْهَى
خِلَافَتِهِ إِلَّا سَيْنِينَ قَلِيلَةً. قَالُوا: وَكَانَ يُصْلِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِئَةَ رَكْعَةً. وَجَعَ
مَاشِيًّا. وَمَمْجِعٌ خَلِيفَةً مَاشِيًّا غَيْرُهُ. وَكَانَ إِذَا حَجَّ حَجَّ مَعَهُ مِئَةَ مِنَ الْفَقَاهَةِ
وَأَبْنَاؤُهُمْ. وَإِذَا لَمْ يَجْمِعْ تَشْمِيَةَ رَجُلٍ بِالنَّفَقَةِ السَّابِقَةِ. وَالْكُسُوةُ
الظَّاهِرَةُ. وَكَانَ يَتَشَبَّهُ فِي أَفْعَالِهِ بِالْمَنْصُورِ إِلَّا فِي بَذْلِ الْمَالِ. فَإِنَّهُ لَمْ يُرِدْ
خَلِيفَةً أَسْخَنَ مِنْهُ بِالْمَالِ. وَكَانَ لَا يَضِيعُ عِنْكَ إِحْسَانٌ مُحْسِنٌ وَلَا يُؤْخِرُ.
وَكَانَ يُحِبُّ الشِّعْرَ وَالشِّعْرَاءَ وَيَهْبِلُ إِلَى أَهْلِ الْأَدَابِ وَالْفِقَاهَةِ. وَيَكْرُهُ

^١ أما هرون الرشيد أحد الخلفاء العباسيين فقد ولد في سنة ٧٦٥ في روي من مدия وتوفي في سنة ٨٠٩ في طوس وقد اشهر هذا الخليفة بمحاربته جيوش الملكة ايرينا في آسيا الصغرى لما قام مقام أخيه موسى الهادي على السدة الملوكيَّة في سنة ٧٨٦. فشق على موسى فلاح أخيه هaron فقصد قتلها. فلما رأت والدتها ان لا بد من قتل احد ولديها اختارت موت موسى على هارون الذي رفع شان دولة العباسين الى اعلى ذرى العظمة والمجد. ففتح التورات الشهيرة في آسيا وحارب مراراً ايرينا ونيكتور الى ان اجبرها على اداء الجزية واتسعت انصالياته حتى المغرب. وتحاب مع كارلوس الكبير ملك فرنسا. وما امتاز به هذا الخليفة حسن التفاته الى العلوم والصناعات فازهرت في ايام دولته. فخط العلماء والأدباء عصا الترحال عند بلاطه. غير انه كثيراً ما ابدى من النساء المنكرة لاسيما ضد البرامكة الذين كانوا قد حازوا ملء اعماله

الْمَرَآةُ فِي الْدِينِ. وَكَانَ يُحِبُّ الْمَدِحَ لَا سِيمَّا مِنْ شَاعِرٍ فَصَحِّ. وَيُحِبُّ
الْعَطَاءَ عَلَيْهِ

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: صَنَعَ الرَّشِيدُ طَعَامًا وَزَخْرَفَ مَجَالِسَهُ وَاحْضَرَ أَبَا^ه
الْعَتَاهِيَّةَ وَقَالَ لَهُ: صَفْ لَنَا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ نَعِيمٍ هُنَّ الَّذِينَا: فَقَالَ أَبُو^ه
الْعَتَاهِيَّةَ:

عِشْ مَا بَدَأَ لَكَ سَالِمًا فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقُصُورِ

فَقَالَ الرَّشِيدُ: أَحْسَنْتَ مُثْمَّ مَاذَا: فَقَالَ:

يُسْعِيَ عَلَيْكَ بِمَا أَشْهَدْتَ لَدَى الرَّفَاجِ أَوِ الْبُكُورِ

فَقَالَ: حَسَنٌ ثُمَّ مَاذَا: فَقَالَ:

فَإِذَا النُّفُوسُ تَقْعُدُ فِي ظِلِّ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ

فَهُنَاكَ تَعْلَمُ مُوقِنًا مَا كُنْتَ إِلَّا فِي غُرُورِ

فِي بَيْكِي الرَّشِيدُ. فَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى: بَعَثَ إِلَيْكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ

لِتَسْوِيَ خَزْنَتَهُ: فَقَالَ الرَّشِيدُ: دَعْهُ فَإِنَّهُ رَأَانَا فِي عَيَّ فَكَيْنَ أَنْ يَزِيدَنَا مِنْهُ

وَكَانَ الرَّشِيدُ يَتَوَاضَعُ لِلْعُلَمَاءِ. قَالَ أَبُو مُوعِيَّةَ الضَّرِيرُ: وَكَانَ مِنْ

عُلَمَاءِ النَّاسِ. أَكْلَتُ مَعَ الرَّشِيدِ يَوْمًا. فَصَبَّ عَلَى يَدِي أَلْهَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ

لِي: يَا أَبَا مُوعِيَّةَ. أَتَدْرِي يَمِنْ صَبَ أَلْهَاءَ عَلَى يَدِكَ: فَقُلْتُ لَا يَا أَمِيرَ

الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ أَنَا. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا إِجْلَالًا

لِلْعِلْمِ. قَالَ نَعَمْ

فِي أَيَّامِهِ خَرَجَ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ بْنِ عَلَيٍّ بْنِ أَبِي

طَالِبٍ. شَرَحَ كِيفِيَّةَ الْحَالِ فِي ذَلِكَ

كَانَ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ خَافَ مَا جَرَى عَلَى أَخْوَيْهِ النَّفْسِ الْزَّكِيَّةِ
وَابْرَاهِيمَ قَتِيلَ بَأْخْمَرِي . فَقَضَى إِلَى الدَّلِيلِ . فَأَعْنَقُدُوا فِيهِ أَسْتِحْفَاقَ الْإِمَامَةِ
وَبَايْعَوهُ وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْأَمْصَارِ وَقَوَيْتَ شَوَّكُهُ . فَأَغْمَمَ الرَّشِيدُ
لِذِلِّكَ . وَنَدَبَ إِلَيْهِ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى فِي حَسِينَ الْفَالَّوَلَّا جُرْجَانَ
وَطَبَرِسْتَانَ وَالرَّيْ وَغَيْرَ ذِلِّكَ . فَتَوَجَّهَ الْفَضْلُ بِالْجُنُودِ . فَلَطَّافَ يَحْيَى
بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَحَذَرَهُ وَحْقَهُ وَرَغْبَهُ . فَقَالَ يَحْيَى إِلَى الصُّلُحِ وَطَلَبَ أَمَانًا
لِخَطَطِ الرَّشِيدِ وَأَنْ يُشَهَّدَ عَلَيْهِ فِيهِ الْقَضَايَا وَالْفَقَهَاءَ وَجَلَّةَ بْنِ هَاشِمٍ .
فَاجَابَهُ الرَّشِيدُ إِلَى ذِلِّكَ وَسُرَّ بِهِ وَكَتَبَ لَهُ أَمَانًا لِكِفَائِيَّخَطِّهِ . وَشَهَدَ عَلَيْهِ
فِيهِ الْقَضَايَا وَالْفَقَهَاءَ وَمَشَائِخَ بْنِ هَاشِمٍ وَسَيَرَ أَلَّامَانَ مَعَ هَدَايَا وَحَفَّ .
فَقَدِيمَ يَحْيَى مَعَ الْفَضْلِ . فَلَقِيَهُ الرَّشِيدُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ يُكْلِلُ مَا أَحَبَّ .
حَبْسَهُ عِنْدَهُ وَاسْتَفْنَى الْفَقَهَاءَ فِي نَقْضِ الْأَمَانِ . فَيَنْهَى مِنْ أَفْقَى بِصَحْنِهِ
فَحَاجَهُ . وَمِنْهُمْ مَنْ أَفْقَى بِيُطْلَانِهِ فَأَبْطَلَهُ . ثُمَّ قُتِلَهُ بَعْدَ ظُهُورِ آيَةَ لِهِ عَظِيمَةَ
شَرْحِ الْآيَةِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي قَضِيَّةِ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

حَضَرَ رَجُلٌ مِنْ أَلِ الزَّبِيرِ بْنِ الْعَوَامِ عِنْدَ الرَّشِيدِ وَسَعَى يَحْيَى وَقَالَ:
إِنَّهُ بَعْدَ الْأَمَانِ فَعَلَ وَصَنَعَ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى نَفْسِهِ . فَاحْضَنَ الرَّشِيدُ
مِنْ مَحِبِّيهِ وَجَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الزَّبِيرِيِّ . وَسَأَلَهُ عَنْ ذِلِّكَ فَأَنْكَرَ . فَوَاقَفَهُ
الْزَّبِيرِيُّ فَقَالَ لَهُ يَحْيَى : إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأَحْلِفُ : فَقَالَ الزَّبِيرِيُّ : وَاللَّهِ
الْأَطَالِبُ الْغَالِبُ وَرَادُ أَنْ يَتَمَمَ الْيَمِينَ : فَقَالَ لَهُ يَحْيَى : دَعْ هُنَّ الْيَمِينَ
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا مَجَّدَ الْعَبْدُ لَمْ يُعْلَمْ عُقُوبَتَهُ . وَلَكِنْ أَحْلَفُ لِي بِيَمِينِ
الْبَرَاءَةِ . وَهِيَ يَمِينٌ عَظِيمٌ صُورُهَا أَنْ يُقُولَ عَنْ نَفْسِهِ : بَرِيٌّ مِنْ حَوْلِ

أَللّهُ وَقُوَّتِهِ. وَدَخَلَ فِي حَوْلِ نَفْسِهِ وَقُوَّتِهَا إِنْ كَانَ كَذَا وَكَذَا: فَلَمَّا سَعَ
 الْزَّبِيرِيُّ هُنَّ الْيَمِينَ أَرْتَاعَهَا وَقَالَ: مَا هُنَّ أَلَيْمِينُ الْغَرِيَةُ وَأَمْتَنَعُ مِنَ
 الْحَلْفِ بِهَا: فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: مَا مَعْنَى أَمْتَنَاعِكَ. إِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَإِنَّمَا تَقُولُ
 فَأَخْوَفُكَ مِنْ هُنَّ أَلَيْمِينِ: فَخَلَفَ بِهَا. فَأَخْرَجَ مِنَ الْجَلِسِ حَتَّى ضَرَبَ
 بِرِجْلِهِ وَمَاتَ. وَقِيلَ مَا أَنْقَضَ النَّهَارُ حَتَّى مَاتَ. فَحَمَلُوهُ إِلَى الْقَبْرِ وَحَطُوهُ
 فِيهِ وَرَأَدُوا أَنْ يَطْمُوا الْقَبْرَ بِالثَّرَابِ. فَكَانُوا كُلُّهُمْ جَعَلُوا الْثَّرَابَ فِيهِ
 ذَهَبَ الْثَّرَابُ وَلَا يَنْطَمُ الْقَبْرُ فَعَلِمُوا أَنَّهَا آيَةٌ سَاءِيَةٌ. فَسَقَوُا الْقَبْرَ
 وَرَاحُوا. قَالَى ذَلِكَ أَسَارُّ أُبُو فَرَاسِ بْنُ حَمْدَانَ فِي مِيمَنَةِ بَقْوَلِهِ:
 يَا جَاهِدًا فِي مَسَاوِيْهِمْ يُكَتِّمُهَا غَدْرُ الرَّشِيدِ يَبْحَثُ كَيْفَ يَنْكِنُ
 دَاقَ الْزَّبِيرِيُّ غَبَّ الْحَيْثَ وَأَنْكَشَفَ عَنِ أَبْنِ فَاطِمَةَ الْأَقْوَالِ وَالنَّهِمِ
 وَمَعَ ظُهُورِ مِثْلِ هُنَّ الْآيَةِ الْعَظِيمَةِ قُتِلَ يَحْيَى فِي الْجَبَسِ شَرِّقَتِلَةِ
 وَكَانَتْ دُوَلَةُ الرَّشِيدِ مِنْ أَحْسَنِ الدُّولِ وَأَكْثَرُهَا وَقَارَا وَرَونَقا وَخَيْرَا
 وَأَوْسَعَهَا رُقْعَةً مَمْكِكَةً. جَبَ الرَّشِيدُ مُعْظَمَ الدُّنْيَا. وَكَانَ أَحَدُ عَالَمِهِ
 صَاحِبَ مِصْرَ وَلَمْ يَجْتَمِعْ عَلَى بَابِ خَلِيفَةِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالشُّعُرَاءِ وَالْفَقِهَاءِ
 وَالْقُرَاءِ وَالْفَضَّاءِ وَالْكُتُبِ وَالنَّدَمَاءِ وَالْمَغْنِيَنَ مَا أَجْتَمَعَ عَلَى بَابِ الرَّشِيدِ.
 وَكَانَ يَصِلُّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَجْزَلَ صِلَةً وَيَرْفَعُهُ إِلَى أَعْلَى درَجَةٍ. وَكَانَ
 فَاضِلًا شَاعِرًا رَاوِيَةً لِلْأَخْبَارِ وَالْأَثَارِ وَالْأَشْعَارِ. صَحِحَ الْذَوْقُ وَأَنْتَيْزَ
 مَهِيبًا عِنْدَ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ. قَبَضَ عَلَى مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهَا السَّلَامُ.
 وَأَخْضَنَ فِي قُبَّةِ إِلَى بَغْدَادَ. قَبْسَهُ بِدَارِ السَّنَدِيِّ بْنِ شَاهَكَ. ثُمَّ قُتِلَ
 وَأَظْهَرَ أَنَّهُ مَاتَ حَنْفَ أَنْفَهُ

شَرْحُ كِيفِيَّةِ الْخَالِ فِي ذَلِكَ . كَانَ بَعْضُ حُسَادِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ مِنْ
 أَقْارِبِهِ قَدْ وَشَى بِهِ إِلَى الرَّشِيدِ وَقَالَ لَهُ : إِنَّ النَّاسَ يَجْمِلُونَ إِلَى مُوسَى
 خَمْسَ أَمْوَالَهُمْ وَيَعْتَقِدُونَ إِمَامَتَهُ وَإِنَّهُ عَلَى عَزْمِ الْخُرُوجِ عَلَيْكَ . وَأَكْثَرُ فِي
 الْقُولِ فَوْقَ ذَلِكَ عِنْدَ الرَّشِيدِ بِمَوْقِعِ أَهْمَهِ وَأَقْلَقَهُ . ثُمَّ أَعْطَى الْوَاشِيَ مَا لَهُ
 أَحَالَهُ إِلَيْهِ عَلَى الْبِلَادِ . فَلَمْ يَسْتَمِعْ إِلَيْهِ وَمَا وَصَلَ أَمْالُ مِنَ الْبِلَادِ إِلَّا وَقَدْ
 مَرَضَ مَرْضَةً شَدِيدَةً وَمَاتَ فِيهَا . وَأَمَّا الرَّشِيدُ فَإِنَّهُ حَجَّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ .
 فَلَمَّا وَرَدَ الْمَدِينَةَ قَبَضَ عَلَى مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ وَحَمَلَهُ فِي قُبَّةِ إِلَى بَغْدَادَ .
 فَجَبَسَهُ عِنْدَ السَّنْدِيِّ بْنِ شَاهِكَ وَكَانَ الرَّشِيدُ بِالرَّقَّةِ . فَأَمَرَ بِيَقْتِلِهِ فُقْتَلَ
 قَتْلًا خَفِيًّا . ثُمَّ أَدْخَلُوا عَلَيْهِ جَمَاعَةً مِنَ الْعُدُولِ بِالْكَرْخِ لِيُشَاهِدُوهُ إِظْهَارًا
 أَنَّهُ مَاتَ حَنْفَ أَنْفِهِ . صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ . وَمَاتَ الرَّشِيدُ بِطُوسَ .
 وَكَانَ خَرَجَ إِلَى حُرَّا سَانَ لِحَارِبَةِ رَافِعِ بْنِ الْلَّيْثِ بْنِ نَصْرِ بْنِ سَيَّارِ .
 وَكَانَ هُذَا رَافِعٌ قَدْ خَرَجَ وَخَلَعَ الطَّاعَةَ وَتَغلَّبَ عَلَى سَمْرَقَنْدَ وَقَتَلَ عَامِلَهَا
 وَمَلَكَهَا وَقَوِيَّتْ شَوَّكَتُهُ فَخَرَجَ الرَّشِيدُ بِنَفْسِهِ إِلَيْهِ . فَقَاتَ بِطُوسَ فِي سَنَةِ
 ثَلَاثَةِ وَتِسْعِينَ وَمِئَةٍ

شَرْحُ حَالِ الْوِزَارَةِ فِي أَيَّامِهِ

لَمَّا بُوَيَّعَ بِالْخِلَافَةِ أَسْتَوْزَرَ كَاتِبَهُ قَبْلَ الْخِلَافَةِ يَحْيَى بْنَ حَالِدٍ بْنَ
 بَرْمَكَ وَظَهَرَتْ دُولَةُ بْنِ بَرْمَكَ مُذْحِسِنٍ
 شَرْحُ أَحْوَالِ الدُّولَةِ الْبَرْمِكِيَّةِ وَذِكْرُ مَبْدِئِهَا وَمَا لَهَا . كَانُوا قَدِيمًا عَلَى
 دِينِ الْجُنُوسِ . ثُمَّ أَسْلَمَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ وَحَسَنَ إِسْلَامُهُمْ . وَهُنَّ الدُّولَةُ
 الْبَرْمِكِيَّةُ كَانَتْ غُرَّةً فِي جَهَةِ الدَّهْرِ وَتَاجَأَ عَلَى مَفْرِقِ الْعَصْرِ . ضُربَتْ

بِمَكَارِهَا الْأَمْثَالُ . وَشُدَّتْ إِلَيْهَا الْرِّحَالُ . وَنِصْطَتْ بِهَا الْأَمَالُ . وَبَذَلتْ
لَهَا الدُّنْيَا أَفْلَادَ أَكْبَادِهَا . وَمَنْخَنَهَا أَوْفَرَ إِسْعَادِهَا . فَكَانَ يَحْيَى وَبْنُهُ
كَالنُّجُومِ زَاهِرَةً . وَالْجُورِ زَاهِرَةً . وَالسُّيُولِ دَافِعَةً . وَالْغُيُوتِ مَاطِرَةً . أَسْوَاقُ
الْأَدَابِ عِنْدَهُمْ نَافِقَةً . وَمَرَاتِبُ ذُوِّي الْحُرْمَاتِ عِنْدَهُمْ عَالِيَّةً . وَالْدُّنْيَا
فِي أَيَّامِهِمْ عَامِرَةً . فَإِلَيْهِ الْمَلْكَةُ ظَاهِرَةً . وَهُمْ مَلْجَأُ الْهَيْفِ وَمَعْتَصِمُ الْطَّرِيدِ .
وَلَهُمْ يَقُولُ أَبُو نُوَاسٍ :

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا فَقِدْتُمْ بَنِي بَرْمَكَ مِنْ رَائِحَتِنَ وَغَادَ
ذَكْرُ وِزَارَةِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الرَّشِيدِ . لَمَّا جَلَسَ الرَّشِيدُ عَلَى سَرِيرِ الْمَلْكَةِ
أَسْتَوْزِرَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ بْنِ بَرْمَكَ . وَكَانَ كَاتِبَهُ وَنَائِبَهُ وَوزِيرَ قَبْلِ الْخِلَافَةِ .
فَنَهَضَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ يَأْبُاءُ الدُّوَلَةِ أَتَمْ نُهُوضٌ . وَسَدَ الشُّغُورَ وَتَدارَكَ
الْخَلَلَ . وَجَيَّ الْأَمْوَالَ . وَعَمِرَ الْأَطْرَافَ . وَأَظْهَرَ رَوْنَقَ الْخِلَافَةِ . وَتَصَدَّى
لِمُهِمَّاتِ الْمَلْكَةِ . وَكَانَ كَاتِبًا يَلْبِغاً لَيْبِيَا أَدِيَّا شَدِيدًا صَائِبَ الْأَرَاءِ
حَسَنَ التَّدَبِيرِ . ضَابِطًا لِمَا تَحْتَ يَدِهِ . قَوِيًّا عَلَى الْأَمْوَارِ . جَوَادًا مُبَارِيِ
الرِّيحِ كَرِمًا وَجُودًا . مُهَدِّدًا حَيْكُلَ لِسَانِ . حَلِيمًا عَفِيفًا وَفُورًا هَبِيبًا وَلَهُ
يَقُولُ الْفَائِلُ :

لَا تَرَانِي مُصَاحِحًا كَفَ يَحْيَى إِنِّي إِنْ فَعَلْتُ ضَيْعَتْ مَالِي
لَوْ يَمْسِ الْبَخِيلُ رَاحَةً يَحْيَى لَسْخَتْ نَفْسُهُ يَسْذَلُ النَّوَالِ
وَمِنْ أَرَاءِ يَحْيَى السَّدِيقِ مَا قَالَهُ لِلْهَادِي . وَقَدْ عَزَمَ عَلَى أَنْ يَجْلَعَ
أَخَاهُ هُرُونَ مِنْ الْخِلَافَةِ وَيَبْرَأَ لِأَبْنِهِ جَعْفَرَ بْنِ الْهَادِي . وَكَانَ يَحْيَى كَاتِبَ
الرَّشِيدِ وَهُوَ يَتَرَجَّحُ أَنْ يَتَوَلَّ هُرُونُ الْخِلَافَةَ فَيَصِيرَ هُوَ وَزِيرَ الدُّوَلَةِ .

حَلَّا الْهَادِيَ بِيَحْيَى وَوَهَبَ لَهُ عِشْرِينَ الْأَلْفَ دِينَارًا . وَحَادَثَةٌ فِي خَلْعِ
 هَرُونَ أَخِيهِ وَالْمَبَايِعَةِ لِجَعْفَرٍ أَبْنِهِ . فَقَالَ لَهُ يَحْيَى : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : إِنَّ
 فَعَلْتَ حَمْلَتَ النَّاسَ عَلَى نَكْتِ الْأَيَمَانِ وَنَقْضِ الْعَهُودِ . وَنَجَرَ النَّاسُ عَلَى
 مِثْلِ ذَلِكَ . وَلَوْ تَرَكْتَ أَخَاكَ هَرُونَ عَلَى وِلَايَةِ الْعَهْدِ ثُمَّ بَأَيْتَ لِجَعْفَرَ
 بَعْدَ كَانَ ذَلِكَ أَوْكَدَ فِي يَعْتِيهِ : فَتَرَكَ الْهَادِيَ بِذَلِكَ مُدْعَةً . ثُمَّ غَلَبَ
 عَلَيْهِ حُبُّ الْوَلَدِ . فَأَخْضَرَ يَحْيَى مَقْنَقَ ثَانِيَةً وَفَاوَصَهُ فِي ذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ
 يَحْيَى : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . لَوْ حَدَثَ يَكَ حَادِثُ الْمَوْتِ وَقَدْ خَلَعَتْ أَخَاكَ
 وَبَأَيْتَ لِابْنِكَ جَعْفَرَ وَهُوَ صَغِيرٌ دُونَ الْبُلوغِ . أَفَتَرَى كَانَتْ خِلَافَتُهُ
 تَصْحُّ . وَكَانَ مَشَاجِعُ بَنِي هَاشِمٍ يَرْضَوْنَ ذَلِكَ وَيُسَلِّمُونَ الْخِلَافَةَ إِلَيْهِ :
 قَالَ لَا . قَالَ يَحْيَى : فَدَعْ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى تَاتِيَ عَفْوًا . وَلَوْلَمْ يَكُنْ الْمَهْدِيُّ
 بَايْعَ هَرُونَ لَوْجَبَ أَنْ تَبَايِعَ أَنْتَ لَهُ لِلَا تَخْرُجَ الْخِلَافَةَ مِنْ بَنِي أَبِيكَ :
 فَصَوَّبَ الْهَادِيَ رَأْيَهُ . وَكَانَ الرَّشِيدُ بَعْدَ ذَلِكَ يَرَى هُنَّ مِنْ أَعْظَمِ
 أَيَادِي يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ عِنْدَهُ

وَمِنْ مَكَارِيهِ . فَيَلَ إِنَّ الرَّشِيدَ لَمَّا نَكَبَ الْبَرَامِكَةَ وَأَسْتَأْصَلَ شَافِتَهُ .
 حَرَمَ عَلَى الشُّعُرَاءِ أَنْ يَرْثُوْهُمْ وَأَمْرَ بِالْمُوَاحَدَةِ عَلَى ذَلِكَ . فَاجْنَازَ بَعْضُ
 الْمُحَرَّسِ بَعْضَ الْخَرِبَاتِ . فَرَأَى إِنْسَانًا وَاقِفًا وَفِي يَدِهِ رُفْعَةٌ فِيهَا شِعْرٌ
 يَتَضَمَّنُ رِثَاءَ الْبَرَامِكَةِ وَهُوَ يَنْشُوْهُ وَيَسْكُنُ . فَأَخَذَهُ الْمُحَرَّسُ وَأَتَى بِهِ إِلَى
 الرَّشِيدِ وَقَصَّ عَلَيْهِ الصُّورَةَ . فَاسْتَخْضَعَ الرَّشِيدُ وَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ .
 فَاعْتَرَفَ بِهِ . فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : أَمَا سَمِعْتَ تَحْرِيْبِي لِرِثَائِيْمُ . لَأَفْعَلنَّ يَكَ
 وَلَا صَنَعَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ أَذْنَتَ لِي فِي حِكَاهَةِ حَالِي حِكْيَتِهَا

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْتَ وَرَأَيْكَ. قَالَ قُلْ. قَالَ إِنِّي كُنْتُ مِنْ أَصْغَرِ كُتَابِ
 بَجْيَيْ بْنَ خَالِدٍ وَلَرْ قَمْ حَالًا. فَقَالَ لِي يَوْمًا: أَرِيدُ أَنْ تُسِيفَنِي فِي دَارِكَ
 يَوْمًا فَقُلْتُ: يَا مُولَانَا أَنَا دُونَ ذَلِكَ وَدَارِي لَا تَصْلُحُ لَهُذَا. قَالَ: لَا بُدَّ مِنْ
 ذَلِكَ. قُلْتُ: فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَأَمْهَلْنِي مُنَةً حَتَّى أُصْلِحَ شَانِي وَمَتْرِلي. ثُمَّ بَعْدَ
 ذَلِكَ أَنْتَ وَرَأَيْكَ. قَالَ كَمْ أَمْهَلْكَ. قُلْتُ سَنَةً. قَالَ كَثِيرٌ. قُلْتُ فَشَهُورًا.
 قَالَ نَعَمْ. فَهَضَيْتُ وَشَرَعْتُ فِي إِصْلَاحِ الْمَتَرِلِ وَتَهْبِيَةِ أَسْبَابِ الدَّعَوَةِ.
 فَلَمَّا تَهْبِيَتِ الْأَسْبَابُ أَعْلَمْتُ الْوَزِيرَ بِذَلِكَ فَقَالَ: نَحْنُ غَدًا عِنْدَكَ.
 فَهَضَيْتُ وَتَهْبِيَاتُ فِي الْطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ. فَخَضَرَ الْوَزِيرُ فِي
 غَدٍ وَمَعْهُ أَبْنَاهُ جَعْفَرٌ وَالْفَضْلُ وَعِدَّةٌ بِسِينَتٍ مِنْ خَوَاصِ أَتْبَاعِهِ. فَنَزَلَ
 عَنْ دَائِتِهِ وَنَزَلَ وَلَدَاهُ جَعْفَرٌ وَالْفَضْلُ وَمَنْ مَعَهُ وَقَالَ: يَا فُلَانُ أَنَا جَائِعٌ
 فَعَجَّلَ لِي بِشَيْءٍ. فَقَالَ لِي الْفَضْلُ أَبْنُهُ: الْوَزِيرُ يُحِبُّ الْفَرَارِيَّ الْمَشْوِيَّةَ.
 فَعَجَّلَ مِنْهَا مَا حَضَرَ. فَدَخَلَتْ وَاحْضُرَتْ شَيْئًا. فَأَكَلَ الْوَزِيرُ ثُمَّ قَامَ
 بِتَهْبِيَّ فِي الدَّارِ وَقَالَ: يَا فُلَانُ فَرِّجْنَا فِي دَارِكَ. فَقُلْتُ: يَا مُولَانَا هُنَّ هِيَ
 دَارِي لَيْسَ لِي غَيْرُهَا. قَالَ بَلَى لَكَ غَيْرُهَا. قُلْتُ وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ سِوَاهَا.
 فَقَالَ: هَاتُوا بَنَاءً. فَلَمَّا حَضَرَ قَالَ لَهُ: أَفْتَحْ فِي هُذَا الْحَائِطِ بَابًا. فَهَضَى
 لِيَفْتَحَ. فَقُلْتُ: يَا مُولَانَا كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُفْتَحَ بَابٌ إِلَى بَيْوَتِ الْجِيَرانِ وَاللَّهُ
 أَوْصَى بِحَفْظِ الْجَارِ. قَالَ: لَا يَأْسَ فِي ذَلِكَ ثُمَّ فَتَحَ الْبَابَ. فَقَامَ الْوَزِيرُ
 وَأَبْناؤهُ فَدَخَلُوا فِيهِ وَأَنَا مَعْمُ خَرَجَ مِنْهُ إِلَى بُسْتَانِ حَسَنٍ كَثِيرًا لِلْتَّنْجَارِ
 وَالْمَاءِ يَتَدَقُّ فِيهِ وَهِيَ مِنَ الْمَقَاصِيرِ وَالْمَسَاكِينِ مَا يَرُوقُ كُلَّ نَاظِرٍ وَفِيهِ مِنَ
 الْآلاتِ وَالْفُرُشِ وَالْخَدَمِ وَالْجَوَارِيِّ كُلُّ جَمِيلٍ بَدِيعٍ فَقَالَ: هُذَا الْمَتَرِلُ

وَجَمِيعُ مَا فِيهِ لَكَ . فَقَبَّلَتْ يَدَ وَدَعَوْتُ لَهُ وَتَحَقَّقَتْ الْفِصَّةَ . فَإِذَا هُوَ مِنْ
 يَوْمَ حَادَّتِي فِي مَعْنَى الدَّعْوَةِ . قَدْ أَرْسَلَ وَأَشْتَرَى الْأَمْلَاكَ الْجَارِيَّةَ
 لِي . وَعَمَّرَهَا دَارًا حَسَنَةً وَنَقَلَ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَأَنَا لَا أَعْلَمُ وَكُنْتُ أَرَى
 الْعِمَارَةَ وَاحْسِبُهَا لِبَعْضِ الْجِنِّيَّاتِ . فَقَالَ لِابْنِهِ جَعْفَرٌ : يَا بْنَى هَذَا مَنْزِلُ
 وَعِيَالُ . فَالْمَلَادَةُ مِنْ أَمْيَنْ تَكُونُ لَهُ . قَالَ جَعْفَرٌ : قَدْ أَعْطَيْتُهُ الْضَّيْعَةَ الْفَلَانِيَّةَ
 بِمَا فِيهَا وَسَأَكْتُبُ لَهُ بِذِلِّكَ كِتَابًا . فَأَتَتْنَتَ إِلَيْهِ الْفَضْلِ وَقَالَ لَهُ :
 يَا بْنَى . فِينَ الْآنِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ دَارُ هُنْدِ الْضَّيْعَةِ مَا الَّذِي يُنْفِقُ . فَقَالَ
 الْفَضْلُ : عَلَيَّ عَشَقُ الْأَقْدَارِ دِينَارٍ أَحْمَلُهَا إِلَيْهِ . فَقَالَ : فَعِلَّالَهُ مَا قُلْنَا .
 فَكَتَبَ لِي جَعْفَرٌ بِالْضَّيْعَةِ . وَحَمَلَ الْفَضْلُ إِلَيَّ الْمَالَ فَأَثْرَيْتُ وَأَرْتَفَعْتُ
 حَالِي وَكَسَبْتُ بَعْدَ ذِلِّكَ مَعْهُ مَا لَا طَائِلًا أَنَا نَقْلُبُ فِيهِ إِلَى الْيَوْمِ . فَوَاللهِ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَحَدُ فُرْصَةَ أَتَمْكُنُ فِيهَا مِنَ الشَّنَاعَةِ عَلَيْمَ فَالدُّعَاءِ
 لَهُمْ إِلَّا أَنْتَهُمْ مُكَافَأَةٌ لَهُمْ عَلَى إِحْسَانِهِمْ وَلَنْ أَقْدِرَ عَلَى مُكَافَاتِهِ . فَإِنْ كُنْتَ
 قَاتِلٍ عَلَى ذِلِّكَ . فَافْعُلْ مَا بَدَأَ لَكَ . فَرَقَ الرَّشِيدُ بِذِلِّكَ وَأَطْلَقَهُ وَأَذْنَ
 لِجَمِيعِ النَّاسِ فِي رَوَاتِئِمْ

قِيلَ إِنَّ هُرُونَ الرَّشِيدَ حَجَّ . وَمَعَهُ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ بْنَ بَرْمَكَ . وَمَعَهُ وَلَدَاهُ
 الْفَضْلُ وَجَعْفَرٌ . فَمَا وَصَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ جَلَسَ الرَّشِيدُ وَمَعَهُ يَحْيَى . فَأَعْطَيْتَهُ
 النَّاسَ . وَجَلَسَ الْأَمِينُ وَمَعَهُ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى فَأَعْطَيْتَهُمَا النَّاسَ . وَجَلَسَ
 الْمَامُونُ وَمَعَهُ جَعْفَرٌ فَأَعْطَيْتَهُمَا النَّاسَ . فَأَعْطَوْتُهُمَا فِي تِلْكَ السَّنَةِ ثَلَاثَ
 أَعْطِيَاتٍ ضُرِبَتْ بِكَثْرَتِهَا الْأَمْثَالُ . وَكَانُوا يُسْمُونَهُ عَامَ الْأَعْطِيَاتِ الْثَّلِثِ
 وَأَثْرَى النَّاسُ بِسَبَبِ ذِلِّكَ . وَفِي ذِلِّكَ يَقُولُ أَشَاعِرُ

أَتَانَا بُنُو الْأَمَالِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ
 فَيَاطِيبَ أَخْبَارَ وَيَاحْسَنَ مَنْظَرِ
 وَأُخْرَى إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْمُسْتَرِ
 يَبْحِي وَبِالْفَضْلِ بْنِ يَبْحِي وَجَعْفَرِ
 يَمَكَّةَ مَا تَحْوِي ثَلَاثَةُ أَقْمَرِ
 فَتُظْلِمُ بَغْدَادُ وَتَجْلُو لَنَا الدَّجَاجَ
 فَمَا خَلَقْتَ إِلَّا لَجُودٍ أَكْفُمٍ
 إِذَا رَأَيْتَ يَحْيَى الْأَمْرَ دَلَّتْ صِعَابُهُ
 كَانَ يَبْحِي يَقُولُ مَا خَاطَبَنِي أَحَدٌ إِلَّا هِبَتْهُ
 حَتَّى يَتَكَلَّمَ فَإِذَا تَكَلَّمَ كَانَ
 بَيْنَ النَّتَنِينِ إِمَامًا تَزِيدَ هَبَيْتَهُ وَتَضْمِيلُ
 وَكَانَ يَقُولُ الْمَوْاعِدُ شَبَاكُ
 الْكِرَامُ يَصِيدُونَ بِهَا حَمَادًا الْأَحْرَارِ
 كَانَ يَبْحِي إِذَا رَكِبَ يُعْدُ صُرَرًا فِي
 كُلِّ صُرَقِ مِسْتَادِرِهِ يَدْفَعُهَا إِلَى الْمُتَعَرِّضِينَ لَهُ
 كَانَ الْفَضْلُ مِنْ كِرَامِ الدُّنْيَا وَجَوَادِ أَهْلِ عَصَمِ
 وَكَانَ قَدْأَرْ ضَعْتَهُ
 أُمُّ هَرُونَ الرَّشِيدُ وَأَرْضَعَتْ أُمُّهُ الرَّشِيدَ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ مَرْوَانُ بْنُ
 أَبِي حَفْصَةَ
 كَفَى لَكَ فَخْرًا أَنَّ أَكْرَمَ حُرَّ
 غَدْتَكَ بِشَدِيَّ وَالْخَلِيفَةَ وَاحِدَ
 لَقْدِ زِنْتَ يَبْحِي فِي الْمَشَاهِدِ كُلُّهَا
 كَما زَانَ يَبْحِي خَالِدًا فِي الْمَشَاهِدِ
 وَلَاهُ الرَّشِيدُ خُرَاسَانَ فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَبُو الْهُولِ الشَّاعِرُ مَادِحًا مُعَذِّرًا
 مِنْ شِعْرٍ كَانَ هَجَاءَ بِهِ فَأَنْشَأَ
 سَرَى نَحْوَهُ مِنْ غَضِبَةِ الْفَضْلِ عَارِضًّا لَهُ لُجَّةٌ فِيهَا الْبُوارِقُ وَالرَّعْدُ
 وَكَيْفَ يَنَمُ اللَّيْلَ مُلْقِي فِرَاشَهُ عَلَى مَدْرَاجٍ يَعْتَادُهُ أَلَّا سَدُ الْوَرَدُ

وَمَا لِي إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ مِنْ أَجْرٍ مَا يُخْشِي عَلَى مِثْلِهِ الْحِقْدُ
 فَجُدْ بِالرِّضَى لَا أَبْغِي مِنْكَ غَيْرَهُ وَرَأَيْكَ فِيمَا كُنْتَ عَوْذَتِي بَعْدُ
 فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ : لَا أَحْنِمُ تَقْرِيقَكَ بَيْنَ رِضَاكَ وَإِحْسَانِي . وَهُمْ
 مُقْرُونَ بِهِ فَإِنْ أَرَدْتُهُمَا مَعًا وَلَا فَدَعْهُمَا مَعًا . ثُمَّ وَصَلَةُ وَرَضِيَّ عَنْهُ
 حَدَّثَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كُنْتُ قَدْرَيْسُ جَارِيَّهُ وَتَقْنِمُهَا
 وَعَلِمْتُهَا حَتَّى بَرَعْتُ ثُمَّ أَهْدَيْتُهَا إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى . فَقَالَ لِي يَا إِسْحَاقُ .
 إِنَّ رَسُولَ صَاحِبِ الْمِصْرَ قَدْ وَرَدَ إِلَيَّ يَسَا لَنِي حَاجَةً أَقْرِبُهَا عَلَيْهِ .
 فَدَعْ هُنْهُ الْجَارِيَّهُ عِنْدَكَ فَإِنَّنِي سَاطَلَهَا وَاعْلَمُهُ أَنِي أَرِيدُهَا . فَإِنَّهُ سَوْفَ
 يَحْضُرُ إِلَيْكَ وَيُسَاوِمُكَ فِيهَا . فَلَا تَأْخُذْ فِيهَا أَقْلَمِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارِ
 قَالَ إِسْحَاقُ : فَمَضَيْتُ بِالْجَارِيَّهُ إِلَى مَتْرِي . فَجَاءَ إِلَيَّ رَسُولُ صَاحِبِ
 الْمِصْرَ وَسَأَلَنِي عَنِ الْجَارِيَّهُ فَأَخْرَجْتُهَا إِلَيْهِ . فَبَذَلَ فِيهَا عَشَقَ أَلْفَ
 دِينَارٍ فَأَمْتَنَعْتُ . فَصَعِدَ إِلَى عِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فَأَمْتَنَعْتُ . فَصَعِدَ
 إِلَى ثَلَاثِينَ أَلْفًا فَأَمْلَكْتُ نَفْسِي حَتَّى قُلْتُ لَهُ بِعْتَكَ . وَسَلَّمَتُ الْجَارِيَّهُ
 إِلَيْهِ وَقَبَضَتُ مِنْهُ الْمَالَ . ثُمَّ إِنِّي أَتَيْتُ مِنْ أَغْدِيَهُ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى فَقَالَ
 يَا إِسْحَاقُ يَكُونُ بِكَ بَعْتُ الْجَارِيَّهُ . قُلْتُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . قَالَ أَلَمْ أَقْلُ لَكَ
 لَا تَأْخُذْ مِنْهُ أَقْلَمِنْ خَمْسِينَ أَلْفًا . قُلْتُ فِدَاكَ أَيْ وَأَمِي وَاللَّهُ مَا مَلَكْتُ
 نَفْسِي مُنْذُ سَعَتُ لِنَظَةَ ثَلَاثِينَ . فَتَبَسَّمَ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ رَسُولَ صَاحِبِ
 الْرُّومِ قَدْ سَأَلَنِي أَيْضًا حَاجَةً وَسَاقَ تَرِحُّ عَلَيْهِ هُنْهُ الْجَارِيَّهُ وَادْلُهُ عَلَيْكَ
 فَخُذْ جَارِيَّتَكَ وَأَنْصَرِفْ إِلَى مَتْرِيْكَ . فَإِذَا سَاوَمَكَ فِيهَا فَلَا تَأْخُذْ مِنْهُ
 أَقْلَمِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ

فَأَخْذَتُ الْجَارِيَةَ وَأَنْصَرْتُ إِلَى مَنْزِلِي . فَأَتَانِي رَسُولُ صَاحِبِ الرُّومِ
 وَسَاوِمِي فِي الْجَارِيَةِ . فَطَلَبَتْ حَمْسِينَ الْفَاقِلَ : هَذَا كَثِيرٌ وَلَكِنْ
 تَأْخُذُ مِنِّي ثَلَاثِينَ أَلْفًا : فَوَاللَّهِ مَا مَلَكْتُ نَفْسِي مُنْذَ سَعَتُ لِفَظَةَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا
 حَتَّى قُلْتُ لَهُ . بِعْتَكَ . ثُمَّ قَبَضَتُ الْمَالَ مِنْهُ وَسَلَّمَتُ الْجَارِيَةَ إِلَيْهِ .
 وَمَضَيْتُ مِنَ الْغَدِ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ بَحْرٍ فَقَالَ : مَا صَنَعْتَ وَبِكُمْ يُعْتَدُ
 الْجَارِيَةَ يَا إِسْحَقُ . قُلْتُ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا . قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَوْصَيْتَكَ أَنْ
 لَا تَأْخُذَ فِيهَا أَقْلَمَ مِنْ حَمْسِينَ أَلْفًا . قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ وَاللَّهِ إِنِّي لَهَا
 سَعَتُ قَوْلَهُ ثَلَاثِينَ أَلْفًا سَرَخْتُ جَمِيعَ أَعْصَاءِي . فَضَحِّيَّكَ وَقَالَ : حَذْ
 جَارِيَّتَكَ وَأَدْهَبَ إِلَى مَنْزِلِكَ . فَفِي غَدِيَّةِ يَجِيَّ إِلَيْكَ رَسُولُ صَاحِبِ
 خُرَاسَانَ . فَقَوْنَسَكَ وَلَا تَأْخُذْ مِنْهُ أَقْلَمَ مِنْ حَمْسِينَ أَلْفًا . قَالَ إِسْحَاقُ :
 فَأَخْذَتُ الْجَارِيَةَ وَمَضَيْتُ إِلَى مَنْزِلِي . فَجَاءَنِي رَسُولُ صَاحِبِ خُرَاسَانَ
 وَسَاوِمِي فِيهَا . فَطَلَبَتْ حَمْسِينَ أَلْفًا فَقَالَ لِي : هَذَا كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَأْخُذُ
 ثَلَاثِينَ أَلْفًا . فَقَوْيَتْ نَفْسِي وَأَمْتَنَعْتُ . فَصَعَدَ مَعِي إِلَى أَرْبَعِينَ أَلْفَ
 دِينَارٍ . فَكَادَ عَقْلِي يَذَهَبُ مِنَ الْفَرَحِ . وَلَمْ أَتَهَالِكَ أَنْ أَقُولَ لَهُ بِعْتَكَ :
 فَأَخْضَرَ الْمَالَ وَأَقْبَضَنِيهِ وَسَلَّمَتُ الْجَارِيَةَ إِلَيْهِ . وَمَضَيْتُ مِنَ الْغَدِ إِلَى
 الْفَضْلِ فَقَالَ لِي : بِكُمْ يُعْتَدُ الْجَارِيَةَ : قُلْتُ : يَارَبِّيَّ أَلْفًا . وَوَاللَّهِ لَهَا
 سَعَتُهَا مِنْهُ كَادَ عَقْلِي يَذَهَبُ . وَقَدْ حَصَلَ عِنْدِي جُعِلْتُ فِدَاكَ مِئَةً
 أَلْفَ دِينَارٍ . وَلَمْ يَبْقَ لِي أَمْلَ . فَأَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَكَ . فَأَمَرَ بِالْجَارِيَةِ
 فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ وَقَالَ : يَا إِسْحَاقُ خُذْ جَارِيَّتَكَ وَأَنْصَرِفْ . قَالَ إِسْحَاقُ :
 قُلْتُ هَذِهِ الْجَارِيَةُ وَاللَّهِ أَعْظَمُ النَّاسِ بِرَحْمَةِ اللَّهِ فَأَعْنَقْتُهَا وَتَزَوَّجْتُهَا فَوَلَدَتْ

لِي أَوْلَادِي

٦٣

قِيلَ إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامَ أَبْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ عَلَى أَبْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الْعَبَّاسِ حَضَرَ يَوْمًا عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى وَمَعَهُ سَفَطٌ فِيهِ جَوْهَرٌ وَقَالَ
لَهُ: إِنَّ حَاصِلِي قَدْ قَصَرَ عَنِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ. وَقَدْ عَلَانِي دَيْنِي مَبْلَغُهُ أَلْفٌ
أَلْفٌ دِرْهَمٌ فَإِنِّي أَسْتَحِي أَنْ أُعْلِمَ أَحَدًا بِذِلِّكَ وَأَنْتُ أَنْ أَسْأَلَ أَحَدًا مِنَ
الْتَّجَارِ أَنْ يُقْرِضَنِي ذِلِّكَ . وَإِنْ كَانَ مَعِي رَهْنٌ يَنْبَغِي بِالْقِيمَةِ . وَأَنْتَ
أَبْقَاكَ اللَّهَ لَكَ بُعْجَارًا يُعَامِلُونَكَ . وَإِنَّا أَسَّلْكَ أَنْ تَقْرِضَ لِي مِنْ أَحَدِهِمْ
هَذَا الْمُبْلَغَ وَتُعْطِيهِ هَذَا الرَّهْنَ : فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ: أَسْمِعْ وَالطَّاعَةَ وَلِكَنَّ
نُجُحَ هَذِهِ الْحَاجَةِ أَنْ نُقْيمَ عِنْدِي هَذَا الْيَوْمَ . فَأَقَامَ عِنْهُ . ثُمَّ إِنَّ الْفَضْلَ
أَخَدَ السَّفَطَ مِنْهُ وَهُوَ مُخْتُومٌ بِخَنْمِهِ . وَأَرْسَلَ مَعَهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَنَفَذَ
الْدَّرَاهِمَ وَالسَّفَطَ إِلَى مَزِيرَهِ وَأَخَذَ خَطًّا وَكِلَهِ بِقَبِضِهِ . فَأَقَامَ مُحَمَّدٌ فِي
دَارِ الْفَضْلِ إِلَى آخِرِ النَّهَارِ . ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَى دَارِهِ فَوَجَدَ السَّفَطَ وَمَعَهُ
أَلْفَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَسَرَّ بِذِلِّكَ سُرُورًا عَظِيمًا . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ بَكَرَ
إِلَى الْفَضْلِ لِيَشْكُرَهُ عَلَى ذِلِّكَ . فَوَجَدَنَ قَدْ بَكَرَ إِلَى دَارِ الرَّشِيدِ . فَمَضَى
مُحَمَّدٌ إِلَى دَارِ الرَّشِيدِ . فَلَمَّا عَلِمَ الْفَضْلُ بِهِ خَرَجَ مِنْ بَابِ آخَرَ وَمَضَى إِلَى
دَارِ أَيِّهِ . فَمَضَى مُحَمَّدٌ إِلَيْهِ . فَخَيَّنَ عَلَمٌ بِهِ خَرَجَ بِبَابِ آخَرَ وَمَضَى إِلَى
مَزِيرَهِ . فَمَضَى مُحَمَّدٌ إِلَيْهِ وَاجْتَمَعَ بِهِ وَشَكَرَهُ عَلَى فِعْلِهِ وَقَالَ: إِنِّي بَكَرْتُ
إِلَيْكَ لِأَشْكُرَكَ عَلَى إِحْسَانِكَ : فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ: إِنِّي فَكَرْتُ فِي أَمْرِكَ
فَرَأَيْتُ إِنَّ هَذِهِ الْأَلْفَ الْفَالَّا الَّتِي حَمَلْتُهَا أَمْسِ إِلَيْكَ تَقْضِي بِهَا دَيْنَكَ .
ثُمَّ تَحَاجَعَ إِلَيْهِ فَتَقْرِضُ . فَبَعْدَ قَلِيلٍ يَعْلُوكَ مِثْلُهَا . فَبَكَرْتُ الْيَوْمَ إِلَى

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَعَرَضَتْ عَلَيْهِ حَالَكَ وَأَخَذَتْ لَكَ مِنْهُ أَلْفَ أَلْفِ
دِرْهَمٍ أُخْرَى. فَلَمَّا حَضَرَتْ إِلَى بَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ خَرَجَتْ أَنَا يَابَ
آخَرَ وَكَذِيلَكَ فَعَلَتْ لَهَا حَضَرَتْ إِلَى بَابِ أَبِي لَيْلَى مَا كُنْتُ أُوْثِرُ أَنَّ
الْفَاكَ حَتَّى يُحْمَلَ الْمَالُ إِلَى مَنْزِيلَكَ وَقَدْ حُمِلَ : فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : يَا يَ شَيْءُ
أَجَازِيكَ عَلَى هَذَا الْإِحْسَانِ مَا عِنْدِي شَيْءٌ أَجَازِيكَ بِهِ إِلَّا أَنِّي أَلْتَزَمُ
بِالْأَيْمَانِ الْمُوَكَّدَةِ وَالْطَّلاقِ وَالْعَتَاقِ وَالْمَنْجَى أَنِّي مَا أَفِفُ عَلَى بَابِ غَيْرِكَ
وَلَا أَسَالُ سِواكَ : قَالُوا . وَحَافَ مُحَمَّدٌ أَيْمَانًا مُوَكَّدَةً وَكَتَبَ بِهَا خَطَهُ
وَأَشْهَدَ بِهِ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَا يَقْفُزُ يَابَ غَيْرِ الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى . فَلَمَّا ذَهَبَتْ حَوْلَةُ
الْبَرَامِيَّةِ وَتَوَلَّ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ الْوِزَارَةَ بَعْدَهُمْ أَحْتَاجَ مُحَمَّدٌ فَقَالُوا
لَهُ : لَوْ رَكِبْتَ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ ... فَلَمْ يَفْعَلْ وَالْتَّزَمَ بِالْأَيْمَانِ فَلَمْ
يَرْكِبْ إِلَى أَحَدٍ وَلَمْ يَقْفُزْ عَلَى بَابِ أَحَدٍ حَتَّى مَاتَ
سِينَتْ جَعْفَرَ بْنِ يَحْيَى الْبَرَامِيِّ

كَانَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى فَصِيحًا لَيْبَيَا ذِكْرًا فَطَنَّا كَرِيمًا حَلِيمًا . وَكَانَ أَرْرَشِيدُ
يَأْنُسُ بْنُ يَأْنَسٍ مِنْ أَنْسِهِ يَأْخِيهِ الْفَضْلِ لِسُهُولَةَ أَخْلَاقِ جَعْفَرٍ وَشَرَاسَةِ
أَخْلَاقِ الْفَضْلِ . قَالَ الرَّشِيدُ يَوْمًا لَيَحْيَى : يَا أَبِي مَا بَالُ النَّاسِ يُسْمُونَ
الْفَضْلَ الْوَزِيرَ الصَّغِيرَ وَلَا يُسْمُونَ جَعْفَرًا بِذِيلِكَ : فَقَالَ يَحْيَى لِأَنَّ الْفَضْلَ
بِخَلْفِي . قَالَ : فَضُمْ إِلَى جَعْفَرٍ أَعْمَالَ كَاعِلِ الْفَضْلِ . فَقَالَ يَحْيَى : إِنَّ
خِدْمَتَكَ وَمُنَادَمَتَكَ تَشْغَلَانِي عَنْ ذِيلِكَ . فَجَعَلَ إِلَيْهِ أَمْرَ دَارِ الرَّشِيدِ .
وَسَيِّدِ الْوَزِيرِ الصَّغِيرِ أَيْضًا
قَالَ الرَّشِيدُ يَوْمًا لَيَحْيَى : قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَنْقُلَ دِيَوَانَ الْحَاتَمَ مِنْ الْفَضْلِ

إِلَى جَعْفَرٍ. وَقَدْ أَسْتَهِبْتُ مِنْ مَكَانِتِهِ فِي هَذَا الْمَعْنَى فَأَكْتُبْ أَنْتَ إِلَيْهِ.
 فَكَتَبَ يَحْيَى إِلَى النَّفْضَلِ: قَدْ أَمْرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَى اللَّهِ أَمْرَهُ أَنْ تُخُولَ
 الْخَاتَمَ مِنْ بَيْنِكَ إِلَى شَالِكَ. فَاجَابَهُ الْفَضْلُ: قَدْ سَعَتْ لِمَا أَمْرَبْهُ أَمِيرُ
 الْمُؤْمِنِينَ فِي أَخِي وَمَا أَنْتَلَتْ عَنِ نِعْمَةِ صَارَتْ إِلَيْهِ وَلَا غَرَبَتْ عَنِي
 رُوْبَةً طَلَعَتْ عَلَيْهِ. فَقَالَ جَعْفَرٌ: لِلَّهِ دَرُّ أَخِي مَا أَكِيسَ نَفْسَهُ وَأَظْهَرَ
 دَلَائِلَ الْفَضْلِ عَلَيْهِ وَأَقْوَى مِنْهُ الْعُقْلِ عِنْدَهُ وَأَوْسَعَ فِي الْبَلَاغَةِ حَدْرَعَهُ
 قِيلَ إِنَّ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى الْبَرْمَكِيَّ. جَلَسَ يَوْمًا لِلشَّرْبِ وَاحْبَبَ الْخَلْوَةَ.
 فَأَخْبَرَ نَذَمَاءَ الَّذِينَ يَا نُسُبَ يَوْمًا وَجَلَسَ مَعْهُمْ وَقَدْ هُوَ الْمَحِلُّ وَلَيَسُوا
 الشِّيَابَ الْمُصْبَغَةَ وَكَانُوا إِذَا جَلَسُوا فِي مَجِلِسِ الشَّرَابِ وَاللَّهُو. لَيَسُوا الشِّيَابَ
 الْأَحْمَرَ وَالصَّفْرَ وَالْأَخْضَرَ. ثُمَّ إِنَّ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى تَقْدَمَ إِلَى الْحَاجِبِ أَنَّ
 لَا يَأْذِنَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى سَوَى رَجُلٍ مِنَ النَّذَمَاءِ كَانَ قَدْ
 تَأْخَرَ عَنْهُمْ أَسْمَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَاحِبٍ. ثُمَّ جَلَسُوا يَشْرُبُونَ وَدَارَتِ
 الْكَاسَاتُ. وَخَفَقَتِ الْعِيدَانُ. وَكَانَ رَجُلٌ مِنْ أَقْرَبِ الْخَلِيفَةِ يُقَالُ لَهُ
 عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَاحِبٍ بْنَ عَلَيٍّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ. وَكَانَ شَدِيدَ
 الْوَقَارِ وَالْدِينِ وَالْحِشْمَةِ. وَكَانَ الرَّشِيدُ قَدِ الْتَّمَسَ مِنْهُ أَنْ يُنَادِيهِ
 وَيَشْرَبَ مَعَهُ وَبَذَلَ لَهُ عَلَى ذِلِّكَ أَمْوَالًا جَلِيلَةً فَلَمْ يَفْعَلْ. فَأَتَقَّنَ أَنَّ هَذَا
 عَبْدُ الْمَلِكِ بْنَ صَاحِبٍ حَضَرَ إِلَى بَابِ جَعْفَرٍ بْنِ يَحْيَى لِيُخَاطِبَهُ فِي حَوَاجِجِ
 لَهُ. فَظَانَ الْحَاجِبُ أَنَّهُ هُوَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَاحِبٍ الَّذِي تَقْدَمَ جَعْفَرُ بْنُ
 يَحْيَى يَا إِلَذِنِ لَهُ وَأَنَّ لَا يُدْخِلَ غَيْرَهُ. فَأَذِنَ الْحَاجِبُ لَهُ . فَدَخَلَ عَبْدُ
 الْمَلِكِ بْنُ صَاحِبٍ الْعَبَّاسِيَّ عَلَى جَعْفَرٍ بْنِ يَحْيَى. فَلَمَّا رَأَهُ جَعْفَرٌ كَادَ عَقْلُهُ

يَذْهَبُ مِنَ الْجِبَاءِ وَفَطَنَ أَنَّ الْقُضِيَّةَ قَدِ اسْتَبَهَتْ عَلَى الْحَاجِبِ بِطَرِيفِ
 اسْتِبَاهُ الْاسْمِ . وَفَطَنَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَاحِبِهِ أَيْضًا لِلْقِصَّةِ وَظَهَرَ لَهُ
 أَنَّهُ جَلُّ فِي وَجْهِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى . فَانْبَسَطَ عَبْدُ الْمَلِكِ وَقَالَ: لَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ
 أَخْضُرُوا لَنَا مِنْ هَذِهِ الْشَّيَّابِ الْمُصَبَّغَةِ شَيْئًا . فَأَخْضَرَ لَهُ قِصْصُ مَصْبُوغٍ
 فَلَيْسَهُ وَجَلَسَ يُبَاسِطُ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى وَيُمَازِحُهُ وَقَالَ: أَسْفُونَا مِنْ شَرَائِكُمْ
 فَسَقَوْهُ رِطْلًا وَقَالَ: أَرْفُقُوا بِنَا فَلَيْسَ لَنَا عَادَةٌ بِهَذَا . ثُمَّ بَاسَطَهُ وَمَازَ حَمَّ
 وَمَازَ الْحَتَّى أَنْبَسَطَ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى وَزَالَ أَنْقِبَاضُهُ وَحِيَاوَهُ . فَفَرَّجَ جَعْفَرَ
 بِذِلِّكَ فَرَحًا شَدِيدًا وَقَالَ لَهُ: مَا حَاجْتُكَ . قَالَ حَتَّى أَصْلَحَكَ اللَّهُ فِي
 ثَلَاثَ حَوَائِجَ . أَرِيدُ أَنْ تُخَاطِبَ الْمُخْلِفَةَ فِيهَا . أَوْلَاهَا أَنْ عَلَى دَيْنِاً مَبْلَغُهُ
 أَلْفُ أَلْفٍ دِرْهَمٌ أَرِيدُ قَضَاهُ . ثَانِيهَا أَرِيدُ وَلَا يَةً لِأَنِّي يَشْرُفُ إِلَيْهَا
 قَدْرُهُ . وَثَالِثَهَا أَرِيدُ أَنْ تُزْوِّجَ وَلَدِي بِابْنَةِ الْمُخْلِفَةَ فَإِنَّهَا يَنْتُ عَبِيدَهُ وَهُوَ
 كُفُوءٌ لَهَا . فَقَالَ جَعْفَرَ بْنُ يَحْيَى: قَدْ قَضَى اللَّهُ هَذِهِ الْحَوَائِجَ الْثَلَاثَ . أَمَا
 الْمَالُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ يُحْمَلُ إِلَى مَنْزِلِكَ . وَأَمَا الْوِلَايَةُ فَقَدْ وَلَيْتُ أَبْنَكَ
 مِصْرَ . وَأَمَا الزَّوْجُ فَقَدْ زَوْجَهُ فُلَانَةً أَبْنَةَ مَوْلَانَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
 صِدَاقٍ مَبْلَغُهُ كَذَا وَكَذَا . فَانْصَرَفَ فِي أَمَانِ اللَّهِ . فَرَأَجَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى
 مَنْزِلِهِ . فَرَأَى الْمَالَ قَدْ سَبَقَهُ . وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ حَضَرَ جَعْفَرَ عِنْدَهُ
 الرَّشِيدِ وَعَرَفَهُ مَا جَرَى وَأَنَّهُ قَدْ وَلَاهُ مِصْرُ وَزَوْجُهُ أُبْنَتَهُ . فَعَجَبَ الرَّشِيدُ مِنْ
 ذَلِكَ وَأَمْضَى الْعُقْدَ وَالْوِلَايَةَ . فَأَخْرَجَ جَعْفَرَ مِنْ دَارِ الرَّشِيدِ حَتَّى كَتَبَ
 لَهُ التَّقْلِيدَ بِمَصْرَ وَأَخْضَرَ الْقِضاَةَ وَالشُّهُودَ وَعَقَدَ الْعُقْدَ
 وَقِيلَ إِنَّ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى كَانَ يَسْهُونَ وَيَسْهُونَ صَاحِبِ مَصْرَ عَدَاوةً وَوَحْشَةً

وَكَانَ كُلُّ مِنْهَا مُجَانِبًا لِلآخرِ. فَزَوَرَ بَعْضُ النَّاسِ كِتَابًا عَنْ لِسَانِ جَعْفَرِ
 بْنِ يَحْيَى إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ مَفْمُونَهُ. أَنَّ حَامِلَ هَذَا الْكِتَابَ مِنْ أَخْصِ
 أَصْحَابِنَا. وَقَدْ أَثْرَ التَّفَرْجَ فِي الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ فَأَرِيدُ أَنْ تُخْسِنَ الْإِلْنَفَاتَ
 إِلَيْهِ وَبَالَغَ فِي الْوَصِيَّةِ. ثُمَّ أَخَذَ الْكِتَابَ وَمَضَى إِلَى مِصْرَ وَعَرَضَهُ عَلَى
 صَاحِبِهَا. فَلَمَّا وَقَتَ عَلَيْهِ تَعْجَبَ مِنْهُ وَفَرَحَ بِهِ. إِلَّا أَنَّهُ حَصَلَ عِنْهُ
 أَرْتَيَابٌ وَشَكٌ فِي الْكِتَابِ. فَأَكْرَمَ الرَّجُلَ وَأَنْزَلَهُ فِي دَارِ حَسَنَةِ
 وَأَقَامَ لَهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَأَخَذَ الْكِتَابَ مِنْهُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى وَكِيلِهِ يَسْعَدَادَ
 وَقَالَ لَهُ: قَدْ وَصَلَ شَخْصٌ مِنْ أَصْحَابِ الْوَزِيرِ بِهِذَا الْكِتَابِ وَقَدِ
 أَرْتَبَتْ بِهِ فَأَرِيدُ أَنْ تُتَخَصِّصَ لِي عَنْ حَقِيقَةِ الْحَالِ فِي ذَلِكَ. وَهَلْ هُذَا
 خَطُ الْوَزِيرِ أَمْ لَا: وَأَرْسَلَ كِتَابَ الْوَزِيرِ صُبْحَةً مَكْتُوبَهُ إِلَى وَكِيلِهِ.
 فَجَاءَ الْوَكِيلُ إِلَى وَكِيلِ الْوَزِيرِ وَحَدَّثَهُ بِالْقِصَّةِ وَأَرَاهُ الْكِتَابَ. فَأَخَذَهُ
 وَكِيلُ الْوَزِيرِ وَدَخَلَ إِلَى الْوَزِيرِ وَعَرَفَهُ الْحَالَ. فَلَمَّا وَقَتَ جَعْفَرُ بْنُ
 يَحْيَى عَلَى الْكِتَابِ عَلِمَ أَنَّهُ مُزَوْرٌ عَلَيْهِ. وَكَانَ عِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ نَدَمَائِهِ
 وَنَوَّابِهِ. فَرَمَى الْكِتَابَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: أَهْذَا خَطِيْ. فَتَامَلوهُ وَأَنْكَرُوهُ
 كُلُّهُمْ. وَقَالُوا: هُذَا مُزَوْرٌ عَلَى الْوَزِيرِ. فَعَرَفُوهُمْ صُورَةَ الْحَالِ وَأَنَّ الَّذِي
 زَوَرَ هَذَا الْكِتَابَ مَوْجُودٌ بِمِصْرَ عِنْدَ صَاحِبِهَا وَأَنَّهُ يَتَظَرُّ عَوْدًا بِجَوابِ
 بِتَحْقِيقِ حَالِهِ وَقَالَ لَهُمْ: مَا تَرَوْنَ وَكَيْفَ يَبْيَغِي أَنْ نَنْعَلَ فِي هَذَا. فَقَالَ
 بَعْضُهُمْ: يَبْيَغِي أَنْ يُقْتَلَ هَذَا الرَّجُلُ حَتَّى تَخْسِمَ هُنُوْ المَادَّةُ وَلَا يَرْجِعَ
 أَحَدٌ يَتَجَرَّأُ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْفِعْلِ. وَقَالَ آخَرٌ: يَبْيَغِي أَنْ تُقْطَعَ يَمِينُهُ أَنَّهُ
 زَوَرَ بِهَا هَذَا الْخَطِّ. وَقَالَ آخَرٌ: يَبْيَغِي أَنْ يُوجَعَ ضَرِبًا وَيُطْلَقَ حَالَ سَيِّلَهِ.

وَكَانَ أَحْسَنُهُمْ مَحْضَرًا مَنْ قَالَ : يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ عُقُوبَتُهُ عَلَى هَذَا الْفِعْلِ
 حِزْمَانَهُ وَأَنْ يُعْرَفَ صَاحِبُ مِصْرَ بِحَالِهِ لِيَحْرِمَهُ فِي كُفْيَهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ أَنَّهُ قَدْ
 قَطَعَ هَذِهِ الْمَسَافَةَ الْبَيْعِيدَةَ مِنْ بَعْدَادٍ إِلَى مِصْرٍ مُّبِرِجُ خَائِبًا . فَلَمَّا فَرَغُوا
 مِنْ حَدِيثِهِمْ . قَالَ جَعْفُرٌ : سُبْحَانَ اللَّهِ أَلِيَسْ فِيمُكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ . قَدْ عَلِمْتُ
 مَا كَانَ يُبَيِّنُ وَيَبْيَنُ صَاحِبُ مِصْرَ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْمُجَاهَنَةِ وَأَنْ كُلَّ وَاحِدٍ
 مِنْهَا كَانَتْ تَمْنَعُهُ عِنْقُ النَّفْسِ أَنْ يَفْتَحَ بَابَ الصَّلْحِ . فَقَدْ قَيَضَ اللَّهُ لَنَا
 رَجُلًا فَتَحَّقَّ بَابَ الْمَصَاكِحِ وَالْمَكَاتِبِ وَازَّالَ يَنْتَنَا تِلْكَ الْعَدَاوَةَ .
 فَكِيفَ يَكُونُ جَزَاؤُهُ مَا ذَكَرْتُمْ مِنَ الْإِسَاءَةِ ؟ ثُمَّ أَخْذَ الْفَقْمَ وَكَتَبَ عَلَى
 ظَاهِرِ الْكِتَابِ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ : سُبْحَانَ اللَّهِ كَيْفَ حَصَلَ لَكَ الشَّكُّ فِي
 حَاطِي . هَذَا حَاطُ يَدِي وَالرَّجُلُ مِنْ أَعْزَّ أَصْحَابِي وَأَرِيدُ أَنْ تُحْسِنَ إِلَيْهِ
 وَتُعِيدَ إِلَيْهِ سَرِيعًا فَإِنِّي مُشْتَاقٌ إِلَيْهِ مُحْتَاجٌ إِلَى حُضُورِهِ : فَلَمَّا وَصَلَ
 الْكِتَابُ وَفِي ظَاهِرِهِ حَاطُ الْوَزِيرِ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ كَادَ يَطَيِّرُ مِنَ الْفَرَحِ
 وَأَحْسَنَ إِلَى الرَّجُلِ غَايَةَ الْإِحْسَانِ وَوَاصَلَهُ بِمَا لَيْكَيْ وَتُحَفَّ جَمِيلَةً . ثُمَّ
 إِنَّ الرَّجُلَ رَجَعَ إِلَى بَعْدَادٍ وَهُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ حَالًا . فَحَضَرَ إِلَى مَحْلِسٍ
 جَعْفَرٌ وَوَقَعَ يَقِيلُ الْأَرْضَ وَيَبْيَكِي . فَقَالَ لَهُ جَعْفُرٌ : مَنْ أَنْتَ أَخِي قَالَ :
 يَا مُولَانَا أَنَا عَبْدُكَ وَصَنَعْتُكَ الْمَزْوِرُ الْكَذَابُ الْمُتَجَرِّئُ . فَعَرَفَهُ جَعْفَرُ
 وَبَشَّ بِهِ وَأَجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ وَقَالَ لَهُ : كُمْ وَصَلَ إِلَيْكَ
 مِنْهُ . فَقَالَ : مِئَةُ الْفِ دِينَار . فَأَسْتَقْلَهَا جَعْفَرٌ وَقَالَ : لَا زِيْمَنَا حَتَّى نُضَاعِفَهَا
 لَكَ . فَلَازَمَهُ مَذَقَ فَكَسَبَ مَعَهُ مِثْلَهَا
 وَمَا زَالَتْ دُوَلَةُ الْبَرَامِكَةِ فِي عُلُوٍّ وَارْتِفَاعٍ وَتَرَأَيْدٍ حَتَّى أَخْرَفَتْ عَنْهُمْ

الدُّنْيَا. أَمَارَهُ تَذْلِيلٌ عَلَى الْحِرَافِ دَوْلَتِهِ
 حَدَّثَ بَخْنِيشُوعُ الطَّبِيبُ قَالَ: دَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى الرَّشِيدِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي
 قَصْرِ الْخَلْدِ مِنْ مَدِينَةِ الْسَّلَامِ. وَكَانَ الْبَرَامِكَةُ يُسْكُنُونَ بِجِدَاءِهِ مِنَ الْجَانِبِ
 الْآخِرِ وَيَسِّهُمْ وَيَتَهَمُّهُ عَرْضُ دِجلَةَ. قَالَ: فَنَظَرَ الرَّشِيدُ فَرَأَهُ أَعْتَرَكَ
 الْجَيْوَلِ وَازْدِحَامَ النَّاسِ عَلَى بَابِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ فَقَالَ: جَزَى اللَّهُ يَحْيَى
 خَيْرًا تَصَدَّى لِلْأُمُورِ وَأَرَاهُنِي مِنَ الْكَدِّ وَوَقَرَ أَوْفَاتِي عَلَى اللَّذَّةِ. ثُمَّ
 دَخَلْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ أَوْفَاتِي. وَقَدْ شَرَعَ يَتَغَيِّرُ عَلَيْهِ. فَنَظَرَ فَرَأَى الْجَيْوَلَ كَمَا
 رَأَهَا تِلْكَ الْمَرْقَ. فَقَالَ أَسْتَبَدَ يَحْيَى بِالْأُمُورِ دُونِي. فَأَخْلَافَةُ عَلَى الْحَقِيقَةِ
 لَهُ وَلَيْسَ لِي مِنْهَا إِلَّا أَسْهَمَهَا. قَالَ: فَعَلِمْتُ أَنَّهُ سَيَنْكِبُهُمْ ثُمَّ نَكِبُهُمْ عَقِيبَ ذَلِكَ
 شَرْحُ السَّبِبِ فِي نَكِبَةِ الْبَرَامِكَةِ وَكَيْفِيَةِ الْتَّحَالِ

فِي ذَلِكَ

إِخْلَافُ اَحْصَابِ السَّيِّرِ وَالْتَّوَارِيخِ فِي ذَلِكَ. فَقِيلَ كَانَ سَبَبُ ذَلِكَ
 أَنَّ الرَّشِيدَ كَلَّفَ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَى قَتْلَ رَجُلٍ مِنْ آلِ أَبِي طَالِبٍ. فَخَرَجَ
 جَعْفَرٌ مِنْ ذَلِكَ. وَأَطْلَقَ الْطَّالِبَيْ وَسُعِيَ إِلَى الرَّشِيدِ بِجَعْفَرٍ فَقَالَ لَهُ: مَا
 فَعَلَ الْطَّالِبَيْ قَالَ: هُوَ فِي الْحَبْسِ: قَالَ الرَّشِيدُ: يَحْيَاتِي. فَفَطَنَ جَعْفَرُ
 فَقَالَ: لَا وَحْيَا تِلْكَ وَلَكِنَ أَطْلَقْتُهُ لَأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَكُوهُ فَقَالَ
 لَهُ الرَّشِيدُ: نَعَمْ مَا فَعَلْتَ. فَلَمَّا قَامَ جَعْفَرٌ قَالَ الرَّشِيدُ: قُتِلَنِي اللَّهُ إِنْ لَمْ
 أَقْتُلْكَ ثُمَّ نَكِبْهُمْ

وَقِيلَ إِنَّ أَعْدَاءَ الْبَرَامِكَةِ مِثْلَ الْفَضْلِ بْنِ الْرَّبِيعِ. مَا زَالُوا يَسْعَونَ
 بِهِمْ إِلَى الرَّشِيدِ وَيَدْكُرُونَ لَهُ أَسْتِبَادَهُمْ بِالْمُلْكِ وَأَخْتَاجَهُمْ لِلْأَمْوَالِ

حَتَّىٰ أُوْغَرُوا صَدْرَهُ فَأَوْقَعَهُمْ
 وَقِيلَ إِنَّ جَعْفَراً وَالْفَضْلَ أَبْنَيَ يَحْيَىٰ ظَهَرَ مِنْهُمَا مِنَ الْإِدْلَالِ مَا لَا يَحْتَمِلُهُ
 نُفُوسُ الْمُلُوكِ. فَنَكِبُوهُمْ لِذِلْكَ
 وَقِيلَ إِنَّ يَحْيَىٰ بْنَ خَالِدِ الرَّبِيعِيِّ وَهُوَ بِمَكَّةَ يَطْوُفُ حَوْلَ الْبَيْتِ وَيَقُولُ
 اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ رِضاكَ فِي أَنْ تَسْلِبَنِي أَهْلِي وَمَالِي وَوَلَدِي. فَاسْلِبْنِي لَاَلَّا الْفَضْلَ
 وَلَدِي. ثُمَّ وَلَىٰ فَمَا مَشَ قَلِيلًا عَادَ وَقَالَ: يَارَبِّ إِنَّهُ سَجَّعٌ يَمْثِلُ أَنَّ
 يَسْتَشْنِي عَلَيْكَ اللَّهُمَّ وَالْفَضْلَ. فَنَكِبُوهُمْ الرَّشِيدُ بَعْدَ قَلِيلٍ وَقِيلَ غَيْرُ ذِلْكَ
 شَرُّ مَقْتَلِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَىٰ
 وَالْقُبْضِ عَلَىٰ أَهْلِهِ

كَانَ الرَّشِيدُ قَدْ حَجَّ. فَلَمَّا عَادَ مِنَ الْحِجَّةِ إِلَى الْأَنْبَاسِ
 فِي السُّفُنِ وَجَعَلَ يَشْرُبُ وَرَكِبَ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيَىٰ إِلَى الصَّدِيقِ وَجَعَلَ يَشْرُبُ
 تَارَةً وَيَلْهُو أُخْرَى وَحَفَّ الرَّشِيدَ وَهَدَاهَا يَاهْ تَائِبِهِ وَعِنْدَهُ بَخْتِشُوعُ الطَّيْبُ
 وَأَبُوزَكَارِ الْأَعْيَى يَغْنِيهِ. فَلَمَّا أَظْلَلَ الْمَسَاءَ دَعَا الرَّشِيدُ مَسْرُورًا الْخَادِمَ.
 وَكَانَ مُغَضَّا لِجَعْفَرٍ وَقَالَ: أَذْهَبْ فَيَحْيَىٰ بِرَاسِ جَعْفَرٍ وَلَا تُرَاجِعِنِي. فَوَافَاهُ
 مَسْرُورٌ يَغْيِرُ إِذْنَ وَهَجَّ عَلَيْهِ وَأَبُوزَكَارِ يَغْنِيهِ
 فَلَا تَبْعُدْ فَكُلْ فَتَّى سِيَاطِي عَلَيْهِ الْمَوْتُ يَطْرُقُ أَوْ يُغَادِي
 فَلَمَّا دَخَلَ مَسْرُورٌ قَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَىٰ: لَقْدْ سَرَّتِنِي بِمَحِيلِكَ
 وَسُوتِنِي بِدُخُولِكَ عَلَىٰ يَغْيِيرِ إِذْنِي. فَقَالَ الَّذِي هُنْتُ يَهُ أَعْظَمُ أَحَبْ
 أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَا يُرِيدُكَ. فَوَقَعَ عَلَىٰ رِجْلِيِّهِ فَقَبَلَهُ وَقَالَ لَهُ: عَاوِدْ
 أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ الشَّرَابَ قَدْ حَمَلَهُ عَلَىٰ ذِلْكَ وَقَالَ: دَعْنِي أَدْخُلُ

دارِي فَاؤصِبْ . فَقَالَ : الَّذِي لَا سَيِّلَ إِلَيْهِ . وَمَا الْوَصِيَّةُ فَأُوصِبْ بِهَا
بَدَا لَكَ فَاؤصِبْ . ثُمَّ حَمَلَهُ إِلَى مَنْزِلِ الرَّشِيدِ وَعَدَلَ يَهُ إِلَى قُبَّةِ وَضَرَبَ
عَنْقَهُ وَلَمْ تَرْسُ إِلَى الرَّشِيدِ وَبَيَّدَنَهُ فِي نَطْعٍ . وَوَجَهَ الرَّشِيدُ
فَقَبَضَ عَلَى أَيْهِ وَأَخْوَتِهِ وَأَهْلِهِ وَاصْحَابِهِ وَجَسْمَهُ بِالرَّفَقَةِ وَاسْتَأْصَلَ شَافِتَهُ .
وَمِنْ طَرِيفِ مَا وَقَعَ فِي ذَلِكَ مَا رَوَاهُ الْعِمَرَانِيُّ الْمُؤْرِخُ قَالَ : حَدَّثَ
فُلَانُهُ قَالَ : دَخَلْتُ الْدِيَوَانَ فَنَظَرْتُ فِي بَعْضِ تَذَاكِرِ النَّوَابِ فَرَأَيْتُ
فِيهَا أَرْبَعَ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ ثَمَنُ خِلْعَةِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى الْوَزِيرِ . ثُمَّ دَخَلْتُ
بَعْدَ أَيَّامٍ فَرَأَيْتُ تَحْتَ ذَلِكَ عَشَرَ قَرَارِيطَ ثَمَنُ نَفْطٍ وَبَوَارِي لِإِحْرَاقِ
جَهَنَّمَ جَعْفَرَ بْنِ يَحْيَى فَعَجَبْتُ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ أَسْتَوْزَرَ الرَّشِيدُ بَعْدَ الْبَرَامِكَةِ
الْفَضْلَ بْنَ الْرَّبِيعَ وَكَانَ حَاجِبَهُ

وَزَارَةُ أَيِّ الْعَبَاسِ الْفَضْلِ بْنِ الْرَّبِيعِ .
فَكَانَ حَاجِبًا لِلْمُنْصُورِ وَالْمَهْدِيِّ وَالْمَهَادِيِّ وَالرَّشِيدِ . فَلَمَّا نَكَبَ الرَّشِيدُ
الْبَرَامِكَةَ أَسْتَوْزَرَهُ بَعْدَهُمْ . كَانَ الْفَضْلُ بْنُ الْرَّبِيعَ شَهِيدًا خَيْرًا بِأَحْوَالِ
الْمُلُوكِ وَآدَاهُمْ . وَلَمَّا وَلَيَ الْوِزَارَةَ تَهَوَّسَ بِالْأَدَبِ وَجَمَعَ إِلَيْهِ أَهْلَ
الْعِلْمِ فَخَصَّلَ مِنْهُ مَا أَرَادَ فِي مَنْ يَسِيرَةً . وَكَانَ أَبُو نُوَاسَ مِنْ شُعَرَائِهِ
الْمُنْقَطِعِينَ إِلَيْهِ فَمَنْ شَعَرَ فِي آلِ الْرَّبِيعِ

عَبَّاسُ عَبَّاسٌ إِذَا أَضْطَرَمَ الْوَغْنَى وَالْفَضْلُ فَضْلٌ وَالْرَّبِيعُ رَبِيعُ
وَمَا زَالَ الْفَضْلُ بْنُ الْرَّبِيعَ عَلَى وِزَارَتِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ الرَّشِيدُ يَطُوسَ .
فَجَمَعَ الْفَضْلُ الْعُسْكَرَ وَمَا فِيهِ وَرَجَعَ إِلَى بَغْدَادَ . أَنْتَهَى ذِكْرُ خِلَافَةِ
هُرُونَ الرَّشِيدِ

ذِكْرُ خِلَافَةِ أَبِي أَحْمَدَ عَبْدِ اللَّهِ

الْمُسْتَعْصِمُ بِاللهِ

بُويعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ فِي سَنَةِ أَرْبَعِينَ وَسِتِّينَ هُوَ أَخْرُ الْخَلَفَاءِ! كَانَ
الْمُسْتَعْصِمُ رَجُلًا خَيْرًا مُتَدَبِّرًا لِمَنْ أَنْجَابَ سَهْلَ الْعَرِيْكَةِ عَفِيفَ الْلِسَانِ
وَالْغَرَجَ حَمَلَ الْكِتَابَ وَكَتَبَ خَطًا مَلِحًا وَكَانَ سَهْلًا لِلْأَخْلَاقِ وَكَانَ
خَفِيفَ الْوَطَأَةِ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ مُسْتَضْعَفَ الرَّأْيِ ضَعِيفَ الْبَطْشِ قَلِيلَ الْخَبْرَةِ
بِإِمْرَأِ الْمَلَكَةِ مَطْمُوعًا فِيهِ غَيْرَ مَهِبٍ فِي النُّفُوسِ وَلَا مُطْلِعٍ عَلَى حَقَائِقِ
الْأُمُورِ وَكَانَ زَمَانَهُ يَنْقَضِي أَكْثَرُ سَاعَ الْأَغْنَى وَالْتَّفَرُّجُ عَلَى الْمَسَارِخِ.
وَفِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ يَجْلِسُ بِخَزَانَةِ الْكِتَابِ جُلُوسًا لَيْسَ فِيهِ كَبِيرٌ فَائِدَةٌ.
وَكَانَ أَصْحَابَهُ مُسْتَوِّلِينَ عَلَيْهِ وَكُلُّمُ جُهَالٌ مِنْ أَرْذَالِ الْعُوَامِ إِلَّا وَزَيَّنَ
مُوَيَّدَ الدِّينِ مُحَمَّدَ بْنَ الْعَلْقَبَى . فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَعْيَانِ النَّاسِ وَعَقْلَاءِ
الرِّجَالِ وَكَانَ مَكْفُوفَ الْيَدِ مَرْدُودَ الْقَوْلِ يَتَرَقَّبُ الْعَزْلَ وَالْقَبْضَ

الْخَلَفَاءُ هُمُ الَّذِينَ خَلَفُوا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ نَبِيِّ الْإِسْلَامِ وَتَولَّوُ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ يَنْعِيْنِ الْعَرَبِ وَكَانَ
فِي يَدِهِ اِمْرِ السِّيَاسَةِ وَالْدِينِ معاً . وَهُوَ أَوْلَى الْخَلَفَةِ الْمُشْرِقَ وَكَانَ دَارَ خَلَافَتِهِ مَكَةَ إِلَى وَفَاتَهُ الْأَمَامَ عَلَى
بْنِ أَبِي طَالِبٍ . ثُمَّ الشَّامَ فِي دُوَلَةِ بَنِي أُبَيْهِ . ثُمَّ بَغْدَادَ فِي دُوَلَةِ بَنِي العَبَّاسِ . وَكَانَ مُدْتَبِّمَ ۶۲۳ سَنَةَ
وَذَلِكَ مِنْ سَنَةِ ۶۲۶ لِلْهِلَالِ إِلَى سَنَةِ ۱۳۰۸ *

ثَالِثًا خَلَفَاءً الْأَنْدَلُسَ وَأَوْلَى الْخَلَافَةِ هُنَالِكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَمْوَى مِنْ مُلُوكِ الشَّامِ وَذَلِكَ
سَنَةَ ۶۷۴ وَكَانَ مُدْتَبِّمَ ۶۷۴ سَنَةَ أَيِّ مِنَ التَّارِيخِ الْمُذَكُورِ إِلَى سَنَةِ ۱۰۲۱ *

ثَالِثًا خَلَفَاءً مِصْرَ وَهُمُ الْفَاطِمِيُونَ وَأَوْلَى مِنْ وَلِيِّ الْخَلَافَةِ مِنْهُمْ عُبَيْدُ اللَّهِ مِنْ سَلَاتِهِ فَاطِمةُ بَنْتُ مُحَمَّدٍ
وَذَلِكَ سَنَةُ ۹۰۹ وَاسْتَمَرَّتِ الْخَلَافَةُ ۳۶۶ سَنَةً حَتَّى اَسْمَلَتْ سَنَةَ ۱۱۷۱ عَلَى يَدِ الْمَلِكِ صَلَاحِ
الْدِينِ الْأَنْوَيِّيِّ *

وَكَانَ تَقْلِيدُ الْخَلَافَةِ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ بِالْمَبَايِعَةِ إِلَى أَنْ جَاءَ مَعْرُوْبَةُ بْنِ أَبِي سَفِينَ الْأَمْوَى فِي أَخْرِ
الْقَرْنِ الْأَوَّلِ فَنَسَخَ الْمَبَايِعَةَ وَقَرَرَ الْخَلَافَةَ فِي صَلَبِهِ وَاسْتَمَرَّ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى سَنَةِ ۹۲۰ حِيتَ خُلِعَ
أَمِيرُ الْأَمْرَاءِ عَنْ اِمْرِ السِّيَاسَةِ . وَبَيْتُ الْخَلَافَةِ مُنْذَرَكَةَ بَيْنَ الْعَرَبِ إِلَى ظَهُورِ السُّلْطَانِ سَلِيمَ الْعَثَمَانِيِّ
فَأَسْتَلَمَ الْخَلَافَةَ مِنْ التَّوْكِلِ آخِرِ خَلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَذَلِكَ سَنَةُ ۱۰۱۶ فَكَانَتْ مِنْ جَمِيعِهِمْ ۸۸۰

(بُولِي)

صَبَاحَ مَسَاءً . وَكَانَتْ عَادَةُ الْخَلْفَاءِ أَكْثَرُهُمْ أَنْ يَحِسُّوا أَوْلَادَهُمْ وَأَقْارِبَهُمْ
وَبِذِلِكَ جَرَتْ سُنْتُهُمْ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ الْمُسْتَنْصِرِ . فَلَمَّا وَلَيَّ الْمُسْتَعْصِمُ
أَطْلَقَ أَوْلَادَهُ الْثَلَاثَةَ وَلَمْ يَحِسْمُمْ وَهُمُ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ
وَالْعَالَمُ نَسِيْهُ أَبَا بَكْرٍ لَيْسَ بِصَحِحٍ وَإِنَّمَا سَمَوْهُ بِذِلِكَ لِأَنَّهُ لَهَا نُهْبَ الْكَرْكُ
نُسْبَ الْأَمْرِ فِي ذَلِكَ إِلَيْهِ . وَقِيلَ إِنَّهُ هُوَ الَّذِي أَشَارَ بِذِلِكَ وَالْأَمِيرُ
الْأَوْسَطُ وَهُوَ أَبُو الْفَضَائِلِ عَبْدُ الرَّحْمَانَ كَانَ شَهِمًا حَرَجَ إِلَى يَدِي
الْسُّلْطَانِ هُولَاكُو وَوَقَعَ كَلَامُهُ بِمَوْضِعِ الْإِسْتِحْسَانِ فِي الْحُضْرَةِ السُّلْطَانِيَّةِ
وَالْأَمِيرُ الْأَصْغَرُ أَبُو الْمَنَافِقِ

حَدَّثَنِي صَفِيُّ الدِّينِ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ فَاطِمَةِ الْأَرْمَوِيِّ وَكَانَ قَدْ صَارَ
فِي آخِرِ أَيَّامِ الْمُسْتَعْصِمِ مُقْرَبًا عِنْكُو وَمِنْ خَواصِهِ . وَكَانَ قَدْ أَسْتَجَدَ فِي
آخِرِ أَيَّامِهِ خِزَانَةُ كُتُبِ وَنَقْلَ إِلَيْهَا مِنْ نَفَائِسِ الْكُتُبِ وَسَلَّمَ مَفَاتِيحَهَا
إِلَى عَبْدِ الْمُؤْمِنِ . فَصَارَ عَبْدُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَحْلُسِ بَيَابِ الْخِزَانَةِ يَسْعَ لَهُ مَا
يُرِيدُ . وَإِذَا خَطَرَ لِلْخَلِيفَةِ الْمُجْلُوسُ فِي خِزَانَةِ الْكُتُبِ جَاءَ إِلَيْهَا وَعَدَلَ عَنْ
الْخِزَانَةِ الْأُولَى الَّتِي كَانَتْ مُسْلِمَةً إِلَى الشَّيْخِ صَدْرِ الدِّينِ عَلَيْهِ بْنِ الْبَيَارِ .
قَالَ أَعْنِي عَبْدَ الْمُؤْمِنِ : كُنْتُ مَرَّةً جَالِسًا فِي حُجْرَتِ صَغِيرَةٍ وَأَنَا أَنْسَخُ
وَهُنَاكَ مَرْتَبَةٌ بِرَسِمِ الْخَلِيفَةِ إِذَا جَاءَ إِلَى هُنَاكَ جَلَسَ عَلَيْهَا . وَقَدْ بُسْطَتْ
عَلَيْهَا مِلْحَفَةٌ لِتَرْدَ عَنْهَا الْغُبارَ . فَجَاءَهُ خُويَّدَمُ صَغِيرٌ وَنَامَ قَرِيبًا مِنَ الْمَرْتَبَةِ
الْمَذُكُورَةِ وَأَسْتَغْرَقَ فِي النَّوْمِ فَتَنَقَّلَ حَتَّى تَلَفَّ فِي تِلْكَ الْمِلْحَفَةِ
الْمُبْسُوَطَةِ عَلَى الْمَرْتَبَةِ ثُمَّ تَنَقَّلَ حَتَّى صَارَتْ رِجْلَاهُ عَلَى الْمَسْنَدِ . قَالَ وَأَنَا
مَشْغُولٌ بِالنَّسْخِ فَأَحْسَسْتُ بِوَطْءٍ فِي الْدِهْلِيزِ فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ الْخَلِيفَةُ

وَهُوَ يَسْتَدِعِينِي بِالإِشَارَةِ وَيُحْكِفُ وَطَاهُ. فَقَبَتْ إِلَيْهِ مُتَرْجِعًا وَقَبَلَتْ
الْأَرْضَ فَقَالَ لِي: هَذَا الْخُوَيْدَمُ الَّذِي قَدْ نَامَ حَتَّى تَلَفَّ فِي هَذِهِ الْمَحْفَةِ
وَصَارَتْ رِجْلَاهُ عَلَى الْمِسْنَدِ مَمَّا هَجَمَتْ عَلَيْهِ حَتَّى يَسْتِيقْظَ وَيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ
شَاهَدَتْهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ تَنْفِطُرُ مَرَاثُهُ مِنَ الْخُوفِ. فَأَنْفَقْتُهُ أَنْتَ يُرْفَقِي
فِيَنِي سَاخِرًا إِلَى الْبَسْتَانِ ثُمَّ أَعُودُ. قَالَ وَخَرَجَ الْخَلِيفَةُ فَدَخَلَ الْخَلِيفَةَ
الْخُوَيْدَمَ وَأَيْقَظَنَهُ فَأَنْتَهُ ثُمَّ أَصْلَحْنَا الْمَرْتَبَةَ ثُمَّ دَخَلَ الْخَلِيفَةَ

وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ بَغْدَادَ حُدِيثُ أَنَّ الشَّيخَ صَدْرَ الدِّينِ بْنَ الْنَّيَارِ
شَيخَ الْخَلِيفَةِ قَالَ: دَخَلْتُ مَنَّقَ إِلَى خِزَانَةِ الْكِتَبِ عَلَى عَادَتِي وَفِي كُمْبَيِّ
مِنْدِيلٍ فِيهِ رِقَاعٌ كَثِيرٌ لِجَمَاعَةِ مِنْ أَرْبَابِ الْخَوَائِجِ فَطَرَحْتُ الْمِنْدِيلَ
وَفِيهِ الْرِقَاعُ فِي مَوْضِعِي ثُمَّ قُمْتُ لِبَعْضِ شَأْنِي. فَلَمَّا عَدْتُ إِلَى الْخِزَانَةِ
بَعْدَ سَاعَةٍ حَلَّتُ الْرِقَاعَ مِنَ الْمِنْدِيلِ حَتَّى أَتَّمَلَهَا وَأَقْدَمَ مِنْهَا الْمُمْ
فَرَأَيْتُهَا جَمِيعًا وَعَلَيْهَا تَوْفِيقُ الْخَلِيفَةِ بِالإِجَابَةِ إِلَى جَمِيعِ مَا فِيهَا. فَعَلِمْتُ
أَنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْخِزَانَةِ عِنْدَ قِيَامِي فَرَأَيْتُهُ الْمِنْدِيلَ وَفِيهِ الْرِقَاعُ
فَنَقَّبَهَا وَفَعَّلَ عَلَى جَمِيعِهَا

وَالْمُسْتَعْصِمُ هُوَ آخِرُ خُلُفَاءِ الدُّولَةِ الْعَبَاسِيَّةِ يَبْغَدَادَ وَمَجْرِي فِي أَيَّامِ
الْمُسْتَعْصِمِ شَيْءٌ يُوَرِّسُوا نَهْبَ الْكَرْكَ وَبَسَّ الْأَنْزُرَ ذَلِكَ وَفِي آخِرِ
أَيَّامِهِ قَوَيَّتِ الْأَرَاجِيفُ بِوُصُولِ عَسْكَرِ الْمُغُولِ صُبْحَةَ السُّلْطَانِ هُولَكُو
فَلَمْ يَجْرِكْ ذَلِكَ ذَلِكَ مِنْهُ عَزْمًا وَلَا نَبَهَ مِنْهُ هِمَةً وَلَا أَحْدَثَ عِنْدَهُمَا وَكَانَ
كُلُّمَا سَعَى عَنِ الْسُّلْطَانِ مِنَ الْإِحْيَا طَرَادًا وَالْإِسْتِعْدَادًا شَيْءٌ ظَهَرَ مِنَ الْخَلِيفَةِ
يَقْبِضُهُ مِنَ التَّفْرِيطِ وَالْإِهَالِ. وَلَمْ يَكُنْ يَتَصَوَّرُ حَقْيَةَ الْحَالِ فِي ذَلِكَ

وَلَا يُعْرِفُ هَذِهِ الدُّولَةَ يَسِّرَ اللَّهُ إِحْسَانَهَا وَأَعْلَى شَأْنَهَا حَقَّ الْمَعْرِفَةِ. وَكَانَ
وَزِيرُ مُؤْمِنِ الدِّينِ بْنُ الْعَلْقَمِي يَعْرِفُ حَقِيقَةَ أَخْنَالٍ فِي ذَلِكَ وَيُكَاتِبُهُ
بِالْتَّحْذِيرِ وَالْتَّنْبِيهِ وَيُشَيرُ عَلَيْهِ بِالْتَّمْكِظَوْا لِإِسْتِعْدَادِهِ وَهُوَ لَا يَرْدَادُ إِلَّا غَفُولًا.
وَكَانَ خَوَاصُهُ يُوَهْمُونَهُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي هَذَا كَيْرُ خَطَرٍ وَلَا هُنَاكَ مَحْذُورٌ وَلَا
الْوَزِيرُ إِلَّا يَعْظِمُ هَذَا لِيُنْفِقُ سُوقَهُ وَلِتَبْرُزَ إِلَيْهِ الْأَمْوَالُ لِيُجِنَّدَ بِهَا الْعَسَارَكُ
فَيَقْتَطِعُ مِنْهَا لِنَفْسِهِ. وَمَا زَالَتْ غَفْلَةُ الْخَلِيفَةِ تُنْبَيِّ وَيَقْنَاطُهُ الْجَانِبُ الْآخَرُ
تَضَاعِفُ حَتَّى وَصَلَّ الْعَسْكُرُ الْسُّلْطَانِيُّ إِلَى هَمْدَانَ وَفَاقَ بِهَا مُدْيَنَّ.
مِمْ تَوَارَتِ الرَّسُولُ الْسُّلْطَانِيُّ إِلَى الْدِيَوَانِ الْمُسْتَعْصِيِّ فَوَقَعَ التَّعَبِينُ
مِنْ دِيَوَانِ الْخَلِيفَةِ عَلَى وَلَدِ أَسْتَادِ الدَّارِ وَهُوَ شَرْفُ الدِّينِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
الْجُوزِيِّ فَبَعْثَرَسُوا إِلَى خِدْمَةِ الدَّرْكَاهِ الْسُّلْطَانِيَّةِ بِهَمْدَانَ. فَلَمَّا وَصَلَّ
وَسَعَ جَوَابُهُ عَلَمَ أَنَّهُ جَوَابُ مُغَالَطَةٍ وَمَدَافَعَةٍ

فَجَنَّبَهُ وَقَعَ الشُّرُوعُ فِي قَصْدِ بَغْدَادَ وَبَشَّرَ الْعَسَارَكَ إِلَيْهَا. فَتَوَجَّهَ
عَسْكُرٌ كَثِيفٌ مِنَ الْمُغْوِلِ وَالْمُقْدَمُ عَلَيْهِمْ بَاجُونَ إِلَى تِكْرِيتَ لِيَعْبُرُوا مِنْ
هُنَاكَ إِلَى الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ وَيَقْصُدُوا بَغْدَادَ مِنْ غَرْبِهَا وَيَقْصِدُهَا
الْعَسْكُرُ الْسُّلْطَانِيُّ مِنْ شَرْقِهَا. فَلَمَّا عَبَرَ عَسْكُرٌ بَاجُونَ مِنْ تِكْرِيتَ وَأَنْهَدَ
إِلَى أَعْمَالِ بَغْدَادَ أَجْفَلَ النَّاسُ مِنْ دُجَىلِ وَالْإِسْحَاقِيِّ وَنَهْرِ مَلِكِ وَنَهْرِ
عِيسَى وَدَخَلُوا إِلَى الْمَدِينَةِ بِنَسَائِمٍ وَأَوْلَادِهِمْ حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ أَوِ الْمَرْأَةُ
يَقْدِفُ بِنَفْسِهِ فِي الْمَاءِ وَكَانَ الْمَلَاحُ إِذَا عَبَرَ أَحَدًا فِي سَفِينَةِ مِنْ جَانِبِ
إِلَى جَانِبٍ يَأْخُذُ أَجْرَتَهُ سَوَارًا مِنْ ذَهَبٍ أَوْ طِرَازًا مِنْ زَرَّكَشٍ أَوْ عِدَّةَ
مِنْ الْدَّنَانِيرِ. فَلَمَّا وَصَلَّ الْعَسْكُرُ الْسُّلْطَانِيُّ إِلَى دُجَىلِ وَهُوَ يَرِيدُ عَلَى

قَلَاثِينَ الْفَ فَارِسٍ خَرَجَ إِلَيْهِ عَسْكُرُ الْخَلِيفَةِ صُبْحَةَ مُقْدَمٍ الْجِيُوشِ
 مُجَاهِدِ الدِّينِ إِيَّاكَ الدُّوِيْدَارِ وَكَانَ عَسْكَرًا فِي غَايَةِ الْقِلَّةِ فَأَتَتْهُمْ بِالْجَانِبِ
 الْغَرْبِيِّ مِنْ بَغْدَادَ قَرِيْمًا مِنَ الْبَلْدِ فَكَانَتِ الْغَلْبَةُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ لِعَسْكَرِ
 الْخَلِيفَةِ ثُمَّ كَانَتِ الْكَرْنُ لِلْعَسْكَرِ الْسُّلْطَانِيِّ فَأَبَادُوهُمْ قَتْلًا وَأَسْرًا وَأَعْنَمُوهُمْ
 عَلَى ذَلِكَ هَرَبَ فَتَّوَهُ فِي طُولِ الْلَّيْلِ فَكَثُرَتِ الْوُحُولُ فِي طَرِيقِ الْمُهْنِزِ مِنْهُ
 فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ رَمَ نَفْسَهُ فِي الْمَاءِ أَوْ مَنْ دَخَلَ الْبَرِّيَّةَ وَمَضَى عَلَى
 وَجْهِهِ إِلَى الْشَّامِ وَبَجا الدُّوِيْدَارُ فِي جُمِيعِهِ مِنْ عَسْكَرِهِ وَوَصَلَ إِلَى بَغْدَادَ
 وَسَاقَ بَاجُو حَتَّى دَخَلَ الْبَلْدَ مِنْ جَانِبِهِ الْغَرْبِيِّ وَوَقَفَ بِعَسَارِكِهِ مُحَاجِذِيَّ
 النَّاجِ وَجَاسَتْ عَسَارِكِهِ خَلَالَ الدَّيَارِ وَأَقَامَ مُحَاجِذِيَ النَّاجِ أَيَّامًا
 أَمَّا حَالُ الْعَسْكَرِ الْسُّلْطَانِيِّ فَإِنَّهُ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ رَابِعِ مُحَرَّمٍ مِنْ سَنَةِ
 سِتِّ وَحَمِيسِينَ وَسِتِّمِائَةِ ثَارَتْ غَبْرَةً عَظِيمَةً شَرِقَيَّ بَغْدَادَ عَلَى دَرْبِ يَعْقوبَ
 بِحَيْثُ عَمِتِ الْبَلْدَ فَأَنْزَعَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ وَصَدَعُوا إِلَى أَعْلَى السُّطُوحِ
 وَلِلنَّايرِ يَتَشَوَّفُونَ فَأَنْكَشَفَتِ الْغَبْرَةُ عَنْ عَسَارِكِهِ الْسُّلْطَانِيِّ وَخَيُولُهُ وَلَفَيْفِهِ
 وَكَرَاعِيهِ وَقَدْ طَبَقَ وَجْهَ الْأَرْضِ وَاحْتَاطَ بِبَغْدَادَ مِنْ جَمِيعِ جَهَاتِهَا ثُمَّ
 شَرَعُوا فِي أَسْتِعمالِ أَسْبَابِ الْحِصَارِ وَشَرَعَ الْعَسْكَرُ الْخَلِيفِيُّ فِي الْمُدَافَعَةِ
 وَالْمُقاوَمَةِ إِلَى يَوْمِ تَاسِعِ وَعِشْرِيْ مُحَرَّمٍ فَلَمْ يَشْعُرِ النَّاسُ إِلَّا وَرَأَيَاتُ
 الْمُغْوِلِ ظَاهِرَةً عَلَى سُورِ بَغْدَادِ مِنْ بُرجِ بَسَّيِّ بُرجِ الْعَجَبِيِّ مِنْ نَاحِيَّةِ
 بَابِ مِنْ أَبْوَابِ بَغْدَادِ يُقَالُ لَهُ بَابُ كَلْوَادَى وَكَانَ هَذَا الْبُرجُ أَفْصَرُ
 أَبْرَاجِ الْسُّورِ وَنَقْمَعَ الْعَسْكَرُ الْسُّلْطَانِيُّ هُجُومًا وَدُخُولًا فَجَرَى مِنَ الْقُتلِ
 الْذَّرِيعِ وَالنَّهْبِ الْعَظِيمِ وَالْتَّهْبِيكِ الْبَلِيعِ مَا يَعْظُمُ سَاعَهُ جُملَةً فَمَا الظُّنُونُ

بِتَفَاصِيلِهِ وَكَانَ مَا كَانَ حِلْمًا لَسْتُ أَذْكُرُ فَطْنَةً ظَنَّاً وَلَا تَسْأَلْ عَنِ الْخَبَرِ.
وَأَمْرَ السُّلْطَانِ بِخْرُوجِ الْخَلِيفَةِ وَوَلَيْهِ وَنَسَائِهِ إِلَيْهِ. فَخَرَجُوا فَخَضَرَ الْخَلِيفَةُ
بَيْنَ يَدَيِ الْدَّرَكَاهِ فَيَقَالُ أَنَّهُ عُورَتْ وَوُجْهُهُ يَمْعَنَاهُ نِسْبَةً أَلْعَجِزِ وَالْتَّفَرِيطِ
وَالْغُفْوُلِ إِلَيْهِ. ثُمَّ أُوصِلَ إِلَى الْبَيْسَا^١ وَلَدَاهُ أَكْبَرُ وَالْأَوْسَطُ. وَأَمَّا
بَنَاتُهُ فَأَسِرَّتْ ثُمَّ أَسْتَشَهَدَ الْمُسْتَعْصِمُ فِي رَابِعِ صَفَرِ مَسْنَةِ سِتٍّ وَّحُمْسِينَ

وَسِتِّمِائَةٍ

إِنَّهُ ذَكْرُ خِلَافَةِ الْمُسْتَعْصِمِ بِاللهِ

^١ الْبَيْسَا في قانون الجنابات في دولة المغول

مِنْ كِتَابٍ

الْمَوَاعِظُ وَالْأَعْبَارُ فِي ذِكْرِ الْخَطْطِ وَالْأَثَارِ

لِتَفْيِي الدِّينِ الْمَقْرِزِيِّ

ذِكْرُ خِلَافَةِ الْحَاكِمِ بِاْمَرِ اللهِ

الْحَاكِمُ بِاْمَرِ اللهِ أَبُو عَلَيٍّ مَنْصُورُ بْنُ الْعَزِيزِ زَيْنُ الْمُعْزِي لَدِينِ اللهِ
 أَبِي تَهِيمٍ مَعَدِّي وَلِدَ بِالْقُصْرِ مِنَ الْقَاهِرَةِ الْمُعَزِّيَّةِ لَيْلَةَ الْحِمِيسِ الْثَالِثِ
 وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ حَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمَائَةً فِي السَّاعَةِ
 الْتَّاسِعَةِ وَالْطَّالِعِ مِنْ بُرْجِ السَّرْطَانِ سَبْعَ وَعَشْرُونَ دَرَجَةً، وَسُلِّمَ عَلَيْهِ
 يَا لِلْخِلَافَةِ فِي مَدِينَةِ بُلْبِيسِ بَعْدَ الظَّهَرِ مِنْ يَوْمِ الْثَلَاثَاءِ ثَامِنَ وَعِشْرِينَ شَهْرِ
 رَمَضَانَ سَنَةَ سِتٍّ وَتَهَانِينَ وَثَلَاثِمَائَةً، وَسَارَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ
 بِسَائِرِ أَهْلِ الدُّولَةِ وَالْعَزِيزِ فِي قُبَّةِ عَلَى نَاقَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَعَلَى الْحَاكِمِ دُرَاعَةٌ
 مُصَمَّتٌ وَعِامَةٌ فِيهَا أَجْوَهُرُ وَبَيْهُ رَمْحٌ وَقَدْ نَقَدَ الْسَّيفَ وَلَمْ يَفْقَدْ مِنْ
 حَمْبِيعِ مَا كَانَ مَعَ الْعَسَاكِرِ شَيْءٌ وَدَخَلَ الْقُصْرَ قَبْلَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، وَأَخْدَدَ
 فِي جِهَازِ أَبِيهِ الْعَزِيزِ بِاللهِ وَدَفَنَهُ، ثُمَّ بَكَرَ سَائِرُ أَهْلِ الدُّولَةِ إِلَى الْقُصْرِ
 يَوْمَ الْحِمِيسِ وَقَدْ نَصَبَ لِلْحَاكِمِ سَرِيرًا مِنْ ذَهَبٍ عَلَيْهِ مَرْتَبَةٌ مَذَهِبَةٌ فِي
 الْإِيَّانِ الْكَبِيرِ، وَخَرَجَ مِنْ قَصْرِ رَأْكَابًا وَعَلَيْهِ مُعْمَمَةٌ أَجْوَهُرٌ وَالنَّاسُ

الْحَاكِمُ بِاْمَرِ اللهِ هُوَ اَحَدُ الْمُخْلَفَاءِ الْفَاطِبِينَ بِمَصْرِ وَلِيَ الْعِهْدَ بَعْدَ اِبْرَاهِيمَ ٩٩٦ وَكَانَ شَرِسًا
 جَائِرًا سَفَاكَ دَمًا وَاضْطَهَدَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَامْرَ بِقُلْعَةِ الْكَرْمِ، وَكَانَتْ وَفَانَتْ سَنَةَ ١٠٢١
 قَتَلَ أَبِيدَ فَتَىَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ يَدْعُى أَنَّهُ مِنْ سَلَانَةِ عَلِيِّ ابْنِ اَبِي طَالِبٍ وَيَدْعُونَ نَفْسَهُ اَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ وَالْقَاعِمَ مَقَامَ اللهِ وَعَدَلَ عَنْ دِينِ مُحَمَّدٍ وَاقَامَ دِينَاهُ جَدِيدًا وَهُوَ دِينُ الدَّرُوزِ الْمُقْبَلِينَ
 الْآنَ فِي سُورِيَةِ وَمَصْرِ وَاصْحَابِهِ بَزْعُونُ اَنَّهُ نُقْلَ إِلَى السَّمَاءِ (بُولِي)

وَقُوفٌ فِي صَنْهِ الْبَيْوَانِ. فَقَبَلُوا لَهُ الْأَرْضَ وَمَشُوا بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى جَلَسَ
 عَلَى السَّرِيرِ. فَوَقَفَ مَنْ رَسَهُ الْوَقْفُ وَجَاسَ مَنْ لَهُ عَادَةٌ أَنْ يَجْلِسَ
 وَسَلَمَ الْجَمِيعُ عَلَيْهِ بِالْإِمَامَةِ وَالْكَلْبَ الَّذِي أَخْبَرَ لَهُ وَهُوَ أَخْاكمُ بِأَمْرِ اللَّهِ
 وَكَانَ سَنَهُ يُوْمَيْدٍ إِحْدَى عَشَرَ سَنَةً وَخَمْسَةَ شَهْرٍ وَسِتَّةَ أَيَّامٍ
 فَجَعَلَ أَبَا مُحَمَّدٍ الْحَسَنَ بْنَ عَمَّارٍ الْكَنَّاْمِيَّ وَاسِطَةً وَلَقَبَهُ بِأَمِينِ الدَّوْلَةِ
 وَأَسْقَطَ مُكْوَسًا كَانَتْ بِالسَّاحِلِ وَرَدَ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ جَوَهِ الرَّقَائِدِ
 الْبَرِيدَ وَالْإِنْشَاءِ. فَكَانَ يَخْلُفُهُ أَبْنَ سُورِينَ وَأَفْرَعِيسَى بْنَ نَسْطُورُسَ
 عَلَى دِيَوَانِ الْخَاصِّ وَقَلَّدَ سُلَيْمَانَ بْنَ جَعْفَرَ بْنَ فَلَاجَ الشَّامَ. فَخَرَجَ
 بِنْجُوتِكِينُ بِدِمَشْقَ وَسَارَ مِنْهَا لِمُدَافَعَةِ سُلَيْمَانَ بْنَ جَعْفَرَ بْنِ فَلَاجَ. فَبَلَغَ
 الْرَّمَلَةَ وَأَنْضَمَ إِلَيْهَا أَبْنُ الْجَرَاجِ الْطَّاعِيُّ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْعَرَبِ وَاقَعَ أَبْنَ
 فَلَاجَ قَاهِزَمْ وَفَرَّمْ أَسْرَوْحُولَ إِلَى الْقَاهِنِ فَأَكْرَمَ وَأَخْنَفَ أَهْلَ الدَّوْلَةِ
 عَلَى أَبْنِ عَمَّارٍ وَوَقَعَتْ حُرُوبُ آلتٍ إِلَى صَرْفِهِ عَنِ الْوَسَاطَةِ وَلَهُ فِي
 الْنَّظَرِ أَحَدُ عَشَرَ شَهْرًا غَيْرَ خَمْسَةَ أَيَّامٍ. فَلَزِمَ دَارَهُ وَاطْلَقَتْ لَهُ رُسُومُ
 وَجَرَائِيلُ. وَأَقِيمَ الْطَّوَاشِي بِرْجَوَانِ الْصَّقْلَيِّ مَدَانَةً فِي الْوَسَاطَةِ لِثَلَاثَ
 يَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ. فَجَعَلَ كَاتِبَهُ فَهْدَ بْنَ
 إِبْرِهِيمَ يَوْقَعُ عَنْهُ وَلَقَبَهُ بِالْرَّئِيسِ وَصَرَفَ سُلَيْمَانَ بْنَ فَلَاجَ عَنِ الشَّامِ
 بِجَيشِ بْنِ الصَّمَاصَامِيِّ. وَقَلَّدَ فَحْلَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الْكَنَّاْمِيَّ مَدِينَةَ صُورَ وَقَلَّدَ
 يَانِسَ الْخَادِمَ بِرَقَّةَ وَمِسُورًا الْخَادِمَ طَرَابُلسَ وَيَمَنًا الْخَادِمَ غَزَّةَ
 وَعَسْفَلَانَ. فَوَاقَعَ جَيْشُ الْرُّومِ عَلَى فَامِيَّةَ وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَمْسَةَ آلَافٍ رَجُلٍ وَغَرَّا
 إِلَى أَنْ دَخَلَ مَرْعَشَ. وَقَلَّدَ وَظِيفَةَ قَضَاءَ الْقُضَاءِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنَ

عَلَيْهِ بْنُ النَّعَانَ فِي صَفَرَ سَنَةِ تِسْعَ وَثَمَانِينَ بَعْدَ مَوْتِ قَاضِي الْقُضَايَا مُحَمَّدِ
 بْنِ النَّعَانِ، وَقُتِلَ الْأَسْتَاذُ بِرْجَوَانَ لِأَرْبَعِ يَعْنَى مِنْ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ
 تِسْعَ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِيَّةَ وَلَهُ فِي النَّظَرِ سَنَانٌ وَثَمَانِينَ أَشْهُرٍ غَيْرِ يَوْمٍ وَاحِدٍ
 وَرَدَ الْنَّظرُ فِي أُمُورِ النَّاسِ وَتَدْبِيرِ الْمُمْلَكَةِ وَالْتَّوْقِيعَاتِ إِلَى الْحَسَنِ
 بْنِ جَوَهِرٍ وَلِقَبِ بِقَائِدِ الْقُوَّادِ فَخَلَفَهُ الرَّئِيسُ فَهُدُ. وَأَنْخَذَ الْحَاكِمُ مَحْلِسًا فِي
 الْلَّيْلِ بِحَضْرَمُ فِيهِ عِدَّةٌ مِنْ أَعْيَانِ الدُّولَةِ ثُمَّ أَبْطَلَهُ وَمَاتَ جَيْشُ بْنِ
 الْصَّمَاصَامَةِ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ تِسْعَيْنَ وَثَلَاثِيَّةَ. فَوَصَلَ أَبْنُهُ يَتَرَكَّتُهُ
 إِلَى الْقَاهِرَةِ وَمَعَهُ دَرَجٌ يُخْطَطُ إِلَيْهِ فِيهِ وَصِيتَهُ وَبَثَتْ بِهَا خَلْفَهُ مُفَصَّلًا. وَأَنَّ
 ذَلِكَ جَمِيعُهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَاكِمِ بِاْمَرِ اللَّهِ لَا يَسْتَقِعُ أَحَدٌ مِنْ أَوْلَادِهِ
 مِنْهُ دِرَهَمًا. وَكَانَ مَبْلُغُ ذَلِكَ جَمِيعِهِ نَحْوَ الْمِائَتَيْنِ أَلْفِ دِينَارٍ مَا يَبْلَغُ عَيْنِ
 وَمَتَاعٍ وَدَوَابَّ. قَدْ أَوْفَقَ جَمِيعَ ذَلِكَ تَحْتَ الْقُصْرِ فَأَخَذَ الْحَاكِمُ الْدَّرَجَ
 وَنَظَرَ ثُمَّ أَعَادَهُ إِلَى أَوْلَادِ جَيْشٍ وَخَلَعَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ لَهُمْ بِحَضْرَمَهُ وَجُوهِ
 الدُّولَةِ: قَدْ وَقَفْتُ عَلَى وَصِيَّةِ أَيِّكُمْ رَحْمَهُ اللَّهُ وَمَا وَصَّيَ بِهِ مِنْ عَيْنِ وَمَتَاعِ
 فَخَذُوهُ هَنِيشًا مُبَارَكًا لَكُمْ فِيهِ فَانْصُرُوا بِجَمِيعِ التَّرِكَةِ
 وَمَنْعَ النَّاسَ كَافَةً مِنْ مُخَاطَبَتِهِ أَحَدٌ وَمَكَاتِبَهِ بِسَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا إِلَّا أَمِيرُ
 الْمُؤْمِنِينَ وَحْدَهُ. وَأَبْيَحَ دَمُ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ. وَفِي شَوَّالٍ قُتِلَ أَبْنُ عَمَّارٍ
 وَفِي سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعَيْنَ وَأَصْلَ الْحَاكِمُ الرَّشُوبُ فِي الْلَّيْلِ كُلَّ لَيْلَةٍ.
 وَكَانَ يَشْقَى الشَّوَّارِعَ وَالْأَزْفَةَ وَبَالَّغَ النَّاسُ فِي الْوَقِيدِ وَالزِّينَةِ وَأَنْفَقُوا
 الْأَمْوَالَ الْكَثِيرَةَ عَلَى الْمَاكِلِ وَالْمَشَارِبِ وَالْغَنَاءِ وَاللَّهُوِ وَكَثُرَ تَفْرِجُهُمْ
 عَلَى ذَلِكَ حَتَّى خَرَجُوا فِيهِ عَنِ الْمُحَدَّثِ فَمَنَعَ النِّسَاءَ مِنَ الْخُرُوجِ فِي الْلَّيْلِ.

مِنْ مَنْ أَرِجَالَ مِنَ الْجُلُوسِ فِي الْحَوَانِسِ
 وَفِي سَنَةِ حَمْسٍ وَتَسْعِينَ أَمْرَ النَّصَارَى وَالْيَهُودَ يَشَدُّ الْزَّنَبِيرَ وَلُبْسِ
 الْغِيَارِ وَمَنْ أَكْلَ الْمَلُوخِيَا وَالْجَرْجِيرَ وَالْمُوْكَلَّةَ وَالْدَّلِينِ
 وَذَبْحِ الْأَبْقَارِ الْسَّلِيمَةَ مِنَ الْعَاهَةِ لَا فِي أَيَّامِ الْأَضْحِيَةِ . وَمَنْ يَعْ
 الْفَقَاعَ وَعَمَلَهُ الْبَنَةَ وَأَنَّ لَا يَدْخُلُ أَحَدُ الْحَمَّ لَا يَمْتَزِرُ وَأَنَّ لَا تَكْشِفَ
 امْرَأَةً وَجْهَهَا فِي طَرِيقٍ وَلَا خَلْفَ جَنَازَةً وَلَا تَبَرَّجَ وَلَا يَعْشَى مِنَ
 الْسَّمَكِ بِغَيْرِ قِشْرٍ وَلَا يَصْطَادُهُ أَحَدٌ مِنَ الصَّيَادِينَ . وَتَبَعَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ
 كُلُّهُ وَتَشَدَّدُ فِيهِ وَضُرِبَ جَاءَهُ بِسَبِّ مُخَالَفِيْهِ مَا أُمْرُوا بِهِ وَهُوَا عَنْهُ
 حَمَّا ذِكْرَهُ . وَخَرَجَتِ الْعَسَاكِرُ لِقَتَالِ بَنِي قُرَّةَ مِنْ أَهْلِ الْجِنِّ . وَكَتَبَ عَلَى
 أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ وَعَلَى الْجَامِعِ بِمِصْرَ وَعَلَى أَبْوَابِ الْحَوَانِسِ وَالْجَرْجِيرِ
 وَالْمُقَابِرِ سَبَّ السَّلْفَ ^١ وَلَعْنُهُمْ وَأَكْرَهَ النَّاسَ عَلَى نَفْسِ ذَلِكَ وَكَتَبَتِهِ
 يَا الْأَصْبَاغِ فِي سَائِرِ الْمَوَاضِعِ . وَأَقْبَلَ النَّاسُ مِنْ سَائِرِ الْنَّوَاحِي فَدَخَلُوا
 فِي الْدَّعْوَةِ وَجَعَلَ لَهُمْ يَوْمَانِ في الْأَسْبُوعِ وَكُثُرًا لِأَزْدِحَامٍ عَلَى ذَلِكَ
 وَمَاتَ فِيهِ جَاءَهُ

وَمَنْ مَنَ الْخُروجَ بَعْدَ الْمَغْرِبِ فِي الْطُّرُقَاتِ وَأَنَّ لَا يَظْهَرَ أَحَدٌ
 يَهَا لَيْلَهُ وَلَا شَرَأَهُ فَخَلَتِ الْطُّرُقُ مِنَ الْمَارِثَهُ وَكُسِرتَ أَوْا فِي الْخُمُورِ وَأَرِيقَتْ
 مِنْ سَائِرِ الْأَمَمِكِنِ . وَأَشْتَدَّ حَوْفُ النَّاسِ يَأْسِرُهُمْ وَقَوِيتِ الشَّنَاعَاتُ وَزَادَ
 الْأَضْطِرَابُ فَاجْتَمَعَ كَثِيرٌ مِنَ الْكُتَّابِ وَغَيْرِهِمْ نَحْتَ الْقَصْرِ وَضَجَّوْ يَسَالُونَ

^١ اسْمُ السَّلْفِ يُطَلَّقُ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْأَئِمَّهُ عَلَى عَائِشَهُ زَوْجِهِ مُحَمَّدٌ وَابْنِهِ بَكْرٍ وَعَبْرِ
 وَشَانَ وَطَلْحَهُ وَابْنَ الزُّبَيرِ وَمَعاوِيَهُ وَعَمْرُو بْنَ الْعَاصِ

الْعَنْوَفُ فَكَتَبَ عِدَّةً أَمَانَاتٍ لِجَمِيعِ الْطَّوَافِيفِ مِنْ أَهْلِ الدُّولَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ
 الْبَاعِثَةِ وَالرَّعِيَّةِ. فَأَمْرَ بِقَتْلِ الْكِلَابِ فَقُتِلَ مِنْهَا مَا لَا يُحْصَى حَتَّى فُقِدَتْ.
 وَفُتِحَتْ دَارُ الْحِكْمَةِ بِالْقَاهِرَةِ وَحُمِلَ إِلَيْهَا الْكُتُبُ وَدَخَلَ إِلَيْهَا النَّاسُ
 وَأَشْنَدَ الْطَّلَبُ عَلَى الْرِّكَابِ الْمُسْتَخدَمِينَ فِي الْرِّكَابِ وَقُتِلَ مِنْهُمْ كَثِيرًا.
 ثُمَّ عَنَاهُمْ وَكَتَبَ لَهُمْ أَمَانَاتٍ وَمَنَعَ النَّاسَ كَافَةً مِنَ الدُّخُولِ مِنْ بَابِ
 الْقَاهِرَةِ وَهُمْ رِكَابٌ. وَمَنَعَ الْمُكَارِبِينَ أَنْ يَدْخُلُوا بِحِمْرِهِمْ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَمَنَعَ
 النَّاسَ مِنَ الْمُشَيْ مُلَاصِقَ الْقَصْرِ. وَقُتِلَ قَاضِي الْقَضَايَا حُسَيْنُ بْنُ النَّعَارِ
 فِي حَرْقِ الْنَّارِ. وَقُتِلَ عَدَدٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيرٌ ضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ
 وَفِي سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعِينَ خَرَجَ أَبُو رَغْوَةَ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ وَادْعَى أَنَّهُ
 مِنْ بَنِي أَمِيرٍ. فَقَامَ بِأَمْرٍ بِنُوقَةِ لِكُنْتَةِ مَا أَوْقَعَ بِهِمْ الْحَاكِمُ وَبَأْعَوْهُ
 وَاسْتَحْيَ لَهُ لَوَانَهُ وَمَزَانَهُ وَزَنَاتَهُ وَأَخْذَ بَرْقَةَ وَهَزَمَ جُبُوشَ الْحَاكِمِ غَيْرَ
 مَرَّةٍ وَغَيْرَ مَاءِهِمْ. فَخَرَجَ لِفَتَالِهِ الْقَائِدُ فَضْلُ بْنُ صَاحِبٍ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ
 وَوَاقَعَهُ فَانْهَزَمَ مِنْهُ فَضْلٌ وَأَشْتَدَ الْأَضْطَرَابُ بِمِصْرٍ وَتَرَاهِيدِ الْأَسْعَارِ.
 وَأَشْتَدَ الْإِسْتَعْدَادُ لِحُمَارَبَةِ أَبِي رَغْوَةَ وَنَزَلتِ الْعَسَارِكُ بِالْجِيَّنَقِ. وَسَارَ أَبُو
 رَغْوَةَ فَوَاقَعَهُ الْقَائِدُ فَضْلٌ وَقُتِلَ عِدَّةً مِنْهُمْ مَعَهُ. فَعَظَمَ الْأَمْرُ وَأَشْتَدَ الْخُوفُ
 وَخَرَجَ النَّاسُ فَبَاتُوا فِي الشَّوَّارِعِ خَوْفًا مِنْ هُجُومِ عَسَارِكِ أَبِي رَغْوَةِ.
 وَاسْتَهِرَتِ الْمُحْرُوبُ فَانْهَزَمَ أَبُورَغْوَةَ فِي ثَالِثِ ذِي الْمِحْجَةِ عَلَى الْفَيُوْمِ.
 وَتَسْعَهُ الْقَائِدُ فَضْلٌ بَعْدَ أَنْ بَعَثَ إِلَى الْقَاهِرَةِ سِتَّةَ آلَافِ رَأْسٍ وَمَاءَ
 أَسِيرٍ إِلَى أَنْ قُبِضَ عَلَيْهِ فِي بِلَادِ النُّوبَةِ. وَأَخْضَرَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فُقِيلَ بِهَا
 وَخُلِعَ عَلَى الْقَائِدِ فَضْلٍ وَسُرِّيَتِ الْبَشَارِ بِيَقْتَلِهِ فِي الْأَعْمَالِ

وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ أَمْرَ بِحُوَسَّبِ الْسَّلَفِ فَجَعَ سَائِرُ
مَا كُتِبَ مِنْ ذَلِكَ وَغَلَبَ الْأَسْعَارُ لِنَفْصِ الْنَّيلِ، فَإِنَّهُ بَلَغَ سِتَّةَ عَشَرَ
أَصْبَعًا مِنْ سَبْعَ عَشَرَ ذِرَاعًا ثُمَّ نَفَصَ وَمَاتَ بِنَجْوَتِكِينُ فِي ذِي الْمُحْجَّةِ
وَأَشْتَدَّ الْغَلَّافُ فِي ثَمَانِي وَتِسْعِينَ وَوَلَى عَلَيَّ أَبْنَ فَلَاجِ دِمْشَقَ وَقُبِضَ جَمِيع
مَا هُوَ مُحْبِسٌ عَلَى الْكَنَائِسِ وَجُعِلَ فِي الدِّيَوَانِ وَأُخْرِقَ عَدَّةً صُلْبَانِ عَلَى بَابِ
الْجَمَاعِ بِمِصْرَ وَكُتِبَ إِلَى سَائِرِ الْأَعْمَالِ بِذَلِكَ، وَفِي سَادِسِ عَشَرَ
رَجَبٍ قَرِيرٌ مَالِكٌ بْنُ سَعِيدٍ الْفَارِقِيُّ فِي وَظِيفَةِ قَضَاءِ الْقَضَايَا وَتَسَلَّمَ كُتَّبَ
الْدَّعْوَةِ الَّتِي نَقْرَأَ بِالْقُصْرِ عَلَى الْأَفْرِيَاءِ وَصُرِفَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ النَّعَمَانِ
عَنْ ذَلِكَ

وَتَوَقَّفَتْ زِيَادَةُ الْنَّيلِ وَأَسْتَسْقَى النَّاسُ مَرَّتَيْنِ وَأَمْرَ بِإِبْطَالِ عِدَّةِ
مُكْوِسٍ وَتَعْذِيرِ وُجُودِ الْخَبِزِ لِغَلَائِهِ وَفَلَتِهِ، وَفُتحَ الْخَلْجُ فِي رَابِعِ ثُوْبَتِ
وَالْمَاءِ عَلَى خَمْسَ عَشَرَ ذِرَاعًا فَأَشْتَدَ الْغَلَّافُ، وَفِي تَاسِعِ مُحْرَمٍ وَهُوَ نِصْفُ
ثُوْتِ نَفَصِ مَا مِنَ الْنَّيلِ وَلَمْ يُوفِّرْ سِتَّ عَشَرَ ذِرَاعًا، فَمَنَعَ النَّاسَ كَافَةً مِنَ
الْتَّظَاهُرِ بِالْغَنَاءِ وَمِنْ رُكُوبِ الْبَحْرِ لِلتَّفَرُّجِ، وَمَنَعَ مِنْ بَيْعِ الْمُسْكَرَاتِ
وَمَنَعَ كَافَةً مِنَ الْخُرُوجِ قَبْلَ الْبَحْرِ وَبَعْدَ الْعِشَاءِ إِلَى الْطَّرْفَاتِ، وَأَشْتَدَ
الْأَمْرُ عَلَى الْكَافَةِ لِشَيْءٍ مَا دَاخَلُوهُ مِنَ الْخُوفِ مَعَ شَيْءِ الْغَلَّافِ وَتَزَايِدُ
الْأَمْرَاضِ فِي النَّاسِ وَالْمَوْتِ

وَتَزَايَدَتِ الْأَمْرَاضُ وَكَثُرَ الْمَوْتُ وَعَزَّتِ الْأَدْوِيَةُ وَأُعِيدَتِ الْمُكْوِسُ
الَّتِي رُفِعَتْ وَهُدِمَتْ كَنَائِسُ كَانَتْ يَطْرِيفُ الْمَقْسِ، وَهُدِمَتْ كِنِيسَةُ
بِخَارَةِ الْرَّوْمِ مِنَ الْقَاهِرَةِ وَنُهِبَ مَا فِيهَا وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْخُدَامِ وَالْكُتَّابِ

وَمِنَ الصَّفَالَيْهِ بَعْدَ مَا قُطِعَتْ أَيْدِي بَعْضِهِمْ مِنَ الْكِتَابِ بِالسَّاطُورِ عَلَى
خَشْبَةِ مِنْ وَسْطِ الْذِرَاعِ وَقُتِلَ الْقَائِدُ فَضْلُ بْنُ صَاحِبٍ فِي ذِي الْقُعْدَةِ .
وَفِي حَادِي عَشَرَ صَفَرٍ صُرِفَ صَاحِبُ بْنُ عَلَيٍّ الرُّوْذَبَارِيُّ وَفَرَّ مَكَانَهُ
آبَنُ عَبْدُونَ النَّصَارَانِيُّ الْكَاتِبُ وَلُقِبَ بِالْكَافِيِّ فَوْقَ عَنِ الْحَامِمِ وَنَظَرَ .
وَكَتَبَ بِهِدْمِ كِيسَةِ الْقَوْمَةِ وَجَدَدَ دِيوَانًا يُقَالُ لَهُ الْدِيوَانُ الْمُفَرَّدُ بِرَسْمِ
مَنْ يَقْبُضُ مَالَهُ مِنَ الْمُقْتُولِينَ وَغَيْرِهِمْ . وَكَثُرَتِ الْأَمْرَاضُ وَعَزَّتِ
الْأَدوِيَّةُ وَشَهِرَ جَمَاعَةُ وَجَدَعِنَّهُمْ فَقَاعٌ وَمُلوَخِيَا وَدَلِينَسٌ وَتَرْمَسٌ وَضِرْبُوا
وَهُدِيمٌ دَبِيرُ الْقَصْرِ وَأَشْتَدَّ الْأَمْرُ عَلَى الْنَّصَارَى وَالْيَهُودِ فِي الزَّاَمِمِ لِبَسَ
الْغِيَارِ . وَكَتَبَ بِإِبْطَالِ أَخْذِ الْخَمْسِ وَالْتَّجَاوِيِّ وَالْفَطْرَةِ وَفَرَّ الْمُحْسِنُ بْنُ
جَوَهِرٍ وَأَوْلَادِهِ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْعَمَانِ . وَفَرَّ أَبُو الْقَسْمِ الْمُحْسِنُ بْنُ
الْمَغْرِبِيِّ . وَكَتَبَتِ عَدَدُ أَمَانَاتٍ لِعِدَّ طَوَافَتِ مِنْ شَلَفٍ خَوْفِهِمْ وَقُطِعَتْ
فِرَآءَةُ مَحَالِسِ الْمِحْكَمَةِ بِالْقَصْرِ . وَفَقَعَ التَّشْدِيدُ فِي الْمَسْكَرَاتِ
وَقُتِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالْمُخْدَامِ وَالْفَرَّاشِينَ وَقُتِلَ صَاحِبُ بْنُ عَلَيٍّ
الرُّوْذَبَارِيُّ فِي شَوَّالٍ

وَفِي رَابِعِ الْحُرَمَ سَنَةً إِحْدَى وَارْبِعِمِائَةٍ صَرَفَ الْكَافِيَ بْنَ عَبْدُونَ
عَنِ النَّظَرِ وَالْتَّوْقِيقِ وَفَرَّ بَدَلَهُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَشُورِيُّ الْكَاتِبُ فِي
الْوَسَاطَةِ وَالسَّفَارَةِ . وَحَضَرَ حُسَيْنُ بْنُ جَوَهِرٍ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ الْعَمَانِ إِلَى
الْقَاهِرَةِ فَأَكْرِمَهُمْ صَرِفَ أَبْنُ الْقَشُورِيِّ بَعْدَ عَشَرَ أَيَّامٍ مِنْ أَسْتِفْرَارِهِ
وَضَرِبَ عَنْهُهُ . وَفَرَّ بَدَلَهُ زَرْعَةُ بْنُ عِيسَى بْنُ نَسْطُورَسَ الْكَاتِبُ النَّصَارَانِيُّ
وَلُقِبَ بِالشَّافِيِّ . وَمَنَعَ النَّاسَ مِنْ رُكُوبِ الْمَرَكِبِ فِي الْخَلْجِ وَسُدَّتْ

أَبُو بَشِّرُ الدُّورِيُّ الَّتِي عَلَى الْخَلْجَ وَالطَّافَاتُ. وَأَصِيفَ إِلَى فَاقِي الْقُضَايَا مَا لِكَ
بْنِ سَعِيدِ الْنَّظَرِ فِي الْمَظَالِمِ. وَأَعْبَدَتْ مَحَالِسُ الْحِكْمَةِ وَأَخْذَدَ مَالَ الْجَوَى
وَقُتِلَ أَبْنُ عَبْدُونَ وَقُبِضَ مَالُهُ. وَصُرِّبَ جَاءَةً وَشَهَرُوا مِنْ أَجْلِ يَعْمَلِ
الْمُلُوكِ وَالسُّمَكِ الَّذِي لَا قِسْرَ لَهُ وَبِسَبِيلِ يَعْمَلِ النَّبِيِّ. وَقُتِلَ الْحُسَينُ
بْنُ جَوْهَرٍ وَعَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ النُّعَامَانِ فِي جُهَادِ الْآخِرَةِ فِي سَنَةِ إِحدَى
وَارِبِيعِيَّةِ وَاجِطَّ يَامِاً هَا وَبَطَلَتْ عِدَّةُ مُكْوَسٍ. وَمُنْعَ النَّاسُ مِنَ
الْغِنَاءِ وَاللَّهُ وَمِنْ يَعْمَلِ الْمُغْنِيَاتِ وَمِنَ الْأَجْنَاءِ يَا الصَّرَاءِ. وَفِي هَذِهِ
السَّنَةِ خَلَعَ حَسَانُ بْنُ مُفرَّجٍ بْنُ دَغْلَنَ بْنِ الْجَرَاجِ طَاعَةَ الْحَاكِمِ فَأَقَامَ أَبَا
الْفُتوْحِ حُسَينُ بْنَ جَعْفَرٍ الْحَسَنِيُّ أَمِيرَ مَكَّةَ خَلِيفَةً وَبَايْعُوهُ وَدَعَا النَّاسَ
إِلَى مُبَايِعَتِهِ وَفَاتَ عَسَاكِرُ الْحَاكِمِ

وَفِي سَنَةِ اثْتَيْنِ وَارِبِيعِيَّةِ مُنْعَ مِنْ يَعْمَلِ الْزَّيْبِ وَكِتَابَ يَا الْمَنْعِ مِنْ
حَمْلِهِ وَأَلْقِيَ فِي بَحْرِ النَّيلِ مِنْهُ شَيْءٌ كَثِيرٌ وَأُخْرَقَ مِنْهُ كَثِيرٌ. وَمُنْعَ النِّسَاءِ مِنْ
زِيَارَةِ الْقُبُوْرِ فَلَمْ يَرِي فِي الْأَعْيَادِ بِالْمُقَابِرِ أَمْرَأَةً وَاحِدَةً. وَمُنْعَ مِنَ الْأَجْنَاءِ
عَلَى شَاطِئِ النَّيلِ لِلتَّفَرُّجِ وَمُنْعَ مِنْ يَعْمَلِ الْعِنْبِ إِلَّا أَرْبَعَةَ أَرْطَالٍ فَأَدْوَهُمَا.
وَمُنْعَ مِنْ عَصِيَّهِ وَطَرَحَ كَثِيرٌ مِنْهُ وَدِيسَ فِي الْطُّرُقَاتِ وَغُرْقَ كَثِيرٌ مِنْهُ
فِي النَّيلِ. وَمُنْعَ مِنْ حَمَلِهِ وَقُطِعَتْ كُرُومُ الْمُجِينَ كُلُّهَا وَسُرِّيَ إِلَى الْمِجَاهَاتِ
بِذِلِكَ

وَفِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَارِبِيعِيَّةِ غَلَا الْسِّعْرُ وَازْدَحَمَ النَّاسُ عَلَى الْخَبِزِ وَفِي ثَانِي
رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْهَا هَلَكَ عَبْسَى بْنُ نَسْطُورَسَ. فَأَمِرَ النَّصَارَى بِلِبْسِ
الْسَّوَادِ وَتَعْلِيقِ الْصُّلَبَانِ الْحَشَبِ فِي أَعْنَانِ قِيمٍ فَإِنْ يَكُونَ الْصَّلِيبُ ذِرَاعَانِ

مِثْلَهَا وَرُتْبَتُهُ خَمْسَةَ أَرْطَالٍ فَإِنْ يَكُونَ مَكْشُوفًا بِحَيْثُ بَرَاهُ النَّاسُ وَمُنْعِنُوا
 مِنْ رُكُوبِ الْجَبَلِ فَإِنْ يَكُونَ رُكُوبُهُمُ الْبِغَالَ وَالْحِمِيرَ بِالسُّرُوجِ الْحَشَبِ
 وَالسِّيُورِ الْسُّودِ بِغَيْرِ حِلْيَةٍ وَإِنْ يَشْدُوَا الزَّنَانِيرَ وَلَا يَسْتَخِدُوْمُ اْمُسْلِمًا وَلَا
 يَشْتَرِوْا عَبْدًا وَلَا أَمَةً وَتُتَسْعَ آثَارُهُمْ فِي ذَلِكَ فَأَسْلَمَ مِنْهُمْ عِدَّةً . وَقَرِئَ
 حُسْنِ بْنُ طَاهِرِ الْوَزَانَ فِي الْوَسَاطَةِ وَالْتَّوْفِيقِ عَنِ الْحَاكِمِ فِي تَاسِعِ
 وَعِشْرِيْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْهَا وَلُقِبَ بِأَمِينِ الْأَمَنَاءِ وَنَقَشُ الْحَاكِمِ عَلَىْ خَاتِمِهِ
 بِنَصْرِ اللَّهِ الْعَظِيمِ الْوَلِيِّ يَنْتَصِرُ الْأَمَامُ أَبُو عَلَيْ . وَضَرَبَ جَمَاعَةَ بَسَبَبِ
 الْلَّعْبِ بِالشَّطَرْنَجِ وَهُدِمَتِ الْكَنَائِسُ وَأَخْذَ جَمِيعَ مَا فِيهَا وَمَا لَهَا مِنْ
 الْأَرْبَاعِ . وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَى الْأَعْمَالِ فَهُدِمَتْ إِلَيْهَا وَفِيهَا لَحْفٌ أَبُو الْفُتوْحِ
 بِيَمَكَةَ وَدَعَا الْحَاكِمَ وَضَرَبَ السِّكَّةَ بِاسْمِهِ . وَأَمَرَ الْحَاكِمَ أَنْ لَا يُقْبَلَ أَحَدٌ لَهُ
 الْأَرْضَ وَلَا يُقْبَلَ رِكَابُهُ وَلَا يَكُونُ عِنْدَ الْسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي الْمَوَكِبِ . فَإِنْ
 الْأَنْهِنَاءَ إِلَى الْأَرْضِ لَخَلُوقٍ مِنْ صَنْعِ الرُّومِ . وَإِنْ لَا يُزَادَ عَلَىْ قَوْلِهِمْ
 الْسَّلَامُ عَلَىْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ . وَلَا يُصْلِي عَلَيْهِ أَحَدٌ فِي
 مَكَاتِبِهِ وَلَا مُخَاطِبَهِ وَيَقْتَصِرُ فِي مَكَاتِبِهِ عَلَى سَلَامِ اللَّهِ وَتَحْمِلَهُ وَنَوَّاجِبِ
 بَرَكَاتِهِ عَلَىْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَيُدْعَى لَهُ بِمَا يَتَّفَقُ مِنْ الدُّعَاءِ فَقَطْ لَا غَيْرُ.
 فَلَمْ يَقُلِ الْخُطَبَاءُ يَوْمَ الْجَمِيعَةِ سَوَى اللَّهِمَ صَلَّى عَلَىْ مُحَمَّدٍ الْبُصَطَفِيِّ وَسَلَّمَ
 عَلَىْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىْ الْمُرْنَضِيِّ . اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَىْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبْنَى
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . اللَّهُمَّ أَجْعَلْ أَفْضَلَ سَلَامِكَ عَلَىْ عَبْدِكَ وَخَلِيفَتِكَ . وَمَنْعَ
 مِنْ ضَرَبِ الْطَّبُولِ وَالْأَبُواقِ حَوْلَ الْقُصْرِ . فَصَارُوا يَطْوُفُونَ بِغَيْرِ طَبْلٍ
 وَلَا بُوقٍ وَكَثُرَتْ إِنْعَامَاتُ الْحَاكِمِ . فَتَوَقَّفَ أَمِينُ الْأَمَنَاءِ حُسْنِ بْنُ

طَاهِرُ الْوَزَانُ فِي إِمْضَاهَا فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَاكِمُ بِخَطْهِ بَعْدَ الْبَسْمَةِ
الْحَمْدُ لِلّٰهِ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ

أَصْبَحَ لَا أَرْجُو وَلَا أَتَّقِي إِلَّا إِلٰهٌ وَلَهُ الْفَضْلُ

70 جَدِّي نَبِيٌّ وَامَّامٍ أَيِّي وَدِينِي أَلِإِخْلَاصُ وَالْعَدْلُ

V. Desacy, I.

الْمَالُ مَالُ اللّٰهِ وَالْخَلْقُ عِبَادُ اللّٰهِ وَنَحْنُ أَمْنَاؤُهُ فِي الْأَرْضِ أَطْلِقْ أَرْزَاقَ
النَّاسِ وَلَا نَقْطَعُهُمَا وَالسَّلَامُ . وَرَكِبَ الْحَاكِمُ فِي يَوْمِ عِيدِ الْفِطْرِ إِلَى
الْمُصْلَى بِغَيْرِ زِينَةٍ وَلَا جَنَابَ وَلَا أَبْهَةٍ سَوَى عَشْرَ أَفْرَاسِ نُقَادٍ سُرُوجٍ
وَلَمْ يَحْلِلْ بِغَيْرِهِ خَفِيفٌ وَبُنُودٌ سَادِجَةٌ وَمَظْلَةٌ يَضَاءٌ بِغَيْرِ ذَهَبٍ وَعَلَيْهِ
بِيَاضٌ بِغَيْرِ طِرَازٍ وَلَا ذَهَبٍ وَلَا جَوْهَرٍ فِي عِمَّاتِهِ وَلَمْ يُفْرَشِ الْمِنْبَرُ . وَمَنْعَ
النَّاسَ مِنْ سَبِّ الْسَّلَفِ وَضَرَبَ فِي ذَلِكَ وَشَهْرٍ وَصَلَّى صَلَاةً عِيدِ الْحِنْـ
كَأَصَلَّى صَلَاةً عِيدِ الْفِطْرِ مِنْ غَيْرِ أَبْهَةٍ وَنَحْرَ عَنْهُ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ إِلَيَّاسَ بْنِ
أَحْمَدَ الْمُهَلَّبِيِّ وَأَكْثَرُ الْحَاكِمِ مِنَ الرُّشْكُوبِ إِلَى الصَّخْرَاءِ يَحْذَأُ فِي رِجْلِهِ
وَفُوْطَةٌ عَلَى رَأْسِهِ

وَفِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَارْبَعِمِائَةِ الْزَمَّ الْيَهُودَ أَنْ يَكُونَ فِي أَعْنَاقِهِ جَرْسٌ
إِذَا دَخَلُوا إِلَى الْحَاكِمِ وَأَنْ يَكُونَ فِي عُنْقِ النَّصَارَى صُلْبًا وَمَنْعَ النَّاسَ
مِنَ الْكَلَامِ فِي النُّجُومِ وَأَفْنِيَ الْمُنْخَمُوتَ مِنَ الْطُّرُقَاتِ وَطَلَبُوا فَتَغْيِيبًا
وَنُفُوا . وَكَثُرَتْ هِيَاتُ الْحَاكِمِ وَصَدَقَاتُهُ وَعِنْقُهُ . وَأَمَرَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى
بِالْخُروْجِ مِنْ مِصْرَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ وَغَيْرِهَا . وَأَقِيمَ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ إِلَيَّاسَ
وَلِيَ الْعَهْدِ وَأَمْرَأَنْ يُقَالُ فِي السَّلَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى آمِنَ عَمَّ أَمِيرٌ
الْمُؤْمِنِينَ وَوَلِيَ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ . وَصَارَ يَجْلِسُ يَمْكَانٍ فِي الْقَصْرِ وَصَارَ

الْحَاكِمُ بِرَبِّكَ بِدُرَاعَةِ صُوفِيَّضَاءَ وَيَنْعَمُ بِفُوْطَةَ وَفِي رِجْلِهِ حِذَاءَ
عَرَبِيٌّ يَقْتَالُهُنَّ وَعَبْدُ الرَّحِيمُ يَنْوَى النَّظَرَ فِي أُمُورِ الدُّولَةِ كُلُّهَا. وَأَفْرَطَ
الْحَاكِمُ فِي الْعَطَاءِ وَرَدَّمَا كَانَ أَخْدَمِ الْمُسْبِعَ وَالْمَلَكِ لَأَرْبَاهَا
وَفِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ أَمْرَ بِقَطْعِ يَدِيِّ أَيِّ الْقِسْمِ أَجْرِ جَرَانِيْ وَكَانَ يَكْتُبُ
لِلْقَائِدِ عَيْنِ . ثُمَّ قُطِعَتْ يَدُ عَيْنٍ فَصَارَ مُقْطُوعَ الْيَدِيْنِ وَبَعَثَ إِلَيْهِ
الْحَاكِمُ بَعْدَ قَطْعِ يَدِيِّهِ يَا لَافِي مِنَ الْذَّهَبِ وَالثِّيَابِ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرَ
بِقَطْعِ لِسَانِهِ فَقَطْعَ وَبَطْلَ عِدَّةَ مُكْوُسٍ وَقَتْلَ الْكَلَابَ كُلُّهَا وَأَكْثَرَ مِنَ
الْرُّشْكُوبِ فِي الْلَّيْلِ وَمَنَعَ النِّسَاءَ مِنَ الْمُشْيِ فِي الْطَّرْقَاتِ . فَلَمْ تُرِ امْرَأَةٌ فِي
طَرِيقِ الْبَتَّةِ وَأَغْلَقَتْ حَامَاتِهِنَّ وَمَنَعَ الْأَسَاكِفَةَ مِنْ عَمَلِ خَفَافِهِنَّ وَتَعَطَّلَتْ
حَوَانِيْتَهُمْ وَأَشْتَدَّتِ الْإِشَاعَةُ بِوُقُوعِ السَّيْفِ فِي النِّاسِ فَتَهَارُبُوا وَأَغْلَقَتِ
الْأَسْوَاقُ فَلَمْ يُبَعِّ شَيْءٌ وَدُعِيَ لِعَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ إِلَيَّاسَ عَلَى الْمَهَاجِرَةِ وَضَرَبَ
السِّكْكَةُ بِاسْمِهِ بِوْلَاهِيَّ الْعَهْدِ

وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِمَاةِ قُتِلَ مَالِكُ بْنُ سَعِيدِ الْفَارِقِيِّ فِي رَبِيعِ
الْآخِرِ وَكَانَتْ مُدْعَةً نَظَرِهِ فِي قَضَاءِ الْقُضَايَا سِتَّ سَنِينَ وَتِسْعَةَ شَهْرٍ وَعَشَرَةَ
أَيَّامٍ وَبَلَغَ إِقْطَاعَهُ فِي الْسَّنَةِ خَمْسَةَ عَشَرَ آلْفَ دِينَارٍ . وَتَزَادَ رُكُوبُ
الْحَاكِمُ حَتَّى كَانَ يَرْكَبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عِدَّةَ مِرَارٍ . وَأَشْتَرَى الْحِمِيرَ وَرَكَبَهَا
بَدَلَ الْحِيلِ وَفِي جُهَادِيِّ الْآخِرَةِ مِنْهَا قُتْلَ الْحُسَيْنَ بْنَ طَاهِيرِ الْوَزَّانَ .
فَكَانَتْ مُدْعَةً نَظَرِهِ فِي الْوَسَاطَةِ سَنَتَيْنِ وَشَهْرَيْنِ وَعِشْرِينَ يَوْمًا . فَأَمَرَ
أَصْحَابَ الدَّوَادِيْنِ بِلِزْرُومِ دَوَادِيْنِ وَصَارَ الْحَاكِمُ بِرَبِّكَ حِارَارًا بِشَاشِيَّةَ
مَكْشُوفَةِ بِغَيْرِ عَامَةٍ . ثُمَّ أَقَامَ عَبْدَ الرَّحِيمَ بْنَ أَيِّ السِّيْدِ الْكَاتِبَ وَأَخَاهُ

أبا عبد الله الحسين في الوساطة والسفارة وأقر في وظيفة قضاء القضاة
 أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ أَبِي الْعَوَامِ . وَخَرَجَ الْحَاكِمُ عَنْ أَنْجَدٍ فِي الْعَطَاءِ حَتَّى
 أَقْطَعَ نَوَاتِيَّةَ الْمَرَاكِبِ وَالْمَشَايِلَةَ وَبَنِي قَرْنَقَ فَهِمَا أَقْطَعَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ وَالْبَحِيرَةَ
 وَنَوَاحِيهَا . ثُمَّ قُتِلَ أَبْنَى أَبِي السَّيْدِ . وَكَانَتْ مُدَةً نَظَرَهَا أَثْنَيْنِ وَسِتِينَ يَوْمًا
 وَقَلَّدَ الْوَسَاطَةَ فَضْلَ بْنَ جَعْفَرَ بْنَ الْفَرَاتِ . ثُمَّ قُتِلَهُ فِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ
 مِنْ وِلَايَتِهِ وَغَلَبَ بُنُوْقَ عَلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَأَعْمَلَهَا . وَأَكْثَرُ الْحَاكِمِ مِنَ
 الْرُّوكِبِ فِي يَوْمِ سِتَّ مَرَاتٍ مَّنَّ عَلَى فَرَسٍ . وَمَنَّ عَلَى حِمَارٍ وَمَنَّ فِي
 مِحْنَةِ تَحْمِلُ عَلَى الْأَعْنَاقِ وَمَنَّ فِي عَشَارِيَّ عَلَى النَّيلِ بِغَيْرِ عِمَامَةٍ . وَأَكْثَرُ
 مِنْ إِقْطَاعِ الْمَجْنَدِ وَالْعَيْدِ الْإِقْطَاعَاتِ . وَفَاقَمَ ذَا الْرِئَاسَيْنِ قُطْبَ الدُّولَةِ
 أبا الحسن علي بن جعفر بن فالاج في الوساطة والسفارة وولى عبد
 الرحيم بن الياس دمشق . فَسَارَ إِلَيْهَا فِي جُهَادِ الْآخِرَةِ سَنَةَ تِسْعَ
 فَارِبعِمِائَةٍ فَأَقَامَ فِيهَا شَهْرَيْنِ . ثُمَّ هَمَ عَلَيْهِ قَوْمٌ فَقَتَلُوا جَمَاعَةَ مِنْ عِنْدِهِ
 وَأَخْذُوهُ فِي صُندُوقٍ وَحَمَلُوهُ إِلَى مِصْرَ ثُمَّ أُعِيدُ إِلَى دِمْشَقَ فَأَقَامَ إِلَيْهَا إِلَى
 لِيْلَةِ عِيدِ الْفِطْرِ وَأَخْرَجَ مِنْهَا

وَلَمَّا كَانَ لِلْيَلَتَيْنِ بَعْدَ تَمَنَ شَوَّالَ سَنَةَ إِحْدَى عَشَرَةَ وَأَرْبَعِمِائَةَ فُقِدَ
 الْحَاكِمُ وَقِيلَ أَنَّ أَخْنَهُ قَتَلَهُ وَلَيْسَ بِصَحِحٍ . وَكَانَ عُمُرُ سِتَاوْلَيْلَيْنَ سَنَةَ
 وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَكَانَتْ مُدَّةُ خِلَافَتِهِ خَمْسَاً وَعَشْرِيْنَ سَنَةً وَشَهْرًانِ . وَكَانَ جَوَادَا
 سَفَّاً كَمَا قُتِلَ عَدَدًا لَا يُحْصَونَ . وَكَانَ سِيرَتُهُ مِنْ أَعْجَبِ السِّيَرِ وَخُطِبَ
 لَهُ عَلَى مَنَابِرِ مِصْرَ وَالشَّامِ وَأَفْرِيقِيَّةَ وَالْمَجَازِ . وَكَانَ يَشْتَغِلُ بِعِلْمَوْمِ
 الْأَوَّلِيَّ وَيَنْظُرُ فِي النَّجُومِ وَعَمِلَ رَصَدًا وَأَتَخَذَ يَنْتَا فِي الْمَقْطَمِ يَنْقَطِعُ

فِيهِ عَنِ النَّاسِ لِذِلِكَ وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ بَعْتَرِيهِ جَفَافٌ فِي دِمَاغِهِ
فَلِذِلِكَ كَثُرَ تَنَاقُضُهُ وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ فِيهِ بَعْضُهُمْ كَانَتْ أَفْعَالُهُ
لَا تَعْلَلُ وَأَحَلَامُ وَسَاوِسَهُ لَا تُؤَولُ

وَقَالَ الْمُسْبِحُ فِي مُحَرَّمٍ سَنَةَ خَمْسَ عَشَرَ وَأَرَى عِمَاءَ قُبْضَ عَلَى رَجُلٍ
مِنْ بَنِي حُسَيْنٍ ثَارَ بِالصَّعِيدِ الْأَعْلَى فَأَقْرَأَ إِنَّهُ قَتَلَ الْحَاكِمَ يَا مَرِي اللَّهِ فِي جُمْلَةِ
أَرْبَعَةِ أَنْفُسٍ تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ وَأَظْهَرَ قِطْعَةً مِنْ جِلْدِ رَأْسِ الْحَاكِمِ
وَقِطْعَةً مِنْ الْفُوْطَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ . فَقِيلَ لَهُ لَمْ قَتَلْتَهُ : فَقَالَ عَيْنَ اللَّهِ
وَلِلْإِسْلَامِ : فَقِيلَ كَيْفَ قَتَلْتَهُ . فَأَخْرَجَ سِكِّينًا ضَرَبَ بِهَا فُؤَادَهُ وَقُتِلَ
نَفْسُهُ وَقَالَ هَكُذا قَتَلْتَهُ . وَقُطِعَ رَأْسُهُ وَأُنْيَدَ بِهِ إِلَى الْحَضْنَ مَعَ مَا وُجِدَ مَعَهُ .
وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي خَبَرِ قَتْلِ الْحَاكِمِ لَا مَا يُحْكِيَهُ الْمُشَارِقَةُ فِي كُتُبِهِمْ مِنْ أَنَّ
أُخْنَهُ قَتَلَتْهُ وَاللهُ أَعْلَمُ

مِنْ ذِكْرِ الْحَمَارَاتِ

This is in de Sacy's Chrestomathy, vol. II, fo.

عِبَارَةٌ تَعْلَقُ بِفُتوَحَاتِ هَفْتَكِينَ وَأَنْكَسَارَاهِ
حَارَةُ الدَّلِيمُ عُرِفَتْ بِذِلِكَ لِتَرْوِيلِ الدَّلِيمِ الْوَاصِلِينَ مَعَ هَفْتَكِينَ
الشَّرَائِيِّ حِينَ قَدِيمٍ وَمَعْهُ أَوَّلَادُ مَوَلَّاهُ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ الْبُوْهِيِّ وَجَمَاعَةُ مِنْ
الدَّلِيمِ وَالْأَنْزَارِ الَّتِي فِي سَنَةِ ثَمَانِ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ وَسَكَنُوا بِهَا فَعُرِفَتْ بِهِمْ
هَفْتَكِينُ وَيُقَالُ لَهُ الْفَتَكِينُ الْتُرْكِيُّ الشَّرَائِيُّ غَلَامٌ مُعِزِّ الدَّوْلَةِ أَحْمَدُ بْنُ
بَوْيَهِ تَرَقَّى فِي الْخَدَمَ حَتَّى غَلَبَ فِي بَغْدَادَ عَلَى عَزِّ الدَّوْلَةِ بَحْنِيَارَ بْنِ مُعِزِّ
الدَّوْلَةِ . وَكَانَ فِيهِ شَجَاعَةٌ وَثِباتٌ فِي الْحِربِ . فَلَمَّا سَارَتِ الْأَنْزَارُ مِنْ
بَغْدَادَ لِحَرْبِ الدَّلِيمِ جَرَى بَيْنَهُمْ قِتَالٌ عَظِيمٌ أَشْهَرَ فِيهِ هَفْتَكِينُ إِلَّا أَنَّ

أَصْحَابَهُ أَنْهَمُوا عَنْهُ وَصَارَ فِي طَائِفَةٍ قَلِيلَةٍ فَوْلَى بِمِنْ مَعِهِ مِنَ الْأَتْرَاكِ وَهُمْ
نَحُو الْأَرْبَعِمَائَةَ . فَسَارَ عَلَى الرَّحِبَةِ وَأَخْذَ مِنْهَا عَلَى الْبَرِّ إِلَى أَنْ قَرَبَ مِنْ
جُوْسِيَّةَ إِحْدَى قُرَى الشَّامِ . وَقَدْ وَقَعَ فِي قُلُوبِ الْعَرَبَانِ مِنْهُمْ هَمَابَةُ .
فَغَرَّ إِلَيْهِ ظَالِمٌ بْنُ مَرْهُوبِ الْعَقِبِيِّ مِنْ بَعْلَبَكَ وَبَعْثَ إِلَيْهِ أَبِي حَمْوِيدَ
أَبْرَاهِيمَ بْنِ جَعْفَرِ أَمِيرِ دِمْشَقَ مِنْ قَبْلِ الْخَلِيفَةِ الْمُعَزِّ لِدِينِ اللَّهِ يَعْلَمُهُ
يُقْدُومُ هَفْتَكِينَ مِنْ بَغْدَادَ لِاقْتَامَةِ الْخُطْبَةِ الْعَبَاسِيَّةِ وَخَوْفَهُ مِنْهُ . فَآنَذَ
إِلَيْهِ عَسْكَرًا وَسَارَ إِلَى نَاحِيَةِ جُوْسِيَّةِ يُرِيدُ هَفْتَكِينَ . وَسَارَ بِشَارَةَ الْخَادِمِ
مِنْ قَبْلِ أَبِي الْمَعَالِيِّ بْنِ حَمْدَانَ عَوْنَانَ لِهَفْتَكِينَ فَرَدَ ظَالِمٌ إِلَيْهِ بَعْلَبَكَ مِنْ

غَيْرِ حَرْبٍ

وَسَارَ بِشَارَةَ هَفْتَكِينَ إِلَى حِمْصَ فَحَمَلَ إِلَيْهِ أَبُو الْمَعَالِيِّ وَتَلَقَّاهُ وَأَكْرَمَهُ
وَكَانَ قَدْ ثَارَ بِدِمْشَقَ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الدَّعَارَةِ وَالْفَسَادِ وَحَارَبَا عُمَالَ
الْسُّلْطَانِ وَاشْتَدَّ أَمْرُهُمْ وَكَانَ كَيْرِهِمُ يُعْرَفُ بِابْنِ الْمَاؤِرِدِ . فَلَمَّا بَلَغُهُمْ خَبْرُ
هَفْتَكِينَ بَعْثَوْ إِلَيْهِ مِنْ دِمْشَقَ إِلَى حِمْصَ يَسْتَدِعُونَهُ وَوَعْدُوهُ بِالْقِيَامِ مَعَهُ
عَلَى عَسَكِرِ الْمُعَزِّ وَأَخْرَاجِهِ مِنْ دِمْشَقَ لِيَأْتِيَ عَلَيْهِمْ فَوَقَعَ ذَلِكَ مِنْهُ
بِالْمُوَافَقةِ . وَسَارَ حَتَّى نَزَلَ ثَنِيَّةَ الْعَقَابِ لِأَيَّامٍ يَقِيتُ مِنْ شَعْبَانَ سَنةَ
أَرْبَعِ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ . فَبَلَغَ عَسَكِرُ الْمُعَزِّ خَبْرُ الْفَرَنجِ فَأَنْهَمْ قَدْ قَصَدُوا
طَرَابُلسَ فَسَارُوا بِأَجْمَعِمِ إِلَى لِقَاءِ الْعُدُوِّ وَنَزَلَ هَفْتَكِينُ عَلَى دِمْشَقَ مِنْ
غَيْرِ حَرْبٍ فَأَقَامَ أَيَّامًا . ثُمَّ سَارَ يُرِيدُ مُحَارَبَةَ ظَالِمٍ فَفَرَّ مِنْهُ وَدَخَلَ
هَفْتَكِينُ بَعْلَبَكَ فَطَرَقَهُ الْعُدُوُّ مِنْ أَرْشُومَ وَالْفَرَنجِ وَأَنْهَبُوا بَعْلَبَكَ
وَأَحْرَقُوا دِلَكَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ . وَأَنْتَشَرُوا فِي أَعْمَالِ بَعْلَبَكَ وَالْبِقَاعِ

يُقتلون وبآسرون ويحرقون وقصدوا دمشق وقد ألتحق بهَا هفتةكين.
فخرج إليهم أهل دمشق وسألوهم الكفر عن البلد والذرووا بهمال. فخرج
إليهم هفتةكين وأهدى إليهم وتتكلّم معهم في أنه لا يستطيع جبائية المال لقوّة
آبن المأور دواصحابه وأغري ملك الروم فقبض عليه وفديه وعاد فجئ
المال من دمشق بالعنف وحمل إلى ملك الروم ثلثين ألف دينار
ورحل إلى بيروت ثم إلى طرابلس

فتمكن هفتةكين من دمشق وأقام بها الدّعوة لآبي بكر عبد الكريم
الطائع بن المطیع العباسی وسیر إلى العرب السرایا فظافرت وعادت
إليه يعتنّ من أسرته من رجال العرب وقتلهم صبراً. وكان تخوف من
المعز. فكاتب القرامطة يستدعيهم من الأحساء للقدوم عليه لمحاربة
عساكر المعز وما زال يوم حتى وافقوا دمشق في سنة حمس وستين ونزلوا
على ظاهرها ومعهم كثير من أصحاب هفتةكين كانوا قد تشتتوا في البلاد
فقوي يوم ولقي القرامطة وحمل إليهم وسرّهم. فأقاموا على دمشق أيامًا
ثم رحلوا نحو الرملة وبها أبو محمد فلحق يافا ونزل القرامطة الرملة
ونصبوا القتال على يافا حتى كل القربيان وسموا جميعاً من طول الحرب
وسار هفتةكين على الساحل ونزل صيدا وبها ظالم بن مرھوب العقيلي
فأبن الشیخ من قبل المعز. فقاتلهم فتناً لا شدیداً انهزم منه ظالم إلى
صور وقتل بين القربيين نحو أربعة آلاف رجل. فقطع أيديه أقتلى
من عساكر المعز وسیرها إلى دمشق فطیف بها. ثم سار عن صيدا
 يريد عكا وبها عسکر المعز

وَكَانَ قَدْمَاتَ الْمُعِزِّيِّ فِي رَبِيعِ الْآخِرِ وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ أَبْنُهُ الْعَزِيزُ بْنُ اللَّهِ
وَسِيرَ جَوَهِرًا الْفَائِدَةِ فِي عَسْكَرِ عَظِيمٍ إِلَى قِتَالِ هَفْتَكِينَ وَالْفَرَاطِيَّةِ.
فَبَلَغَ ذَلِكَ الْفَرَاطِيَّةَ وَهُمْ عَلَى الرَّمْلَةِ وَوَصَلَ الْخَبَرُ بِمَسِيرِهِ إِلَى هَفْتَكِينَ
وَهُوَ عَلَى عَكَافِ خَافَ الْفَرَاطِيَّةَ وَفَرَوْا عَنْهَا فَتَرَاهَا جَوَهِرُ وَسَارَ مِنَ الْفَرَاطِيَّةِ
إِلَى الْأَحْسَاءِ الَّتِي هِيَ بِلَادُهُمْ جَمَاعَةٌ وَتَابُرَ عِدَّةٌ وَسَارَ هَفْتَكِينُ مِنْ عَكَافِ
إِلَى طَبَرِيَّةَ وَقَدْ عِلِّمَ بِمَسِيرِ الْفَرَاطِيَّةِ وَتَابُرَ بَعْضِهِ فَاجْمَعَ بَيْنِهِمْ فِي
طَبَرِيَّةَ وَأَسْتَعَدَ لِلقاءِ جَوَهِرَ وَجَمَعَ الْأَقوَاتِ مِنْ بِلَادِ حَوْرَانَ وَالْبَشِّيَّةِ
وَأَدْخَلَهَا إِلَى دِمْشَقَ وَسَارَ إِلَيْهَا فَخَصَّنَ بِهَا. وَنَزَلَ جَوَهِرُ عَلَى ظَاهِرِ
دِمْشَقِ لِشَهَانِ يَقِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ وَبَنَى عَلَى مَسْكِنِهِ سُورًا وَحَفَرَ خَندَقًا
عَظِيمًا وَجَعَلَ لَهُ آبَوَابًا وَجَمَعَ هَفْتَكِينَ النَّاسَ لِلْقِتَالِ. وَكَانَ قَدْ تَعَيَّنَ بَعْدَ
أَبْنِ الْمَأْوِرِ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِقَسَامِ الشَّرَابِ وَصَارَ فِي عِدَّةٍ وَافِرٍ مِنَ
الْدُّعَارِ فَاعْنَاهُ هَفْتَكِينُ وَقَوَاهُ وَمَدَهُ بِالسَّلَاجِ وَغَيْرِهِ. وَوَقَعَتْ يَنْهَمُ
وَبَيْنَ جَوَهِرٍ حُرُوبُهُ عَظِيمَةٌ طَوِيلَةٌ إِلَى يَوْمِ الْتَّحَادِيِّ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ

رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ سِتِّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثَمَائَةٍ

فَاخْتَلَ أَمْرُ هَفْتَكِينَ وَهُمْ بِالْفِرَارِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَسْتَظْهَرَ وَوَرَدَتِ الْأَخْبَارُ
يَقْدُومُ الْخَسْنَ بنُ أَحْمَدَ الْقَرْمَطِيِّ إِلَى دِمْشَقَ وَطَلَبَ جَوَهِرَ الصلْحَ عَلَى
أَنْ يَرْجِلَ عَنْ دِمْشَقِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَبَعَهُ أَحَدٌ. وَذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى أَمْوَالَهُ قَدْ
قَلَّتْ وَهَلَكَ كَثِيرٌ مِنْهَا كَانَ فِي عَسْكَرِهِ حَتَّى صَارَ أَكْثَرُ عَسْكَرِ رَجَالَهُ
وَأَعْوَزَهُمُ الْعَلَفُ وَخَشِيَ قُدُومَ الْفَرَاطِيَّةِ. فَاجْتَابَهُ هَفْتَكِينُ وَقَدْ عَظِمَ
فَرْحُهُ وَأَشْتَدَ سُورُهُ. فَرَحَلَ فِي ثَالِثِ جُادَّةِ الْأُولَى وَجَدَ فِي الْسَّيْرِ وَقَدْ

قُرْبَ الْقَرْمَطِيِّ فَأَنَاخَ بِطَبَرِيَّةَ. فَبَلَغَ ذَلِكَ الْقَرْمَطِيَّ فَقَصَكَ وَقَدْ سَارَ عَنْهَا
إِلَى الرَّمْلَةِ، فَبَعْثَ إِلَيْهِ بِسَرِيرَةٍ كَانَتْ لَهَا مَعَ جَوْهِرٍ وَقَعَةٌ قُتِلَ فِيهَا جَمَاعَةٌ
مِنَ الْعَرَبِ وَادْرَكَهُ الْقَرْمَطِيُّ وَسَارَ فِي أَثْرِهِ هَفْتَكِينُ. فَمَاتَ الْمُحَسَّنُ بْنُ
أَحْمَدَ الْقَرْمَطِيِّ بِالرَّمْلَةِ وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ بِاِمْرِ الْقَرْمَطَةِ أَبْنُ عَمِّهِ جَعْفَرٍ.
فَفَسَدَ مَا يَنْهَا وَبَيْنَ هَفْتَكِينَ وَرَجَعَ عَنِ الرَّمْلَةِ إِلَى الْأَحْسَاءِ نَاصِبَ هَفْتَكِينَ
الْقِتَالَ وَأَتَحَّ فِيهِ عَلَى جَوْهِرٍ حَتَّى أَنْهَزَمَ مِنْهُ وَصَارَ إِلَى عَسْقَلَانَ. وَقَدْ غَنِمَ
هَفْتَكِينُ مَا كَانَ مَعَهُ شَيْئًا يَحْلِلُ عَنِ الْوَصْفِ وَنَزَلَ عَلَى الْبَلْدِ مُحَاصِرًا لَهُ.

وَبَلَغَ ذَلِكَ الْعَزِيزَ فَأَسْتَعَدَ لِلْمَسِيرِ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ
فَلَمَّا طَالَ الْأَمْرُ عَلَى جَوْهِرٍ رَاسَلَ هَفْتَكِينَ حَتَّى تَرَرَ الصُّلحُ عَلَى مَالِ
بِحِمْلَهِ إِلَيْهِ وَأَنْ يَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ سَيفِ هَفْتَكِينَ. فَعَلَقَ سَيفُهُ عَلَى بَابِ
عَسْقَلَانَ وَخَرَجَ جَوْهِرٌ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَتْحَبِهِ وَسَارُوا إِلَى الْقَاهِرَةِ فَوُجِدَ
الْعَزِيزُ قَدْ بَرَزَ بِرِيدِ السَّيْرِ فَسَارَ مَعَهُ. وَكَانَ مُدْعَةً قِتَالِ هَفْتَكِينَ لِجَوْهِرِ
عَلَى ظَاهِرِ الرَّمْلَةِ وَفِي عَسْقَلَانَ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا. وَسَارَ الْعَزِيزُ بِاللهِ حَتَّى
نَزَلَ الرَّمْلَةَ. وَكَانَ هَفْتَكِينُ بِطَبَرِيَّةَ فَسَارَ إِلَى لِقَاءِ الْعَزِيزِ وَمَعَهُ أَبُو
إِسْحَاقَ وَأَبُو طَاهِيرَ أَخُو عَزِيزِ الدُّولَةِ بِخَنِيَّارَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ بُوْيَهِ وَأَبُوكَالْبَحَارِ
مَرْزَبَانَ بْنِ عَزِيزِ الدُّولَةِ بِخَنِيَّارَ بْنِ مُعِيزِ الدُّولَةِ بْنِ بُوْيَهِ وَحَارِبَوْهُ. فَلَمَّا
تَكُنْ غَيْرُ سَاعَةٍ حَتَّى هَزَمَتْ عَساِكِرُ الْعَزِيزِ عَسَاكِرَ هَفْتَكِينَ وَمَلَكُوهُ فِي
يَوْمِ الْخَمِيسِ لِسَبْعِ يَوْنَى مِنَ الْحُرُمَ سَنَةَ ثَمَانِ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِيَّةَ. وَأَسْتَأْمَنَ
أَبُو إِسْحَاقَ وَمَرْزَبَانَ بْنَ بِخَنِيَّارَ وَقُتِلَ أَبُو طَاهِيرَ أَخُو عَزِيزِ الدُّولَةِ بِخَنِيَّارَ
وَأُخْدِيَ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ أَسْرَى وَطُلِبَ هَفْتَكِينُ فِي الْقَتْلَى فَلَمْ يُوجَدْ وَكَانَ

فَدَفَرَ وَقْتَ الْهَزِيْمَةِ عَلَى فَرَسٍ بِمُفْرِدِهِ فَأَخْذَهُ بَعْضُ الْعَرَبِ أَسِيرًا وَقَدِمَ
بِهِ عَلَى مُفْرِجِ بْنِ دَغْنَلِ بْنِ الْجَرَاجِ الْطَّائِي وَعَامِتُهُ فِي عُنْقِهِ، فَبَعْثَ بِهِ
إِلَى الْعَزِيزِ فَأَمَرَ بِهِ فَشَهَرَ فِي الْعَسْكَرِ وَطَيْفَ بِهِ فَأَخْذَ النَّاسُ يُلْطِمُونَهُ
وَهُزُونَ لِحِيَتِهِ حَتَّى رَأَى فِي نَفْسِهِ الْعِبَرَ

ثُمَّ سَارَ الْعَزِيزُ بِهِفْتَكِينَ وَالْأَسْرَى إِلَى الْقَاهِرَةِ فَاصْطَبَنَهُ وَمَنْ مَعَهُ
وَاحْسَنَ إِلَيْهِ غَايَةَ الْإِحْسَانِ وَأَنْزَلَهُ فِي دَارِ وَاصْلَهُ بِالْعَطَاءِ وَأَنْجَلَهُ حَتَّى
قَالَ: لَقَدِ احْشَمْتُ مِنْ رَوْكُوبِي مَعَ مَوْلَانَا الْعَزِيزِ بِاللَّهِ وَنَظَرِي إِلَيْهِ بِهَا
عَمَرَنِي بِهِ مِنْ فَضْلِهِ فَإِحْسَانِهِ: فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْعَزِيزَ قَالَ لِعَمِّهِ حَدَّرَةَ:
يَا عَمَّ وَاللَّهِ إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَرَى النِّعَمَ عَلَى النَّاسِ ظَاهِرَةً وَأَرَى عَلَيْهِمْ الْذَهَبَ
وَالْفِضَّةَ وَأَنْجُوهُرَ وَلَمْ أَخْبِلْ وَلَلْبَاسَ وَالْفِضَّيَاعَ وَالْعَقَارَ وَأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ
كُلُّهُ مِنْ عِنْدِي: وَبَلَغَ الْعَزِيزَ أَنَّ النَّاسَ مِنَ الْعَامَّةِ يُقَوِّلُونَ مَا هُدَا
الْتَّرْكِيُّ فَأَمَرَ بِهِ وَشَهَرَ فِي أَجْمَلِ حَالٍ. وَلَمَّا رَجَعَ مِنْ تَطْوِافِهِ وَهَبَ لَهُ مَا لَا
جَزِيلًا وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ سَائِرَ الْأَوْلَيَاءِ أَنْ يَدْعُوهُ إِلَى دُورِهِ فَمَا مِنْهُمْ إِلَّا
مَنْ عَمَلَ لَهُ دَعْوَةً وَقَدِمَ إِلَيْهِ وَقَادَ يَمِّنَ يَدِيهِ الْخَبُولَ. ثُمَّ إِنَّ الْعَزِيزَ قَالَ
لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: كَيْفَ رَأَيْتَ دَعْوَةَ أَصْحَابِنَا. فَقَالَ: يَا مَوْلَانَا حَسَنَةُ فِي
الْغَايَةِ وَمَا فِيهِمْ إِلَّا مِنْ أَنْعَمَ وَأَكْرَمَ: فَصَارَ يَرْكُبُ لِلصِّيدِ وَالْتَّفَرِجِ وَجَمَعَ
إِلَيْهِ الْعَزِيزُ بِاللَّهِ أَصْحَابَهُ مِنَ الْأَنْرَاكِ وَالْدَّلَمِ وَأَسْتَجْبَةَ وَأَخْنَصَ بِهِ. وَمَا
زَالَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ تُوْقَنِي سَنَةُ أَشْتَيْنِ وَسَعْيَنَ وَثَلِيْمَائَةٍ فَاتَّهُمُ الْعَزِيزُ
وَزِينُ يَعْقُوبَ بْنَ كَلْسٍ أَنَّهُ سَمِّهُ لَأَنَّ هَفْتَكِينَ كَانَ يَنْرَفُ عَلَيْهِ فَأَعْنَفَلَهُ
وَذَلِكَ ثُمَّ أَخْرَجَهُ

حَارَةً لِأَنْرَاكِ . هُنَّ أَحْجَارٌ تُجَاهُ الْجَمَاعِ الْأَزْهَرِ وَتُعْرَفُ الْيَوْمَ بِدَرْبِ
 الْأَنْرَاكِ . وَكَانَ نَافِذًا إِلَى حَارَةِ الدَّيْلَمِ وَالْوَرَاقُونَ الْقُدْمَاءِ تَارَةً يُفْرِدُونَهَا
 مِنْ الدَّيْلَمِ وَتَارَةً يُضِيفُونَهَا إِلَيْهَا وَيَجْعَلُونَهَا مِنْ حُقُوقِهَا فَيَقُولُونَ حَارَةَ
 الدَّيْلَمِ وَالْأَنْرَاكِ . وَتَارَةً يَقُولُونَ حَارَاتِي الدَّيْلَمِ وَالْأَنْرَاكِ . وَقِيلَ لَهَا حَارَةُ
 الْأَنْرَاكِ لِكَنَّ هَفْتِكِينَ لَمَّا غَلَبَ يَغْدَادَ سَارَ مَعَهُ مِنْ جِنْسِهِ أَرْبَعُمَائَةٍ مِنْ
 الْأَنْرَاكِ وَتَلَاحَقَ بِهِ عِنْدَ وُرُودِ الْقَرَامِطَةِ عَلَيْهِ بِدِمْشَقِ عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ .
 فَلَمَّا جَمَعَ لِحْرَبِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ كَانَ أَصْحَابُهُ مَا بَيْنَ تُرْكِ وَدَيْلَمْ . فَلَمَّا قَبَضَ عَلَيْهِ
 الْعَزِيزُ وَدَخَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ بِهِ فِي الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ
 سَنَةَ ثَمَانِيَّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمَائَةٍ كَمَا نَقَدَمْ نَزَلَ الدَّيْلَمُ مَعَ أَصْحَابِهِمْ فِي مَوْضِعِ
 حَارَةِ الدَّيْلَمِ وَنَزَلَ هَفْتِكِينُ بِأَنْرَاكِهِ فِي هَذَا الْمَكَانِ . فَصَارَ يُعْرَفُ
 بِحَارَةِ الْأَنْرَاكِ وَكَانَتْ مُخْتَلِطَةً بِحَارَةِ الدَّيْلَمِ لِأَنَّهَا أَهْلُ دَعْوَةِ وَاحِدَةٍ
 إِلَّا أَنَّ كُلَّ جِنْسٍ عَلَى حِلَقٍ لِتَخَالِفِهَا فِي الْجِنْسِيَّةِ فَيُقْبَلَ بَعْدَ ذَلِكَ
 دَرْبُ الْأَنْرَاكِ

مِنْ سِيَّرِ الْسُّلْطَانِ الْمَالِكِ النَّاصِرِ صَلَاجُ الدِّينِ^١

لِبَهَاءِ الدِّينِ الشَّدَادِيِّ

ذِكْرُ مَسِيرِهِ لِإِفْرَنجِ الصَّلِيبِيِّينَ مِنْ عَكَّا إِلَى عَسْقَلَانَ وَأَنْتَفَا لِهِمْ
إِلَى طَرَفِ الْبَحْرِ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ

وَلَمَّا كَانَ أَتَاسِعُ وَالْعِشْرُونَ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ سَبْعِ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِ
مِائَةٍ. رَكِبَ الْإِفْرَنجَ بِأَسْرِهِمْ. وَقَلَعُوا خِيَامَهُمْ. وَحَمَلُوهَا عَلَى دَوَاهِمْ.
وَسَارُوا حَتَّى قَطَعُوا النَّهَرَ إِلَى الْمَجَانِبِ الْغَرْبِيِّ. وَضَرَبُوا الْخِيَامَ عَلَى طَرِيقِ
عَسْقَلَانَ. وَأَظْهَرُوا الْعَزَمَ عَلَى الْمَسِيرِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ. وَأَمْرَأَ الْأَنْكَتَارُ
(يُرِيدُ بِهِ رِيكَرْدُوسَ مَلِكَ الْأَنْكَلِيزِ) بِأَقِيَّ النَّاسِ أَنْ يَدْخُلُوا إِلَى الْبَلَدِ.
وَكَانُوا قَدْ سَدُوا ثَغْرَ وَثَلْمَهُ. وَأَصْلَحُوا مَا أَسْهَدَ مِنْهُ. وَكَانَ مُقْدَمَ

^١ أما صلاح الدين فهو أول ملوك الأيوبيين في مصر ولد في تكريت ما بين النهرين وكان ولدًا لأبيوب الكروبي، فاشتهر منذ شبابه بمحاربة المسيحيين فذهب إلى مصر حيث تقىد بخدمة نور الدين في سنة ١١٦٤ فاصحب وزيراً لآخر الفاطميين وبعد وفاة نور الدين انهز فرصة حداثه ولده صلاح اساعيل . فاقام نفسه وصيانته عليه واستولى على سوريا في سنة ١١٧٥ ثم استقل في مصر والحق بملكه جانباً عظيماً من بين النهرين . فخاربه المسيحيون فاستظهر وا عليه في رملة (١١٧٨) لكنه استظهر في بانياس وطبرية على قوي دي لوزينيان ملك القدس واستأنسه (١١٧٨) وفيها استولى على القدس وقبض على زمام مملكتها فكان سقوط مملكة القدس سبباً لحرب الصليبيين الثالثة . فاضطر صلاح الدين أن يقايس مشقات عظيمة ولا فاخذت منه عكا وقيصرية ويفا . لكنه قهراً عن سالة المسيحيين لا سيما ريكاردوس قلب الأسد ظفر وساد . وتوفي سنة ١١٩٣ ولد اخي يدعى مالك عادل ولدًا ناقسموا ملكه . فجاز صلاح الدين الاعنبار حتى لدى المسيحيين ايضاً لحسن سياسته ونشاطه وكرمه وشجاعته (بويلي)

العَسْكَرِ الْخَارِجِ السَّائِرِ الْأَنْكَتَارُ . وَجَمِيعُ عَظِيمِهِ مِنَ الرَّجَالَةِ وَالْخَيَالَةِ .
 وَلَمَّا كَانَ مُسْتَهْلِ شَعْبَانَ أَشْتَعَلَتْ نِيرَانُ الْعَدُوِّ فِي سُحْرَةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ
 وَعَادُوهُمْ أَنْهُمْ إِذَا أَرَادُوا الْرِّحْلَةَ أَشْعَلُوا نِيرَانَهُمْ . وَأَخْبَرَ الْيَزِكَ بِحَرَكَتِهِمْ
 فَأَمَرَ السُّلْطَانُ بِالشَّقْلِ أَنْ يُرْفَعَ حَتَّى يَيْقَنَ النَّاسُ عَلَى ظَهِيرِهِ . فَفَعَلَ النَّاسُ
 ذَلِكَ . وَهَلَكَ مِنَ النَّاسِ قُمَاشٌ كَثِيرٌ . وَحَوَاجِعٌ كَثِيرَةٌ مِنَ السُّوقَةِ لَمْ
 يَكُنْ مَعْمُومٌ خَيْلٌ وَلَا ظَهَرٌ يَجْعَلُ جَمِيعَ مَا عِنْدَهُمْ . لَأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ كَانَ
 يُحْصِلُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي أَشْهُرٍ . وَكُلَّ وَاحِدٍ مِنَ السُّوقَةِ عِنْدَهُ مَا يَنْفَدِدُ مِنْ
 مَتْرِلٍ إِلَى مَتْرِلٍ فِي مِرَارٍ مُتَعَدِّدَةٍ . لَكِنَّ هَذَا الْمَتْرِلُ لَمْ يَكُنْ أَنْ يَخْلُفَ
 فِيهِ أَحَدٌ لِقُرْبِهِ مِنَ الْأَفْرَنجِ الَّذِينَ يَعْكَأُونَ الْخُوفَ مِنْهُمْ
 وَلَمَّا أَنْ عَلَا النَّهَارُ . شَرَعَ الْعَدُوُّ فِي السَّيرِ عَلَى جَانِبِ الْجَهْرِ . وَتَفَرَّوْا
 قِطْعًا كَثِيرًا . كُلُّ قِطْعَةٍ تَحْمِي عَنْ نَفْسِهَا . وَقَوَى السُّلْطَانُ (أَيْ صَالَحُ
 الَّدِينِ) الْيَزِكَ . وَأَنْدَدَ مُعْضُمَ الْعَسَكِرِ قِبَالَهُمْ . فَهَضَوا وَفَاتَلُوهُمْ قِتَالًا
 شَدِيدًا . وَأَنْدَدَ وَلَكَ الْمَلِكُ الْأَفْضَلُ يُخْبِرُ أَنَّهُ قَطَعَ طَائِفَةً مِنْهُمْ عَنْ
 الْمُوَافَفَةِ . وَلَقَدْ لَزَّبَنَاهُمْ بِالْقِتَالِ . وَلَوْ قَوِينَا لَأَخْدَنَاهُمْ . فَسَيَرَ السُّلْطَانُ
 خَلْقًا عَظِيمًا مِنَ الْعَسَكِرِ . وَسَارَ هُوَ بِنَفْسِهِ وَأَنَا بِخَدْمَتِهِ . حَتَّى أَتَى أَوَائِلَ
 الْرَّمْلِ . فَلَقِينَا الْمَلِكُ الْعَادِلُ أُخُوهُ : إِنَّ تِلْكَ الْطَائِفَةَ قَدِ اتَّجَتْ بِالْطَائِفَةِ
 الْأُولَى . وَمُعْضُمُ الْقَوْمِ قَدْ عَبَرُوا نَهَرَ حَيْفَا وَقَدْ نَزَلُوا . وَالْبَاقُونَ قَدْ لَعَقُوا
 يَرْبُمْ . وَلَيْسَ لِلْمَسِيرِ وَرَأَهُمْ حَاصِلٌ إِلَّا إِنْعَابُ الْعَسَكِرِ وَصَيَاعُ النُّشَابِ
 لَا غَيْرُ

فَتَرَاجَعَ السُّلْطَانُ عَنِ الْقَوْمِ لَمَّا تَحَقَّقَ ذَلِكَ وَأَمَرَ طَائِفَةً مِنَ الْعَسَكِرِ

أَنْ قَسِيرَ وَرَأَهُ التَّقْلِيلَ يُلْحِقُ ضَعِيفَمْ بِقُوَّتِهِمْ . وَيَكْفُ عَنْهُمْ مِنْ يُلْحِقُهُمْ مِنَ
الْعَدُوِّ وَالظَّمَاعَةِ وَسَارَ هُوَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْقِيمُونَ عَصْرَ ذِلِكَ النَّهَارِ
فَنَزَلَ وَضَرَبَ لَهُ الدِّهْلِيزُ وَشَقَّةً دَائِرَةً حَوْلَهُ لَا غَيْرُهُ . وَاسْتَخْضَرَ الْجَمَاعَةَ
وَأَكْلُوا شَيْئًا وَاسْتَشَارُهُمْ فِي مَا يَفْعَلُ

الْمَنْزِلُ الْثَّانِي : أَنْقَرَ رَأْيُ جَمَاعَةِ عَلَى أَنْهُمْ يَرْحُلُونَ بِكُنْكَعَهِ . هَذَا وَقْدَ
رَتَبَ حَوْلَ الْأَفْرِنجِ يَزَّكَّا يَبَاوُنَ حَوْلَهُ وَيَرْقُبُونَ أَمْنًا . وَلَمَّا كَانَ
صَبَاحُ ثَانِي شَعْبَانَ رَحَّلَ السُّلْطَانُ التَّقْلِيلَ وَأَقَامَ هُوَ يَرْصُدُ أَخْبَارَ الْعَدُوِّ
فَلَمْ يَصِلْ مِنْهُمْ شَيْءٌ إِلَى أَنْ عَلَا النَّهَارُ . فَسَارَ فِي أَثْرِ التَّقْلِيلِ حَتَّى أَتَى قَرْيَةً
يُقَالُ لَهَا قَرْيَةُ الصَّبَاغِينَ . فَجَلَسَ يَتَرَقَّبُ أَخْبَارَ الْعَدُوِّ وَكَانَ قَدْ خَلَفَ
جُرْدِيَّكَ قَرِيبَ الْعَدُوِّ فَلَمْ يَصِلْهُ خَبْرٌ أَصْلًا . فَسَارَ حَتَّى أَتَى التَّقْلِيلَ فِي
مَنْزِلَةٍ يُقَالُ لَهَا عَيْنُ الْأَسَادِ وَلَمَّا بَلَغُنَا الْمَنْزِلَةَ رَأَيْ خِيَاماً فَسَأَلَ عَنْهَا
فَقِيلَ لِهَا خَيْمَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ . فَعَدَلَ لِيَنْزِلَ عِنْهُ فَأَقَامَ عِنْهُ سَاعَةً .
مُمْمَّ أَتَى خِيمَتِهِ . وَفِقْدَ الْخَبْرُ فِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ بِالْكِلِيلِيَّةِ وَغَلَّ الشَّعِيرُ حَتَّى بَلَغَ
دِرْهَمَهَا وَبَلَغَ الْبَقِيمَاطُ الرَّطْلُ دِرْهَمَيْنِ . ثُمَّ أَقَامَ السُّلْطَانُ حَتَّى عَبَرَ
وَقْتُ الظَّهَرِ . وَرَكَبَ وَسَارَ إِلَى مَوْضِعِ يُسَيِّ الْمَلاَحةَ تَكُونُ مَنْزِلَ الْعَدُوِّ
إِذَا رَحَلَ مِنْ حَيْقَا . وَكَانَ قَدْ سَبَقَ لِيَتَفَقَّدَ الْمَكَانَ هَلْ يَصْلُحُ لِلِّمَاصَافِ
أَمْ لَا . وَيَتَفَقَّدَ أَرَاضِيَ قِيسَارِيَّةَ يَاسِرِهَا إِلَى الشَّعَرَاءِ . وَعَادَ إِلَى الْمَنْزِلِ
بَعْدَ دُخُولِ وَقْتِ الْعِشَاءِ الْآخِرِ . وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ التَّعبُ . وَسَأَلَهُ عَهْبَا
بَلَغَهُ مِنْ خَبَرِ الْعَدُوِّ فَقَالَ : وَصَلَ إِلَيْنَا مَنْ أَخْبَرَنَا أَنَّهُ مَا رَحَلَ مِنْ حَيْقَا
إِلَى عَصْرِ يَوْمِنَا هَذَا يَعْنِي ثَانِي شَعْبَانَ وَهَا نَحْنُ مُقِيمُونَ مِنْ قِبَوْنَ أَخْبَارَهُمْ

وَيُكُونُ الْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهَا . وَبَاتَ فِي تِلْكَ الْلَّيْلَةِ وَأَصْبَحَ مُقِيمًا يَتَلَّ أَزْلَزَةً
يَسْتَظِرُ الْعَدُوَّ وَنَادَى الْجَاهِلِينَ بِالْعَسْكَرِ لِلْعَرْضِ . فَرَكِبَ النَّاسُ عَلَى
تَرْتِيبِ الْمَصَافِ وَاهْبَتِهِ . وَلَمَّا عَلَى الْنَّهَارِ نَزَلَ السُّلْطَانُ فِي خَيْمَتِهِ وَأَخْدَى
نَصِيبًا مِنَ الرَّاحَةِ بَعْدَ الْغَدَاءِ وَمُثُولٌ جَمَاعَةً مِنَ الْأَمْرَاءِ إِلَى خِدْمَتِهِ
وَأَخْذَرَ أَيْمَنَهُ فِي مَا يَصْنَعُونَ . ثُمَّ صَلَّى الظَّهَرَ وَجَلَّ سَيِّدِ الْجَاهِيلِ
الْمُجْرُوحَةَ وَغَيْرِهِ إِلَى الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ مِنْ مِئَةِ دِينَارٍ إِلَى مِئَةِ وَخَمْسِينَ دِينَارًا
وَزَائِدًا وَنَاقِصًا . فَهَارَأَيْتُ أَفْسَحَ صَدْرًا مِنْهُ وَلَا أَبْسَطَ وَجْهًا فِي الْعَطَاءِ

فَأَتَقَقَ الرَّأْيُ عَلَى رَجِيلِ الشَّقْلِ فِي عَصْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى مِحْدَلِ يَافَا
الْمَتَّزِلُ الثَّالِثُ : وَأَقَامَ هُوَ حَرِيدَةً بِالْمَتَّزِلِ إِلَى الصَّبَاحِ رَابِعَ الشَّهْرِ .
وَرَكِبَ وَسَارَ فِي رَأْسِ النَّهَرِ الْجَاهِريِّ إِلَى قِيسَارِيَّةِ وَنَزَلَ هُنَاكَ . وَبَلَغَ
الْبَقْصَاطِ الْرَّطْلُ أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ . وَالشَّعِيرُ الْرَّبِيعُ يَرْهَمِينَ وَنُصْفِيَّ .
وَالْخَبْزُ لَمْ يُوجَدْ أَصْلًا . وَنَزَلَ فِي خَيْمَةِ وَأَكْلَ خُبْزًا وَصَلَّى الظَّهَرَ . وَرَكِبَ
إِلَى طَرِيقِ الْعَدُوِّ لِتَجْدِيدِ إِرْشَادِهِ فِي ضَرْبِ الْمَصَافِ . وَلَمْ يُعُدْ إِلَى أَنْ
دَخَلَ وَقْتُ الْعَصْرِ فَجَلَّسَ سَاعَةً وَأَخْدَى جُزُءًا مِنَ الرَّاحَةِ . ثُمَّ عَادَ وَرَكِبَ
وَأَمْرَ النَّاسَ بِالرَّجِيلِ وَرَحِي خَيْمَتِهِ وَرَحِي النَّاسُ خَيَامَهُمْ فِي أَوَاخِرِ الْنَّهَارِ
الْمَتَّزِلُ الرَّابِعُ : وَكَانَ الرَّجِيلُ إِلَى رَأْيِهِ مُتَّخِرَةً مِنْ تِلْكَ الرَّأْيِةِ . وَفِي
ذَلِكَ الْمَتَّزِلِ إِلَيْيَ بِاثْنَيْنِ مِنَ الْأَفْرَنجِ قَدْ نَخْطَفُمُ الْبَرْكَ . فَأَمَرَ بِضَرْبِ
رِقَابِهِمَا فَقُتِلَا . وَتَكَاثَرَ النَّاسُ عَلَيْهِمَا بِالسُّيُوفِ تَشَفِّيًّا . ثُمَّ بَاتَ هُنَاكَ وَأَصْبَحَ
مُقِيمًا بِالْمَتَّزِلَةِ لَا نَهَى لَمْ يَصْبِحَ عَنِ الْعَدُوِّ رَجِيلًا وَنَفَدَ إِلَى الشَّقْلِ حَتَّى يُوعَدَ إِلَيْهِ
فِي تِلْكَ الْلَّيْلَةِ مَا طَرَأَ عَلَى النَّاسِ مِنْ الْفِسْقِ فِي الْمَالِكِيَّةِ وَالْقَضْمِ . وَرَكِبَ

في وقت عادته إلى جهة العدو . وأشرف على فيساريه . وعاد إلى التقليل
قريب الظهر وقد وصل الخبر أن العدو لم يرحل بعد من الملاحة .
وأحضر عنده أشنان أيضاً قد أخذها من أطراف العدو وقتلها شر قتلة .
وكان في حلة الفسقة لما جرى على أسرى عكا . ثم أخذ جزءاً من الراحمة
وجلس بعد صلاة الظهر . وحضرت عنه وقد أحضر بين يديه من
العدو فارس مذكور هبته تخبر عن أنه متقدم فيهم . فأحضر ترجمان
وبحث عن أحوال القوم وسأل كيف يسوى الطعام عندكم فقال : أول
يوم رحلنا من عكا كان الإنسان يشع بستة فراتطيس فلم يزل
السرير يغلو حتى صار يشع بثانية فراتطيس . وسأل عن سبب
تأخرهم في المنازل فقال : لأن ظار وصول المراكب بالرجال والملينة .
فسأل عن القتلى والجرحى في يوم رحيلهم فقال : كثير . فسأل عن
الخيل التي هلكت في ذلك اليوم فقال : مقدار الأربع مائة فرس . فامر
يضرب عنقه . ونهى عن التمثال به . فسأل الترجان عهاماً قال السلطان
فأخبر بما قال . فتغير تغير أعظيمًا وقال : أنا أخلص لكم أسيراً من عكا .
فقال رحمه الله بل أميراً . فقال : لا أقدر على خلاص أمير . فشفع الطماع
فيه وحسن خلقته . فإذا ما رأيت أم كلثمة منه مع ترف في الأطراف
ورفاهية . فامر أن يترك لأن ويخرج أمن . فصادفه وعاتبه على ما بدأ
هضم من الغدر وقتل الأسرى . فاعترض يأنه قبيح وأنه لم يجر إلا برضى
الملك وحده . وركب السلطان بعد صلاة العصر على عادته . وبعد أن
نزل أمر يقتل الفارس المذكور . وأتي بهما بأثنين فامر يقتلها . وبات

في ذلك المتنزِلِ وَذِكْرُهُ فِي السُّخْرِيَّةِ أَنَّ الْعَدُوَّ قَدْ تَحَرَّكَ نَحْوَ قِيسَارِيَّةِ.
 وَقَارَبَ أَوْأَتْلَمُ الْبَلَدَ. فَرَأَى أَنَّ يَتَاهَرَ مِنْ طَرِيقِ الْعَدُوِّ مِنْزِلًا آخَرَ
 الْمَنْزِلُ الْخَامِسُ: فَرَحَلَ وَرَحَلَ النَّاسُ إِلَى قَرِيبِ التَّلِّ الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ
 فَنَزَلَ النَّاسُ وَضَرَبَتِ الْخِيَامُ. وَمَضَى هُوَ يَرْتَادُ الْأَرْاضِيَّ الْكَائِنَةَ فِي
 طَرِيقِ الْعَدُوِّ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا أَصْلَحُ الْمَصَافَ وَنَزَلَ قَرِيبَ الظَّهَرِ. وَاسْتَدَعَ
 أَخَاهُ الْمَلِكَ الْعَادِلَ. وَعَمَ الْدِينِ سُلَيْمَانَ. وَأَخَذَ رَأْيَهَا فِي مَا بَصَرَ.
 وَأَخَذَ جُزًّا مِنَ الرَّاحَةِ وَأَذْنَ الظَّهَرِ. فَصَلَّى وَرَكَبَ لِيُشَرِّفَ وَلِيُكَشِّفَ
 عَنِ الْعَدُوِّ وَيَتَسَمَّ أَخْبَارَهُ. وَقَاتَاهُ أَثْنَانِ مِنْ الْإِفْرَنجِ قَدْ نَهَا وَأَمْرَ بِقِتْلِهَا
 فَقِتْلَا. ثُمَّ أَتَيَ بِاثْنَيْنِ آخَرَيْنِ فَقِتْلَا أَيْضًا. وَجِيءَ أَوْاخِرَ النَّهَارِ بِاثْنَيْنِ
 فَقِتْلَا أَيْضًا. وَعَادَ مِنَ الرَّكُوبِ وَصَلَّى صَلَاةَ الْمَغْرِبِ. وَجَلَسَ عَلَى عَادِتِهِ
 فَاسْتَدَعَ أَخَاهُ وَصَرَفَ النَّاسَ. وَخَلَّا يَهُ إِلَى هَوَيِّ مِنَ اللَّيلِ. ثُمَّ بَاتَ
 وَأَصْبَحَ وَنَادَى الْمُجَاوِيشَ لِعَرْضِ الْمُحْلَفَةِ لَا غَيْرُهُ. وَرَكَبَ إِلَى جِهَةِ الْعَدُوِّ
 وَوَقَفَ عَلَى تُلُولِ مُشَرِّفَةِ عَلَى قِيسَارِيَّةِ. وَكَانَ الْعَدُوُّ قَدْ وَصَلَ إِلَيْهَا نَهَارَ
 الْجَمِيعَةِ سَادِسَ شَعْبَانَ. وَلَمْ يَزَلْ يَعْرُضُ هُنَاكَ إِلَى أَنْ عَلَا النَّهَارُ. ثُمَّ
 نَزَلَ وَأَكَلَ الطَّعَامَ. وَرَكَبَ إِلَى أَخِيهِ وَعَادَ بَعْدَ صَلَاةِ الظَّهَرِ. وَأَخَذَ
 جُزًّا مِنَ الرَّاحَةِ. وَأَتَيَ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ مِنَ الْإِفْرَنجِ وَأَمْرَأَةَ اِفْرَنجِيَّةَ يَسِّهِمُ
 أَسِيَّةَ. وَهِيَ بِنْتُ الْفَارِسِ الْمَذُكُورِ. وَمَعَهَا أَسِيَّةَ مُسْلِمَةَ قَدْ أَخْدَتْهَا.
 فَأَطْلَقَتِ الْمُسْلِمَةَ. وَرُفِعَ الْبَاقُونَ إِلَى الْزَرَدَخَانَةِ وَهُوَ لَاءُ أَتَيَ بِهِمْ مِنْ
 بَيْرُوتَ أَخِذُوا فِي مَرْكَبٍ مِنْ جُمِلَةِ عِنَّةِ كَثِيرٍ قُتِلُوا. كُلُّ ذَلِكَ فِي نَهَارِ
 الْسَّبْتِ سَابِعِ الشَّهْرِ. وَهُوَ فِي الْمَنْزِلَةِ يَتَضَرُّرُ حِيلَ الْعَدُوِّ. مُجْمِعًا عَلَى

إِفَائِهِ إِذَا رَحَلَ

الْمُنْزَلُ الْسَّادِسُ : وَلَمَّا كَانَ صَبِيَّةُ الْثَّامِنِ رَكِبَ السُّلْطَانُ عَلَى عَادِتِهِ
 ثُمَّ نَزَلَ . وَوَصَلَ مِنْ أَخِيهِ أَنَّ الْعُدُوَّ عَلَى حَرَكَةٍ . وَكَانَتِ الْأَطْلَابُ
 قَدْ بَاتَتْ حَوْلَ فِي سَارِيَةِ فِي مَوَاضِعِهَا . فَأَمَرَ بِمَدِيرِ الطَّعَامِ وَأَطْعَمَ النَّاسَ
 فَوَصَلَ ثَانٍ وَأَخْبَرَ : أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ سَارُوا . فَأَمَرَ بِالْكُوسِ فَدَقَّ وَرَكِبَ
 وَرَكِبَ النَّاسُ وَسَارَ وَسَرَتْ فِي خَدْمَتِهِ حَتَّى أَتَى عَسْكَرَ الْعُدُوِّ وَصَفَّ
 الْأَطْلَابَ حَوْلَهُ وَأَمْرَهُمْ يَقْتَلُهُمْ وَأَخْرَجَ أَنْجَالِهِشَ . فَكَانَ النُّشَابُ يَنْهَمُ
 كَالْمَطْرِ وَكَانَ عَسْكَرُ الْعُدُوِّ قَدْ وَثَبَ . فَكَانَتِ الرَّجَالَةُ حَوْلَهُ كَالْسُورِ
 وَعَلَيْهِمْ الْلَّبُودُ الْخَيْنَةُ وَالْزَّرَدِيَّاتُ الْسَّابِغَةُ الْحُكْمَةُ بِحِيثُ يَقُولُ فِي هُمِ النُّشَابُ
 وَلَا يَتَّخِرُونَ وَهُمْ يَرْمُونَ بِالْزَّرْنُوبِ كَيْجَرْ خَبِيلُ الْمُسْلِمِينَ وَخَيَالَهُمْ .
 وَلَقَدْ شَاهَدُوهُمْ وَيَغْرِزُ فِي ظَهِيرِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ الْوَاحِدُ وَالْعَشَرُ وَهُوَ
 يَسِيرُ عَلَى هِينَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْزِعَاجٍ . وَمِنْ قِسْمِهِ أَخْرُ مِنْ الرَّجَالَةِ مُسْتَرِيجٌ
 يَمْشُونَ عَلَى جَانِبِ الْبَحْرِ وَلَا فِتَالَ عَلَيْهِمْ . فَإِذَا تَعَبَ هُوَلَاءِ الْمُقَاتِلُونَ
 أَوْ أَنْتَهُمْ الْمُحْرَاجُ قَامَ مَقَامُهُمُ الْمُسْتَرِيجُ وَاسْتَرَاجَ الْقِسْمُ الْعَمَالُ . هَذَا
 وَالْخِيَالَةُ فِي وَسْطِهِمْ لَا يَخْرُجُونَ عَنِ الرَّجَالَةِ إِلَّا فِي وَقْتِ الْحَمْلَةِ لَا غَيْرُهُ .
 وَقَدِ انْقَسَمُوا أَيْضًا ثَلَاثَةَ أَقْسَامَ الْقِسْمِ الْأَوَّلُ الْمَلِكُ الْعَتِيقُ جُفْرَى
 وَجَاعَةُ الْسَّالِحَةِ مَعَهُ فِي الْمُقْدَمَةِ وَلَا نَكْدَارُ وَالْفَرَسِيسُ مَعَهُ فِي
 الْوَسْطِ وَلَا دُلُدُلُ إِلَيْسَتَ أَصْحَابُ طَبَرِيَّةٍ وَطَائِفَةٌ أُخْرَى فِي السَّافَةِ . وَفِي
 وَسْطِ الْقَوْمِ بُرجٌ عَلَى عَجَلَةٍ وَعَلَيْهِ كَالْمَنَارَةُ الْعَظِيمَةُ . هَذَا تَرْتِيبُ الْقَوْمِ
 عَلَى مَا شَاهَدُتُهُ . وَأَخْبَرَ مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ مِنَ الْأَسْرَى وَالْمُسْتَأْمِنِينَ .

وَسَارُوا عَلَى الْمِثَالِ وَسُوقُ الْحَرْبِ قَائِمَةً وَالْمُسْلِمُونَ يَرْمُونُهُم بِالنَّشَابِ
 مِنْ جَوَانِيهِمْ وَيُحِرِّكُونَ عَزَاءِهِمْ حَتَّى يَخْرُجُوا . وَهُمْ يَحْفَظُونَ نُفُوسَهُمْ
 حِفْظًا عَظِيمًا وَيَقْطَعُونَ الْطَّرِيقَ عَلَى هَذَا الْوَضْعِ وَيَسِيرُونَ سَيْرًا
 رَفِيقًا وَمَرَاكِيمُهُمْ تَسِيرُ فِي مُقَابِلَتِهِمْ فِي الْبَحْرِ إِلَى أَنْ آتَوْا الْمَنْزِلَ وَكَانَتْ
 مَنَازِلُهُمْ قَرِيبَةً لِأَجْلِ الرَّجَالَةِ . فَإِنَّ الْمُسْتَرِيحِينَ مِنْهُمْ كَانُوا يَحْمِلُونَ
 أَثْقَالَهُمْ وَخِبَرَهُمْ لِقَلَّةِ الظَّهَرِ عَلَيْهِمْ . فَانْظُرْ إِلَى صَبَرٍ هُوَ لَأَهْلِ الْقَوْمِ عَلَى
 الْأَعْمَالِ الشَّاقَةِ . وَكَانَ مَنْزِلُهُمْ قَاطِعَ نَهْرٍ فِي سَارِيَةِ
 الْمَنْزِلِ الْسَّابِعُ : وَلَمَّا كَانَتْ صَبِيَّةُ النَّاسِ وَصَلَّ مَنْ أَخْبَرَ أَنَّ الْعَدُوَّ
 قَدْ رَكِبَ سَائِراً فَرَكِبَ الْسُّلْطَانُ أَوْلَ الصُّبُّ وَ طَلَبَ الْأَطْلَابَ وَأَخْرَجَ
 مِنْ كُلِّ جَانِبِ جَالِيشَا . فَسَارَ يَطْلُبُ الْقَوْمَ وَ طَافَ أَجْنَاحِ الْجَالِيشُ حَوْلَهُ مِنْ
 كُلِّ جَانِبٍ وَنَزَوْهُمْ بِالنَّشَابِ . وَهُمْ سَائِرُونَ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ عَلَى الْمِثَالِ
 الَّذِي حَكِيتُهُ وَكُلُّمَا ضَعُفَ قِسْمٌ عَوَنَهُ الَّذِي يَلِيهِ . وَهُمْ يَحْفَظُونَ بَعْضَهُمْ
 بَعْضًا . وَالْمُسْلِمُونَ مُحَدِّقُونَ يَمِّنْ ثَلَاثَةَ جَوَانِبَ وَالْقِتَالُ عَلَيْهِمْ شَدِيدٌ
 وَالْسُّلْطَانُ يَقْرُبُ الْأَطْلَابَ . وَرَأَيْتُهُ هُوَ يَسِيرُ نَفْسَهُ بَيْنَ أَجْنَاحِ الْجَالِيشِينَ .
 وَنَشَابُ الْقَوْمِ يَحَاوِزُهُ وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا صَبِيَّانَ مُحَبِّينَ لَا غَيْرُ . وَهُوَ يَسِيرُ
 مِنْ طَلْبٍ إِلَى طَلْبٍ بِحِشْمٍ عَلَى التَّقْدِمِ وَيَأْمُرُهُمْ بِمُضَايَةِ الْقَوْمِ وَمُقَابِلَتِهِمْ
 وَالْكُوَسَاتُ تَخْفَقُ وَالْبُوقَاتُ تَنْعَرُ وَالصَّيَّاجُ بِالْتَّهْلِيلِ وَالْتَّكْبِيرِ يَرْتَفعُ . هَذَا
 وَالْقَوْمُ عَلَى أَتمِ ثَبَاتٍ عَلَى تَرْتِيمِهِمْ لَا يَتَغَيِّرُونَ وَلَا يَنْزَعُونَ . وَجَرَتْ
 حَالَاتٌ كَثِيرَةٌ وَرَجَأَ الْعَمَّ تَجْرِيَ الْمُسْلِمِينَ وَخَيْلُهُمْ بِالْزَّرْبُوكِ وَالنَّشَابِ .
 وَمَنْ نَزَلَ حَوَالَيْمَ نَفَّاتِهِمْ وَنَحْمِلُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ يَكْرُونَ بَيْنَ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ

ثم يعتذرون عليهم إلى أن أتوا نهرا يقال له نهر القصب نزلوا عليه.
 وقد قامت الظاهرية وضربوا خيامهم. وترافق الناس عنهم فانهم إذا
 كانوا نزلوا ليس الناس من أن يتم معهم ورجعوا عن فتاهم. وفي
 ذلك اليوم قُتل من فرسان الإسلام شجاع بن كعب إياز الطويل بعض
 ماليلك السلطان. وكان قد فتك بهم وقتل خلقا من خيالهم وشجاعتهم
 وكانت قد استفاضت شجاعته بين العسكريين بحيث أنه جرت له وقفات
 كثيرة وصادقت أخبار الأوثق. وصار بحيث إذا عرفه الأفرنج في
 موضع يحافونه وتفطر به فرسه واستشهد وحزن المسلمين عليه حزنا
 عظيماً ودفن على تل مشرف على البركة. وزُلَّ السلطان بالنقل على
 البركة وهي موضع يجتمع فيه مياه كثيرة وقام في ذلك المنزل إلى
 بعد صلاة العصر وأطعم الناس خبزاً واستراحوا ساعة. ثم رحل وأتى
 نهر القصب وزُلَّ عليه أيضاً فشرب منه قليلاً من أعلى والعدو يشرب
 من أسفله. ليس بيننا إلا مسافة يسيئه وبقي الشعير الأربع دراهم
 والخبز موجود كثير وسعون رطل ينصف درهم. وقام يتضرر حيل
 الأفرنج حتى يرحل في مقابلتهم. وباتوا تلك الليلة هناك وبينما أيضاً
 ذكر وقعة جرت

وذلك أن جماعة من العسكريين كانوا مشرفين على العدو
 فصادفوا جماعة منهم يتشورون أيضاً على العسكري الإسلامي فظفروا بهم
 وهموا عليهم وجرى بينهم قتال عظيم فقتل من العدو جماعة وأحسن
 يوم عسكر العدو. فثار عليهم منهم جماعة وأنزل الحرب وقتل أيضاً

مِنَ الْمُسْلِيْبِيْنَ نَفَرَانِ وَأَسِرَّ مِنَ الْعَدُوِّ ثَلَثَةً وَمَثُلُوا بِخَدْمَةِ الْسُّلْطَانِ
 فَسَأَلُمُ عَنِ الْأَهْوَالِ فَأَخْبَرُوا أَنَّ الْمَلِكَ أَنْكَنَارَ كَانَ فَدَ حَضَرَ عِنْدَ
 بَعْدَا شَنَانِ بَدَوِيَّا وَأَنَّهَا أَخْبَرَتِ الْهَبِيلَةَ الْعَسْكَرِ الْإِسْلَامِيِّ وَذَلِكَ الَّذِي
 أَطْبَعَهُ حَتَّى خَرَجَ وَأَنَّهُ لَهَا كَانَ يَا الْأَمْسِ يَعْنِي أَلِّا ثَنِينَ رَأَى مِنَ الْمُسْلِيْبِيْنَ
 فَتَالَا عَظِيْمًا وَاسْتَكْثَرُ الْأَطْلَابَ وَأَنَّهُ جُرَحَ زُهَاءَ الْفَرِيقِ وَقُتِلَ جَمَاعَةُ
 وَأَنَّ ذَلِكَ الَّذِي أَوْجَبَ إِقَامَتَهُ الْيَوْمَ حَتَّى يَسْتَرِيجَ عَسْكَرَهُ وَأَنَّهُ لَهَا رَأَى
 مَا أَصَابَهُ مِنَ الْقِتَالِ الْعَظِيمِ وَكُثْرَةِ الْمُسْلِيْبِيْنَ أَحْضَرَ الْبَدَوِيْبِينَ عِنْدَ
 وَأَوْقَفَهُمْ وَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمَا وَأَقْبَلَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي تِلْكَ الْمَزَرِلَةِ لِإِقَامَةِ
 الْعَدُوِّ وَهُوَ التَّلَثَةُ الْعَاشِرُ مِنْ شَعْبَانَ

الْمَتَرِلُ الثَّامِنُ: وَلَمَّا كَانَ ظَهِيرَتِ الْيَوْمِ الْمَذُوْكُرِ رَأَى الْسُّلْطَانُ عَلَى
 الْرِّحْيَلِ وَالْتَّقْدِمِ إِلَى قُدَامِ الْعَدُوِّ فَدَقَّ الْكُوسُ وَرَحَلَ النَّاسُ وَدَخَلَ
 فِي شَعْرَاءَ أَرْسُوفَ حَتَّى تَوَسَّطُهَا إِلَى تَلٍ عِنْدَ قَرْيَةٍ تُسَمَّى دَيْرُ الْرَّاهِبِ
 فَنَزَلَ هُنَاكَ وَدَهْمَ النَّاسَ الْلَّيْلَ وَهُمْ يَقْطَعُونَ فِي أَشْعَرَاءِ وَأَصْبَحَ مُفْيَمَا
 يَنْتَظِرُ بِقِيَةِ الْعَسَارِكِ إِلَى صَبَاحِ الْأَرْبَعَاءِ الْحَادِيَّ عَشَرَ . وَتَلَاحَقَتِ
 الْعَسَارِكُ وَرَكِبَ يَرْتَادُ مَوْضِعًا يَصْلُحُ لِلْقِتَالِ وَلِقَاءِ الْعَدُوِّ . وَأَقَامَ ذَلِكَ
 الْيَوْمَ أَجْمَعَ هُنَاكَ . وَمِنْ أَخْبَارِ الْعَدُوِّ فِي تِلْكَ الْمَزَرِلَةِ أَنَّهُ أَقَامَ عَلَى نَهْرِ
 الْقَصْبِ ذَلِكَ الْيَوْمِ أَيْضًا . وَأَنَّهُ لَحِقَهُ تَجْدَهُ مِنْ عَكَافِ ثَمَانِ بَطْسِ

كَبَارٍ وَبَزَكُ الْإِسْلَامِ حَوْلَهُ يُوَاصِلُونَ يَا الْأَخْبَارِ الْمُسْتَحْيَقِ يَوْمِ

ذِكْرُ مُرَاسَلَةِ جَرَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ

وَذَلِكَ أَنَّ الْعَدُوَ طَلَبَ مِنَ الْبَزَكِ مَنْ يَتَحَدَّثُ مَعَهُ . وَكَانَ مُقْدَمُ

الْيَزِكِ عَلَمَ الَّذِينَ سُلَيْمَانَ فَإِنَّهَا كَانَتْ نَوْبَتَهُ . فَلَمَّا مَضَى إِلَيْهِمْ مِنْ سَعَةٍ
كَلَامُهُ كَانَ كَلَامُهُ طَلَبَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ حَتَّى يَحَدُثُوا مَعَهُ . فَأَسْتَاذَنَ
وَمَضَى وَبَاتَ تِلْكَ الْلَّيْلَةَ فِي الْيَزِكِ وَيَتَحَدَّثُونَ مَعَهُ وَكَانَ حَاصِلٌ حَدِيثُمْ
أَنَّا قَدْ طَالَ بَيْنَنَا الْقِتَالُ وَأَنَّهُ قَدْ قُتِلَ مِنَ الْجَانِبَيْنِ الرِّجَالُ الْأَبْطَالُ
وَأَنَا نَحْنُ حِنَّا فِي نُصْرَةٍ افْرَجْ السَّاحِلِ . فَاصْطَلَحُوا أَنْتُمْ وَهُنَّ كُلُّ مِنَا يَرْجِعُ
إِلَى مَكَانِهِ . وَكَتَبَ السُّلْطَانُ إِلَى أَخِيهِ فِي صَيْحَةٍ يَوْمَ الْخَيْسِ الْثَانِي
وَالْعُشْرُ رُقْعَةً يَقُولُ لَهُ فِيهَا : إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُطَاوِلَ الْأَفْرَجَ فَلَعْلَمْ يَقِيمُونَ
الْيَوْمَ حَتَّى يَعْقِنَا الْزُّكَانُ فَإِنَّمُمْ قَدْ قَرُبُوا مِنَّا

ذِكْرُ أَجْنَابِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ وَالْأَنْكَتَارِ

وَلَمَّا عَرَفَ الْأَنْكَتَارُ وُصُولَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ إِلَى الْيَزِكِ طَلَبَ الْأَجْمَاعَ
يَهُ فَاجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ . فَاجْتَمَعَا بِنَحْوِهِ مِنْ أَصْحَاهِهَا وَكَانَ يُتَرْجِمُ يَمِّهَا أَبْنُ
الْهَنْفِريِّ وَهُوَ مِنْ افْرَجِ السَّاحِلِ مِنْ كِبَارِهِمْ وَرَأَيْتَهُ يَوْمَ الصُّلْحِ وَهُوَ
شَابٌ حَسَنٌ إِلَّا أَنَّهُ مَحْلُوقُ الْحَيَاةِ عَلَى مَا هُوَ شَعَارُهُمْ . وَكَانَ الْمُحْدِثُ
يَسِّهَا أَنَّ الْأَنْكَتَارَ شَرَعَ فِي ذِكْرِ الصُّلْحِ وَأَنَّ الْمَلِكَ الْعَادِلَ قَالَ لَهُ : أَنْتُمْ
تَطْلُبُونَ الصُّلْحَ وَلَا تَذَكُّرُونَ مَطْلُوبَكُمْ فِيهِ حَتَّى أَتَوْسَطَ أَنَا الْمَحَالَ مَعَ
الْسُّلْطَانِ . فَقَالَ الْأَنْكَتَارُ : الْقَاعِدَةُ أَنْ تَعُودَ إِلَيْلَادِكُمْ كُلُّهَا إِلَيْنَا وَتَنْصِرُونَا
إِلَى إِلَادِكُمْ فَاخْشَنَ لَهُ الْمُجَوَّبَ وَجَرَتْ مُنَاقَةٌ أَفْتَضَتْ أَنْهُمْ رَحَلُوا بَعْدَ
أَنْفِصَاهِهِمْ . وَلَمَّا أَحْسَسَ السُّلْطَانَ بِرِحْلِهِمْ أَمْرَ الشَّقْلَ بِالرَّجْيلِ وَوَقَفَ هُوَ
وَعَبِي النَّاسَ تَعِيَّةَ الْقِتَالِ . وَسَارَ الشَّقْلُ الصَّغِيرُ أَيْضًا حَتَّى قَارَبَ الشَّقْلَ
الْكَبِيرَ . ثُمَّ وَدَدَ أَمْرَاءَ السُّلْطَانِ بِعَوْدِهِمْ إِلَيْهِ . فَعَادُوا وَوَصَلُوا وَقَدْ دَخَلَ

الليل وتحبّط أنسُ تلك الليلة تحبّطاً عظيماً واستدعي أخاه ليعرّفه ما
جرّئ عليه وبين الملك . وخلاله لذلك وذلك في ليلة الجمعة ثالث
عشر . وأمام العدو فانه سار ونزل على موضع يسمى البركة أيضاً يُشير
على البحر وأصبح السلطان في يوم الجمعة متطلعاً إلى أخبار العدو .
فاحضر عنده أثناين من الأفرنج قد تخطفهما اليزك . فأمر بضرب عنقها
ووصل من أخبار أنَّ العدو لم يرحل اليوم من منزلته تلك . فنزل
السلطان وأجمع ياخيه يخدنان بهذا الأمر وما يصنع مع العدو . وبات
تلك الليلة في تلك المنزلة

ذكر وقعة أرسوف وهي أنكَت في قلوب المسلمين

ولمَا كان يوم السبت رابع عشر بلغ السلطان أنَّ العدو حرك الرجال
نحو أرسوف . فركب ورتب الأطلاب للقتال وعزم على مضايقهم في
ذلك اليوم ومصادمتهم . فخرج الجialis من كل طلب . وسار العدو
حتى قارب شرارة أرسوف وبساطتها وأطلق عليهم الجialis النشاب
ولزبهم الأطلاب من كل جانب والسلطان يقرب بعضها ويوقف
بعضها وبصاريق العدو مضايقاً عظيمة وأطعم القتال وأضطرمت ناره
من الجialis وقتل منهم وجراح . فاشتدوا في السير عساهم يبلغون
المنزلة فينزلون واستددموا من الأمر وضاق بهم الخناق والسلطان يطوف
من الميمنة إلى الميسرة بحث الناس على أنجها ولقيته مراراً ليس معه إلا
صبيان يحبسون لا غير وليقيت أخاه وهو على مثل المحاج والنشاب يجهازها
وأم بزل الأمر يشتدى بالطبع للعدو وطمع المسلمين فيهم طمعاً عظيماً

حَتَّى وَصَلَ أَوَّلُ رَاحِلَهُمْ إِلَى بَسَاتِينِ أَرْسُوفَ . ثُمَّ أَجْمَعَتِ الْجَيَالَةُ
 وَتَوَاصَوْا عَلَى الْجَمِيلَةِ خَشِيَّةً عَلَى الْقَوْمِ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ لَا يُبَغِّبُونَ إِلَّا الْجَمِيلَةَ .
 وَلَفَدَرَ أَيْتَمْ وَقَدِ اجْتَمَعُوا فِي وَسْطِ الرَّجَالَةِ وَأَخْذُوا رِمَاحَمْ وَصَاحُوا صَبْحَةَ
 الرَّجُلِ الْوَاحِدِ وَفَرَّجَ لَمْ رَجَالَهُمْ وَحَمَلُوا حَمْلَةَ وَاحِدَةَ مِنَ الْجَوَانِبِ كُلُّهَا
 فَحَمَلَتْ طَائِفَةٌ عَلَى الْمَيْسِنَةِ وَطَائِفَةٌ عَلَى الْمَيْسِرَةِ وَطَائِفَةٌ عَلَى الْقَلْبِ . فَانْدَعَ
 النَّاسُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ . وَاتَّفَقَ أَنِّي كُنْتُ فِي الْقَلْبِ فَرَرَ الْقَلْبُ فِرَارًا عَظِيمًا
 فَنَوَيْتُ الْتَّحِيزَ إِلَى الْمَيْسِرَةِ وَكَانَتْ أَقْرَبَ إِلَيَّ وَوَصَلْتُهَا وَقَدِ انْكَسَرَتْ
 كَسْرَةَ عَظِيمَةَ وَفَرَّتْ أَشَدَّ فِرَارًا مِنَ الْكُلِّ . فَنَوَيْتُ الْتَّحِيزَ إِلَى طَلْبِ
 السُّلْطَانِ وَكَانَ رِدَّ الْأَطْلَابِ كُلُّهَا كَمَا جَرَتِ الْعَادَةُ وَلَمْ يَبْقَ لِلْسُّلْطَانِ
 فِيهِ إِلَّا سَبْعَةَ عَشَرَ مَقَاتِلًا لَا غَيْرُ وَأَخَذَ الْبَاقِينَ إِلَى الْفِتَالِ . لِكُنَّ الْأَعْلَامَ
 كُلُّهَا بَاقِيَةً ثَابِتَةً وَالْكُوسُ يَدْعُ لَا يَفْتَرُ . وَأَمَّا السُّلْطَانُ فَإِنَّهُ لَمَّا رَأَى مَا
 نَزَلَ بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ هُنْهُنَّ الْتَّازِلَةِ . سَارَ حَتَّى أَتَى طِلْبَةَ فَوَجَدَ فِيهِ هَذَا الْفَرَرَ
 الْقَلِيلَ . فَوَقَفَ فِيهِ وَالنَّاسُ يَفْرُونَ مِنَ الْجَوَانِبِ وَهُوَ يَأْمُرُ أَصْحَابَ
 الْكُوسِ بِالْدَقَّ بِحِبْطٍ لَا يَفْتَرُونَ وَكُلُّهَا رَأَى فَارًا يَأْمُرُ مِنْ يُخْضِنُ عِنْهُ
 وَفِي الْجَمِيلَةِ مَا أَفْصَرَ النَّاسُ فِي فِرَارِهِمْ . فَإِنَّ الْعَدُوَ حَمَلَ حَمْلَةَ فَرَرُوا . ثُمَّ
 وَقَفَ حَوْفًا مِنَ الْكَمِينِ فَوَقَفُوا وَقَاتُوا . ثُمَّ حَمَلَ حَمْلَةَ ثَانِيَةً . فَرَرُوا وَهُمْ
 يَقْاتِلُونَ فِي فِرَارِهِمْ وَقَفَ فَوَقَفُوا . ثُمَّ حَمَلَ حَمْلَةَ ثَالِثَةَ حَتَّى يَلْعَبَ إِلَى رَوْسِ
 رَوَابِي هُنَاكَ وَأَعْلَى تُلُولِ . فَفَرَرُوا إِلَى أَنْ وَقَتَ الْعَدُوُ وَوَقَفُوا . وَكَانَ
 كُلُّ مَنْ رَأَى طِلْبَ السُّلْطَانِ وَأَفْقَاهَا وَالْكُوسُ يَدْعُ يَسْتَحِي أَنْ بُجَاؤَزَهُ
 وَيَخَافُ غَائِلَةَ ذِلِّكَ فَيَعُودُ إِلَى الْطِلْبِ . فَاجْمَعَ فِي الْقَلْبِ خَلْقُ عَظِيمٍ

وَوَقَفَ الْعَدُوُّ قِبَالَهُمْ عَلَى رُؤُسِ النُّلُولِ وَأَرْوَابِيِّ وَالْسُّلْطَانِ وَاقِفٌ فِي
 طَلِيهِ وَالنَّاسُ يَتَنَاهُونَ عَلَيْهِ حَتَّى أَتَتِ الْعَسَاكِرُ بِإِسْرِهَا وَخَافَ الْعَدُوُّ أَنْ
 يَكُونَ فِي الشَّرَّاءِ الْكَمِينُ. فَتَرَاجَعُوا بَطْلُوبُنَ الْمَنْزِلَةِ وَعَادَ السُّلْطَانُ إِلَى
 تَلٍ فِي أَوَّلِ الشَّرَّاءِ وَنَزَّلَ عَلَيْهِ فِي خِيمَتِهِ. وَلَقَدْ كُنْتُ فِي خِذْمَتِهِ أَسْلِيَّ
 وَهُوَ لَا يَقْبِلُ الْسُّلُورَ وَظَلَلَ عَلَيْهِ يَنْدِبِلٌ وَسَالَنَاهُ أَنْ يَطْعَمَ شَيْئًا فَلَاحَضَ
 لَهُ شَيْءٌ لَطِيفٌ فَتَنَاهَلَ مِنْهُ شَيْئًا بَسِيرًا وَبَعْثَ النَّاسُ خَلِيلُمْ لِلسَّقِيِّ فَإِنْ
 الْمَكَانُ كَانَ بَعِيدًا وَجَسَسَ يَتَنَاهُونَ مِنَ الْعَوْدِ مِنَ السَّقِيِّ وَأَنْجَرَحَ
 بِخَضْرُونَ بَيْنَ يَدِيهِ وَهُوَ يَتَقدَّمُ بِمُدَائِلِهِ وَحَمِيلِهِ وَقُتِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ
 رَجَالَهُ كَثِيرٌ وَجُرَاحٌ مِنَ الْطَّائِفَتَيْنِ. وَكَانَ مِنْ شَبَّتِ الْمَلِكُ الْعَادِلُ
 وَالظُّواشِيُّ قَابِيَّاً لِلْجَيْشِ وَالْمَلِكُ الْأَفْضَلُ وَلَكُ وَصُدِّمَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ
 وَأَنْفَقَ دُمَّلٌ كَانَ فِي وَجْهِهِ وَسَالَ مِنْهُ دَمٌ كَثِيرٌ عَلَى وَجْهِهِ وَهُوَ صَابِرٌ
 مُحْسِبٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ. وَثَبَتَ أَيْضًا طَلْبُ الْمَوْصِلِيِّ وَمَقْدَمُهُ عَلَاءُ الدِّينِ
 وَشَكِرُهُ السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ وَتَفَقَّدَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بُعْضًا فَوَجَدُوا قَدِ
 أَسْتَشْهَدَ جَمَاعَةً مِنَ الْعَسَكِرِ عُرْفَ مِنْهُمْ أَمِيرٌ كَيْرُ مُوسِكُ. وَكَانَ شَجَاعًا
 مَعْرُوفًا وَقَابِيَّاً لِلْعَادِلِيِّ وَكَانَ مَذْكُورًا وَلَيْغُوشُ وَكَانَ شَجَاعًا. وَجُرَاحٌ
 خَلْقٌ كَثِيرٌ وَخَيْولٌ كَثِيرٌ. وَقُتِلَ مِنَ الْعَدُوِّ جَمَاعَةً وَأَسْرَ وَاحِدٌ فَلَاحَضَ
 فَأَمَرَ بِضَربِ عُنْقِهِ وَأَخِذَتْ مِنْهُمْ خَيْولٌ أَرْبَعَةٌ. وَكَانَ قَدْ نَقَدَمَ رَحْمَهُ
 اللَّهُ إِلَى التَّقْلِيَّ أَنْ يَسِيرَ إِلَى الْعَوْجَاءِ فَأَسْتَادَتْهُ وَنَقَدَمَهُ إِلَى الْمَنْزِلِ وَجَسَسَ
 هُوَ يَتَنَاهُونَ أَجْمَاعَ الْعَسَاكِرِ وَمَا يَرِدُ مِنْ أَخْبَارِ الْعَدُوِّ. وَكَانَ الْعَدُوُّ قَدْ
 نَزَّلَ عَلَى أَرْسُوفَ

الْمَتْرِلُ التَّاسِعُ : وَسَرَتْ بَعْدَ صَلَاةَ الظَّهِيرَ حَتَّى أَتَتْ الشَّفَلَ وَقَدْ نَزَلَ
 قَاطِعَ النَّهَرِ الْمَعْرُوفِ بِالْعَوْجَاءِ فِي مَنْزِلَةِ خَضْرَاءَ طَبِيعَةٍ عَلَى جَانِبِ النَّهَرِ
 وَوَصَلَ السُّلْطَانُ إِلَى الْمَتْرِلَةِ أَوَاخِرَ النَّهَارِ . وَأَزْدَمَ النَّاسُ عَلَى الْقَنْطَرَةِ .
 فَنَزَلَ عَلَى تَلٌ مُشْرِفٌ عَلَى النَّهَرِ وَمَمْ بَعْدُ إِلَى الْحَمِيمَةِ وَأَمْرَ الْجَاهِيلِيَّةِ أَنَّ
 يُنَادِيَ فِي الْعَسْكَرِ بِالْعُبُورِ إِلَيْهِ . وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْوَقْعَةِ أَمْرٌ لَا يَعْلَمُهُ
 إِلَّا اللَّهُ وَالنَّاسُ بَيْنَ جَرِيجِ الْجَسَدِ وَجَرِيجِ الْقَلْبِ . وَأَقَامَ السُّلْطَانُ إِلَى
 سُرْكَةِ الْخَامِسِ عَشَرَ وَدَقَّ الْكُوسُ وَرَكِبَ النَّاسُ وَسَارَ رَاجِعًا إِلَى جِهَةِ
 الْعَدُوِّ حَتَّى وَصَلَ إِلَى قَرِيبِ أَرْسُوفَ وَصَفَّ الْأَطْلَابَ لِلْقِتَالِ رَجَاءً
 بِخُروجِ الْعَدُوِّ وَمَسِينِهِ حَتَّى يُصَادِفَهُ . فَلَمْ يَرْحَلِ الْعَدُوُّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ
 لِمَا نَاهَمُ مِنَ الْتَّعْبِ وَأَقَامَ فِي الْتَّمْ . إِلَى آخِرِ النَّهَارِ وَعَادَ إِلَى مَنْزِلَتِهِ أَتَيَ بَاتَ
 بِهَا . وَلَمَّا كَانَ صَبِيَّةُ السَّادِسِ عَشَرَ دَقَّ الْكُوسُ وَرَكِبَ وَرَكِبَ النَّاسُ
 وَسَارَ نَحْوَهُمْ وَوَصَلَ خَبْرُ الْعَدُوِّ أَنَّهُ قَدْ رَحَلَ طَالِبًا جِهَةَ يَافَا فَقَارَبُوهُمْ
 مُقَارَبَةً عَظِيمَةً وَرَتَبَ الْأَطْلَابَ تَرْتِيبَ الْقِتَالِ وَأَخْرَجَ الْجَاهِيلِيَّةَ وَأَحْدَقَ
 الْعَسْكَرَ الْإِسْلَامِيَّ بِالْقَوْمِ وَالْقَوْلَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّشَابِ مَا كَادَ يَسُدُّ الْأُفُقَ
 وَفَاتَهُمْ قُلُوبُهُمْ قِتَالِ الْحَنْقَ وَقَصَدَ رَحْمَهُ اللَّهُ تَحْرِيكَ عَزَائِمِهِمْ عَلَى الْحَمْلَةِ
 حَتَّى إِذَا حَمَلُوا الْقِيَ النَّاسَ عَلَيْهِمْ وَيُعْطِي اللَّهُ النَّصْرَ لِمَنْ يَشَاءُ . فَلَمْ يَجْعَلُوا
 وَحْفِظُوا نُفُوسَهُمْ وَسَارُوا مُصْطَفِينَ عَلَى عَادَتِهِمْ حَتَّى أَتَوْا نَهَرَ الْعَوْجَاءِ وَهُوَ
 النَّهَرُ الَّذِي مَنْزَلْتُنَا أَعْلَاهُ . فَنَزَلَ فِي أَسْفَلِهِ وَعَبَرَ بَعْضَهُمْ إِلَى غَربِيِّ النَّهَرِ
 وَأَقَامَ الْبَاقُونَ مِنَ الْجَانِبِ الْشَّرْقِيِّ . فَلَمَّا عَلِمَ النَّاسُ بِتُرُورِهِمْ تَرَاجَعَ النَّاسُ
 عَنْهُمْ وَعَادَ السُّلْطَانُ إِلَى الشَّفَلِ وَنَزَلَ فِي خَيْمَتِهِ وَأَطْعَمَ الْطَّعَامَ وَأَتَيَ

يَارَبَّعَةِ مِنَ الْأَفْرَنجِ قَدْ أَخَذُوهُمُ الْعَرَبُ وَمَعْمُ اُمَّهُو فَرَفَعُوا إِلَيَّ
 الْزَّرَدَ خَانَةَ وَأَقَامَ بِقِيَةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ يَكْتُبُ الْكِتَابَ إِلَى الْأَطْرَافِ يَاسْتَحْضَارِ
 بِقِيَةَ الْعَسَاكِرِ وَحَضَرَ مِنْ أَخْبَرِهِ أَنَّهُ قُتِلَ مِنْ الْعُدُوِّ يَوْمَ أَرْسُوفَ خَيْلٌ
 كَثِيرٌ وَأَنَّهُ نَسْبَمَا الْعَرَبُ وَعَدُوهَا وَزَادَتْ عَلَى مِئَةٍ وَأَمَّرَ السُّلْطَانُ أَنْ
 تَرْحَلَ الْجِنَاحَ الْأَنْجَالِ وَتَنْقَدَمَ إِلَى الرَّمْلَةِ وَبَاتَ هُوَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ
 الْمَنْزِلِ الْعَاشِرِ : وَلَمَّا كَانَ سَاعَ عَشَرَ صَلَى الصَّبِيجَ وَرَحَلَ وَرَحَلَ مَعَهُ
 الْشَّقْلُ الْصَّغِيرُ وَسَارَ بِرِيدِ الرَّمْلَةِ وَأَتَى يَاثِينِ مِنَ الْأَفْرَنجِ فَأَمَرَ بِضَرْبِ
 أَعْنَاقِهِمَا . وَوَصَلَ مِنَ الْيَزِكَ مَنْ أَخْبَرَ أَنَّ الْعُدُوَّ رَحَلَ مِنْ يَافَا . وَسَارَ
 السُّلْطَانُ إِلَى أَنَّ أَتَى الرَّمْلَةَ وَأَتَى يَاثِينِ مِنَ الْأَفْرَنجِ أَيْضًا . فَسَاهُمَا عَنْ
 أَحْوَالِهِمْ . فَذَكَرَا أَنَّهُمْ رَبِّهَا أَقَامُوا يَافَا أَيَّامًا وَفِي أَنْفُسِهِمْ عِمَارَهُمَا وَإِشَانَهُمَا
 بِالرِّجَالِ وَالْعَدَدِ . وَأَحْضَرَ السُّلْطَانُ أَرْبَابَ مَشْوُرَتِهِ وَشَاؤِرَهُمْ فِي أَمْرِ
 عَسْقَلَانَ وَهَلَ إِنَّهَا تَخْرُبُ أَوْ تَبْقَى . وَأَتَقَنَ الرَّأْيُ عَلَى أَنْ يَخْلُفَ الْمَلِكُ
 الْعَادِلُ وَمَعَهُ طَائِفَةً مِنَ الْعُسْكَرِ مُقَارِبَ الْعُدُوِّ لِيَعْرِفَ أَحْوَالَهُمْ وَأَتَصَالُهُمَا
 فَإِنْ يَسِيرُهُو وَيُخْرِبَ عَسْقَلَانَ خَشِيَّةً أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَيْهَا الْأَفْرَنجُ وَهِيَ
 عَامَةٌ فَيُقْتَلُوَا مَنْ يَهَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَيَأْخُذُوَا بِهَا الْقَدْسَ الشَّرِيفَ
 وَيَقْطَعُونَ بِهَا طَرِيقَ مِصْرَ وَخَسِيَ السُّلْطَانُ مِنْ ذَلِكَ وَعَلِمَ بِعِزِّ الْمُسْلِمِينَ
 عَنْ حِفْظِهِ لِقُرْبِ عَهْدِهِمْ مِنْ عَكَّا وَمَا جَرَى عَلَى مَنْ كَانَ مُقْبِلًا بِهَا . فَتَعَيَّنَ
 لِذَلِكَ خَرَابُ عَسْقَلَانَ . فَسَارَ النَّقْلُ مِنْ أَوَّلِ الْلَّيْلِ . وَنَقَدَمَ إِلَى وَلِيِّ
 الْمَلِكِ الْأَفْضَلِ أَنْ سَارَ عَقِيبَ الْشَّقْلِ نِصْفَ الْلَّيْلِ وَسَارَ هُوَ وَأَنَا فِي
 خِدْمَتِهِ سُخْنَةَ الْأَرْبَعَاءَ

الْمَزِيلُ الْخَادِي عَشَرَ وَهُوَ عَلَى عَسْفَلَانَ: وَلَهَا كَانَ يَوْمُ الْأَرْبَعَاءُ ثَالِثُ
 عَشَرَ الشَّهْرِ وَصَلَ السُّلْطَانُ إِلَى يَسْنَا فَنَزَلَ بِهَا وَضَحَى وَأَخْذَ النَّاسُ رَاحَةً.
 ثُمَّ رَحَلَ وَسَارَ حَتَّى أَتَى أَرْضَ عَسْفَلَانَ وَقَدْ ضُرِبَتْ خِيمَتُهُ بَعِيدًا مِنْهَا.
 فَبَاتَ هُنَاكَ مَهْمُومًا بِسَبِّ الْخَرَابِ وَمَا نَامَ إِلَّا قَلِيلًا. وَلَقَدْ دَعَانِي فِي
 خِدْمَتِهِ سَحْرًا وَكُنْتُ فَارِقُتُ خِدْمَتَهُ بَعْدَ مُضِيِّ نِصْفِ الْلَّيْلِ. فَخَضَرْتُ
 وَبَدَأْتُ بِالْحَدِيثِ فِي مَعْنَى خَرَابِهَا وَأَحْضَرَ لَهُ الْمَلِكُ الْأَفْضَلَ وَشَارِرَهُ فِي
 ذَلِكَ وَطَالَ الْحَدِيثُ فِي الْمَعْنَى وَلَقَدْ قَالَ لِي: وَاللَّهِ لَكَ أَنْ أَفِقَدَ أَوْلَادِي
 بِإِسْرِيرِهِمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَهْدِمَ مِنْهَا حَجَرًا وَاحِدًا وَلَكِنْ إِذَا قَضَى اللَّهُ ذَلِكَ
 وَفِيهِ دَعْوَتُهُ لِحَفْظِ مَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ. ثُمَّ أَسْتَخَارَ اللَّهُ تَعَالَى فَأَوْلَاقَ اللَّهِ فِي
 نَفْسِهِ أَنَّ الْمَصْلَحَةَ فِي خَرَابِهَا لِعَزِيزِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ حِفْظِهَا. فَأَسْتَخَرَ الْوَالِيَ
 قِبَرَهَا وَهُوَ مِنْ كِبَارِ مَالِكِهِ وَذَوِي الْأَرْأَءِ مِنْهُمْ فَأَمَّنْتُهُمْ بِجَمِيعِ الْفَعْلَةِ
 فِيهَا. وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَقَدْ أَجْتَازَ بِالسُّوقِ وَالْوِطَافِ بِنَفْسِهِ مُسْتَفِرًا عَنِ النَّاسِ
 لِلْخَرَابِ. وَقَسَمَ السُّورَ عَلَى النَّاسِ وَجَعَلَ لِكُلِّ أَمِيرٍ وَطَائِفَةً مِنَ الْعَسْكَرِ
 بُرْجًا مَعْلُومًا يُخْبِرُ بُونَهُ. وَدَخَلَ النَّاسُ الْبَلَدَ وَوَقَعَ فِيهِ الْضَّجُعُ وَالْبَكَاءُ
 وَكَانَ بَلَدًا أَخْفِيفًا عَلَى الْقَلْبِ مُحْكَمًا الْأَسْوَارِ عَظِيمًا الْبَيْنَاءِ مَرْعُوبًا فِي سَكْتَتِهِ
 فَلَيَقِنَ النَّاسُ عَلَيْهِ حُزْنٌ عَظِيمٌ وَعَظَمٌ عَوِيلٌ أَهْلِهِ عَلَى مُفَارَقَةِ أَوْطَانِهِمْ
 وَشَرَعُوا فِي يَعْ مَا لَا يُمْكِنُ حَمْلَهُ وَيَعْ مَا يَسُوَّ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ بِدِرَاهِمٍ
 وَاحِدٍ وَخَبَطَ الْبَلَدُ وَخَرَجَ أَهْلُهُ إِلَى الْعَسْكَرِ بِدِرَاهِمٍ وَنِسَاءُهُمْ خَشِيَّةٌ
 أَنْ يَهْجُمَ الْأَفْرَجُ وَبَدَلُوا فِي الْكِرَاءِ أَضْعَافَ مَا يَسُوَّهُ قَوْمٌ إِلَى مِصْرَ
 وَقَوْمٌ إِلَى الشَّامِ وَقَوْمٌ يَهْشُونَ. وَجَرَتْ أُمُورٌ عَظِيمَةٌ وَفِتْنَةٌ هَائِلَةٌ

لَعْلَهَا لَمْ تَخْتَصْ بِالَّذِينَ ظَلَمُوا. وَكَانَ هُوَ بِنَفْسِهِ وَلَكُنَ الْمَلِكُ أَلْأَفْضَلُ
 يَسْتَعِمُ لَأَنَّ النَّاسَ فِي الْخَرَابِ وَالْحَثَّ عَلَيْهِ خَشْيَةً أَنْ يَسْمَعَ الْعُدُوُّ فَيَخْضُرَ
 وَلَا يُمْكِنُ مِنْ حَرَابِهَا. وَبَاتَ النَّاسُ فِي الْخَيْمَ عَلَى أَقْمَ حَالٍ مِنَ التَّعَبِ
 وَالنَّصَبِ. وَفِي تِلْكَ الْلَّيْلَةِ وَصَلَ مِنْ جَانِبِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ مَنْ أَخْبَرَ أَنَّ
 الْأَفْرَنجَ تَحَدَّثُوا مَعَهُ فِي الْصَّلْ وَأَنَّهُ خَرَجَ إِلَيْهِ أَبْنُ الْمُهْنَفَرِي وَتَحَدَّثَ
 مَعَهُ فَأَنَّهُ طَلَبَ جَمِيعَ الْبَلَادِ السَّاحِلِيَّةِ. فَرَأَى الْسُّلْطَانُ أَنَّ ذَلِكَ مَصْلَحةً
 لِمَا رَأَى فِي أَنْفُسِ النَّاسِ مِنَ الْضَّرِّ وَالسَّامَةِ مِنَ الْقِتَالِ وَالْمُصَابَّةِ وَكُثْرَةِ
 مَا عَلَاهُمْ مِنَ الْدُّنْيَوْنِ. وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَسْمَعُ فِي الْحَدِيثِ فِي ذَلِكَ. وَفُوْضَ
 أَمْرُ ذَلِكَ إِلَى رَأْيِهِ وَاصْبَحَ الْعِشْرِينَ عَلَى الْإِصْرَارِ عَلَى الْخَرَابِ وَاسْتِعْمَالِ
 النَّاسِ فِيهِ وَحَثِّمَ عَلَيْهِ وَبِاَحْمَمَ الْهُرَيِّ الَّذِي كَانَ دَخِينَ فِي الْبَلَدِ لِلْعَزِيزِ
 عَنْ نَقْلِهِ وَضَعْفِ الْوَقْتِ وَالْحُوْفِ مِنْ هُجُومِ الْأَفْرَنجِ. وَأَمْرَ بِحَرْيقِ الْبَلَدِ
 فَاضْرِمَتِ النَّارُ فِي يُوْتَهِ وَادُورِهِ وَرَفَضَ أَهْلُهُ بُوَاقيًّا أَقْسَمَتِهِ لِلْعَزِيزِ عَنْ
 نَقْلِهَا وَالْأَخْبَارِ تَتَوَاتِرُ مِنْ جَانِبِ الْعُدُوِّ بِعِمارَةِ يَاْفَا. وَكَتَبَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ
 يُخْبِرُ أَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَعْلَمُوا بِخَرَابِ الْبَلَدِ فَاجَبَهُ أَنْ سَوِّفِ الْقَوْمَ وَطَوَّلِ
 الْحَدِيثَ لَعَلَنَا نَتَمَكَّنُ مِنَ الْخَرَابِ وَأَرْجِعُوهُ أَبْرَاجَ الْبَلَدِ بِالْأَحْطَابِ
 فَأَنْ سَحَرَ وَاصْبَحَ الْحَادِيَ وَالْعِشْرِينَ رَكِبَ يَحْثُ النَّاسَ. وَدَامَ يَسْتَعِمُهُمْ عَلَى
 الْتَّخْرِيبِ وَبَطْوُفُ عَلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ حَتَّى أَنْتَاثَ مِزَاجُهُ الْتِيَا ثَا قَرِيبًا أَمْتَنَعَ بِسَبِيلِهِ
 مِنَ الرَّشْكُوبِ وَالْغَذَاعِيَوْمِينِ. وَأَخْبَارُ الْعُدُوِّ تَوَاصَلُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ
 وَيَحْرِي بِنَهْمٍ وَبَيْنَ الْيَزَكِ وَالْعَسْكَرِ وَقَعَاتٍ وَقَلَبَاتٍ وَهُوَ يُواظِبُ عَلَى
 الْحَثَّ عَلَى الْخَرَابِ وَنَقْلِ الْشَّلَقَ إِلَى قَرِيبِ الْبَلَدِ لِيُعَاوِنَ الْغُلَمَانَ وَالْجَمَالَوْنَ

وَغَيْرُهُمْ فِي ذَلِكَ . فَخَرَبَ مِنَ السُّورِ مُعْظَمُهُ وَكَانَ عَظِيمَ الْبَنَاءِ بِحَيْثُ
 أَنَّهُ كَانَ عَرْضُهُ فِي مَوَاضِعِ تِسْعَةَ أَذْرُعٍ وَفِي مَوَاضِعِ عَشَرَةَ أَذْرُعٍ . ذَكَرَ
 بَعْضُ الْجَهَارِينَ لِلْسُلْطَانِ وَأَنَا حَاضِرٌ أَنَّ عَرْضَ السُّورِ الَّذِي يَنْقُبُونَهُ
 فِيهِ مِقْدَارُ رُمْحٍ . وَلَمْ يَزَلِ الْخَرَابُ وَالْحَرِيقُ يَعْمَلُ فِي الْبَلَدِ وَأَسْوَارِهِ إِلَى
 سَنْحَ شَعْبَانَ . وَعِنْدَ ذَلِكَ وَصَلَ مِنْ جَرْدِيَكَ كِتَابٌ يَذَكُرُ فِيهِ أَنَّ الْقَوْمَ
 يَنْقُسُخُونَ وَصَارُوا يَخْرُجُونَ مِنْ يَافَا بَغَارُوتَ عَلَى الْبِلَادِ الْقَرِيبَةِ مِنْهَا .
 وَتَحْرِكُ الْسُلْطَانُ لَعْلَةً يَلْعُغُ مِنْهُمْ غَرَضًا فِي غَرَّ تِرمِمْ . فَعَزَمَ عَلَى الرَّجِيلِ
 وَعَلَى أَنْ يُخْلِفَ فِي عَسْقَلَانَ جَهَارِينَ وَمَعْمَمَ خَيْلَ يَحِيمِمَ وَيَسْتَضْوِنُهُمْ فِي
 الْخَرَابِ . فَرَأَى أَنْ يَتَأْخِرَ بِحَيْثُ أَنْ يُحْرِقَ الْبُرْجُ الْمَعْرُوفُ بِالْأَسْبَاتِارِ .
 وَكَانَ بُرْجًا عَظِيمًا مُشَرِّفًا عَلَى الْبَحْرِ كَالْقَلْعَةِ الْمُنْسَعِةِ . وَلَقَدْ دَخَلَتْهُ وَعَلَفَتْهُ
 فَرَأَيْتُ بِنَاءَهُ أَحْكَمَ بِنَاءً بِعَرْضِ أَنْ يَكُونَ لَا يَعْمَلُ فِيهِ الْمَعَاوِلُ . وَإِنَّمَا أَرَادَ
 أَنْ يُحْرِقُهُ حَتَّى يَبْقَى بِالْحَرِيقِ قَابِلًا لِلْخَرَابِ . وَأَصْبَحَ مُسْتَهْلِكًا رَمَضَانَ أَمْرَ
 وَلَدَهُ الْمَلِكُ الْأَفْضَلُ أَنْ يُبَاشِرَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ وَخَوَاصِهِ . وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَحْمِلُ
 الْخَشَبَ هُوَ وَخَوَاصِهِ لِحَرِيقِ الْبُرْجِ . وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يَنْقُلُونَ الْخَشَبَ
 وَيَكْشُونَهُ فِي الْبُرْجِ حَتَّى أَمْتَلَّمْ أَطْلَقْتُ فِيهِ النَّارُ فَأَشْتَعَلَ الْخَشَبُ وَبَقَيَ
 النَّارُ تَشَعَّلُ فِيهِ يَوْمَيْنِ بِلَيْلَيْهَا . ثُمَّ رَحَلَ الْسُلْطَانُ ثَانِيَ رَمَضَانَ نِصْفَ
 الْلَّيْلِ خَشِيَّةً عَلَى مِزَاجِهِ مِنَ الْخَرَابِ وَوَصَلَ يَبْنَا ضَاحِيَ النَّهَارِ وَبَاتَ فِي تِلْكَ
 الْمَذْرِلَةِ وَأَصْبَحَ ثَالِثَ الشَّهْرِ رَاحِلًا إِلَى جِهَةِ الْرَّمَلَةِ

نَجْبَةُ

مِنْ كِتَابِ التَّارِيخِ لِأَبِي الْفِدَاءِ
الْمَعْرُوفِ بِصَاحِبِ حَمَّةِ

ذِكْرُ وَفَاتَةِ نُورِ الدِّينِ وَمَا كَانَ لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ

فِي سَنَةِ تِسْعَ وَسَيِّنَ وَخَمْسِيَّةِ تُوْقِيِّ الْمَلِكِ الْعَادِلِ نُورِ الدِّينِ بْنِ
حَمْوَدٍ بْنِ عَمَادِ الدِّينِ زَنْكِيِّ بْنِ أَقْسَنْ قَرْبَانِيِّ صَاحِبِ الشَّامِ وَدِيَارِ الْجَزِيرَةِ
وَغَيْرِ ذَلِكِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ حَادِي عَشَرَ شَوَّالٍ يَعْلَمُ الْخَوَانِقِ بِقَلْعَةِ دِمْشَقِ
الْمَحْرُوسَةِ. وَكَانَ نُورُ الدِّينِ قَدْشَعَ يَتَجَهُزُ لِلْدُخُولِ إِلَى مِصْرِ لِأَخْذِهَا مِنْ
صَالَاجِ الدِّينِ وَكَانَ يُرِيدُ أَنْ يَخْلِيَّ أَبْنَ أَخِيهِ سَيفَ الدِّينِ غَازِيَّ بْنَ
مَوْدُودٍ فِي الشَّامِ قِبَالَةَ الْفَرْجِ وَيَسِيرَ هُوَ بِنَفْسِهِ إِلَى مِصْرَ. فَأَتَاهُ أَمْرُ اللَّهِ
الَّذِي لَأْمَرَ لَهُ . وَكَانَ نُورُ الدِّينِ أَسْمَرَ طَوِيلَ الْقَامَةِ لَيْسَ لَهُ لِحَيَّةٌ إِلَّا
فِي حَنْكِهِ حَسَنَ الصُّورَةِ. وَكَانَ قَدِ اتَّسَعَ مُلْكُهُ حِدَادًا وَخُطْبَ لَهُ بِالْحَرَمَيْنِ
وَالْيَمَنِ لَمَّا مَلَكَهَا تُورَانُ شَاهُ بْنُ أَيُوبَ وَكَذِلِكَ كَانَ يُخْطَبُ لَهُ بِمِصْرَ.
وَكَانَ مَوْلَدُ نُورِ الدِّينِ سَنَةً إِحْدَى عَشْرَ وَخَمْسِيَّةٍ وَطَبَقَ ذِكْرُهُ أَلَّا أَرْضَ
لِحْسِنِ سَيِّرَتِهِ وَعَدْلِهِ وَكَانَ مِنَ الْزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ عَلَى قَدَمِ عَظِيمٍ وَكَانَ
يُصْلِي كَثِيرًا مِنَ الْلَّيْلِ وَكَانَ كَمَا قِيلَ

جَمَعَ الشَّجَاعَةَ وَالْخُشُوعَ لِرَبِّهِ مَا أَحْسَنَ الْخَرَابَ فِي الْحَرَابِ

وَكَانَ عَارِفًا بِالْفِقْهِ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمامِ أَبِي حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَيْسَ
عِنْكَ تَعْصِبُ وَهُوَ الَّذِي بَنَى أَسْوَارَ مُدْنِ الشَّامِ مِنْهَا دِمْشَقُ وَجِصُّ
وَحَمَّةُ وَحَلَبُ وَشِيرَزُ وَبَعْلَبَكُ وَغَيْرُهَا لَمَّا تَهَدَّمَتْ بِالْزَّلَازِلِ وَبَنَى الْمَدَارِسَ

الْكَثِيرَةِ الْحُكْمِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ لَا يَحْتَمِلُ هَذَا الْخُنَصُرُ ذِكْرَ فَضَائِلِهِ
 وَلَمَّا تُوْبَّيْ نُورُ الدِّينِ قَامَ أَبْنَهُ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ نُورِ الدِّينِ
 مُحَمَّدٌ بِالْمُلْكِ بَعْدَ وَعْدِهِ أَحَدَى عَشَرَ سَنَةً وَحَلَّ لَهُ الْعَسْكُرُ بِدِمْشَقَ
 وَأَقَامَ بِهَا وَأَطَاعَهُ صَلَاحُ الدِّينِ بِمِصْرَ وَخُطَبَ لَهُ بِهَا وَضُرِبَتِ السِّكِّةُ
 بِاسْمِهِ. وَكَانَ الْمُتَوَلِّ يَتَدَبَّرُ الْمَلِكَ الصَّالِحَ وَتَدَبَّرَ دَوْلَتِهِ الْأَمِيرَ شَمْسَ
 الدِّينِ مُحَمَّدًا الْمَعْرُوفَ بِابْنِ الْمُقْدَمَ. وَلَمَّا مَاتَ نُورُ الدِّينِ وَمَلَكَ أَبْنُهُ
 الْمَلِكُ الصَّالِحُ سَارَ مِنَ الْمَوْصِلِ سَيفُ الدِّينِ غَازَ يَهُ بْنَ قُطْبِ الدِّينِ
 مَوْدُودَ بْنِ عِمَادِ الدِّينِ زَنِكِيَّ وَمَلَكَ جَيْعَ الْبَلَادَ الْجَزِيرَةِ (الْجَزِيرَةِ)
 ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعِينَ وَحُمْسِيَّةٍ. وَفِي أَوَّلِ هَذِهِ السَّنَةِ أُجْتَمَعَ عَلَى
 رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الصَّعِيدِ يُقَالُ لَهُ الْكَثُرُ جَمْعُ كَثِيرٍ وَأَظْهَرَ الْخِلَافَ
 عَلَى صَلَاحِ الدِّينِ فَأَرْسَلَ صَلَاحُ الدِّينِ إِلَيْهِ عَسْكَرًا فَاقْتُلُوا وَقُتُلَ الْكَثُرُ
 وَجَاءَهُ مَعَهُ فَانْهَزَمَ الْبَاقُونَ

ذِكْرُ مُلْكِ صَلَاحِ الدِّينِ دِمْشَقَ وَغَيْرِهَا

فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَلَحَ رَبِيعُ الْأَوَّلِ مَلَكَ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُوبَ
 دِمْشَقَ وَحْمَصَ وَحَمَّاءَ. وَسَبِبَهُ أَنْ شَمْسَ الدِّينِ أَبْنَ الدَّائِيَّةِ الْمُقِيمَ حَلَّبَ
 أَرْسَلَ سَعْدَ الدِّينِ كَمْشَتِكِينَ يَسْتَدِعِي الْمَلِكَ الصَّالِحَ بْنَ نُورِ الدِّينِ
 مِنْ دِمْشَقَ إِلَى حَلَّبَ لِيَكُونَ مُقَامَهُ بِهَا. فَسَارَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ إِلَى حَلَّبَ
 مَعَ سَعْدِ الدِّينِ كَمْشَتِكِينَ. وَلَمَّا أَسْتَقَرَ حَلَّبَ وَتَمَكَّنَ كَمْشَتِكِينُ قَبْضَ
 عَلَى شَمْسِ الدِّينِ أَبْنِ الدَّائِيَّةِ وَأَخْوَتِهِ وَقَبْضَ عَلَى الرَّئِيسِ أَبْنِ الْحَشَابِ
 وَأَخْوَتِهِ وَهُوَ رَئِيسُ حَلَّبَ وَأَسْتَبَدَ سَعْدُ الدِّينِ بِتَدَبِّرِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ

فَخَافَهُ بْنُ الْمَقْدَمَ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَمْرَاءِ الَّذِينَ بَدِيمَشَقَ . فَكَاتَبُوا صَلَاجَ الدِّينِ
 وَاسْتَدْعَوهُ لِيُمْلِكُهُ عَلَيْهِمْ . فَسَارَ جَرِيدَةً فِي سَبْعَ مِائَةِ فَارِسٍ وَلَمْ يَلْبِسْ
 وَوَصَلَ إِلَى دِمْشَقَ فَخَرَجَ كُلُّ مَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الْعَسْكَرِ وَالْتَّقْوَهُ وَخَدْمَوْهُ
 وَنَزَلَ بِدَارِ الْأَيُوبِ الْمَعْرُوفَةِ بِدَارِ الْعَقِيقَيِّ وَعَصَتْ عَلَيْهِ الْقَلْعَةِ وَكَانَ
 فِيهَا مِنْ جِهَةِ الْمَلَكِ الصَّاحِحِ خَادِمُ أَسْمَهُ رِيحَانُ . فَرَاسَلَهُ صَلَاجَ الدِّينِ
 وَاسْتَهَلَهُ فَسَلَّمَ الْقَلْعَةِ إِلَيْهِ . فَصَعَدَ إِلَيْهِمْ صَلَاجُ الدِّينِ وَأَخَذَ مَا فِيهَا مِنَ
 الْأَمْوَالِ . وَلَمَّا ثَبَتَ قَدْمَهُ وَفَرَّ أَمْرُ دِمْشَقَ أَسْتَخَلَفَ بِهَا أَخَاهُ سَيفَ
 الْإِسْلَامِ طَغْدِيْكَ بْنَ أَيُوبَ وَسَارَ إِلَى حِصْنِ مُسْتَهَلَّ جَادَى الْأُولَى
 وَكَانَتْ حِصْنُ وَحَمَاءُ وَقَلْعَةُ بَارِينَ وَسَلِيْبَيَّ وَتَلُّ خَالِدٍ وَالرَّهَامِنُ بَلْدٍ
 الْجَزِيرَةِ فِي أَقْطَاعِ فَخْرِ الدِّينِ مَسْعُودِ بْنِ الزَّعْفَرَانِيِّ . فَلَمَّا مَاتَ نُورُ الدِّينِ
 لَمْ يُمْكِنْ فَخْرُ الدِّينِ مَسْعُودًا الْمُقَامُ بِحِصْنِ وَحَمَاءِ لِسُوءِ سِيرَتِهِ مَعَ النَّاسِ
 وَكَانَتْ هُنَّ الْبَلَادُ لَهُ بِغَيْرِ قِلَاعِهَا . فَإِنَّ قِلَاعَهَا فِيهَا وُلَاةُ نُورِ الدِّينِ وَلَيْسَ
 لِفَخْرِ الدِّينِ مَعْهُمْ فِي الْقِلَاعِ حُكْمٌ لِلْبَارِينَ فَإِنَّ قِلَاعَهَا كَانَتْ لَهُ أَيْضًا .
 وَنَزَلَ صَلَاجُ الدِّينِ عَلَى حِصْنِهِ فِي حَادِي عَشَرَ جَادَى الْأُولَى وَمَلَكَ
 الْمَدِينَةَ وَعَصَتْ عَلَيْهِ الْقَلْعَةِ . فَنَزَلَ عَلَيْهَا مَنْ يُضِيقُ عَلَيْهَا وَرَحَلَ إِلَى حَمَاءَ
 فَهَمَّ الْمَدِينَةَ مُسْتَهَلَّ جَادَى الْآخِرَةِ مِنْ هُنَّ السَّنَةِ . وَكَانَ يَقْلِعُهَا الْأَمِيرُ
 عِزُّ الدِّينِ جُرْدِيْكُ أَحَدُ الْمَالِكِ النُّورِيَّةِ . فَأَمْتَنَعَ فِي الْقَلْعَةِ فَذَكَرَ لَهُ
 صَلَاجُ الدِّينِ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ غَرَضٌ إِلَّا حِفْظُ بِلَادِ الْمَلَكِ الصَّاحِحِ عَلَيْهِ وَأَنَّهُ
 هُوَ نَائِبُهُ وَقَصْدُهُ مِنْ جُرْدِيْكَ الْمَسِيرُ إِلَى حَلَبَ فِي رِسَالَةٍ فَأَسْتَخَلَفَهُ جُرْدِيْكُ
 عَلَى ذَلِكَ . وَسَارَ جُرْدِيْكُ إِلَى حَلَبَ بِرِسَالَةِ صَلَاجِ الدِّينِ وَاسْتَخَلَفَ فِي

قلعة حماة أخاه. فلما وصل جرديك إلى حلب فبغض عليه كمشتكيين
وسبجه. فلما عالم أخوه بذلك سلم القلعة إلى صلاح الدين فملكها
ثم سار صلاح الدين إلى حلب وحصراها وبها الملك الصالح. فجتمع
أهل حلب وقاتلو صلاح الدين وصدواه عن حلب فأرسل سعد الدين
كمشتكيين إلى سنان مقدم الأسماعيلية أموا لا عظيمة ليقتلو صلاح
الدين. فأرسل سنان جماعة ووثبوا على صلاح الدين فقتلوا دونه.
واستمر صلاح الدين محاصراً لحلب إلى مستهل رجب ورحل عنها بسبب
نزول الفرج على حمص وساروا إلى حمص فرحل الفرج عنها ووصل
صلاح الدين إلى حمص وحصر قلعتها وملكها في الحادي والعشرين من
شعبان من السنة. ثم سار إلى بعلبك فملكها

ولهم استقر ملك صلاح الدين لهن البلاط. فأرسل الملك الصالح إلى
أبن عميه سيف الدين غاري صاحب الموصل يستريح على صلاح
الدين. فجهز جشه صحبة أخيه عز الدين مسعود بن مودود زنكي
وجعل مقدم الجيش أكبر امرأته وهو عز الدين محمود ولقبه سلغنداز
وطلب أخاه الأك بر عاد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار يسير
في التجده أيضاً. فامتنع مضابعة لصلاح الدين. فسار سيف الدين
غاري وحصن سنجار ووصل عسكر الموصل صحبة مسعود بن مودود
وسلغنداز إلى حلب وأنضم إليهم عسكر حلب وسار إلى صلاح الدين.
فأرسل صلاح الدين بيدي حمص وحماة وأن يقرب بيده دمشق ويكون
فيها نائباً للملك الصالح. فلم يحبوا إلى ذلك وساروا إلى قتاله واقتلو

عِنْدَ قُرُونٍ حَمَاءَ فَانْهَزَمَ عَسْكُرُ الْمَوْصِلِ وَحَلَبَ وَغَنَمَ صَالَحُ الدِّينِ
وَعَسْكُرُهُ أَمْوَالُهُمْ وَتَبَعُمُهُ صَالَحُ الدِّينِ حَتَّى حَصَرُوهُ فِي حَلَبَ وَقَطَعَ
جِنَاحِهِ خُطْبَةَ الْمَلِكِ الْصَّالِحِ بْنِ نُورِ الدِّينِ وَأَزَالَ آسِمَهُ عَنِ السِّكَّةِ
وَاسْتَبَدَ بِالسُّلْطَانِ. فَرَأَسُلُوا صَالَحَ الدِّينِ فِي الصُّلُحِ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا
يُسِكِّنُهُ مِنَ الشَّامِ وَلِلْمَلِكِ الْصَّالِحِ مَا يَقِيَ يَبِعُ مِنْهُ فَصَالَحُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَحَلَ
عَنْ حَلَبَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ مِنْ شَوَّالٍ مِنْ هُنْدِ السَّنَةِ. وَفِي الْعَشْرِ الْآخِرِ
مِنْ شَوَّالٍ مَلَكَ السُّلْطَانُ صَالَحُ الدِّينِ قَلْعَةَ بَارِينَ وَأَخْذَهَا مِنْ صَاحِبِهَا
فَخَرَّ الدِّينِ مَسْعُودٌ بْنُ الزَّعْفَارَانِ. وَكَانَ فَخَرُ الدِّينِ الْمَذْكُورُ مِنْ أَكْبَرِ
الْأُمَّارِ الْأَنْوَرِيَّةِ

ذِكْرُ آنِهِزَامِ سَيْفِ الدِّينِ غَازِي صَاحِبِ الْمَوْصِلِ مِنَ السُّلْطَانِ صَالَحِ الدِّينِ

مُمُّ دَخَلَتْ سَنَةُ إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَحَمِسِيَّاتِهِ وَفِيهَا عَاشَرُ شَوَّالٍ كَانَ
الْمُصَافَّةُ بَيْنَ السُّلْطَانِ صَالَحِ الدِّينِ وَبَيْنَ سَيْفِ الدِّينِ غَازِي بْنِ
مُوَدُودٍ بْنِ زَنْكِيِّ بَنْلِ السُّلْطَانِ. فَهَرَبَ سَيْفُ الدِّينِ غَازِي وَالْعَسَكِيرُ
الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ. فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ أَسْتَبَنَجَ بِصَاحِبِ حِصْنِ كِيفَا وَصَاحِبِ
مَارَدِينَ وَغَيْرِهَا وَتَهَّثَ عَلَى سَيْفِ الدِّينِ غَازِي الْهَزِيمَةَ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهِ
الْمَوْصِلِ مَرْعُوبًا وَفَصَدَ الْمُهُرُوبَ مِنْهَا إِلَى بَعْضِ الْفَلَاعِ فَشَبَّتْهُ وَزَيَّنَهُ وَفَاقَمَ
بِالْمَوْصِلِ وَأَسْتَوَى السُّلْطَانُ صَالَحُ الدِّينِ عَلَى أَثْقَالِ عَسْكُرِ الْمَوْصِلِ
وَغَيْرِهِمْ وَغَنَمَ مَا فِيهَا. ثُمَّ سَارَ إِلَى بَزَابَةَ وَحَصَرَهَا وَتَسْلِمَهَا. ثُمَّ سَارَ إِلَى
مَنْجَعِ فَحَصَرَهَا فِي آخِرِ شَوَّالٍ. وَكَانَ صَاحِبُهَا قُطْبُ الدِّينِ يَنَالُ بْنُ حَسَانٍ

المنحي شديد البعض لصلاح الدين وفتحها عنوة وأسر ينال وأخذ جميع
موجوده ثم أطلقه فسار ينال إلى الموصل فاقتصر سيف الدين غاري
مدينة الرقة

ثم سار السلطان صلاح الدين إلى عزاز ونازلها ثالث ذي القعدة
وسلمها حادى عشر ذي الحجة. فوثب إسماعيلي على صلاح الدين في
حصاره عزاز فضربه بسكين في رأسه فجرحة فامسك صلاح الدين
إسماعيلي وبقي يضرب بالسكين فلا يُرُد حتى قتل إسماعيلي على
ذلك الحال. ووثب آخر عليه فقتل وثالث فقتل أيضاً ونجا السلطان إلى
خيته مدعاً وأعرض جنده وبعد من أنكره منهم ولما ملك السلطان
عزاز رحل عنها ونزل حلب في منتصف ذي الحجة وحصراها وبها
ملك الصالح وأنقضت هذه السنة وهو محاصر لحلب. فسألوه في الصلح
فأجابهم إليه وأخرجوه إليه بتنا صغيرة لنور الدين فأكرمه وأعطاه شيئاً
كثيراً وقال لها: ما ترويدين: فقالت أريد قلعة عزاز وكانوا قد علموها
ذلك. فسلمها السلطان إليهم واستقر الصلح ورحل السلطان من حلب
في العشرين من المحرم سنة اثنين وسبعين

بيان القسم الثالث من نخب الم

من كتاب العبر لابن خلدون

ومن كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس للقربي

ومن كتاب الافادة لأبي الطيب

ومن كتاب شخفة النظر في غرائب الامصار لابن بطوطة

ومن كتاب عجائب المخلوقات لابن محمد الفزوبي

كتاب الملح

جمعها الآب يوحنا بلو والآب أغوستينوس روده
من الرهبنة اليسوعية

الجزء الأول

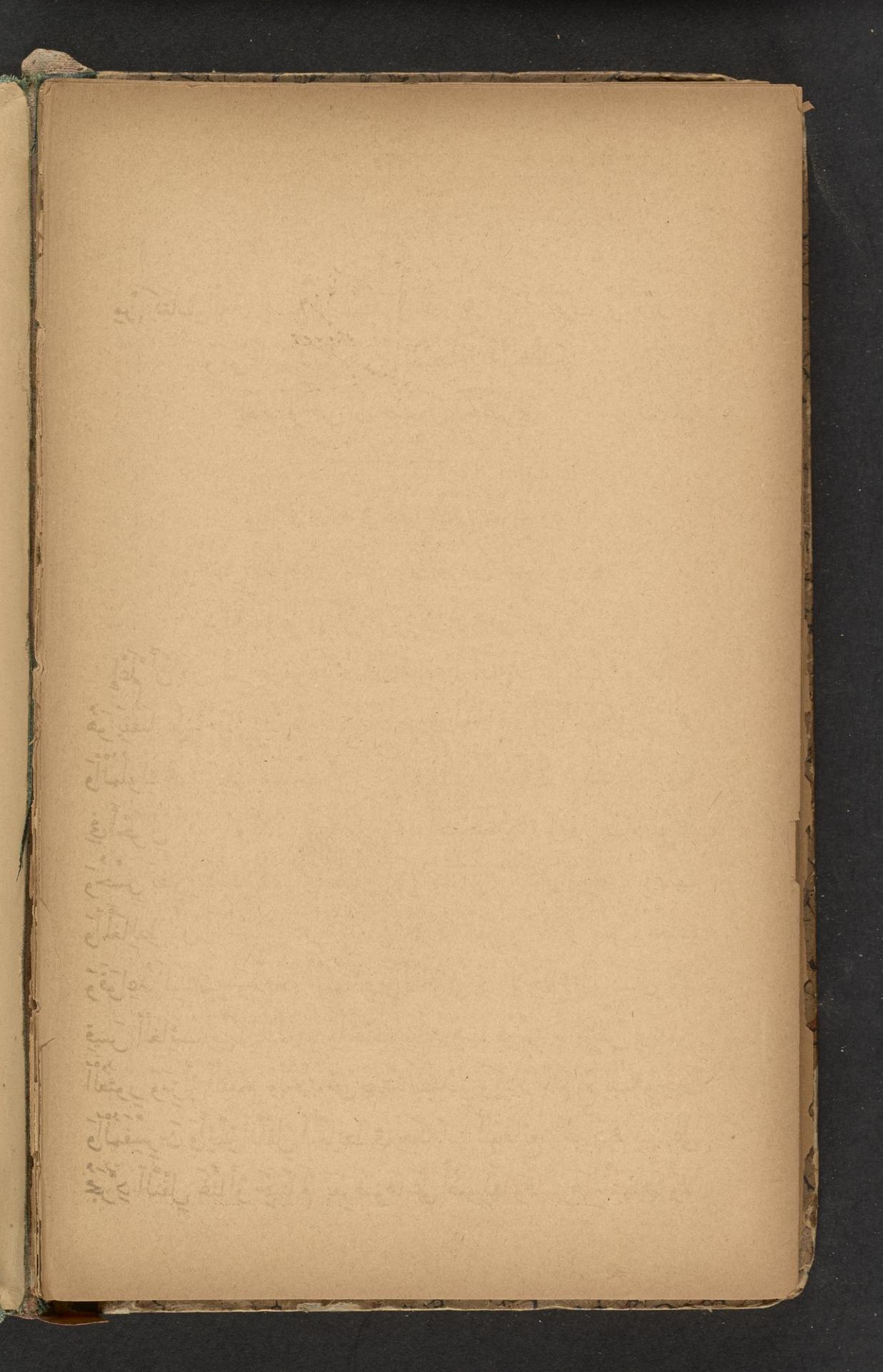
القسم الثالث

وهو يستهل على فصول جغرافية وقوانين طبيعية



طبع رابعة في مطبعة المرسلين اليسوعيين

في بيروت ١٨٨٤



نَجْبَةٌ

مِنْ كِتَابِ الْعَبْرِ وَ دِيَوَانِ الْمُبْتَدِإِ وَ الْخَبَرِ فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ وَ الْبَرْبَرِ
وَ مَنْ عَاصَرَهُمْ مِنْ ذَوِي السُّلْطَانِ الْأَكْثَرِ
لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَلْدُونَ الْخَضْرَمِيِّ

مِنَ الْمُقْدِمَةِ فِي فَضْلِ عِلْمِ التَّارِيخِ
وَ تَحْقِيقِ مَذَاهِبِهِ وَ لِأَلْمَاعِ بِمَا يُعْرِضُ لِلْمُؤْرِخِينَ
مِنَ الْمَغَالِطِ وَ الْأَوْهَامِ وَ ذِكْرِ شَيْءٍ مِنْ أَسْبَابِهَا
إِعْلَمُ أَنَّ فَنَّ التَّارِيخِ فَنٌ عَزِيزٌ الْمَذْهَبِ جَمِيعُ الْفَائِقِ شَرِيفُ الْعَائِدَةِ إِذْ
هُوَ يَقُوْنَا عَلَى أَحْوَالِ الْمَاضِينَ مِنَ الْأُمُورِ فِي أَخْلَاقِهِمْ وَ لَأَنْتِيَاعِ فِي سِيرِهِمْ
وَ الْمُهْلُوكِ فِي دُوَلِهِمْ وَ سِيَاسَتِهِمْ حَتَّى تَمَّ فَائِدَةُ الْإِقْتِدَاءِ فِي ذَلِكَ لِمَنْ يَرُوْمُهُ
فِي أَحْوَالِ الْدِيَنِ وَ الْدُّنْيَا فَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى مَا خَذَ مُتَعَدِّدَةٍ وَ مَعَارِفَ مُتَنَوِّعَةٍ
وَ حُسْنِ نَظَرٍ وَ تَبْيَثٍ يُفْضِيَانِ بِصَاحِبِهِمَا إِلَى الْحَقِّ وَ يُنْكِبُانِ بِهِ عَنِ الْمَرِّ لَاتِ
وَ الْمَغَالِطِ لِأَنَّ الْأَخْبَارَ إِذَا أُعْنِدَ فِيهَا مُجَرَّدُ النَّقْلِ وَ لَمْ يَحْكُمْ أُصُولُ الْعَادَةِ
وَ قَوَاعِدُ الْسِّيَاسَةِ وَ طَبِيعَةُ الْعُمرَانِ وَ الْأَحْوَالِ فِي الْأَجْنَافِ الْإِنْسَانِيِّ وَ لَا
فِيسَ الْغَائِبُ مِنْهَا بِالشَّاهِدِ وَ الْحَاضِرِ بِالْذَّاهِبِ فَرِبَّهَا لَمْ يُؤْمِنْ فِيهَا مِنَ
الْعُثُورِ وَ مَزَلَّةُ الْقَدْمَ وَ تَحْمِيدُ عَنْ جَادَةِ الْصِدْقِ وَ كَثِيرًا مَا وَقَعَ لِلْمُؤْرِخِينَ
وَ الْمُفْسِرِينَ وَ آئِمَّةُ النَّقْلِ الْمَغَالِطُ فِي حِكَائِاتِ الْوَقَائِعِ لِأَعْنَادِهِمْ فِيهَا عَلَى
مُجَرَّدِ النَّقْلِ غَنَّاً أَوْ سَمِيَّاً لَمْ يَعْرِضُوهَا عَلَى أُصُولِهَا وَ قَاسُوهَا بِأَشْبَاهِهَا وَ لَا

٤٠

سَبِّرُوهَا بِعِيَارِ الْحِكْمَةِ وَالْوُقُوفِ عَلَى طَبَائِعِ الْكَائِنَاتِ وَتَحْكِيمِ النَّظرِ
وَالْبِصِيرَةِ فِي الْأَخْبَارِ فَضَلُّوا عَنِ الْحَقِّ وَتَاهُوا فِي بَيْدَاءِ الْوَهْمِ وَالْغُلْطِ
سِيمَا فِي إِحْصَاءِ الْأَعْدَادِ وَالْأَمْوَالِ وَالْعَسَاكِرِ إِذَا عَرَضَتْ فِي الْحِكَمَاتِ
إِذْ هِيَ مَظْنَةُ الْكَذِيبِ وَمَطْيَةُ الْمَهْدِرِ وَلَا بُدَّ مِنْ رَدِّهَا إِلَى الْأُصُولِ وَعَرْضُهَا
عَلَى الْقَوَاعِدِ

وَمِنَ الْحِكَمَاتِ الْمَذْخُولَةِ لِلْمُؤْرِخِينَ مَا يَنْقُلُونَهُ كَافَةً فِي سَبَبِ نَكْبَةِ
الرَّشِيدِ لِلْبَرَامِكَةِ مِنْ فِصَةِ الْعَبَاسَةِ أَخْتِهِ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ
مَوَالَهُ وَلَنَا نَكْبَةُ الْبَرَامِكَةِ مَا كَانَ مِنْ أَسْبِدَادِهِ عَلَى الدُّولَةِ فَأَحْجَانَاهُمْ
أَمْوَالَ الْجَبَابِيَّةِ حَتَّى كَانَ الرَّشِيدُ يَطْلُبُ الْيُسِيرَ مِنْ أَمْالِ فَلَا يَصُلُّ إِلَيْهِ
فَغَلَبُوهُ عَلَى أَمْرِهِ وَشَرُّكُوهُ فِي سُلْطَانِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَعْمُومٌ تَصْرُفٌ فِي أُمُورِ
مُلْكِهِ فَعَظَمَتْ آثَارُهُمْ وَبَعْدَ صِبَّتِهِمْ وَعَمِرُوا مَرَاتِبَ الدُّولَةِ وَخَطَطُهُمْ
بِالرُّؤُسَاءِ مِنْ وُلْدِهِمْ وَصَنَاعِيمِهِمْ وَاحْتَازُوهَا عَمَّنْ سَوَاهُمْ مِنْ وِزَارَةٍ وَكِتَابَةٍ
وَفِيَادَةٍ وَجَبَابَةٍ وَسَيِّفٍ وَقَلْمَانِيَّةٍ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ بِدارِ الرَّشِيدِ مِنْ وُلْدِ يَحْيَى
بْنِ خَالِدٍ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ رَئِيْسًا مِنْ بَيْنِ صَاحِبِ سَيِّفٍ وَصَاحِبِ قَلْمَانِيَّةٍ
رَاحُمُوا فِيهَا أَهْلَ الدُّولَةِ بِالْمَنَاكِبِ وَدَفَعُوهُمْ عَنْهَا بِالرَّاجِ لِمَكَانٍ أَيْمَمُ يَحْيَى
مِنْ كَفَالَةِ هُرُونَ وَلِيَ عَهْدِ وَخَلِيفَةِ حَتَّى شَبَّ فِي تُجْرِي وَدَرَجَ مِنْ عُشِّهِ
وَغَلَبَهُ عَلَى أَمْرِهِ وَكَانَ يَدْعُوهُ يَا أَبَتْ . فَتَوَجَّهَ أَلْإِبَشَارُ مِنْ السُّلْطَانِ إِلَيْهِمْ
وَعَظَمَتِ الدَّالَّةُ مِنْهُمْ وَأَنْبَسَطَ أَمْجَاهُ عِنْهُمْ وَأَنْصَرَفَتْ نَحْوُهُمُ الْوُجُوهُ
وَخَضَعَتْ لَهُمُ الْرِّقَابُ وَقُصِّرَتْ عَلَيْهِمُ الْأَمَالُ وَخَنَقَتْ إِلَيْهِمُ مِنْ أَفْصَى
الْخُنُوكُ هَدَايَا الْمُلُوكِ وَخَفَّ الْأَمْرَاءُ وَتَسَرَّبَتْ إِلَى خَزَائِنِهِمْ فِي سَيِّلِ

الترَّفِيْ وَالإِسْغَالَةُ أَمْوَالُ الْجِبَابَةِ وَفَاضُوا فِي رِجَالِ الشِّيَعَةِ وَعُظَمَاءِ
الْقَرَابَةِ الْعَطَاءِ وَطَوَّفُوهُ الْمِنَانَ وَكَسَبُوا مِنْ بَيْوَاتِ الْأَشْرَافِ الْمُعْدَمَ
وَفَكُوا الْعَانِيَ وَمَدُحُوا بِعَيْمَانَ يُمَدَّحُ بِهِ خَلِيفَتِهِمْ وَأَسْنَوا لِعْنَاتِهِمْ الْجَوَاثِرَ
وَالصِّلَاتِ وَأَسْتَولُوا عَلَى الْقُرَى وَالضِيَاعِ مِنْ الضَّوَاحِيْ وَالْأَمْصَارِ فِي
سَائِرِ الْمَهَالِكِ حَتَّى أَسْفَوْا الْبِطَاوَةَ وَأَحْقَدُوا الْخَاصَّةَ وَأَغْصَوْا أَهْلَ الْوِلَايَةَ
فَكَشَفَتْ لَهُمْ وُجُوهُ الْمُنَافِسَةِ وَالْحَسَدِ وَدَبَّتْ إِلَيْهِمْ الْوَثَبَرِيْ مِنْ
الْأَدَوْلَةِ عَتَارِبُ السِّعَايَةِ حَتَّى لَقَدْ كَانَ بُنُونَ قَحْطَبَةَ أَخْوَالُ جَعْفَرِ مِنْ أَعْظَمِ
السَّاعِينَ عَلَيْهِمْ لَمْ تَعْطِفُهُمْ لِمَا وَقَرَ فِي نُفُوسِهِمْ مِنْ الْحَسَدِ عَوَاطِفُ الرَّحْمَنِ
وَلَا زَعْنَتْهُمْ أَوَاصِرُ الْقَرَابَةِ وَقَارَنَ ذَلِكَ عِنْدَ مَخْدُودِ مِنْ نَوَاشِيْ الْغَيْرِ
وَالإِسْتِنْكَافِ مِنْ الْجَبَرِ وَالْأَنْفَةِ وَكَامِنْ الْحَقْوَدِ الْأَلِيِّ بَعْثَمَهَا مِنْهُمْ صَغَائِرُ
الْدَّالَّةِ وَأَنْتَيَ بِهَا الْإِصْرَارُ عَلَى شَأْنِهِمْ إِلَى كَبَائِرِ الْمُخَالَفَةِ كَفِصَّتْهُمْ فِي بَحْرِيِّ
بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخِي الْمُهَدِّيِّ
الْمُلْقَبِ بِالنَّفْسِ الْزَّكِيَّةِ الْخَارِجِ عَلَى الْمُنْصُورِ وَبَحْرِيَ هَذَا هُوَ الَّذِي يَهُ
أَسْتَرَلَهُ الْفَضْلُ بْنُ بَحْرِيِّ مِنْ بِلَادِ الدَّالِيْمَ عَلَى أَمَانِ الرَّشِيدِ بِخَطْهِ وَبَذَلَ
لَهُمْ فِيهِ أَلْفَ أَلْفِ دِرَهَمٍ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الطَّبَرِيُّ وَدَفَعَهُ الرَّشِيدُ إِلَيْ جَعْفَرِ
وَجَعَلَ أَعْنِقَالَهُ بِدَارِهِ وَإِلَيْ نَظَرِهِ . فَخَبَسَهُ مُدَّهُ ثُمَّ حَمَلَهُ الدَّالَّةُ عَلَى تَخْلِيَةِ
سَبِيلِهِ وَالإِسْتِبْدَادِ بِحَلَّ عَقَالِهِ حَرَمًا لِدِمَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ بِزَعْمِهِ وَدَالَّةُ عَلَى
الْسُّلْطَانِ فِي حُكْمِهِ وَسَالَهُ الرَّشِيدُ عَنْهُ لَمَّا وُشِّيَ بِهِ إِلَيْهِ فَفَضَنَ وَقَالَ
أَطْلَقْتَهُ فَأَبَدَى لَهُ وَجْهَ الْإِسْتِحْسَانِ وَأَسْرَهَا فِي نَفْسِهِ
فَأَوْجَدَ السَّيْلَ بِذِلِّكَ عَلَى نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ حَتَّى ثُلَّ عَرْشُهُ وَأَكْفَسَتْ عَالِمَيْمَ

سَأَوْهُمْ وَخُسِفَتِ الْأَرْضُ بِهِمْ وَبَدَارِهِمْ وَذَهَبَتْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلآخِرِينَ
 أَيَّامُهُمْ . وَمِنْ تَأْمُلِ أَخْبَارِهِمْ وَأَسْتَفْصَى سَيرَ الدُّولَةِ وَسَيْرَهُمْ وَجَدَ ذَلِكَ
 مُحَقَّقًا الْأَثْرَ مُهَمَّدًا الْأَسْبَابَ . وَأَنْظَرَ مَا نَقَلَهُ أَبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي مُفَاوَضَةِ
 الرَّشِيدِ عَمَّ جَدَّهُ دَاؤَدُ بْنُ عَلَيٍّ فِي شَانِ نَكِبَتِهِمْ مَا ذَكَرَهُ فِي بَابِ الشِّعْرَاءِ
 مِنْ كِتَابِ الْعِقْدِ فِي مُحَاوَرَةِ الْأَضْعَاعِي لِلرَّشِيدِ وَلِلْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى فِي سَمَرِهِمْ
 تَفَهَّمَ أَنَّهُ إِنَّمَا قَاتَلُهُمُ الْغَيْرَةُ وَالْمُنَافَسَةُ فِي الْإِسْتِبْدَادِ مِنَ الْخَلِيفَةِ فِيمَ دُونَهُ
 وَكَذِلِكَ مَا تَحَبَّلَ بِهِ أَعْدَاؤُهُمْ مِنَ الْبِطَانَةِ فِيمَا دَسَوهُ لِلْمُغْنِينَ مِنَ الشِّعْرِ
 آخِنَيَا لَا عَلَى إِسْمَاعِيلِ الْخَلِيفَةِ وَتَخْرِبِكَ حَفَائِظِهِ هُمْ وَهُوَ قَوْلُهُ شِعرٌ
 لَيْتَ هِنْدًا أَنْجَزْنَا مَا تَعِدُ وَشَفَتْ أَنْفُسَنَا حِمَامًا تَجْهِدُ
 وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يُسْتَبِدُ
 فَانَّ الرَّشِيدَ لَمَّا سَمِعَهَا قَالَ إِيَّاكَ اللَّهُ عَاجِزٌ حَقَّ بَعْثُوا بِأَمْثَالٍ هُنَّ كَامِنَ
 غَيْرُهُ وَسَلَطُوا عَلَيْهِمْ بَاسًا أَنْتَفَاهِمْ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَلَبَةِ الْرِّجَالِ وَسُوءِ الْحَالِ
 وَمَا مَا تُمُوا بِهِ الْمُحَكَّمَيَةُ مِنْ مُعَاقرَةِ الرَّشِيدِ الْأَحْمَرِ وَأَفْرَانِ سُكْرِهِ
 يُسْكِرُ الْنَّدْ مَانِ فَحَاشَا اللَّهُ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ وَبَنَ هَذَا مِنْ حَالِ
 الرَّشِيدِ وَقِيَامِهِ بِمَا يَجِبُ بِمَنْ صَبَ الْخِلَافَةَ مِنَ الْدِينِ وَالْعَدْلَةِ وَمَا كَانَ
 عَلَيْهِ مِنْ صَحَابَةِ الْعُلَمَاءِ وَالْأُولَاءِ وَمُحَاوِرَتِهِ لِلْفَضْلِ بْنِ عَبَاضٍ وَأَبْنِ
 السَّمَاكِ وَالْعَمْرِيِّ وَمَكَا تَبَعَهُ سُفِيَانَ وَبِكَائِهِ مِنْ مَوَاعِظِهِ وَدُعَائِهِ بِمَكَةَ
 فِي طَوَافِهِ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْعِيَادَةِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى أَوْفَاتِ الْصَّلَواتِ
 وَشَهُودِ الْصِّبْحِ الْأَوَّلِ فِي وَقْتِهِ
 حَكَى الْطَّبَرِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ كَانَ يُصْلِي كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ رَكْعَةً نَافِلَةً وَكَانَ

يَغْزِيْ عَامًا وَبَعْدَ عَامًا . وَلَقَدْ زَجَرَ أَبْنَى مَرِيمَ مُضْكِهِ وَسَبِيلَ حِينَ تَعْرَضَ
لَهُ يَمْثُلُ ذِلْكَ فِي الصَّلَاةِ لَمَّا سَمِعَهُ يَغْرِيْ أَوْ مَالِيْ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي .
فَقَالَ وَاللَّهِ لَا أَدْرِي لَمْ . فَمَا تَمَالَكَ الْرَّشِيدُ أَنْ ضَحِكَ . ثُمَّ تَتَقَتَ إِلَيْهِ مُغْضِبًا
وَقَالَ يَا أَبْنَى مَرِيمَ فِي الصَّلَاةِ أَيْضًا إِيَّاكَ إِيَّاكَ وَالْقُرْآنَ وَالدِّينَ
وَلَكَ مَا شِئْتَ بَعْدَهَا

وَأَيْضًا فَقَدْ كَانَ مِنَ الْعِلْمِ وَالسَّدَاجَةِ يَمْكَانُ لِقُرْبِ عَهْدِ مِنْ سَلَفِهِ
الْمُتَخَلِّقِينَ لِذِلْكَ . وَمَمْ يَكُنْ يَتَّهِنُ وَيَنْجِدُ أَيْنِي جَعْفَرٌ يَعِدُ زَمِنَ إِنَّمَا
خَلَفَهُ غُلَامًا . وَقَدْ كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ يَمْكَانُ مِنَ الْعِلْمِ وَالدِّينِ قَبْلَ الْخِلَافَةِ
وَبَعْدَهَا وَهُوَ الْفَائِلُ لِمَا لَكَ حِينَ أَشَارَ عَلَيْهِ بِتَالِيفِ الْمُوَطَّأِ يَا أَبَا عَبْدِ
اللهِ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَعْلَمُ مِنِي وَمِنْكَ وَإِنِّي قَدْ شَغَلْتُنِي الْخِلَافَةَ
فَضَعَ أَنْتَ لِلنَّاسِ كِتَابًا يَتَنَفَّعُونَ بِهِ بِخَسْبٍ فِيهِ رَخْصَ أَبْنِ عَبَّاسٍ وَشَادَائِدَ
أَبْنِ عُبَرٍ وَوَطِئُهُ لِلنَّاسِ تَوْطِيْهَ : قَالَ مَالِكُ فَوَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتِي الْتَّصْنِيفَ
يَوْمَيْذِي وَلَقَدْ أَذْرَكَهُ أَبْنُهُ الْمَهْدِيُّ أَبُو الرَّشِيدِ هَذَا وَهُوَ يَتَورَعُ عَنِ الْكِسْوَةِ
أَجْدِيدُ لِعِبَالِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَهُوَ يَمْجِلِسُهُ يَبَا شِرُّ
الْخِيَّاطِيْنَ فِي إِرْقَاعِ الْخَلْقَانِ مِنْ ثِيَابِ عِبَالِهِ . فَاسْتَنْكَفَ الْمَهْدِيُّ مِنْ
ذِلْكَ وَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلَيْكَ كِسْوَةُ هَذِهِ الْعِبَالِ عَامَنَا هَذَا مِنْ
عَطَاءِي فَقَالَ لَكَ ذِلْكَ وَلَمْ يَصُدَّ عَنْهُ وَلَا سَخَّرَ بِالْإِنْفَاقِ مِنْ أَمْوَالِ
الْمُسْلِمِيْنَ

فَكَيْفَ يَلْقِيْ بِالْرَّشِيدِ عَلَى قُرْبِ الْعَهْدِ مِنْ هَذَا الْخِلِيفَةِ وَأَبُو تَهْ وَمَارَبَيِ
عَلَيْهِ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ السِّيرِ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَالْخُلُقِ يَهَا أَنْ يُعَاقِرَ فِي الْخَمْرِ أَوْ

يُجَاهِرُ بِهَا وَقَدْ كَانَتْ حَالُ الْأَشْرَافِ مِنَ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فِي أَجِنَّنَابِ
 الْخَمْرِ مَعْلُومَةً وَلَمْ تَكُنِ الْكَرْمُ شَجَرَتُهُ وَكَانَ شُرُبُهَا مَذْمَةً عِنْدَ الْكَبِيرِ مِنْهُمْ
 وَالصَّغِيرِ. وَالرَّشِيدُ وَآباؤُهُ كَانُوا عَلَى شَجَعَ مِنْ أَجِنَّنَابِ الْمَذْمُومَاتِ فِي دِينِهِمْ
 وَدِنَّيَاهُمْ وَالْخَلْقِ بِالْحَمَادِ وَأَوْصَافِ الْكَالِ وَتَزَعَّاتِ الْعَرَبِ. وَأَنْظَرَ مَا
 نَفَلَهُ الْطَّبِيرِيُّ وَالْمَسْعُودِيُّ فِي قِصَّةِ جَبَرِيلَ بْنِ بَحْرِيْشُوْعَ الطَّيِّبِ حِينَ
 أَحْضَرَ لَهُ السَّمَكُ فِي مَائِدَتِهِ فَجَاءَهُ عَنْهُ. ثُمَّ أَمْرَ صَاحِبَ الْمَائِدَةِ بِحَمِيلِهِ إِلَى
 مَتْرِلِهِ وَقَطَنَ الرَّشِيدُ وَأَرْتَابَ بِهِ وَدَسَ خَادِمَهُ حَتَّى عَايَةَ يَسَّاولَهُ. فَأَعْدَدَ
 آبَنْ بَحْرِيْشُوْعَ لِلَاْعِنَدَارِ ثَلَاثَ قِطْعَ مِنَ السَّمَكِ فِي ثَلَاثَةِ أَقْدَاجٍ خَلَطَ
 إِحْدَاهَا بِاللَّهْمِ الْمُعَاكِجِ بِالْتَّوَابِلِ وَالْبَقُولِ وَالْبُوارِ وَالْخُلُوَّ. وَصَبَ
 عَلَى الْثَّالِثَةِ مَاَهَ مُتَجَّا. وَعَلَى الْثَّالِثَةِ خَمْرًا صِرْفًا. وَقَالَ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّالِثَةِ:
 هَذَا طَعَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ خُلَطَ السَّمَكُ بِغَيْرِهِ أَوْ لَمْ يُخْلِطْ: وَقَالَ فِي
 الْثَّالِثَةِ هَذَا طَعَامُ آبَنْ بَحْرِيْشُوْعَ وَدَفَعَهَا إِلَى صَاحِبِ الْمَائِدَةِ حَتَّى إِذَا أَنْتَهَ
 الرَّشِيدُ وَاحْضَنَ لِلْتَّوْبَيْنِ أَحْضَرَ أَقْدَاجَ فَوْجَدَ صَاحِبَ الْخَمْرِ قَدْ أَخْنَاطَ
 وَأَمَّاعَ وَتَفَتَّ وَوَجَدَ الْأَخَرَيْنِ قَدْ فَسَدَا وَتَغَيَّرَتْ رَائِحَتُهُمَا

فَكَانَتْ لَهُ فِي ذَلِكَ مَعْدِرَةٌ وَتَبَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ حَالَ الرَّشِيدِ فِي
 أَجِنَّنَابِ الْخَمْرِ كَانَتْ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ بَطَانَتِهِ وَأَهْلِ مَائِدَتِهِ. وَلَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ
 أَنَّهُ عَاهَدَ بِحَسْبِ أَيِّ نُوَاسٍ لِمَا بَلَغَهُ مِنْ أَنْهِمَا كِهِ فِي الْمُعَاكِرَةِ حَتَّى تَابَ وَأَفْلَعَ.
 وَإِنَّمَا كَانَ الرَّشِيدُ يَشْرُبُ نَيْذَ النَّمِرِ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَفَتَاوِيهِمْ فِيهَا
 مَعْرُوفَةٌ. وَمَا الْخَمْرُ الْصِّرْفُ مِنَ الْعِنَبِ فَلَا سَيِّلَ إِلَى أَيِّهِمْ يَهَا وَلَا تَقْلِيدُ
 الْأَخْبَارُ الْوَاهِيَّةُ فِيهَا. فَلَمْ يَكُنْ الرَّجُلُ بِحَيْثُ يُوَاقِعُ مُحَرَّرًا مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ

عِنْدَ أَهْلِ الْمِلَّةِ. وَلَقَدْ كَانَ أُولَئِكَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بِمَخَاهِيْنِ حِنْثِ الْسَّرَّفِ
وَالْتَّرَفِ فِي مَلَابِسِهِمْ وَزِينَتِهِمْ وَسَائِرِ مُتَنَاوِلَاتِهِمْ لَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خُشُونَةِ
الْبَدَاوِةِ وَسَدَاجَةِ الدِّينِ أَنَّى لَمْ يُفَارِقُوهَا بَعْدُ. فَمَا ذَنَكَ بِهَا يَخْرُجُ عَنِ
الْإِبَاحَةِ إِلَى الْحَظْرِ وَعَنِ الْخِلْلَيْةِ إِلَى الْخِرْمَةِ. وَلَقَدْ أَتَقْنَقَ الْمُؤْرِخُونَ
الْطَّبَرِيُّ وَالْمَسْعُودِيُّ وَغَيْرُهُمَا عَلَى أَنَّ جَمِيعَ مَنْ سَلَفَ مِنْ خُلُفَاءِ بَنِي أَمِيَّةَ
وَبَنِي الْعَبَّاسِ إِنَّمَا كَانُوا يَرْكَبُونَ بِالْخِلْلَيْةِ الْخَفِيفَةِ مِنَ الْفِضَّةِ فِي الْمَنَاطِقِ
وَالسَّبِيْفِ وَالْجَمِّ وَالسُّرُوجِ وَأَنَّ أَوَّلَ خَلِيفَةً أَحَدَثَ الرُّكُوبَ بِمُحْلَّيَةِ الْذَّهَبِ
هُوَ الْمَعْتَزُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ ثَامِنُ الْخُلُفَاءِ بَعْدَ الرَّشِيدِ وَهُكْمُهُ كَانَ حَالَمُ
أَيْضًا فِي مَلَابِسِهِمْ. فَمَا ذَنَكَ بِمَشَارِبِهِمْ وَيَتَبَيَّنُ ذَلِكَ يَا تَمَّ مِنْ هَذَا إِذَا
فَهِمْتَ طَبِيعَةَ الدَّوْلَةِ فِي أَوْلَاهَا مِنَ الْبَدَاوِةِ وَالْفَظَاظَةِ كَمَا نَشَرَ فِي مَسَائِلِ
الْكِتَابِ الْأَوَّلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

وَبِنَاسِبِهِذَا أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ مَا يَنْقُلُونَهُ كَافَةً عَنْ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ قَاضِيِّ
الْمَأْمُونِ وَصَاحِبِهِ وَأَنَّ كَانَ يُعَاقِرُ الْمَأْمُونَ الْخِرْمَرَ وَأَنَّهُ سَكَرَ لَيْلَةً مَعَ شَرِيهِ
فَدُفِنَ فِي الْرَّيْحَانِ حَتَّى أَفَاقَ وَبِنِشَدُونَ عَلَى لِسَانِهِ
يَاسِيدِيَّ وَأَمِيرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ - قَدْ جَارَ فِي حُكْمِهِ مِنْ كَانَ يَسْقِيَنِي
إِنِّي غَفَلْتُ عَنِ الْسَّاقِي فَصَبَرْنِي كَمَا تَرَانِي سَلِيبُ الْعُقْلِ وَالْدِينِ
وَحَالُ آبَنِ أَكْثَمَ وَالْمَأْمُونِ فِي ذَلِكَ مِنْ حَالِ الرَّشِيدِ وَشَرَابِهِمْ إِنَّمَا
كَانَ النَّيْذَوَمَ يَكُنْ مَحْظُورًا عِنْهُمْ . وَأَمَّا السَّكُرُ فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِهِمْ
وَصَحَابَتُهُ لِلْمَأْمُونِ إِنَّمَا كَانَ خُلَّةً فِي الدِّينِ. وَلَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ كَانَ يَنَامُ مَعَهُ
فِي الْبَيْتِ وَنُقْلَ مِنْ فَضَائِلِ الْمَأْمُونِ وَحُسْنِ عِشْرَتِهِ أَنَّهُ أَنْتَهَ دَاتَ لَيْلَةً

فَقَامَ يَجْسِسُ وَيَلْتَمِسُ الْإِنَاءَ مَخَافَةً أَنْ يُوْقِطَ يَحْيَى بْنَ أَنَّثَمَ وَبَثَ أَنَّهَا
 كَانَ اصْلَيَانِ الصُّبْحَ جَمِيعًا. فَأَيْنَ هَذَا مِنَ الْمُعَاوِقَةِ. وَأَيْضًا يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ
 كَانَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ. وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلَ وَالْفَاضِي
 إِسْمَاعِيلُ وَخَرَجَ عَنْهُ التَّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِهِ الْجَامِعِ. وَذَكَرَ الْمَحَافِظُ الْمُزْنِيُّ أَنَّ
 أَلْجَارِيَّ رَوَى عَنْهُ فِي غَيْرِ الْجَامِعِ فَالْفَدْحُ فِيهِ قَدْحٌ فِي جَمِيعِهِ
 وَكَذَلِكَ نَبَرَةُ الْجَانِ بِالْمَيْلِ إِلَى الْغِلْمَانِ بُهْتَانًا عَلَى اللَّهِ وَفِرِيَةَ عَلَى الْعُلَمَاءِ
 وَيَسْتَنِدونَ فِي ذَلِكَ إِلَى أَخْبَارِ الْقَصَاصِ الْوَاهِيَةِ الَّتِي لَعَلَهَا مِنْ أَفْرَارِ
 أَعْدَاءِهِ. فَإِنَّهُ كَانَ مُحَسَّدًا فِي كَالَّهِ وَخُلُّتِهِ لِلْسَّلَطَانِ وَكَانَ مَقَامُهُ مِنَ الْعِلْمِ
 وَالَّذِينَ مُنْزَهُونَ عَنِ مِثْلِ ذَلِكَ. وَقَدْ ذُكِرَ لِابْنِ حَنْبَلِ مَا يَرْوِيهِ بِهِ النَّاسُ
 فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْكِلُ هَذَا وَأَنْكِرْ ذَلِكَ إِنْكَارًا شَدِيدًا
 وَأَثْنَى عَلَيْهِ. وَقَيلَ لِإِسْمَاعِيلِ يَحْيَى كَانَ يُفَالُ فِيهِ فَقَالَ مَعَادَ اللَّهِ أَنْ تَرُولَ
 عَدَالَةُ مِثْلِهِ بِتَكْذِيبِ بَاغِ وَحَاسِدٍ وَقَالَ كَانَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ أَبْرَأَ إِلَى اللَّهِ
 مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ حِمَّا كَانَ يَرْمِي بِهِ مِنْ أَمْرِ الْغِلْمَانِ. وَلَقَدْ كُنْتُ أَقِفُ
 عَلَى سَرَائِعِ فَاحِدٍ شَدِيدَ الْخُوفِ لِلَّهِ لِكُنْهِ كَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ وَحُسْنُ خُلُقٍ
 فَرُمِيَ بِهَا رُمِيَ بِهِ وَذَكَرَهُ أَبْنُ حَيَّانَ فِي الْثِقَاتِ وَقَالَ لَا يُشْتَغِلُ بِهَا يَحْيَى
 عَنْهُ لَأَنَّ الْأَشْرَهَا لَا تَصْحُ عَنْهُ

وَمِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْمُحَكَّمَاتِ مَا نَفَلَهُ أَبْنُ عَبْدِ الرَّبِّيِّ صَاحِبُ الْعِقْدِ مِنْ
 حَدِيثِ الْزَّنِيلِ فِي سَبَبِ إِصْهَارِ الْمَأْمُونِ إِلَى الْمُحَسَّنِ بْنِ سَهْلٍ فِي بِنْتِهِ
 بُورَانَ..... وَأَيْنَ هَذَا كُلُّهُ مِنْ حَالِ الْمَأْمُونِ الْمَعْرُوفَةِ فِي دِينِهِ وَعِلْمِهِ
 وَاقْتِنَافِهِ سُنَّ الْمُخْلَفَاءِ الْرَّاشِدِيَّاتِ مِنْ آبَائِهِ وَآخِنِهِ بِسِيرَ الْمُخْلَفَاءِ

الْأَرْبَعَةِ أَرْكَانُ الْمِلَّةِ وَمُنَاوَرَتِهِ لِلْعُلَمَاءِ وَحِفْظِهِ لِلْخُدُودِ فِي صَلَواتِهِ
وَالْحَكَامِ فَكَيْفَ تَصْحُّ عَنْهُ أَحْوَالُ الْفُسُاقِ الْمُشْهُورِينَ فِي الْتَّصْوَافِ بِاللَّيلِ
وَطُرُوقِ الْمَنَازِلِ وَغِشْيَانِ الْسَّمَرِ سَيِّلِ عُشَاقِ الْأَعْرَابِ وَأَيْنَ ذَلِكَ
مِنْ مَنْصِبِ بَنْتِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ وَشَرَفُهَا وَمَا كَانَ يَدْعَارِ أَيْمَانَ الْصَّوْنِ
وَالْعَفَافِ

وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْحِكَمَاتِ كَثِيرَةٌ وَفِي كُتُبِ الْمُؤْرِخِينَ مَعْرُوفَةٌ فَإِنَّمَا يَبْعَثُ
عَلَى وَضِعَهَا وَأَنْجِيدِيهَا إِلَيْهَا كُفَّارُ الْلَّذَّاتِ الْمُحَرَّمَةِ وَهَذِهِ قِنَاعَ
الْمُرْوَاتِ وَيَتَعَلَّلُونَ بِالْقَوْمِ فِيمَا يَأْتُونَهُ مِنْ طَاعَةِ لَذَّاتِهِمْ فَلِذِلِكَ تَرَاهُمْ
كَثِيرًا مَا يَلْهُجُونَ بِأَشْبَاهِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ وَبِنَفْرُونَ عَنْهَا عِنْدَ تَصْخِيمِ الْأَوْرَاقِ
الْأَدْوَارِ وَلَوْلَا أَتَسْتَوْهُمْ فِي غَيْرِ هَذَا مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَصِفَاتِ الْكَالَ الْلَّائِقَةِ
بِهِمْ الْمُشْهُورَةُ عَنْهُمْ لِكَانَ خَيْرًا لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَلَقَدْ عَذَلَتْ يَوْمًا
بَعْضَ الْأَمْرَاءِ مِنْ أَوْلَادِ الْمُلُوكِ فِي كُلِّهِ يَتَعَلَّمُ الْغِنَاءَ وَلُوعَهُ يَا لَأَوْتَارِ
وَقُلْتُ لَهُ لَيْسَ هَذَا مِنْ شَانِكَ وَلَا يَلِيقُ بِمَنْصِبِكَ فَقَالَ لِي أَفْلَاتَرَى إِلَى
إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ كَيْفَ كَانَ إِمَامًا هَذِهِ الْأَصْنَاعَةِ وَرَئِسَ الْمُغَيْبِينَ فِي
زَمَانِهِ فَقُلْتُ لَهُ يَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَهَلَا تَاسِيتَ بِأَيْهِ أَوْ أَخْبِرِهِ أَوْ مَارَأَيْتَ كَيْفَ

فَعَدَ ذَلِكَ بِإِبْرَاهِيمَ عَنْ مَنَاصِبِهِ فَصَمَّ عَنْ عَدْلِيٍّ وَأَعْرَضَ
وَمِنَ الْغَلَطِ الْمُخْنَفِيِّ فِي التَّارِيخِ الْكُثُولُ عَنْ تَبَدِّلِ الْأَحْوَالِ فِي الْأَمْمِ
وَالْأَجْيَالِ بِتَبَدِّلِ الْأَعْصَارِ وَمُرُورِ الْأَيَّامِ وَهُوَ دَاءٌ دَوِيٌّ وَشَدِيدٌ
الْخَنَاءُ إِذَا لَا يَقْعُدُ لَا بَعْدَ أَحْقَابٍ مُتَطَاوِلَةٍ وَلَا يَكُادُ يَنْفَطَنُ لَهُ إِلَّا الْأَحَادِ
مِنْ أَهْلِ الْخَلِيلَةِ وَذَلِكَ أَنَّ أَحْوَالَ الْعَالَمِ وَالْأَمْمِ وَعَوَادِهِمْ وَنَخْلَمُهُمْ

لَا تَدُومُ عَلَى وَتِيقَةٍ وَاحِدَةٍ وَمِنْهَا جِمْسُ مُسْتَقِرٌ. إِنَّمَا هُوَ أَخْتِلَافٌ عَلَى الْأَيَامِ
وَالْأَزْمِنَةِ وَأَنْتِقَالُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَكَمَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْأَشْخَاصِ
وَالْأَوْقَاتِ وَالْأَمْسَارِ فَكَذِلِكَ يَقُوْعُ فِي الْأَفَاقِ وَالْأَقْطَارِ وَالْأَزْمِنَةِ

وَالْأَدْوَلِ

وَقَدْ كَانَتِ فِي الْعَالَمِ أُمُّ الْفُرْسِ الْأُولَى وَالْإِسْرَائِيلُونَ وَالْبَطْ وَالْتَّابِعَةُ
وَبَنُو إِسْرَائِيلَ وَالْقِبْطُ. وَكَانُوا عَلَى أَحْوَالٍ خَاصَّةٍ بِهِمْ فِي دُولَمْ وَمَالَكَمْ
وَسِيَاسَتِهِمْ وَصَنَاعَتِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ وَاصْطَلَاحَاتِهِمْ وَسَائِرِ مُشَارِكَاتِهِمْ مَعَ أَبْنَاءِ
جِنِّيهِمْ فَأَحْوَالُ أَعْنَاءِهِمْ لِلْعَالَمِ تَشَهِّدُ بِهَا آثَارُهُمْ. ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ
الْفُرْسُ الْثَّانِيَةُ وَالرُّومُ وَالْعَرَبُ وَالْفَرْنَجُ. وَتَبَدَّلَتِ تِلْكَ الْأَحْوَالُ
وَأَنْقَلَبَتِ الْعَوَائِدُ إِلَى مَا يُجَاهِسُهَا وَيُشَاهِدُهَا وَإِلَى مَا يُبَايِنُهَا وَيُبَايِدُهَا. ثُمَّ
جَاءَ الْإِسْلَامُ بِدَوْلَةٍ مُضَرٍّ. فَأَنْقَلَبَتِ تِلْكَ الْأَحْوَالُ أَجْمَعُ أَنْقَلَابَةً أُخْرَى
وَصَارَتِ إِلَى مَا أَكْثَرُ مُتَعَارِفٌ فِي هَذَا الْعَهْدِ يَأْخُذُهُ الْخَلْفُ عَنِ السَّلَفِ. ثُمَّ
دَرَسَتِ دَوْلَةُ الْعَرَبِ وَأَيَّامُهُمْ وَذَهَبَ الْأَسْلَافُ الَّذِينَ شَيَّدُوا عِزَّهُمْ
وَهَدُوا مُلْكَهُمْ وَصَارَ فِي أَيْدِي سَوَامِمِ الْجَمْعِ مِثْلُ الْتُرْكِ بِالْمَشْرِقِ وَالْبَرِّ بِالْمَغْرِبِ وَالْفَرْنَجِ بِالشَّمَالِ فَذَهَبَتِ بِذَهَابِهِمْ أَمْ وَأَنْقَلَبَتِ أَحْوَالُ وَعَوَائِدُ
نَبِيَّ شَانِهَا وَأَغْفَلَ أَمْرَهَا

وَالسَّبُّ الْشَّائِعُ فِي تَبَدُّلِ الْأَحْوَالِ وَالْعَوَائِدِ. أَنَّ عَوَائِدَ كُلِّ حِيلٍ
تَابِعَةٌ لِعَوَائِدِ سُلْطَانِهِ كَمَا يُقَالُ فِي الْأَمْتَالِ الْمُحْكَمَيَّةِ النَّاسُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ.
وَأَهْلُ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ إِذَا أَسْتَوَوا عَلَى الدُّولَةِ وَالْأَمْرِ قَلَّا بُدَّأْنَ يَتَزَعَّعُوا
إِلَى عَوَائِدِ مَنْ قَبْلَهُمْ. فَيَأْخُذُونَ الْكَثِيرَ مِنْهَا وَلَا يُغْفِلُونَ عَوَائِدَ حِيلِهِمْ

مَعَ ذَلِكَ فَيَقُوْمُ فِي عَوَائِدِ الدَّوْلَةِ بَعْضُ الْخَالَفَةِ لِعَوَائِدِ التَّجْبِيلِ الْأَوَّلِ. فَإِذَا
جَاءَتْ دَوْلَةٌ أُخْرَى مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَزَجَتْ مِنْ عَوَائِدِهِمْ وَعَوَائِدِهَا خَالَفَتْ
أَيْضًا بَعْضَ الشَّيْءِ وَكَانَتْ لِلْأَوَّلِ أَشَدَّ مُخَالَفَةً. لَمْ لَا يَزَالُ التَّدْرِيجُ فِي
الْمُغَالَفَةِ حَتَّى يَنْتَهِ إِلَى الْبُبَابَيْنَ بِالْجُمْلَةِ. فَمَا دَامَتِ الْأَمْمُ وَالْأَجْيَالُ
تَعَاقِبُ فِي الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ لَا تَزَالُ الْمُغَالَفَةُ فِي الْعَوَائِدِ وَالْأَحْوَالِ
وَافْعَةً

وَالْقِيَاسُ وَالْحُكَمَاءُ لِلْأَنْسَانِ طَبِيعَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَمِنْ الْغَلطِ غَيْرِ مَأْمُونَةٍ
مُخْرِجُهُ مَعَ الدُّهُولِ وَالْغَفَلَةِ عَنْ مَقْصِدِهِ وَتَعْوِجُ بِهِ عَنْ مَرَامِهِ. فَرَبِّمَا سَعَى
السَّامِعُ كَثِيرًا مِنْ أَخْبَارِ الْمَاضِينَ فَلَا يَتَفَطَّنُ إِلَيْهِ وَقَعَ مِنْ تَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ
وَنِفَالِهَا فِي جِرِيَّهَا الْأَوَّلِ وَهَلَةً عَلَى مَا عَرَفَ وَيَقِيسُهَا بِمَا يَشَهُدُ. وَقَدْ يَكُونُ
الْفَرْقُ بَيْنَهَا كَثِيرًا فَيَقُوْمُ فِي هَوَاةِ مِنْ الْغَلطِ

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا يَتَوَهَّمُهُ الْمُتَصَبِّحُونَ لِكِتَابِ التَّارِيخِ إِذَا سَمِعُوا
أَحْوَالَ الْقَضَاءِ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ أَرْتَائِسَةٍ فِي الْحُرُوبِ وَقَوْدِ الْعَسَاكِرِ
فَتَرَاهُمْ يَوْمَ وَسَاوِسُ الْهَمِّ إِلَى مِثْلِ تِلْكَ الرُّتبَ يَحْسُبُونَ أَنَّ الشَّانَ فِي
خَطْبَةِ الْقَضَاءِ لِهَذَا الْعَهْدِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَيَظْنُونَ بِأَبْنَى أَيِّ
عَامِرٍ حَاجِبٍ هِشَامٍ الْمُسْتَبِدِ عَلَيْهِ وَأَبْنَى عَبَادٍ مِنْ مُلُوكِ الْطَّوَافِيفِ بِإِشْبَيلِيَّةِ
إِذَا سَمِعُوا أَنَّ أَبْنَاءَهُمْ كَانُوا قَضَاءَ أَنْهُمْ مِثْلُ الْقَضَاءِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَا يَتَفَطَّنُونَ
لِمَا وَقَعَ فِي رُتبَةِ الْقَضَاءِ مِنْ مُخَالَفَةِ الْعَوَائِدِ كَمَا نُبَيِّنُهُ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ مِنْ
الْكِتَابِ الْأَوَّلِ. وَأَبْنُ أَبِي عَامِرٍ وَأَبْنُ عَبَادٍ كَانَا مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ
الْقَائِمَيْنَ بِالْدَّوْلَةِ الْأَمْوَابِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَهُلُلَ عَصَبَيْنَهَا. وَكَانَ مَكَانُهُمْ

فِيهَا مَعْلُومًا وَمَيْكُنْ نَيْلُهُمْ لِمَا نَالُوهُ مِنَ الرِّئَاسَةِ وَالْمُلْكِ بِخَطْطِ الْقَضَاءِ كَمَا
هِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ. بَلْ إِنَّمَا كَانَ الْقَضَاءُ فِي الْأَمْرِ الْقَدِيرِ لِأَهْلِ الْعَصَبَاتِ
مِنْ قَبَائِلِ الدُّولَةِ وَمَوَالِيهَا كَمَا هِيَ الْوِزَارَةُ لِعَهْدِنَا بِالْمَغْرِبِ. وَإِنْظُرْ
خُرُوجَهُمْ بِالْعَسَاكِرِ فِي الصَّوَافِيفِ وَتَقْلِيدَهُمْ عَظَامَ الْأَمْرِ أَنَّهُ لَا تُقْدَدُ
إِلَّا لِمَنْ لَهُ الْغَنَاءُ فِيهَا بِالْعَصَبَيَّةِ فَيَغْلِطُ الْسَّاعِدُ فِي ذَلِكَ وَيَحْمِلُ الْأَحْوَالَ
إِلَى عَيْرِ مَا هِيَ

وَأَكْثَرُ مَا يَقُوْعُ فِي هَذَا الْغَلَطِ ضُعْفَاءُ الْبَصَائِرِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا
الْعَهْدِ لِنَقْدَانِ الْعَصَبَيَّةِ فِي مَوَاطِنِهِمْ مُنْذُ أَعْصَارٍ يَعِدُّ لِفَنَاءِ الْعَرَبِ
وَدَوْلَتِهِمْ بِهَا وَخُرُوجَهُمْ عَنْ مَلَكَةِ أَهْلِ الْعَصَبَيَّةِ مِنَ الْبَرِّ بِقَبِيْتِ أَنْسَابِهِمْ
الْعَرَبِيَّةِ مَحْفُوظَةً وَالذَّرِيعَةُ إِلَى الْعِزَّةِ مِنَ الْعَصَبَيَّةِ وَالْتَّنَاصُرِ مَفْوَدَةً بَلْ
صَارُوا مِنْ جُمْلَةِ الرَّعَايَا الْمُتَخَازِلِينَ الَّذِينَ تَبَعَّدُهُمُ الْقُهْرُ وَزَيَّمُوا لِلْمَدَلَّةِ
يَحْسِبُونَ أَنَّ أَنْسَابَهُمْ مَعَ مُخَالَطَةِ الدُّولَةِ هِيَ الَّتِي يَكُونُ بِهَا الْغَلْبُ وَالْحُكْمُ
فَتَجِدُ أَهْلَ الْحِرْفِ وَالصَّنَاعَةِ مِنْهُمْ مُتَصَدِّينَ لِذَلِكَ سَاعِينَ فِي نِيلِهِ. فَأَمَّا
مَنْ يَاشَرَ أَحْوَالَ الْقَبَائِلِ وَالْعَصَبَيَّةِ فِي دُوَلِهِمْ بِالْعَدْوَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ وَيَفِتَّ
يَكُونُ التَّغْلِبُ بَيْنَ الْأَمْرِ وَالْعَشَائِرِ فَقَلَّمَا يَغْلِطُونَ فِي ذَلِكَ وَيَخْطِلُونَ
فِي أَعْنَبَارِهِ

تَمَّ الْمَنْقُولُ مِنْ كِتَابِ الْعَبَرِ وَدِيَوَانِ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ

لِابْنِ خَلْدُونَ

مُخْبَرٌ

مِنْ كِتَابِ تَفْعِيلِ الْطَّيْبِ مِنْ غُصْنِ الْأَنْدَلُسِ الْرَّطِيبِ
تَالِيفِ الْعَلَمَةِ الْمُغْرِبِيِّ

فِي وَصْفِ جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ

فَأَقُولُ مَحَاسِنُ الْأَنْدَلُسِ لَا تُسْتَوِي بِعِبَارَةٍ وَمُجَارِيَهُ فَضْلِهَا لَا يُشْقِي
عِبَارَهُ وَأَنِي مُجَارَى وَهِيَ الْحَائِنَةُ فَصَبَ السَّبَقَ فِي أَفْطَارِ الْغَربِ وَالشَّرْقِ.
قَالَ أَبْنُ سَعِيدٍ إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِالْأَنْدَلُسِ بْنُ طُوبَالَ بْنُ يَافَّةَ بْنُ نُوحٍ
لِأَنَّهُ نَزَّلَهَا كَمَا أَنَّ أَخَاهُ سُبْتَ بْنَ يَافَّةَ نَزَّلَ الْعُدُوَّةَ الْمُقَابِلَةَ لَهَا وَإِلَيْهِ
تُنْسَبُ سَبَّتَهُ. قَالَ وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ يُحَافِظُونَ عَلَى قَوْمَ الْلِسَانِ الْعَرَبِيِّ
لِأَنَّهُمْ إِمَامًا عَرَبٌ أَوْ مُعْرِبُونَ أَنَّهُمْ . وَقَالَ أَبْنُ غَالِبٍ إِنَّهُ أَنْدَلُسُ بْنُ
يَافَّةَ وَاللهُ أَعْلَمُ خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الرَّبِيعِ وَغَدَقِ الْسُّقِيَا
وَلَذَادَةِ الْأَقْوَاتِ وَنَرَاهَةِ الْحَيَوانِ وَدَوْرِ الْغَواكِهِ وَكَثْرَةِ الْمِيَاهِ وَتَجْرِي
الْعِمْرَانِ وَجُودَةِ الْلِبَاسِ وَشَرْفِ الْأَنْيَةِ وَكَثْرَةِ الْسِلَاجِ وَصِحَّةِ الْهَوَاءِ
وَأَيْضًا صِصِّ الْوَانِ الْإِنْسَانِ وَنَبْلِ الْأَذْهَانِ وَفُنُونِ الْصَنَاعَةِ وَشَهَامَةِ
الْطِبَاعِ وَنُورُهُ إِلَيْهِ الْأَدْرَاكِ وَاحْدَامِ الْتَمَدُّنِ وَلَا يَغْنِيَنَا حُرْمَهُ الْكَثِيرُ مِنَ
الْأَفْطَارِ حِسَابُهَا. أَنَّهُ

قَالَ أَبُو عَامِرِ الْسَّلَيْبيِ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِدُرُرِ الْقَلَائِدِ وَغَرِيرِ الْفَوَائِدِ
الْأَنْدَلُسُ مِنَ الْأَقْلِيمِ الشَّامِيِّ وَهُوَ خَيْرُ الْأَقْلِيمِ وَأَعْدَلُهُوَهُ وَتَرَابًا
وَأَعْذَبُهَا مَاءً وَأَطْبَبُهَا هَوَاءً وَحَيْوَانًا وَنَبَاتًا وَهُوَ أَوْسَطُ الْأَقْلِيمِ وَخَيْرُ

الأمور أو ساطها. أنتهى

قال أبو عبد الله البكري أندلس شامية في طيبها وهايئها يمانية في
عندالها واستواعها هندية في عطرا وذكرا عنها أهوازية في عظم جبارها
صينية في جواهر معادنها عدنية في منافع ساحلها. فيها آثار عظيمة
ليونانية أهل الحكمة وحالي الفلسفة. وكان من ملوك الذين أثروا
الآثار بالأندلس هرقلس وله الأثر في الصنم بجزيره قادس وصنم جليلية
والآخر في مدينة طركونه الذي لا نظير له

قال المسعودي بلاد الأندلس تكون مسيرة عماها ومدتها نحو
شهرين ولم من المدن الموصوفة نحو منأربعين مدينة أنتهى باختصار
ونحوه لأبن أبيسع إذ قال طولها من أربونة إلى إشبوة وهو قطع
ستين يوما للفارس الحدي وانتقد بأمر من أحدها أنه يتضي أن أربونة
داخلة في جزيرة الأندلس وال الصحيح أنها خارجة عنها. والثاني أنت قوله
ستين يوما للفارس الحدي أعيانه وإفراط وقد قال جماعة أنها شهر
ونصف. قال ابن سعيد وهذا يقرب إذا لم يكن للفارس الحدي
وال صحيح ما نص عليه الشريف من أنها مسيرة شهر وكذا قال الحجازي
وقد سالت المسافرين المحققيين عن ذلك فعملوا حسابا بالمراحل التجوية
أفضى إلى نحو شهر ونصف قليل

قال الحجازي في موضع من كتابه إن طول الأندلس من الحاجز
إلى إشبوة ألف ميل ونصف له وبالمجملة فالمراد التقرير من غير
مشاحنة قاله ابن سعيد وأطال في ذلك ثم قال بعد كلام ومسافة

أَنْحَاجِ الَّذِي يَنْ بَحْرَ الْرِّفَاقِ وَالْبَحْرِ الْمُجِيطِ أَرْبَعُونَ مِيلًا وَهَذَا عَرْضُ
الْأَنْدَلُسِ عِنْدَ رَأْسِهَا مِنْ جَهَةِ الْشَّرْقِ وَلِقَلْبِهِ سُيَّتْ جَزِيرَةٌ وَإِلَّا فَلَيَسْتَ
بِجَزِيرَةٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا تَصَالِ هَذَا الْقَدْرُ بِالْأَرْضِ الْكَيْنَقِ. وَعَرْضُ جَزِيرَةِ
الْأَنْدَلُسِ فِي مَوْسِطِهِ عِنْدَ طُلْبِطَلَةِ سِتَّةَ عَشَرَ يَوْمًا.....

قَالَ الشَّيخُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبْنُ مُوسَى الرَّازِيِّ : بَلَدُ الْأَنْدَلُسِ هُوَ آخِرُ
الْأَفْلِيمِ الْرَّابِعِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَهُوَ عِنْدَ الْحُكْمَاءِ بَلَدُ كَرِيمِ الْبَقَعَةِ طَيْبُ
الْنُّرْبَةِ خِصْبُ الْجَنَابِ مُنْسَخُ الْأَنْهَارِ الْغَزَارِ وَالْعَيْنُونِ الْعِدَابِ . قَلِيلُ
الْهَوَامِ دَوَاتِ الْسُّومِ . مُعْتَدِلُ الْهَوَاءِ وَالْجَنْوِيِّ وَالْتَّسِيمِ رَيْسِهِ وَخَرِيفُهُ
وَمَشَاهِهِ وَمَصِيفُهُ عَلَى قَدَرِ مِنَ الْأَعْتِدَالِ وُسْطَهُ مِنَ الْمُحَالِ لَا يَتَوَلَّ فِي
أَحَدِهَا فَصَلْ يَتَوَلَّ مِنْهُ فِيمَا يَتَلَوُهُ أَنْتِقَاصُ تَنَصِّلُ فَوَأْكُهُ أَكْثَرُ الْأَزْمِنَةِ
وَتَدُومُ مُتَلَاحِفَةً غَيْرُ مَفْقُودَةِ . أَمَّا السَّاحِلُ مِنْهُ وَنَوَاحِيهِ فَيَبَدِّلُ
يَبَادِلُ . وَأَمَّا الشَّرْفُ وَجَهَاتُهُ وَأَنْجَابُ الْمُخْصُوصَةِ يَرْدِ الْهَوَاءِ فَيَتَأَخَّرُ
بِالْكَثِيرِ مِنْ ثَمَرِ فَادِهِ الْخَيْرَاتِ بِالْبَلَدِ مَنَادِيَةً فِي كُلِّ الْأَحْيَانِ وَفَوَأْكُهُ
عَلَى الْجُمِلَةِ غَيْرُ مَعْدُومَةِ فِي كُلِّ أَوَانِ . وَلَهُ خَوَاصٌ فِي كَرْمِ النَّبَاتِ
تُوَافِقُ فِي بَعْضِهَا أَرْضَ الْهَنْدِ الْمُخْصُوصَةِ يَكْرَمُ النَّبَاتِ وَجَوَاهِيرُهُ مِنْهَا
أَنَّ الْخَلْبَ وَهُوَ الْمَقْدُومُ فِي الْأَفَاوِيِّ وَالْمُفَضُّلُ فِي أَنْوَاعِ الْأَشْنَانِ
لَا يَبْنِي شَيْئًا مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا بِالْهَنْدِ وَالْأَنْدَلُسِ . وَلِلْأَنْدَلُسِ الْمُدُنُ
الْخَصِينَةُ وَالْمَعَاقِلُ الْمَنِيعَةُ وَالْقِلَاعُ الْخَرِينَةُ وَالْمَصَانِعُ الْجَلِيلَةُ وَهَا الْبَرُّ
وَالْبَحْرُ وَالْسَّهْلُ وَالْوَعْرُ وَشَكْلُهَا مُثْلَثٌ

وَهِيَ مَعْتَمِدَةٌ عَلَى ثَلَاثَةِ أَرْكَانِ الْأَوَّلُ هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي فِيهِ صَمْ قَادِسَ

المَسْهُورُ بِالأنْدَلُسِ وَمِنْهُ مَخْرُجُ الْبَحْرِ الْمُتَوَسِطِ الشَّامِيُّ الْأَخْذُ يَقْبِلُ
الأنْدَلُسِ. وَالرُّكْنُ الثَّانِيُّ هُوَ بِشَرْقِيَّةِ الأنْدَلُسِ بَيْنَ مَدِينَةِ بَرْيُونَةَ وَمَدِينَةِ
بَرْدِيلَ حَمَّا يَدِيِّ الفَرْجَيَّةِ الْيَوْمِ يَازِعَ جَزِيرَةِ مِيُورَقَةَ وَمُنْوَرَقَةَ بِجَارِيَّةِ
مِنَ الْبَحْرِيْنِ الْبَحْرِ الْمُجِيْطِ وَالْبَحْرِ الْمُتَوَسِطِ وَبَيْنَهَا الْبَرُّ الَّذِي يُعْرَفُ
بِالْأَبْوَابِ وَهُوَ الْمَذْدُولُ إِلَى بِلَادِ الأنْدَلُسِ مِنَ الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ عَلَى
بَلَدِ الْفَرْجَيَّةِ. وَمَسَافَتُهُ بَيْنَ الْبَحْرِيْنِ مَسِيقَةُ يَوْمَيْنِ وَمَدِينَةِ بَرْيُونَةَ تُقَابِلُ
الْبَحْرِ الْمُجِيْطَ. وَالرُّكْنُ الثَّالِثُ مِنْهَا هُوَ مَا بَيْنَ الْجَوْفِ وَالْعَرَبِ مِنْ حَيْزِ
جَلِيقِيَّةِ حِيثُ الْجَبَلُ الْمُوْفِيُّ عَلَى الْبَحْرِ. وَفِيهَا الصَّنْمُ الْعَالِيُّ الْمُشَبَّهُ بِصَفَّ
قَادِسَ وَهُوَ الطَّالِعُ عَلَى بَلَدِ بَرْطَانِيَّةِ

قَالَ وَالأنْدَلُسُ أَنْدَلُسَاتٌ فِي أَخْتِلَافِ هُبُوبِ رِيَاحِهَا وَمَوَاقِعِ
أَمْطَارِهَا وَجَرَيَانِهَا أَنْهَارَهَا أَنْدَلُسُ غَرْبِيُّ وَأَنْدَلُسُ شَرْقِيُّ. فَالْغَرْبُ يُمْهِمُهَا
مَا جَرَتْ أَوْدِيَتُهُ إِلَى الْبَحْرِ الْمُجِيْطِ الْغَرْبِيِّ وَيُمْطَرُ بِالرِّياحِ الْغَرْبِيَّةِ
وَمُبَتَّدِأُهُذَا الْحَوْزِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ مَعَ الْمَفَازَةِ الْخَارِجَةِ مَعَ الْجَوْفِ إِلَى
بَلَدِ شَنْتَرِيَّةِ طَالِعاً إِلَى حَوْزِ الْغَرِيْطَةِ الْجَارِيَّةِ لِطَلْبِ طَلَّةِ مَائِلَا إِلَى
الْغَرْبِ وَمُجَاوِرًا لِلْبَحْرِ الْمُتَوَسِطِ الْمَوَازِيِّ لِتَرْطَاجَنَةِ الْحَلْفَاءِ الْأَنْتِيِّ مِنْ بَلَدِ
لُورَقَةَ وَالْحَوْزُ الشَّرْقِيُّ الْمَعْرُوفُ بِالأنْدَلُسِ الْأَقْصَى وَنَجْرِيُّ أَوْدِيَتُهُ إِلَى
الْشَّرْقِ قِيَامَطَارُهُ بِالرِّيحِ الْشَّرْقِيَّةِ وَهُوَ مِنْ حَدِّ جَبَلِ الْبَشْكِنْشِ هَابِطًا مَعَ
وَادِيِّ إِبْنَ إِلَى بَلَدِ شَنْتَرِيَّةِ. وَمِنْ جَوْفِهِ هُذَا وَغَرْبِهِ الْبَحْرِ الْمُجِيْطُ
وَفِي الْفِيْلَةِ مِنْهُ الْبَحْرُ الْغَرْبِيُّ الَّذِي مِنْهُ نَجْرِيُّ الْبَحْرِ الْمُتَوَسِطِ الْخَارِجُ إِلَى
بَلَدِ الشَّامِ وَهُوَ الْبَحْرُ الْمُسْمَى بِسَهْرِ تِرَانَ وَمَعْنَاهُ الَّذِي يَسْقُطُ دَائِئِنَّ

أَلْأَرْضِ وَيُسَيِّدُ الْبَحْرَ الْكَبِيرَ. أَنْتَهَا
 قَالَ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْحَكْمَ الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ النَّظَامِ بَلْدُ الْأَنْدَلُسِ
 عِنْدَ عُلَمَاءِ أَهْلِهِ أَنْدَلُسَانِ فَالْأَنْدَلُسُ الشَّرِقِيُّ مِنْهُ مَا صَبَتْ أَوْ دَيْتُهُ إِلَى
 الْبَحْرِ الرَّوْمَى الْمُتوَسِّطِ الْمُتَصَاعِدِ مِنْ أَسْفَلِ أَرْضِ الْأَنْدَلُسِ إِلَى الْمَشْرِقِ
 وَذَلِكَ مَا بَيْنَ مَدِينَةِ تَدْمِيرٍ إِلَى سَرْقَسْطَةَ وَالْأَنْدَلُسُ الْغَرْبِيُّ مَا صَبَتْ
 أَوْ دَيْتُهُ إِلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ الْمَعْرُوفِ بِالْمُجِيطِ أَسْفَلَ مِنْ ذَلِكَ الْكَدْدَى إِلَى
 سَاحِلِ الْمَعْرِبِ فَالشَّرْقُ مِنْهَا يُمْطَرُ بِالرِّيحِ الشَّرْقِيَّةِ وَيَصْلُحُ عَلَيْهَا وَالْغَرْبُ
 يُمْطَرُ بِالرِّيحِ الْغَرْبِيَّةِ وَهَا صَلَادُهُ وَجَبَالُهُ هَا بَطَأَةُ إِلَى الْغَرْبِ جَبَلًا بَعْدَ
 جَبَلٍ وَإِنَّمَا قَسَمَهُ أَلْأَوَائِلُ جُزُءَيْنِ لِأَخْتِلَافِهِمَا فِي حَالِ أَمْطَارِهِمَا وَذَلِكَ
 أَنَّهُ مَهَا أَسْتَحْكَمَتِ الرِّيحُ الْغَرْبِيَّةُ كَثُرَ مَطْرُ الْأَنْدَلُسُ الْغَرْبِيُّ وَقَطَّ
 الْأَنْدَلُسُ الشَّرِقِيُّ وَمَنِ أَسْتَحْكَمَتِ الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ كَثُرَ مَطْرُ الْأَنْدَلُسِ
 الشَّرِقِيُّ وَقَطَّ الْغَرْبِيُّ وَأَوْدِيَةُ هَذَا الْقِسْمِ تَجْرِي مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ
 يَبْيَنَ هَذِهِ الْجِبَالِ وَجَبَالُ الْأَنْدَلُسِ الْغَرْبِيِّ تَمَدَّدُ إِلَى الْشَّرْقِ جَبَلًا بَعْدَ
 جَبَلٍ نَقْطَعُ مِنْ أَجْنُوبِهِ إِلَى الْقِبْلَةِ وَالْأَوْدِيَةِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ تِلْكَ الْجِبَالِ
 يَقْطَعُ بَعْضُهَا إِلَى الْقِبْلَةِ وَبَعْضُهَا إِلَى الْشَّرْقِ وَتَنَصَّبُ كُلُّهَا إِلَى الْبَحْرِ الْمُجِيطِ
 يَا الْأَنْدَلُسِ الْقَاطِعِ إِلَى الشَّامِ وَهُوَ الْبَحْرُ الرَّوْمَى وَمَا كَانَ مِنْ بِلَادِ
 جَوْفِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ بِلَادِ حِلْقِيَّةِ وَمَا يَلِيهَا فَإِنَّ أَوْدِيَتِهِ تَنَصَّبُ إِلَى الْبَحْرِ
 الْكَبِيرِ الْمُجِيطِ بِنَاحِيَةِ الْجَوْفِ وَصِفَةُ الْأَنْدَلُسِ شَكْلٌ مُرْكَنٌ عَلَى مِثَالِ
 الشَّكْلِ الْمُثُلَّثِ رَجْنُهَا الْوَاحِدُ فِيمَا يَبْيَنَ الْجَنُوبَ وَالْمَغْرِبِ حِيثُ أَجْتَمَاعُ
 الْبَحْرَيْنِ عِنْدَ صَنْمِ قَادِسَةَ وَرَجْنُهَا الْثَّانِيُّ فِي بَلْدِ حِلْقِيَّةِ حِيثُ الصَّنْمُ

الْمُشِيهُ صَنَمَ فَادِسَ مُقَابِلَ جَزِيرَةِ بَرْطَانِيَّةِ . وَرُكْنُهَا الْتَّالِثُ بَيْنَ مَدِينَةِ
بَرْيُونَةِ وَمَدِينَةِ بَرْدِيلَ مِنْ بَلْدِ الْفَرْجَةِ يَحْيَى يَقْرُبُ الْبَحْرُ الْجُبِطُ مِنَ
الْبَحْرِ الشَّامِيِّ الْمُتوَسِطِ فَكَادَ إِنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فَيَصِرُّ بَلْدُ
الْأَنْدُلُسِ جَزِيرَةً يَنْهَا فِي الْحَقِيقَةِ لَوْلَا أَنَّهُ يَقِنُّهُمْ بِرْزَخِ بَرِّيَّةِ صَحْرَاءِ
وَعِمَارَةِ مَسَافَةِ مَسِيرَةِ يَوْمٍ لِلرَّاكِبِ مِنْهُ الْمَذْهَلُ إِلَى الْأَرْضِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي
يُقَالُ لَهَا الْأَبْوَابُ وَمِنْ قُبْلِهِ يَتَّصِلُ بَلْدُ الْأَنْدُلُسِ بِتِلْكَ الْبِلَادِ الْمَعْرُوفَةِ
بِالْأَرْضِ الْكَبِيرِ ذَاتِ الْأَلْسُنِ الْخُلَفَاءِ

قَالَ أَبْنُ سَعِيدٍ وَمِيزَانُ وَصْفِ الْأَنْدُلُسِ أَنَّهَا جَزِيرَةٌ قَدْ أَحْدَقَتْ
بِهَا الْبَحَارُ فَأَكْثَرَتْ فِيهَا الْخُصْبَ وَالْعِمَارَةَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ . فَمَنْ سَافَرَ مِنْ
مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ لَا تَكَادُ تَنْقَطِعُ مِنَ الْعِمَارَةِ مَا يَنْ قُرَرَ وَمِيَاهٌ وَمَزَارِعٌ
وَالصَّحَارِيِّ فِيهَا مَعْدُومَةٌ . وَمَا أَخْتَصَتْ بِهِ أَنْ قُرَاهَا فِي نِهايَةِ مِنَ الْجَهَالِ
لِتَصْنَعَ أَهْلَهَا فِي أَوْضَاعِهَا وَتَبْيَضُهَا لِلْأَنْبُوِّ الْعَيْنُ عَنْهَا فَهِيَ كَمَا قَالَ
الْوَزِيرُ أَبْنُ الْحِمَارَةِ فِيهَا

لَاحَتْ قُرَاهَا بَيْنَ خُضْرَ أَيْكَهَا كَالْدُرُّ بَيْنَ زَبْرَجَدِ مَكْنُونٍ
وَلَقَدْ تَعْجَبَتْ لَهَا دَخَلْتُ الْدِيَارَ الْمِصْرِيَّةَ مِنْ أَوْضَاعِ قُرَاهَا الَّتِي تُكَدِّرُ
الْعَيْنَ بِسَوَادِهَا وَبِضِيقِ الْصَّدْرِ بِضِيقِ أَوْضَاعِهَا . وَفِي الْأَنْدُلُسِ جِهَاتٌ
تَقْرُبُ فِيهَا الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ الْمُهْمَسَةُ مِنْ مِثْلِهَا . وَالْمِثَالُ فِي ذَلِكَ أَنَّكَ
إِذَا تَوَجَّهَتْ مِنْ إِشْبِيلِيَّةَ فَعَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَبَعْضِ آخِرِ مَدِينَةِ شَرِيشَ وَهِيَ
فِي نِهايَةِ مِنَ الْخَضَارَةِ وَالنَّصَارَةِ . ثُمَّ يَلْهَا الْجَزِيرَةُ الْخَضَرَاءُ كَذِلِكَ ثُمَّ
مَالَفَةُ . وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْأَنْدُلُسِ وَهُذَا كَثُرَتْ مُدُهُّمَهَا وَكَثُرُهَا مُسُورٌ مِنْ

أَجْلِ الْإِسْتِعْدَادِ لِلْعَدُوِّ فَحَصَلَ لَهَا بِذِكْرِ التَّشِيدِ وَالْتَّزِينِ وَفِي حُصُونِهَا
مَا يَقْنُى فِي مُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ مَا يُنِيبُ عَلَى عِشْرِينَ سَنَةً لِامْتِنَاعِ مَعَاقِلِهَا وَدُرْبِهَا
أَهْلِهَا عَلَى الْخَرْبِ وَأَعْيَادِهِمْ لِجُحاوِرَةِ الْعَدُوِّ بِالظُّنُونِ وَالضَّرْبِ وَكُثْرَةِ مَا
تَخْرِنُ الْغَلَةُ فِي مَطَامِيرِهَا. قَمِنَهَا مَا يَطُولُ صَبْنُ عَلَيْهَا نَحْواً مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ.
قَالَ أَبْنُ سَعِيدٍ وَلِذِكْرِ أَدَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ وَقْتِ النَّفْخِ إِلَى الْآنِ. وَإِنْ كَانَ
الْعَدُوُّ قَدْ نَفَصَهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَشَارَكَ فِي أَوْسَاطِهَا. فَفِي الْبَقِيَّةِ مَنْعَةٌ عَظِيمَةٌ
فَأَرْضُ بَقِيَ فِيهَا مِثْلُ إِشْبِيلِيَّةِ وَغَرْنَاطَةِ وَمَالَفَةِ وَالْمِرْيَةِ وَمَا يَنْضَافُ إِلَى
هُنْدِ الْحَوَاضِرِ الْعَظِيمَةِ الْمُهَصَّرَةِ الرَّجَاءِ فِيهَا قَوْبِيٌّ يَحْوِلُ اللَّهُ وَقُورُونَهُ. أَنْتَهُ
وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي إِشْبِيلِيَّةِ إِنَّهَا قَاعِدَةُ بِلَادِ الْأَنْدُلُسِ وَحَاضِرَتِهَا
وَمَدِينَةُ الْأَدَبِ وَاللَّهُوِّ وَالْطَّربِ وَهِيَ عَلَى ضَفَّةِ النَّهْرِ الْكَبِيرِ عَظِيمَةٌ
الشَّانِ طَبِيَّةُ الْمَكَانِ لَهَا الْبَرُّ الْمَدِيدُ وَالْبَحْرُ السَّاکِنُ وَالْوَادِيُّ الْعَظِيمُ وَهِيَ
قَرِيبَةُ مِنْ أَلْبَرِ الْحِيطَانِ إِلَى أَنْ قَالَ وَلَوْمَ يَكْنُ لَهَا مِنَ الشَّرَفِ إِلَّا مَوْضِعُ
الْشَّرَفِ الْمُقَابِلُ الْمُمْطَلُ عَلَيْهَا الْمَشْهُورُ بِالزَّيْتُونِ الْكَثِيرِ الْمُمْتَدِ فَرَاسَخَ
فِي فَرَاسَخَ لِكُوَّ. وَبِهَا مَنَارَةُ فِي جَامِعِهَا بَنَاهَا يَعْقُوبُ الْمَنْصُورُ لَيْسَ فِي بِلَادِ
الْإِسْلَامِ أَعْظَمُ بَنَاءً مِنْهَا وَعَسَلُ الشَّرَفِ يَبْقَى حِينَا لَا يَنْرَمِلُ وَلَا يَتَبَدَّلُ
وَكَذِلِكَ الْزَّيْتُ وَالْتَّيْنُ. وَقَالَ أَبْنُ مُفْلِحٍ إِنَّ إِشْبِيلِيَّةَ عَرُوسُ بِلَادِ
الْأَنْدُلُسِ لِأَنَّ تَاجِهَا الشَّرَفُ وَفِي عُنْقِهَا سِنْطُ النَّهْرِ الْأَعْظَمُ وَلَيْسَ فِي
الْأَرْضِ أَمْ حُسْنًا مِنْ هَذَا النَّهْرِ يُضاهِي دِجلَةَ وَالْقَرَاتَ وَالنِّيلَ تَسِيرُ
الْقَوَارِبُ فِيهِ لِلنَّزَهَةِ وَالسَّيْرِ وَالصَّيْدِ تَحْتَ ظِلَالِ الْقَارِ وَتَغْرِيدِ الْأَطْيَابِ
أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ مِيلًا وَيَتَعَاطِي النَّاسُ السَّرَّاحَ مِنْ جَانِبِهِ عَشْرَةَ فَرَاسَخَ فِي

عَمَارَةٌ مُتَصَلَّةٌ وَمَنَارَاتٌ مُرْتَفَعَةٌ وَبَرَاجٌ مُشَيَّدٌ وَفِيهِ مِنْ أَنْواعِ الْسُّمَكِ مَا
 لَا يُحْصَى . وَبِالْجَمْلَةِ فَهِيَ قَدْ حَازَتِ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ وَالزَّرْعَ وَالضَّرْعَ وَكُنْتَهُ
 الْثَّارِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ وَقَصْبَ السُّكُرِ وَجِمْعُ مِنْهَا الْقَرِيمُ الَّذِي هُوَ أَجَلُّ مِنَ
 اللَّهِ أَهْنَدِي وَزَيَّتْهُمْ بِهَا يُخْزِنُونَ نَحْنَ أَلْأَرْضُ أَكْثَرُ مِنْ تِلْمِيذَيْنَ سَنَةً . ثُمَّ
 يَعْتَصِرُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ أَكْثَرُهُمْ يَخْرُجُ مِنْهُ وَهُوَ طَرِيقٌ . أَنْتَ مُلْحِصًا
 وَلَمَّا ذَكَرَ أَبْنُ الْيَسَعِ الْأَنْدَلُسَ قَالَ لَا يَنْزَوْدُ فِيهَا أَحَدٌ مَا حَتَّى
 سَلَكَ لِكُنْتَهُ أَهْنَارِهَا وَعَبُورَهَا وَرَبِّهَا لَقِيَ الْمَسَافِرُ فِيهَا فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ
 أَرْبَعَ مَدَائِنَ وَمِنَ الْمَعَاقِلِ وَالْقَرَى مَا لَا يُحْصَى وَهِيَ بَطَاطُ خُضْرُ وَفُصُورُ
 يَيْضُ . قَالَ أَبْنُ سَعِيدٍ وَأَنَا أَقُولُ كَلَامًا فِيهِ كَفَايَةٌ مُنْذُ خَرَجْتُ مِنْ
 جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ وَطَفَتُ فِي بَرِّ الْعُدُوفِ وَرَأَيْتُ مُدَنَّهَا الْعَظِيمَةَ كَمَرَّا كِشَّ
 وَفَاسَ وَسَلَاؤْ وَسَبَتَةَ . ثُمَّ طَفَتُ فِي أَفْرِيَقِيَّةَ وَمَا جَاءَهَا مِنَ الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ
 فَرَأَيْتُ بِحَايَةَ وَتُونُسَ . ثُمَّ دَخَلْتُ الدِّيَارَ الْمِصْرِيَّةَ فَرَأَيْتُ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ
 وَالْقَاهِرَةَ وَالْفَسْطَاطَ . ثُمَّ دَخَلْتُ الشَّامَ فَرَأَيْتُ دِمْشَقَ وَحَلَبَ وَمَا يَئِنُّهَا
 لَمْ أَرْ مَا يُشِيدُ رَوْنَقَ الْأَنْدَلُسِ فِي مِيَاهِهَا وَأَشْجَارِهَا إِلَّا مَدِينَةَ فَاسَ بِالْمَغْرِبِ
 الْأَقْصِيِّ وَمَدِينَةِ دِمْشَقِ الشَّامِ وَفِي حَمَّةَ مَسْحَةَ أَنْدَلُسِيَّةَ وَلَمْ أَرْ مَا يُشِيدُهَا
 فِي حُسْنِ الْمَبَانِيِّ وَالْتَّشْيِيدِ وَالْتَّصْنِيعِ إِلَّا مَا شِيدَ بِمَرَّا كِشَّ فِي دُولَةِ بَنِي عَبْدِ
 الْمُؤْمِنِ وَنَعْضُ الْأَماَكِنَ فِي تُونُسَ . وَإِنْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى تُونُسَ الْبِنَاءَ
 بِالْجِمَارَةِ كَالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَلَكِنَّ الْإِسْكَنْدَرِيَّةَ أَفْسَحُ شَوارِعَ وَأَبْسَطُ وَأَبْدَعُ
 وَمَبَانِي حَلَبَ دَاخِلَةٌ فِيهَا يُسْخَنُ لِأَنَّهَا مِنْ حِجَارَةِ صُلْبَةٍ وَفِي وَضْعِهَا وَتَرْتِيبِهَا
 إِنْقَانٌ . أَنْتَ مُلْحِصًا وَمِنْ أَحْسَنِ مَا جَاءَ مِنَ النَّظَمِ فِي الْأَنْدَلُسِ قَوْلُ أَبْنِ سَعِيدٍ

لَمْ يَرِيْنِيْ فَإِلَّا حَسَانُ لَهُ عَادَةٌ

فِي أَرْضِ أَنْدَلُسِ تَلَتَّدْ نَعْمَاءُ
وَلَيْسَ فِي غَيْرِهَا بِالْعِيشِ مُنْتَفِعٌ
وَأَيْنَ يُعَدُّ عَنْ أَرْضِ تَحْضُرُهَا
وَكَيْفَ لَا يُبَعِّجُ الْأَبْصَارَ رَوِيهَا
أَنْهَارُهَا فِضَّةٌ وَالْمِسْكُ تُرْبَهَا
وَلِلْهَوَاءِ بِهَا لَطْفٌ يَرِيقُ بِهِ
لَيْسَ النَّسِيمُ الَّذِي يَهْفُو بِهَا سَحَراً
وَإِنَّمَا أَرْجُ النَّدِيْ أَسْتَثَارَ بِهَا
وَأَيْنَ يَلْغُ مِنْهَا مَا أُصِيفُهُ
قَدْ مِيزَتْ مِنْ جَهَاتِ الْأَرْضِ حِينَ بَدَأَتْ فَرِيقَةً وَتَوَلَّتْ مِيزَهَا الْمَاءَ
دَارَتْ عَلَيْهَا نِطَاقاً أَبْجُورٌ خَفَقَتْ
لِذَاكَ يَسِيمُ فِيهَا الْزَّهْرُ مِنْ طَرَبٍ
فِيهَا خَلَعَتْ عِدَارِيْ مَا بِهَا عَوْضٌ
وَلِلَّهِ دُرُّ أَبْنِ خَفَاجَةَ حَيْثُ يُقُولُ

إِنَّ لِجَنَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ
فَسَنَى صُبْخَهَا مِنْ شَنَبِ
فَإِذَا مَا هَبَّتِ الرِّيحُ صَبَّا
مُجْتَلَى مَرَأَةَ وَرَيَا نَفْسِي
وَدُجَى ظُلْمَتِهَا مِنْ لَعْسِي
صَحْتُ وَأَشَوْقِي إِلَى الْأَنْدَلُسِ
وَقَدْ نَقَدَّمْتُ هُنِئِ الْأَيَّاتُ . قَالَ أَبْنُ سَعِيدٍ قَالَ أَبْنُ خَفَاجَةَ هُنِئِ
الْأَيَّاتَ وَهُوَ بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى فِي بَرِّ الْعُدُوَّةِ وَمَنْزِلُهُ فِي شَرْقِ

الْأَنْدَلُسِ بِجَزِيرَةِ شَفْرٍ. وَقَالَ أَبْنُ سَعِيدٍ فِي الْمُغْرِبِ مَا نَصْهُ قَوَاعِدُ مِنْ
 كِتَابِ الشَّهْبِ الْأَنْفَافِيَّةِ فِي الْأَنْصَافِ بَيْنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ أَوْلُ مَا
 تَقْدَمُ الْكَلَامُ عَلَى قَاعِدَةِ السُّلْطَانَةِ بِالْأَنْدَلُسِ فَنَقُولُ إِنَّمَا مَا يَأْبِدِي
 عَبَادِ الصَّلِيبِ مِنْهَا أَعْظَمُ سَلْطَانَةٍ كَثُرَتْ مَالَكُهَا وَتَشَبَّهَتْ فِي وُجُوهِ
 الْأَسْتِضْهَارِ لِلْسُّلْطَانِ إِعْانَهَا وَنَدَعَ كَلَامَنَا فِي هَذَا الشَّأنِ وَنَقْلُ مَا
 فَالَّهُ أَبْنُ حَوْقَلِ الْنَّصِيبِيِّ فِي كِتَابِهِ لَمَّا دَخَلَهَا فِي مُدَّةِ خِلَافَةِ يَهُ مَرْوَانَ
 يَهَا فِي أَيَّامَةِ الْرَّابِعَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَهَا وَصَفَهَا قَالَ وَآمَّا جَزِيرَةُ الْأَنْدَلُسِ
 فَجَزِيرَةٌ كَبِيرَةٌ طُولُهَا دُونَ الشَّهْرِ فِي عَرْضِ نَيْفٍ وَعِشْرِينَ مَرْحَلَةً
 تَغْلِبُ عَلَيْهَا الْهِيَاهُ الْجَهَارِيَّةُ وَالشَّجَرُ وَالشَّهْرُ وَالرُّؤْخُ وَالسَّعَةُ فِي الْأَخْوَالِ
 مِنْ الْرَّفِيقِ الْفَاجِرِ وَالْمُخْصِبِ الظَّاهِرِ إِلَى أَسْبَابِ الْمَلَكِ الْفَاشِيَّةِ فِيهَا
 وَلَمَّا هِيَ بِهِ مِنْ أَسْبَابِ رَغْدِ الْعِيشِ وَسَعَتِهِ وَكَثُرَتِهِ يَهُلُكُ ذَلِكَ مِنْهُمْ مِنْهُمْ
 وَأَرْبَابُ صَنَاعَتِهِمْ لِقْلَةٌ مَوْوِنَتِهِمْ وَصَالَاجُ يَلَادُهُمْ . ثُمَّ أَخَذَ فِي عِظَمِ
 سُلْطَانَهَا وَصَفَ وَفُورَ جِبَايَا تِهِ وَعِظَمَ مَرَافِقِهِ
 وَقَالَ فِي أَنْتَأَهُ ذَلِكَ وَمَا يُدْلِلُ بِالْقَلِيلِ مِنْهُ عَلَى كَثِيرِهِ أَنَّ سِكَةَ دَارِ
 ضَرِبَهُ عَلَى الدِّرَاهِمِ وَالدَّنَانِيرِ دَخَلَهَا فِي كُلِّ سَنَةٍ مِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَصَرْفُ
 أَلْدِينَارِ سَبْعَةِ عَشَرَ دِرْهَمًا هَذَا إِلَى صَدَقَاتِ الْبَلَدِ وَجِبَايَا تِهِ وَخَرَاجَانِهِ
 وَاعْشَارِهِ وَضَمَانَاتِهِ وَالْأَمْوَالِ الْمَرْسُومَةِ عَلَى الْمَرَاكِبِ الْوَارِدَةِ وَالصَّادِرَةِ
 وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَذَكَرَ أَبْنُ بَشْكُواهُ إِنَّ جِبَايَا الْأَنْدَلُسِ بَلَغَتْ فِي مُدَّةِ
 عَبْدِ الرَّحْمَانِ النَّاصِرِ خَمْسَةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَأَرْبَعِمَائَةَ أَلْفِ وَثَمَانِينَ
 أَلْفًا مِنَ السُّوقِ وَالْمُسْتَحْلِصُ سَبْعِمَائَةَ أَلْفِ وَحَمْسَةَ وَسِئُونَ أَلْفَ دِينَارٍ

قَالَ أَبْنُ حَوْفَلٍ . وَمِنْ أَعْجَبِ مَا فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ بِقَوْدَاهَا عَلَى مَنْ هِيَ
فِي يَدِكَ مَعَ صِغَرِ أَحَلَامِ أَهْلِهَا وَضَعَةِ نُفُوسِهِمْ وَنَقْصِ عُقُولِهِمْ وَبُعْدِهِمْ مِنَ
الْبَاسِ وَالسُّجَاعَةِ وَالْفُرُوسِيَّةِ وَالْبَسَالَةِ وَلِقاءِ الرِّجَالِ وَمَرَاسِ الْأَنْجَادِ
وَلَا بُطَالٌ مَعَ عِلْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِخَلْلِهَا فِي نَفْسِهَا وَمِنْدَارِ جَبَايَاهَا
وَمَوَاقِعِ نَعِيمِهَا وَلَذَائِعِهَا

قَالَ عَلَيُّ بْنُ سَعِيدٍ مُكْمِلُ هَذَا الْكِتَابِ . لَمْ أَرْبُدَا مِنْ إِثْبَاتِ هَذَا
الْفَصْلِ قَانَ كَانَ عَلَى أَهْلِ بَلَدِي فِيهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالتَّعْصُبِ مَا لَا يَخْفَى
وَلِسَانُ الْخَالِلِ فِي الْرَّدِّ أَنْطَقُ مِنْ لِسَانِ الْبَلَاغَةِ . وَلَيْتَ شِعْرِي إِذْ سُلِّبَ
أَهْلُ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ الْعُقُولَ وَالْأَرَاءَ وَالْهَمَّ وَالسُّجَاعَةَ . فَمَنِ الَّذِينَ دَبَّرُوهَا
يَارَ أَئِمَّمَ وَعُقُولِهِمْ مَعَ مُرَاصِدِهِمْ أَعْدَاهُمَا الْجَمَاعَرِينَ لَهُمَا مِنْ خَمْسِيَّةِ سَنَةٍ
وَنِيفٍ وَمِنِ الَّذِينَ حَمُوهَا يَسَّالَنَّهُمْ مِنَ الْأُمُّ الْمُتَّصِلَةِ بِهِمْ فِي دَاخِلِهَا
وَخَارِجِهَا نَحْوَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فِي نُصْرَةِ الْصَّلِيبِ فَإِنِّي لَا يَعْجَبُ
مِنْهُ إِذْ كَانَ فِي زَمَانٍ قَدْ دَلَفَتْ فِيهِ عِبَادُ الْصَّلِيبِ إِلَى الشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ
وَعَانُوا كُلُّ الْعِيْثَ في بِلَادِ الْإِسْلَامِ حَيْثُ أَجْمَعُهُوْرُ وَالْقَبْةُ الْعَظِيمُ حَتَّى
أَنَّهُمْ دَخَلُوا مَدِينَةَ حَلَبَ وَمَا أَدْرَاكَ وَفَعَلُوا فِيهَا مَا فَعَلُوا وَبِلَادِ الْإِسْلَامِ
مُتَّصِلَةً بِهَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ إِلَى غَيْرِ ذِلِّكَ مَا هُوَ مَسْطُورٌ فِي كُتُبِ التَّوَارِيخِ
وَمِنْ أَعْظَمِ ذِلِّكَ وَآشِدِهِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَتَعَلَّبُونَ عَلَى أَنْجُونَ مِنْ حُصُونِ
الْإِسْلَامِ الَّتِي يَتَمَكَّنُونَ بِهَا مِنْ بَسَاطِطِ بِلَادِهِمْ فَيَسْبُونَ وَيَأْسِرُونَ فَلَا
يَتَنَبَّعُ هُمُ الْمُلُوكُ الْجَمَاعَرَةُ عَلَى حَسْمِ الدَّاءِ فِي ذِلِّكَ . وَقَدْ يَسْتَعِينُ بِهِ
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فَيَتَمَكَّنُ مِنْ ذِلِّكَ الدَّاءِ الَّذِي لَا يُطَبُ . وَقَدْ كَانَتْ

جَزِيرَةُ الْأَنْدَلُسِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ بِالضَّدِّ مِنَ الْبِلَادِ الَّتِي تَرَكَ وَرَأَهُ ظَهِيرَةً
وَذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي تَارِيخِ أَبْنِ حَيَّانَ وَغَيْرِهِ
فِي إِلْفَاءِ الْأَنْدَلُسِ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْقِيَادَةِ وَفَتْحِهَا عَلَى يَدِ مُوسَى

بْنِ نَصِيرٍ وَمَوْلَاهُ طَارِقِ بْنِ زَيَادٍ

قَالَ أَبْنُ خَلْدُونَ بَعْدَ ذِكْرِهِ أَنَّ الْقُوَّطِينَ كَانُوا هُمُ الْمُلْكُ الْأَنْدَلُسِ
وَأَنَّ مَلِكَهُمْ لِعَهْدِ الْفَتْحِ يُسَمِّي لِدُرِيقَ مَانِصَهُ وَكَانَتْ لَهُمْ خُطْوَةٌ وَرَأَهُ الْجَرْحِ
فِي هَذِهِ الْعُدُوَّةِ الْجُنُوُّيَّةِ خَطَوْهَا مِنْ فُرْضَةِ الْجَازِ بِطَبْخَةٍ وَمِنْ زُقَاقِ
الْجَرْحِ إِلَى بِلَادِ الْبَرْبَرِ وَاسْتَعْبَدُوهُمْ. وَكَانَ مَلِكُ الْبَرْبَرِ بِذَلِكَ الْقُطْرِ
الَّذِي هُوَ الْيَوْمُ جِبَالٌ غَمَارَةٌ يُسَمِّي يَلِيَانَ فَكَانَ يَدِينُ بِطَاعَتِهِمْ وَبِلِئَلِهِمْ
وَمُوسَى بْنُ نَصِيرٍ أَمِيرُ الْغَرْبِ إِذْ ذَاكَ عَامِلُهُ عَلَى أَفْرِيقِيَّةِ مِنْ قِبَلِ
الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَمَنْزِلُهُ بِالْقِيرَوانِ. وَكَانَ قَدْ أَغْزَى بِذَلِكَ الْعَهْدِ
عَسَاكِرَ الْمُسْلِمِينَ بِلَادِ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَدَوْخَ أَقْطَارَهُ وَأَنْخَنَ فِي جِبَالٍ
طَبْخَةَ هُنْهُنِيَّةَ حَتَّى وَصَلَ خَلْبَجَ الرَّقَاقِ وَأَسْتَرَلَ يَلِيَانُ لِطَاعَةِ الْإِسْلَامِ وَخَلَفَ
مَوْلَاهُ طَارِقَ بْنَ زَيَادِ الْلَّهِيَّ وَالْيَانِ بِطَبْخَةٍ. وَكَانَ يَلِيَانُ يَنْقُمُ عَلَى لِدُرِيقَ

(١) ان لدربيق (اي رودريق) اخر ملوك الويزقوطي في اسبانيا كان ولد دوكا فرطبة

الذي امر بقتل اعيته فبنيسا الملك الويزقوطي، فنهض رودريق المشار اليه ضده وحاربه ففتح
منه الناج الملويكي (سنة ٧١٠ مسيحية) غير ان اولاد الملك واقاربه استغاثوا بالعرب فانما
لنجدهم ومامهم طارق فاستولى على البوغاز المعروف باسمه وهو بوغاز جبل طارق، فسار
الى رودريق بجيشه وكانت نحو ٩٠ الف مقاتل فثارب الجيشان مدة تسعه ايام في كبريس
قتل رودريق في اليوم الثالث (سنة ٧١١). هذا ومن القيل الشائع ان الكونت يليان
(اي جوليانيوس) قد استغاث بالعرب لينتم عن اهانة الحفت بابته (بولير)

مَلِكِ الْقُوْطِ لِعَهْدِ يَا لَانْدُسِ فَعَلَهَا زَعَمُوا بِأَبْنَتِهِ الْنَّا شِيَةٍ فِي دَارِهِ
 فَغَضِبَ لِذِلِكَ وَاجَازَ إِلَى لُدْرِيقَ وَأَخْدَأَ بَنَتَهُ مِنْهُ . ثُمَّ لَحَقَ بِطَارِيقَ
 فَكَشَفَ لِلْعَرَبِ عَوْرَةَ الْقُوْطِ وَدَلَّهُمْ عَلَى عَوْرَةِ فِيمِ أَمْكَنَتْ طَارِيقًا فِيهَا
 الْفَرَصَةُ فَأَنْتَهَاهَا لِوَقْتِهِ وَاجَازَ الْمَجَرَ سَنَةَ اثْتَيْنِ وَتِسْعَيْنَ مِنَ الْهِجرَةِ
 يَا ذِنْ أَمِينِ مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ فِي تَحْوِيَةِ ثَالِثِيَّةِ مِنَ الْعَرَبِ وَاحْنَشَدَ مَعْهُمْ
 مِنَ الْبَرِّ بِرْزَهَا عَشَرَةَ آلَافٍ فَصَرِيرَهَا عَسْكَرِيْنَ أَحَدُهُمْ عَلَى نَفْسِهِ وَنَزَلَ
 يِهِ جَبَلَ الْفَتْحِ فَسُعِيَ جَبَلَ طَارِيقَ يِهِ وَالْآخَرُ عَلَى طَرِيفِ بْنِ مَالِكٍ
 الْتَّخْبِي وَنَزَلَ بِمَكَانِ مَدِيْنَةِ طَرِيفِ فَسُعِيَ يِهِ وَادَارُوا الْأَسْوَارَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
 لِلتَّحْصِنِ . وَبَلَغَ الْمَخْبُرُ إِلَى لُدْرِيقَ وَنَهَضَ إِلَيْهِمْ بِجَرَامِ الْأَعْاصِمِ وَاهْلَ
 مِلَّةِ النَّصَارَى فِي زُهَاءِ أَرْبَعِينَ الْفَانِ وَزَحَفُوا إِلَيْهِ فَاتَّقَوْا بِعُخْصِ شَرِيشَ
 فَهَزَمُوهُمْ وَنَفَلُهُمْ أَمَوَالَهُمْ وَرِقَاهُمْ

وَكَتَبَ طَارِيقَ إِلَى مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ بِالْفَتْحِ وَبِالْعَنَائِمِ فَحَرَكَهُ الْغَيْنُ
 وَكَتَبَ إِلَى طَارِيقَ بِتَوْعِيدٍ إِنْ تَوَغَّلَ بِغَيْرِ إِذْنِهِ وَيَا وَوْدَهُ مَنْ أَنْ لَا يَجَاوِزَ
 مَكَانَهُ حَتَّى يَلْحَقَ يِهِ وَاسْتَحْلَفَ عَلَى الْقَيْدَوَانِ وَلَكُ عَبْدُ اللهِ وَخَرْجُ وَمَعَهُ
 حَبِيبُ بْنُ مَنْدَعَ الْفِهْرِيُّ وَنَهَضَ مِنَ الْقَيْدَوَانِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعَيْنَ مِنَ
 الْهِجرَةِ فِي عَسْكَرِ ضَخمٍ مِنْ وُجُوهِ الْعَرَبِ الْمُوَالِيِّ وَعَرْفَاءَ الْبَرِّ وَوَاقِفٌ
 خَلْجَ الْرُّوقَاقِ مَا بَيْنَ طَبْخَةِ وَالْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ . فَاجَازَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَتَلَقَّاهُ
 طَارِيقٌ فَأَنْقَادَ وَاتَّبَعَ وَاتَّمَ مُوسَى الْفَتْحَ وَتَوَغَّلَ فِي الْأَنْدَلُسِ إِلَى بَرْشَلُونَةَ
 فِي جِهَةِ الْشَّرْقِ وَارْبُوَنَةَ فِي الْجَوْفِ وَصَنَمَ قَادِسَ فِي الْغَرْبِ وَدَوْخَ أَقْطَارَهَا
 وَجَمَعَ غَنَائِمَهَا . وَاجْعَنَّ أَنْ يَأْتِي الْمَشْرِقَ مِنْ نَاحِيَةِ فُسْطَانِيَّةَ وَيَجَاوِزَ إِلَى

الشَّامِ دُرُوبَهُ وَدُرُوبَ الْأَنْدَلُسِ وَيَخُوضَ إِلَيْهِ مَا يَنْهَا مِنْ أَمَّ الْأَعَاجِمِ
 الْنَّصَارَائِيَّةُ مُجَاهِدًا فِيهِمْ مُسْتَحْمِلًا لَهُ إِلَى أَنْ يَلْقَى بِدَارِ الْخِلَافَةِ
 وَنَهَا الْخَبَرُ إِلَى الْوَلِيدِ فَأَشْتَدَ قَلْقُهُ بِمَكَانِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ دَارِ الْخُزْبِ
 وَرَأَى أَنَّ مَا هُمْ بِهِ مُوسَى غَرَرُ بِالْمُسْلِمِينَ . فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِالْتَّوْبَيْخِ
 وَالْأَنْصَارِ فَأَسْرَاهُ إِلَى سَفِيرِهِ أَنْ يَرْجِعَ بِالْمُسْلِمِينَ إِنْمَاءً يَرْجِعُ وَكَتَبَ
 لَهُ بِذِلِّكَ عَهْدَ فَفَتَّ ذُلِّكَ فِي عَزْمِ مُوسَى وَقَنَلَ عَنِ الْأَنْدَلُسِ بَعْدَ أَنْ
 أَنْزَلَ الْرَّاِبَطَةَ وَالْحَامِيَّةَ شُغُورَهَا وَأَنْزَلَ أَبْنَهُ عَبْدَ الْعَزِيزَ لِسَدِّهَا وَجَهَادِ
 عَدُوِّهَا وَأَنْزَلَهُ بِقُرْطُبَةَ فَأَخْذَهَا دَارِ إِمَارَةِ وَأَحْنَلَ مُوسَى بِالْقِيرَوانِ سَنَةَ
 خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعَانَ إِلَى الْمَشْرِقِ سَنَةَ سِتٍّ بَعْدَهَا بِهَا كَانَ مَعَهُ مِنَ
 الْغَنَائِمِ وَالدَّخَائِرِ وَالْأَمْوَالِ عَلَى الْعَجْلِ وَالظَّهْرِ يُقَالُ إِنَّ مِنْ جُمْلَتِهَا
 ثَلَاثَيْنَ أَلْفَ رَأْسٍ مِنَ السَّبِيلِ

وَوَلَى مُوسَى عَلَى أَفْرِيقِيَّةِ أَبْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ وَقَدِيمَ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ
 الْمَلِكِ فَسَخَطَهُ وَنَكَبَهُ وَثَارَتْ عَسَاكِرُ الْأَنْدَلُسِ بِآبِنِهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِإِغْرَائِ
 سُلَيْمَانَ فَقَتَلُوهُ لِسَنَتِيْنِ مِنْ وِلَايَتِهِ . وَكَانَ خَيْرًا فَاضِلًا وَفَتَحَ فِي وِلَايَتِهِ
 مَدَائِنَ كَثِيرَةً وَوَلَى مِنْ بَعْدِهِ أَيُوبَ بْنَ حَيْبَ الْخَنْجَرِيَّ وَهُوَ أَبْنُ أَخِتِ

(١) موسى بن نصیر قائد جیوش الخليفة الولید الاول اقامه مولاه ملكاً على افريقيا
 في ٧٠٥ فاستجهده الكونت جوليانيوس في ٧١٠ فارسل مولاه طارقاً فاخذ من الويزقوط
 أكثر ولاياتهم . ثم دخل البلاد فافتتحها وقطع جبال ييراني ونقدم الى فرنسا حتى ابواب
 كاركاسونا فطلب الولید الى دمشق في ٧١٥ بصفة كونه قد اذنب بتعديه على مولاه طارق
 لحسده له فحكم عليه بدفع ٣٠٠٠ دوكاً ذهب اي نحو مليوني فرنك وضرب بالعصي
 ثم نفي الى مكة فتوفي في ٧١٨ (بوليلر)

مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ فَوَلَى عَلَيْهَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ
 ثُمَّ تَابَعَتْ وَلَاهُ الْعَرَبُ عَلَى الْأَنْدَلُسِ تَارَةً مِنْ قِبَلِ الْخَلِيفَةِ وَتَارَةً مِنْ
 قِبَلِ عَامِلِهِ بِالقِيرَوانِ وَأَخْتَنُوا فِي أُمَّ النَّصَارَى وَفَتَحَ بَرْسَلُونَةَ مِنْ جِهَةِ
 الْمَشْرِقِ وَحُصُونَتْ قَشْتَالَةَ وَبَسَاطَهَا مِنْ جِهَةِ الْجُنُوفِ وَانْفَرَضَتْ أُمَّ
 الْقُوَطِ وَأَوْيَ الْجَلَالِغَةُ وَمَنْ يَقِيَ مِنْ أُمَّ الْعَجَبِ إِلَى جِبَالِ قَشْتَالَةِ وَأَرْبُونَةِ
 وَأَفْوَاهِ الدُّرُوبِ فَتَحَصَّنُوا بِهَا وَجَازَتْ عَسَاكِرُ الْمُسْلِمِينَ مَا وَرَأُوا
 بَرْسَلُونَةَ مِنْ دُرُوبِ الْجِزِيرَةِ حَتَّى أَحْتَلُوا الْبَسَاطَةَ وَرَأَهَا وَتَوَعَّلُوا فِي
 بِلَادِ الْفَرْنَجَةِ وَعَصَفَتْ رِيحُ الْإِسْلَامِ بِأُمَّ النَّصَارَى مِنْ كُلِّ جِهَةِ
 وَرَبِّهَا كَانَ بَيْنَ جُنُودِ الْأَنْدَلُسِ مِنَ الْعَرَبِ أَخْتِلَافٌ وَتَنَازُعٌ وَجَدَ
 لِلْعَدُوِ بَعْضَ الْكَرَّةِ فَرَجَعَ إِلَى الْفَرْنَجِ مَا كَانُوا غَلَبُوهُمْ عَلَيْهِ مِنْ بِلَادِ
 بَرْسَلُونَةِ لِعَهْدِ ثَمَانِينَ سَنَةَ مِنْ لَدُنِ فَتَحِهَا وَاسْتَمِرَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ

انتهى المنشول

من كتاب فتح الطيب من غصن الاندلس الرطيب

للعلامة المغربي



٣٠
مِنْ كِتَابِ الْإِفَادَةِ وَالْأَعْبَارِ فِي الْأُمُورِ الْمُشَاهَدَةِ وَالْحَوَادِثِ
الْمُعَايَنَةِ بِأَرْضِ مِصْرَ

لِأَيِّ الْلَّطِيفِ

الْمَقَالَةُ الْأُولَى وَهِيَ سِتَّةُ فَصُولٍ

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ

فِي خَوَاصِ مِصْرَ الْعَامَّةِ لَهَا

إِنَّ أَرْضَ مِصْرَ مِنَ الْبِلَادِ الْعَجِيبَةِ الْأَثَارِ الْغَرِيبَةِ الْأَخْبَارِ وَهِيَ وَادٍ
يَكْتِنِفُهُ جَبَلٌ شَرْقِيٌّ وَغَرْبِيٌّ وَالشَّرْقُ أَعْظَمُهُمَا يَتَدَبَّرُ مِنْ أَسْوَانَ
وَيَتَقَارَبَ إِلَيْهِ بِأَسْنَاحِهِ يَكَادُ أَنْ يَنْقُضَ سَانَ . ثُمَّ يَنْفَرِجَ حَانَ قَلِيلًا قَلِيلًا وَكُلُّمَا أَمْتَدَّا
طُولًا أَنْفَرَ جَاءَ عَرْضًا حَتَّى إِذَا أَزْيَا الْفَسْطَاطَ كَانَ بَيْنَهُمَا مَسَافَةً يَوْمَ فَأَمَا
دُونَهُ ثُمَّ يَبَعَّدُهُمَا إِذْ أَنْزَلَ مِنْ ذَلِكَ وَالنِّيلَ يَنْسَابُ بَيْنَهُمَا وَيَتَشَعَّبُ
بِأَسَافِلِ الْأَرْضِ وَجَمِيعُ شُعُوبِهِ تَصُبُّ فِي الْبَحْرِ الْمُمْلَحِ

وَهَذَا النِّيلُ لَهُ خَاصَّاتَانِ الْأُولَى بَعْدَ مَرْمَاهُ قَيْنَانًا لَا نَعْلَمُ فِي الْمَعْوَرَةِ نَهْرًا
أَبْعَدَ مَسَافَةً مِنْهُ لَآنَ مِبَادَئُهُ عَبُونُ تَائِي مِنْ جَبَلِ الْقَمِيرِ وَزَعْمُوا أَنَّ هَذَا
الْجَبَلَ وَرَآءَهُ خَطٌّ أَلْسِنَوَاءِ يَأْخُدَى عَشْرَ دَرَجَةً وَعَرَضُ أَسْوَانَ وَهِيَ
مِبْدَأُ أَرْضِ مِصْرَ أَشْتَانَ وَعِشْرُونَ دَرَجَةً وَنِصْفُ دَرَجَةٍ وَعَرَضُ دِيمَيَاطَ
وَهِيَ أَقْصَى أَرْضِ مِصْرِ إِحْدَى وَثَلَاثُونَ دَرَجَةً وَثُلُثُ دَرَجَةٍ . فَتَكُونُ مَسَافَةُ
النِّيلِ عَلَى خَطٍّ مُسْتَقِيمٍ ثَلَاثًا وَأَرْبَعِينَ دَرَجَةً تَنْقُصُ سُدُسًا وَمَسَاحَةُ
ذَلِكَ تَقْرِيبًا تِسْعُ مِائَةً فَرْسَخٍ هَذَا سَوَى مَا يَأْخُذُ مِنَ التَّعْرِيجِ وَالتَّوْرِيفِ
فَإِنْ أَعْنَبَ ذَلِكَ تَضَاعَفَتْ الْمِسَاحَةُ حَدًّا

وَالْخَاصَّةُ الْثَّانِيَةُ أَنَّهُ يَزِيدُ عِنْدَ نُصُوبِ سَائِرِ الْأَنْهَارِ وَنَشِيشِ الْبَيَاهِ
 لَا إِنَّهُ يَبْتَدِئُ بِالزِّيَادَةِ عِنْدَ أَنْتَهَاءِ طُولِ الْنَّهَارِ وَشَنَاهَ زِيَادَتُهُ عِنْدَ
 الْأَعْنَدَالِ الْخَرِيفِيِّ وَجِبْنَيْدٌ شَقَقَ الزَّرْعَ وَنَفَضَ عَلَى الْأَرْضِيِّ وَعَلَةُ ذَلِكَ
 أَنْ مَوَادَ زِيَادَتِهِ أَمْطَارٌ غَرِيبَةٌ دَائِمَةٌ وَسُيُولٌ مُتَوَاصِلَةٌ تَمُوكُ فِي هَذَا
 الْأَوَانِ . فَإِنَّ أَمْطَارَ الْأَقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي إِنَّمَا تَغْزُرُ فِي الْصَّيفِ وَالْقَبْظِ
 وَامْمًا أَرْضُ مِصْرَ فَلَهَا أَيْضًا خَواصٌ مِنْهَا أَنَّهُ لَا يَقْعُدُ بِهَا مَطْرُ لِأَمَا لَا
 أَحْتِنَالَ بِهِ وَخُصُوصًا صَعِيدُهَا . فَامْمًا أَسَافِلُهَا فَقَدْ يَقْعُدُ بِهَا مَطْرُ جَوْدٌ
 لِكُنَّهُ لَا يَبْغِي بِحَاجَةِ الْزِّرَاعَةِ . وَامْمًا دِمَيَاطُ وَالإِسْكَدَرِيَّةُ وَمَا دَانَاهَا فَهِيَ
 غَرِيبَةُ الْمَطَرِ وَمِنْهُ يَشَرُّبُونَ وَلَيْسَ بِأَرْضٍ مِصْرَ عَيْنٌ وَلَا نَهْرٌ سَوَى نَيلَهَا
 وَمِنْهَا أَنَّ أَرْضَهَا رَمْلِيَّةٌ لَا تَصْلُحُ لِلْزِّرَاعَةِ لِكُنَّهُ يَأْتِيهَا طَيْنٌ أَسْوَدُ عَلَيْكَ
 فِيهِ دُسُومَةٌ كَثِيرَةٌ يُسَمِّي الْإِلْيَزَ يَأْتِيهَا مِنْ بِلَادِ السُّودَانِ مُخْنَاطًا بِهَا
 الْنَّيلُ عِنْدَ مَيْدَنِ فَيَسْتَقِرُّ الطَّيْنُ وَيَنْتَسِبُ الْمَاءُ فَجَرَاثُ وَزُرْعُ وَكُلُّ سَنةٍ
 يَأْتِيهَا طَيْنٌ ثَجَدِيدٌ وَلَهُذَا يَزِعُ جَيْعَ أَرْاضِيهَا وَلَا يَرْجِعُ شَيْءٌ مِنْهَا كَمَا يَفْعُلُ
 فِي الْعَرَاقِ وَالشَّامِ لِكُنَّهَا تُخَالِفُ عَلَيْهَا الْأَصْنَافُ . وَقَدْ لَحَظَتِ الْعَرَبُ
 ذَلِكَ فَإِنَّهَا تَقُولُ إِذَا كَثُرَتِ الْرِّيَاحُ جَادَتِ الْخَرَاثَةُ لَا يَهْمَا تَجْهِيُ بِنَرَابٍ
 غَرِيبٍ وَتَقُولُ أَيْضًا إِذَا كَثُرَتِ الْمُوْتَفَكَاتُ زَكَا الزَّرْعُ . وَلَهُذِهِ الْعِلْلَةُ
 تَكُونُ أَرْضُ الصَّعِيدِ زَكِيَّةً كَثِيرَةً أَلْأَنَاءَ وَالرَّيْعِ إِذَا كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى
 الْمَبْدَأِ فَيَحْصُلُ فِيهَا مِنْ هَذَا الطَّيْنِ مِقْدَارٌ كَثِيرٌ بِمُخَالَفِ أَسْفَلِ الْأَرْضِ
 فَإِنَّهَا أَسَافَةٌ مُضْوِيَّةٌ إِذَا كَانَتْ رَقِيقَةً ضَعِيفَةً أَلْطَيْنِ لَا إِنَّهُ يَأْتِيهَا الْمَاءُ
 وَقَدْ رَأَقَ وَصَنَأَ وَلَا أَغْرِفُ شَيْهَا بِذَلِكَ لَا مَا حَيْكِي لِي عَنْ بَعْضِ جِبَالٍ

الْأَقْلِيمُ الْأَوَّلُ أَنَّ الرِّيَاحَ تَأْتِيهِ وَفَتَ الْزِرَاعَةِ بِنُرَابٍ كَثِيرٍ. ثُمَّ يَقْعُ عَلَيْهِ
الْمَطْرُ فَيَتَبَدَّلُ فِي حِرَثٍ وَبَرْعٍ فَإِذَا حُصِدَ جَاهَ نُهُ رِيَاحٌ أُخْرَى فَنَسْفَتُهُ حَتَّى
يُعُودَ أَجْرَدَ كَمَا كَانَ أَوْلَى

وَمِنْهَا أَنَّ الْفُصُولَ بِهَا مُتَغِيَّبَةٍ عَنْ طَبِيعَتِهَا الَّتِي لَهَا. فَإِنَّ أَحَصَّ
الْأَوْقَاتِ بِالْيَبْسِ فِي سَائِرِ الْبِلَادِ أَغْنَى الصَّيفَ وَأَنْجَرَ فِيهِ تَكْثُرٌ فِيهِ
الرُّطُوبَةُ بِمِضْرَبِهِ بِمَدِّ نَيلِهَا وَفَبِضِهِ لِأَنَّهُ يَمْدُدُ فِي الصَّيفِ وَيُطْبِقُ الْأَرْضَ
فِي الْخَرِيفِ. قَاتِمًا سَائِرَ الْبِلَادِ فَإِنَّ مِيَاهَهَا تَنْشَأُ فِي هَذَا الْأَوَانِ وَتَغْزُ
فِي أَحَصَّ الْأَوْقَاتِ بِالرُّطُوبَةِ أَغْنَى الشِّتَاءَ وَالرَّيْعَ وَمِصْرُ إِذْ ذَاكَ تَكُونُ
فِي غَابَةِ الْحُوْلَةِ وَالْيَبْسِ وَلِهَذِهِ الْعِلْمَةِ تَكْثُرُ عُفُونَاهَا وَأَخْتِلَافُ هَوَاهَا
وَتَغْلِبُ عَلَى أَهْلِهَا الْأَمْرَاضُ الْعَنْسِيَّةُ الْمَحَاذِثُهُ عَنْ أَخْلَاطٍ صَفْرَاوِيَّةٍ
وَبَلْغِيَّةٍ وَقَلَّمَا يَجِدُ فِيهِمْ أَمْرَاضًا صَفْرَاوِيَّةً خَالِصَةً بَلْ الْغَالِبُ عَلَيْهِمَا الْبَلْغُ
حَتَّى فِي الشَّبَابِ وَالْحُرُورِينَ وَكَثِيرًا مَا يَكُونُ مَعَ الْصَّفْرَاءِ أَخَامٌ وَأَكْثَرُ
أَمْرَاضِهِمْ فِي آخِرِ الْخَرِيفِ وَأَوَّلِ الشِّتَاءِ لِكُنْهِهَا يَغْلِبُ عَلَيْهَا حَمِيدُ الْعَاقِبَةِ
وَنَقْلُ فِيهِمْ الْأَمْرَاضُ الْمَحَاذِثُهُ وَالدَّمَوِيَّةُ الْوَحِيدَةُ. وَمَا أَصْحَاهُمْ فَيَغْلِبُ
عَلَيْهِمْ التَّرَهُلُ وَالْكَسْلُ وَشُحُوبُ اللَّوْنِ وَكُموَّدُتُهُ وَقَلَّمَا تَرَى فِيهِمْ
مَشْبُوبَ اللَّوْنِ ظَاهِرَ الدَّمِ. وَمَا صَيَّانِهِمْ فَضَاؤُهُونَ يَغْلِبُ عَلَيْهِمْ الدَّمَامَةُ
وَقَلَّةُ النَّضَارَةِ وَإِنَّمَا تَحْدُثُ لَهُمُ الْبَدَانَةُ وَالْفَسَامَةُ غَالِبًا بَعْدَ الْعِشْرِينَ.
وَمَا دَكَأُهُمْ وَتَوَقَّدُ أَذْهَانِهِمْ وَخَفْفَةُ حَرَّ كَاتِمٍ فَلِحَارَةُ بَلَدِهِمْ الْذَّاتِيَّةُ لِأَنَّ
رُطُوبَتُهُ عَرَضِيَّةٌ. وَلِهَذَا كَانَ أَهْلُ الصَّعِيدِ أَخْلَلُ جُسُومَهُمْ وَاجْتَفَ أَمْرَجَةَ
وَالْغَالِبُ عَلَيْهِمْ السُّمْرُ وَكَانَ سَائِكُوا النَّفْسَ طَاطِ إِلَى دِيمَاطَ أَرْطَابَ أَبْدَانِهِ

وَالْغَالِبُ عَلَيْهِمُ الْبَيْاضُ

وَلَمَّا رَأَى قُدَمَاءَ الْمِصْرِ يَسْتَأْنِفُونَ أَنَّ عِمَارَةَ أَرْضِهِمْ إِنَّمَا هِيَ بِنِيلِهَا جَعَلُوا
أَوَّلَ سَنَتِهِمْ أَوْلَ الْخَرِيفِ وَذَلِكَ عِنْدَ بُلُوغِ النَّيْلِ الْغَايَةُ الْفُصُوَى مِنَ
الْزِيَادَةِ

وَمِنْهَا أَنَّ الصَّبَا مَجْوَهَةً عَنْهُمْ بِجَهَلِهَا الشَّرْقُ الْمُسْكِنُ الْمُقْطَمُ فَإِنَّهُ يَسْتُرُ
عَنْهَا هُنَّ الْرِّيحُ الْفَاضِلَةُ وَفَلَمَا تَهُبْ عَلَيْهِمْ خَالِصَةُ الْلَّهِمْ لَا نَكَبَةَ . وَهَذَا
أَخْنَارٌ قُدَمَاءَ الْمِصْرِ يَسْتَأْنِفُونَ أَنَّ يَجْعَلُوا مُسْتَفْرِهِ الْمُلْكَ مَنْفَ وَنَحْوَهَا حِمَاءَ يَبْعُدُ
عَنْ هَذَا الْجَبَلِ الْشَّرْقِيِّ إِلَى الْغَرْبِيِّ وَأَخْنَارَ الرُّومِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَيَجْعَلُونَ
مَوْضِعَ الْفَسْطَاطِ لِقُرْبِهِ مِنَ الْمُقْطَمِ فَإِنَّ الْجَبَلَ يَسْتُرُ عَمَّا فِي لِحْفِهِ أَدْثَرَ حِمَاءَ
يَسْتُرُ عَمَّا بَعْدَ مِنْهُ . ثُمَّ إِنَّ السَّنَمَسَ يَتَاهُرُ طُلُوعُهَا عَلَيْهِمْ فَيَقْلُلُ فِي هَوَائِهِمْ
الْنَّصْعُ وَيَقِيَ زَمَانًا عَلَى نُهُوَةِ الْلَّيْلِ وَلِذَلِكَ تَحْدُدُ الْمَوَاضِعُ الْمُنْكَشَفَةُ لِلصَّبَا
مِنْ أَرْضِ مِصْرِ أَحْسَنَ حَالًا مِنْ غَيْرِهَا وَلِكِتْنَةِ رُطُوبَتِهِ يَتَسَارَعُ الْعَفْنُ
إِلَيْهَا وَيَكْتُرُ فِيهَا الْفَارُ وَيَتَوَلَّ مِنَ الْطِينِ وَالْعَقَارِبُ تَكْثُرُ بِقُوَصِ وَكَثِيرًا
مَا تُقْتَلُ بِلَسِبَاهَا وَالْبَقُولُ الْمُنْتَنِي وَالْذِبَابُ وَالْبَرَاغِيَّتُ تَدُومُ زَمَانًا طَوِيلًا
وَمِنْهَا أَنَّ الْجَنُوبَ إِذَا هَبَّتْ عِنْدَهُمْ فِي الْشِّتَاءِ وَالرَّيْعِ وَفِيمَا بَعْدَ
ذَلِكَ كَانَتْ بَارِدَةً حِدَّاً وَيَسْمُونَهَا الْمَرِيسِيَّ لِمُرُورِهَا عَلَى أَرْضِ الْمَرِيسِ
وَهِيَ مِنْ بِلَادِ السُّوْدَانِ . وَسَبَبُ بُرْدِهَا مُرُورُهَا عَلَى بِرَكَ وَنَفَائِعَ . وَالدَّلِيلُ
عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ إِنَّهَا إِذَا دَامَتْ أَيَّامًا مُتَوَالِيَّةً عَادَتْ إِلَى حَرَارَتِهَا الْطَّبِيعِيَّةِ
وَاسْخَنَتْ الْهَوَاءَ وَاحْدَدَتْ فِيهِ يُبَسَا

النَّصْلُ الثَّانِي

فِيمَا تَخَصُّ بِهِ مِنَ النَّبَاتِ

مِنْ ذَلِكَ الْجَمِيزُ وَهُوَ يَهْسِرُ كَثِيرًا حِدًا وَرَأَيْتُ مِنْهُ شَيْئًا بِعَسْفَلَانَ
 وَالسَّاحِلِ وَكَانَهُ قِينٌ بَرِيٌّ وَخَرُجٌ ثَمَرَتُهُ فِي الْحَشْبِ لَاتَّحَتَ الْوَرَقِ
 وَيُخْلِفُ فِي السَّنَةِ سَبْعَةً بُطُونٍ وَبُوكَلٍ أَرْبَعَةً أَشْهِرٍ وَيَحِيلُ وَفْرًا عَظِيمًا
 وَقَبْلَ أَنْ يُجْنِيَ يَأْيَامٍ يَصْدُرُ رَجُلٌ إِلَى الشَّجَرَةِ وَمَعَهُ حَدِيدَةٌ يَسِمُّ بِهَا
 حَبَّةً حَبَّةً مِنَ الشَّمْرَقِ فَيَجْرِي مِنْهَا لَبَنًا أَيْضًا ثُمَّ يَسُودُ الْمَوْضِعَ وَتَحْلُو
 الشَّمْرَقُ بِذَلِكَ النِّعْلِ . وَقَدْ يُوجَدُ مِنْهُ شَيْئًا شَدِيدًا مُحْلَّا أَحْلَى مِنَ
 الْمَنْتَنِ لِكَنَّهُ لَا يَنْفَكُ فِي أَوَاخِرِ مَاضِيِّهِ مِنْ طَعْمٍ خَشِيبَةِ مَا . وَشَجَرَتُهُ
 كَثِيرَةٌ كَشْجَرَةٌ كَبُوزٌ كَعَاتِيَّةٌ وَيَخْرُجُ مِنْ ثَمَرِهِ وَغَصِّتِهِ إِذَا فُصِّدَتْ
 لَبَنًا أَيْضًا إِذَا طَلَيَ عَلَى ثَوْبٍ أَوْ غَيْرِهِ صَبَغَهُ وَأَحْمَرَهُ . وَخَشْبُهُ نَعْمَرُ بِهِ
 الْمَسَاكِنُ وَيُتَحَدُّ مِنْهُ الْأَبْوَابُ وَغَيْرُهَا مِنَ الْأَلَاتِ الْجَافِيَّةِ وَلَهُ بَقَاءٌ عَلَى
 الدَّهْرِ وَصَبْرٌ عَلَى الْمَاءِ وَالشَّمْسِ وَقَلَمًا يَتَأَكَّلُ هَذَا مَعَ أَنَّهُ خَشَبٌ
 خَفِيفٌ قَلِيلٌ الْلَّدُونَةِ . وَيَتَحَدُّ مِنْ شَمَرَتِهِ خَلٌ حَادِقٌ وَنَيْدٌ حَادٌ . قَالَ
 جَالِينُوسُ الْجَمِيزُ بَارِدَرَطْبٌ فِيمَا بَيْنَ الْتُوتِ وَالْتَّنِينِ وَهُوَ رَدِيٌّ لِلْمَعْنَى
 وَلَبَنُ شَجَرَتِهِ لَهُ قُوَّةٌ مُلِينَةٌ تُلْصِقُ الْمُحِرَاجَ وَتَفْشِلُ الْأَوْرَامَ وَيُلْطَخُ عَلَى لَسْعِ
 الْهَوَامِ . وَيُحَلِّلُ جُسَاءَ الْطَّحَالِ وَلَوْجَاعَ الْمِعْدَةِ ضَمَادًا وَيُتَحَدُّ مِنْهُ شَرَابٌ
 لِلسَّعَالِ الْمُتَفَاصِدِ وَنَوازِلِ الصَّدْرِ وَالرِّئَاطَةِ وَعَمَلَهُ يَأْنُ يُطْبَخُ فِي الْمَاءِ حَتَّى
 يَخْرُجَ فِيهِ قُوَّتُهُ وَيُطْبَخُ ذَلِكَ الْمَاءُ مَعَ السُّكَّرِ حَتَّى يَنْعَقِدَ وَيُرْفَعُ . وَقَالَ
 أَبُو حَنِيفَةَ وَمِنْ أَجْنَاسِ الْتَّنِينِ تَيْنُ الْجَمِيزُ وَهُوَ تَيْنٌ حَلُو رَطْبٌ لَهُ

مَعَالِيقُ طَوَالُ وَبَزَبُ وَضَرْبُهُ أَخْرُ مِنَ الْجَمِيزِ حَمْلُهُ كَالَّتِينَ فِي الْخَلْفَةِ
وَوَرْقَهُ أَصْغَرُ مِنْ وَرْقِ الْتِينِ. وَتِينَهُ أَصْغَرُ صَعَارٌ وَأَسْوَدُ وَيُكَوَّنُ بِالْغُورِ
وَيُسَمَّى الْتِينَ الْذَّكَرَ وَالْأَصْفَرُ مِنْهُ حَلْوٌ وَالْأَسْوَدُ يُدَمِّي الْفَمَ وَلَيْسَ
لِتِينِهِ عِلَاقَةٌ بِلِلَا صِقٌ بِالْعُودِ

وَمِنْ ذَلِكَ الْبَلَسَانُ فَإِنَّهُ لَا يُوجَدُ الْيَوْمَ إِلَّا يَمْسِرُ بَعْدَنِ شَمْسٍ فِي
مَوْضِعٍ مُحَاطٍ عَلَيْهِ مُحْفَظٍ بِهِ مَسَاحَتِهِ خَوْسَبَعَةً أَفْدَنَةً. وَأَرْتَفَاعُ شَجَرَتِهِ
خَوْدَرَاعٍ فَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَعَلَيْهَا قِشْرَانٌ الْأَعْلَى أَحْمَرُ خَفِيفٌ وَالْأَسْفَلُ
أَخْضَرُ تَخْنِينٌ. وَإِذَا مُضَعَّ ظَهَرَ فِي الْفَمِ مِنْهُ دُهْبَنَةٌ وَرَائِحَةٌ عَطِيرَةٌ. وَوَرْقَهُ
شَبِيهُ بِوَرْقِ الْسَّدَابِ وَيَجْتَنِي دُهْنُهُ عِنْدَ طَلُوعِ الشَّمْسِ يَانِ تُشَدَّخُ السُّوقُ
بَعْدَ مَا يُجْتَثُ عَنْهَا جَيْعَ وَرَقَهَا وَشَدُّخُهَا يُكَوَّنُ بِجَمِيعِ تَخْدُ مُحَدَّدَةٍ وَيَنْقُرُ
شَدُّخُهَا إِلَى صِنَاعَةٍ يُجْعَلُ يَقْطَعُ الْقِشْرَ الْأَعْلَى وَيَشْقِي الْأَسْفَلُ شَفَّالًا لَيَنْذُهُ
إِلَى الْخَشَبِ فَإِنْ نَفَدَ إِلَى الْخَشَبِ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْءٌ فَإِذَا شَدَّخَهُ كَمَا وَصَفَنَا
أَمْهَلَهُ رَيْثَمَا يَسِيلُ لَثَاءُ عَلَى الْعُودِ فَيَجْمِعُهُ بِأَصْبِعِهِ مَسْحًا إِلَى قَرْنٍ فَإِذَا أَمْتَلَّ
صَبَّهُ فِي فَنَانِي زُجَاجٍ وَلَا يَزَالُ كَذِلِكَ حَتَّى يَتَنَبَّيِ جَنَاهُ وَيَنْقَطِعَ لَثَاءُ
وَكَلَّمَا كَثُرَ الْنَّدَى فِي الْجُوْ كَانَ لَثَاءُ أَكْثَرَ وَأَغْزَرَ وَفِي الْجَدْبِ وَقَلَّةُ الْنَّدَى
يُكَوَّنُ اللَّثَآ أَنْزَرَ وَمِقْدَارُهُ مَا خَرَجَ مِنْهُ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَتِسْعَينَ وَحَمْسَ مِائَةٍ
وَهِيَ عَامُ جَدْبٍ نِيفٌ وَعِشْرُونَ رِطْلًا. ثُمَّ تُوَخَّذُ الْفَنَانِي وَتَنْدَفَنُ إِلَى
الْقَبْظِ وَحَارَةُ الْحَرِّ وَتَخْرُجُ مِنَ الدَّفْنِ وَتَجْعَلُ فِي الشَّمْسِ. ثُمَّ تَنْقَدُ كُلُّ
يَوْمٍ فَيُوجَدُ الْدَّهْنُ وَقَدْ طَنَافُوقَ رُطْبَوَةً مَائِيَةً وَأَنْتَالٍ أَرْضِيَةً فَيُقْطَفُ
الْدَّهْنُ ثُمَّ تُعَادُ إِلَى الشَّمْسِ وَلَا يَزَالُ كَذِلِكَ يُشَتَّسْهَا وَيُقْطَفُ دُهْنُهَا

حَتَّى لَا يَقِنَ فِيهَا دُهْنٌ فَيُوَحَّذُ ذَلِكَ الدُّهْنُ وَيَطْبَعُهُ قِيمَهُ فِي الْخَفْيَةِ لَا
 يُطْلَعُ عَلَى طَبِيعَهُ أَحَدًا. ثُمَّ يُرْفَعُ إِلَى خِزَانَةِ الْمَلَكِ وَمِقْدَارُ الدُّهْنِ الْخَالِصُ
 مِنَ اللَّذَا بِالنَّرْوِيقِ نَحْوُ عُشْرِ الْجُمْلَةِ وَقَالَ لِي بَعْضُ أَرْبَابِ الْخَبَرَةِ إِنَّ
 الَّذِي يَحْصُلُ مِنْ دُهْنِهِ نَحْوُ مِنْ عِشْرِينَ رِطْلًا
 وَرَأَيْتُ جَالِينُوسَ يَقُولُ إِنَّ أَجْوَدَ دُهْنَ الْبَلْسَانِ مَا كَانَ بِأَرْضِ
 فَلَسْطِينَ وَاضْعَفَهُ مَا كَانَ بِيَمْرَأَ وَنَحْنُ فَلَا نَحْذُدُ الْيَوْمَ مِنْهُ بِفَلَسْطِينِ شَيْئًا
 الْبَتَّةِ. وَقَالَ يَقُولُوا سُونُسُ فِي كِتَابِ النَّبَاتِ. وَمِنَ النَّبَاتِ مَا لَهُ رَائِحةً طَيِّبَةً
 فِي بَعْضِ أَجْزَائِهِ وَمِنْهُ مَا رَائِحَتِهُ الطَّيِّبَةُ فِي جَمِيعِ أَجْزَائِهِ كَالْبَلْسَانِ الَّذِي
 يَكُونُ فِي الشَّامِ يَقْرُبُ بَحْرِ الْزَّرْفَتِ وَالْبَرُّ الَّتِي يُسْقَى مِنْهَا تُسَيَّى بِهِ الْبَلْسَمُ
 وَمَا وَهَا عَذْبٌ. وَقَالَ أَبْنُ سَجْعَوْنَ: إِنَّمَا يُوجَدُ فِي زَمَانِنَا هَذَا بِيَمْرَأَ
 فَقَطْ وَيُسْخَرُ بِهِ دُهْنُهُ عِنْدَ طُلُوعِ كَلْبِ الْجَبَارِ وَهُوَ الشِّعَرَةُ وَذَلِكَ فِي
 الشُّبَاطِ. وَمِقْدَارُ مَا يُخْرُجُ مَا بَيْنَ خَمْسِينَ رِطْلًا إِلَى سِتِّينَ وَيُبَاعُ فِي مَكَانِهِ
 بِضِعْفِهِ فِضَّةً. وَكَانَ هَذِهِ الْحَالَ قَدْ كَانَتِ فِي زَمَانِ أَبْنِ سَجْعَوْنَ وَحَكَى
 عَنِ الرَّازِيِّ أَنَّ بَدَلَهُ دُهْنُ الْجَبَلِ وَهَذَا بَيِّنٌ. وَالْبَلْسَانُ الدُّهْنِيُّ لَا يَثْمِرُ
 وَإِنَّمَا تُوَحَّدُ مِنْهُ فُسُوخٌ فَتَغْرِسُ فِي شُبَاطٍ فَتَعْلَقُ وَتَتَبَيَّنُ. وَإِنَّمَا الشَّمَرُ
 لِلذَّكِيرِ الْبَرِّيِّ وَلَا دُهْنَ لَهُ وَيَكُونُ بِنَجْدِ وَهَمَامَةَ وَبَرَارِيِّ الْعَرَبِ
 وَسَوَاحِلِ الْيَمَنِ وَبِأَرْضِ فَارِسَ وَبِسَمَّيِ الْبَشَارِ وَبَرِّيِّ قِشْ قِيلَ
 أَسْتِخْرَاجُ دُهْنِهِ فَيَكُونُ نَافِعًا مِنْ جَمِيعِ الْسُّمُومِ. وَمَا خَوَاصُهُ وَمَنَافِعُهُ
 فَالْأَلْبِقُ بِهَا غَيْرُ هَذَا الْكِتَابِ

الفَصْلُ الثَّالِثُ

فِيمَا تَخَنَّصَ بِهِ مِنَ الْجِنْوَانِ

مِنْ ذَلِكَ الْجِنِّيِّ وَالْجِنِّيِّ بِمِصْرَ فَارِهَةُ جَدًا وَتَرْكَبُ بِالسُّرُوجِ وَتَجْرِي
مَعَ الْجِنْبِلِ وَالْبَغَالِ النَّفِيسَةِ وَلَعَلَّهَا تَسْبِقُهَا وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ كَثِيرُ الْعَدَدِ
وَمِنْهَا مَا هُوَ عَالٍ بِحِينَتِ إِذَا رَكَبَ سَرْجٍ أَخْنَاطَ مَعَ الْبَغَالَاتِ . يَرْكَبُهُ
رُؤْسَاءُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى . يَمْلُعُ ثَمَنُ الْوَاحِدِ مِنْهَا عِشْرِينَ دِينَارًا إِلَى
أَرْبَعِينَ

وَمَا يَقْرُؤُهُمْ فَعَظِيمَةُ الْخَلْقِ حَسَنَةُ الصُّورِ . وَمِنْهَا صِنْفٌ هُوَ أَحْسَنُهَا
وَأَعْلَاهَا فِيهَا يُسَمِّي الْبَقَرَ الْجِنِّيَّةَ وَهِيَ ذَوَاتُ قُرُونٍ كَمَّهَا الْقِسْيُ غَزِيرَاتُ
اللَّبَنِ

وَمَا خَلَلَهَا فَعَتَاقُهُ سَابِقَةٌ وَمِنْهَا مَا يَلْعُغُ ثَمَنُهُ الْفَ دِينَارٍ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافٍ
وَمِنْ ذَلِكَ الْعَاسِجُ وَالْفَاسِجُ كَثِيرٌ فِي الْنَّيلِ وَخَاصَّةً فِي الْصَّعِيدِ
الْأَعُلَى وَفِي الْجَنَادِلِ فَإِنَّهَا تَكُونُ عَلَى الْمَاءِ وَبَيْنَ صُخُورِ الْجَنَادِلِ كَالدُّودِ
كُثْرَةً وَتَكُونُ كِبَارًا وَصَغَارًا وَيَنْتَهِي فِي الْكِبْرِ إِلَى نِيفٍ وَعِشْرِينَ ذِرَاعًا
طُولًا . وَتُوَجَّدُ فِي سَطْحِ جَسَدِهِ مَا يَلِي بَطْنَهُ سِلْعَةٌ كَالْبِيَضَةِ تَحْتَوِي عَلَى
رُطُوبَةٍ دَمَوِيَّةٍ وَهِيَ كَنَافِحةُ الْمِسْكِ فِي الصُّورَةِ وَالْطِيبِ وَخَبَرَنِي الْثِقَةُ
أَنَّهُ يَنْدُرُ فِيهَا مَا يَكُونُ فِي عُلُوِّ الْمِسْكِ لَا يَنْقُصُ عَنْهُ شَيْئًا . وَالْتِسَاجُ
يَسْبِضُ يَضْا شَيْهَا يَسْبِضُ الدَّجَاجَ وَرَأَيْتُ فِي كِتَابٍ مِنْسُوبٍ إِلَى أَرْسَطُوَ
مَا هُنْ صُورَتُهُ . قَالَ الْتِسَاجُ وَلَا يَعْمَلُ فِي جِلْدِهِ الْجَدِيدُ . وَمِنْ فَقَارِ
رَقَبَتِهِ إِلَى ذَنَبِهِ عَظِيمٌ وَاحِدٌ وَلِهُذَا إِذَا أَنْقَلَبَ عَلَى ظَهْرِهِ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ

يَرْجِعَ . قَالَ وَيَسِّرُ بِيَضَا طَوِيلًا كَإِلَوْزٍ وَيَدْفَنُهُ فِي الرَّمْلِ فَإِذَا أَخْرَجَ
 كَانَ كَأَنْحَرًا ذِينَ فِي حِسْمِهَا وَخَلْفِهَا . ثُمَّ بَعْظُهُ حَتَّى يَكُونَ عَشَرَ أَذْرُعَ
 وَأَزْيَادًا وَيَسِّرُ سِتِّينَ بَيْضَةً لَآنَ خَلْقَتْهُ تَجْرِي عَلَى سِتِّينَ سِنَّا وَسِتِّينَ عَرْفَةً
 وَمِنْ ذَلِكَ فَرَسُ الْبَحْرِ وَهُنَّ تُوجَدُ بِاسْفَلِ الْأَرْضِ وَخَاصَّةً بِبَحْرِ
 دِمْيَاطَ وَهُوَ حَيَوَانٌ عَظِيمٌ الصُّورَةُ هَائِلٌ الْمَنْظَرِ شَدِيدُ الْبَاسِ يَشْتَبَعُ
 الْمَرَاكِبَ فِي غَرْقَهَا وَيُهْلِكُ مَنْ ظَفَرَ بِهِ مِنْهَا وَهُوَ بِالْجَامُوسِ أَشَبَّهُ مِنْهُ
 بِالْفَرَسِ لِكِنَّهُ لَيْسَ لَهُ قَرْنٌ وَفِي صَوْتِهِ صَحْلَةٌ بِشِيهٌ صَمِيلَ الْفَرَسِ بَلْ
 الْبَغْلِ وَهُوَ عَظِيمٌ الْهَامَةُ هَرِيتُ الْأَشْدَاقِ حَدِيدُ الْأَنْيَابِ عَرِيضُ
 الْكَلْكَلِ مُتَنَعِّجٌ الْجَوْفُ قَصِيرُ الْأَرْجُلِ شَدِيدُ الْوَمْبُ قَوْيُ الْدَافِعِ مَهِيبُ
 الصُّورَةِ مَخْوِفُ الْغَائِلَةِ وَخَبَرَنِي مَنْ أَصْطَادَهَا مَرَاتٍ وَشَفَهَا وَكَشَفَ عَنْ
 أَعْضَاءِهَا الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ أَنَّهَا خَنْزِيرٌ كَيْدُ وَأَنَّ أَعْضَاءَهَا الْبَاطِنَةِ
 وَالظَّاهِرَةِ لَا تُغَادِرُ مِنْ صُورَةِ الْخَنْزِيرِ شَيْئًا إِلَّا فِي عِظَمِ الْمُخْلَفَةِ . وَرَأَيْتُ
 فِي كِتَابِ نِيَطُو الْيَسِّ في الْحَيَوَانِ مَا يَعْضُدُ ذَلِكَ وَهُنَّ صُورَتُهُ . قَالَ
 خَنْزِيرَةُ الْهَاءِ تَكُونُ فِي بَحْرِ مِصْرَ وَهِيَ تَكُونُ فِي عِظَمِ الْفَيْلِ وَرَأْسُهَا بِشِيهٌ
 رَأْسُ الْبَغْلِ وَهَا شَبَهُ الْجَمَلِ . قَالَ وَشَمْ مِنْهَا إِذَا أَذْيَبَ وَلَتْ بِسَوِيقِ
 وَشَرِبَتْهُ امْرَأَةٌ أَسْمَهَا حَتَّى تَجُوزَ الْمِقْدَارَ

وَكَانَتْ وَاحِدَةٌ بِعِرْ دِمْيَاطَ قَدْ ضَرَبَتْ عَلَى الْمَرَاكِبِ تَغْرِقُهَا وَصَارَ
 الْمُسَافِرُ فِي تِلْكَ الْجِهَةِ مُغَرِّرًا وَضَرَبَتْ أُخْرَى بِجَهَةِ أُخْرَى عَلَى الْجَوَامِيسِ
 وَالْبَقَرِ وَبَنِي آدَمَ نَقْتَلُهُمْ وَتُفْسِدُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ . وَأَعْمَلَ النَّاسُ فِي
 قَنْلِهِمَا كُلَّ حِيلَةٍ مِنْ نَصْبِ الْجَبَائِلِ الْوَثِيقَةِ وَحَشِيدِ الْرِّجَالِ بِأَصْنَافِ

السِّلَاجُ وَغَيْرُ ذَلِكَ . فَلَمْ يُجِدْ شَيْئاً فَأَسْتُدِعِيَ بَنْفَرِ مِنَ الْمَرِيسِ صِنْفٍ مِنْ
الْسُّوْدَانِ زَعْمُوا أَنَّهُمْ يُحِسِّنُونَ صِيدَهَا وَأَنَّهَا كَثِيرَةٌ عِنْدَهُمْ وَمِنْهُمْ
مَزَارِيقُ . فَتَوَجَّهُوا نَحْوَهَا فَقَتَلُوهَا فِي أَفْرَبِ وَقْتٍ وَبِاهْوَنٍ سَعِيًّا وَأَتَوْا
بِهَا إِلَى الْقَاهِرَةِ فَشَاهَدُوهَا فَوَجَدُوا جَلْدًا احْدَاهُمْ أَسْوَدَ أَجْرَدَ ثَخِينًا
جَلْدًا وَطُولُهَا مِنْ رَأْسِهَا إِلَى ذَنْبِهَا عَشَرَ خُطُواتٍ مُعْتَدِلَاتٍ وَهِيَ فِي غِلْظَاطِ
الْجَامُوسِ نَحْوَ ثَلَاثَ مَرَاتٍ وَكَذِيلَكَ رَفِيْبُهَا وَرَأْسُهَا . وَفِي مُقْدَمِهِ فِيهَا
أَثْنَا عَشَرَ نَابًا مِسْتَدَّةً مِنْ فَوْقِ وَسْتَةَ مِنْ أَسْفَلِ الْمُتَطَرِّفَةِ مِنْهَا نِصْفُ ذِرَاعِ
زَائِدٌ وَالْمُتَوَسِّطَةُ أَنْقَصُ بِقَلِيلٍ . وَبَعْدَ الْأَنْيَابِ أَرْبَعَةُ صُوفَوْفَ مِنَ
الْأَسْنَانِ عَلَى خُطُوطٍ مُسْتَقِيمَةٍ فِي طُولِ الْفَمِ فِي كُلِّ صَفٍ عَشَرَ كَمْثَالِ
بِيْضِ الدَّجَاجِ الْمُصَطَّفِ صَفَانٍ فِي الْأَعْلَى وَصَفَانٍ فِي الْأَسْفَلِ عَلَى
مُقَابِلَتِهَا . وَإِذَا قَعَرُوهَا وَسَعَ شَاءَ كَيْفَ وَذَنْبَهَا فِي طُولِ نِصْفِ ذِرَاعِ
زَائِدٍ غَلِيبَطٌ وَطَرَفُهُ كَالْأَصْبَعِ أَجْرَدَ كَانَهُ عَظِيمٌ شَبِيهُ بِذَنْبِ الْوَرَلِ
وَأَرْجُلُهَا قِصَارٌ طُولُهَا نَحْوَ ذِرَاعٍ وَثَلَاثٌ وَلَهَا شَبِيهٌ بِخُفْتِ الْبَعِيرِ إِلَّا أَنَّهُ
مَشْفُوقٌ الْأَطْرَافِ يَارْبَعَةِ أَفْسَامٍ وَأَرْجُلُهَا فِي غَايَةِ الْغِلْظَاطِ . وَجُمْلَةُ جُنْحِنَّهَا
كَانَهَا مَرْكَبٌ مَكْبُوبٌ لِعَظِيمِ مَنْظَرِهَا . وَبِالْجَمِيلَةِ هِيَ أَطْوَلُ وَأَغْلَظُ مِنَ
الْفِيلِ إِلَّا أَنَّ أَرْجُلَهَا أَقْصَرُ مِنْ أَرْجُلِ الْفِيلِ بِكَثِيرٍ وَلَكِنْ فِي غِلْظِهَا أَوْ
أَغْلَظُ مِنْهَا

وَأَمَّا أَصْنَافُ السَّمَكِ عِنْدَهُمْ فَكَثِيرَةٌ لِأَنَّهُ يَجْتَمِعُ لِآتِيهِمْ سَمَكُ الْبَيْلِ
وَسَمَكُ الْبَحْرِ الْمَحْرُ وَلَا يَفِي القَوْلُ بِنَعْنَاهَا لِكَثِيرَةِ أَصْنَافِهَا وَأَخْيَالَفِ أَشْكَالِهَا
وَالْوَارِنَّهَا

٤٠٠

الفصل الرابع

في اقتصاص ما شوهد من آثارها القديمة

أما ما يوجد بيه مصر من الآثار القديمة فشيء لم أر ولم أسمع به مثله في غيرها فاقتصر على أغرب ما شاهدته فـ

فـنـ ذـلـكـ الـأـهـرـامـ وـقـدـ أـكـثـرـ النـاسـ مـنـ ذـكـرـهـاـ وـوـصـفـهـاـ وـمـسـاحـهـاـ

وـهـيـ كـثـيرـ العـدـ حـدـاـ وـكـلـهـاـ يـبـرـ الـجـينـ وـعـلـىـ سـمـتـ مـصـرـ الـقـدـيمـةـ وـتـمـتدـ

فـيـ نـحـوـ مـسـافـةـ يـوـمـيـنـ وـفـيـ بـوـصـيرـ مـنـهـاـ شـيـءـ كـثـيرـ وـبعـضـهـاـ كـبـارـ وـبعـضـهـاـ

صـغـارـ وـبعـضـهـاـ طـيـنـ وـلـبـنـ وـأـكـثـرـهـاـ حـجـرـ وـبعـضـهـاـ مـدـرـاجـ وـأـكـثـرـهـاـ مـخـروـطـ

أـمـلـسـ .ـ وـقـدـ كـانـ مـنـهـاـ يـاـنـجـينـ عـدـ كـثـيرـ لـكـنـهـاـ صـغـارـ فـهـدـمـتـ فـيـ زـمـنـ

صـلـاجـ الـدـيـنـ يـوـسـفـ بـنـ أـيـوبـ عـلـىـ يـدـيـ قـرـاقـوشـ بـعـضـ الـأـمـرـاءـ .ـ

وـكـانـ خـصـيـاـ رـوـمـيـاـ سـاـمـيـ الـهـمـةـ وـكـانـ يـتـوـلـيـ عـمـاـيـرـ مـصـرـ وـهـوـ الـذـيـ بـنـ

الـسـوـرـ مـنـ الـجـارـةـ مـحـبـطاـ بـالـفـسـطـاطـ وـالـقـاهـرـ وـمـاـ يـنـهـاـ وـبـالـقـلـعـةـ الـتـيـ عـلـىـ

الـمـقـطـمـ وـهـوـ أـبـضاـ الـذـيـ بـنـ الـقـلـعـةـ وـأـنـبـطـ فـيـهـاـ الـبـرـيـنـ الـمـوـجـودـ تـيـنـ

الـيـوـمـ وـهـاـ مـنـ الـعـجـائـبـ وـيـنـزـلـ إـلـيـهـاـ بـدـرـاجـ فـيـ نـحـوـ ثـلـاثـيـةـ دـرـجـةـ .ـ وـأـخـدـ

جـحـارـةـ هـنـهـ الـأـهـرـامـ الصـغـارـ وـبـنـ الـقـنـاطـيرـ الـمـوـجـودـةـ الـيـوـمـ يـاـنـجـينـ .ـ وـهـنـهـ

الـقـنـاطـيرـ مـنـ الـأـيـنـةـ الـعـجـيـبـةـ أـيـضاـ وـمـنـ أـعـمـالـ الـمـجـارـيـنـ وـتـكـونـ بـنـقـاـ

وـأـرـ بـعـينـ قـنـطـرـةـ .ـ وـفـيـ هـنـهـ الـسـنـةـ وـهـيـ سـنـةـ سـبـعـ وـتـسـعـيـنـ وـحـمـسـ مـيـائـةـ

تـوـلـيـ أـمـرـهـاـ مـنـ لـاـ بـصـيرـ عـنـدـ فـسـدـهـاـ رـجـاءـ أـنـ بـحـثـيـسـ الـهـمـةـ فـيـرـوـبـةـ

الـجـينـ فـقـوـيـتـ عـلـيـهـاـ جـرـيـةـ الـمـاءـ فـرـلـزـتـ مـنـهـاـ ثـلـثـ قـنـاطـيرـ وـأـنـشـفـتـ .ـ وـمـعـ

ذلِكَ فَلَمْ يُرِ مَارِجَاً أَنْ يُرُويَ . وَقَدْ يَقِيَ مِنْ هُنْهُ الْأَهْرَامُ الْمَهْدُوَةُ قَلْبُهَا
وَحْشُوَتْهَا وَهِيَ رَدْمٌ وَحِجَارَةٌ صِغَارٌ لَا تَصْلُحُ لِلْقَنَاطِيرِ فَلِاجْلِ ذلِكَ
تُرِكَتْ

وَمَا الْأَهْرَامُ الْمُتَحَدَّثُ عَنْهَا الْمُشَارُ إِلَيْهَا الْمَوْصُوفَةُ بِالْعَظَمِ . فَشَّلَّةُ
الْأَهْرَامِ مَوْضُوعَةٌ عَلَى خَطٍّ مُسْتَقِيمٍ يَا نَجِيْرَةَ قُبَّالَةَ الْفَسَطَاطِ وَيَنْهَا مَسَافَاتُ
بِسِيرَةٍ وَزَوَاياها مُتَفَاعِلَةٌ نَحْوَ الْمَشْرِقِ وَأَثْنَانِ مِنْهَا عَظِيمَانِ جِلْدًا فِي قَدْسِ
وَاحِدٍ وَبِهَا أُولَئِكَ الْشِعْرَاءُ وَشَهْرُوهَا بِنَهَدَيْنِ قَدْ نَهَدَاهُ فِي صَدْرِ الْدِيَارِ
الْمِصْرِيَّةِ وَهَا مُتَقَارِبَانِ جِلْدًا وَمِنْيَانِ يَا حِجَارَةَ الْيَيْضِ . وَمَا الْفَالِثُ فَيَنْقُصُ
عَنْهَا بِنَحْوِ الرِّبْعِ لِكَنْهُ مَبْنِي يَا حِجَارَةَ الصَّوَانِ الْأَحْمَرِ الْمُنْقَطِ الشَّدِيدِ
الصَّلَابَةِ وَلَا يُوْثِرُ فِيهِ الْخَدِيدُ إِلَّا فِي الْزَّمَنِ الْطَّوِيلِ وَيَنْجُدُ صَغِيرًا
يَا قَيْسَاسِ إِلَى ذِينَكَ فَإِذَا قَرُبْتَ مِنْهُ وَأَفْرَدْتَهُ يَا الْنَّظَرِ هَالَكَ مَرَأَةً وَحَسَرَ
الْطَّرْفُ عِنْدَ تَامِلِهِ

وَقَدْ سَلَكَ فِي بِنَائِيَةِ الْأَهْرَامِ طَرِيقَ مِنَ الشَّكْلِ وَإِلَيْنَانِ وَلَذِلِكَ
صَبَرَتْ عَلَى صَرَرِ الزَّمَانِ بَلْ عَلَى صَرَرِهَا صَبَرَ اُزَمَانُ فَإِنَّكَ إِذَا بَحَرْتَهَا وَجَدْتَ
الْأَذْهَانَ الشَّرِيفَةَ قَدْ أَسْهَلَكَتْ فِيهَا وَالْعُقُولَ الصَّافِيَةَ قَدْ أَفْرَغَتْ عَلَيْهَا
مَجْهُودَهَا وَلَا نُفْسَنَ النَّيْرَةَ قَدْ فَاضَتْ عَلَيْهَا أَشْرَفَ مَا عِنْدَهَا لَهَا وَالْمَلَكَاتِ
الْهَنْدِسِيَّةَ قَدْ أَخْرَجَتْهَا إِلَى الْفِعْلِ مَثَلًا هِيَ غَايَةُ إِمْكَانِهَا حَتَّى أَنَّهَا تَكَادُ
تُخَدِّثُ عَنْ قَوْمَهَا وَتُخَيِّرُ بِحَالِهِمْ وَتُنْطِقُ عَنْ عُلُومِهِمْ وَأَذْهَانِهِمْ وَتُرْجِمُ
عَنْ سِيرِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ وَذَلِكَ أَنَّ وَضَعَهَا عَلَى شَكْلِ مَخْرُوطٍ يَبْتَدِئُ مِنْ
قَاعِدَةِ مُرْبَعَةٍ وَيَنْتَهِي إِلَى نُقطَةٍ . وَمِنْ خَواصِ الشَّكْلِ الْخُرُوطِ أَنَّ مَرْكَزَ

ثقله في وسطه وهو يتساند على نفسه ويتوافق على ذاته ويتحاصل بعضه على بعض فليس له جهة أخرى خارجة عنه يتساند علىها ومن محيب وضعه أنه شكل مربع قد قوبل بزواياه مهب الرياح الأربع فإن الريح تنكسر سورتها عند مصادمتها الزاوية وليس كذلك عند ما تلقى السطح

ولنرجع إلى ذكر المهرمين العظيمين فإن المساج دُكروا أن قاعده كل منها أربع مائة ذراع طولاً في مثلها عرضًا وارتفاع عمودها أربع مائة ذراع وذلك كله بالذراع السوداء وينقطع الخروط في أعلىه عند سطح مساحته عشر ذراع في مثلها وأما الذي شاهدته من حالها فإن رأينا كان معناه سهماً في قطع أحد هما وفي سمه فسقط السهم دون نصف المسافة وخيرنا أن في القرية الجوارية لها قوماً قد اعتادوا أن تقاضي المهرم بلا كلفة فاستدعاها رجلاً منهم ورخصنا له بشيء فجعل يصعد فيها كما يرقى أحدهنافي الدرج بل أسرع ورقى بعليه وأنوبيه وكانت سابغة وكانت أمرته أنه إذا أستوى على سطحه فاسمه يعامتها فلما نزل ذرعاً من عامتها مقدار ما كان قاس فكان إحدى عشر ذراعاً يذراع اليدين ورأيت بعض أرباب القياس قال أرتقأ عمودها ثلاثة عشر ذراعاً ونحو سبع عشر ذراعاً يحيط به أربعة سطوح مثلثات الأضلاع طول كل ضلع منها أربع مائة ذراع وستون ذراعاً وارى هذا القياس خطأ ولو جعل العمود أربع مائة ذراع لصح قياسه وإن ساعدت المقاييس توقيت قياسه بنفسها

وَفِي أَحَدٍ هُذِينِ الْهَرَمِينِ مَدْخَلٌ يَلْجُمُ النَّاسُ يُفْضِيُّهُمْ إِلَى مَسَالِكَ
ضَيْقَةٍ وَأَسْرَابٍ مُتَنَافِلَةٍ وَآبَارٍ وَهَاكَ وَغَيْرُ ذَلِكَ مَا يَحْكِيهِ مَنْ يَلْجُمُ
وَيَتَوَعَّلُهُ. فَإِنَّ نَاسًا كَثِيرِينَ لَهُمْ غَرَامٌ بِهِ وَتَحْشِيلٌ فِيهِ فَيُوْغَلُونَ فِي أَعْمَاقِهِ
وَلَا بُدَّ أَنْ يَنْتَهُوا إِلَى مَا يَعْزَزُونَ عَنْ سُلُوكِهِ. وَأَمَّا الْمَسْلُوكُ فِيهِ الْمَطْرُوقُ
كَثِيرًا فَزَلَّاقَةٌ تُفْضِيُّ إِلَى أَعْلَاهُ. فَيُوجَدُ فِيهِ بَيْتٌ مَرْبَعٌ فِيهِ نَاؤُوسُ مِنْ
جَحْرٍ وَهَذَا الْمَدْخَلُ لَيْسَ هُوَ الْبَابُ الْمُتَخَذَلُ فِي أَصْلِ الْبَيْنَاءِ وَإِنَّمَا هُوَ
مَنْقُوبٌ نَقْبَا صُدُوفَ أَتَنَافَا. وَذُكْرُ أَنَّ الْمَامُونَ هُوَ الَّذِي فَتَحَهُ وَجَلَّ مَنْ
كَانَ مَعَنَا وَلَجَوْفِهِ وَصَدِعُوا إِلَى الْيَيْتِ الَّذِي فِي أَعْلَاهُ. فَلَمَّا نَزَلُوا حَدَّثُوا
بِعَظِيمٍ مَا شَاهَدُوا وَانْهَمَ مَمْلُوءٌ بِالْخَفَافِشِ وَأَبْوَالِهَا حَتَّى يَكُادُ يَمْنَعُ السَّالِكَ
وَيَعْضُمُ فِيهَا الْخَفَافِشُ حَتَّى يَكُونَ فِي قَدْرِ الْحَمَامِ. وَفِيهِ طَافَاتٌ وَرَوَازِنُ
نَحْوَ أَعْلَاهُ وَكَانُوا جَعَلُتْ مَسَالِكَ لِلرِّجْعِ وَمَنَادِلَ لِلضَّوْءِ وَوَجْهُهُ مَنَّةٌ
أُخْرَى مَعَ جَمَاعَةٍ وَلَكَعْتُ نَحْوَ ثَلْثَيِ الْمَسَافَةِ فَأَغْيَى عَلَيَّ مِنْ هَوْلِ الْمُطَلَّعِ
فَرَجَعْتُ بِرَمَقٍ

وَهُذِئُ الْأَهْرَامُ مِنْيَةٌ بِحِجَارَةٍ حَافِيَةٌ يَكُونُ طُولُ الْجَحْرِ مِنْهَا مَا يَبْيَنَ عَشْرُ
أَذْرُعٍ إِلَى عِشْرِينَ ذِرَاعًا وَسِمْكُهُ مَا يَبْيَنَ ذِرَاعَيْنِ إِلَى ثَلَاثٍ وَعَرْضُهُ نَحْوُ
ذَلِكَ وَعَجَبٌ كُلُّ الْعَجَبِ فِي وَضْعِ الْجَحْرِ عَلَى الْجَحْرِ بِهِنْدَامٍ لَيْسَ فِي
الْإِمْكَانِ أَصْحَحُ مِنْهُ حَيْثُ لَا تَجِدُ بَيْنَهَا مَدْخَلًا إِبْرَيًّا وَلَا خَلَلَ شَعْرَةٍ وَبَيْنَهَا
طِينٌ كَانَهُ الْوَرَقةُ لَا أَذْرِي مَا صَنَفَهُ وَلَا مَا هُوَ وَعَلَى تِلْكَ الْجِهَارَةِ كِتَابَاتٌ
بِالْقَلْمَ الْقَدِيمِ الْجَهُولِ الَّذِي لَمْ أَجِدْ بِدِيَارِ مِصْرَ مِنْ يَزْعُمَ أَنَّهُ سَيِّعٌ بِهِنْ
يَعْرِفُهُ. وَهُذِئُ الْكِتَابَاتُ كَثِيرَةٌ حِدَّا حَتَّى لَوْ نَقَلَ مَا عَلَى الْهَرَمِينِ فَقَطْ إِلَى

صُفْ لَكَانَتْ زُهَاءَ عَشَقَ آلَافِ صَحِيفَةٍ وَ قَرَأَتْ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْصَّاِسَةِ
الْقَدِيمَةِ أَنَّ أَحَدَ هَذِينَ الْمَرْمِينَ هُوَ قَبْرُ أَغَادِيْمُونَ وَالْآخَرُ قَبْرُ هَرْمِيسَ
وَرِزْعُمُونَ أَنَّهَا نَيْمَانَ عَظِيمَانَ وَأَنَّ أَغَادِيْمُونَ أَفْدَمُ وَأَعْظَمُ وَأَنَّهُ كَانَ
يُجْعَلُ إِلَيْهَا وَيَهُوَ نَحْوَهَا مِنْ أَفْطَارِ الْأَرْضِ . وَقَدْ وَسَعْنَا الْقَوْلَ فِي
الْمَنْقُولِ فِي الْكِتَابِ الْكَبِيرِ فِيمَنْ أَرَادَ التَّوْسُعَ فَعَلَيْهِ يَهْ فَإِنْ هَذَا الْكِتَابَ
مَقْصُورٌ عَلَى الْمَشَاهِدِ

وَكَانَ الْمَلِكُ الْعَزِيزُ عَمِّنْ بْنُ يُوسُفَ لَمَّا اسْتَقَلَ بَعْدَ أَيْهِ سَوْلَ لَهُ
جَهْلَةً أَصْحَاهِهِ أَنْ يَهْدِمَ هُنْ الْأَهْرَامَ . فَبَدَا بِالصَّغِيرِ الْأَحْمَرِ وَهُوَ ثَالِثُهُ
الْأَثَافِي . فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ الْحَلْبِيَّةَ وَالنَّقَائِنَ وَالْمُجَارِيَنَ وَجَمَاعَةً مِنْ عُظَمَاءِ
دَوْلَتِهِ وَأَمْرَاءِ مَلِكَتِهِ وَأَمْرَمُهُ يَهْدِمِهِ وَكَلَمُ بَخْرَاهِ . فَخَيْمُوا عِنْدَهَا
وَحَشَرُوا عَلَيْهَا الرِّجَالَ وَالصَّنَاعَ وَوَفَرُوا عَلَيْهِمُ النَّفَقَاتِ وَأَقَامُوا نَحْوَ
ثَمَانِيَّةَ أَشْهُرٍ بِخَلْبِهِمْ وَرَجْلِهِمْ يَهْدِمُونَ كُلَّ يَوْمٍ بَعْدَ بَذْلِ الْجَهْدِ
وَاسْتِغْرَافِ الْوُسْعِ الْمُجَرَّ وَالْمُجَرِّبِينَ . فَقَوْمٌ مِنْ فَوْقِ يَدِ فُؤُونَهُ بِالْأَسَافِينِ
وَالْأَخَالِ وَقَوْمٌ مِنْ أَسْفَلِ يَجْدُبُونَهُ بِالْقُلُوسِ وَالْأَسْطَانِ فَإِذَا سَقَطَ
سِعْ لَهُ وَجْهَهُ عَظِيمَةٌ مِنْ مَسَافَةِ بَعِيلَقٍ حَتَّى تَرْجُفَ لَهُ الْمِجَالُ وَتَرْزَلَ
الْأَرْضُ وَيَغُوضُ فِي الْرَّمْلِ فَيَتَبَعُونَ تَبَعًا آخَرَ حَتَّى بُخْرُجُوهُمْ يَضْرِبُونَ
فِيهِ الْأَسَافِينَ بَعْدَ مَا يَنْقُونَ لَهَا مَوْضِعًا وَيَسْتَوِنَهَا فِيهِ فَيَتَقْطَعُ قَطْعًا
فَتَسْحَبُ كُلُّ قِطْعَةٍ عَلَى الْمَجَلِ حَتَّى تُلْقَى فِي ذَيْلِ الْمَجَلِ وَهِيَ مَسَافَةٌ
فَرِيقَةٌ . فَلَمَّا طَالَ شَوَّاْهُمْ وَنَفَدَتْ نَفَقَاتُهُمْ وَتَضَاعَتْ نَصْبُهُمْ وَوَهَتْ
عَرَائِمُهُمْ وَخَارَتْ قُوَّاهُمْ كَفُوا مَحْسُورِيَنَ مَدْمُوِيَنَ لَمْ يَنَالُوهُ بِغَيْرَهُ وَلَا

بَلْ كَانَتْ غَايَةً أَنْ شَوَّهُوا الْهَرَمَ وَأَبَانُوا عَنْ عَجَزِ وَفَشَلِ .
 وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَعِينَ وَخَمْسِ مِائَةٍ وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الرَّافِي
 لِحِجَارَةِ الْهَدْمِ يَظْنُ أَنَّ الْهَرَمَ قَدْ أَسْتُوْصَلَ فَإِذَا عَانَ الْهَرَمَ ظَنَّ أَنَّهُ لَمْ
 يَهْدَمْ مِنْهُ شَيْءٌ وَإِنَّا جَاءَنَا بِمِنْهُ كُشِطَ بَعْضُهُ . وَحِينَ مَا شَاهَدْتُ الْمَشَفَةَ
 أَنَّى يَجْدُونَهَا فِي هَذِهِمْ كُلُّ حَجَرٍ سَالٌ مُقْدَمٌ أَنْجَحَارِ بْنَ فَقْلُتُ لَهُ لَوْ
 بُذِلَ لَكُمْ أَلْفُ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تَرْدُوا حَجَرًا وَاحِدًا إِلَى مَكَانِهِ وَهِنْدَامِهِ هَلْ
 كَانَ تَمْكِنُكُمْ ذَلِكَ فَأَقْسَمَ بِاللَّهِ تَعَالَى إِنَّهُمْ لَيَغْزِوْنَ عَنْ ذَلِكَ وَلَوْ
 بُذِلَ لَهُ أَضْعَافُهُ

وَيَازِأَ الْأَهْرَامِ مِنَ الصَّفَةِ الشَّرْقِيَّةِ مَغَابِرُ كَثِيرَةٍ الْعَدَدِ كَبِيرَةُ الْمِقْدَارِ
 عِيقَةُ الْأَغْوَارِ مُتَدَاخِلَةٌ . وَفِيهَا مَا هُوَ دُوْ طَبَقَاتٍ ثَلَاثٍ وَتُسَمَّى الْمَدِينَةَ حَتَّى
 لَعَلَّ الْفَارِسَ يَدْخُلُهَا بِرُمْحِهِ وَيَخْلِلُهَا يَوْمًا أَجْمَعٌ وَلَا يُنْهِيَهَا الْكُثُرَتِهَا وَسَعْيَهَا
 وَبُعْدُهَا وَبَظْهُرِهِ مِنْ حَالِهَا أَنَّهَا مَقَاطِعُ حِجَارَةِ الْأَهْرَامِ . وَمَا مَقَاطِعُ حِجَارَةِ
 الْصَّوَانِ الْأَحْمَرِ فَيُقَالُ إِنَّهَا بِالْقَلْزُومِ وَبِالْسَّوَانِ

وَعِنْدَهُنَّ الْأَهْرَامِ أَثَارٌ أَبْنِيَةُ جَبَارَةٌ وَمَغَابِرُ كَثِيرَةٌ مُتَقَنَّةٌ وَقَلَمَانَرَى
 مِنْ ذَلِكَ شَبَيْهًا إِلَّا وَتَرَى عَلَيْهِ كَتَابَاتٍ بِهَذَا الْقَلْمَ الْجَمُولِ
 وَعِنْدَهُنَّ الْأَهْرَامِ بِأَكْثَرِ مِنْ غُلْوَةٍ صُورَةُ رَأْسٍ وَعَنْقٍ بَارِزَةٌ مِنَ
 الْأَرْضِ فِي غَايَةِ الْعِظَمِ يُسَمِّيَهُ النَّاسُ أَبَا الْهَوْلِ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ جُثَثَهُ
 مَدْفُونَةٌ تَحْتَ الْأَرْضِ وَيَقْتَضِي الْقِيَاسُ أَنَّ تَكُونَ جُثَثَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى رَأْسِهِ
 سَعِينَ ذَرَاعًا فَصَاعِدًا . وَفِي وَجْهِهِ حُمرَةٌ وَدِهَانٌ أَحْمَرٌ يَلْمِعُ عَلَيْهِ رُونِقٌ
 الْطَّرَاهِ وَهُوَ حَسْنُ الْصُّورَةِ مَفْوِلُهَا عَلَيْهِ مَسْحَةٌ بِهَا وَجَالٌ كَانَ يَصْحَكُ

تبسمًا. وَسَأَلَنِي بَعْضُ الْفُضَّلَاءِ مَا أَعْجَبَ مَارَأَيْتَ فَقُلْتُ تَنَاسُبُ وَجْهِي
أَهْوَلُ قِنَاعَ أَعْصَاءَ وَجْهِهِ كَالْأَنْفِ وَالْعَيْنِ وَالْأَدْنِ مُتَنَاسِبَةً كَمَا تَصْنَعُ
الطَّبِيعَةُ الصُّورَ مُتَنَاسِبَةً. فَإِنَّ أَنْفَ الْطَّفْلِ مثَلًا مُتَنَاسِبٌ لَهُ وَهُوَ حَسْنٌ
يَهُ حَتَّى لوَكَانَ ذَلِكَ أَلَّا نَفُ لِرَجُلٍ لَكَانَ مُشَوَّهًا بِهِ وَكَذِلِكَ لَوْكَانَ
أَنْفُ الرَّجُلِ لِلصَّيْرِ لَتَشَوَّهَتْ صُورَتُهُ وَعَلَى هَذَا سَائِرُ الْأَعْصَاءِ فَكُلُّ
عُضُوٍ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَلَى مِقْدَارٍ وَهِيَةٌ بِالْقِيَامِ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ وَعَلَى
نِسْبَتِهَا فَإِنَّ لَمْ تُوجِدِ الْمُنَاسِبَةَ تَشَوَّهَتْ الصُّورَةُ وَالْعِجْبُ مِنْ مُصْوِرِهِ
كَيْفَ قَدْرَ أَنْ يَخْفَظْ نِظَامَ التَّنَاسُبِ فِي الْأَعْصَاءِ مَعَ عِظِيمِهَا وَأَنَّهُ لَيْسَ
فِي أَعْمَالِ الطَّبِيعَةِ مَا يُحَاكِيهِ وَيَتَقْبِيلُهُ

وَمِنْ ذَلِكَ الْأَثَارُ الَّتِي يُعِينُ شَمْسَ وَهِيَ مَدِينَةٌ صَغِيرَةٌ بُشَاهِدُ سُورُهَا
مُحْدِقًا بِهَا مَهْدُومًا وَيَظْهُرُ مِنْ أَمْرِهَا أَنَّهَا قَدْ كَانَتْ بَيْتَ عِبَادَةٍ. وَفِيهَا مِنَ
الْأَصْنَامِ الْهَائِلَةِ الْعَظِيمَةِ الشَّكْلِ مِنْ نَحْجِبَتِ الْمِحْجَارَةِ يَكُونُ طُولُ الْصَّنْمِ
زُهْاءَ ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا وَأَعْصَاؤهُ عَلَى تِلْكَ النِّسْبَةِ مِنَ الْعِظَمِ. وَقَدْ كَانَ بَعْضُ
هَذِهِ الْأَصْنَامِ قَائِمًا عَلَى قَوَاعِدٍ وَبَعْضُهَا قَاعِدًا بِنُصُبَاتٍ عَجِيبَةٍ وَإِنْقَانَاتٍ
مُحَكَّمَةٍ وَبَابُ الْمَدِينَةِ مَوْجُودٌ إِلَى الْيَوْمِ. وَعَلَى مُعْظَمِ تِلْكَ الْمِحْجَارَةِ تَصَاوِيرُ
الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْحَيَوانِ وَكِتَابَاتٍ كَثِيرَةٌ بِالْفَلَمِ الْمُجْهُولِ وَقَلْمَانِ
تَرَى حَجَرًا غُلْلًا مِنْ كِتَابَةٍ أَوْ نَقْشٍ أَوْ صُورَةٍ. وَفِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْمُسْلَنَاتِ
الْمَشْهُورَاتِ وَتَسْمَيَانِ مِسْلَانِيَّ فِرْعَوْنَ وَصَفَّةِ الْمِسْلَةِ أَنْ قَاعِدَةَ مُرْبَعَةَ طُولُهَا
عَشْرُ أَذْرُعٍ فِي مِثْلِهَا عَرْضًا فِي نَحْوِهَا سَمِّكًا قَدْ وُضِعَتْ عَلَى أَسَاسٍ ثَانِيَةٍ
فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أُقْمِدَ عَلَيْهَا أَعْمُودٌ مُرْبَعٌ مُخْرُوطٌ يَنْبِغِي طُولُهُ عَلَى مِائَةِ ذِرَاعٍ

يَسْتَدِيُّ بْنُ قَاعِدَةَ لَعْلَ قُطْرُهَا حَمْسُ أَذْرُعٍ وَيَنْهِي إِلَى نُقْطَةٍ وَقَدْ لِيْسَ
رَأْسَهَا بِقَلْنُسُوَةٍ تُحَاسِ إِلَى خَوْثَلَثٍ أَذْرُعٍ مِنْهَا كَالْقِيمَعِ . وَقَدْ تَرْجَرَ
بِالْمَطَرِ وَطُولِ الْمُدَّةِ فَأَخْضَرَ وَسَالَ مِنْ خُضْرَتِهِ عَلَى بَسِطِ الْمِسَلَةِ .
وَالْمِسَلَةُ كُلُّهَا عَلَيْهَا كِتَابَاتٌ بِذِكْرِ الْقَلْمَ وَرَأَيْتُ إِحْدَى الْمِسَلَتَيْنِ
وَقَدْ خَرَّتْ وَأَنْصَدَتْ مِنْ نَصِفِهَا لِعَظِيمِ التِّقْلِ وَأَخِدَ الْخَاسِ مِنْ رَأْسِهَا .
مُمْئَنٌ حَوْلَهَا مِنَ الْمَسَالِ شَيْئاً كَثِيرًا لَا يُحْصِي عَدْدُهَا وَمَقَادِيرُهَا عَلَى نَصِفِ
تِلْكَ الْعُظْمَى أَوْ ثُلُثِهَا وَقَلَمًا تَجِدُ فِي هَذِهِ الْمَسَالِ الصِّغَارِ مَا هُوَ قِطْعَةٌ
وَاحِدَةٌ بَلْ فُصُوصٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ وَقَدْ تَهَدَّمَ أَكْثَرُهَا فَإِنَّمَا يَقِيْسِنَ
قَوَاعِدُهَا . وَرَأَيْتُ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ مِسَلَتَيْنِ عَلَى سِيفِ الْبَحْرِ فِي وَسْطِ
الْعِمارَةِ الْكَبِيرَ مِنْ هَذِهِ الصِّغَارِ وَأَصْغَرَ مِنَ الْعَظِيمَتَيْنِ

وَأَمَّا الْبَرَّاِيِّ بِالصَّعِيدِ فَأَنْجَكَابَاتُ عَنْ عِظَمِهَا وَأَنْقَانِ صَنْعِهَا وَاحْكَامِ
صُورِهَا وَعَجَائِبِ مَا فِيهَا مِنَ الْأَشْكَالِ وَالْتَّقْوِشِ وَالنَّصَاوِيرِ وَالْخُطُوطِ
مَعَ إِحْكَامِ الْبَنَاءِ وَجَفَاءِ الْأَلَاتِ وَالْأَجْمَارِ حِمَّا يَقُوتُ الْحَصْرُ وَهِيَ مِنَ
الشَّهَرِ يَحْبِثُ نَفْيَهُ عَنِ الْإِطَالَةِ فِي الْصَّفَةِ
وَمِنْ ذِلِكَ الْأَثَارُ الَّتِي يَمْرِضُ الْقَدِيمَةِ وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ يَا تَحْيَنَقَ فُوْيقَ
الْفُسْطَاطِ وَهِيَ مَنْفُ الَّتِي كَانَ يَسْكُنُهَا الْفَرَاعِنَةُ وَكَانَتْ مُسْتَقْرَ مَهْلِكَةً
مُلُوكِ مِصْرَ

فَهَذِهِ الْمَدِينَةُ مَعَ سَعْنَهَا وَنَقَادُمِ عَهْدِهَا وَتَدَالِي الْمِيلَ عَلَيْهَا وَاسْتِئْصالِ
الْأُمَّ إِيَّاهَا مِنْ تَعْفِيَةِ آثَارِهَا وَمَحْوِ رُسُومِهَا وَنَقْلِ حِجَارَتِهَا فَالْأَرْهَامُ
وَإِفْسَادُ أَبْنِيَهَا وَتَشْوِيهِ صُورِهَا مُضَافًا إِلَى مَا فَعَلَتْهُ فِيهَا أَرْبَعَةُ أَلَافٍ

سَنَةٌ فَصَاعِدًا تَجْهُدُ فِيهَا مِنَ الْجَاهِبِ مَا يَفُوتُ قَمَ الْفَطِينِ الْمُتَامِلِ وَيَحْسِرُ
 دُونَ وَضَفِيفِ الْبَلِيقِ الْلِسْنَ وَكُلَّمَا زَادَتْهُ تَأْمَلًا زَادَكَ عَجَباً وَكُلَّمَا زَادَتْهُ
 نَظَرًا زَادَكَ طَرَبًا وَمَهْمَا أَسْتَبْطَتْ مِنْهُ مَعْنَى أَنْبَاكَ بِهَا هُوَ أَغْرِبُ وَمَهْمَا
 أَسْتَرْزَتْ مِنْهُ عِلْمًا دَلَّكَ عَلَى أَنَّ وَرَاءَهَا هُوَ أَعْظَمُ
 فِيمَنْ ذَلِكَ الْبَيْتُ الْمُسَمَّى بِالْبَيْتِ الْأَخْضَرِ وَهُوَ حَجَرٌ وَاحِدٌ تِسْعُ
 أَذْرُعٍ أَرْتَفَاعًا فِي ثَمَانِ طُولًا فِي سَبْعِ عَرْضًا فَدُحْفَرَ فِي وَسَطِهِ يَسْتُ فَدْ
 جَعَلَ سَمْكُ حِيطَانِهِ وَسَقْفِهِ وَأَرْضِهِ ذِرَاعَيْنِ ذِرَاعَيْنِ وَالْبَاقِي فَضَاءَ
 الْبَيْتِ وَجَيْبُهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا مَنْقُوشٌ وَمُصْوَرٌ وَمَكْتُوبٌ بِالْقَلْمَ الْقَدِيمِ
 وَعَلَى ظَاهِئِهِ صُورَةُ الشَّمْسِ مَا يَلِي مَظْلِعُهَا وَصُورَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْكُواكِبِ
 وَالْأَفْلَاكِ وَصُورَ النَّاسِ وَالْحَيَوانِ عَلَى أَخْتِلَافِ مِنَ الْأَنْصَابَاتِ وَالْهَيَّاتِ
 فِيمَنْ بَيْنِ فَائِمَ وَمَاشٍ وَمَادِ رِجْلَيْهِ وَصَافِهِا وَمُسْتَبِرٌ (مُشَمِّرٌ) لِلْخَدْمَةِ
 وَحَامِلٌ آلاتٍ وَالْمُشَيرُ بِهَا. يُنْبِيُ ظَاهِرُ الْأَمْرِ أَنَّهُ قُصِدَ بِذَلِكَ مُحَاكَةً
 أُمُورِ جَلِيلَةٍ وَأَعْمَالٍ شَرِيفَةٍ وَهَيَّاتٍ فَاضِلَةٍ وَإِشَارَاتٍ إِلَى أَسْرَارِ غَامِضَةٍ
 وَأَنَّهَا لَمْ تُنْجِدْ عَيْنَاهَا لَمْ يُسْتَرْغَ فِي صَنْعَتِهَا الْوُسْعُ لِجُرْدِ الْزَّيْنَةِ وَالْحَسْنِ.
 وَقَدْ كَانَ هَذَا الْبَيْتُ مُمْكِنًا عَلَى قَوَاعِدِ مِنْ حِجَارَةِ الْصَّوَانِ الْعَظِيمَةِ الْوَثِيقَةِ
 فَخَفَرَ تَحْنَهَا أَنْجَهَلَةً وَلَحْمَقَ طَمَعاً فِي الْمَطَالِبِ فَتَغَيَّرَ وَضَعُهُ وَفَسَدَ هَنْدَامُهُ
 وَأَخْتَلَفَ مَرْكُزُ ثِقْلِهِ وَثَلَّ بَعْضُ عَلَى بَعْضٍ فَتَصَدَّعَ صُدُوعًا لَطِيفَةً
 يَسِيرَ. وَهَذَا الْبَيْتُ قَدْ كَانَ فِي هِينَكِلٍ عَظِيمٍ مَنْبِيِّ بِحِجَارَةِ عَاتِيَةِ جَافِيَةِ
 عَلَى أَنْقَنِ هَنْدَامٍ وَأَحْمَكَ صَنْعَةَ وَفِيهَا قَوَاعِدُ عَلَى عُمُدٍ عَظِيمَةٍ وَحِجَارَةٌ
 الْمَدْمُ مُتَوَاصِلَةٌ فِي جَيْعِ اقْطَارِ هَذَا الْخَرَابِ. وَقَدْ يَقِيَ فِي بَعْضِهَا حِيطَانٌ

مَا تَلَكَ الْجِهَارَةُ الْجَاهِيَّةُ . وَفِي بَعْضِهَا أَسَاسٌ وَفِي بَعْضِهَا أَطْلَالٌ
وَرَأَيْتُ عَنْدَ بَابِ شَاهِقَارِ كَاهْ حَجَرَانِ فَنَطْ وَازْ جَهْ حَجَرْ وَاحِدْ قَدْ سَقَطَ
بَيْنَ يَدِيهِ وَتَحْدُهُ هِنْهُ الْجِهَارَةُ مَعَ الْهَنْدَامِ الْحُكْمِ وَالْوَضْعِ الْمُتَفَنِ قَدْ حُفِرَ
بَيْنَ الْجِهَارَيْنِ مِنْهَا نَحْوُ شِبْرِ فِي أَرْتِقَاعِ أَصْبَعِينِ وَفِيهِ صَدَاءُ النَّحَاسِ
وَزَجْرُرُهُ فَعَلِمْتُ أَنَّ ذَلِكَ قُبُودُ الْجِهَارَةِ الْبَنَاءِ وَتَوْثِيقُهَا وَرِبَاطَاتُ
بَيْنَهَا يَانِ بُجُولَ يَبَلَّتْ أَنَّ الْجِهَارَيْنِ لُمْ يُصَبَّ عَلَيْهِ الرَّصَاصُ وَقَدْ نَسْبَهَا
الْأَنْذَالُ وَالْمَخْدُودُونَ فَقَلَعُوا مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَكَسَرُوا لِأَجْلِهَا كَثِيرًا
مِنَ الْجِهَارَةِ حَتَّى يَصْلُو إِلَيْهَا وَلَعِمَ اللَّهُ لَقَدْ بَذَلُوا الْجَهْدَ فِي اسْتِخْلَاصِهَا
وَبَأْنُواعِنْ تَمَكَّنَ مِنَ اللَّوْمِ وَتَوَغَّلَ فِي الْخَسَاسَةِ

وَمَمَّا الْأَصْنَامُ وَكُنْتُ عَدِدَهَا وَعِظَمُ صُورِهَا فَأَمْرَيْنُوْتُ الْوَصْفَ
وَبَتَحَاوَزُ التَّقْدِيرَ . وَمَمَّا إِنْقَانُ أَشْكَالُهَا وَأَحْكَامُهَا وَالْمُحَاكَاهُ إِلَيْهَا
الْأُمُورُ الْطَّبِيعَةُ فَهُوَ ضَعْفُ التَّعْجُبِ بِالْحَقِيقَةِ . فَإِنْ ذَلِكَ صَنْمُ ذَرْعَنَاهُ
سِوَى قَاعِدَتِهِ فَكَانَ نَيْنَا وَثَلَاثِينَ ذَرَاعَانِ وَكَانَ مَدَاهُ مِنْ جِهَةِ الْبَيْنِ إِلَى
الْبَسَارِ نَحْوُ عَشْرِ أَذْرُعٍ . وَمِنْ جِهَةِ الْخَلْفِ إِلَى الْأَمَامِ عَلَى ذَلِكَ النِّسْبَةِ
وَهُوَ حَجَرْ وَاحِدٌ مِنَ الصَّوَانِ الْأَحْمَرِ وَعَلَيْهِ مِنَ الدِّهَانِ الْأَحْمَرِ كَانَهُ لَمْ
يَزِدْهُ تَقادُمُ الْأَيَامِ لَا جِهَةً . وَالْعَجْبُ كُلُّ الْعَجْبِ كَيْفَ حُفِظَ فِيهِ مَعَ
عَظَمِهِ الْنِظَامُ الْطَّبِيعِيُّ وَالْتَّنَاسُبُ الْحَقِيقِيُّ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ
الْأَعْصَاءِ الْأَلِيَّةِ الْمُتَشَابِهَةِ لَهُ فِي نَفْسِهِ مِقْدَارٌ مَا وَلَهُ إِلَى سَائِرِ الْأَعْصَاءِ
نِسْبَةٌ مَا بِذَلِكَ الْمِقْدَارِ وَبِذَلِكَ النِّسْبَةِ يَحْصُلُ حُسْنُ الْهِيَّةِ وَمَلَاحَةُ
الصُّورَةِ فَإِنْ أَخْتَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ حَدَثَ مِنْ الْفَجْعِ يَمْقُدَارُ الْخَلْلِ .

* * *

وَقَدْ أَحْكَمَ فِي هُنَّ الْأَصْنَامُ هَذَا النِّظَامُ إِحْكَامًا أَبِيَّ إِحْكَامٍ تَنِنْ ذَلِكَ
مَقَادِيرُ الْأَعْضَاءِ فِي نَفْسِهَا ثُمَّ نَسَبَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضِ
وَرَأَيْتُ أَسَدَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ يَنْهَا أَمْدُ قَرِيبٍ وَصُورُهُمَا هَائِلَةٌ حِدَادًا وَقَدْ
حُفِظَ فِيهَا النِّظَامُ الطَّبِيعِيُّ وَالْتَّنَاسُبُ الْحَيَوَانِيُّ مَعَ كُونِهَا أَعْظَمَ جُنْهَةً مِنَ
الْحَيَوَانِ الْحَقِيقِيِّ حِدَادًا وَقَدْ تَكَسَّرَا وَرُدِمَا بِالثَّرَابِ وَوَجَدْنَا مِنْ سُورِ
الْمَدِينَةِ قِطْعَةً صَالِحةً مِنْبَنِيَّةً بِالْمَحْجَارَةِ الصِّغَارِ وَالْطُّوبِ وَهَذَا الْطُوبُ
كَيْرٌ جَافٌ مُطَاوِلُ الشَّكْلِ وَمِقْدَارُهُ نِصْفُ الْأَجْرِ الْكَسْرَوِيِّ بِالْعِرَاقِ
كَمَا أَنَّ طُوبَ مِصْرَ الْيَوْمَ نِصْفُ الْأَجْرِ الْعِرَاقِ الْيَوْمَ أَيْضًا
(ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ) يَحْدُونَ نَوَّا وَيُسَنَّ تَحْتَ الْأَرْضِ فَسِيَّحَةُ الْأَرْجَاءِ مُحْكَمَةُ
الْبَنَاءِ وَفِيهَا مِنْ مَوْتَى الْقُدَمَاءِ أَنْجَمُ الْغَفِيرُ وَالْعَدُودُ الْكَثِيرُ قَدْ لَفُوا بِاَكْفَانِ
مِنْ ثِيَابِ الْقِنْبَ لَعْلَةً يَكُونُ عَلَى الْمَيْتِ مِنْهَا زُهْاءُ الْفِدْرَاعِ وَقَدْ كَفِنَ
كُلُّ عِضْوٍ عَلَى أَنْفِرَادِهِ كَالْبَدْ وَالرِّجْلِ وَالْأَصَابِعِ فِي قُمُطٍ دُقَاقِيٍّ . ثُمَّ
بَعْدَ ذَلِكَ تُكْفَ جُنْهَةُ الْمَيْتِ جُمْلَةً حَتَّى يَرْجِعَ كَمْهُمُ الْعَظِيمُ وَمَنْ كَانَ
يَتَسْتَعِنُ بِهِنَّ النَّوَّا وَيُسَنَّ مِنَ الْأَعْرَابِ وَاهْلَ الْرِّيفِ وَغَيْرُهُمْ يَأْخُذُونَهُنَّ
الْأَكْفَانَ فَمَا وَجَدَ فِيهِ تَهَاسِكًا أَخْذَ ثِيَابًا أَوْ بَاعَهُ لِلْوَرَافِينَ يَعْمَلُونَ مِنْهُ
وَرَقَ الْعَطَارِينَ . وَيُوجَدُ بَعْضُ مَوْتَاهُمْ فِي تَوَاسِتَ مِنْ خَشَبٍ جَمِيزٍ
ثِخِينٍ وَيُوجَدُ بَعْضُهُمْ فِي نَوَّا وَيُسَنَّ مِنْ حَجَارَةٍ إِما رُخَامٍ وَإِما صَوَانٍ وَبَعْضُهُمْ
فِي أَزْيَارٍ مَمْلُوَّةٍ عَسَلًا . وَخَبَرَنِي أَلْشِفَةُ أَنَّهُمْ يَنْهَا كَانُوا يَتَقْفَونَ الْمَطَالِبَ
عِنْدَ الْأَهْرَامِ صَادَفُونَا مَحْتُوْمًا فَفَضَوْهُ فَإِذَا فِيهِ عَسَلٌ فَأَكْلُوا مِنْهُ فَعَلِقَ
فِي أَصْبَعِ أَحَدِهِمْ شَعْرٌ فَجَدَ بِهِ فَظَهَرَ لَمْ صَيِّ صَغِيرٌ مُتَبَاسِكٌ الْأَعْضَاءُ

رَطْبُ الْبَدَنِ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْخَلِيِّ وَالْجَوَهِرِ وَهُوَ لَا إِلَهَ مِنْهُ فَدْ يُوجَدُ عَلَى
 جَبَاهِمْ وَعَيْوَنِهِمْ وَأَنُوْ فِيمْ وَرَقْ مِنَ الْذَّهَبِ كَالْقِشْرِ وَرُبَّمَا وُجَدَ قِشْرٌ
 مِنَ الْذَّهَبِ عَلَى جَمِيعِ الْمِيتِ كَالْغَشَاءِ وَرُبَّمَا وُجَدَ عِنْكَ شَيْءٌ مِنَ الْذَّهَبِ
 وَالْخَلِيِّ وَالْجَوَهِرِ وَرُبَّمَا وُجَدَ عِنْكَ أَنَّهُ أَتَيَ كَانَ بُزَّاولُ بِهَا فِي حَيَاتِهِ.
 وَأَخْبَرَنِي الشِّفَقَةُ أَنَّهُ وُجَدَ عِنْدَ مِيتٍ مِنْهُمْ أَلَّهَ الْمَزَّيْنِ مِسْنَانًا وَمُوسَى وَعِنْدَ
 أَخْرَ أَلَّهَ الْجَحَامَ وَعِنْدَ أَخْرَ أَلَّهَ الْحَائِكِ وَيَظْهَرُ مِنْ حَالِهِمْ أَنَّهُ قَدْ كَانَ
 مِنْ سُنْتِهِمْ أَنْ يَدْفُنُوا مَعَ الرَّجُلِ أَلَّهَ وَمَا لَهُ وَسَمِعْتُ أَنَّ طَوَافِهِ مِنَ
 الْحَبْشَةِ هُنُّ سُنْتِهِمْ وَيَطْبِرُونَ بِهِنَاعَ الْمِيتِ إِنْ يَمْسُوهُ أَوْ يَتَصْرُفُوا فِيهِ
 وَقَدْ كَانَ مِنْ سُنْتِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ أَنْ يُجْعَلَ مَعَ الْمِيتِ شَيْءٌ مِنَ الْذَّهَبِ.
 فَخَبَرَنِي بَعْضُ قُضَاءِ بُوْصِيرَ وَهِيَ مُجاوِرَةً مَدَافِنِهِمْ أَنَّهُمْ نَبَشُوا ثَلَاثَةَ أَقْبَرٍ
 فَوَجَدُوا عَلَى كُلِّ مِيتٍ قِشْرًا رَفِيقًا مِنَ الْذَّهَبِ لَا يَكُادُ يُجْتَمِعُ وَفِيهِ
 سَيِّكَةٌ مِنَ الْذَّهَبِ فَجَمَعُ السَّبَائِكِ الْثَلَاثَةِ فَكَانَ وَزْنُهَا تِسْعَةَ مَثَاقِيلَ
 وَالْمَحْكَامَاتُ فِي ذَلِكَ أَوْسَعُ مِنْ أَنْ يَحْصُرَهَا هَذَا الْكِتَابُ
 وَأَمَّا مَا يُوجَدُ فِي أَجْوَافِهِمْ وَأَذْمِنَتِهِمْ مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي يُسَمُّونَهُ مُوْمِيَا
 فَكَثِيرٌ جِدًا يَحْلِبُهُ أَهْلُ الْرِيفِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَيَبْاعُ بِالشَّيْءِ النَّزِيرِ وَلَقَدْ
 اشْتَرَتُ ثَلَاثَةَ أَرْوُسٍ مَمْلُوَّةً مِنْهُ بِنِصْفِ دِرْهَمٍ مِصْرِيٍّ وَأَرَانِي بَائِعُهُ
 جُولَفًا مَمْلُوًّا مِنْ ذَلِكَ . وَكَانَ فِيهِ الصَّدْرُ وَالْبَطْنُ وَحَشْوُهُ مِنْ هَذَا
 الْمُوْمِيَا وَرَأَيْتُهُ قَدْ دَاهَلَ الْعِظَامَ وَتَشَرَّبَهُ وَسَرَّى فِيهَا حَتَّى صَارَتْ
 كَاهِنًا جُزْءًا مِنْهُ وَرَأَيْتُ أَيْضًا عَلَى قِحْفِ الرَّاسِ أَثْرَ ثُوبِ الْكَفَنِ وَأَثْرَ
 الْمِسَاجَةِ قَدْ أَنْتَقَشَ فِيهِ كَمَا بَرَّتَسُمْ عَلَى الشَّعَرِ إِذَا خَمَتْ بِهِ عَلَى ثُوبِ

وَهَذَا الْمُوْمِيَا هُوَ أَسْوَدُ كَالْقَفْرِ وَرَأَيْتُهُ إِذَا اشْتَدَ عَلَيْهِ حَرُّ الصَّيْفِ
يَجْرِي وَيَلْصَقُ بِهَا يَدُونِهِ وَإِذَا طَرَحَ عَلَى الْجَمِيرِ غَلَى وَدَخَنَ وَشُمِّتَ
مِنْهُ رَائِحَةُ الْقَفْرِ أَوِ الرِّزْفَتِ وَالْغَالِبُ أَنَّهُ رَفَتْ وَمَرْ. وَأَمَّا الْمُوْمِيَا بِالْحَقِيقَةِ
فَشَيْءٌ يَنْخَدِرُ مِنْ رُؤُسِ الْمُجَبَّالِ مَعَ الْمِيَاهِ ثُمَّ يَجْهَدُ كَالْقَارِ وَيَفْوَحُ مِنْهُ
رَائِحَةُ رِفْتٍ مَخْلُوطٍ بِقَفْرٍ. وَقَالَ جَالِينُوسُ الْمُوْمِيَا يَخْرُجُ مِنَ الْعَيُونِ
كَالْقَارِ وَالنَّنْطِ. وَقَالَ غَيْرُونُ هُوَ صَنْفٌ مِنَ الْقَارِ وَيُسَمِّي حِيْضَ الْمُجَبَّالِ
وَهَذَا الَّذِي يُوجَدُ فِي تَجَاوِيفِ الْمَوَاتِ يَهْضَرُ لَا يَبْعُدُ عَنْ طَبَاعِ الْمُوْمِيَا
وَإِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ بَدَلَةً إِذَا تَعَذَّرَ

وَمِنْ أَعْجَبِ مَا يُوجَدُ فِي مَدَافِنِهِمْ أَصْنَافُ الْحَيَوانِ مِنْ الْطَّيْرِ وَالْوَحْشِ
وَالْحَشَرَاتِ وَقَدْ كَفِنَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ فِي كَذَا كَذَا ثُوبًا وَهُوَ مُخْنَاطٌ عَلَيْهِ
مُخْنَفَظٌ بِهِ. وَخَبَرَنِي أَنَّهُمْ وَجَدُوا يَيْنًا تَحْتَ الْأَرْضِ مُحْكَمًا فَفَتَحُوهُ
فَوَجَدُوا فِيهِ لَفَائِفَ شَيَابِ الْقِنْبِ وَقَدْ تَمَعَطَتْ فَازَ الْوَهَامُعَ كِثْرَتْهَا
فَوَجَدُوا تَخْنَمَا عِجْلًا صَحِحًا قَدْ أَحْكَمَ تَقْبِيْطُهُ. وَحَدَّثَنِي أَخْرُهُمْ وَجَدُوا
صَقْرًا فَنَشَرُوا عَنْهُ مِنْ لَفَائِفِ الشَّيَابِ حَقِّيْعَيْهَا فَوَجَدُوهُ لَمْ تَسْقُطْ مِنْهُ
رِيشَةً. وَحُكِيَ لِي مِثْلُ ذَلِكَ عَنْ هِرِّ وَعَنْ عَصْفُورٍ وَعَنْ خُنْفَسَاءَ وَغَيْرِ
ذَلِكَ مِمَّا يَطْوُلُ شَرْحَهُ وَيَهْجُنُ ذَكْرُهُ

وَحَكِيَ لِي أَيْضًا الْأَمِيرُ الصَّادِقُ أَنَّهُ كَانَ يُقْوَصَ فَجَاهَ إِلَيْهِ مَنْ يَجْهَثُ
عَنِ الْمَطَالِبِ فَدَكَرُوا لَهَا نَهْمٌ أَنْخَسَفَتْ بِهِمْ هُوَةُ مُوْهَةٌ أَنَّ فِيهَا دَفِنَـا
فَخَرَجَ مَعْمُومٌ بِجَمَاعَةِ مُتَسَلِّحِينَ وَحَفَرُوا فَوَجَدُوا زِيرًا كَيْرًا مُوقَقَ الرَّاسِ
بِالْجَحْصِ فَفَتَحُوهُ بَعْدَ أَنْجَهِيدِ فَوَجَدُوا فِيهِ كَالْأَصَابِعِ مُدْفَنَةً بِخَرْقٍ فَخَلُوْهَا

فَوَجَدُوا تَحْتَهَا صِيرًا وَهُوَ سَمَكٌ صِغَارٌ وَصَارَ كَالْهَبَاءِ إِذَا نُفِخَ طَارَ فَنَقَلُوا
 الْزَّيْدَ إِلَى مَدِينَةِ قُوصَ بَيْنَ يَدَيِ الْوَالِي وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ نَحْوُ مِائَةِ رَجُلٍ
 فَخَلُوا الْجَمِيعَ حَتَّى أَتَوْا عَلَى آخِرِهِ وَهُوَ كُلُّهُ صِيرٌ مُكْفَنٌ لَيْسَ فِيهِ سَوَى ذَلِكَ
 وَرَأَيْتُ أَنَا بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَدَافِنِهِمْ يُوْصِيرَ مِنَ الْمَعَابِدِ مَا لَا يَفِي بِهِ
 هَذَا الْكِتَابُ . فَمَنْ ذَلِكَ أَنِي وَجَدْتُ فِي هَذِهِ الْمَدَافِنِ مَغَابِرَ تَحْتَ الْأَرْضِ
 مَبْنَيَةً بِإِنْقَانٍ وَفِيهَا رِمَّ مُكْفَنَةٌ فِي كُلِّ مَغَارَةٍ عَدْدُ لَا يُحْصَى . وَمِنَ الْمَغَابِرِ
 مَا هُوَ مَمْلُوُّ بِرِمَّ الْكِلَابِ وَمِنْهَا مَا هُوَ مَمْلُوُّ بِرِمَّ الْبَقَرِ وَمِنْهَا مَا فِيهِ رِمَّ
 الْسَّنَانِيَّرِ وَالْجَمِيعُ مُكْفَنٌ يُخْرِقُ الْقَنَبِ . وَرَأَيْتُ شَيْئًا مِنْ عِظَامِي أَدَمَ
 وَفَدَ تَمَشِّقَ حَتَّى صَارَ كَالْلِيفِ الْأَيْضِ لِقَدْمِهِ وَمَعَ ذَلِكَ فَأَكْثَرُ الرِّمَّ
 الَّتِي رَأَيْتُهَا صَلِبَةً مُنَاسِكَةً جِدًا يَظْهَرُ مِنْ عَلَيْهَا الْطَرَاءُ أَكْثَرُ مِنْ رِمَّ
 أَهْلَكَ لِكِنَّ سَنَةَ سَبْعٍ وَتَسْعِينَ وَحَمْسِ مِائَةِ الْأَيْضِ ذِكْرُهَا أَخْرَى كَتَابِيَّا هَذَا
 وَلَا سِيمَا مَا كَانَ مِنَ الرِّمَّ الْقَدِيمَةِ قَدْ أَنْصَبَ بِالرِّزْفِ أَوِ الْقَطْرَانِ فَإِنَّكَ
 تَجِدُهَا فِي لَوْنِ الْحَدِيدِ وَصَلَابَتِهِ وَرَزَانِهِ . وَرَأَيْتُ مِنْ جَانِبِ الْبَقَرِ مَا شَاءَ
 اللَّهُ وَكَذِلِكَ جَانِبُ الْغَنَمِ وَفَرَقْتُ بَيْنَ رُؤُسِ الْمَغَزِ وَالْضَّانِ وَبَيْنَ
 رُؤُسِ الْبَقَرِ وَالثَّيْرَانِ وَوَجَدْتُ لَحْمَ الْبَقَرِ قَدْ أَنْصَقَ بِالْأَكْفَانِ حَتَّى
 صَارَ قُطْعَةً وَاحِدَةً حَمْرَاءَ تَضَرِّبُ إِلَى السُّوَادِ وَيُخْرِجُ الْعَظْمَ مِنْ تَحْتِهَا
 أَيْضَ يَقْنَا وَبَعْضُ الْعِظَامِ أَحْمَرُ وَبَعْضُهَا أَسْوَدُ وَكَذِلِكَ فِي عِظَامِ
 الْأَدَمِيِّ . وَلَا شَكَّ أَنَّ الْأَكْفَانَ كَانَتْ تُبَلَّ بِالصِّيرِ وَالْقَطْرَانِ وَتُشَرَّبُ
 بِهِ مِمْ يَكْفَنُ بِهَا فَلِذِلِكَ يَصْبِغُ الْأَحْمَرَ وَيُبَيِّنُهُ وَمَا نَالَ مِنْهَا الْعَظْمُ صَبَغَهُ
 فَأَحْمَرَ وَأَسْوَدَ . وَوَجَدْتُ فِي عِدَّ مَوَاضِعٍ تِلَالًا مِنْ رِمَّ الْكِلَابِ لَعْلَهُ

يُكُونُ فِي جُمْلَتِهِ مَا يَأْتِي إِلَيْهِ الْفِرَاسُ كُلُّهُ أَوْ يَزِيدُ وَذَلِكَ مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ الْبَاحِثُونَ
 عَنِ الْمَطَالِبِ فَإِنَّ جَمَاعَةَ الْجَاهِلِيَّةِ يَجْعَلُونَ مَكَانَتِهِمْ مِنْ هَذِهِ الْقُبُورِ وَأَخْدِيَّ مَاتَسْعَهُ لَهُمْ
 مِنْ الْخَشَبِ وَالْخَرَقِ وَغَيْرِهِ . وَأَسْتَقْرِيبُ جَمِيعَ الْمَوَاضِعِ الْمُمْكِنَةِ فَلَمْ أَجِدْ
 فِيهَا رَأْسَ قَرَسٍ وَلَا جَمْلًا وَلَا حَمَارًا فَبَقَيَ ذَلِكَ فِي نَفْسِي فَسَأَلْتُ مَشَايخَ
 بُو صِيرَ فَبَادَرُوا إِلَيَّ إِخْبَارِيَّ بِأَنَّهُمْ قَدْ تَقْدَمَتْ فِيْكُرِّهِمْ فِي ذَلِكَ
 وَأَسْتَقْرَأُوهُمْ إِيَّاهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ . وَأَكْثَرُ تَوَاصِيْهُمْ مِنْ خَشَبِ الْجَمِيزِ وَفِيهِ
 الْقَوِيُّ الْصَّلِبُ وَمِنْهُ مَا صَارَ فِي دَرَجَةِ الرَّمَادِ . وَخَبَرَنِي قُضَاءُ بُو صِيرَ
 بِعَجَابِهِ مِنْهُمْ وَجَدُوا نَاؤُوسًا مِنْ حَجَرٍ فَفَضُوهُ فَالْفَوَّافِيَّهُ نَاؤُوسًا
 فَفَضُوهُ فَوَجَدُوا فِيهِ تَابُوتًا فَفَتَحُوهُ فَوَجَدُوا فِيهِ سَخْلَيَّهُ وَهِيَ سَامُ أَبْرَصَ
 مُكْفَنَةً مُحْنَاطًا عَلَيْهَا مَعْنِيَّهَا . وَوَجَدْنَا عِنْدَ بُو صِيرَ أَهْرَاماً كَثِيرَ مِنْهَا
 هَرَمٌ قَدْ أَنْهَدَمْ وَبَقَيَ قَلْبُهُ فَقَسَنَاهُ مِنْ مَبْدِئِ أَسَاسِهِ فَوَجَدْنَاهُ لَا يَنْقَاصُهُ عَنْ
 هَرَمِيِّ الْجِينَ وَجَمِيعُ مَا حَكَيْنَاهُ مِنْ أَحْوَالِ مَدَائِنِهِمْ بِبُو صِيرَ يُوجَدُ بَحْوُهُ
 وَمِثَالَهُ بَعَيْنِ شَمْسٍ وَبِالْبَرَاءِيِّ وَبِغَيْرِهَا



الفصل الخامس

فيما شوهد بها من غرائب الآيات والسفن

واما آياتهم فيها هندسة بارعة وترتيب في الغاية حتى انهم قلما يتركون مكانا غلاما عن مصلحة ودورهم أفتح وغالب سكانهم في الأعلى ويتعلون منافذ منازلهم تلقائ الشال والرياح الطيبة وقلما يجد متزالا إلا وفيه بادا هنخ وبادا هنجاتهم كبار واسعة للريح عليهما تسلط ويكملونها غاية الأحكام حتى أنه يعم على عمارة الواحد منها مائة دينار إلى خمس مائة وإن كانت بادا هنجات المنازل الصغار يعم على الواحد منها دينار . وأسواقهم وشوارعهم واسعة وبنائهم شاهقة ويبنون بالحجر النجت والطوب الأحمر وهو الأجر وشكل طوبهم على نصف طوب

العراق

ويكملون قنوات المرافق حتى أنه تخرب الدار والقناة قائمة وبخفران الكفت إلى العين فيعبر عليها برهة من الدهر طويلة ولا ينقر إلى كسر

واما سفنهم فكثير الأصناف والأسكال وأغرب ما رأيت فيها مركب يسمونه العشيري شكله شكل شباردة دجلة إلا أنه أوسع منها بكثير وأطول وأحسن هنداما وشكلا قد سطح بالواح خشب تخينة محكمة وأخرج منها أفاريز كالرواشن نحو ذراعين وبني فوق هذا السطح بيت من خشب وعقد عليه قبة وفتح له طاقات وروابين بأبواب إلى البحر من سائر جهاته ثم تعمل في هذا البيت خزانة مفردة ومراحض

ثُمَّ بِزُوقِ يَا صَنَافِ الْأَصْبَاغِ وَيَدْهَبُ وَيَدْهَنُ يَا حَسَنَ دِهَانٍ . وَهَذَا
يُنَجِّذُ لِلْمُلُوكَ وَالرُّوَاسَاءِ بِحِيثُ يَكُونُ الرَّئِيسُ جَالِسًا فِي وِسَادَتِهِ وَخَوَاصِهِ
حَوْلَهُ وَالْغِلْمَانُ وَالْمَهَالِكُ قِيَامٌ بِالْمَنَاطِقِ وَالسُّبُوفِ عَلَى تِلْكَ الْرَّوَاشِينِ
وَأَطْعَمُهُمْ وَحَوَاجِهِمْ فِي قَعْدِ الْمَرْكَبِ وَالْمَلَاحُونَ تَحْتَ أَلْسَطْحِ أَبْضَافِي
بَاقِي الْمَرْكَبِ يَقْدِفُونَ يَهُ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا مِنْ أَحْوَالِ الْمَرْكَابِ وَلَا
الْمَرْكَابُ يَشْتَغِلُ خَوَاطِرُهُمْ بِهِمْ بَلْ كُلُّ فَرِيقٍ يَمْعَزِلُ عَنِ الْآخَرِ وَمَشْغُولُ
بِمَا هُوَ بِصَدَدِهِ وَإِذَا أَرَادَ الرَّئِيسُ أَلْأَخْنَلاَةَ بِنَفْسِهِ عَنْ أَصْحَابِهِ دَخَلَ
الْمُخْدَعَ وَإِذَا أَرَادَ قَضَاءَ حَاجَنِهِ دَخَلَ الْبِرَّ حَاضِ

وَالْمَلَاحُونَ يَمْصِرُ يَقْدِفُونَ إِلَيْهِ وَرَأَيْمُ قَمْ فِي قَدْ فَهُمْ يُشَهُوْنَ
أَنْجَالَيْنَ فِي مَشِيمِ الْقَهْفَرَى وَيُشَهُوْنَ فِي تَحْرِيكِ السُّفُنَ مَنْ يَجِدُ
تِقْلَالَ يَنْ يَدِيهِ وَيَمْشِي يَهُ إِلَى خَلْفِهِ . وَمَا مَلَاحُوا الْعِرَاقُ فَهُمْ يَمْنَزِلَهُ مَنْ
يَدْفَعُ الشِّقْلَ نَحْوَ أَمَامِهِ وَيَدْسِرُ بِهِ فَسْفُنَهُمْ تَوْجِهُ حِيثُ الْمَلَاجِ مَتَّهُ . وَمَا
سُفُنِ مِصْرِ فِي نَحْرِكِ إِلَى ضِدِّ الْجِهَةِ الَّتِي إِلَيْهَا الْمَلَاجِ مَتَّوِجهُ . وَمَا يَأْتِي
أَنْجَالَيْنَ أَسْهَلُ وَالْبُرَهَاتُ عَلَيْهَا فَمَوْضِعُهُ الْعِلْمُ الْطَّبِيعِيُّ وَعِلْمُ تَحْرِيكِ
الْأَنْجَالِ

الْمَقَالَةُ الثَّانِيَةُ

فِي الْلَّيلِ وَكَبِيْرَةِ زِيَادَتِهِ

وَاعْطَاءِ عِلْلَى ذُلْكَ وَقَوْانِسِهِ

إِعْلَمُ أَنَّ نَيْلَ مِصْرَ يَمْدُدُ وَقْتَ نُضُوبِ مِيَاهِ الْأَرْضِ وَذُلْكَ فِي شَمْسِ
الْسَّرْطَانِ وَالْأَسْدِ وَالسِّنْبَلَةِ فَيَعْلُو عَلَى الْأَرْضِ وَيُقْيمُ أَيَامًا فَإِذَا نَزَلَ عَنْهَا
حُرَثَتْ وَزُرِعَتْ تُمَّ يَكْثُرُ الْنَّدَافَ فِي الْلَّيلِ حِدَادًا وَبِهِ يَنْغَذِي الزَّرْعُ إِلَى أَنَّ
يَسْخَصِدَ وَنَهَايَةً مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنَ الْرِّيَادَةِ ثَمَانِيْ عَشْرَ ذِرَاعًا
قَاتْ رَازَ عَلَى ذُلْكَ فَإِنَّهُ بُرُويْ أَمْكَنَةُ مُسْتَعْلِيَةٌ وَكَانَهُ نَافِلَةٌ عَلَى جِهَةِ
الْتَّبَرْعِ وَنَهَايَةُ مَا يَزِيدُ عَلَى جِهَةِ النَّذْرَةِ أَصَابِعُ مِنْ عِشْرِينَ ذِرَاعًا
وَعِنْدَ ذُلْكَ تَسْتَحْمِرُ أَمْكَنَةُ يَدُومُ مَكْثُ الْمَاءِ عَلَيْهَا فَتَفَوَّتْ زَرَاعَتُهَا
وَبُيُورُ مِنَ الْبَلَادِ مَا عَادَتُهُ أَنْ بُزْرَعَ نَحْوَهَا (نَحْوَ مَا) رَوَيْ جَمَّا عَادَتُهُ
أَنْ يُشَرَّقَ وَلَنْسَمَ الْمَأْنَى عَشْرَ نَهَايَةَ الْفُرُورِيِّ وَلَنْسَمَ الْعِشْرِينَ نَهَايَةَ
الْأَفْرَاطِ وَكُلُّ نَهَايَةٍ بَيْنَ هَاتَيْنِ فَلَهَا أَبْتَدَاهُ يُقَابِلُهَا فَأَبْتَدَى الْفُرُورِيِّ
سِتَّ عَشْرَ ذِرَاعًا وَبُسْمَى مَا سَلْطَانِ إِذْ عَنَتْ يُسْتَحْقِقُ الْخِرَاجُ وَبُرُويْ
بِهِ نَحْوَ نِصْفِ الْبَلَادِ وَيَغْلُبُ مِنَ الْقُوَّتِ يِمْقَدَارِ مَا يَهْمَانُ أَهْلَ الْبَلَادِ
سِتِّهِمْ جَمَاعَةً تَوَسُّعُ وَبُرَوَى سَائِرُ الْبَلَادِ الْمُعْتَادَةِ بِالرَّيِّ بِمَا زَادَ عَلَى
سِتَّ عَشْرَ ذِرَاعًا إِلَى ثَمَانِيْ عَشْرَ وَهَذَا يَغْلُبُ مَقْدَارَ مَا يَبِيرُ أَهْلَ الْبَلَادِ
سَتَّيْنِ فَصَاعِدًا . وَأَمَّا نَفَصَ عَنْ سِتَّ عَشْرَ ذِرَاعًا فَبُرَوَى بِهِ مَا هُوَ
دُونَ الْكِفَايَةِ وَلَا تَحْصُلُ مِنْهُ مِيرَةً سِتِّهِمْ وَيَكُونُ تَعْدِيْرُ الْقُوَّتِ يِمْقَدَارِ
نُفَصَانِهِ عَنْ سِتَّ عَشْرَ ذِرَاعًا وَجِينَيْدِيْ يُقَالُ إِنَّ الْبَلَادَ قَدْ شَرَقَتْ

وَأَتَفَقَ أَنْ زِيَادَةَ الْنَّيلِ بَلَغَتْ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسِعِينَ وَهُمْسِ مِائَةٍ
 أَثْنَيْ عَشَرَ ذِرَاعًا وَاحْدَى وَعِشْرِينَ أَصْبَعًا. وَهَذَا الْمِقْدَارُ نَادِرٌ جِدًّا
 فَإِنَّهُ لَمْ يَلْعَنَا مُذْ الْهِجْرَةِ إِلَى الْآنَ أَنَّ الْنَّيلَ وَقَفَ عَلَى هَذَا الْحَدِّ قَطُّ إِلَّا
 فِي سَنَةِ سِتٍّ وَهُمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ فَإِنَّهُ وَقَفَ عَلَى دُورٍ هَذَا الْمِقْدَارِ
 يَارِبْعِ أَصْبَعٍ. وَأَمَّا وُوْفُوهُ عَلَى ثَلَاثَ عَشَرَ ذِرَاعًا وَأَصْبَعٍ فَإِنَّهُ وَقَعَ نَحْوَ
 سِتٍّ مَرَاتٍ فِي هَذِهِ الْمُدْدَةِ الظَّوِيلَةِ. وَأَمَّا رَبْعَ عَشَرَ ذِرَاعًا وَأَصْبَعٍ فَإِنَّهُ
 وَقَعَ نَحْوَ عِشْرِينَ مَرَقَّ. وَأَمَّا خَمْسَ عَشَرَ ذِرَاعًا فَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ كَثِيرًا
 وَنَحْنُ نَسُوقُ أَحْوَالَ زِيَادَتِهِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَعْنِي سَنَةَ سِتٍّ وَسِعِينَ
 وَهُمْسِ مِائَةٍ مُّمُّ تُتَسْعِي ذَلِكَ بِمَا حَصَلَ عِنْدَنَا مِنْ عَلَى ذَلِكَ وَقَوَانِيهِ
 فَنَقُولُ إِنَّ الْعَادَةَ جَارِيَةٌ أَنْ تَبْدِئِي الْزِيَادَةَ مِنْ أَيْضَ وَتَعْظُمُ فِي مِسْرَى
 وَنَنْتَاهِي فِي تُوتٍ أَوْ بَابَةٍ مُّمُّ يَخْطُ. فَدَخَلَ أَيْضُ فِي هَذِهِ السَّنَةِ وَبَنَدَأَ
 الْنَّيلُ يَتَكَرَّكُ بِالْزِيَادَةِ وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يَنْحُو شَهْرَيْنِ قَدْ بَدَتْ فِي مِائَةٍ
 خَضْرَةٌ سِلْفِيَّةٌ مُّمُّ كَثُرَتْ وَظَهَرَتْ فِي رَاحِيَّهِ دَفْنَةٌ كَرِهَهُ وَعَفْوَنَةٌ طَحَلِيَّةٌ
 كَانَهُ عَصَارَةُ الْسِلْقِ إِذَا يَقِيَ أَيَّامًا حَتَّى يَعْفُنَ وَجَعْلَتْ مِنْهُ فِي وِعَاءٍ ضِيقٍ
 الْرَّاسُ فَعَلَاهُ سَحَابَةٌ خَضْرَاءُ فَرَفَعْتُهَا يَرِفْقَ وَتَرَكْتُهَا تَحْفَ وَإِذَا يَهَا
 طَحَلَبُ لَا شَكَ فِيهِ وَيَقِيَ الْمَاءُ بَعْدَ رَفْعِ هَذِهِ السَّحَابَةِ عَنْهُ صَافِيًّا لَا خَضْرَةَ
 فِيهِ إِلَّا أَنَّ طَعْمَهُ وَرِيحَتَهُ بَاقِيَانَ وَنَيْجُدُ فِيهِ أَيْضًا أَجْسَاماً صِغَارًا نَبَاتَيَّةً
 مَبْثُوثَةً كَالْهَبَاءِ لَا تَرْسُبُ. وَصَارَ أَرْبَابُ الْحَمْيَةِ يَتَجَنَّبُونَ شَرْبَهُ وَإِنَّمَا
 يَشْرِبُونَ مَاءً أَلَّا يَأْتِي وَأَعْلَيَتُهُ بِالنَّارِ ظَنَّا مِنِّي أَنَّهُ يَصْلُحُ بِذَلِكَ كَمَا وَصَّى
 الْأَطْبَاءُ يَفْعُلُ بِالْهَبَاءِ الْمُتَغَيِّرِ فَزَادَ طَعْمُهُ وَرِيحَتُهُ كَرَاهَةً وَسَهَّكَ

فَوَجَدْتُ عِلْمًا ذِلِكَ أَنَّ الْأَجْزَاءَ النَّبَاتِيَّةَ الَّتِي هِيَ مَبْشُوَّثَةُ فِيهِ يُلْطِفُ
الْطَّبْخَ جَوْهَرَهَا فَيُخْنَلِطُ بِالْمَاءِ أَخْنَلَاطًا أَسْدَى مِنَ الْأَوَّلِ فَيُظَهِّرُ التَّغْيِيرَ
(التَّغْيِيرُ) فِي رِيحِهِ وَطَعْمِهِ أَكْثَرَ وَيَصِيرُ ذِلِكَ بِمَذْلَةِ الْمَاءِ إِذَا طُبِخَ فِيهِ
سِلْقٌ أَوْ فَجْلٌ أَوْ بَحْوَهُ فَإِنَّ النَّارَ تَمْرَجُ بَيْنَ الْمَاءِ وَلَطِيفِ النَّبَاتِ . وَأَمَّا
الْمَاءُ الَّذِي يَصْلُحُ بِالْطَّبْخِ وَإِيَّاهُ قَصْدَ الْأَطْبَابِ فَهُوَ الَّذِي تَغْيِيرُ بِخَالَطَةِ
أَجْزَاءَ أَرْضِيَّةَ فَإِنَّهَا تَفْصِلُ عَنْهُ بِالْطَّبْخِ لِأَنَّ الْمَاءَ حِينَئِذٍ يُلْطِفُ فَتَرْسُبُ

فِيهِ

مُمَّا نَهَى دَامَتْ خُضُورُهُ أَيَّامًا مِنْ رَجَبٍ وَشَعْبَانَ وَرمَضَانَ وَاضْحَىَتْ
فِي شَوَّالٍ وَكَانَ يَصْبَحُ الْخُضْرَاءُ دُودٌ وَحِيوَانَاتٌ أَجْمِيَّةٌ وَهَذَا التَّغْيِيرُ فِي
الْمَاءِ يَكُونُ بِالصَّعِيدِ أَكْثَرَ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْمَبْدَأِ وَالْمَعْدِينَ وَأَنْتَهَتْ زِيَادَتُهُ
فِي الْحَادِي عَشَرَ مِنْ تُوْنَتٍ إِلَى أَثْنَيْ عَشَرَةَ ذِرَاعًا وَاحْدَى وَعِشْرِينَ
لَصْبَعًا ثُمَّ أَخْطَطَ

فَرَأَيْتُ الْغَالِبَ مِنْ حَالِ الْقَاعِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ أَقْلَى مِنَ الْمُعْتَادِ أَنَّ
الْزِيَادَةَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ تَكُونُ أَقْلَى مِنَ الْمُعْتَادِ هَذَا حُكْمُهُ الْأَكْثَرِيَّ
فَإِنْ أَتَتِ الْخُضْرَاءُ فِي أَوَّلِ زِيَادَتِهِ وَفَيْلَهَا قَوِيَ الظَّنُّ يَضَعَفُ حِرْيَتُهِ
فَإِنْ طَالَتْ أَيَّامٌ الْخُضْرَاءُ وَضَعَفَ مِقْدَارُ الزِيَادَةِ قَوِيَ الظَّنُّ جِدًّا يُقْلِتُهُ
فَإِنْ دَامَتِ الْخُضْرَاءُ فِي أَيَّسٍ فَأَذَنَ بِقِلَّةِ الْمَدِّ

وَعِلْلُ هَذَا ظَاهِرٌ أَمَا كُونُ قِلَّةِ الْقَاعِ دَلِيلًا عَلَى قِلَّةِ الزِيَادَةِ فَلَأَنَّ
الْمَطَرُ الَّذِي هُوَ عِلْمُ الزِيَادَةِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنَ الْكَثْرَةِ مَا يَرُدُّ الْقَاعَ
إِلَى الْحَالَةِ الْمُعْتَادَةِ ثُمَّ يَزِيدُ عَلَيْهَا الزِيَادَةُ الْمُعْتَادَةُ وَهُنْ كُلُّهُمْ لَا تَفْيِي

بِهَا أَمْطَارٌ كُلَّ سَنَةٍ وَلَا تُوجَدُ كُلُّ وَفْتٍ مِثَالُهُ أَنَّ الْفَاعَ إِذَا كَانَ ذِرَاعًا
مَثَلًا فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْزِيَادَةُ خَمْسَ عَشَرَةَ ذِرَاعًا حَتَّى يَلْعُمَ مَاءَ السُّلْطَانِ
فَإِنْ كَانَ الْفَاعُ سِتَّ أَذْرُعٍ أَحْنَاجَ مِنَ الْزِيَادَةِ إِلَى عَشَرِ أَذْرُعٍ وَكَوْنُ
هَذَا أَبْسُرُ مِنَ الْأَوْلَى . وَإِنْصَافًا فَإِنَّ جِرَيَةَ النَّيلِ الْأَصْلِيَّةَ مَادِهَا عَيْوَنُ .
وَمَا زَيَادَتُهُ فَمَادِهَا أَمْطَارٌ وَنَصَانُ الْعُيُونِ دَلِيلٌ عَلَى أَحْنَاجِ الْسَّنَةِ
وَبَسَّ الْمَوَاعِدَ وَقِلَّةَ الْجَهَارِ فَيَقُولُ الْمَطْرُ لِذِلِّكَ وَإِنْصَافًا فَإِنَّ الْمَدَ الْزَائِدَ عَلَى
الْفَاعِ أَكْثَرُهُ فِي الْغَالِبِ ثَلَاثَ عَشَرَةَ ذِرَاعًا فَإِذَا كَانَ الْفَاعُ ذِرَاعًا أَوْ
ذِرَاعَيْنِ . ثُمَّ زَادَ عَلَيْهِ أَكْثَرُ الْمَدِ وَهُوَ ثَلَاثَ عَشَرَةَ ذِرَاعًا لَمْ يَلْعُمْ مَاءَ
الْسُّلْطَانِ

وَمَا كَوْنَ الْخُضْرَعِ دَلِيلًا عَلَى فِلَةِ الْزِيَادَةِ فَلَمَّا أَنْبَلَ الْنَّيلَ الْمَاضِيَ يُغَادِرُ
نَفَاعَ وَغُدْرَانَا بَعْضُهَا يَنْضُبُ وَبَعْضُهَا يُطَحِّلُ وَيُعْطَنُ وَيَأْسِنُ فَإِذَا
مَرَّتْ بِهَا أَمْطَارٌ ضَعِيفَةٌ أَخْتَلَطَتْ بِهَا وَصَبَبَهَا إِلَى النَّيلِ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا
مِنَ الْكِثْرَةِ مَا يَغْلِبُ عَلَى النَّفَاعِ فَيُصْلِحُهَا بَلَ الْنَّفَاعُ تَغْلِبُ عَلَى الْأَمْطَارِ
الْمُتَصَلِّهِ بِهَا تَحْبِلُهَا إِلَى الْفَسَادِ وَيَنْهَطُ مِنْهَا مِقْدَارٌ بَعْدَ مِقْدَارٍ وَيَوَاصِلُ
إِلَيْنَا وَكُلُّمَا كَانَتْ أَلْأَمْطَارُ أَخْفَعَ وَأَقْلَى كَانَتْ أَيَامُ جِرَيَةِ الْخُضْرَعِ
أَطْوَلَ فَإِذَا كَانَتْ أَمْطَارٌ قَوِيَّةٌ غَسَّلَتْ تِلْكَ الْمُسْتَنْقَعَاتِ وَغَلَبَتْ عَلَيْهَا
وَحَدَرَتْهَا بِسُرْعَهُ مَغْمُورَهُ بِطِينِ تُجْرِفُهُ يُغُورُهَا فَيَخْفَى مَنْظُرُهَا وَيَنْعَفُ
إِلَيْهَا . وَإِنْصَافًا فَإِنَّ الْأَنْهَارَ أَخْتَارِجَهَا مِنْ جَبَلِ الْقَمَرِ تَجْتَمِعُ بِآخِرَهِ إِلَى
بِرَكَهُ عَظِيمَهُ ذاتِ مِسَاحَهُ فَسِيجَهُ وَمِنْ هَذِهِ الْبِرَكَهُ يَخْرُجُ هَذَا النَّيلُ وَلَا
شَكَ أَنَّ هَذِهِ الْبِرَكَهُ مَا وَهَا دَائِمٌ فَيُطَحِّلُهُ وَلَا يَسِمُهَا شُطُوطُهَا وَضَحَاضِهَا

فَإِذَا وَقَعَ الْوَسِيُّ وَجَرَى إِلَيْهَا سُبُولُهُ أَثَارَتْ مَا فِي قَعْدِهَا وَحَرَكَتْ مَا كَانَ
سَاكِنًا فِيهَا وَأَنْكَسَهُ أَيْضًا مَا فِي الشُّطُوطِ إِلَى الْأَوْسَاطِ وَأَنْسَبَهُ إِلَى الْمُحْرِيَةِ
فَأَسْتَضْبَطْتُهُ

وَأَمَّا كُونُ الْخُضْرَةِ فِي أَيْضَى دَلِيلٍ عَلَى النُّصَاصِ فَلَا يَنْبَغِي مَظْنَةً
أَنْ زِيَادَةُ وَغَلَبَةِ الْمَاءِ عَلَى هَذِهِ الْأَوْشَابِ فَإِذَا بَقَى عَلَى خُضْرَتِهِ إِبَانَ زِيَادَتِهِ
أَدْنَى بِقُلْتَتِهِ وَهُذِهِ الْأَجْزَاءُ الْبَاتِيَّةُ الَّتِي تَصْبَحُ الْمَاءَ إِنْمَا هِيَ حُطَامُ النَّبَاتِ
الْمُتَنَكَّرُ فِي الْمَاءِ وَحَوْلَهُ كَالْبَرْدِيُّ وَالدَّيْسُ وَالسَّهَارُ وَالظَّلَبُ وَغَيْرُ
ذَلِكَ فَتَسْتَعْنُ فِيهِ وَتَصْغُرُ أَجْزَاؤُهَا وَتَبْيَثُ مَعْهُ . وَمَا يُوَجِّبُ أَنْ يَعْثَمَ
أَيْضًا نُصَاصُ الْمَاءِ مِنْ تِلْكَ الْبِرْكَةِ فَإِنَّ مَاءَهَا إِذَا أَنْصَلَتْ الْمُحْرِيَةَ بِقَعْدِهَا
فَأَنْسَبَ كَدْرُهَا وَرَاسِبَهَا وَإِذَا كَانَتْ غَمْرًا كَانَتْ الْمُحْرِيَةُ مِنْ أَعْلَاهَا
وَصَفَوْهَا فَأَعْرِفُ ذَلِكَ وَهُذَا الْأَتَائِيُّ هَذِهِ الْخُضْرَةُ لَا فِي السَّنَةِ الَّتِي يَجْتَرِقُ
فِيهَا الْيَلَلُ وَكَلَّمَا كَانَ أَخْتِرَاقُهُ أَشَدَّ كَانَ ظُهُورُ الْخُضْرَةِ أَكْثَرَ . وَفِي السَّنَةِ
الَّتِي يَكُونُ نِيلُهَا غَمْرًا لَا يَجْتَرِقُ وَلَا تَرَى الْخُضْرَةَ لَأَنَّ كِثْرَتَهُ لِكُثُرَتِ
مُبْدَأِيهِ وَأَرْتَقَاعِ جِرَيَتِهِ عَنْ مَقْرِئِ كُدُورَتِهِ

انتهى المتفوّل

من كتاب الأفاده والاعتبار في الأمور المشاهده بارض مصر

لابي اللطيف

مِنْ تُحْفَةِ النَّظَارِ

فِي غَرَائِبِ الْأَمْصَارِ وَعَجَائِبِ الْأَسْفَارِ
لِابْنِ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْلَّوَاتِي
الْمَعْرُوفِ بِابْنِ بَطْوَطَةَ

وَصَلَنَا فِي أَوَّلِ جَادِيِّ الْأَوَّلِ إِلَى مَدِينَةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ حَرَسَهَا اللَّهُ وَهِيَ
الشُّغْرُ الْمَحْرُوسُ. وَالْقَطْرُ الْمَأْنُوسُ. الْعَجِيبَةُ الشَّانُ. الْأَصْيَلَةُ الْبَنِيَانُ. بِهَا
مَا شِئْتَ مِنْ تَحْسِينٍ وَتَحْصِينٍ. وَمَا ثَرَدْنَا وَدَيْنَ. كَرْمُتْ مَعَانِيهَا.
وَلَطْفُتْ مَعَانِيهَا. وَجَمَعْتْ بَيْنَ الْفَخَامَةِ وَالْإِحْكَامِ مَبَانِيهَا. فِي الْفَرِيدَةِ
تَجْلِي سَنَاهَا. وَالْخَرِيدَةِ تَجْلِي فِي حُلَاهَا. الْزَّاهِيَةُ يَحْمَاهَا الْمَغْرِبُ. الْجَمِيعَةُ
لِمُفْتَرِقِ الْحَمَاسِنِ لِتَوْسِطِهَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ. فَكُلُّ بَدِيعَةٍ بِهَا
أَجْنَلَاؤُهَا. وَكُلُّ طُرْفَةٍ فِيَهَا أَنْتَهَا وَهَا. وَقَدْ وَصَفَهَا النَّاسُ فَاطَّنُوا.
وَصَنَفُوا فِي عِجَائِبِهَا فَأَغْرَبُوا. وَحَسْبُ الْمُشْرِفِ إِلَى ذَلِكَ مَا سَطَرُ أَبُو
عُيْدَ في كِتَابِ الْمَسَالِكِ

ذِكْرُ أَبُو جَاهَةِ وَمَرْسَاهَا. وَلِمَدِينَةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ أَرْبَعَةَ بَابٍ. بَابُ السِّدْرَةِ
وَأَبَيِّهِ يُشْرِعُ طَرِيقُ الْمَغْرِبِ. وَبَابُ رَشِيدٍ وَبَابُ الْبَحْرِ وَالْبَابُ الْأَخْضَرُ
وَلَيْسَ يُفْتَحُ إِلَّا يَوْمَ الْجَمِيعَةِ فَيُخْرُجُ النَّاسُ مِنْهُ إِلَى زِيَارَةِ الْقُبُورِ. وَهَا
الْمَرْسَى الْعَظِيمُ الشَّانُ وَلَمْ أَرَ فِي مَرَاسِي الْدُّنْيَا مِثْلَهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مَرْسَى
كُومَ وَقَالِقُوطَ بِلَادِ الْهِنْدِ. وَمَرْسَى سُودَاقَ بِلَادِ الْأَتْرَاكِ وَمَرْسَى
الْزَّيْتُونِ بِلَادِ الْصِّينِ وَسَيِّقَ ذِكْرُهَا
ذِكْرُ الْمَنَارِ. قَصَدْتُ الْمَنَارَ فِي هَذِهِ الْوِجْهَةِ فَرَأَيْتُ أَحَدَ جَوَانِيهِ

منهـدـ ما وـ صـنـفـتـهـ أـنـهـ بـنـاءـ مـرـبـعـ ذـاهـبـ فـيـ الـهـوـاءـ وـ بـابـهـ مـرـقـعـ عـلـىـ الـأـرـضـ.
 قـاـزـآـهـ بـاـيـهـ بـنـاءـ يـقـدـرـ أـرـقـاعـهـ وـ ضـعـتـ بـيـنـهـاـ الـواـجـ خـشـبـ يـعـبـرـ عـلـيـهـاـ إـلـىـ
 بـاـيـهـ. فـإـذـاـ أـرـيـلـتـ لـمـ يـكـنـ لـهـ سـيـلـ. وـ دـاخـلـ الـبـابـ مـوـضـعـ لـجـلوـسـ
 حـارـسـ الـمـنـارـ. وـ دـاخـلـ الـمـنـارـ بـيـوـتـ كـثـيـرـةـ. وـ عـرـضـ الـمـهـرـ بـدـاخـلـهـ
 تـسـعـةـ أـشـبـارـ. وـ عـرـضـ الـحـائـطـ عـشـرـ أـشـبـارـ. وـ عـرـضـ الـمـنـارـ مـنـ كـلـ
 جـهـةـ مـنـ جـهـاتـهـ الـأـرـبـعـ مـائـةـ وـارـبـعـونـ شـبـراـ. وـ هـوـ عـلـىـ تـلـ مـرـقـعـ.
 وـ مـسـافـةـ مـاـ يـسـنـهـ وـبـيـنـ الـمـدـيـنـةـ فـرـسـخـ وـاحـدـ فـيـ بـرـ مـسـتـطـيلـ يـحـيطـ بـهـ الـبـحـرـ
 مـنـ ثـلـاثـ جـهـاتـ إـلـىـ أـنـ يـتـصـلـ الـبـحـرـ بـسـوـرـ الـبـلـدـ فـلـاـ يـكـنـ الـتـوـصـلـ
 إـلـىـ الـمـنـارـةـ فـيـ الـبـرـ إـلـاـ مـنـ الـمـدـيـنـةـ. وـ فـيـ هـذـاـ الـبـرـ الـمـتـصـلـ بـالـمـنـارـ
 مـقـبـرـةـ الـإـسـكـنـدـرـيـةـ. وـ قـصـدـتـ الـمـنـارـ عـنـدـ عـوـدـ بـيـ إـلـىـ بـلـادـ الـمـغـرـبـ
 عـامـ خـمـسـيـنـ وـسـبـعـيـائـةـ فـوـجـدـتـهـ قـدـ أـسـتوـىـ عـلـيـهـ الـحـرـابـ يـحـيـثـ لـاـ يـمـكـنـ
 دـخـولـهـ وـلـاـ الصـعـودـ إـلـىـ بـاـيـهـ. وـ كـانـ الـمـلـكـ الـنـاصـرـ رـحـمـهـ الـلـهـ قـدـ شـرـعـ
 فـيـ بـنـاءـ مـنـارـ مـثـلـهـ بـيـازـآـهـ عـاقـهـ الـمـوـتـ عـنـ إـتـمامـهـ

ذـكـرـ عـمـودـ الـسـوـارـيـ. وـ مـنـ غـرـائبـ هـذـهـ الـمـدـيـنـةـ عـمـودـ الـرـخـامـ الـهـائـلـ،
 الـذـيـ يـخـارـجـهـاـ الـمـسـىـ عـنـدـهـ بـعـمـودـ الـسـوـارـيـ وـ هـوـ مـتوـسـطـ فـيـ غـاـيـةـ
 تـخلـ. وـ قـدـ أـمـتـازـ عـنـ شـجـرـاتـهـ سـمـوـاـ وـارـقـاعـاـ. وـ هـوـ قـصـعـةـ وـاحـدـةـ مـحـكـمـةـ
 الـحـتـ قـدـ أـقـيمـ عـلـىـ قـوـاعـدـ حـجـارـةـ مـرـبـعـةـ أـمـتـالـ الـدـكـاكـينـ الـعـظـيمـةـ وـلـاـ
 تـعـرـفـ كـيـفـيـةـ وـضـعـهـ هـنـاـلـكـ وـلـاـ يـتـحـقـقـ مـنـ وـضـعـهـ. قـالـ أـبـنـ جـزـيـ:
 أـخـبـرـنـيـ بـعـضـ أـشـيـاـخـ الـرـحـالـيـنـ أـنـ أـحـدـ الـرـمـاـةـ بـالـإـسـكـنـدـرـيـةـ صـدـعـ إـلـىـ
 أـعـلـىـ دـلـكـ الـعـمـودـ وـمـعـهـ قـوـسـهـ وـكـانـتـهـ وـأـسـقـرـهـ هـنـاـلـكـ وـشـاعـ خـبـرـهـ.

فَاجْتَمَعَ الْجَمْعُ الْغَيْرِ لِمُشَاهَدَتِهِ وَطَالَ الْعَجَبُ مِنْهُ وَخَفَقَ عَلَى النَّاسِ
وَجْهُ أَخْيَالِهِ وَأَظْنَهُ كَانَ خَائِفًا أَوْ طَالِبَ حَاجَةً. فَأَنْتَ لَهُ فِعْلَةُ الْمُوْسُولَ
إِلَى قَصْدِ لِغَرَابَةِ مَا أَتَى بِهِ. وَكِيفِيَّةُ أَخْيَالِهِ فِي صُعُودِهِ أَنَّهُ رَحِيْ**بِنْشَابَةِ**
قَدْ عَدَ بِفَوْقِهَا خَيْطًا طَوِيلًا. وَعَقْدَ بِطَرَفِ الْخَبْطِ حَبْلًا وَثِيقًا فَتَجاوَزَتِ
الْنَّشَابَةَ أَعْلَى الْعَمُودِ مُعْتَرِضَةً عَلَيْهِ. وَوَقَعَتْ مِنْ أَنْجِهِهِ الْمُوازِيَّةُ لِلرَّايِ
فَصَارَ الْخَبْطُ مُعْتَرِضًا عَلَى أَعْلَى الْعَمُودِ فَجَذَبَهُ حَتَّى تَوَسَّطَ الْحَبْلُ عَلَى
الْعَمُودِ مِنْ كَانَ الْخَبْطُ فَأَوْتَقَهُ مِنْ إِحْدَى أَنْجِهِتَيْنِ فِي الْأَرْضِ وَتَعْلَقَ بِهِ
صَاعِدًا مِنْ أَنْجِهِهِ الْأُخْرَى فَاسْتَفَرَ بِأَعْلَاهُ وَجَذَبَ وَاسْتَصْبَحَ مِنْ
أَحْنَمَلَةٍ. فَلَمْ يَهْتَدِ النَّاسُ لِحِيلَتِهِ وَعَجِبُوا مِنْ شَاءَنِهِ

لَمْ سَافَرْتُ فِي أَرْضِ رَمْلَةِ إِلَى مَدِينَةِ دِمِيَاطَ . وَهِيَ مَدِينَةُ قَسِيمَةِ
الْأَقْطَارِ . مَتْنَوْعَةُ الشَّمَارِ . عَجِيبَةُ التَّرْتِيبِ . أَخْدَتْ مِنْ كُلِّ حُسْنٍ
بِنَصِيبِ . وَالنَّاسُ يُضِيَطُونَ أَسْهَمَهَا يَإِعْجَامِ الدَّالِ . وَكَذِلِكَ ضَبَطَهُ الْإِلَامُ
أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلَيِّ الرَّشَاطِيِّ . وَكَانَ شَرْفُ الدِّينِ الْإِلَامَ الْعَالَمَةُ
أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ أَبْنُ خَلَفِ الدِّمِيَاطِيِّ إِمامُ الْحَدِيثَيْنِ بَضِيَطُهَا
بِإِهَالِ الدَّالِ وَيَسِيعُ ذَلِكَ بَيْنَ يَقُولَ خَلَافَ الرَّشَاطِيِّ وَغَيْرِهِ وَهُوَ
أَعْرَفُ بِضَبْطِ أَسْمَ بَلَكِ . وَمَدِينَةُ دِمِيَاطَ عَلَى شَاطِئِ النَّيلِ وَأَهْلِ الدَّورِ
الْمُوَالِيَّةِ لَهُ يَسْتَقُونَ مِنْهُ الْمَاءَ بِالْدِلَاءِ . وَكَثِيرُ مِنْ دُورِهَا يَهْمَا دَرَكَاتٍ
يُنْزَلُ فِيهَا إِلَى النَّيلِ . وَشَجَرُ الْمَوْزِ يَهْمَا كَثِيرٌ يُحْمَلُ ثِنَّتُهُ إِلَى مِصْرَ فِي
الْمَرَاكِبِ وَغَنِمَهَا سَائِمَةٌ هُمْلًا بِالنَّيلِ وَالنَّهَارِ . وَهَذَا يُقَالُ فِي دِمِيَاطَ
سُورُهَا حَلْوًا وَكَلَابُهَا غَنْمٌ . وَإِذَا دَخَلَهَا أَحَدُهُمْ يَكُنْ لَهُ سَيْلٌ إِلَى الْخُروجِ

عَنْهَا إِلَّا بِطَاعَ الْوَالِي . فَمَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ مُعْتَدِرًا طَبِيعَ لَهُ فِي قِطْعَةِ
كَاغِدٍ يَسْتَظِهِرُ بِهِ لِحْرَاسِ بَاهِمَا وَغَيْرِهِمْ يُطْبَعُ عَلَى ذِرَاعِهِ فَيَسْتَظِهِرُ بِهِ .
وَالظِّيرَا الْجُرْيِيُّ بِهِنْ الْمَدِينَةِ كَثِيرٌ مُنْتَاهِي السَّمَنِ وَبِهَا الْأَلْبَانُ الْجَامُوسِيَّةُ
أَتَيَّ لَا مِثْلَهَا فِي دُودُوبَةِ الْطَّعْمِ وَطَبِيبِ الْمَذَاقِ وَبِهَا الْحُوتُ الْبُورِيَّ
يُجْهَلُ مِنْهَا إِلَى الشَّامِ وَبِلَادِ الرُّومِ وَمِصْرَ وَيَخْارِجُهَا جَزِيرَةٌ بَيْنَ الْجَبَرِ
وَالنَّيلِ تُسَمِّي الْبَرْزَخَ بِهَا مَسْجِدٌ وَزَاوِيَّةٌ لَقِيتُ بِهَا شَيْخَهَا الْمَعْرُوفَ بِابْنِ
فُقْلٍ . وَحَضَرَتْ عِنْدَهُ لِنَلَةٍ جُمْعَةً وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفَقَرَاءِ الْفُضَلَاءِ
الْمُتَعَدِّدِينَ الْأَخْيَارِ قَطَعُوا لِيَلْتَهُمْ صَلَوةً وَفِرَاءَهُ وَذِكْرًا . وَدِمْيَاطُ هُنْ
حَدِيثَةُ الْيَنَاءِ وَالْمَدِينَةُ الْقَدِيمَةُ هِيَ أَتَيَّ خَرَبَهَا الْأَفْرَجُ عَلَى عَهْدِ الْمَلِكِ
صَاحِحٍ وَبِهَا زَاوِيَّةُ الشَّيْخِ جَالِ الدِّينِ السَّاُوِيِّ قُدْوَةُ الْطَّائِفَةِ الْمَعْرُوفَةِ
بِالْقُرْلَانِدِيَّةِ وَهُمُ الَّذِينَ يَحْلِقُونَ لِحَامُهُ وَحَوَاجِبُهُ وَيَسْكُنُ الْزَّاوِيَّةَ فِي
هَذَا الْعَهْدِ الشَّيْخُ فَتَحَ الْتَّكْرُورِيُّ

سَافَرْتُ إِلَى مَدِينَةِ كُورَ وَهِيَ مَدِينَةٌ عَلَى سَاحِلِ النِّيلِ وَالْكَافُ
الَّذِي فِي أَسْهَمِهَا مَضْمُومٌ وَتَرَكْتُ يَخْارِجُهَا وَلَقِيفْيَ هُنَالِكَ فَارِسٌ وَجَهَهُ
إِلَيَّ الْأَمِيرُ الْحُسْنِيُّ فَقَالَ لِي إِنَّ الْأَمِيرَ سَأَلَ عَنْكَ وَعَرَفَ بِسِيرَتِكَ
فَبَعَثَ إِلَيْكَ بِهِنْ الْنَّفَقَةِ وَدَفَعَ إِلَيَّ جُمْلَةً دَرَاهِمَ جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا
سَافَرْتُ إِلَى مَدِينَةِ أَشْمُونِ الرَّمَانِ وَضَبَطْ أَسْهَمِهَا بَنْجَ الْمَهْمَنَ وَإِسْكَانِ
الشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَنِسْبَتُ إِلَى الرَّمَانِ لِكُثْرَتِهِ بِهَا وَمِنْهَا يُجْهَلُ إِلَى مِصْرَ .
وَهِيَ مَدِينَةٌ عِثْقَةٌ كَيْرَةٌ عَلَى خَلْبِهِ مِنْ خَلْجِ النِّيلِ وَبِهَا قَنْطَرَةُ خَشَبٍ
تَرْسُو الْمَرَاكِبُ عِنْدَهَا فَإِذَا كَانَ الْعَصْرُ رُفِعَتْ تِلْكَ الْحَشَبُ وَجَازَتْ

الْمَرَكِبُ صَاعِدٌ وَمُنْهَدِرٌ وَبِهِنِ الْبَلْقَةُ فَاضِي الْقُضَا وَوَالِي الْوَلَاةِ . ثُمَّ
 سَافَرْتُ عَنْهَا إِلَى مَدِينَةِ سُنُودَ وَهِيَ عَلَى شَاطِئِ الْبَلْقَةِ كَثِيرَةُ الْمَرَكِبِ
 حَسَنَةُ الْأَسْوَاقِ وَيَنْهَا وَيَنْتَ الْمَحَلَّ الْكَبِيرَ ثَلَاثَةُ فَرَاسَحَ وَضَبْطُ أَسْهَامَا
 بِقُنْعَنِ الْسِّينِ الْمَهْمَلِ وَالْمِهْمَلِ وَتَشْدِيدِ الْثُنُونِ وَضَمِّنَهَا وَوَادِي وَدَالِ مُهْمَلِ
 مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ رَكِبَتُ الْبَلْقَةَ مُصْعَدًا إِلَى مِصْرَ مَا يَنْ مَدَائِنَ وَفَرِي
 مُنْتَظَمَةٌ مُتَصِّلَّ بَعْضُهَا بَعْضٌ وَلَا يَنْتَقِرُ رَاكِبُ الْبَلْقَةِ إِلَى أَسْتَصْحَابِ
 الْزَّادِ لَأَنَّهُ مَهْمَأً أَرَادَ التَّرْزُولَ بِالشَّاطِئِ نَزَلَ لِلْوُضُوءِ وَالصَّلَاةِ وَشَرَاءِ
 الْزَّادِ وَغَيْرِهِ ذَلِكَ . وَالْأَسْوَاقُ مُتَصَّلَّةٌ مِنْ مَدِينَةِ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ إِلَى مِصْرِ
 وَمِنْ مِصْرِ إِلَى مَدِينَةِ أَسْوَانَ مِنَ الصَّعِيدِ . ثُمَّ وَصَلَتْ إِلَى مِصْرَ هِيَ أَمْ
 الْبِلَادِ وَقَرَارَةُ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ . دَاتُ الْأَقَالِيمِ الْعَرَبِيَّةِ . وَالْبِلَادِ
 الْأَرِيَّةِ . الْمُتَنَاهِيَّةِ فِي كُثْرَةِ الْعِمارَةِ . الْمُتَبَاهِيَّةِ بِالْمُحْسِنِ وَالنَّضَارَةِ . تَجْمُعُ
 الْوَارِدِ وَالصَّادِرِ . وَمَحَطُ رَحْلِ الْأَسْعِيفِ وَالْقَادِرِ . وَبِهَا مَا شِئْتَ مِنْ
 عَالَمِ وَجَاهِلِ . وَجَاهِ وَهَازِلِ . وَحَلِيمِ وَسَفِيهِ . وَوَضِيعِ وَنَبِيِّهِ . وَشَرِيفِ
 وَمَشْرُوفِ . وَمُنْكِرِ وَمَعْرُوفِ . تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ بِسَكَانِهَا وَتَكَادُ أَنْ تَضْيِيقَ
 بَيْهُمْ عَلَى سَعْةِ مَكَانِهَا وَامْكَانِهَا . شَبَابُهَا يَحْدُثُ عَلَى طُولِ الْعَهْدِ . وَكَوْكَبُ
 تَعْدِيلِهَا لَا يُرْجِعُ عَنْ مَنْزِلِ الْسَّعْدِ . فَهَرَتْ قَاهِرَتِهَا الْأَمْمَ . وَتَمَلَّكتْ
 مُلُوكُهَا نَوَاحِي الْعَرَبِ وَالْجَمِيعِ . وَهَا خُصُوصِيَّةُ الْبَلْقَةِ الَّتِي جَلَّ خَطْرُهَا .
 وَاغْنَاهَا عَنْ أَنْ يَسْتَمِدَّ الْقَطْرُ قُطْرُهَا . وَأَرْضُهَا مَسِيقَةُ شَهْرٍ لِبُجْدِيَّ الْسَّيْرِ .
 وَفِيهَا يَقُولُ نَاصِرُ الدِّينِ بْنُ نَاهِضٍ
 شَاطِئُ مِصْرَ جَنَّةُ مَا مِنْهَا مِنْ بَلَدٍ

لَاسِيْمَا مُذْرُخِرَفٌ
 بِنِيلَهَا الْمُطَرِّدٌ
 سَوَاعِنْ مِنْ زَرَدٍ
 دَاؤُهَا بِبَرَدٍ
 يُرِعُدُ عَارِيُّ الْجَسَدِ
 بَيْنَ حَادِرٍ وَمَصْعَدٍ
 وَالنِّلُكُ كَالْأَفْلَاكِ

رَجَعَ وَيَقَالُ إِنَّ بِمَصْرَ مِنَ السَّقَائِينَ عَلَى الْجِمَالِ أَثْنَيْ عَشَرَ الْفَ سَقَاءَ
 قَانْ بِهَا ثَلَاثِينَ الْفَ مُكَارٍ . وَإِنَّ بِنِيلِهَا مِنَ الْمَرَاكِبِ سِتَّةَ وَثَلَاثِينَ الْفَ
 لِلْسَّلْطَانِ وَالرَّعِيَّةِ تَمُرُّ صَاعِلَةً إِلَى الصَّعِيدِ وَمُخْدِرَةً إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ
 وَدِمْيَاطَ بِأَنَوَاعِ الْخَيْرَاتِ وَالْمَرَافِقِ . وَعَلَى ضَفَّةِ الْنِيلِ هَمَا يُواجِهُ مَصْرَ
 الْمَوْضِعُ الْمَعْرُوفُ بِالرَّوْضَةِ وَهُوَ مَكَانُ النَّزَهَةِ وَالْتَّفَرِجِ . وَبِهِ الْبَسَاتِينُ
 الْكَثِيرَةُ الْحَسَنَةُ . وَأَهْلُ مَصْرَ ذُو وَطَرَبٍ وَسُورٍ وَهُوَ شَاهِدُ مَنْ فُرْجَةَ
 بِسَبَبِ بُرُّ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مِنْ كَسْرِ أَصَابِيَّهُ فَزَيْنَ كُلُّ أَهْلِ سُوقٍ
 سُوقَهُمْ وَعَلَقُوا بِحَوَانِيْنِمِ الْمُحَلَّ وَالْمُحْلَّ وَشَابَ الْمُحَرِّبِ وَبَقُوا عَلَى ذَلِكَ أَيَّامًا
 ذِكْرُ مَسْجِدِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَالْمَدَارِسِ وَالْمَارِسَتَانِ وَالْنَّزَارَايَا
 وَمَسْجِدِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ مَسْجِدُ شَرِيفٍ كَبِيرٍ الْقَدِيرِ . شَهِيرُ الدِّكْرِ نُقَامُ
 فِيهِ الْجَمْعَةُ . وَالطَّرِيقُ يَعْتَرِضُهُ مِنْ شَرْقٍ إِلَى غَربٍ . وَبِشَرِيفِهِ الْزَّاوِيَّةِ
 حَيْثُ كَانَ يُدْرِسُ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّافِعِيُّ . وَمَا الْمَدَارِسُ بِمَصْرَ
 فَلَا يُجِيبُ أَحَدٌ بِحَصْرِهَا لِكَثْرَتِهَا . وَمَا الْمَارِسَتَانُ الَّذِي بَيْنَ الْقَنْصَرِينِ
 عِنْدَ تُرْبَةِ الْمَلِكِ الْمُنْصُورِ قَلَاؤُونَ فَيَعْزِزُ الْوَاصِفُ عَنْ مَحَاسِنِهِ . وَقَدْ أُعِدَّ
 فِيهِ مِنَ الْمَرَافِقِ وَالآدُوَيَّةِ مَا لَا يُحَصِّرُ وَيُذَكِّرُ أَنَّ مَجْمَاهُ الْفُ دِينَارٌ كُلُّ

يَوْمٍ . وَمَا الْزَوَايَا فِكْثِيرَةٌ وَهُمْ يُسْمُونَهَا الْخُوَافِقَ وَاحِدَتُهَا خَانِقَةٌ وَالْأَمْرَاءُ
 بِمَصْرِ يَنْتَفِسُونَ فِي بَنَاءِ الْزَوَايَا . وَكُلُّ زَاوِيَّةٍ يَمْضِرُ مُعْيَنَةً لِطَائِفَةٍ مِنَ
 الْفَقَرَاءِ وَكُلُّهُمْ لَا عَاجِمٌ وَهُمْ أَهْلُ أَدَبٍ وَمَعْرِفَةٍ بِطَرِيقَةِ التَّصُوفِ
 وَكُلُّ زَاوِيَّةٍ شَيْخٌ وَحَارِسٌ وَتَرَبِّيْسٌ أُمُورٌ هُمْ عَجِيبٌ وَمِنْ عَوَادِهِمْ
 فِي الْطَّعَامِ أَنَّهُ يَاتِي خَدِيمُ الْزَوَايَّةِ إِلَى الْفَقَرَاءِ صَبَاحًا فَيَعِينُ لَهُ كُلُّ وَاحِدٍ
 مَا يَشْتَهِيهِ مِنَ الْطَّعَامِ . قَدَّا أَجْمَعُوا لِلْأَكْلِ جَعَلُوا لِكُلِّ إِنْسَانٍ خُبْنَ
 وَمَرْقَهُ فِي إِنَاءٍ عَلَى حِدَّةٍ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ . وَطَعَامُهُمْ مَرْتَانٌ فِي الْيَوْمِ
 وَلَهُمْ كِسْوَةُ الشِّتَّاءِ وَكِسْوَةُ الصَّيفِ وَمَرْتَبٌ شَهْرِيٌّ مِنْ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا
 لِلْوَاحِدِ فِي الشَّهْرِ إِلَى عِشْرِينَ وَلَهُمْ الْحَلَاوَةُ مِنَ السُّكَّرِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ جُمْعَةٌ
 وَالصَّابُونُ لِغَسْلِ أَنُوَبِمْ فِي الْأَجْرِ لِدُخُولِ الْمَحَامِ وَالزَّيْتُ لِلإِسْتِصْبَاجِ
 وَهُمْ أَعْزَابٌ . وَلِلْمُتَرَوِّجِينَ زَوَايَا عَلَى حِدَّةٍ وَمِنَ الْمُشْتَرَطِ عَلَيْهِمْ حُضُورُ
 الصلواتِ الْخَمْسِ وَالْمَيْتُ بِالْزَوَايَّةِ وَاجْنَاعُهُمْ بِقَبْيَةٍ دَاخِلَ الْزَوَايَّةِ . وَمِنْ
 عَوَادِهِمْ أَنْ يَجْلِسَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى سَجَادَةٍ مُخْصَّةٍ بِهِ وَإِذَا صَلَوَ صَلَاةَ
 أَصْبَحَ قَرَاوِيْ سُورَةُ الْفُتْحِ وَسُورَةُ الْمُلْكِ وَسُورَةُ عِمْ . ثُمَّ يُؤْتَى بِسَعْيٍ مِنَ
 الْقُرْآنِ مُجَازَةً فَيَأْخُذُ كُلُّ فَقِيرٍ جُزْمًا وَيَخْتَمُونَ الْقُرْآنَ وَيَذَكُرُونَ . ثُمَّ
 يَقْرَأُ الْقُرْآنَ عَلَى عَادَةٍ أَهْلِ الْمَشْرِقِ . وَمِثْلَ ذَلِكَ يَفْعَلُونَ بَعْدَ صَلَاةِ
 الْعَصْرِ . وَمِنْ عَوَادِهِمْ مَعَ الْقَادِمِ أَنَّهُ يَاتِي بَابَ الْزَوَايَّةِ فَيَقْفَفُ بِهِ مَسْدُودًا
 الْوَسْطَ وَعَلَى كَاهِلِهِ سَجَادَةٌ وَبِمِنَاهِ الْعُكَازُ وَبِسَرَاهِ الْأَبْرِيقِ فَيُعْلَمُ الْبَوَابُ
 خَدِيمُ الْزَوَايَّةِ بِمَدَانِهِ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ وَبِسَلْطَهُ مِنْ أَيِّ الْبَلَادِ أَتَى وَأَيِّ الْزَوَايَا
 تَرَلَ في طَرِيقِهِ وَمِنْ شَيْخِهِ . قَدَّا عَرَفَ صِحَّةَ قَوْلِهِ أَدْخَلَهُ الْزَوَايَّةَ وَفَرَشَ

لَهُ سَجَادَةٌ فِي مَوْضِعٍ يَلْقِي بِهِ وَرَاهُ مَوْضِعَ الطَّهَارَةِ فَيُجَدِّدُ الْوُضُوءَ يَأْتِي
إِلَى سَجَادَةِ تِهِ فَيَحْلُّ وَسْطَهُ وَيَصْلِي رَكْعَتَيْنِ وَيَصْلِي الشَّيْخَ وَمَنْ حَضَرَ وَيَقْعُدُ
مَعْمُومٌ وَمَنْ عَوَادَهُمْ أَنْهُمْ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجَمْعَةِ أَخْذَ الْخَادِمُ جَمِيعَ
سَجَادَدِهِمْ فَيَذْهَبُ إِلَيْهَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَيَغْرُشُهُمْ هُنَالِكَ وَيَخْرُجُونَ مُجْنِيَعِينَ
وَمَعْمُومَ شَيْخِهِمْ فَيَا تُونَ الْمَسْجِدِ وَيَصْلِي كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى سَجَادَةِ تِهِ فَإِذَا فَرَغُوا مِنَ
الصَّلَاةِ قَرَأُوا الْقُرْآنَ عَلَى عَادِهِمْ ثُمَّ يَنْصُرُونَ مُجْنِيَعِينَ إِلَى الْزَّاوِيَةِ
وَمَعْمُومَ شَيْخِهِمْ

ثُمَّ كَانَ سَفَرِي مِنْ مِصْرَ عَلَى طَرِيقِ الصَّعِيدِ بِرَسْمِ الْمُجَازِ الشَّرِيفِ فَبَيْتُ
لِيَلَةَ خُرُوجِي بِالرِّبَاطِ الَّذِي بَنَاهُ الصَّاحِبُ تَاجُ الدِّينِ بْنُ حِنَّا بْنُ دِيرِ
الْطِّينِ وَهُورَبَاطُ عَظِيمٌ بَنَاهُ عَلَى مَقَابِرِ عَظِيمَةٍ وَأَثَارَ كَرِيمَةٍ ثُمَّ خَرَجْتُ
مِنَ الْرِّبَاطِ الْمَذُكُورِ وَمَرَرْتُ بِمُنْيَةِ الْقَائِدِ وَهِيَ بَلْدَةٌ صَغِيرَةٌ عَلَى سَاحِلِ
النَّيلِ ثُمَّ سَرَّتْ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ بُوشَ وَضَبَطُهَا بِضمِّ الْبَاءِ الْمُوَحدَةِ
وَآخِرُهَا شِينُ مُجَمَّهَةٌ وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ أَكْثَرُ بِلَادِ مِصْرَ كَتَانًا وَمِنْهَا يَجْلِبُ إِلَى
سَائِرِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَإِلَى أَفْرِيَقِيَّةِ ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا فَوَصَلْتُ إِلَى مَدِينَةِ
دَلَاصَ وَضَبَطُ أَسِهَا بِفُتحِ الدَّالِ الْمُهِمَّلِ وَآخِرُهَا صَادُ مُهِمَّلٌ وَهَذِهِ
الْمَدِينَةُ كَثِيرَةُ الْكَتَانِ أَيْضًا بِمِثْلِ الَّذِي يَذْكُرُنَا قَبْلَهَا وَيَحْمَلُ أَيْضًا مِنْهَا
إِلَى دِيَارِ مِصْرَ وَأَفْرِيَقِيَّةِ ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ بِيَا ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا
إِلَى مَدِينَةِ الْبَهْنَسَةِ وَهِيَ مَدِينَةُ كَيْنَةٍ وَبَسَاتِينُهَا كَثِيرَةٌ وَتَصْنَعُ بِهِنَّهُ
الْمَدِينَةُ شَيْبُ الصُّوفِ الْمُجَدَّدُ
ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ مُنْيَةِ أَبْنِ خَصِيبٍ وَهِيَ مَدِينَةُ كَيْنَةٍ

السَّاحَةِ . مُتَسْعَةُ الْمَسَاحَةِ . مَيْنَةُ عَلَى شَاطِئِ النَّبْلِ . وَحَقِيقُ حَقِيقَهَا عَلَى
بِلَادِ الصَّعِيدِ التَّفْضِيلُ . بِهَا الْمَدَارِسُ وَالْمَشَاهِدُ . وَالزَّوَافَا وَالْمَسَاجِدُ .
وَكَانَتِ فِي الْقَدِيمِ مَيْنَةً لِخَصِيبٍ عَامِلِ مِصْرَ
خَكَايَةً خَصِيبٍ

يُذَكَّرُ أَنَّ أَحَدَ الْخَلْفَاءِ مِنْ بَنِي الْعَبَاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ غَضِبَ عَلَى أَهْلِ
مِصْرَ فَأَتَى أَنَّ يُوَلِّي عَلَيْهِمْ أَحْقَرَ عَيْنِهِ وَأَصْغَرَهُمْ شَانًا قَصْدًا لِأَرْدَاهُمْ
وَالْتَّنَكُلِ . وَكَانَ خَصِيبٌ أَحْقَرُهُمْ إِذْ كَانَ يَتَوَلَّ تَسْخِينَ الْحَمَامِ . فَخَلَعَ
عَلَيْهِ وَمَنْ عَلَى مِصْرَ وَظَنَّهُ أَنَّهُ يَسِيرُ فِيهِمْ سَيِّئَ سُوءٍ وَيُقْصِدُهُمْ بِالْإِذَا
خَسِيبًا هُوَ الْمَعْهُودُ مِنْهُنَّ وَلِيَ عَنْ غَيْرِ عَهْدِهِ بِالْعَزِّ . فَلَمَّا أَسْتَرَ خَصِيبٌ
بِمِصْرَ سَارَ فِي أَهْلِهَا أَحْسَنَ سَيِّئَ وَشَهَرَ بِالْكَرْمِ وَالْإِشَارَ فَكَانَ أَفَارِبُ
الْخَلْفَاءِ وَسَوَاهُمْ يُقْصِدُونَهُ فَيُخِلِّ الْعَطَاءَ لَهُمْ وَيُعُودُونَ إِلَى بَغْدَادَ
شَاكِرِينَ لِمَا أَوْلَاهُمْ . وَإِنَّ الْخَلِيفَةَ أَفْتَدَ بَعْضَ الْعَبَاسِيْنَ وَغَابَ عَنْهُمْ مُؤْكَدٌ .
ثُمَّ أَتَاهُ فَسَأَلَهُ عَنْ مَغْيِبِهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ قَصَدَ خَصِيبًا وَذَكَرَ لَهُ مَا أَعْطَاهُ
خَصِيبٌ وَكَانَ عَطَاءَهُ جَزِيلًا . فَغَضِبَ الْخَلِيفَةُ وَأَمْرَ بِسَمْلٍ عَيْنِي خَصِيبٍ
وَأَخْرَجَهُ مِنْ مِصْرَ إِلَى بَغْدَادَ وَأَنْ بُطْرَحَ فِي أَسْوَاقِهَا . فَلَمَّا وَرَدَ الْأَمْرُ
بِالْقُبْضِ عَلَيْهِ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ دُخُولِ مَذْرِلِهِ . وَكَانَتِ بَيْنَ يَاقُوتَةَ
عَظِيمَةِ الشَّانِ فَخَبَأَهَا عِنْدَهُ وَخَاطَهَا فِي ثُوبِهِ لَهُ لِيَلَا وَسُلِّمَتْ عَيْنَاهُ
وَطَرَحَ فِي أَسْوَاقِ بَغْدَادَ . فَهَرَبَ بِهِ بَعْضُ الشُّعُراءَ فَقَالَ لَهُ يَا خَصِيبُ
إِنِّي كُنْتُ قَصَدُتُ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى مِصْرَ مَادِحًا لَكَ بِقَصِيلَةٍ فَوَافَقْتُ
أَنْصِرًا فَكَثُرَ عَنْهَا وَأَحِبَّ أَنْ تَسْمَعَهَا : فَقَالَ كَيْفَ يَسْمَعُهَا وَلَنَا عَلَى مَا

نَرَأْهُ : فَقَالَ إِنَّا قَصْدِي سَاعَكَ لَهَا . وَأَمَّا الْعَطَاءُ فَقَدْ أُعْطَيْتَ النَّاسَ
وَاجْزَلَتْ جَزَالَكَ اللَّهُ خَيْرًا : قَالَ فَأَفْعَلْ فَأَنْشَدَهُ

أَنْتَ الْحَصِيبُ وَهُنَّ مِصْرُ فَتَدَفَّقَا فِكَ لَا كَا بَحْرٌ
فَلَمَّا أَتَى عَلَى آخِرِهَا قَالَ لَهُ أَفْتُقْ هَذِهِ الْجِنِيَّاتِ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ
خُذِ الْبَاقُوتَةَ : فَأَبَى فَأَقْسَمَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَهَا فَأَخْذَهَا وَذَهَبَ بِهَا إِلَى سُوقِ
الْجُوْهَرِيَّينَ . فَلَمَّا عَرَضَهَا عَلَيْهِمْ قَالُوا لَهُ أَنْ هَذِهِ لَا تَصْلُحُ لِلْخَلِيفَةِ .
فَرَفَعُوا أَمْرَهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ فَأَمَرَ الْخَلِيفَةِ بِإِحْضارِ الشَّاعِرِ وَاسْتَفْهَمَهُ عَنْ
شَانِ الْيَاقُوتَةِ فَأَخْبَرَهُ بِحَبَرِهَا . فَتَأَسَّفَ عَلَى مَا فَعَلَهُ بَحَصِيبٍ وَأَمَرَ بِمُثُولِهِ
بَيْنَ يَدَيْهِ وَاجْزَلَ لَهُ الْعَطَاءَ وَحَكَمَهُ فِيمَا يُرِيدُ فَرَغَبَ أَنْ يُعْطِيهِ هَذِهِ
الْمُنْيَةَ فَعَلَ ذَلِكَ وَسَكَنَهَا بَحَصِيبٍ إِلَى أَنْ تُوْقَنِي وَأَوْرَثَهَا عَقِبةً إِلَى أَنْ

انْفَرَضُوا

فَوَصَّلَتْ إِلَى مَدِينَةِ بَلِيُّسْ وَضَبَطَ أَسِمَّهَا بَنْتَ الْمُوَحَّدِ الْأُولَى وَفَتَحَ
الثَّانِيَةَ ثُمَّ يَأْتِيَ أَخِرَ الْحُرُوفِ مَسْكِنَةَ وَسِينِ مَهْمَلٍ وَهِيَ مَدِينَةُ كِيرَةِ دَّهَاتِ
بَسَاتِينَ كَثِيرَةِ وَلَمْ أَقْرَبْهَا مَنْ يُحِبَّ ذِكْرَهُ ثُمَّ وَصَّلَتْ إِلَى الصَّالِحَيَّةِ
وَمِنْهَا دَخَلَنَا الْمِالَ وَنَزَلْنَا مَنَازِهَا مِثْلَ السَّوَادَةِ وَالْوَرَادَةِ وَالْمُطَبِّلِ
وَالْعَرِيشِ وَالْحُرُوبَةِ وَيُكَلِّ مَنْزِلٍ مِنْهَا فِندُقٌ وَهُمْ يُسَمُونَهُ الْخَانَ يَتَرَزَّلُهُ
الْمُسَافِرُونَ يَدْوَاهِمْ . وَيَخْتَارُ جَكْلَ خَانَ سَانِيَةَ لِلسَّيْلِ وَحَانُوتَ
يَشْتَرِي مِنْهَا الْمُسَافِرُ مَا بُخَانَجَهُ لِنَفْسِهِ وَدَائِتِهِ . وَمِنْ مَنَازِهَا قَطْبَا
الْمَسْهُورَةُ وَهِيَ بَنْتُ الْقَافِ وَسَكُونُ الْصَّاءِ وَيَأْتِيَ أَخِرُ الْحُرُوفِ مَفْتُوحَةٍ
وَأَلِفٍ وَالنَّاسُ يُدِلُّونَ أَلْفَهَا هَاهَ تَائِيَتِ . وَهُنَّا تُؤَخِّذُ الْزَّكَةُ مِنَ الْتُّجَارِ

وَتَفْتَشُ أَمْتَعْنَاهُمْ وَبَحْثُ عَمَّا لَدَيْهِمْ أَشَدَّاً لِبَحْثِهِ . وَفِيهَا الدَّوَافِينُ وَالْعُمَالُ
وَالْكِتَابُ وَالشُّهُودُ . وَجَمِيعًا هَا فِي كُلِّ يَوْمٍ أَلْفُ دِينَارٍ مِنَ الْذَّهَبِ وَلَا
يَجِدُونَ عَلَيْهَا أَحَدًا مِنَ الشَّامِ إِلَّا يَرَأُهُ مِنْ مِصْرَ وَلَا إِلَى مِصْرَ إِلَّا يَرَاهُ
مِنَ الشَّامِ أَحْيَانًا طَاعَ أَمْوَالِ النَّاسِ وَتَوَفِّيَ مِنَ الْجَوَاسِيسِ الْعِرَاقِيَّنَ .
وَطَرِيقُهَا فِي ضَمَانِ الْعَرَبِ قَدْ وَكَلُوا يَحْفَظُهُ . فَإِذَا كَانَ اللَّيلُ مَسْحُوا عَلَى
الرَّمْلِ لَا يَبْقَى بِهِ آثَرٌ . ثُمَّ يَأْتِي الْأَمْيَرُ صَبَاحًا فَيَنْظُرُ إِلَى الرَّمْلِ فَإِنْ وَجَدَ
بِهِ آثَرًا طَلَبَ الْعَرَبَ يَا حَضَارَ مُؤْشِنٍ فَيَذْهُبُونَ فِي طَلَيِّهِ فَلَا يَفْتُومُ
فَيَأْتُونَ بِهِ الْأَمْيَرَ فَيُعَاقِبُهُ بِمَا بَشَاءَ

وَكَانَ يَهَا فِي عَهْدِ وُصُولِي إِلَيْهَا عِزُّ الدِّينِ أَسْتَادُ الدَّارِ أَفْمَارِيُّ مِنْ
خِيَارِ الْأَمْرِ أَصْاصَافِيُّ وَأَكْرَمِيُّ وَبَاجَ الْجَوَازَ لِمَنْ كَانَ مَعِيُّ . وَيَنْ يَدِيهِ عَبْدُ
أَجْبَيلِ الْمَغْرِبِيِّ الْوَقَافُ وَهُوَ يَعْرِفُ الْمَغَارِبَةَ وَبِلَادَهُمْ فَيَسْأَلُ مَنْ وَرَدَ
مِنْهُمْ مِنْ أَيِّ الْبَلَادِ هُوَ لِئَلَّا يَلِيسَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الْمَغَارِبَةَ لَا يَعْتَرِضُونَ فِي
جَوَازِهِمْ عَلَى قَطْيَا

ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى وَصَلَنَا إِلَى مَدِينَةِ غَنَّ وَهِيَ أَوَّلُ بِلَادِ الشَّامِ حِلَّةٌ يَلِي مِصْرَ
مُتَسِّعَةُ الْأَقْطَارِ كَثِيرَ الْعِمارَةِ حَسَنَةُ الْأَسْوَاقِ يَهَا الْمَسَاجِدُ الْعَدِيدُ وَلَا
سُورَ عَلَيْهَا . وَكَانَ يَهَا مَسْجِدٌ جَامِعٌ حَسَنٌ . وَالْمَسْجِدُ الَّذِي نَقَمُ الْآنِ يَهِي
أَنْجُومَعَهُ فِيهَا بَنَاهُ الْأَمْيَرُ الْمَعْظَمُ الْجَوَادِيُّ وَهُوَ أَنْبِقُ الْبَيَانَ مُحْكَمُ الْصَنْعَةِ
وَمِنْبُرُهُ مِنَ الرُّخَامِ أَلْأَيْضِ وَقَاضِي غَنَّ بَدْرُ الدِّينِ السَّلْطَنِيُّ الْجَوَارَانِيُّ
وَمُدَرِّسُهُ أَعْلَمُ الدِّينِ بْنُ سَالِمٍ وَبُنُو سَالِمٍ كَبِرَاهُ هَذِهِ الْمَدِينَةُ وَمِنْهُمْ شَيْسُ
الْدِينِ قَاضِي الْقُدُسِ

ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْ غَزَّةَ إِلَى مَدِينَةِ الْخَلِيلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا وَهِيَ
 مَدِينَةُ صَغِيرَةٍ السَّاحَةِ كَبِيرَةِ الْمِقْدَارِ . مُشَرِّفَةُ الْأَنْوَارِ حَسَنَةُ الْمُنْظَرِ .
 عَجِيبَةُ الْمَخْبَرِ فِي بَطْنِ وَادِ . وَمَسِيْدُهَا أَنْيَقُ الصَّنْعَةِ مُحْكَمُ الْعَمَلِ . بَدِيعُ
 الْخَسْنِ . سَاعِيُ الْأَرْتِفَاعِ مَبْيَنٌ بِالصَّخْرِ الْمُشْخُوتِ فِي أَحَدِ أَرْكَانِهِ صَخْرَةُ أَحَدِ
 أَفْطَارِهَا سَبْعَةٌ وَثَلَاثُونَ شَبْرًا . وَيُقَالُ إِنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَ أَنْجِنَّ
 بِسَيْنَائِهِ . وَفِي دَاخِلِ الْمَسْجِدِ الْغَارِ الْمَكْرُمِ الْمَقْدَسُ فِيهِ قَبْرُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ
 وَيَعْقُوبَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَيَقَابِلُهُمَا قُبُورُ ثَلَاثَةٍ هِيَ قُبُورُ أَزْوَاجِهِمْ وَعَنْ
 بَيْنِهِنَّ يَبْلُوْضُ جِدارُ الْقَبْلَةِ مَوْضِعٌ يُهْبَطُ مِنْهُ عَلَى دَرَجِ رُخَامٍ
 مُحْكَمَةٌ إِلَى مَسْلَكٍ ضَيقٍ يُفْضِيُ إِلَى سَاحَةٍ مَفْرُوشَةٍ بِالرُّخَامِ فِيهَا صُورَ
 الْقَبُورِ الْثَلَاثَةِ وَيُقَالُ إِنَّهَا مَحَادِيَةٌ لَهُمْ . وَكَانَ هُنَالِكَ مَسْلَكٌ إِلَى الْغَارِ
 الْمَبَارَكِ وَهُوَ الَّذِي مَسْدُودٌ وَقَدْ نَزَلْتُ بِهِذَا الْمَوْضِعِ مَرَّاتٍ
 ثُمَّ سَافَرْتُ إِلَى مَدِينَةِ الْرَّمْلَةِ وَهِيَ فَلَسْطِينُ مَدِينَةُ كَبِيرَةٍ . كَثِيرَةُ
 الْخَيْرَاتِ . حَسَنَةُ الْأَسْوَاقِ . وَبَهَا أَنْجَامُ الْأَيْضُ وَيُقَالُ إِنَّ فِي قِبَلَتِهِ
 ثَلَاثَيْنِ إِنَّ الْأَنْيَاءِ مَدْفُونَ إِنَّ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . وَفِيهَا مِنْ كِبَارِ الْفَقِهَاءِ
 مُحَمَّدُ الدِّينِ النَّابُلُسِيُّ . ثُمَّ خَرَجْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ نَابُلُسِ وَهِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ
 كَثِيرَةُ الْأَشْجَارِ . مُطْرِدَةُ الْأَنْهَارِ . مِنْ أَكْثَرِ يَلَادِ الشَّامِ زَيْتُونًا . وَمِنْهَا
 يُحْمَلُ الْزَّيْتُ إِلَى مِصْرَ وَدَمْشَقَ . وَبَهَا تُصْنَعُ حَلْوَةُ الْخَرُوبِ وَيُجَلَبُ
 إِلَى دِمْشَقَ وَغَيْرِهَا . وَكَيْفِيَةُ عَمَلِهَا أَنْ يُطْبَخَ الْخَرُوبُ ثُمَّ يُعَصَرُ وَيُؤْخَذَ
 مَا يَخْرُجُ مِنْهُ مِنْ أَرْبَبٍ فَتُصْنَعُ مِنْهُ الْحَلْوَةُ وَيُجَلَبُ ذَلِكَ أَرْبَبٌ أَيْضًا إِلَى
 مِصْرَ وَالشَّامِ . وَبَهَا الْبَطْرِيجُ الْمَنْسُوبُ إِلَيْهَا وَهُوَ طَبِيبٌ عَجِيبٌ . وَمَسِيْدُهَا

أَجْمَعُ فِي نِهَايَةِ مِنَ الْإِنْقَانِ وَالْحُسْنِ . وَفِي وَسْطِهِ بِرْ كَهْ مَاءَ عَذْبٍ . ثُمَّ
 سَافَرْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ عَجْلُونَ وَهِيَ بَقْعَةُ الْعَيْنِ الْمُهَمَّلَةِ . وَهِيَ مَدِينَةٌ
 حَسَنَةٌ لَهَا أَسْوَاقٌ كَثِيرَةٌ . وَقَلْعَةٌ خَطِيرَةٌ وَيَشْتَهِيْنَاهُ مَا فِيهِ عَذْبٌ . ثُمَّ
 سَافَرْتُ مِنْهَا بِقَصْدِ الْلَّادِيقَةِ فَهَرَبْتُ بِالْفَوْرِ وَهُوَ وَادِيْ بَيْنَ تِلَالٍ يَهُ قَبْرُ
 أَبِي عَيْدَةَ بْنِ الْجَرَاجِ أَمِينِ هَذِهِ الْأُمَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زُرْنَاهُ وَعَلَيْهِ زَاوِيَةٌ
 فِيهَا الْطَّعَامُ لِابْنَاءِ السَّيْلِ وَتَبَّاتُ هَنَالِكَ لَيْلَةً ثُمَّ وَصَلَنَا إِلَى الْقَصِيرِ وَبِهِ
 قَبْرُ مَعَاذِبْنِ جَبَلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . تَبَرَّكْتُ أَيْضًا بِزِيَارَتِهِ
 ثُمَّ سَافَرْتُ عَلَى السَّاحِلِ فَوَصَلْتُ إِلَى مَدِينَةِ عَكَّةَ وَهِيَ خَرَابٌ . وَكَانَتْ
 عَكَّةُ قَاعِدَةً بِلَادِ الْأَفْرَنجِ بِالشَّامِ وَمَرَسِيَ سُفْنِهِمْ وَتَشْيِهِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ
 الْعَظِيمِ وَبِشَرْقِهَا عَيْنُ مَاءَ تَعْرُفُ بِعَيْنِ الْبَقْرِ . يُقَالُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخْرَجَ
 مِنْهَا الْبَقْرَ لَادَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَتَنَزَّلُ إِلَيْهَا فِي دَرَجٍ . وَكَانَ عَلَيْهَا مَسْجِدٌ
 بِقِيمَتِهِ مَحْرَابٌ وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ قَبْرُ صَاحِبِ الْعِمَمِ . ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ
 صُورَ وَهِيَ خَرَابٌ وَبِخَارِ جَهَاهَا قَرِيبَةُ مُعْمُورَةٍ وَأَكْثَرُ أَهْلِهَا شِيعَيْونَ وَلَقَدْ
 نَزَلْتُ بِهَا مَرْأَةً عَلَى بَعْضِ الْمِيَاهِ أَرِيدُ الْوُضُوءَ . فَأَتَى بَعْضُ أَهْلِ تِلْكَ الْقَرِيبَةِ
 لِيَتَوَضَّأْ فَبَدَا بِغَسْلِ رِجْلَيْهِ ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ وَلَمْ يَنْضَمْ وَلَا أَسْتَنشَقَ .
 ثُمَّ مَسَحَ بَعْضَ رَأْسِهِ فَأَخَذْتُ عَلَيْهِ فِعْلَهُ فَقَالَ لِي إِنَّ الْبَيْنَاءَ إِنَّمَا يَكُونُ
 أَبْتَداً وَهُوَ مِنَ الْأَسَاسِ . وَمَدِينَةُ صُورَ هِيَ أَنَّى يُضَرِّبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الْحَصَانَةِ
 وَالْمَنْعَةِ لَأَنَّ الْبَحْرَ مُحِيطٌ بِهَا مِنْ ثَلَاثٍ جِهَاتِهَا وَلَهَا بَابَانِ أَحَدُهُمَا لِلْبَرِّ
 وَالْآخَرُ لِلْبَحْرِ . وَلِبَابِهَا الَّذِي يَشْعُرُ لِلْبَرِّ أَرْبَعَةُ فُصَلَانِ كُلُّهَا فِي سَتَارِيْرٍ
 مُحِيطَةٌ بِالْبَابِ . وَلَمَّا أَبْلَغُ الْبَابُ الَّذِي لِلْبَحْرِ فَهُوَ يَبْتَأِسْ بِرْجِينِ عَظِيمَيْنِ

وَبِنَا وَهَا لَيْسَ فِي بِلَادِ الدُّنْيَا أَعْجَبَ وَلَا أَغْرَبَ شَانًا مِنْهُ لَآنَ الْبَحْرُ مُحِيطٌ
 بِهَا مِنْ ثَلَاثٍ جِهَاتِهَا . وَعَلَى الْجِهَةِ الْأَرَبَّاعَةِ سُورٌ تَدْخُلُ السُّفُنُ تَحْتَ
 السُّورِ وَتَرْسُو هُنَالِكَ . وَكَانَ فِيهَا نَقْدَمٌ بَيْنَ الْبُرْجَيْنِ سِلْسِلَةُ حَدِيدٌ
 مُعْتَرِضَةٌ لِأَسِيلِ إِلَى الدَّاخِلِ هُنَالِكَ وَلَا إِلَى الْخَارِجِ إِلَّا بَعْدَ حَطْهَا
 وَكَانَ عَلَيْهَا الْحَرَاسُ وَالْأَمْنَاءُ فَلَا يَدْخُلُ دَاخِلٌ وَلَا يَخْرُجُ خَارِجٌ إِلَّا عَلَى
 عِلْمٍ مِنْهُمْ . وَكَانَ لِعَكَةً أَيْضًا مِنَ اسْتِشْهَادِهَا وَلَكِنْهَا لَمْ تَكُنْ تَحْمِلُ إِلَّا السُّفُنَ الْصِّغارَ
 ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ صَيْدا وَهِيَ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ حَسَنَةٌ
 كَثِيرَةُ الْقَوَافِكَ كَهْبُمْ مِنْهَا الْتَّيْنُ وَالزَّيْبُ وَالزَّيْتُ إِلَى بِلَادِ مِصْرَ . تَرَلتُ
 عِنْدَ قَاضِيهَا كَمَالَ الدِّينِ الْأَشْمُونِيَّ الْمِصْرِيَّ وَهُوَ حَسَنُ الْأَخْلَاقِ كَرِيمٌ
 النَّفْسِ . ثُمَّ سَافَرْتُ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ طَبْرِيَّةَ . وَكَانَتْ فِيهَا مَضَى مَدِينَةٌ
 كَبِيرَةٌ ضَخْمَةٌ وَلَمْ يَقِنْ مِنْهَا إِلَّا رُسُومٌ تُنْبَيُ عَلَى ضَخَامِهَا وَعَظَمِ شَانِهَا .
 وَبِهَا الْحَمَامَاتُ الْعَجِيبَةُ لَهَا يَتَانُ أَحَدُهَا لِلرِّجَالِ وَالثَّانِي لِلنِّسَاءِ وَمَا وَهَا
 شَدِيدُ الْحَرَارةُ وَهَا الْجِبِينُ الشَّهِيرُ طُولُهَا نَحْوُ سَيْرَةِ فَرَاسَخَ وَعَرَضُهَا
 أَزْيَادُ مِنْ ثَلَاثَةِ فَرَاسَخَ . وَبِطَبْرِيَّةِ مَسِيدٌ يُعْرَفُ بِسَجْدَةِ الْأَنْيَاءِ فِيهِ قَبْرُ
 شَعِيبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَيْتُهُ زَوْجَةُ مُوسَى الْكَلِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَبْرُ سُلَيْمانَ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَبْرُ يَهُودَا وَقَبْرُ رُوِيلَ صَلَواتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ .
 وَقَصَدْنَا مِنْهَا زِيَارَةَ الْجُبِ الَّذِي أَقَى فِيهِ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَهُوَ
 فِي صَحْنِ مَسِيدٍ صَغِيرٍ وَعَلَيْهِ زَاوِيَّةٌ وَالْجُبُ كَبِيرٌ عَمِيقٌ شَرِبَنَا مِنْ مَاءِ
 الْجُبَيْنِ مِنْ مَاءِ الْمَطَرِ وَأَخْبَرَنَا قِيمَهُ أَنَّ الْمَاءَ يَنْبَغِي مِنْهُ أَيْضًا
 ثُمَّ سِرَنَا إِلَى مَدِينَةِ بَيْرُوتَ وَهِيَ صَغِيرَةٌ . حَسَنَةُ الْأَسْوَاقِ وَجَامِعُهَا بَدِيعٌ

الْمُحْسِنِ وَتُجْلِبُ مِنْهَا إِلَى دِيَارِ مِصْرَ الْفَوَّا كُهْ وَالْمُحْدِيدُ. وَقَصَدْنَا مِنْهَا زِيَارَةً
قَبْرِ أَيِّ يَعْقُوبَ يُوسُفَ الَّذِي يَزْعُوْنَ أَنَّهُ مِنْ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ وَهُوَ
بِمَوْضِعٍ يُعْرَفُ بِكَرَكِ نُوحٍ مِنْ بَقَاعِ الْعَزِيزِ. وَعَلَيْهِ زَاوِيَّةٌ بِطَعْمِهِ
الْوَارِدُ وَالصَّادِرُ وَيُقَالُ إِنَّ السُّلْطَانَ صَلَاحَ الدِّينِ وَقَفَ عَلَيْهَا أَلْأَوْفَافَ.
وَقِيلَ السُّلْطَانُ نُورُ الدِّينِ وَكَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَيُذَكَّرُ أَنَّهُ كَانَ يَسْجُونُ
الْمُحْسِنَ وَيَقْتَاتُ شِمْنَاهَا

حِكَايَةُ أَيِّ يَعْقُوبَ يُوسُفَ الْمَذُكُورِ

يُحْكَى أَنَّهُ دَخَلَ مَدِينَةَ دِمْشَقَ فَمَرِضَ بِهَا مَرَضًا شَدِيدًا وَأَفَامَ
مَطْرُوحًا بِالْأَسْوَاقِ. فَلَمَّا بَرَأَ مِنْ مَرَضِهِ خَرَجَ إِلَى ظَاهِرِ دِمْشَقِ لِيَلْتَمِسَ
بُسْتَانًا يَكُونُ حَارِسًا لَهُ فَاسْتُوْجَرَ لِحرَاسَةِ بُسْتَانِ الْمَلِكِ نُورِ الدِّينِ.
وَأَفَامَ فِي حِرَاسَتِهِ سِنَةً أَشْهُرٍ. فَلَمَّا كَانَ فِي أَوَانِ الْفَاكِهَةِ أَتَى السُّلْطَانُ إِلَيْهِ
ذَلِكَ الْبُسْتَانِ وَأَمَرَ وَكِيلَ الْبُسْتَانِ أَبَا يَعْقُوبَ أَنْ يَأْتِيَ بِرُمَانٍ يَأْكُلُ مِنْهُ
الْسُّلْطَانُ. فَأَتَاهُ بِرُمَانٍ فَوَجَدَ حَامِضًا. فَأَمَّنْ أَنْ يَأْتِيَ بِغَيْرِهِ فَفَعَلَ
ذَلِكَ فَوَجَدَ أَيْضًا حَامِضًا. فَقَالَ لَهُ الْوَكِيلُ: أَتَكُونُ فِي حِرَاسَةِ الْبُسْتَانِ
مُنْذُ سِنَةِ أَشْهُرٍ وَلَا تَعْرِفُ الْمُحْلُومَنَ الْحَامِضَ؟ فَقَالَ إِنَّمَا أَسْتَاجِرْتُنِي عَلَى
أَنْ حِرَاسَةِ لَا عَلَى الْأَمْكَلِ. فَأَتَى الْوَكِيلُ إِلَيْهِ الْمَلِكِ فَأَعْلَمَهُ بِذَلِكَ. فَبَعَثَ
إِلَيْهِ الْمَلِكُ وَكَانَ قَدْرَأَيِّ فِي الْمَنَامِ أَنَّهُ يَجْتَمِعُ مَعَ أَيِّ يَعْقُوبَ وَتَحْصُلُ
لَهُ مِنْهُ فَائِدَةٌ فَتَفَرَّسَ أَنَّهُ هُوَ فَقَالَ لَهُ أَنْتَ أَبُو يَعْقُوبَ قَالَ نَعَمْ. فَقَامَ
إِلَيْهِ وَعَانَقَهُ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِيهِ. ثُمَّ أَحْتَمَلَهُ إِلَى مَجْلِسِهِ. فَاضَّافَهُ بِضِيَافَةٍ
مِنَ الْحَلَالِ الْمُكْتَسَبِ يَكْدِي بِهِنِّي وَأَفَامَ عِنْهُ أَيَّامًا. ثُمَّ خَرَجَ مِنْ دِمْشَقَ

فَارَا بِنَفْسِهِ فِي أَوَانِ الْبَرِدِ الشَّدِيدِ. فَأَتَى قِرْيَةً مِنْ قُرَاهَا وَكَانَ بِهَا رَجُلٌ
 مِنَ الْمُسْعَافَاءِ فَعَرَضَ عَلَيْهِ النُّزُولَ عِنْدَ فَفَعَلَ وَصَنَعَ لَهُ مَرْفَةً وَذَبَحَ لَهُ
 دَجَاجَةً فَأَتَاهُ بِهَا وَبَخِزْ شَعِيرٍ. فَأَكَلَ مِنْ ذَلِكَ وَدَعَا لِلرَّجُلِ وَكَانَ
 عِنْدَهُ جُمَلَةً أَوْلَادِ مِنْهُمْ بَنْتُ قَدْ آنَ بِنَاءَ زَوْجَهَا عَابِهَا. وَمِنْ عَوَادِهِمْ فِي
 تِلْكَ الْبِلَادِ آنَ الِّيْنَتَ يُجَهِّزُهَا أَبُوهَا وَيَكُونُ مُعْظَمُ الْجَهَازِ أَوْاَنِي الْنُّحَاسِ
 وَبِهِ يَتَفَاخِرُونَ وَبِهِ يَتَبَاعِيُونَ. فَقَالَ أَبُو يَعْقُوبَ لِلرَّجُلِ : هَلْ عِنْدَكَ
 شَيْءٌ مِنَ الْنُّحَاسِ قَالَ نَعَمْ : قَدِ اشْتَرَيْتُ مِنْهُ لِجَهِيزِ هَذِهِ الِّيْنَتِ : قَالَ أَسْتَفِي
 بِهِ : فَأَتَاهُ بِهِ : فَقَالَ لَهُ أَسْتَعِرُ مِنْ حِيرَانِكَ مَا أَمْكِنَكَ مِنْهُ : فَفَعَلَ وَأَخْضَرَ
 ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَوْقَدَ عَائِيَهُ الْبَيْرَانَ وَأَخْرَجَ صُرَّ كَانَتْ عِنْدَهُ فِيهَا الْأَكْسِيرُ
 فَطَرَحَ مِنْهُ عَلَى الْنُّحَاسِ فَعَادَ كُلُّهُ ذَهَبًا وَتَرَكَهُ فِي بَيْتِ مُقْنَلٍ وَكَتَبَ كِتَابًا
 إِلَى نُورِ الْدِينِ مَلِكِ دِمْشَقَ يُعْلِمُهُ بِذَلِكَ وَيُنَهِّيَهُ عَلَى بَيْنَاءِ مَارِسْتَانِ
 لِلْمَرْضَى مِنَ الْغُرْبَاءِ وَيُوْقِفَ عَلَيْهِ الْأَوْقَافَ وَيَبْيَنِي الْزَّوَايَا بِالْطَّرُقِ وَيَرْضِيَ
 أَصْحَابَ الْنُّحَاسِ وَيَعْطِي صَاحِبَ الْبَيْتِ كَفَايَتَهُ : وَقَالَ لَهُ فِي آخِرِ الْكِتَابِ
 إِنْ كَانَ إِبْرِيمُ بْنُ أَدَمَ قَدْ خَرَجَ عَنْ مُلْكِ خُرَاسَانَ فَإِنَّا قَدْ خَرَجْنَا
 مِنْ مُلْكِ الْمَغْرِبِ وَعَنْ هَذِهِ الصُّنْعَةِ وَالسَّلَامُ . وَقَرَّ مِنْ حِينِهِ وَذَهَبَ
 صَاحِبُ الْبَيْتِ بِالْكِتَابِ إِلَى الْمَلِكِ نُورِ الْدِينِ . فَوَصَلَ الْمَلِكُ إِلَى تِلْكَ
 الْقِرْيَةِ وَأَخْتَلَ الْذَّهَبَ بَعْدَ أَنْ أَرْضَى أَصْحَابَ الْنُّحَاسِ وَصَاحِبَ الْبَيْتِ
 وَطَلَبَ أَبَا يَعْقُوبَ فَلَمْ يَجِدْ لَهُ أَثْرًا وَلَا وَقَعَ لَهُ عَلَى خَبَرٍ . فَعَادَ إِلَى دِمْشَقَ
 وَبَيْنَا الْمَارِسْتَانَ الْمُعْرُوفَ يَاسِمِهِ الَّذِي لَيْسَ فِي الْمَعْوُرِ مِثْلُهُ
 ثُمَّ وَصَلَتْ إِلَى مَدِينَةِ طَرَابُلسَ وَهِيَ إِحدَى قَوَاعِدِ الْأَشَامِ . وَبُلْدَانُهَا

الْفِخَامُ. تَخْتَرِقُهَا لَأَنْهَارُ. وَتَخْفَنَهَا الْبَسَاتِينُ وَالْأَشْجَارُ. وَتَكْنَهَا الْبَحْرُ
 بِمَرْأِيقِهِ الْعَيْمَةِ. وَأَبْرُرُ خَيْرَاتِهِ الْمُقِيمَةِ. وَهَا الْأَسْوَاقُ الْعَيْبَةُ. وَالْمَسَارِخُ
 الْحَصِيبَةُ. وَالْبَحْرُ عَلَى مِيلَيْنِ مِنْهَا وَهِيَ حَدِيثَةُ الْبَيْنَاءِ. وَأَمَّا طَرَابُلُسُ
 الْقَدِيمَةُ فَكَانَتْ عَلَى ضَفَّةِ الْبَحْرِ وَتَمَلَّكَهَا الرُّومُ زَمَانًا. فَلَمَّا أَسْتَرْجَعَهَا الْمُلْكُ
 الظَّاهِرُ خَرَبَتْ وَأَخْذَتْ هَذِهِ الْحَدِيثَةَ. وَبِهِنْهُ الْمَدِينَةُ نَحْوَ أَرْبَعِينَ مِنْ أَمْرَاءِ
 الْأَتْرَاكِ وَأَمِيرُهَا طَبِيلَانُ الْحَاجِبُ الْمُعْرُوفُ بِيَمِيلِكِ الْأَمْرَاءِ وَمُسْكِنُهُ مِنْهَا
 بِالْدَّارِ الْمُعْرُوفَةِ بِدَارِ السَّعَادَةِ. وَمِنْ عَوَائِلِهِ أَنَّ بَرْكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَثْنَيْنِ
 وَخَمْسِ وَيَرْكَ مَعَهُ الْأَمْرَاءِ وَالْعَسَاكِرِ وَيَخْرُجُ إِلَى ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ فَإِذَا
 عَادَ إِلَيْهَا وَفَارَبَ الْوُصُولَ إِلَى مَنْزِلِهِ تَرَجَّلَ الْأَمْرَاءُ وَنَزَلُوا عَنْ دَوَابِّهِمْ
 وَمَشَوْا بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى يَدْخُلَ مَنْزَلَهُ وَيَنْصَرِفُونَ. وَتَضَرَّبُ الْطَّبَيْخَانَةُ عِنْدَ
 دَارِ كُلِّ أَمِيرٍ مِنْهُمْ بَعْدَ صَلْوةِ الْمَغْرِبِ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ وَتُوقَدُ الْمَشَاعِلُ.
 وَمِنْ كَانَ بِهَا مِنَ الْأَعْلَامِ كَاتِبُ الْسِّرِّ بِهِنْهُ الْدِينِ بْنُ غَانِمٍ أَحَدُ الْفُضَلَاءِ
 الْمُحْبَسَاءِ مَعْرُوفٌ بِالسَّخَاءِ وَالْكَرْمِ. وَأَخْوَهُ حُسَامُ الدِّينِ هُوَ شِيخُ الْقُدْسِ
 الْشَّرِيفِ وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ وَأَخْوَهَا عَلَاءُ الدِّينِ كَاتِبُ الْسِّرِّ بِدِمْشَقَ وَمِنْهُمْ
 وَكِيلُ بَيْتِ الْمَالِ قَوَامُ الدِّينِ بْنُ مَكِينٍ مِنْ أَكَابِرِ الرِّجَالِ. وَمِنْهُمْ قَاضِي
 قُضايَةِ شَمْسُ الدِّينِ أَبْنُ النَّقِيبِ مِنْ أَعْلَامِ عُلَمَاءِ الشَّامِ. وَبِهِنْهُ الْمَدِينَةِ
 حَمَامَاتُ حِسَانٍ مِنْهَا حَمَامُ الْفَاضِيِّ الْقِرْمَيِّ وَحَمَامُ سَنَدُورِ. وَكَانَ سَنَدُورُ
 أَمِيرَهِنْهُ الْمَدِينَةِ وَيُذَكِّرُ عَنْهُ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ فِي الْشِّدَّةِ عَلَى أَهْلِ الْمَحَنَّا يَاتِيَّ مِنْهَا
 أَنَّ امْرَأَةَ شَكَتْ إِلَيْهِ يَانَ أَحَدَ حَمَالِيَكِ الْحَوَاصِ تَعَدَّى عَلَيْهَا فِي لَبَنِ كَانَتْ
 قِيْسُعُهُ فَشَرِبَهُ وَلَمْ تَكُنْ لَهَا بَيْنَةٌ. فَأَمْرَيَهُ فَوْسَطَ فَخْرَجَ الْلَّبَنُ مِنْ مُصْرَانِهِ.

وَقَدِ اتَّفَقَ مِثْلُ هَذِهِ الْمَحَكَايَةِ لِلْعُتْرِيسِ أَحَدِ أَمْرَاءِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ أَيَامَ إِمَارَتِهِ
عَلَى عِيَّذَابَ وَأَنْقَقَ مِثْلَهَا لِلْمَلِكِ كَبِيرَ سُلْطَانِ تُرْكَاسْتَانَ
ثُمَّ سَافَرَتْ مِنْ طَرَابلُسَ إِلَى حِصْنِ الْأَكْرَادَ وَهُوَ بَلْدٌ صَغِيرٌ كَثِيرٌ
الْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ يَأْتِي عَلَيْهِ تَلٌ وَبِهِ زَاوِيَةٌ لِإِبْرَاهِيمِ نِسْبَةٌ
إِلَى بَعْضِ كُبَرَاءِ الْأَمْرَاءِ وَنَزَلَتْ عِنْدَ قَاضِيهَا وَلَا حِقْقُ الْآنَ أَسْمَهُ ثُمَّ
سَافَرَتْ إِلَى مَدِينَةِ حِصْنٍ وَهِيَ مَدِينَةٌ مَلِيْخَةٌ أَرْجَاؤُهَا مُونَقَةٌ . وَأَشْجَارُهَا
مُورَقةٌ . وَأَسْوَاقُهَا فَسِيْحَةُ الشَّوَّارِعِ . وَجَامِعُهَا مُهِبَّةٌ بِالْحُسْنِ الْجَامِعِ .
وَفِي وَسْطِهِ بِرْكَةٌ مَاءٌ . وَاهْلُ حِصْنٍ عَرَبٌ لَمْ فَضُلْ وَكَرْمٌ وَبَخَارِجٌ
هَذِهِ الْمَدِينَةِ قَبْرُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ . وَعَلَيْهِ زَاوِيَةٌ وَمَسْجِدٌ وَعَلَى الْقَبْرِ
كِسْوَةٌ سَوْدَاءٌ . وَفَاضِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ جَالُ الْدِينِ الْشَّرِبِيُّ مِنْ أَجْمَلِ
النَّاسِ صُورَةً وَأَحْسَنَهُمْ سَيِّقَ . ثُمَّ سَافَرَتْ مِنْهَا إِلَى مَدِينَةِ حَاجَةِ إِحدَى
أَمْهَاتِ الشَّامِ الْرَّفِيعَةِ . وَمَدَائِنُهَا الْبَدِيعَةُ . ذَاتُ الْحُسْنِ الْرَّائِقِ . وَالْجَمَالِ
الْفَائِقِ . تَحْفَهَا الْبَسَاتِينُ وَالْجَنَّاتُ . عَلَيْهَا النَّوَاعِيرُ كَالْفَلَاكِ الدَّائِرَاتِ
يَشْقَهَا النَّهْرُ الْعَظِيمُ الْمُسْمَى بِالْعَاصِي . وَهَارَ بَضْ سُيُّ بِالْمَنْصُورِيَّةِ أَعْظَمُ
مِنْ الْمَدِينَةِ فِيهِ الْأَسْوَاقُ الْحَافِلَةُ وَالْحَمَامَاتُ الْمُحْسَانُ . وَبِجَمَاهَةِ النَّوَافِكَهُ
الْكَثِيرَةِ وَمِنْهَا الْمِشْمِشُ الْلَّوْزِيُّ إِذَا كَسِرَتْ نَوَافِهُ وُجِدَتْ فِي دَاخِلِهَا
لَوْزَةٌ حُلُوةٌ

ثُمَّ سِرَنَا إِلَى مَدِينَةِ حَلَبَ الْمَدِينَةِ الْكَبِيرِ وَالْفَاعِلَةِ الْعَظِيمِ . قَالَ أَبُو
الْمُحْسِنِ أَبْنُ جُبَيرٍ فِي وَصْفِهَا . قَدْرُهَا خَطِيرٌ . وَذِكْرُهَا فِي كُلِّ زَمَانٍ
بَطِيرٌ . خُطَاطُهَا مِنَ الْمُلُوكِ كَثِيرٌ . وَمَحْلُهَا مِنَ الْفُؤُوسِ أَثِيرٌ . فَكُمْ هَاجَتْ

مِنْ كَفَاجٍ . وَسُلَّمَ عَلَيْهَا مِنْ يَيْضِ الصِّفَاجِ . هَا قَلْعَةُ شَهِيدَ الْأَمْتَنَاعِ .
 بَائِئَنَةُ الْأَرْتَفَاعِ . تَزَهَّتْ حَصَانَةً أَنْ تُرَامَ أَوْ نُسْطَاعَ . مَخْوَتَةُ الْأَرْجَاءِ .
 مَوْضُوعَةُ عَلَى نِسْبَةِ آعِنْدَالِ وَاسْتِوَاعِ . قَدْ طَاوَلَتْ الْأَيَّامَ وَالْأَعْوَامَ .
 وَشَيْعَتِ الْخَوَاصَ وَالْعَوَامَ . أَيْتَ أَمْرًا وَهَا الْحَمْدَانِيُّونَ وَشُعْرَاؤُهَا .
 فَنِيَّ حِبْعَمْ وَمَمْ يَبْقَ إِلَّا بِنَاؤُهَا . فَيَا عَجَبًا لِلْلَّادِ تَبَقَّى وَيَذَهَبُ أَمْلَاكُهَا .
 وَيَهْلَكُونَ وَلَا يَقْضَى هَلَاكُهَا . وَتُخْطَبُ بَعْدُهُ فَلَا يَتَعَذَّرُ إِمْلَاكُهَا .
 وَتُرَامُ فَيَتَسِّرُ بِاهْوَنِ شَيْءٍ إِدْرَاكُهَا . هَذِهِ حَلْبُ كُمْ أَدْخَلَتْ مُلُوكَهَا فِي
 خَبَرِكَانَ . وَنَسْخَتْ صَرْفُ الزَّمَانِ بِالْمَكَانِ . أَنْتَ أَمْهَمُهَا فَخَلَّتْ بِحَلْبَيَةِ الْغَوَانِ .
 وَدَانَتْ بِالْعَدْرِ فِينَ دَانَ . وَجَلَّتْ عَرُوسًا بَعْدَ سَبِيفِ دَوْلَتِهَا أَبْنَ
 حَمْدَانَ . هَيَّاتَ سَهْرَمْ شَبَابُهَا . وَيَعْدَمُ خَطَاها . وَيُسْرِعُ فِيهَا بَعْدَ حَيْنٍ
 حَرَابُهَا . وَقَلْعَةُ حَابَ تُسَيِّي الشَّهِيَّاءَ . وَيَدَاخِلُهَا جُبَانٌ يَنْبَغِي مِنْهَا الْمَاءُ .
 فَلَا تَخَافُ الظَّمَاءَ . وَيُطِيفُ بِهَا سُورَانِ . وَعَلَيْهَا خَندَقٌ عَظِيمٌ يَنْبَغِي مِنْهُ
 الْهَاءُ . وَسُورُهَا مُتَدَانِي الْأَبْرَاجِ . وَقَدْ أَنْتَظَتْ بِهَا الْعَلَالِيُّ الْجَيْسَيَّةُ
 الْمُفْتَحَةُ الْطِيقَانِ . وَكُلُّ بُرْجٍ مِنْهَا مَسْكُونٌ وَالْطَّعَامُ لَا يَتَغَيِّرُ بِهِنْ القَلْعَةِ
 عَلَى طُولِ الْعَهْدِ . وَبِهَا مَشْهَدٌ يَقْصِدُ بَعْضُ النَّاسِ . يُقَالُ إِنَّ الْحَلِيلَ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَتَعَبَّدُ بِهِ . وَهَذِهِ القَلْعَةُ تُشِيدُ قَلْعَةَ رَحْبَةِ مَالِكِ بْنِ طَوقِ
 الَّتِي عَلَى الْفُرَاتِ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعَرَاقِ . وَلَمَّا قَصَدَ فَازَانُ طَاغِيَةَ التَّنَرِ
 مَدِينَةَ حَلْبَ حَاصِرًا هَذِهِ القَلْعَةَ أَيَّامًا وَنَكَصَ عَنْهَا خَائِبًا . قَالَ أَبْنُ جَزَّيِ
 وَفِي هَذِهِ القَلْعَةِ يُقَوِّلُ الْخَالِدِيُّ شَاعِرُ سَبِيفِ الدُّوَلَةِ
 وَخَرْقَاءُ قَدْ قَامَتْ عَلَى مَنْ يَرْوُهَا بِهَرْقَبِهَا الْعَالَلِيُّ وَجَانِبِهَا الصَّعْبُ

يَجْرِي عَلَيْهَا الْمُجْوِجِبَ غَمَامِهِ وَيُلْسِسُهَا عِقْدًا يَأْنِجِيهِ الْشَّهْبِ
 إِذَا مَا سَرَى بَرْقٌ بَدَتْ مِنْ خَلَالِهِ كَالْأَحَى الْعَدْرَاءِ مِنْ خَلَالِ الشَّهْبِ
 فَكُمْ مِنْ جُنُودِ قَدْ أَمَاتَتْ بُغْصَةً وَذِي سَطْوَاتٍ قَدْ أَبَانَتْ عَلَى عَقْبِ
 رَجَعٍ وَيَقَالُ فِي مَدِينَةِ حَلَبِ حَلَبَ إِبْرَاهِيمَ لَأَنَّ الْخَلِيلَ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ
 وَسَلَامُهُ كَانَ يَسْكُنُهَا وَكَانَتْ لَهُ الْغَمُّ الْكَثِيرُ فَكَانَ يَسْقِي الْفَرَارَاءَ
 وَالْمَسَاكِينَ وَالْوَارِدَ وَالصَّادِرَ مِنْ أَبْنَاهَا فَكَانُوا يَجْنِمُونَ وَيَسَّالُونَ
 حَلَبَ إِبْرَاهِيمَ فَسِيَّسَتْ بِذِلِّكَ وَهِيَ مِنْ أَعْزَى الْلِلَادِ الَّتِي لَا نَظِيرَ لَهَا فِي
 حُسْنِ الْوَضْعِ فَإِنَّقَانَ الْتَّرْبِيبَ وَإِنْسَاعَ الْأَسْوَاقَ وَإِنْتَزَامَ بَعْضِهَا يَعْضُ.
 وَأَسْوَاقُهَا مَسْقَفَةٌ بِالْحَشْبِ فَأَهْلُهَا دَائِمًا فِي ظِلِّ مَهْدُودٍ وَقَبْسَارٍ يَهْمَّا
 لَا تُمَاهِلُ حُسْنًا وَكَبَرًا وَيَنْجِيطُ بِمَسْجِدِهَا وَكُلُّ سَيَاطِطٍ مِنْهَا مُحَاجَزٌ لِيَابِ
 مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ وَمَسْجِدُهَا الْجَامِعُ مِنْ أَجْمَلِ الْمَسَاجِدِ فِي صَحِيفَةِ بِرْكَةٍ
 مَاءُ وَيُضِيفُ بِهِ بَلَاطٌ عَظِيمٌ لِلْإِنْسَاعِ وَمِنْبُرُهَا بَدِيعُ الْعَمَلِ مُرْصَعٌ
 بِالْعَاجِ وَالْبَنُوسِ وَيَقْرِبُ جَامِعَهَا مَدْرَسَةٌ مُنَاسِبَةٌ لَهُ فِي حُسْنِ الْوَضْعِ
 وَإِنَّقَانَ الْصَنْعَةِ تُنْسَبُ لِأَمْرَاءِ بَنِي حَمْدَانَ وَبِالْبَلَدِ سَوَاهَا ثَلَاثُ مَدَارِسَ
 وَبَهَا مَارِسْتَانٌ وَأَمَّا خَارِجُ الْمَدِينَةِ فَهُوَ بَسِطٌ أَفْجُجٌ عَرِيقٌ بِهِ الْمَزَارِعُ
 الْعَظِيمَةُ وَشَجَرَاتُ الْأَعْنَابُ مُنْتَظَمَةٌ وَالْبَسَاتِينُ عَلَى شَاطِئِ نَهْرِهَا
 وَهُوَ الْنَّهْرُ الَّذِي يَمْرُّ بِجَاهَةِ وَيَسِّيِّ الْعَاصِيَةِ وَقِيلَ إِنَّهُ سُبِّيَ بِذِلِّكَ لِأَنَّهُ
 يُحِبُّ لِيَنْظِرِي أَنَّ جَرِيَانَهُ مِنْ أَسْفَلِ إِلَى عُلُوٍّ وَالنَّفْسُ تَجْدُدُ فِي خَارِجِ
 مَدِينَةِ حَلَبَ أَنْشِرَاحًا وَسُورُورًا وَنَشَاطًا لَا يَكُونُ فِي سَوَاهَا وَهِيَ مِنَ
 الْمُدُنِ الَّتِي تَصْلِحُ لِلْخَلَافَةِ قَالَ أَبْنُ جُزَّيٍّ أَطْبَبَ الشُّعَرَاءِ فِي وَضْفَ

مَحَاسِنِ حَلَبَ وَذِكْرِ دَاخِلَهَا وَخَارِجَهَا. وَفِيهَا يَقُولُ أَبُو عِبَادَةَ الْجُنُبُرِيُّ
 يَا بُرْقَ أَسْفِرَ عَنْ فُؤُوقِ مَطَالِبِي حَلَبُ فَأَعْلَى الْقَصْرِ مِنْ بِطِيَاسِ
 عَنْ مَنْبَتِ الْوَرْدِ الْمُعَصْفِرِ صَبَغُهُ فِي كُلِّ ضَاحِيَةٍ وَمَجْنَى الْأَسِ
 أَرْضُ إِذَا أَسْتَوْحِشْتُكُمْ بِتَذَكِّرِ حَشَدَتْ عَلَيْهِ فَانْثَرَتْ إِينَاسِي
 وَقَالَ فِيهَا الشَّاعِرُ الْمُجِيدُ أَبُو بَكْرِ الصَّنُوبِرِيُّ
 سَقَ حَلَبُ الْمُزْنِ مَغْنَى حَلَبَ فَكُمْ وَصَلَتْ طَرَابًا بِالْطَّرَابِ
 وَكُمْ مُسْطَابٌ مِنَ الْعِيشِ لَذَّ بِهَا إِذْ بِهَا الْعِيشُ لَمْ يُسْطَابِ
 إِذَا نَشَرَ الْزَّهْرُ أَعْلَامَهُ بِهَا وَمَطَارِفَهُ وَالْعَدَبُ
 غَدَا وَحَوَاشِيهِ مِنْ فِضَّةٍ تَرُوقُ وَأَوْسَاطُهُ مِنْ ذَهَبٍ
 ثُمَّ سَافَرْتُ إِلَى جَبَلِ لُبْنَانَ وَهُوَ مِنْ أَخْصَبِ جِبَالِ الدُّنْيَا. فِيهِ أَصْنَافُ
 الْفَوَّاِكِهِ وَعُيُونُ الْمَاءِ وَالظِّلَالُ الْوَافِقُ. وَلَا يَخْلُو مِنَ الْمُنْقَطِعِينَ إِلَى اللَّهِ
 تَعَالَى وَالرَّهَادِ وَالصَّالِحِينَ وَهُوَ شَهِيرٌ بِذِلِّكَ. وَرَأَيْتُ بِهِ جَمَاعَةً مِنَ
 الصَّالِحِينَ قَدِ أَنْقَطُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُنَّ لَمْ يَشْهِرُ أَسْمَهُ
 حِكَايَةً

أَخْبَرَنِي بَعْضُ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ لَقِيَتْهُمْ بِهِ قَالَ: كَمَا يَهْدَا الْجَبَلِ مَعَ
 جَمَاعَةِ مِنَ الْفَقَرَاءِ أَيَّامَ الْبَرْدِ الشَّدِيدِ. فَأَوْقَدْنَا نَارًا عَظِيمَةً وَأَحْدَقْنَا بِهَا
 وَقَالَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ بَصْلُهُ لِهِنَّ النَّارِ مَا يُشَوِّهُ فِيهَا: فَقَالَ أَحَدُ
 الْفَقَرَاءِ مِنْهُنَّ تَزَدَّرِيهِ الْأَعْيُنُ وَلَا يُوْبَهُ بِهِ. إِنِّي كُنْتُ عِنْدَ صَلْوةِ الْعَصْرِ
 يَمْتَعِدُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَذْهَمَ فَرَأَيْتُ بِسَقْرَبَةِ مِنْهُ حِمَارًا وَحْشًا قَدْ أَحْدَقَ
 الْقَلْمَعَ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَأَظْنَهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْمُحَرَّاكِ فَلَوْ ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ لَقَدْرَمْ

عَلَيْهِ وَشَوِيمَ لَحْمَهُ فِي هَذِهِ النَّارِ قَالَ فَقُمْنَا إِلَيْهِ فِي خَمْسَةِ رِجَالٍ فَأَلْفَيْنَاهُ كَمَا وَصَفَ إِلَيْنَا فَقَبضَنَاهُ وَأَتَيْنَا بِهِ أَصْحَابَنَا وَذَبَحْنَاهُ وَأَشْوَيْنَا لَحْمَهُ فِي تِلْكَ النَّارِ وَطَلَبْنَا الْفَقِيرَ الَّذِي بَنَاهُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَنْجُدْهُ وَلَا وَقَعْنَا لَهُ عَلَى أَثْرِ فَطَالَ عَجَبْنَا مِنْهُ

ثُمَّ وَصَلَنَا مِنْ جَبَلِ الْبَنَانَ إِلَى مَدِينَةِ بَعْلَبَكَ . وَهِيَ حَسَنَةٌ قَدِيمَةٌ مِنْ أَطْيَبِ مُدُنِ الشَّامِ تُحْدِقُ بِهَا الْبَسَاتِينُ الشَّرِيفَةُ وَأَجْنَاثُ الْمُبَيْفَةِ وَتَخْتِرِقُ أَرْضَهَا أَلَّا نَهَارٌ أَجْهَارِيَّةٌ وَتُضَاهِي دِمْشَقَ فِي خَيْرَاتِهَا الْمُتَنَاهِيَّةِ وَهِيَ مِنْ حَبَّ الْمُلُوكِ مَا لَيْسَ فِي سِواهَا . وَهِيَ يَصْنَعُ الدَّبْسُ الْمُنْسُوبُ إِلَيْهَا وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الرُّبْ بَيْ صَنْعُونَهُ مِنَ الْعِنْبِ . وَلَمْ تُرْبَهْ يَصْنَعُوهَا فِيهِ فَيَحْمِدُونَهُ وَتُكَسِّرُ الْقَلَةُ الَّتِي يَكُونُ بِهَا فَيَقِنُ قِطْعَةً وَاحِدَةً وَتُصْنَعُ مِنْهُ الْحَلْوَةُ وَيُجَعَلُ فِيهَا الْفَسْنُقُ وَاللَّوْزُ وَسَمَوْنَ حَلْوَاهُ بِالْمَلَبَنِ . وَهِيَ كَثِيرَةُ الْأَلْبَانِ وَتُجْلِبُ مِنْهَا إِلَى دِمْشَقَ وَيَنْتَهَا مَسِيقَةُ يَوْمِ الْمُجْدِ . وَأَمَّا الْرِّفَاقُ فَيَخْرُجُونَ مِنْ بَعْلَبَكَ فَيَبِيُّونَ بِيلَانَ صَغِيرَةً تُعْرَفُ بِالزَّبَدَانِيَّةِ كَثِيرَةُ الْقَوَافِكِ وَيَغْدُونَ مِنْهَا إِلَى دِمْشَقَ . وَيَصْنَعُ بَعْلَبَكَ الشَّيَابُ الْمُنْسُوبُ إِلَيْهَا مِنَ الْأَلْهَرَامِ وَغَيْرِهِ وَيَصْنَعُ بِهَا أَوَانِي الْخَشَبِ وَمَلَاعِقُهُ الَّتِي لَا نَظِيرَ لَهَا فِي الْبَلَادِ وَهُمْ يَسْمُونَ الْصَّحَافَ بِالدَّسُوتِ وَرَبَّهَا صَنَعُوا الصَّحَافَةَ وَصَنَعُوا صَحَافَةً أُخْرَى تَسْعُ فِي جَوْفِهَا وَأُخْرَى فِي جَوْفِهَا إِلَى أَنْ يَلْغُوا الْعَشَرَةَ بِجَمِيلٍ لِرَائِهَا أَنْهَا صَحَافَةٌ وَاحِدَةٌ . وَكَذَلِكَ الْمَلَاعِقُ يَصْنَعُونَ مِنْهَا عَشَرَةً وَاحِدَةً فِي جَوْفِهَا وَيَصْنَعُونَ لَهَا غِشَّاً مِنْ جِلْدٍ وَيَمْسِكُهَا الرَّجُلُ فِي حِزَامِهِ . وَإِذَا حَضَرَ طَعَاماً مَعَ أَصْحَابِهِ أَخْرَجَ ذَلِكَ فَيَضْنُ رَائِيهِ أَنْهَا

مِلْعَنَةُ وَاحِدَةٍ . ثُمَّ يُخْرِجُ مِنْ جَوْفِهَا تِسْعًا
 وَكَانَ دُخُولِي لِبَعْلَكَ عَشِيشَةَ الْنَّهَارِ وَخَرَجْتُ مِنْهَا بِالْغَدْوِ لِفَرْطِ
 أَشْتِيَاقِي إِلَى دِمْشَقَ وَوَصَلْتُ يَوْمَ الْحُمَيسِ التَّاسِعَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ
 عَامَ سِتَّةِ وَعِشْرِينَ إِلَى مَدِينَةِ دِمْشَقِ الشَّامِ . فَنَزَلْتُ مِنْهَا بِمَدْرَسَةِ
 الْمَالِكِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ بِالشَّرَائِيشَةِ . دِمْشَقُ هِيَ الَّتِي تَفَضُّلُ حَمِيعَ الْلَّلَادِ حُسْنَا
 وَنَقْدَمُهَا جَالًا وَكُلُّ وَصْفٍ قَوْنِ طَالَ فَهُوَ قَاصِرٌ عَنْ مَحَاسِنِهَا . وَلَا أَبْدَعَ
 هِمَا قَالَهُ أَبُو الْمُحْسِنِ بْنُ جُبَيرٍ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذِكْرِهَا قَالَ . وَأَمَّا
 دِمْشَقُ فِي جَنَّةِ الْمَشْرِقِ وَمَطْلَعِ نُورِهَا الْمَشْرِقُ . وَخَاتَمَهُ بِلَادِ الْإِسْلَامِ
 الَّتِي أَسْتَفْرَيْنَاها . وَعَرْوُسُ الْمُدُنِ الَّتِي أَجْنَبَنَاها . قَدْ تَحَلَّتْ بِأَزَاهِيرِ
 الْرَّيَاحِينَ . وَتَجَلَّتْ فِي حُلُلِ سُنْدِسِيَّةِ مِنْ الْبَسَاطَيْنِ . وَحَلَّتْ مِنْ مَوْضِعِ
 الْخُسْنِ بِالْمَكَانِ الْمَدِينِ . وَتَزَيَّنَتْ فِي مَنْصَبِهَا أَجْمَلَ تَزَيِّنِ . وَتَشَرَّفَتْ بِأَنَّ
 أَوَّلَ الْمُسْجِعِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَمَّهُ مِنْهَا إِلَى رَبْوَةِ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ . ظَلَّ
 ظَلِيلٌ . وَمَا سَلَسِبِيلٌ . تَنَسَّابُ مَذَانِهِ أَنْسِيَابَ الْأَرَاقِ بِكُلِّ سَبِيلٍ .
 وَرِيَاضُ يُجْعِي النُّفُوسَ نَسِيمُهَا الْعَلِيلُ . وَقَدْ سَيَّمَتْ أَرْضُهَا كُثْرَةَ الْمَاءِ
 حَتَّى أَشْتَاقَتْ إِلَى الظَّمَاءِ . فَتَكَادُ تُنَادِيكَ بِهَا الْصُّمُ الصِّلَابُ . أَرْكَضَ
 بِرْ جِلْكَ هَذَا مَغْتَسِلَ بَارِدٍ وَشَرَابٍ . وَقَدْ أَحْدَقَتْ الْبَسَاطَيْنِ بِهَا إِحْدَاقَ
 الْهَالَةَ بِالْقَمَرِ . وَالْأَكْمَامِ بِالثَّمَرِ . وَأَمْتَدَتْ يَشْرِقِهَا غُوطَهَا الْخَضْرَاءَ
 أَمْتَدَادَ الْبَصَرِ . وَكُلُّ مَوْضِعٍ لَحْظَتْ بِهَا الْأَرْبعَ نَصْرَتَهُ الْبَيَانَةُ قَيْدُ
 الْنَّظَرِ . وَلِلَّهِ صِدْقُ الْقَائِلِينَ عَنْهَا . إِنْ كَانَتْ أَنْجَنَةً فِي الْأَرْضِ فَدِمْشَقُ
 لَا شَكَّ فِيهَا . قَوْنِ كَانَتْ فِي السَّمَاءِ فِي تُسَامِيَّهَا وَتُخَاذِلِهَا . قَالَ أَبْنُ جُزَيْيَ

وَقَدْ نَظَمْ بَعْضُ شِعْرَ آئِهَا فِي هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ
 إِنْ تَكُنْ جَنَّةُ الْخَلُودِ بِأَرْضِ فَدِمْشَقِ وَلَا تَكُونُ سِوَاهَا
 إِنْ تَكُنْ فِي السَّمَاءِ فَهِيَ عَلَيْهَا قَدْ أَبْدَتْ هَوَاهَا وَهَوَاهَا
 وَذَكْرَهَا شَجَنَا الْحَدِيثُ الرَّحَالُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ
 جَابِرٍ بْنِ حَسَانٍ الْقَيْسِيِّ الْوَادِيِّ أَشَيِّ تَزِيلُ ثُوْنَسْ وَنَصْ كَلَامَ أَبْنِ
 جُبَيْرٍ. قَالَ وَلَقَدْ أَحْسَنَ فِيمَا وَصَفَ مِنْهَا وَاجْدَادَ وَتَوْقَ الْأَنْفُسَ
 لِلتَّطْلُعِ عَلَى صُورَهَا بِهَا أَفَادَ . وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ بِهَا إِفَاقَةٌ . فَيُعِرِّبُ عَنْهَا
 بِحَقِيقَةِ عَلَامَةٍ . وَلَا وَصَفَ ذَهَبَاتٍ أَصِيلَهَا . وَقَدْ حَانَ مِنَ الْشَّمْسِ
 غُرُوبُهَا . وَلَا زَمَانَ جُفُولَهَا الْمُنْوَعَاتِ . وَلَا أَوْفَاتَ سُرُورَهَا الْمُنْهَاتِ .
 وَقَدْ أَخْنَصَ مَنْ قَالَ الْفِيتَهَا كَمَا تَصَفُّ الْأَلْسُنُ . وَفِيهَا مَا تَشَهِّدُهُ الْأَنْفُسُ
 وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ . قَالَ أَبْنُ جُبَيْرٍ وَالَّذِي قَالَتْهُ الشِّعْرَاءُ فِي وَصْفِ حَمَاسِنِ
 دِمْشَقَ لَا يُحَصِّرُ كُثْرَةً . وَكَانَ وَالَّذِي رَحِمَهُ اللَّهُ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ فِي
 وَصْفِهَا هَذِهِ الْآيَاتَ وَهِيَ لِشَرَفِ الدِّينِ بْنِ مُحَمَّدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
 دِمْشَقُ بِي شَوَّقٌ إِلَيْهَا مُبِرْحٌ قَانِجٌ وَاشٌّ أَوْ أَمْحَجٌ عَدْوُلٌ
 بِلَادُهَا الْحَصْبَاءُ دُرٌّ وَتَرْبَهَا عَيْرٌ وَأَنْفَاسُ الشَّمَالِ شَمُولٌ
 تَسْلُسلٌ فِيهَا مَا وَهَا وَهُوَ مُطْلَقٌ وَصَحٌّ نَسِيمُ الْرَّوْضِ وَهُوَ عَلِيلٌ
 وَهَذَا مِنَ النَّمَطِ الْعَالَمِيِّ مِنَ الشِّعْرِ . وَقَالَ فِيهَا عَرْقَلَةُ الْمَشْقِيُّ الْكَلْبِيُّ
 الشَّامُ شَامَهُ وَجَنَّةُ الدُّنْيَا كَمَا إِنْسَانُ مُقْلَنَهَا الْغَضِيضَةِ جِلْقُ
 مِنْ آسِهَا لَكَ جَنَّةُ لَا تَنْقُضِي وَمِنَ السَّقِيقِ جَهَنَّمُ لَا تُخْرِقُ
 وَلَهُ فِيهَا أَشْعَارٌ كَثِيرٌ سَوَى ذَلِكَ . وَقَالَ فِيهَا أَبُو الْوَحْشِ سَعْ بْنُ

خَلْقُ الْأَسْدِيُّ

سَقَى دِمْشَقَ اللَّهُ غَيْثًا مُحْسِنًا مِنْ مُسْتَهْلِ دِيَبَةِ دِهَا قِهَا
مَدِينَةُ لَيْسَ بِضَاهِي حُسْنِهَا فِي سَائِرِ الدُّنْيَا وَلَا آفَاقِهَا
تَوَدُّ زَوْرًا إِلَى عِرَاقِهَا مِنْهَا وَلَا نُعَزِّ إِلَى عِرَاقِهَا
فَارِضُهَا مِثْلُ السَّمَاءِ بِهَجَةِ وَزَهْرَهَا كَالْزَهْرِ فِي إِشْرَاقِهَا
نَسِيمُ رَوْضَهَا مَتَى مَا قَدْ سَرَى فَكَ أَخَا الْهُمُومِ مِنْ وَثَاقِهَا
قَدْ رَتَعَ الْرَّبِيعُ فِي رُبُوعِهَا وَسَيَقَتِ الدُّنْيَا إِلَى أَسْوَاقِهَا
لَا تَسَامِ الْعَيْنُ وَلَا نُوفُ مِنْ رُؤُبَهَا يَوْمًا وَلَا أَسْتِنْشَاقِهَا

انتهى المنشول من ابن بطوطة



مِنْ كِتَابِ

عَجَائِبِ الْخُلُوقَاتِ وَغَرَائِبِ الْمَوْجُودَاتِ لِلشَّيْخِ الْإِمامِ
مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقَزْوِينِيِّ

النَّظَرُ فِي الْكَائِنَاتِ وَهِيَ الْأَجْسَامُ الْمُتَوَلِّةُ مِنَ الْأَمَاهَاتِ

فَنَقُولُ الْأَجْسَامُ الْمُتَوَلِّةُ إِمَّا أَنْ تَكُونَ نَامِيَّةً أَوْ غَيْرَ نَامِيَّةٍ فَإِنْ لَمْ
تَكُنْ نَامِيَّةً فِي الْمَعْدِنِيَّاتِ وَإِنْ كَانَتْ نَامِيَّةً فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ لَهَا قُوَّةً أَنْجِسْ
وَأَنْحِرَكَةً أَوْ لَمْ تَكُنْ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فِي النَّبَاتِ وَإِنْ كَانَتْ فِي الْحَيَّاتِ
وَزَعْمَوا أَنَّ أَوَّلَ مَا تَسْخِيلُ إِلَيْهِ الْأَرْكَانُ الْأَنْجِرَةُ وَالْعَصَارَاتُ وَالْبَخَارُ مَا
يَصْدُعُ مِنْ لَطَائِفِ مِيَاهِ الْبَحْرِ وَالْأَجَامِ وَالْأَنْهَارِ مِنْ تَسْخِينِ الشَّمْسِ
وَالْعَصَارَاتُ مَا يَجْلِبُ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ مِنْ مِيَاهِ الْأَمْطَارِ وَتَخْتَلِطُ
بِالْأَجْزَاءِ الْأَرْضِيَّةِ وَتَغْلُظُ وَتَسْتَرْجُها الْحَرَارَةُ الْمُسْتَبْطَنَةُ فِي عُمُقِ الْأَرْضِ
فَتَصْبِرُهَا مَادَةً لِلْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَّاتِ وَهُنَّا مُتَصَلَّةٌ بَعْضُهَا
بِالْبَعْضِ بِتَرْتِيبٍ حَيْبٍ وَنِظامٍ بَدِيعٍ تَعَالَى صَانِعُهَا عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ
وَالْجَاهِدُونَ عُلُوًّا كَيْرًا. فَأَوْلُ مَرَاتِبِ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ تُرَابٌ وَآخِرُهَا
نَفْسٌ مَلِكَيَّةٌ طَاهِرَةٌ فَإِنَّ الْمَعَادِنَ مُتَصَلَّةٌ أَوْ لَهَا بِالْتُرَابِ أَوِ الْمَاءِ وَآخِرُهَا
بِالنَّبَاتِ. وَالنَّبَاتُ مُتَصَلٌ أَوْ لَهُ بِالْمَعَادِنِ وَآخِرُهُ بِالْحَيَّاتِ. وَالْحَيَّاتُ
مُتَصَلٌ أَوْ لَهُ بِالنَّبَاتِ وَآخِرُهُ بِالْإِنْسَانِ. وَالنُّفُوسُ الْإِنْسَانِيَّةُ مُتَصَلَّةٌ

أَوْ لَهَا يَنْحِيَانِ وَآخِرُهَا يَالنُّفُوسِ الْمَلَكِيَّةِ وَاللهُ أَعْلَمُ
النَّظَرُ أَلَّا اُولُّ فِي الْمَعْدِنِيَّاتِ

الْمَعْدِنِيَّاتُ هِيَ أَجْسَامٌ مُتَوَلِّةٌ مِنَ الْأَجْنَحَةِ وَالْأَدْخِنَةِ تَحْتَ الْأَرْضِ
إِذَا أَخْنَطَتْ عَلَى ضُرُوبٍ مِنَ الْأَخْنَالَاتِ مُخْنَلَّةٌ فِي الْكَمْ وَالْكِيفِ
وَهِيَ إِمَّا قَوِيهُ الْتَّرْكِيبُ أَوْ ضَعِيفَةُ الْتَّرْكِيبِ. وَقَوِيهُ الْتَّرْكِيبُ إِمَّا أَنْ
تَكُونَ مُنْتَرِقَةً أَوْ لَمْ تَكُنْ وَالْمُنْتَرِقَةُ هِيَ الْأَجْسَادُ السَّبْعَةُ. أَعْنِي الْذَّهَبَ
وَالْفِضَّةَ وَالْحَاسَ وَالرَّصَاصَ وَالْحَدِيدَ وَالْأَسْرُبَ وَالْمَحَارَ صِبَنِيُّ. وَأَنِّي
لَا تَكُونُ مُنْتَرِقَةً فَقَدْ تَكُونُ فِي غَايَةِ الْلِّيْلِ كَالزِّيْبَقِ وَقَدْ تَكُونُ فِي غَايَةِ
الصَّلَابَةِ كَالْيَاقُوتِ. وَضَعِيفَةُ الْتَّرْكِيبِ قَدْ تَنْخَلُ بِالرُّطُوبَاتِ وَهِيَ الْأَجْسَامُ
الْمُلْجَيَّةُ كَالزَّاجِ وَالنُّوشَادِرِ وَقَدْ لَا تَنْخَلُ بِهَا وَهِيَ الْأَجْسَامُ الْدُّهْنِيَّةُ
كَالزِّرْنجِ وَالْكَبْرِيتِ

وَالْأَجْسَادُ السَّبْعَةُ إِنَّمَا تَوَلُّ مِنْ أَخْنَالَطِ الْزِيْبَقِ بِالْكَبْرِيتِ عَلَى
أَخْنَالَافِ فِي الْكَمْ وَالْكِيفِ. وَالزِّيْبَقُ يَتَوَلُّ مِنْ أَجْزَاءِ مَا يَئِيَّهُ أَخْنَطَتْ
يَاجْزَاءُ أَرْضِيَّةٍ لَطِيفَةٍ كَبْرِيتَيَّةٍ. وَالْكَبْرِيتُ لَطِيفٌ يَتَوَلُّ مِنْ أَجْزَاءِ مَا يَئِيَّهُ
وَهُوَ يَئِيَّهُ وَأَرْضِيَّةٍ تَنْضَجُهَا حَرَارَةُ قَوِيهٍ حَتَّى صَارَ مِثْلَ الدَّهْنِ. وَأَمَّا
الْأَجْسَادُ الصلِبةُ الشَّفَافَةُ فَتَسْوَلُ مِنْ مِيَاهِ عَذْبَةٍ وَقَعَتْ فِي مَعَادِنِهَا
أَنْجَارَةُ الْصَّلَكَةُ زَمَانًا طَويَّلاً حَتَّى غَلَظَتْ وَصَفتْ وَانْضَجَتْهَا حَرَارَةُ
الْمَعْدِنِ يَطُولُ وَقُوفِهَا. وَأَمَّا غَيْرُ الشَّفَافَةِ فَنِينٌ أَمْنِزَاجٌ الْمَاءِ بِالْطِينِ إِذَا
كَانَتْ فِيهِ لُزُوجَةٌ وَأَثْرَتْ فِيهِ حَرَارَةُ الشَّمْسِ بِهُدَى طَوِيلَةٍ. وَأَمَّا الْأَجْسَامُ
الَّتِي تَنْخَلُ بِالرُّطُوبَاتِ فَمِنْ مَاءَ مُخْنَلَّطٍ بِأَجْزَاءِ أَرْضِيَّةٍ مُخْنَرِقَةٍ بِاِسْسَةٍ

أَخْلَاطًا شَدِيدًا . وَمَا الْجُسَامُ الْدُهْنِيَّةُ فَيْنَ الرُّطُوبَاتِ الْمُحْتَفَنَةِ فِي
بَاطِنِ الْأَرْضِ إِذَا أَحْنَوْتُ عَلَيْهَا حَرَارَةَ الْمَعْدِنِ حَتَّى تَحَلَّتْ وَلَطَّافَتْ
وَأَخْنَلَتْ بِتُرْبَةِ الْقَاعِ وَحَرَارَةَ الْمَعْدِنِ دَائِمًا فِي نُسُخِهَا وَطَبَعَهَا حَتَّى
تَزَادَ غِلَظًا وَصَارَتْ مِثْلَ الدُّهْنِ

النَّظَرُ الْآخَرُ فِي النَّبَاتِ

النَّبَاتُ مُتوَسِّطٌ بَيْنَ الْمَعَادِنِ وَالْحَيْوَانِ يَعْنِي أَنَّهُ خَارِجٌ عَنْ نُفُصَانِ
الْجَمَادِيَّةِ الْصِرْفَةِ الَّتِي لِلْمَعَادِنِ وَغَيْرِهَا وَاصِلٌ إِلَى كَالِ الْحِسْنِ وَالْحَرَكَةِ
الَّتِي أَخْنَصَهَا الْحَيْوَانُ . لِكُنَّهُ يُشَارِكُ الْحَيْوَانَ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ لَأَنَّ
الْبَارِئَ تَعَالَى يَخْلُقُ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ الْأَلَاتِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي بَقَاءِ ذَاهِتهِ
وَنَوْعِهِ وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ يَكُونُ ثُقَلاً وَكَلَاعِلَيْهِ لَا يَخْلُقُهُ وَلَا حَاجَةُ لِلنَّبَاتِ
إِلَى الْحِسْنِ وَالْحَرَكَةِ بِخَلَافِ الْحَيْوَانِ

وَمِنْ عَجَيبِ صُنْعِ الْبَارِئِ تَعَالَى أَنَّ الْحَبَّ وَالنُّوْيَ إِذَا حَصَلَ فِي تُرْبَةِ
نَدِيَّةٍ وَاصَابَهَا حَرَّ الشَّمْسِ أَنْشَقَّا وَجَدَبَا بِقُوَّةِ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمَا
الْأَجْزَاءُ الْلَّطِيفَةُ الْأَرْضِيَّةُ مِنَ الْأَرْضِ وَالْمَاءِ يَمْلأُهُ مِنْ الْمَاءِ . ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ
الْأَجْزَاءَ يَدْرَأُكُمْ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ بِوَاسِطَةِ قُوَّى خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا حَتَّى
يَصِيرَ الْحَبُّ بِهِمَا بِالْغَادِرِ عُرُوقَ وَفِضَّيَانَ وَأَوْرَاقَ وَزَهَارَ وَحَبُّ النُّوْيَ
شَعْرًا عَظِيمًا ذَا عُرُوقٍ وَسَاقٍ وَأَغْصَانٍ وَأَوْرَاقٍ وَثَمَرَةٍ . وَالنَّبَاتُ قِسْمَانِ

شَجَرٌ وَنَجْمٌ

٩٠

الفِسْمُ الْأَوَّلُ

الشَّجَرُ

الشَّجَرُ هُوَ كُلُّ مَا لَهَ سَاقٌ مِنَ النَّبَاتِ وَالشَّجَارُ الْعِظَامُ بِمِثَابَةِ الْحَيَوانَاتِ
 الْعِظَامِ وَالْجُوْمِ بِمِثَابَةِ الْحَيَوانَاتِ الصِّغَارِ وَالشَّجَارُ الْعِظَامُ لَا تَهْرُّ لَهَا
 كَالسَّاجِ وَالدَّلْبِ وَالعَرَقِ لِأَنَّ الْمَادَةَ كُلُّهَا صُرِفَتْ إِلَى نَفْسِ الشَّجَرِ وَلَا
 كَذِلِكَ الْأَشْجَارُ الْمُشَمِّرَةُ فَإِنَّ مَادَّتِهَا صُرِفَتْ إِلَى الشَّجَرَةِ وَالثَّمَرَةِ وَبِشَيْءِ
 حَالُهَا حَالُ الدُّكُورِ وَالآنَاثِ مِنَ الْحَيَوانِ فَإِنَّ الدُّكُورَ أَعْظَمُ بَدْنًا
 مِنَ الْآنَاثِ لِأَنَّ بَعْضَ مَوَادِ الْآنَاثِ يُصْرَفُ إِلَى الْأَجِنَّةِ
 وَمِنْ عَجَيبِ صُنْعِ الْبَارِيِّ تَعَالَى خَلْقُ الْأَوْرَاقِ عَلَى الْأَشْجَارِ زِينَةُهَا
 وَوِقَايَةً لِثَارِهَا مِنْ نِكَائِيَّةِ الشَّمْسِ وَاهْوَاءِهِمْ إِنَّهُ تَعَالَى خَلَقَهَا مُرْتَفَعَةً
 عَنِ الْثِمَارِ مُتَفَرِّقةً بَعْضَ الْتَّنَفُّقِ لَا مُتَكَافِنةً عَلَيْهَا وَلَا يُعِيدُ عَنْهَا لِتَأْخُذَ
 الْثِمَارُ مِنَ النَّسِيمِ تَارَةً وَمِنَ الشَّمْسِ تَارَةً أُخْرَى. فَلَوْ تَكَانَتْ عَلَيْهَا حَتَّى
 مَنْعَهَا إِصَابَةَ النَّسِيمِ وَشَعَاعَ الشَّمْسِ لَبَقِيتْ عَلَى فَجَاجِهَا غَلِيلَةَ الْجَلْدِ
 قَلِيلَةَ الْمَائِيَّةِ. وَإِذَا سَقَطَ عَنْهَا بَعْضُ الْوَرَقِ أَصَابَهَا الشَّمْسُ وَأَحْرَقَهَا
 كَمَا تَرَى فِي أَرْزَامَانِ الَّتِي أَحْتَرَقَ مِنْهَا أَحَدُ الْحَيَوانَاتِ. ثُمَّ إِذَا فَرَغَتِ
 الشَّمَرَةُ تَنَاثَرَتِ الْأَوْرَاقُ حَتَّى لَا يُجَدِّبَ مَائِيَّةُ الشَّجَرِ فَتَضَعُفُ قُوَّتِهَا كَمَا
 تَرَى فِي الْحَيَوانِ فَإِنَّ الْأَمَّ تَضَعُفُ مِنْ إِرْضَاعِ أَوْلَادِهَا
 وَلَنَذْكُرْ بَعْضَ مَا يَتَعَلَّقُ بِوَاحِدٍ وَاحِدٍ مِنَ الْأَشْجَارِ مُرْتَبَةً عَلَى
 الْمُعْجمِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى
 دُلْبٌ. مِنْ أَعْظَمِ الْأَشْجَارِ وَعَلَاهَا وَبِفَاهَا فَإِذَا طَالَتْ مُدَّتُهَا تَفَتَّتْ

جوفها ويفق ساقها محرقاً وورقها تهرب منه أختنافس وبعض الطيور
تجعلها في أو كارها لدفع أختنافس فإنها تموت منها فإذا غسل وطبع
وضمده بحبس النوازل عن العين. قشرها مطبوخاً بالخل ينفع من حرق
النار ووجع الأسنان. شمرتها يقال لها جوز السرّ ومع الشم خياد جيد
لنهش الهوام.

فلفل. شجرة تنبت بالهند بناحية منها تسمى مليار وهي شجرة عالية
لا يزول منها من تخثرا فإذا هبت الرياح تساقطت حبوبها على وجهه
الماء فتجمع منه ولذلك فسحة وهي شجرة حرق لا ملك لا حد فيها
وتحملها عليها شتاءً وصيفاً وهو عناقيد. فإذا حمي الشمس عليهما أنطبقت
على عنقود منها أوراق حتى لا يحرق بالشمس فإذا زالت الشمس عنها
زالت الأوراق عن العناقيد لتناول النسيم. وذكر من رأها أن شجرتها
مثل شجرة الرمان وبين الورقتين شرارakan منظومان بالفلفل وشرارخه
في طول الأرض. قال جالينوس أول ما تطلع شمرتها تكون دار
فلفل ثم تنفصل عن حبي يكون هو الفلفل
قرنفل. شجرة تنبت في بعض جزائر الهند شمرتها كالبايسين إلا
أنها أشد سواداً. وذكر أن أهل تلك الجزر لا يخرجونها إلا مطبوخة
لولا تنبت في غيرها من البلاد

نارجيل. هو جوز الهندي زعم أهل التجار أن شجرة النارجيل هي
المقل لكتها أثرت نارجيل لطبع التربية والاهوية. على شمرتها ليف
يتخد منه أحباب تستعمل في سفن البحر تصرير على الماء طويلاً لا تنعن.

لَبِنَهَا أَذِيدُ كَثِيرًا حَلَاؤَةٌ إِذَا كَانَ رَطْبًا
 نَخْلٌ شَجَرَةٌ مُبَارَكَةٌ لَا تُوجَدُ إِلَّا بِسِلَادِ الْإِسْلَامِ قَالَ عَمِّنْكُمُ النَّخْلُ
 قَاتِلًا سَهَّاهَا عَمِّنَا لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِنْ فَضْلَةٍ طَيْنٍ أَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ
 تُشَبِّهُ الْإِنْسَانَ مِنْ حَيْثُ أَسْتِفَامَةٍ قَدِّهَا وَطَوَّلَهَا وَأَمْتَيَازَ ذَكْرِهَا عَنْ
 أَنْشَاهَا وَأَخِصَاصَهَا بِاللَّقَاعِ وَلَا قُطْعَ رَأْسُهَا هَلَكَتْ لِطَلْعِهَا غَلَافٌ
 كَالْمَشِيمَةِ الَّتِي يَكُونُ الْوَلْدُ فِيهَا وَالْجَمَارُ الَّذِي عَلَى رَأْسِهَا لَوْ أَصَابَهُ أَفَةٌ
 هَلَكَتِ النَّخْلَةُ كَهَبَةٌ مُخْلِفَةٌ لِلْإِنْسَانِ إِذَا أَصَابَهُ أَفَةٌ وَإِذَا قُطِعَ مِنْهَا غُصَّنْ
 لَا يَرْجِعُ بَدْلُهُ كَعْضُوِ الْإِنْسَانِ وَعَلَيْهَا لِفٌ كَشَعْرٌ يَكُونُ عَلَى الْإِنْسَانِ
 قَالَ صَاحِبُ الْفَلَاحَةِ إِذَا لَمْ يُثِرْ شَيْئًا مِنْ النَّخْلِ يَا خُدْرُ جُلْ فَأَسَا
 وَيَقْرُبُ مِنْهَا وَيَقُولُ لِغَيْرِهِ إِنِّي أَرِيدُ قَطْعَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ لِأَنَّهَا لَا تُثِيرُ
 فَيَقُولُ الْآخَرُ لَا تَفْعَلْ فَإِنَّهَا شَمِيرٌ فِي هَذِهِ السَّنَةِ فَيَقُولُ الرَّجُلُ إِنَّهَا
 لَا تَفْعَلُ شَيْئًا وَيَضْرِبُهَا ضَرَبَتِنِ اَوْ ثَلَاثَةَ فِيمِسِكَهُ الْآخَرُ يَسِيَّهُ وَيَقُولُ
 لَا تَفْعَلْ فَإِنَّهَا شَجَرَةٌ حَسَنَةٌ وَأَصْبِرْ عَلَيْهَا هَذِهِ السَّنَةِ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفَاعِلْ مَا
 بَدَالَكَ قَالَ إِذَا فَعَلَ دِلْكَ فَإِنَّ الشَّجَرَةَ شَمِيرٌ ثُمَّ أَكْثِيرًا وَكَذِيلَكَ
 غَيْرُ النَّخْلِ مِنَ الْأَشْجَارِ إِذَا فَعِلَ بِهِ هَذَا فَإِنَّهُ يُثِيرُ قَالَ أَيْضًا إِذَا قَارَبَتْ
 بَيْنَ ذُكْرَانِ النَّخْلِ وَنَائِبَهَا فَإِنَّهَا تُكْثِرُ حَمَلَهَا لِأَنَّهَا سَتَانِسُ بِالْجَمَاوِرَةِ
 وَرُبُّهَا قُطْعَ إِلَفَهَا مِنَ الذُّكْرَانِ فَلَا تَحْمِلُ شَيْئًا لِفَرَاقِهِ وَإِذَا غَرَستَ
 الذُّكْرَانِ وَسَطَ الْأَنَاثِ وَهَبَّتِ الْرِيحُ فَخَالَطَتِ الْأَنَاثَ رَائِحَةً طَلْعِ
 الذُّكْرَانِ حَمَلتْ مِنْ تِلْكَ الرَّائِحَةَ كُلُّ أُنْثَى حَوْلَهُ

الْقِسْمُ الْثَّانِي مِنَ النَّبَاتِ
أَنْجُومُ

الْحَمْ كُلُّ نَبَاتٍ لَيْسَ لَهُ ساقٌ صُلْبٌ مُرْتَعِيٌ مِثْلُ الْزَّرْوَعِ وَالْبَقْوَلِ
وَالرَّيَاحِينِ وَالْخَشَائِشِ الْبَرِّيَّةِ وَمِنَ الْأُمُورِ الْعَجِيْبَةِ الْقَوَّةِ الَّتِي
خَلَقَهَا اللَّهُ فِي نَفْسِ الْحَبَّ فَإِنَّهَا إِذَا وَقَعَتْ فِي الْأَرْضِ جَدَّ بَتْ بِوَاسِطَةِ
تِلْكَ الْقَوَّةِ الْرُّطُوبَةَ مِنْ نَفْسِ الْأَرْضِ مَا حَوَيْهَا كَمَا تَجْذِبُ سُعْلَةُ النَّارِ
فِي السَّرَّاجِ تِلْكَ الرُّطُوبَةُ فَتَعْمَلُ فِيهَا الْقَوَى الطَّبِيعَةُ يَارَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى
حَتَّى تَبْلُغَ كَمَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى وَالْنَّجُومُ فِي النَّبَاتِ كَالْحَيَّانِ الْصَّغِيرِ
فِي الْحَيَّانِ الْكَبِيرِ فَكَمَا أَنَّ عِنْدَ شَدَّ الْبَرِدِ لَا يَبْقَى مِنَ الْحَيَّانَاتِ الَّتِي
لَا يَعْظِمُهَا شَيْءٌ فَكَذِلِكَ لَا يَبْقَى مِنَ النَّبَاتِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا خَشَبٌ صُلْبٌ
شَيْءٌ

وَاعْلَمُ أَنَّ عُقُولَ الْعُقَلَاءِ مُتَحَيْرَةٌ فِي أَمْرِ الْخَشَائِشِ وَعَجَائِبِهَا وَفَهَامَ
الْأَذْكَارِ قَاصِرٌ عَنْ ضَبْطِ خَواصِهَا وَفَوْأَيْدِهَا وَكَيْفَ لَامَعَ مَا يُشَاهِدُ مِنِ
أَخْنَافِ صُورِ قِضَائِهَا وَأَخْنَافِ أَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا وَعَجِيبِ صُورِ أَوْرَاقِهَا
وَأَزْهَارِهَا . وَكُلُّ لَوْنٍ مِنْهَا يَنْقُسُ إِلَى أَقْسَامِ كَالْحُمْرَةِ مُشَلَّا فَإِنَّهَا وَرَدِيَّةُ
وَأَرْجَانِي وَسُوسِيٌّ وَشَقَائِقِيٌّ وَأَدْرِيُونِيٌّ وَآيَ غَيْرِ ذَلِكَ مَعَ اشْتِرَاكِ
كُلِّهَا فِي الْحُمْرَةِ . ثُمَّ عَجَائِبُ رَوَأَيْهَا وَمُخَالَفَةُ بَعْضِهَا بَعْضًا مَعَ اشْتِرَاكِ
كُلِّهَا فِي الْطِبِّ . ثُمَّ عَجَائِبُ أَشْكَالِ حُبُوبِهَا فَإِنَّ كُلُّ وَاحِدٍ شِدْلُ
وَوَرَقٌ وَعِرقٌ وَزَهْرٌ وَلَوْنٌ وَطَعْمٌ وَرَائِحَةٌ وَخَاصِيَّةٌ بَلْ خَاصِيَّاتٌ
لَا يَعْرِفُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَالَّتِي عَرَفَهَا الْإِنْسَانُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا لَمْ يَعْرِفُهُ

كَفْطَرَةٍ مِنْ بَحْرٍ . وَلَنْذُكْرُ شَيْئًا مِنْ خَوَاصِهَا مُرْتَبَةً عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجَمِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

يَسِّشُ . نَبَاتٌ يَبْتُ بِأَرْضِ الْهَنْدِ نِصْفُ دِرْهَمٍ مِنْهُ سَمْ قَاتِلُ وَعَلَامَتُهُ
أَنَّهُ يَعْرِضُ لِمَنْ سُقِيَ مِنْهُ جَوْظُ الْعَيْنِ وَوَرْمُ الشَّفَتَيْنِ وَاللِّسَانِ وَالْدُّوَارُ
وَالْعَشِيُّ . وَالسَّمَانِيُّ يَعْتَلُفُ مِنْهُ وَلَا يَضُرُّهُ شَيْئًا وَكَذِلِكَ فَارَةُ الْبَيْشِ وَهُوَ
حَيْوانٌ يَسْكُنُ فِي أَصْلِهِ وَيَاكُلُ مِنْهُ . قَالَ آبَنُ سِينَا إِنَّهُ يُدْهِبُ الْبَرَصَ
طِلَّاً وَشُرْبَاً وَيَنْفَعُ مِنَ الْجُذَامِ وَهُوَ سَمٌ قَاتِلٌ يَقْتُلُ مِنْهُ نِصْفُ دِرْهَمٍ
وَتِرْيَاكُهُ فَارَةُ الْبَيْشِ

دِفْلِي . مِنْهُ بَرِيٌّ وَنَهْرِيٌّ فَالْبَرِيُّ وَرَقُهُ كَورَقُ الْحَمْقِيُّ بَلْ . أَدْقَ
وَقِضْبَانُهُ طِوالٌ مُنْبِسْطَةٌ عَلَى الْأَرْضِ يَبْتُ فِي الْحَرَابَاتِ . وَالنَّهْرِيُّ عَلَى
شُطُوطِ الْأَنْهَارِ وَتَهْضُ فِيَضَبَانَهُ عَلَى الْأَرْضِ وَشَوْكُهُ خَفِيٌّ وَرَقُهُ
كَورَقُ الْخَلَافِ وَأَعْلَى سَاقِهِ أَغْلَظَ مِنْ . أَسْفَلِهِ وَفُقَاحَهُ كَالْوَرِدِ الْأَحْمَرِ
وَثَمَرَتُهُ صُلْبَةٌ مَحْشُوَّةٌ شَيْئًا كَالصُّوفِ . قَالَ آبَنُ سِينَا وَرَقُهُ تَهْرِبُ مِنْهُ

الْبَرَاغِيْثُ وَأَكْلُهُ يَقْتُلُ آكِلَهُ مِنْ جَمِيعِ بَنِي آدَمَ وَسَائِرِ الْحَيَّانَاتِ

قَالَ بَلْنِيَاسُ عَلَمْ بَعْضُ الْمُلُوكِ بَعْدُ وَفَصَدَ فِي عَسْكَرٍ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ
فَأَخَذَ مِنَ الشَّعِيرِ وَطَبَقَهُ بِالدِّفْلِي وَتَرَكَهُ حَتَّى جَفَّ وَأَخَذَ الشَّعِيرَ مَعَهُ
وَخَرَجَ إِلَى وَجْهِ الْعَدُوِّ . فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ الْعَدُوِّ تَنَحَّى عَنْهُ وَتَرَكَ الْأَثْقَالَ
وَالْمِيَّقَ وَالشَّعِيرَ . فَوَرَدَ عَسْكَرُ الْعَدُوِّ وَأَطْلَقُوا دَوَابَّهُمْ فِي الشَّعِيرِ فَهَلَكَتْ
كُلُّهَا فَكَرَ عَلَيْهِمْ وَأَسْرَهُمْ

قِنَاعَ . قَالَ صَاحِبُ الْفَلَاحَةِ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ الْفِتَّانَ عَلَى صُورَةِ

شَيْءٌ مِّنَ الْحَيَاةِ فَخَذْ قَالِبًا لِلنُّصُورَةِ الَّتِي أَرَدْتَ وَأَجْعَلْهَا فِيهِ وَهِيَ صَغِيرَةٌ وَأَسْتَوْثِقُ مِنْهَا رَبْطًا بِجُنْحُ لَا يَدْخُلُ الْفَالِبَ رِيحٌ وَلَا غَبارٌ فَإِنَّهَا إِذَا عَظَمْتَ فِيهَا كَانَتْ عَلَى صُورَةِ الْفَالِبِ الَّذِي جَعَلْتَهَا فِيهِ

النَّظَرُ الْثَالِثُ

فِي الْحَيَوانِ

أَمَّا الْحَيَوانُ فِي الْمَرْتَبَةِ الْثَالِثَةِ مِنَ الْكَائِنَاتِ وَبَعْدِ الْمُولَدَاتِ عَنِ الْأَمْهَاتِ لِأَنَّ الْمَرْتَبَةَ الْأُولَى لِلْمَعَادِنِ وَهِيَ بَاقِيَةٌ عَلَى الْجَمَادِيَّةِ لِقُرْبِهَا مِنَ الْبَسَاطِ . وَالْمَرْتَبَةُ الْثَانِيَةُ لِلنَّبَاتِ فَإِنَّهَا مُتوَسِّطَةٌ بَيْنَ الْمَعَادِنِ لِحُصُولِ النَّشُّ وَالنُّمُوِّ وَفَوَاتِ الْجِحْسِ وَالْحُرْكَةِ . وَالْمَرْتَبَةُ الْثَالِثَةُ لِلْحَيَوانِ فَإِنَّهُ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ النَّشُّ وَالنُّمُوِّ وَالْجِحْسِ وَالْحُرْكَةِ . وَهُنَّ قُوَّى مَوْجُودَةٍ فِي جَمِيعِ أَفْرَادِ الْحَيَوانِ حَتَّى فِي الْدَّبَابِ وَالْبَعُوضِ

وَأَمَّا الْجِحْسُ فَلَيْلَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمَا فَضَى لِكُلِّ حَيَوانٍ أَمَدًا مَعْلُومًا . وَبَدَانُ الْحَيَوانُ مُتَعَرِّضًا لِلآفَاتِ الْمُفْسِدَةِ لَهَا الْمُهْلِكَةُ إِيَّاهَا فَاقْتَضَتِ الْمُحْكَمَةُ الْإِلَهِيَّةُ لَهَا الْقُوَّةُ الْإِحْسَاسِيَّةُ لِتَشَعُّرِ بِوَاسِطَتِهَا بِالْمَهَنَّافِ فَتَدَفَعَهُ عَنْ نَفْسِهَا إِذَا أَحْسَتْ بِالْلَّمَهِ . فَلَوْلَا هُنَّ الْقُوَّةُ لَمَّا أَحْسَسَ الْحَيَوانُ بِالْمُجْوَعِ إِلَى أَنْ مَاتَ بَغْتَةً بِحَمَّةٍ مِنْ عَدَمِ الْغِذَاءِ وَلَكَانَ إِذَا نَامَ فَاصَابَ يَدَهُ أَوْ رِجْلَهُ نَارًا لَمْ يَكُنْ يُحْسِنْ بِهِ حَقَّ يَنْتِيَهُ مِنْ نَوْمِهِ فَإِذَا هُوَ بِلَا يَدٍ أَوْ رِجْلٍ . وَأَمَّا الْحُرْكَةُ فَلَيْلَ الْحَيَوانِ لَمَّا كَانَ مُخْتَاجًا إِلَى الْغِذَاءِ وَلَمْ يَكُنْ غِذَاءً بِجُنْحِهِ فِي جَمِيعِ الْأَوْفَاتِ أَفْتَضَتِ الْمُحْكَمَةُ الْإِلَهِيَّةُ لَهُ آلاتِ الْحُرْكَةِ لِتَخْرُكَ بِهَا إِلَى الْغِذَاءِ . وَلَوْلَا هُنَّ الْقُوَّةُ وَاحْتَاجَ الْحَيَوانُ إِلَى الْغِذَاءِ وَلَمْ

يُقدِّرُ عَلَى الْمَشِيِّ إِلَيْهِ فَمَا جُوَعاً كَشْجَرَ لَا تَجِدُ الْمَاءَ حَتَّى تَجِفَّ وَلَكَانَ
إِذَا أَصَابَهُ أَفَةٌ مِنْ حَرَقٍ أَوْ غَرَقٍ يَقِي عَلَى مَكَانِهِ حَتَّى أَدْرَكَهُ الْحَرَقُ أَفَ
الفرقُ

وَلَمَّا كَانَتِ الْحَيَاةِ نَاتٌ بَعْضُهَا عَدُوا لِبَعْضٍ أَفْتَضَتِ الْحِكْمَةُ إِلَيْهِ
لِكُلِّ حَيَوانٍ أَلَّهُ يَحْفَظُ بِهَا نَفْسَهُ مِنْ عَدُوٍّ وَمِنْهَا مَا يَدْفَعُ الْعَدُوَّ بِالْقُوَّةِ
وَالْمُقاوَمَةُ كَالْفِيلِ وَالْجَامُوسِ وَالْأَسَدِ وَمِنْهَا مَا يَسْلُمُ مِنْ عَدُوٍّ بِالْفِرَارِ
فَاغْطِيَ أَلَّهُ الْفِرَارِ كَالظِّبَابِ وَالْأَرَابِ وَالطَّيْورِ وَمِنْهَا مَا يَحْفَظُ نَفْسَهُ
بِسَلَاجِ كَالْقَنْدِ وَالشَّيْمِ وَالسَّخْنَاءِ . وَمِنْهَا يَحْفَظُ نَفْسَهُ بِخَصْنِ كَالْفَارِ
وَالْحِيَةِ وَالْوَوَامِ . وَمِنْ مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ إِلَيْهِ أَنْ خُلِقَ لِكُلِّ حَيَوانٍ
مِنْ أَلْأَعْضَاءِ مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ بِقَاءُ ذَاتِهِ وَنَوْعِهِ لَزَائِدًا وَلَا نَاقِصًا .
فَلِذِلِكَ أَخْنَافَتْ أَشْكَالُهَا وَأَعْضَاوُهَا وَتَنَوَّعَتْ أَنْوَاعًا كَثِيرَةً
وَلَنَذْكُرِ أَلَآنَ بَعْضَ أَنْوَاعِ الْحَيَوانِ وَعَجَائِبُهَا وَخَواصِهَا

إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

النَّوْعُ الْأَوَّلُ

الإِنْسَانُ

إِعْمَانٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَجْمُوعٌ مِنَ النَّفْسِ وَالْبَدَنِ فَإِنَّهُ أَشَرَّفُ
الْحَيَاةِ وَخُلَاصَةُ الْمُلْكُوقَاتِ رَكِبَهُ أَلَّهُ تَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ رُوحًا
وَبَدَنًا وَخَصَصَهُ بِالنُّطُقِ وَالْعُقْلِ سِرًا وَعَلَنَا وَزَيْنَ ظَاهِرٌ بِالْخَوَاسِ
وَالْحَفْظِ الْأَوَّلِيِّ وَبَاطِنَهُ بِالْقُوَّى مَا هُوَ أَشَرَّفُ وَأَفَوَى وَهِيَا لِلنَّفْسِ
النَّاطِقَةُ الدِّمَاغُ وَأَسْكَنَهُ أَعْلَى مَحْلٍ وَلَوْفَقَ رُثْبَةً . وَزَيْنَهُ بِالْفِنْكِرِ وَالذِّكْرِ

وَالْحِفْظِ وَسُلْطَانِهِ الْجَوَاهِرِ الْعُقْلِيَّةِ لَتَكُونَ النَّفْسُ أَمِيرًا وَالْعُقْلُ وَزِينٌ
وَالْقُوَى جُنُودًا وَالْحِسْنَ الْمُشْتَرِكُ بَرِيدَ وَالْأَعْضَاءُ خَدَمَهُ وَالْبَدَنُ مَحَلٌ
مَهَلَكَتِهِ . وَالْحَوَاسُ بُسَافِرُونَ فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ فِي عَالَمِهِ وَيَلْتَقِطُونَ
الْأَخْبَارَ الْمُوْفَقَةَ وَالْخَالِفَةَ وَيَعْرِضُونَهَا عَلَى الْحِسْنِ الْمُشْتَرِكِ الَّذِي هُوَ
وَاسِطَةٌ بَيْنَ النَّفْسِ وَالْحَوَاسِ عَلَى بَابِ الْمَدِيَّةِ وَهُوَ يَعْرِضُهَا عَلَى الْقُوَّةِ
الْعُقْلِيَّةِ تَخَارِ مَا يُوَافِقُ وَتَطَرَّحُ مَا لَا يُوَافِقُ

فِنْ هَذَا الْوَجْهِ قَالُوا إِلَيْنَا سُلْطَانُ عَالَمٍ صَغِيرٍ وَمَنْ حَيَثُ أَنْهُ يَتَغَدَّى وَيَمْوِي
قَالُوا نَبَاتٌ وَمَنْ حَيَثُ أَنْهُ يَحْسُ وَيَتَحَرَّكُ قَالُوا حَيْوانٌ وَمَنْ حَيَثُ إِنَّهُ
يَعْلَمُ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ قَالُوا مَلَكٌ فَصَارَ مَجْمِعًا لِهِنَّ الْمَعَانِي . فَإِذَا صَرَفَ هِمَتَهُ
إِلَى جِهَةِ مِنْ هَذِهِ الْمَجَاهِاتِ يَلْتَحِقُ بِهَا . وَإِنْ كَانَ قَدْ صَرَفَ هِمَتَهُ إِلَى جِهَةِ
الْأَطْبَيْعِيَّةِ فَيَكُونُ رَضِيًّا مِنْ دُنْيَاهُ بِالتَّغْدِيَ وَتَنْقِيَةِ الْفُضُولِ . وَإِنْ كَانَ
إِلَى الْحَيْوَانِيَّةِ فَيَكُونُ إِمَامًا غَضُوبًا كَسِيعًّا أَوْ شَيْقًا كَتِيسٍ أَوْ أَكُولًا كَثُورٍ
أَوْ شَرِهًا كَحَنْزِيرٍ أَوْ ضَرَعاً كَلْبًا أَوْ حَقُودًا كَجَمِيلٍ أَوْ مُتَكَبِّرًا كَنَمِيرٍ أَوْ
دَارَوَغَانَ كَثَلَبٍ أَوْ يَجْمُعُ هَذَا كُلُّهُ فَيَكُونُ شَيْطَانًا مَرِيدًا . وَإِنْ كَانَ
صَرَفَ هِمَتَهُ إِلَى الْجِهَةِ الْمَاهِكِيَّةِ فَيَكُونُ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْعَالَمِ الْأَعْلَى وَلَا
يَرْضَى بِالْمَنْزِلِ الْأَسْفَلِ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى الْأَذْنَى
النَّظَرُ فِي الْقُوَى

الْقُوَى صِنْفٌ مِنْ الْمَلِيْكَةِ خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى لِتَدْبِيرِ الْأَبْدَانِ وَفَوَارِ
مَنَافِعِ أَعْضَائِهَا مِنْ الْأَفْعَالِ وَالْأَدْرَاكِ فَتُشَيِّهُ أَفْعَالُهَا فِيهَا أَفْعَالَ
صُنَاعِ الْبَلَادِ وَسَكَانِهَا . فَإِنْ حَالَ الْبَدَنُ مَعَ الرُّوحِ وَهُنَّ الْقُوَى تُشَيِّهُ

مَدِينَةً عَامِرَةً بِالْأَنْوَسَةِ بُسْكَانِهَا مَفْتُوحَةً أَلْأَسْوَاقِ مَسْلُوكَةً
أَطْرُقَاتِ مُشْتَغَلَةً الصَّنَاعَ وَحَالَةً عِنْدَ النَّوْمِ وَهَدْوَ الْخَوَاسِ وَسُكُونَ
أَخْرَكَاتِ تُشَيِّهُ حَالَ الْمَدِينَةِ بِاللَّيلِ إِذَا غَلَقَتْ أَبْوَابُهَا وَتَعَطَّلَتْ صَنَاعَهَا
وَنَامَ أَهْلُهَا

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّ الْبَدَنَ كَبِيتٌ مُنْقَشِي بُنْقُوشِ غَرِيبَةٍ وَصُورَ عَجِيبَةٍ
وَالْوَانِ مُخْنَلَفَةٍ وَالْقُوَى تِلْكَ الْنُقُوشُ وَالصُورُ وَالنَّفْسُ كَالسِرَاجِ الَّذِي
يُدَارُ فِي أَطْرَافِ الْبَيْتِ وَبِسَبِبِ وَصُولِ ضُوعِ إِلَى جَزَءِ الْبَيْتِ يُرَى
فِي سَقْفِهِ وَحِيطَانِهِ وَفَرْشِهِ عَجَائِبُ تَهْرُ فِيهَا بَلْ فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَّاِيَاهَا
مِثْلُ الْحَسِ وَالْعُقْلِ وَالْفَنِ وَالْقُوَى الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ وَالْجَمَالِ وَغَيْرِهَا.
إِذَا فَارَقَ الْنَّفْسَ بَطَلَتْ هُنَّيْ الْمَعَانِي كُلُّهَا كَمَا أَنَّ الْبَيْتَ عِنْدَ أَنْطِفَاءِ
السِرَاجِ لَا يُرَى لِتِلْكَ الصُورِ وَالْنُقُوشِ أَثْرٌ وَعَجَائِبُ الْقُوَى خَارِجَةٌ
عَنِ الْفَنِ لِكِنْ أَحَبَبَتْ أَنْ أَذْكُرْ بَعْضَ مَا أَدْرَكَهُ أَذْكِرْ كَيْفَ الْنُفُوسَ مِنْ
أَنْجُوكَاءَ مِنْ الْعَجَائِبِ الْمُوَدُوعَةِ فِي الْأَنْوَاعِ الْأَرْبَعَةِ مِنَ الْقُوَى
الْقُوَى الظَّاهِرَةِ وَهِيَ الْخَوَاسُ الْخَمْسُ

الْأَوَّلُ حَاسَةُ اللَّمْسِ وَهِيَ قُوَّةٌ مُنْبَثِثَةٌ فِي جَمِيعِ جَلْدِ الْبَدَنِ يُدْرِكُ
بِهَا مَا يُلَاقِيهِ وَيُوَرِّثُ فِيهِ . فَإِنَّهَا أَوَّلُ حَاسَةٍ خَلِقَتْ لِلْحَيَّاتِ حَتَّى إِذَا
مَسَتَهُ نَارٌ أَوْ حَدِيدٌ حَارِحٌ يُحَسِّسُ بِهِ فَيُهَرِّبُ مِنْهُ وَلَا يَتَصَوَّرُ حَيَّاتٌ إِلَّا
وَلَهُ هَذَا الْحَسْ حَتَّى الدُّوَدَةُ الَّتِي فِي الْطِينِ فَإِنَّهَا إِذَا غَرِزَ فِيهَا إِبْرَةٌ
أَنْقَبَضَتْ

الثَّالِثَةُ أَسْمَ وَهِيَ قُوَّةٌ فِي مَقْدَمِ الدَّمَاغِ تُدْرِكُ الْرَوَاحَةَ الَّتِي يُؤَدِّيَهَا

الْهَوَاءُ الْمُتَكَيِّفُ بِتِلْكَ الْكِيْفِيَّةِ
 أَنَّا لَهُ الْبَصْرُ وَهِيَ قُوَّةٌ مَرْتَبَةٌ فِي عَصْبَةٍ مُجَوَّفَةٍ فِي الْعَيْنِ تُدْرِكُ
 بِحُصُولِ الْأَشْيَاءِ ذَوَاتِ الصُورِ وَالْأَلْوَانِ . فَإِنَّ الصَوْءَ إِذَا سَرَّى فِي
 الْأَجْسَامِ الشَّفَافَةِ وَحَمَلَ مَعَهُ الْأَلوَانَ الْأَجْسَامِ وَأَنْصَلَ بِحَدْقَةِ الْحَيْوَانِ
 وَسَرَّى فِيهَا كَمَا يَسْرِي فِي الْأَجْسَامِ الشَّفَافَةِ أَنْصَبَغَتِ الْحَدْقَةُ بِتِلْكَ
 الْأَلْوَانِ كَمَا يَنْصَبِغُ الْهَوَاءُ بِالضِيَاءِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَجْعَلُ بِالْقُوَّةِ الْبَارِصَةِ
 الْرَّابِعَةَ السَّمْعَ وَهِيَ قُوَّةٌ مَرْتَبَةٌ فِي عَصَبٍ دَاخِلِ الْصَمَائِخِ تُدْرِكُ
 الصَوْتَ الَّذِي يُؤْدِي إِلَيْهِ الْهَوَاءُ بِالْتَّمَوُّجِ وَحَالُهُ تُشَهِّدُ بِتَمَوُّجِ الْهَاءِ
 فَإِنَّ الْهَوَاءَ أَشَدُ لَطَافَةً مِنَ الْهَاءِ . فَإِذَا وَقَعَ شَيْءٌ فِي الْهَاءِ تَحْدُثُ مِنْ
 وُقُوعِهِ كَوَايْرٍ فَكُلُّمَا اتَّسَعَ ذَلِكَ الشَّكْلُ ضَعَفَتْ حَرْكَتُهُ وَتَمَوُّجُهُ إِلَى
 أَنْ يَضَمِيلَ . فَكَذِلِكَ يَجْعَلُ مِنْ قَرْعِ الصَوْتِ الْهَوَاءَ تَمَوُّجَ فَايِ سَامِعٍ
 حَصَلَ فِي ذَلِكَ الْمَوْجِ دَخَلَ أَذْنَهُ فَتَحْسَسُ بِهِ الْقُوَّةُ السَّامِعَةُ
 الْخَامِسَةُ الدُّوْقُ وَهِيَ قُوَّةٌ مَنْبَشَةٌ فِي حِرْمِ الْلِسَانِ يُدْرِكُ بِهَا مَا يُهَاشُهُ
 مِنَ الْمَطْعُومِ بِوَاسِطةِ الرُّطُوبَةِ الْعَدَبَةِ الَّتِي تَحْتَ الْلِسَانِ . فَإِنَّ تِلْكَ
 الرُّطُوبَةَ تُخَالِفُ الْجَسْمَ الَّذِي فِيهِ كِيْفِيَّةُ الْطَعْمِ فَتَتَكَيَّفُ بِتِلْكَ الْكِيْفِيَّةِ
 فَيَجْعَلُ الْإِحْسَاسُ بِالْطَعْمِ



فَصْلٌ فِي الدَّوَابِ

وَهِيَ النَّوْعُ الْثَالِثُ مِنَ الْحَيَوانِ

هَذَا النَّوْعُ أَحْسَنُ الْبَهَائِمُ صُورَةً وَأَكْثُرُهَا نَفَعاً. وَلَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ
 لَطِيفُ الْبَدَنِ بَطِيَّ الْمَشِيِّ كَثِيرُ الْعَدُوِّ مِنْ جِنْسِهِ وَتَحْتَ جِنْسِهِ وَحْرَكَانُهُ
 فَاصِصَةٌ عَنِ الْوَفَاءِ بِمَقَاصِدِهِ مِنَ الْطَّلَبِ وَالْهَرَبِ أَفْتَضَتِ الْحِكْمَةُ إِلَيْهِ
 خَلَقَ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْحَيَوانِ وَهَدَاهُ إِلَى تَدْلِيلِهَا وَتَصْرِيفِهَا تَحْتَهُ فِي
 الْخَيَاءِ مَقَاصِدِهِ لِتَقُومَ لَهُ مَقَامُ الْجُنَاحِ لِلْطَّائِرِ وَالْقَوَاعِمِ لِلْبَهَائِمِ وَالْدَّوَابِ.
 وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ أَذَانَهَا إِنَّمَا خُلِقُتْ فَوْقَ رَأْسِهِمْ دَاتَ حَرَّكَانَ شَقَّ لِيَحَادِيَ
 الْشَّقْبُ جِهَاتٍ شَقَّ وَتَرَدَ الْهَوَاءُ إِلَيْهِ فَتَكُونُ فَائِئَةُ السَّعْيِ أَكْثَرُهُ.
 وَلَمَّا كَانَ الْفَرَسُ أَذْكَرَ حِسَاسًا مِنَ الْحِمَارِ خُلِقَتْ أَذْنُهُ أَصْغَرُ مِنْ أَذْنِ الْحِمَارِ
 وَذَنْبُهُ أَطْوَلُ مِنْ ذَنْبِ الْحِمَارِ لِأَنَّ الْفَرَسَ يَكْفِيهِ مِنْ قَرْعِ الْهَوَاءِ دُونُ
 مَا يَكْفِي الْحِمَارُ لِصَفَاءِ حِسَسِ الْفَرَسِ وَكُدُورَةِ حِسِّ الْحِمَارِ وَكَذِيلَكَ طُولُ
 ذَنْبِهِ لِأَنَّ إِحْسَاسَهُ بِلَدْغِ الْهَوَاءِ فَوْقُ إِحْسَاسِ الْحِمَارِ فَجِعْلَ طَاقَاتُ
 ذَنْبِهِ طَوِيلَةً لِيَطْرَدَ بِهَا الْهَوَاءَ عَنْ بَدَنِهِ
 وَلَمَّا كَانَ الْمَطْلُوبُ مِنَ الْدَّوَابِ السَّيرُ صُلِبَتْ حَوَافِرُهَا لِيمُكِنَ الْمَشِيُّ
 الْكَثِيرُ عَلَيْهَا وَلِتَكُونَ سِلَاحًا دَافِعًا لِلْعَدُوِّ. فَإِنَّ كُلَّ حَيَوانٍ لَهُ حَافِرٌ لَا
 قَرْنَ لَهُ لِأَنَّ الْمَادَّةَ لَا تَقْيَ بِهَا جَيْعًا وَكُلُّ حَيَوانٍ لَهُ قَرْنٌ لَا حَافِرٌ لَهُ بَلْ لَهُ
 ظِلْفٌ فَإِنَّ الْمَادَّةَ تَقْيَ بِهَا جَيْعًا فَتَنِمُ كَلَّةَ الْمَشِيِّ وَالسِّلَاجِ فَسُبُّحَاتٌ مَنْ
 أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ مَا بَسْتَحْقَهُ دُونَ الْزِيَادَةِ وَالنَّفَصَانِ

فَصْلٌ فِي النُّعْمَ وَهِيَ النُّوْعُ الرَّابِعُ

هَذَا النُّوْعُ كَبِيرُ الْفَائِقِ شَدِيدُ الْأَنْقِيادِ لَيْسَ لَهُ شَرَاسَةُ الدَّوَابِ وَلَا
نَفْرَةُ السَّبَاعِ وَلِشَدَّةِ حَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهَا مَمْكُلٌ لَهَا سِلَاجُ شَدِيدٌ كَانِيَابِ
السَّبَاعِ وَبَرَاثِيَابِ وَأَنِيَابِ الْحَسَرَاتِ وَفَارِبِهَا . شَانِهَا الْثَّبَاتُ وَالصَّبْرُ عَلَى
الْتَّعَبِ وَالْجُوعِ وَالْعَطْشِ وَخُلْقَتْ دَلُولًا وَخُلْقَ الْقُرْنُ سِلَاحًا لَهَا الْسَّتَّارَكِ
نَقْصِيرَ الْحَافِرِ وَجَعَلَ لَهَا بَدَلَ الْحَافِرِ ظَافِلَ قُصُورَ الْمَادَةِ عَنِ الْحَافِرِ
وَالْقُرْنِ . وَرُبَّمَا صَرِفَتِ الْمَادَةُ فِي جِهَةِ أَنْفَعِ وَتَرَكَتِ الْجِهَةُ الَّتِي هِيَ أَفَلَّ
نَفْعًا كَبِيرُ الْفَلَكِ الْأَعْلَى لِلْبَقِيرِ بِلَاسِنٍ وَصَرَفَ مَادِيَهَا إِلَى الْقُرْنِ
وَالْقُوَّةُ الْمُدَبِّرَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى نُوَيْدُ الْحَيَوانَ إِمَّا بِسِلَاجٍ أَوْ جَنَّةٍ
أَوْ هَرَبٍ وَأَيُّ هُنْ فُقِدَتْ مَادَتُهُ دُبِرتْ بِهَادِهِ أُخْرَى حَتَّى يَكُونَ لَهُ مَا
يَخْتَاجُ إِلَيْهِ فِي بَقَاءِ سَخْنِهِ وَنَوْعِهِ

إِنَّ النُّعْمَ لَهَا كَانَ أَكْلُهَا الْحَشِيشَ أَفْتَضَتِ الْحِكْمَةُ الْإِلهِيَّةُ لَهَا أَفْوَاهَا
وَاسِعَةً وَأَسْنَانًا حِدَادًا وَأَضْرَاسًا صِلَابًا لَتَطْحَنَ بِهَا الْصَّلَبَ مِنَ الْجَبَرِ
وَالنَّوْءِ . وَلَمَّا أَفْقَرَتْ إِلَى زِيَادَةِ قُوَّةِ لِتَمَكَّنَ مِنَ الْعَمَلِ الْمَطْلُوبِ
مِنْهَا خُلِقَ لَهَا كَرْشٌ وَاسِعٌ لَتَحْمِلَ فِيهِ مِنَ الْعَلَفِ شَيْئًا كَثِيرًا يَنِي بِغَذَائِهَا
وَادَارَ جَعْتَ إِلَى أَمَاكِنَهَا تَجْعَلُهُ بِالْأَجْنَارِ مُنْهَيًا لِلنُّصُبِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ تُمِيزُ
طَيْبَعَتِهَا لَطِيفَهُ مِنْ ثَقِيلِهِ فَتَجْعَلُ الْتَّيْنَ الْيَابِسَ لَحْمًا وَدَمًا . وَمِنَ الْجَبَرِ
الْقُوَّةُ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي أَضْرَاسِهَا فَإِنَّهَا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي الْطَّحْنِ
لَا تَقْتُرُ إِلَّا قَلِيلًا فَلَوْ كَانَتْ مِنَ الْحَدِيدِ الَّذِي كَرِ لَأَنْخَسَفَتْ وَتَفَتَّتْ

وَلَنْذُكْ بَعْضَ مَا يَتَعْلَقُ بِواحِدٍ وَاحِدٍ
 زَرَافَةٌ. رَأْسُهَا كَرَاسُ الْإِبْلِ وَقَرْنَاهَا كَفْرَنِ الْبَقَرِ وَجَلْدُهَا كَجَلْدِ النَّمَرِ
 وَقَوَائِمُهَا كَمَا لِلْبَعِيرِ وَظَلَالُهَا كَمَا لِلْبَقَرِ. طَوِيلَةُ الْعُنْقِ حِدَّا طَوِيلَةُ
 الْيَدَيْنِ قَصِيقَةُ الْجَلْدَيْنِ وَصُورَتُهَا يَالْبَعِيرِ أَقْرَبُ وَجَلْدُهَا يَالْبَقَرِ أَشَبُهُ
 وَذَنْبُهَا كَذَنْبِ الْظِبَابِ. قَالُوا الْزَرَافَةُ مُتَوَلَّةٌ مِنْ نَاقَةٍ الْحَبَشَةِ وَالْبَقَرَةِ
 الْوَحْشِيَّةِ وَالضَّبْعَانِ وَذَلِكَ أَنَّ الضَّبْعَانَ يَلِادُ الْحَبَشَةِ يَسْفِدُ النَّاقَةَ فَتَحِيُّ
 يَوْلَدَيْهَا بَيْنَ خَلْقَةِ النَّاقَةِ وَالضَّبْعَانِ. فَإِنْ كَانَ وَلَدُ تِلْكَ النَّاقَةِ ذَكْرًا
 وَلَحِقَ بِالْمَهَأَةِ أَتَتْ بِالْزَرَافَةِ

وَحَكِيَ طِيمَاتُ الْحَكِيمِ أَنَّ بِجَانِبِ الْمَجْنُوبِ يَقْرُبُ خَطًّا إِلَى سَوَاءِ
 بِالصَّيفِ تَجْمِيعُ حَيَوانَاتٍ مُخْتَلِفةٍ الْأَنْوَاعِ عَلَى مَصَانِعِ الْمَاءِ مِنْ شِلَّةِ
 الْعَطَشِ فَرَبَّمَا سَافَدَتْ غَيْرُ أَنْوَاعِهَا فَيَتَوَلَّدُ مِنْهُ مِثْلُ الْزَرَافَةِ وَالسَّمْعَنِ
 وَالسِّبَارِ وَمَثَالِهَا. وَالْزَرَافَةُ مِنَ الْحَلْقِ الْعَجِيبِ لَيْسَ عِنْدَهَا إِلَّا ظَرَافَةُ

الصُّورَةُ وَغَرَابَةُ التِّتَاجِ

ظِبَابُ الْمِسْكُ. فَإِنَّهَا كَظِبَابٍ بِلَادِنَا إِلَّا أَنَّهَا نَانَيْنِ مُعْقَنَفِينِ خَارِجَيْنِ
 مِنَ الْقَمَرِ كَمَا لِلْفِيلِ. فَرَبَّمَا أَصْطِيدَتْ وَالْمِسْكُ فِي سُرَّتِهَا غَيْرُ نَضِيجٍ
 تَكُونُ فِيهِ زُهُوكَةٌ وَسَيِّلَةُ سَيِّلُ الشِّمارِ إِذَا قُطِفتْ قَبْلَ إِدْرَاكِهَا فَإِنَّهَا
 تَكُونُ نَاقِصَةُ الْطَّعْمِ وَالرَّائِحةِ. وَأَجُودُ الْمِسْكِ مَا أَلْقَاهُ الْغَزَالُ وَذَلِكَ
 أَنَّ الْطَّبِيعَةَ تَدْفَعُ مَوَادَ الدَّمِ إِلَى سُرَّتِهِ فَإِذَا أَسْتَحْكَمَ الدَّمُ فِيهَا وَنَضِيجٍ
 تَحْدُمِنِ ذَلِكَ أَذِيَّةٌ وَحَكَّةٌ فِي سُرَّتِهِ فَيَفْزَعُ حِينَئِذٍ إِلَى صَخْنَ حَادَّةٍ فَيَجْعَلُ
 فِيهَا مُتَدَدِّيَّا بِذَلِكَ فَتَتَجَرَّبُ الْمَادَةُ حِينَئِذٍ وَتَسِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنْجَمِرِ كَمَنْجَرِ

الْخَرَاجُ وَالدَّمَاءِ مِلْ إِذَا نَضَجَتْ فَنَمِدُ الْغَزَالُ بِخُرُوجِهَا لَذَّةً . وَالنَّاسُ
يَتَبَعُونَ مَرَأِيهَا فِي الْجَبَالِ فَيَحْدُوْنَ ذَلِكَ الدَّمَ قَدْ جَمَدَ عَلَى تِلْكَ
الصُّخْرِ فَيَحْكُونَهُ وَيَدْعُونَهُ فِي نَوَافِعِ مَعْدَةِ لِذَلِكَ فَذَلِكَ أَفْضَلُ
الْمِسْكِ تَسْتَعِمِلُهُ مُلُوكُهُ وَيَتَهَادُونَهُ فِيمَا يَئْنُمُ
فَصْلٌ فِي السَّبَاعِ وَهِيَ النَّوْعُ الْخَامِسُ

دُبٌ . حَيَّانٌ جَسِيمٌ يُحِبُّ الْعُزْلَةَ فَإِذَا جَاءَ الشَّتَاءَ يَدْخُلُ وِجَارَهُ
الَّذِي أَخْتَنَ فِي الْغَيْرَاتِ وَلَا يَخْرُجُ حَتَّى يَطِيبَ الْهَوَاهُ إِذَا جَاءَ يَمْسُّ
يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَدْفَعُ بِذَلِكَ جُوعَهُ وَيَخْرُجُ مِنْ وِجَارِهِ فَصْلٌ الرَّبِيعُ
أَسْمَنٌ مِمَّا كَانَ وَيُخَاصِمُهُ الْبَقَرُ فَإِذَا نَطَحَهُ الْبَقَرُ أَسْتَلَقَ وَيَأْخُذُ بِيَدِهِ قَرْنَيْهِ
وَيَعْصُهُ عَصَاصًا شَدِيدًا يَقْهَرُ

وَالدُّبُبةُ إِذَا وَلَدَتْ يَكُونُ وَلَدَهَا كَفِطْعَةٌ لَمْ تَخَافْ عَلَيْهَا مِنَ النَّمْلِ
فَتَنْقُلُهَا مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ فَإِذَا صَلَبَ بَدَنُ الْوَلَدِ أَقْرَتَهُ فِي مَوْضِعٍ
وَرَبِّهَا تَرُكُ أَوْ لَادَهَا وَتَرْضُعُ وَلَدَ الْفَصْبُ . وَهَذَا تَقُولُ الْعَرَبُ فُلَانٌ
أَحْقَقُ مِنْ جَهِينَةٍ وَهِيَ الْأُنْثَى مِنَ الدُّبِّ

فَصْلٌ فِي الطَّيْورِ وَهِيَ النَّوْعُ السَّادِسُ

هَذَا النَّوْعُ مِنَ الْحَيَّانِ مُخْنَصٌ بِخَفْفَةِ الْبَدَنِ وَفَقِدَ أَعْصَاءً كَثِيرَةً
وَجِدَتْ فِي غَيْرِهِ . وَالْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَهَا خَلَقَ الْحَيَّانَ
وَجَعَلَ بَعْضَهَا عَدُوا لِبَعْضٍ أَعْطَى لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِمَامًا قَوَّةً وَسِلَاحًا
يَدْفَعُ بِهَا عَدُوَهُ كَمَا لِلَّدَوَابِ وَالسَّبَاعِ أَوْ أَلَّهَ يَهْرُبُ بِهَا كَمَا لِلْوُحُوشِ
وَالطَّيْورِ . وَأَمَّا الْوُحُوشُ فَالآتُهَا قَوَائِمُهَا وَأَمَّا الطَّيْورُ فَالآتُهَا أَجْنِحُهَا .

ثُمَّ إِنْ هُنَّ إِلَّا لَهَا فَتَضَطَّ خِفَةً أَجْبَحَةً إِذْ لَوْ كَانَتْ أَجْبَحَةً كَيْنَ أَفْتَضَتْ
 كِبَرَ أَجْبَحَاجَ وَأَجْبَحَاجَ الْكَيْرُ لَا يَحْصُلُ مِنْهُ سُرْعَةُ الطَّيرَانِ بَلْ يَكُونُ
 طَيرَانُهُ بَطِيَّا لَا يَزِيدُ عَلَى سُرْعَةِ الْمَشِيِّ فَلَا يَحْصُلُ الْغَرَضُ الْمَطْلُوبُ
 وَمِنَ الْعَجَابِ طَيرَانُ الطَّيرِ فِي الْهَوَاءِ وَعَدَمُ سُقُوطِهِ وَالْهَوَاءُ أَخْفَ
 مِنْهُ وَهُوَ أَنْقُلُ مِنْهَا . فَمَا أَفْتَضَى هُنَّ إِلَّا لَهَا خِفَةً أَجْبَحَةً نَقْصَ مِنْهَا أَعْضَاءً
 كَثِيرَةٌ تُوجَدُ فِي غَيْرِهَا مِنَ الْحَيَاةِ الْأَنْوَاتِ الَّتِي تَلَدُ وَتُرْضَعُ لِيَسْخَفَ عَلَيْهَا
 الْنُّهُوضُ وَيَسْهُلُ الطَّيرَانَ كَالْأَسْنَانِ وَالْأَذَافِنِ وَالْكَرِشِ وَالْمَشَانَةِ
 وَخَرَازَاتِ الظَّهَرِ وَأَجْمَدِ الْغَيْنِينِ . وَإِذَا تَامَّتْ خِلْقَةُ الطَّيرِ وَجَدَتْ نِسْبَةً
 قُدَامِهِ إِلَى أَسْفَلِهِ كِنْسَبَةً يَبْيَنِهِ إِلَى شَمَالِهِ فَإِنْ كَانَ طَوِيلًا الرَّقَبَةَ تَطُولُ
 أَبْصَارِ جَلَاهُ وَلَمَّا فَصَرَتْ رَقْبَتُهُ فَصَرَتْ رِجْلَاهُ . وَلَوْ تَنْتَ ذَنَبُ الطَّيرِ
 لَمَّا إِلَى قُدَامِ كَالْسَّفِينَةِ الَّتِي حَفَّ مُؤَخْرُهَا . قَالَ أَجْبَحَاجَ حَظَ كُلُّ طَائِرٍ
 جَيْدَ أَجْبَحَاجَ يَكُونُ ضَعِيفًا الرَّجْلَيْنِ كَالْزَرَازِيرِ وَالْعَصَافِيرِ وَإِذَا قُطِعَتْ
 رِجْلَاهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الطَّيرَانِ كَمَا إِذَا قُطِعَتْ يَدُ الْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ
 عَلَى الْعَدُوِّ وَكُلُّ طَائِرٍ يُبَعَّ الْمَاءَ يَرْقُ فَرَخَهُ . وَمِنَ الطُّيُورِ مَا أُعْطِيَ
 الْعَجَبَ فِي لَوْنِهِ كَالْطَّاوُوسِ وَالْبَيْغاً وَأَيِّ بَرَاقِشَ . وَمِنْهَا مَا أُعْطِيَ فِي
 حَلْقِهِ كَالْحَمَامِ . وَمِنْهَا مَا أُعْطِيَ فِي حَنْجَرَتِهِ كَالْبَلَالِ وَالْقَنَابِرِ . وَمِنْهَا مَا
 أُعْطِيَ الْعَجَبَ فِي تَرْكِيبِ أَعْضَاءِهِ كَالْقَافِيِّ وَالْكَرَاكِيِّ وَالْسَّعَائِمِ . وَمِنْهَا مَا
 أُعْطِيَ فِي صَنْعِهِ كَالْخَطَافِ وَالْتَّنْوُطِ وَالْقَنْبَرَةِ . وَسَدَدَ كُرْ بَعْضَهَا وَمَا
 يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنَ الْعَجَبِ وَتَرْتِيبَ أَسْمَاءِهَا عَلَى حُرُوفِ الْمُعْجمِ
 بُلْبُلٌ . يُقَالُ لَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ هَزَارَ دَسْتَانُ طَائِرٌ صَغِيرٌ أَجْبَحَةٌ سَرِيعٌ الْحَرَكَةٌ

فَصِحْجُ الْلِسَانِ كَثِيرُ الْأَنْجَانِ يَسْكُنُ الْبَسَاتِينَ وَلَهُ شَغْبٌ وَيُوجَدُ أَيَّامُ
الْوَرَدِ. يَقُولُونَ إِنَّهُ يُحِبُّ الْوَرَدَ فَإِذَا رَأَى مَنْ يَقْطُفُهُ يُكِثِرُ صِيَاحَهُ.
لَا يَصِيرُ عَنِ الْمَاءِ سَاعَةً لِفَرْطِ حَرَارَتِهِ وَلَا يَنْزَوْجُ إِلَّا فِي الْبَسَاتِينِ
وَالرِّيحُ تَعِصِّفُ بِهِ مِنْ صِغَرِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ ذَلِكَ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْرِّيحِ لَمْ
يَخْرُجْ أَصْلًا

جَارَهُ . طَائِرٌ يُقَالُ لَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ جَرَزٌ قَالُوا مَا فِي الْطَيُورِ أَشَدُ
بِلَهَا مِنْهَا لِأَنَّهَا تَنْرُكُ بِيُضَّهَا وَتَحْضُنُ بِيُضَّغِيرِهَا وَفِي الْمَثَلِ كُلُّ شَيْءٍ
يُحِبُّ وَلَدَهُ حَتَّى الْحَبَارَى . فَإِذَا وَقَعَ ذَرْفُهُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الطَيُورِ يَعْمَلُ
عَمَلَ الدِّبْقِ . وَالْعَرْبُ تَقُولُ الْحَبَارَى سِلَاحُهُ سُلَاحُهُ . وَإِذَا قَصَدَ
الصَّفَرُ لَا يَزَالُ بَعْلُو وَيَنْتَلُ مَعَ الصَّفَرِ حَتَّى يَجِدُ فَرْصَةً فَرَمَاهُ يَدْرِقُهُ يَبْقَى
الصَّفَرُ مُقَيَّدًا مِثْلَ الْمَكْتُوفِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ تَجْمِيعُ عَلَيْهِ الْحَبَارَيَاتُ وَتَتِيفُ
رِبْشُهُ وَفِي ذَلِكَ هَلَاكُ الصَّفَرِ . وَالْحَبَارَى إِذَا حَسَرَ وَتَحَسَّرَ مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ
الْطَيُورِ فَيَنْبِتُ رِيشُ صَاحِبِهِ قَبْلَهُ فَيَمُوتُ كَمَدًا يُقَالُ فِي الْمَثَلِ مَا تَ
كَمَدَ الْحَبَارَى

خُطَاطُ . طَائِرٌ لَا يَزَالُ يَنْتَلُ مِنَ الْصُّرُودِ إِلَى الْمُجْرُومِ وَيَتَبَعُ الْرِّيقَ .
إِذَا عَرَفَ أَسْتِقبَالَ الصَّيفِ يَا خُذْ فِرَاخَهُ وَيَبْشِيْهَا إِلَى الْوَكِرِ الَّذِي
تَرَكَهُ فِي الْبَلَادِ الْآخِرِ وَلَا يَبْقَى مِنْهَا وَاحِدٌ إِلَّا رَجَعَ إِلَيْهِ وَكُنِيْ
وَيَنْخُذُ الْوَكِرَ مِنَ الْطِينِ الْمُخْلُوطِ بِالشَّعْرِ لِيَبْقَى بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ وَيَقْوَى
كَطِينَ الْمِحْكَمَةِ . وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّهُ يَعْمَلُ بَعْضَهُ وَيَتَرَكُهُ حَتَّى يَحْفَظَ
ثُمَّ يَعْمَلُ الْبَعْضَ الْآخَرَ . فَلَوْ عَمِلَهُ كُلُّهُ دَفْعَةً وَاحِدَةً لَتَشَاقَّ وَسَقَطَ

وَإِذَا أَرَادَ اِتْخَادَ الْوَكْرِ عَوْنَهُ الْحَطَاطِيفُ فَإِذَا فَرَغَتْ تَأْنِي بِالْمَاءِ فِي
أَفْوَاهِهَا وَسُوِّيَ بِهِ بَاطِنَ الْوَكْرِ وَتَمَلِسَهُ وَتَزَيلُ خُشُونَتَهُ . وَتَضَعُ
الْسَّدَابَ فِي أَوْكَارِهَا لِدَفْعِ الْجَيَّاتِ وَالْذَّبَابِ وَالْبَعْوضِ . وَمِنَ الْمَسْهُورِ
أَنْ عُشَ الْخُطَافُ يُحَلُّ فِي الْمَاءِ وَيَسْقِي صَاحِبَةَ الْطَّلَقِ فَتَضَعُ بِسُهُولَةٍ
خُفَّاشُ . طَائِرٌ مَشْهُورٌ ضَوْءٌ بَصِيرٌ ضَعِيفٌ يَسْتَرِه شَعَاعُ الشَّمْسِ
لَا يَخْرُجُ إِلَّا يَنْ أَظْلَامَ وَالْفِضَيَّاتِ . شَيْهٌ بِالْفَارِ جَنَاحُهُ جَلَانٌ رَفِيقَةٌ وَلَهُ
أَسْنَانٌ وَالْأُنَثَى هَانَدَبِيَ كَمَا لِلْفَارِ تُرْضُعُ أَوْلَادَهَا تَصِيدُ الْذَّبَابَ
وَالْبَقَ وَأَمْتَالَهَا . وَرُبَّمَا تَأْخُذُ وَلَدَهَا فِي فَهَا وَتَطِيرُ وَتُرْضُعُ وَلَدَهَا .
وَتَأْكُلُ الرُّمَانَ عَلَى الشَّجَرَ وَتَنْزَكُهَا فِشْرًا مُجَوَّفًا . وَتَهْرُبُ عَنْ
الْدُّلْبِ إِذَا نَزَلَ فِي مَدَانِهَا وَإِذَا عَلِقَتْ خُفَّاشَةً فِي شَجَرَ قَرِيبَةٍ جَاؤَهَا
الْجَمَادُ عَنْهَا

غَوَّاصٌ . طَائِرٌ يُقَالُ لَهُ بِالْفَارِ سَيِّهَ مَا هِيَ خَوارُ . يُوجَدُ بِالْبَصَرِ عَلَى
طَرَفِ الْأَنْهَارِ بِغُوصٍ فِي الْمَاءِ مَعْكُوسًا بِقُوَّةِ شَدِيدَةٍ وَيَلْبِسُ نَحْتَ
الْمَاءِ وَالْمَاءَ لَا يُعْلِيهِ مَعَ خِفَةِ بَدْنِهِ . حَتَّى بَعْضُمُهُ قَالَ رَأَيْتُ غَوَّاصًا غَاصَ
وَطَلَعَ بِسَمْكَةٍ فَغَلَبَهُ الْغَرَابُ وَأَخَذَ السَّمْكَةَ مِنْهُ فَغَاصَ مَنَّاً أُخْرَى وَطَلَعَ
بِسَمْكَةٍ أُخْرَى وَقَرَبَهَا مِنَ الْغَرَابِ وَأَشْتَغَلَ الْغَرَابُ بِاَخْذِهَا فَوَثَبَ
الْغَوَّاصُ وَأَخَذَ بِرِجلِ الْغَرَابِ وَغَاصَ بِهِ وَوَقَفَ نَحْتَ الْمَاءِ حَتَّى أَخْتَنقَ
الْغَرَابُ وَخَرَجَ الْغَوَّاصُ سَالِمًا
قَطَا . طَائِرٌ مَعْرُوفٌ بِسَيِّهِ يَصُوتُهُ يُقَالُ فُلَانٌ أَصْدَقُ مِنَ الْقَطَا .
تَيَضُّ فِي الْبَرَارِي وَتَغْبَبُ عَنْهَا أَيَّامًا وَتَعُودُ إِلَيْهَا يُقَالُ فُلَانٌ أَهْمَدَى مِنَ

القطاً وَلَا ينامُ الْلَّيْلَى وَيَأْتِي الْجَادَةَ لِيَكُونَ عِنْدَهُ مِنَ الْمَارِينَ خَبْرًا وَلَهُ
أَخْوَصَةٌ عَجِيبَةٌ فِي وَسْطِ الْحَشِيشِ مُثَلَّ بِهَا الْقَافِيلُ مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ
مِثْلَ مَفْصِصٍ قَطَاطِ بَنَى اللَّهُ لَهُ يَبْنَا فِي الْجَنَّةِ

فَصْلٌ فِي الْهَوَامِ وَالْحَشَرَاتِ وَهِيَ النَّوْعُ السَّابِعُ

هَذَا النَّوْعُ لَا يُمْكِنُ ضَبْطُ أَوْ صَافِيهِ وَأَصْنَافِهِ لِكَثْرَتِهِ . قَالَ بَعْضُ
الْمُفَسِّرِينَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ تَحْقِيقَ قَوْلِ مَنْ قَالَ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ
فَلَيُوْقَدْ نَارًا فِي وَسْطِ غَيْصَةٍ بِاللَّيْلِ ثُمَّ لِيَسْتُرُ مَا يَغْشِي تِلْكَ النَّارَ مِنَ
الْحَشَرَاتِ فَإِنَّهُ يَرَى صُورًا عَجِيبَةً وَأَسْكَالًا غَرِيبَةً لَمْ يَكُنْ يَظْنَنَ أَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى خَلَقَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْخَلْقَ الَّذِي يَغْشِي نَارَهُ يَخْتَلِفُ
بِالْخِلَافِ مَوَاضِعُ الْغِيَاضِ وَالْجَبَالِ وَالسُّهُولِ وَالْبَرَارِيِّ . فَإِنَّ فِي كُلِّ
بَقْعَةٍ مِنْ هَذِهِ الْبَقَاعِ الْوَانًا مِنَ الْخُلُوقَاتِ مُخَالِفَةً لِمَا فِي الْبَقْعَةِ الْأُخْرَى .
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ أَيُّهُ فَائِدَةٌ فِي هَذِهِ الْهَوَامِ مَعَ كُثْرَتِ ضَرَرِهَا وَلَمْ
يَدْرِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُرَايِي الْمَصَاحِفَ الْكَلِيَّةَ كِإِرْسَالِ الْمَطَرِ فَإِنَّ فِيهِ مَصَاحِفَ
الْمِلَادِ وَالْعِبَادِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ حَرَابٌ بَسْتِ الْعُجُوزِ

فَهَذِهِ أَخْلَقُ هَذِهِ الْحَشَرَاتِ مِنَ الْمَوَادِ الْفَاسِدَةِ وَالْعُفُونَاتِ الْكَائِنَةِ لِتَصْفُرُ
أَهْوَاءً مِنْهَا وَلَا يُعْرِضُ لَهَا الْفَسَادُ الَّذِي هُوَ سَبُّ الْوَبَاءِ وَهَلَاكَ الْحَيْوانَ
وَالْبَنَاتِ إِنْ كَانَ يَتَضَمَّنُ لَسْعَ الْبَقَّ . وَالَّذِي يُحْقِقُ ذَلِكَ أَنَّا نَرَى
الْذُبَابَ وَالْدِيدَانَ وَالْخَنَافِسَ فِي دُكَّانِ الْفَصَابِ وَالْدَّبَابِسِ أَكْثَرَ حِمَا نَرَى

(١) ان الحشرات لم تكن عن المواد الفاسدة العفنية بل عن زرعها الخاص بها في الحالة

هذه تناسل نظير كل حيوان على ما علمته العلوم الصالحة المبنية على الأصول الصادقة

في دَكَانِ الْبَزَارِ وَالْمَدَادِ. فَاقْتَضَتِ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ صَرْفَ الْعُفُونَاتِ
إِلَيْهَا لِنَصْفُ الْهَوَاءِ مِنْهَا وَتَسْلُمُ مِنَ الْوَبَاءِ. ثُمَّ جَعَلَ صِغَارَهَا مَاكُولاً
لِكَبَارَهَا وَالْأَمْتَلَا وَجْهُ الْأَرْضِ مِنْهَا. فَلَيْسَ فِي مَلْكُوتِهِ ذَرَّةٌ إِلَّا وَفِيهَا
مِنْ الْحِكْمَمِ مَا لَا يُحْصَى. وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَا أَنَّ كُلَّ مَا جُعِلَ سَهْهُ سَبِيلًا هَلَالَكَ
حَيَّانٍ جُعِلَ لَحْمَهُ سَبِيلًا لِدَفْعِ ذِلِّكَ السَّمَّ. فَإِنَّ الْأَطْبَاءَ الْأَقْدَمِينَ
وَجَدُوا فِي لَحْمِ الْحَيَّةِ فُؤَادَهَا نَقاومُ سَهْهَا فَأَدْخَلُوا لَحْمَهَا فِي التَّرِيَاقِ.
وَالْتَّجَرِيَّةُ تَشَهِّدُ أَنَّ مَنْ لَسْعَتْهُ الْعَرَبُ يَلْطُخُ الْمَوْضَعَ بِرُطُوبَةِ الْعَرَبِ
يُسْكِنُ الْمَهَا فِي الْحَالِ

ثُمَّ أَنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ الْحَيَّانِ يَخْتَلِفُ حَالُهَا عِنْدَ الشِّتَاءِ. فَمِنْهَا مَا
يَمُوتُ مِنْ بَرَدِ الْهَوَاءِ كَالْدِيدَانِ وَالْبَقِّ وَالْبَرَاغِيْثِ. وَمِنْهَا مَا يَكُنُّ فِي
الشِّتَاءِ وَلَا يَأْكُلُ شَيْئًا كَالْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبِ. وَمِنْهَا مَا يَذَّهَرُ مَا يَكْنِيْهَا
إِشْتَاعَهَا كَالْخَلِيلِ فَإِنَّهَا لَا تَعِيشُ يَلَا طُعمٌ وَلَنْذُكُرْ بَعْضَهَا مُرْتَبًا عَلَى حُرُوفِ
الْمُعْجمِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

بُرْغُوثُ. هُوَ أَسْوَدُ أَحَدَبُ ضَامِرٍ إِذَا وَقَعَ نَظَرُ الْإِنْسَانِ عَلَيْهِ أَحَسَّ
بِهِ فَيَشُبُّ تَارَةً إِلَى الْبَيْمِينِ وَتَارَةً إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَغِيبَ عَنْ نَظَرِ
الْإِنْسَانِ. قَالَ أَجْمَاحِيْطُ إِنَّهَا تَيْضُ وَتَفْرِخُ. قَالُوا عِنْهُ خَمْسَةُ أَيَّامٍ.
زَعَمُوا أَنَّ الْبَرَاغِيْثَ مِنَ الْخَلْقِ الَّذِي يُعَرِّضُ لَهُ الطَّيْرَانُ فَيَصِيرُ بَقَا كَمَا
يُعَرِّضُ لِلَّدَعَامِيْصِ الطَّيْرَانُ فَتَصِيرُ فَرَاشَا. وَزَعَمُوا أَنَّ الْبُرْغُوثَ يَأْكُلُ
الْقَمَلَ الَّذِي فِي الشَّيَابِ وَيَمُوتُ مِنْ رَأْيَهُ وَرَقِ الدِّفْلِي
بُعْوضٌ. هُوَ حَيَّانٌ فِي غَايَةِ الصِّغَرِ عَلَى صُورَةِ الْفَيْلِ وَكُلُّ عُضُوٍ خَلْقِ

للغيل فلبعوض مثله مع زيادة جناحين. فسبحان من قسم له الأعضاء
 الظاهرة والباطنة والقوى كذلك كحيوان الكبير. انظر إلى صغر
 جسمه فإن الطرف بالشدة يدخله الصغر. ثم إلى رأسه فإن رأسه كم
 يكون من جسمه وفيه القوة الباقية والسامعة. ثم إلى دماغه وانظر كم
 يكون دماغه من رأسه فإن فيه القوى الباطنة الخمس. وفيها الحس
 المشترك لآنها ترى الحيوان تمثيل إليه. وفيها الحسال لأنها إذا وقعت
 على الحيوان تعمس حروطها وإذا وقعت على أحاسيس لا تفعل ذلك.
 وفيها الوجه لأنها تفرق بين من يقصد هما فترب وبين من لا يقصد هما
 فتبقي. وفيها أحافضة لأنها إذا أخذت الدم تهرب في الحال لعلها
 يأنها أوجعت فتاتيها صدمة المتألم. وفيها المتفكر لأنها إذا أحسست
 بمحركه يد الإنسان تهرب لعلها أنها مهلكة وإذا سكن ينعادت إلى
 مكانها لعلها أن المدنا في ذهب وأن محل الغذاء خلا. ولها حروط
 أدق شيء يمكن أن يقال ومع دقتها مجوف حتى يجري فيه الدم الرقيق
 وخلق في رأس ذلك الحرطوم قوة تضرب بها جلد الغيل والجاموس
 تُنفذ فيها الغيل والجاموس يهربان من البوض في الماء
 دود الفز. دودية إذا شئت من المرغى طابت مواضعها من
 الأشجار والشوك ومد من لعابها خيوطاً دقاقاً ونسجت على نفسها كبة

(١) قد قسم الفروبي القوى الباطنة في الحيوان إلى قسمين إلى مدركة وإلى عقلية فنسب المدركة إلى الحيوان الحض وقد نشأت عن ميله الغربي. أما العقلية فقد اخصها بالحيوان الناطق وهو الإنسان لا غير

مِثْلَ كِيسٍ لَعْكُونَ سِرْبَا لَهَا مِنَ الْخَرِّ وَالْبَرْدِ وَالرِّبَاحِ وَالْأَمْطَارِ وَنَامَتْ
 إِلَى وَقْتٍ مَعْلُومٍ بِإِلَهَامِ اللَّهِ تَعَالَى
 وَأَمَّا كَيْفِيَّةُ أَقْنَاعِهَا فَقَنْ عَجَابِ الدُّنْيَا وَهِيَ أَنْهُمْ أَوْلَ الرِّبَاعِ
 يَاخُذُونَ الْبَزَرَ وَيَشْدُونَهُ فِي خَرْقَةٍ وَيُجْعَلُ تَحْتَ ثَدْيِ امْرَأَةٍ لِتَصِلَ
 إِلَيْهِ حَرَارةُ الْبَدَنِ إِلَى أَسْبُوعٍ . مُمْ يُنْثَرُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ وَرَقِ التُّوتِ
 الْمَفْصُوصِ بِالْمِقْرَاضِ فَيَخْرُكُ الْدُودُ وَتَأْكُلُ مِنْ ذَلِكَ الْوَرْقِ مُمْ
 لَا تَأْكُلُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَيُقَالُ إِنَّهَا فِي النُّوْمَةِ الْأُولَى . مُمْ تَرْجُعُ إِلَى الْأَكْلِ
 فَتَأْكُلُ أَسْبُوعًا ثُمَّ تَرْكُ الْأَكْلَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَيُقَالُ إِنَّهَا فِي النُّوْمَةِ
 الْثَّانِيَةِ . وَهُدْدَدَا فِي الْمَرْأَةِ الْأُخْرَى وَيُقَالُ إِنَّهَا فِي النُّوْمَةِ الْثَّالِثَةِ . وَبَعْدَ
 النُّوْمَاتِ بُطْلَقُ هَا مِنَ الْعَلَفِ لِتَأْكُلَ كَثِيرًا وَتَشَرَّعُ فِي عَمَلِ الْفِيلِحَةِ .
 فَيَظْهُرُ عِنْدَ ذَلِكَ عَلَى ظَهْرِهَا شَيْءٌ مِثْلُ نَسْجِ الْعَنْكُوبَ وَيَزْدَادُ شَيْئًا
 فَشَيْئًا فَإِذَا مَطَرَ فِي هَذَا الْوَقْتِ مَطْرُ يُلِينُ الْفِيلِحَةُ بِرُطُوبَةِ النَّدَاقَةِ
 وَتُشَقِّبُهَا الْدُودَةُ وَتَخْرُجُ مِنْهَا وَقَدْ بَنَتْ لَهَا جَنَاحَانِ فَتَطِيرُ وَلَا يَحْصُلُ
 شَيْءٌ مِنَ الْأَبْرِيشَمِ . وَإِذَا فَرَغَتِ الْدُودَةُ مِنَ الْفِيلِحَةِ عُرِضَتْ عَلَى الشَّمْسِ
 لِتَهُوتَ الْدُودَةُ فِيهَا وَيَحْصُلُ مِنْ الْفِيلِحَةِ الْأَبْرِيشَمُ . وَيَرْكُ بَعْضُ
 الْفِيلِحَاتِ لِتُشَقِّبُهَا الْدُودَةُ وَتَخْرُجُ وَتَيَضَّ وَيَضْهَرُ بِهَا يَحْفَظُ لِلسَّنَةِ الْآتِيَةِ فِي
 ظَرْفٍ نَفِيٍّ مِنَ الْخَرْفِ أَوَ الْرِّبَاحِ . وَالثِّيَابُ الْأَبْرِيشَمِيَّةُ تَنْفَعُ مِنَ الْمَحْكَةِ
 وَالْجَرَبِ وَلَا يَتَوَلَّ فِيهَا الْقَمْلُ
 عَنْكُوبَتْ . أَصْنَافُهُ كَثِيرَةٌ لِكُلِّ صِنْفٍ فَعُلْ عَجِيبُ مِنْهَا الْطَوِيلَةُ
 الْأَرْجُلُ فَإِنَّهَا لَهَا عَرَفَتْ ضَعْفَ قَوَائِيمَهَا وَإِنَّهَا تَعْجَزُ عَنِ الْصَّيْدِ أَعْدَدَتْ

لِلصَّيْدِ مَصَابِدَ وَجَبَائِلَ مِنَ الْخَيْوَاطِ فَعَمَدَتْ إِلَى فُرْجَةِ بَيْنَ حَائِطَيْنِ
مُتَقَارِيْنِ . وَيُلْقِي لُعَابَهُ الَّذِي هُوَ خَيْطُهُ إِلَى جَانِبِ لِلصَّفَرِ يَهُمْ بَعْدَ
ذَلِكَ إِلَى أَجْبَانِ الْأَخْرِ وَهَذَا تَأْنِيْنَا وَثَالِثًا وَهَذَا هُوَ السَّدَى . ثُمَّ يُحَكِّمُ
لَهُمْ هُنَّ حَتَّى يُتَمَّ النَّسْجُ وَكُلُّ ذَلِكَ عَلَى تَنَاسُبِ هَنْدَسِيِّ حَتَّى يَصْحُحَ النَّسْجُ .
ثُمَّ يَقْدُمُ فِي زَاوِيَةِ مُنْرِصِدًا وَقُوَّةَ الصَّيْدِ فَإِذَا وَقَعَ فِيهَا شَيْءٌ مِنَ الدُّبَابِ
أَوَ الْبَقِّ بَادَرَ إِلَى أَخْدُنْ

وَمِنْهَا صِنْفٌ أَخْرَ قَصِيرُ الْأَرْجُلِ يُسَمِّي الْفَهَدَ فَإِنَّهُ يَصِيدُ الدُّبَابَ عَلَى
شَبِيهِ صَيْدِ الْفَهَدِ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَتَمَكَّنُ فِي زَاوِيَةِ فَإِذَا طَارَتْ دُبَابَةٌ يَقْرِبُهُ
وَتَبَ إِلَيْهَا . وَرَبَّمَا مَدَ خَيْطًا مِنَ السَّقْفِ وَعَلَقَ نَفْسُهُ فِيهِ مُنْكَسًا فَإِذَا
طَارَ دُبَابٌ يَقْرِبُهُ رَمَى بِنَفْسِهِ إِلَيْهِ وَأَخْدَنْ . وَمِنْهَا صِنْفٌ أَخْرُ يُقَالُ لَهُ
الْلَّيْلُ وَلَهُ سِتُّ عُوْنَ فَإِذَا رَأَى الدُّبَابَ لَطَى إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ وَتَبَ فَلَمْ
يُخْطِ وَثَبَتْهُ وَهُوَ أَفَةُ الدُّبَابِ . وَمِنْهَا صِنْفٌ يُقَالُ لَهُ الْرَّتِيلَا إِذَا امْشَى عَلَى
الْإِنْسَانِ يُمُوتُ الْإِنْسَانُ مِنْ لَعَابِهِ . وَيُسَمِّي عَرَبُ الشَّعَبَانِ لِأَنَّهُ يَقْتُلُ
الشَّعَبَانَ . وَمِنْهَا صِنْفٌ دَقِيقُ الصَّنْعَةِ يُهْيِي نَسْجَهُ وَيَصْعُدُ بِيَتَهُ فَإِذَا وَقَعَتْ
فِي مَصِيدِهِ دُبَابَةٌ تَضَطَّرِبُ فِيهَا فَيَمْسِي إِلَيْهَا وَيَهُصُّ رُطُوبَتَهَا
وَالدُّبَابَةُ تَطِنُّ مِنَ الْأَلْمِ إِلَى أَنْ تَمُوتَ وَيَحْمِلُهَا إِلَى خِزَانَتِهِ لِلذِّخِيرَةِ
وَكَثُرَ مَا يَقُوْ في مَصِيدِهِ عِنْدَ غَيْبُوَيَةِ الْشَّمْسِ

وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْعَنَاكِبَ الْأَنَاتَ هِيَ الْعَوَامِلُ وَالْذُكُورُ خُرُقُ
لَا تَعْمَلُ شَيْئًا . وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّ السَّدَى مِنَ الْأَنَاتِ وَاللَّهِمَّ مِنَ
الْذُكُورِ لِأَنَّ الْحُكْمَةَ أَقْوَى مِنَ السَّدَى وَهُمَا كَا الشَّرِيكَيْنِ فِي الْعَمَلِ أَوْ

كَالْأَسْتَادِ مَعَ التَّلِمِيذِ

فَرَاشٌ هُوَ الْحَيْوَانُ الَّذِي يَهَافِتُ عَلَى السِّرَاجِ وَيَخْتَرِقُ ذَكْرُ حَفِيفٍ
 الْسِيرَقَنْدِيَّ صَاحِبُ الْمُعْتَضِدِ أَنَّهُ كَثُرَ الْفَرَاشُ عَلَى الشَّفَعِ بِخَصْصَةِ
 الْمُعْتَضِدِ فِي بَعْضِ الْلَّيَالِي فَجَمِيعَنَا هَا فَكَانَتْ مَكْوَكًا ثُمَّ مِيزَ فَكَانَ أَنْتَينِ
 وَسَبِيعَنِ شَكْلًا . زَعْمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْفَرَاشَ دُعْمُهُ صَنْبَتْ جَنَاحُهَا .
 وَسَبَبُ وَقْوِعِهَا عَلَى النَّارِ مَا ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا إِذَا رَأَتِ السِّرَاجَ بِاللَّيْلِ
 تَنْهَنُ أَنَّهَا فِي بَيْتِ مُظْلِمٍ وَأَنَّ السِّرَاجَ كُوَّةٌ مِنَ الْبَيْتِ الْمُظْلِمِ إِلَى الْمَكَانِ
 الْمُفَضِّلِ فَلَا تَزَالُ تَطْلُبُ الصَّوَّةَ وَتَرْمِي نَفْسَهَا فِيهَا إِلَى أَنْ تَخْتَرِقَ
 نَخْلٌ . حَيْوَانٌ دُوَوَّهِيَّةٌ لَطِيفَةٌ وَخَلْفَهُ ظَرِيفَةٌ وَبُنْيَةٌ نَحِيفَةٌ وَسَطٌ بَدَنَهُ
 مُرْبَعٌ مَكْعَبٌ وَرَأْسَهُ مَدْوَرٌ مَبْسُوطٌ وَمَوْحِنٌ مَخْرُوطٌ وَرَكْبٌ فِي وَسْطِ
 بَدَنِهِ أَرْبَعَةُ أَرْجُلٍ وَيَدَانِ مُتَنَاسِبَةُ الْمَقَادِيرِ كَأَصْلَاعِ الشَّكْلِ الْمُسَدَّسِ
 وَقَدْ جُعِلَ فِيهَا مُلْكٌ وَيَتَوَارَثُ الْمُلْكُ أَوْلَادُهَا عَنْهُ . أَبَاعُهَا . فَإِنَّ
 الْيَعَاسِيَّ لَا تَلِدُ إِلَّا الْيَعَاسِيَّ . وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ الْيَعُوسَبَ لَا يَخْرُجُ مِنَ
 الْكُورِ لِأَنَّهُ إِنْ خَرَجَ خَرَجَ مَعَهُ جَمِيعُ النَّخْلِ فَيَقِفُ الْعَمَلُ وَإِنْ هَلَكَ
 الْيَعُوسَبُ وَفَقَتِ النَّخْلُ لَا تَعْمَلُ شَيْئًا فَتَهْلِكُ عَاجِلًا . وَالْيَعُوسَبُ تَكُونُ
 جِشْتَهُ كُجُوتَةٌ نَخْلَتَيْنِ وَهُوَ يُوزِعُ الْعَمَلَ عَلَى النَّخْلِ حَتَّى تَرَى بَعْضَهَا يُمَهِّدُ
 الْأَسَاسَ وَبَعْضَهَا يَعْمَلُ الْبَيْتَ وَبَعْضَهَا يَعْمَلُ الْعَسلَ . وَمِنْ لَا يُحِسِّنُ
 الْعَمَلَ لَا يُخْلِلُهَا فِي وَسْطِ النَّخْلِ بَلْ يُخْرِجُهَا وَيَنْصُبُ بَوَابَاتٍ عَلَى بَابِ الْخَلِيلِ
 لِلَّيْلَ يَدْخُلُ إِلَيْهَا مَنْ وَقَعَ عَلَى الْجَنَاسَاتِ فَإِنْ وَقَعَ شَيْءٌ مِنَ النَّخْلِ عَلَى
 الْجَنَاسَاتِ مَنَعَهَا الدُّخُولَ

وَأَنْجَادُ بَيْوَهَا مَسَدَّسَةً مِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ وَالغَرَضُ مِنَ الْمَسَدَّسَاتِ
الْمُتَسَاوِيَاتِ الْأَضْلَاعِ لِخَاصَيْهِ يَقُولُ فِيهِ الْمُهَنْدِسُ عَنْ إِدْرِكَهَا
لَا تُوجَدُ تِلْكَ الْخَاصَيْهِ فِي الْمُرَبَّعِ وَلَا فِي الْخَمْسِ وَلَا فِي الْمُسْتَدِيرِ.
وَهِيَ أَنَّ أَوْسَعَ الْأَشْكَالِ وَأَجْوَاهَا الْمُسْتَدِيرُ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهُ أَمَّا الْمُرَبَّعُ
فَيَخْرُجُ مِنْهُ زَوَّا يَا ضَائِعَةً. وَشَكْلُ الْخَلِ مُسْتَدِيرٌ مُسْتَطِيلٌ فَتَرَكَ الْمُرَبَّعَ
حَتَّى لَا يَنْبَعِثَ الزَّوَّا يَا فَتَبَقَّى خَالِيَهُ وَلَوْ بَنَاهَا مُسْتَدِيرٌ لَيَقِيَ خَارِجَ الْبَيْوَتِ
فِرَجَ ضَائِعَةً. فَإِنَّ الْأَشْكَالَ الْمُسْتَدِيرَ إِذَا جَمِعَتْ لَا يَنْبَعِثُ مُنْرَاضَةً وَلَا
شَكْلٌ فِي الْأَشْكَالِ ذَوَاتِ الزَّوَّا يَا يَقْرُبُ فِي الْأَحْنَوَاءِ مِنَ الْمُسْتَدِيرِ ثُمَّ
يَنْرَاضِ الْجُمْلَةُ مِنْهُ حِيْثُ لَا يَقِيَ بَعْدَ أَجْنَانِهَا فَرَجَةٌ لِلْمُسَدَّسِ
فَانْظُرْ كَيْفَ الْهَمَّا اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ

وَتَعْمَلُ فَصَلَيْنِ فِي الْمُرَبَّعِ وَالْمُنْرَاضِ فَتَجْمِعُ بِالْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ مِنْ
وَرَقِ الْأَشْجَارِ وَزَهْرِ الشَّمَارِ الرُّطُوبَاتِ الْدُّشْنِيَّةِ أُلَيْ تَبْنِي بِهَا مَنَازِلَهَا
وَلَهَا مِشْفَرَانِ حَادَانِ تَجْمِعُ بِهَا مِنْ ثَمَرَةِ الْأَشْجَارِ رُطُوبَاتٍ لَطِيفَةً
عَجَزَتْ عُقُولُ الْأَكْثَرِينَ عَنْ مَعْرِفَتِهَا عَلَى طَبَائِعِهَا وَخُلِقَ فِي جَوْفِهَا
قُوَّةً عَالِيَّةً تُصِيرُ تِلْكَ الرُّطُوبَاتِ عَسَلًا حُلُوا لِذِي دَأْدَأَهَا وَلَوْلَاهَا
وَمَا فَضَلَّ عَنْ غِذَائِهَا تَجْعَلُهُ مَخْزُونًا فِي بَعْضِ الْبَيْوَتِ وَتُعْطِي رَأْسَهَا
يُغَطَّاءً رَقِيقًا مِنَ الشَّمْعِ حَتَّى يَكُونَ الشَّمْعُ مُحِيطًا بِهَا مِنْ جَمِيعِ الْجَوَانِبِ
كَأَنَّهَا رَأْسُ الْبَرَانِيِّ مَسْدُودَةٌ بِالْقَرَاطِيسِ وَتَذَخُّرُ ذَلِكَ لِأَجْلِ الشِّتَّاءِ
وَتَيَضُّ فِي بَعْضِ الْبَيْوَتِ وَتَخْضُنُ وَتَفْرُخُ وَتَأْوِي إِلَى بَعْضِ الْبَيْوَتِ
وَتَنَامُ فِيهَا أَيَّامَ الشِّتَّاءِ وَيَوْمَ الْبَرَدِ وَالرِّياحِ وَالْأَمْطَارِ وَتَفَوَّتُ مِنْ ذَلِكَ

العَسْلُ الْمَخْزُونُ هِيَ وَلَادُهَا لَا إِسْرَافًا وَلَا نَفْتِرَا إِلَى أَنْ تَأْتِيْ أَيَّامُ
 الرَّبِيعِ وَتَخْرُجَ الْأَزْهَارُ وَالْأَنْوَارُ فَتَرْعَى كَمَا كَانَتْ تَنْعَلُ فِي الْعَامِ الْمَاضِي
 وَكَمْ يَزَلْ هَذَا دَأْبُهَا بِإِلَهَاهَمِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. وَمَنْ عَجَابَ النَّحْلُ أَنَّهَا إِذَا
 عَرَفَتْ أَخْذَ الْعَسْلِ وَاحْسَنَتْ بِالدُّخَانِ جَعَلَتْ تَأْكُلُ مِنْهُ أَكْلًا ذَرِيعًا
 حَتَّى بَعْضُهُمْ أَنَّ خَلِيلَةً مِنْ خَلَايَا الْعَسْلِ مَرِضَ نَحْلُهَا فَجَاءَهُ نَحْلٌ خَلِيلَةٌ
 أُخْرَى يُقَاوِلُهَا عَلَى الْعَسْلِ الَّذِي فِي يُوَبِّهَا بِرِيدٍ إِخْرَاجَهَا مِنَ الْخَلِيلَةِ
 لَيَسْتُوْلِي عَلَى عَسَلِهَا فَاقْبَلَ قِيمُ الْخَلَايَا يُعَاوَنُ الْنَّحْلُ الْفَصِيفَ الْمَرِيضَ
 وَكَانَ يَلْسُعُهُ الْنَّحْلُ الْغَرِيبُ دُونَ الْمَرِيضِ كَمَا هُنَّا عَرَفَتْ أَنَّهُ يَدْفَعُ عَنْهَا.
 وَمَا الْعَسْلُ فَذَكَرُوا أَنَّ الْأَيْضَ عَمَلُ شَبَّانَهَا وَالْأَصْفَرَ عَمَلُ كُهُولَهَا
 وَالْأَحْمَرَ عَمَلُ شِبَّهَا

انتهى المنشور
 من كتاب عجائب الخلق وغرائب الموجودات
 للغزويني



فهرس

وجه

من كتاب العبر وديوان المبتدأ في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان
الاكبر عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي
المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذهبها والملامع بما يعرض للورثين من المغالط
والاوہام وذكر شيء من اسبابها

٣

من كتاب نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب تأليف العلامة المقرى

١٥

في وصف الاندلس

في القاء الاندلس للسلميين بالقياد وفتحها على يد موسى بن نصیر ومولاه طارق بن

٢٦

زياد

من كتاب الاذادة والاعيبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بارض مصر لابي

اللطيف

المقالة الأولى وهي ستة فصول

٣٠

الفصل الاول . في خواص مصر العامة لها

٣٤

الفصل الثاني . فيما تختص به من النبات

٣٧

الفصل الثالث . فيما تختص به من الحيوان

٤٠

الفصل الرابع . في اقتصاص ما شوهد من اثارها القديمة

٥٥

الفصل الخامس . فيما شوهد بها من غرائب الابنية والسفن

المقالة الثانية

٥٧

في النيل وكيفية زيارته واعطاء عال ذلك وقوائمه

من تحفة النظرار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار لابن عبد الله محمد بن عبد الله

٦٣

بن محمد بن ابراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة

٧٠

حكاية خصيم

٧٦

حكاية أبي يعقوب يوسف

من كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للشيخ الامام محمد بن محمد الفزوي

٨٧

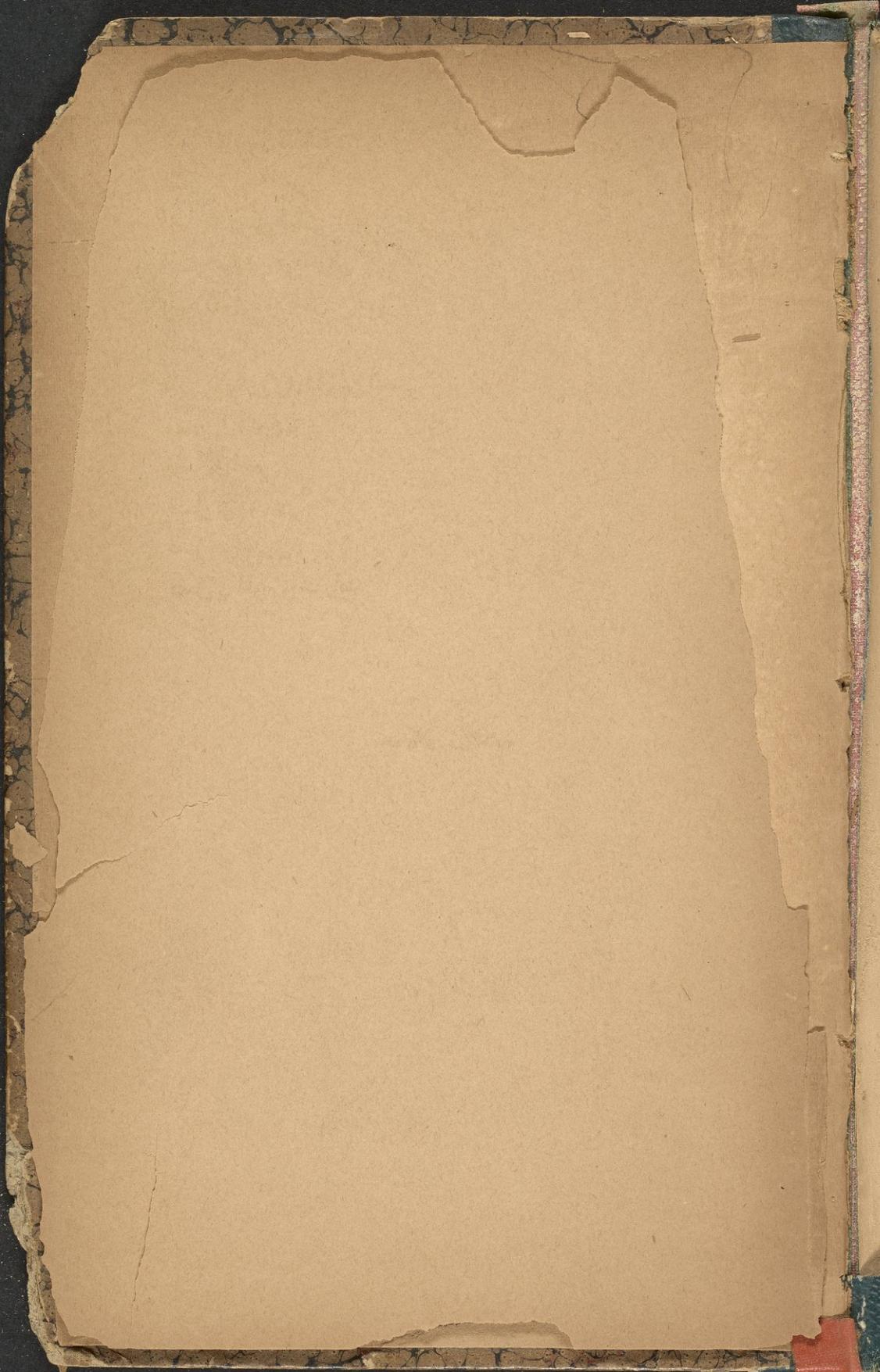
النظر في الكائنات وهي الاجسام التولدة من الامهات

٨٨

النظر الاول . في المعديات

- ٠٨٩ النظر الثاني . في النبات
٠٩٠ القسم الاول . الشجر
٠٩٢ القسم الثاني من النبات . النجوم
٠٩٥ النظر الثالث . في الحيوان
٠٩٦ النوع الاول . الانسان
٠٩٧ النظر في القوى
٠٩٨ القوى الظاهرة وفي الحواس الخمس
١٠٠ فصل في الدواب
١٠١ فصل في النعم
١٠٣ فصل في المساواة
١٠٣ فصل في الطيور
١٠٧ فصل في الاهم والاحشرات





• 19

• 90

• 95

• 90

• 97

• 98

• 98

H. L. T.

Rec'd fr. Gräfe April
26th, 1894.

